

رِجَالٌ  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

و.عبد الرحمن عميره

الجزء الأول

دار الجيّد

بيروت

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	البیان	عدد مسلسل
٧	مقدمة المؤلف	١
٣٣	قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم	٢
٣٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣
٣٧	أبو لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه	٤
٤٧	أسباب نزول الآيات	٥
٥٠	تذييل	٦
٥٧	قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي .	٧
٥٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٨
٦١	حاطب بن أبي بلتعة — رضي الله عنه	٩
٦٥	أسباب نزول الآيات	١٠
٧٠	تذييل	١١

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٧٥	عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتفطعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهي .	١٢
٧٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٣
٧٩	ابن أم مكتوم رضي الله عنه	١٤
٨٦	أسباب نزول الآيات	١٥
٨٨	تذييل	١٦
٩٣	قال تعالى : إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون .	١٧
٩٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٨
٩٧	أبو سفيان بن حرب	١٩
١١٩	أسباب نزول الآيات	٢٠
١٢١	تذييل	٢١
١٢٧	قال تعالى : من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم	٢٢
١٢٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٣
١٣١	عمار بن ياسر رضي الله عنه	٢٤
١٤٧	أسباب نزول الآيات	٢٥

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٥٠	تذييل	٢٦
	قال تعالى : ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا معروفاً	٢٧
١٥٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٨
١٥٩	سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه	٢٩
١٦١	أسباب نزول الآيات	٣٠
١٨٩	تذييل	٣١
١٩١	قال تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم.	٣٢
١٩٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٣
١٩٩	كعب بن مالك رضي الله عنه	٣٤
٢٠١	أسباب نزول الآيات	٣٥
٢٠٧	تذييل	٣٦
٢١٣	ثبت بالمراجع	٣٧
٢١٥	فهرس الموضوعات	٣٨
٢١٩		

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	عدد مسلسل
٧	المقدمة	١
	قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء»	٢
١١		
١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣
١٥	عبادة بن الصامت رضي الله عنه	٤
٢٨	أسباب نزول الآيات	٥
٣١	تذييل	٦
	قوله تعالى... يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً	٧
٣٧		
٣٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٨
٤١	العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه	٩
٥٤	أسباب نزول الآيات	١٠
٥٨	تذييل	١١
	قوله تعالى... ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	١٢
٦٥	وجادلهم بالتتي هي أحسن	

عدد مسلسل	الموضوع	رقم الصفحة
١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٦٧
١٤	حمزة بن عبد المطلب	٦٩
١٥	أسباب نزول الآيات	٨٠
١٦	تذييل	٨٢
١٧	قوله تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »	٨٩
١٨	أقوال العلماء في نزول الآيات	٩١
١٩	أبو عبيدة بن الجراح	٩٣
٢٠	أسباب نزول الآيات	١٠٥
٢١	تذييل	١٠٧
٢٢	قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »	١١٥
٢٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	١١٧
٢٤	عبد الله بن رواحه رضي الله عنه	١١٩
٢٥	أسباب نزول الآيات	١٣٣
٢٦	تذييل	١٣٤
٢٧	قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض »	١٤١
٢٨	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٤٣
٢٩	ثابت بن قيس رضي الله عنه	١٤٥
٣٠	أسباب نزول الآيات	١٥٦

رقم الصفحة	الموضوع	عدد مسلسل
١٥٩	تذييل	٣١
	قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا	٣٢
١٦٧	الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين »	
١٦٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٣
١٧١	أسيد بن حضير رضي الله عنه	٣٤
١٨٧	أسباب نزول الآيات	٣٥
١٩٠	تذييل	٣٦
	قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه	٣٧
١٩٧	كبير وصد عن سبيل الله وكفر به »	
١٩٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٨
٢٠١	عبدالله بن جحش رضي الله عنه	٣٩
٢١٠	أسباب نزول الآيات	٤٠
٢١٤	تذييل	٤١
٢١٩	ثبت بالمراجع	٤٢
٢٢٢	فهرس الموضوعات	٤٣

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٧	مقدمة	١
١٣	قال تعالى : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً	٢
١٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣
١٧	عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	٤
٣٢	أسباب نزول الآيات	٥
٣٥	تذييل	٦
٤٣	قال تعالى : ومن الناس من يُشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد	٧
٤٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٨
٤٧	صهيب بن سنان رضي الله عنه	٩
٥٧	أسباب نزول الآيات	١٠



رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٥٩	تذييل	١١
	قال تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً	١٢
٦٧		
٦٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٣
٧١	الزبير بن العوام رضي الله عنه	١٤
٨١	أسباب نزول الآيات	١٥
٨٣	تذييل	١٦
	قال تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة	١٧
٩١		
٩٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٨
٩٥	النجاشي رضي الله عنه	١٩
١٠٠	حوار بين النجاشي وبين المسلمين	٢٠
١٠٤	أسباب نزول الآيات	٢١
١٠٦	تذييل	٢٣
	قال تعالى : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	٢٣
١١١		
١١١	وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة	
	قال تعالى : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون	
١١١		
١١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٤

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١١٥	عبد الله بن سلام رضي الله عنه	٢٥
١١٨	أسباب نزول الآيات	٢٦
١٢١	تذييل	٢٧
	قال تعالى : وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . الخ ...	٢٨
١٢١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٩
١٢٧	زيد بن حارثة رضي الله عنه	٣٠
١٢٩	أسباب نزول الآيات	٣١
١٣٧	تذييل	٣٢
١٤١	قال تعالى : إن الذين آمنوا أو الذين هادوا والنصرى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٣٣
١٤٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٤
١٤٧	سلمان الفارسي رضي الله عنه	٣٥
١٤٩	سلمان والياً على المدائن	٣٦
١٦٣	سلمان والحياة الاجتماعية	٣٧
١٦٥	أسباب نزول الآيات	٣٨
١٦٩	تذييل	٣٩
١٧٢	قال تعالى : وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله	٤٠
١٧٧		

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٧٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٤١
١٨١	كعب بن عجرة رضي الله عنه	٤٢
١٨٧	أسباب النزول	٤٣
١٨٩	تذييل	٤٤
١٩١	ثبت بالمراجع	٤٥
١٩٥	فهرس الموضوعات	

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٧	مقدمة	١
	قال تعالى : هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون»	٢
١٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	
١٧	زيد بن أرقم	٤
٢٤	أسباب نزول الآيات	٥
٢٧	تذييل	٦
	قال تعالى : أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشرون وابتغوا ما كتب الله لكم	٧
٣٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٨
٣٥	صرمة بن قيس	٩
٣٧	أسباب نزول الآيات	١٠
٤٤	تذييل	١١
٤٦	قال تعالى : والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن	١٢

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٥٥	الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين	
٥٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٣
٥٩	هلال بن أمية	١٤
٦٩	أسباب نزول الآيات	١٥
٧٢	تذييل	١٦
٧٩	قال تعالى: إن الذين يشتركون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم	١٧
٨١	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٨
٨٣	الأشعث بن قيس	١٩
١٠٠	أسباب نزول الآيات	٢٠
١٠٢	تذييل	٢١
١٠٩	قال تعالى: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً، ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً. ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً	٢٢
١١١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٣
١١٣	قنادة بن النعمان	٢٤
١٢٣	أسباب نزول الآيات	٢٥
١٢٧	تذييل	٢٦

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
	قال تعالى : الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين	٢٧
١٣١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٨
١٣٣	مرثد بن أبي مرثد	٢٩
١٣٥	قتل خبيب	٣٠
١٤١	أسباب نزول الآيات	٣١
١٤٢	تذييل	٣٢
١٤٦	قال تعالى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة	٣٣
١٥١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٤
١٥٣	أبي بن كعب رضي الله عنه	٣٥
١٥٥	أسباب نزول الآيات	٣٦
١٦٦	تذييل	٣٧
١٦٨	قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون	٣٨
١٧٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٩
١٧٧	مصعب بن عمير	٤٠
١٧٩		

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٩٣	أسباب نزول الآيات	٤١
١٩٥	تذييل	٤٢
٢٠١	ثبت بالمراجع	٤٣
٢٠٤	فهرس الموضوعات	٤٤

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١١	قال تعالى : حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين	١
١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢
١٥	حديث	٣
١٧	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٤
٢١	إسلام أبي بكر رضي الله عنه	٥
٢٧	الصحبة يا رسول الله	٦
٣٨	بيعة أبي بكر بالخلافة	٧
٤٢	أبو بكر وبعثة أسامة بن زيد	٨
٤٦	حروب الردة	٩
٥٠	تحرك الجيوش لحروب الردة	١٠
٥٣	مقتل مسيلمة الكذاب	١١
٥٦	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه	١٢



رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٥٩	أسباب نزول الآيات	١٣
٦١	تذييل	١٤
	قال تعالى : قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون	١٥
٦٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٦
٧١	حديث	١٧
٧٣	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٨
٧٥	اسلام عمر	١٩
٧٩	هجرته	٢٠
٨٦	عمر في المدينة	٢١
٨٩	عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين	٢٢
٩٨	عمر واختيار الولاية	٢٣
١٠٠	عمر في أسرته بين أهله وأولاده	٢٤
١١٩	عمر يسهر على مصالح الرعية	٢٥
١٣٠	عمر مع الرعية	٢٦
١٣٨	عمر رضي الله عنه في آخر أيامه	٢٧
١٤٥	مقتل عمر رضي الله عنه	٢٨
١٤٩	أسباب نزول الآيات	٢٩
١٥٢	تذييل	٣٠
١٥٤	قال تعالى : أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر	٣١

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٦١	الآخرة ويرجو رحمة ربه. قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب	
١٦٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٢
١٦٥	حديث	٣٣
١٦٧	عثمان بن عفان رضي الله عنه	٣٤
١٧٠	اسلامه رضي الله عنه	٣٥
١٧٦	عثمان وبيعة الرضوان	٣٦
١٨٣	بيعة عثمان رضي الله عنه	٣٧
١٨٥	مجلس الشورى	٣٨
١٨٨	عثمان رضي الله عنه والفتنة	٣٩
٢٠٢	مقتل عثمان رضي الله عنه	٤٠
٢٠٦	أسباب نزول الآيات	٤١
٢٠٨	تذييل	٤٢
٢١٩	فهرس الموضوعات	٤٣

## فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	البيان	رقم مسلسل
٧	مقدمة	١
٩	عثمان بن مظعون	٢
١١	قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتلوا إن الله لا يحب المعتدين .	٣
١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٤
١٥	عثمان بن مظعون	٥
٢٦	أسباب نزول الآيات	٦
٣٧	قال تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً	٨
٣٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٩
٤١	أنس بن النضر — رضي الله عنه	
٤٨	أسباب نزول الآيات	١٠
٥٠	تذييل	١١
٥٩	قال تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً	١٢
٦١	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٣

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٦٣	عياش بن ربيعة	١٤
٧٤	أسباب نزول الآيات	١٥
٧٦	تذييل	١٦
٨١	خياب بن الأرت	١٧
	قال تعالى: واتل ما أوحى إليك من ربك لا مبدل لكلماته، ولن نجد من دونه ملتحداً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الخ.	١٨
٨٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٩
٨٥	خياب بن الأرت	٢٠
٩٨	تذييل	٢١
	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً	٢٢
١١١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٣
١١٣	عثمان بن طلحة	٢٤
١١٥	أسباب نزول الآيات	٢٥
١٢٤	تذييل	٢٦
١٢٦	قال تعالى: وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر	٢٧
١٣١	ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون	
١٣٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٨

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٣٥	معقل بن يسار	٢٩
١٤٥	أسباب النزول	٣٠
١٤٧	تذييل	٣١
	قال تعالى : يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله إن امرأ	٣٢
	هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها	
	إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلها الثلثان مما ترك وإن	
١٥٥	كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين	
١٥٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٤
١٥٩	جابر بن عبد الله	٣٥
١٧٢	أسباب نزول الآيات	٣٦
١٧٥	تذييل	٣٧
	والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت	٣٨
	القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله	
١٨١	حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين	
١٨٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٩
١٨٥	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق	٤٠
١٩٦	أسباب نزول الآيات	٤١
١٩٨	تذييل	٤٢
٢٠١	ثبت المراجع	٤٣
٢٠٥	فهرس الموضوعات	٤٤

## فهرس الموضوعات للجزء السابع

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٥	قال تعالى : وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .	١
٧	مقدمة	٢
١١	قال تعالى : إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مستندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون .	٣
١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٤
١٥	عبد الله بن أبي زعيم حزب المنافقين	٥

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٢٨	أسباب نزول الآيات	٦
٣٢	تذييل	٧
	قال تعالى : ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً ، وبينت شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عيس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ، سأصليه سقر .	٨
٣٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٩
٤١	الوليد بن المغيرة	١٠
٤٣	أسباب نزول الآيات	١١
٥١	تذييل	١٢
٥٤	قال تعالى : أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرايت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب .	١٣
٦١	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٤
٦٣	الحكم بن هشام (أبو جهل)	١٥
٦٣	مقتل أبي جهل	١٦
٧٨	أسباب نزول الآيات	١٧
٨١	تذييل	١٨
٨٥	قال تعالى : تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصل ناراً ذات لب ، وامرأته حمالة	١٩

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٩١	الخطب ، في جيدها جبل من مسد	
٩٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٠
٩٥	أبو هب بن عبد المطلب	٢١
١٠٢	موت أبي هب	٢٢
١٠٣	أسباب نزول الآيات	٢٣
١٠٥	تذييل	٢٤
	قال تعالى : ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً.	٢٥
١١٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٦
١١٥	كعب بن الأشرف	٢٧
١١٧	أسباب نزول الآيات	٢٨
١٢٥	تذييل	٢٩
١٢٨	قال تعالى : ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخذه كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة.	٣٠
١٣٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣١
١٣٩	أمية بن خلف	٣٢
١٤١	مقتل أمية بن خلف	٣٣
١٥٠	اسباب نزول الآيات	٣٤
١٥٣	تذييل	٣٥
١٥٧		



رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٦١	قال تعالى : ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، يا ويلتي ليتني لم أنخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً .	٣٦
١٦٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٧
١٦٥	عقبة بن أبي معيط	٣٨
١٧٥	أسباب نزول الآيات	٣٩
١٧٧	تذييل	٤٠
	قال تعالى : سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار ، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ ، هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال .	٤١
١٨٥	أقوال العلماء في نزول الآيات	٤٢
١٨٧	عامر بن الطفيل	٤٣
١٨٩	أسباب نزول الآيات	٤٤
١٩٩	تذييل	٤٥
٢٠١	ثبت بالمراجع	٤٦
٢٠٧	فهرس الموضوعات	٤٧
٢١١		

## فهرس موضوعات الجزء الثامن

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٧	قال تعالى : ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون .	١
٩	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢
١١	ثعلبة بن حاطب — رضي الله عنه —	٣
٢١	أسباب نزول هذه الآيات	٤
٢٤	تذييل	٥
٢٧	سهيل بن عمرو	٦
٢٩	قال تعالى : ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم .	٧
٣١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٨
٣٣	سهيل بن عمرو	٩

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
٣٨	موقف سهيل من صلح الحديبية	١٠
٤٧	أسباب نزول الآيات	١١
٥٠	تذييل	١٢
٥٣	سعد بن الربيع	١٣
	قال تعالى: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الائنتين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك. الى قوله تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فكل واحد منها السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلیم.	١٤
٥٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	١٥
٥٩	سعد بن الربيع — رضي الله عنه —	١٦
٦١	أسباب نزول الآيات	١٧
٧٣	تذييل	١٨
٧٥	بلال بن رباح — رضي الله عنه —	١٩
٧٩	قال تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين	٢٠
٨٣	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢١
٨٥	بلال بن رباح — رضي الله عنه —	٢٢
٨٧	أسباب نزول الآيات	٢٣
١٠١	تذييل	٢٤
١٠٣	معاذ بن جبل — رضي الله عنه —	٢٥
١٠٧		

رقم الصفحة	البيان	عدد مسلسل
١٠٩	قال تعالى : وودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون .	٢٦
١١١	أقوال العلماء في نزول الآيات	٢٧
١١٣	معاذ بن جبل — رضي الله عنه —	٢٨
١٢٨	أسباب نزول الآيات	٢٩
١٣٠	تذييل	٣٠
١٣٣	سالم مولى أبي حذيفة	٣١
١٣٥	قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أتم به المؤمنين .	٣٢
١٣٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٣
١٣٩	سالم بن معقل	٣٤
١٤٧	أسباب نزول الآيات	٣٥
١٤٩	تذييل	٣٦
١٥٣	النضر بن الحارث	٣٧
١٥٥	قال تعالى : وإذا تلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أبعثنا بعدد أليم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون .	٣٨
١٥٧	أقوال العلماء في نزول الآيات	٣٩
١٥٩	النضر بن الحارث	٤٠
١٦٧	أسباب نزول الآيات	٤١

رقم الصفحة	البيان	عدد مستعمل
١٦٩	تذييل	٤٢
١٧٣	ثبت بالمراجع	٤٣
١٧٧	فهرس الموضوعات	٤٤

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ●

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ● الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

● مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ● إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ● أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

● صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ●

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

اللهم اجعل الحق هدي من كل أعالي ، واجعل الصدق شيمتي ، والإخلاص للحق ديدني والقرآن حجتي .

آمنت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

وبعد : جاء القرآن الكريم ، ومن بين أهدافه تربية جيل من الناس ، تربية أمة من الأمم ، لتحمل هذا الدين إلى البشرية كلها .

تربية توافق الفطرة البشرية ، وتتواءم مع النفس الإنسانية ولا تحيد قيد أملة عن الجبل التي فطر الناس عليها .

جاء القرآن الكريم ، يربي الإنسان خليفة الله في الأرض ، يريه قلباً وروحاً ، ويريه جسداً وعقلاً ، ويريه خلقاً وسلوكاً .

ويرتفع به إلى الأفق الأعلى ، أفق الإنسانية ، آخذاً بيده ، حتى يجيله في النهاية صورة حية من تصورات القرآن للإنسان الكامل .

ويصنع منه طاقة كونية فعالة ، تهيمن على الكون وتسخره لتحقيق الخلافة في الأرض .



ويجعل منه في النهاية قوة عزيزة أبية ، لا تذلل ولا تضعف ، ولا تهين ولا تجبن ، بل تواجه الأحداث في إيمان وثقة من عون الله العليّ الكبير .  
وتجاهد هذه القوة أعداء الله ، وأعداء دينه ، وأعداء البشرية كلها وهي مطمئنة إلى نصر الله .

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١)

ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في نزول القرآن منجماً على رسول البشرية محمد ﷺ

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٢)

نزل القرآن منجماً ليتدبر في عمق ، وتنفذ تعاليمه بعد إقناع ، ويكون للبشرية منهجاً ودستوراً ، وقائداً ودليلاً .

يوجهها إذا بعدت ، ويبصرها إذا أخطأت ، ويأخذ بيدها بعيداً عن وعورة الحياة ومزالق الطريق .

وكان كل مسلم من جيل القرآن الأول — جيل الصحابة — رضوان الله وسلامه عليهم — يشعر أن عين الله عليه وأن سميع الله إليه ، وأن كل كلمة منه ، وكل حركة ، بل كل خاطر ، وكل نية قد تصبح مكشوفة للناس ينتزل في شأنها قرآن على رسوله ﷺ .

وكان كل مسلم ومسلمة ، من الجيل الأول ، إذا حزبه أمر أو واجهته معضلة انتظر أن تفتح أبواب السماء غداً أو بعد غد ليتنزل منها حل لمعضلته ، وفتوى في أمره وقضاء في شأنه .

أورد الإمام الترمذي بسنده عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنه زوج أخته

(١) سورة الحج آية رقم ٤٠ .

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٠٦ .

رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ — فكانت عنده ما كانت .. ثم  
طلقها تطليقة لم يراجعها، حتى انقضت عدتها، فهوها وهويته، ثم خطبها مع  
الخطاب.

فقال له : أكرمتك بها فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبداً.

قال : فعلم الله — سبحانه وتعالى — حاجته إليها وحاجتها إلى بعلمها فأنزل الله  
تعالى :

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا  
تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم  
أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(١)</sup>.

فلما سمعها معقل قال : سمع لربي وطاعة، ثم دعاه فقال : أزوجك وأكرمك.  
فزوجه إياها.

بماذا يفسر هذا العمل...؟

وعلى أي شيء يدل...؟

إن الحقيقة تقول : إنه يدل على الاستجابة الفورية لأمر الله سبحانه وتعالى  
والرجوع عن هوى النفس إلى حكم الله، والطاعة الكاملة له بلا تراخٍ أو فتور.  
وكانت المرأة في الجاهلية تمرّ بين الرجال كاشفة صدرها، لا يواريه شيء،  
وربما أظهرت عنقها، وذوائب شعرها، وأقرطة أذنيها<sup>(٢)</sup>.

كانت المرأة تفعل ذلك، لأن قانون الجماعة لا يحرمه، وعرف البيئة لا يمنعه،  
حتى جاء أمر الله — سبحانه وتعالى —، ونزل توجيهه لتربية الأمة الإسلامية قال  
تعالى :

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٣٢.

(٢) ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٣٨٤.

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (١)

نزلت هذه الآية فامتثلن لتوجيه الله وهدية ، ولم تمتنع منهن واحدة عن الخضوع لأمر الله « عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة — رضي الله عنها — قالت : فذكرت نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة : إن لنساء قريش لفضلاً وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، أشد تصديقاً لكتاب الله وإيماناً بالتنزيل ، لما نزل قول الله تعالى :

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ، ويتلو الرجل على زوجته وابنته وأخته ، وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها الرجل فاعتجرت به ، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبح وراء رسول الله ﷺ — معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان » (٢)

لقد كانت كلمات القرآن بالنسبة لهم المنهج اليومي الذي يتلقاه المسلمون ليعملوا به فوراً ، لا يتخلف أحد ولا يتباطأ إنسان ، بل يتسابقون إلى ذلك ويتلقونه كما يتلقى الجندي في ثكنته ، أو في ميدانه أمر القائد فيعيه ويفهمه ويقوم مبادراً إلى التنفيذ.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه :

« بينا أدير الكأس على أبي طلحة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وأبي دجانة ، ومعاذ ابن جبل ، وسهل بن بيضاء ، حتى مالت رؤوسهم من الخمر ، إذ سمعت منادياً ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت » (٣)

(١) سورة النور آية رقم ٣١

(٢) رواه أبو داود ، وراجع تفسير سورة النور للاستاذ أبو الأعلى المودودي ص ١٥٩ ، ١٦٠ وفي ظلال القرآن سورة النور آية رقم ٣١

(٣) رواه الإمام أحمد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٩٧

قال : فما دخل علينا داخل ، ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا ، وأصبنا من طيب أم سلمة ثم خرجنا إلى المسجد<sup>(١)</sup> .

وعن أبي بريدة عن أبيه قال :

« بينا نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر ، إذ قمت حتى آتى رسول الله ﷺ — فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر فجئت أصحابي فقرأت عليهم قول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾<sup>(٢)</sup> .

قال وبعض القوم شربته في يده ، شرب بعضها ، وبقي بعضه في الإناء فأراقوا ما في كؤوسهم ، ثم صبوا ما في باطنهم وقالوا : « انتهينا ربنا انتهينا ربنا »<sup>(٣)</sup> . حرمت الخمر وهي أحب شيء إلى نفوسهم كما تروي كتب التاريخ ، حتى كانوا لا يستطيعون عنها فكاكاً ، فهي رفيقتهم إذا أصبحوا ، ورفيقتهم إذا أمسوا وكانوا يتجرعونها في الظعن والإقامة في الحلّ والترحال .

يقول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه :

« كنت صاحب خمر في الجاهلية ، فقلت لو أذهب إلى فلان الخمار فأشرب » ، وظل عمر يشرب الخمر في الإسلام حتى نزل قول الله تعالى :

(١) رواه ابن جرير الطبري عن أنس بن مالك .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٩٠ — ٩١ .

(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٩٥ .

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمها أكبر من نفعها ﴾ (١) .

قال : اللهم بين لنا بياناً شافياً في الخمر ، واستمرّ في الشرب ، حتى نزلت :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتمّ سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (٢) .

قال اللهم بين لنا بياناً شافياً في الخمر حتى نزلت آية التحريم :

﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ (٣) .

قال عمر : « اتبهينا ، اتبهينا » (٤) .

وهكذا حرمت الخمر ، لأن القرآن يهدف إلى تربية جيل ، يكون دائماً مرتبطاً بدينه وثيق الصلة بربه ، مراقباً له في كل خطوة ، في كل لحظة ، في كل همسة وكان يستهدف من وراء ذلك إيجاد اليقظة الدائمة ، والصحوة المستمرة لهذا الجيل .

يقظة مستمرة في عقله .

وصحوة دائمة في وجدانه .

حتى يستطيع أن يؤدي تكاليف الخلافة ، التي كلفه الله بها ، يؤدي تكاليفها تجاه نفسه ، ويؤدي ما عليه تجاه الجماعة التي يعيش معها ويؤدي ما فرضه عليه ربه من

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٩ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٤٣ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ٩٠ - ٩١ .

(٤) زواه أبو داود ، والترمذي والنسائي ورواه أبو الحسن بن أحمد الواحدي في كتابه : « أسباب نزول القرآن » ص ٢٠١ .

فروض وواجبات ، ولن يتم ذلك بالكامل ولن يستطيعه وهو دائماً نصف يقظ ونصف مخمور .

ولقد استجاب المسلمون لأمر ربهم ، ولم يحتج الأمر إلى إصدار قانون أو عدة قوانين ، أو صرف ملايين الجنيهات كما فعلت بعض الدول الكبرى في مجتمعنا المعاصر ، ولم توفق إلى تحريم الخمر .

لقد استجاب المسلمون لأمر ربهم في تحريم الخمر ، واستجابوا له في الامتناع عما نهاهم عنه ، وأصاحوا له في تكريم المرأة والرفق بها ، والتسليم الكامل في إعطائها حقوقها كاملة ، وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله واعتبروا أن ما في أيديهم من مال أو عقار ، هو عارية مردودة ، وأن المال ، مال الله ، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، فكانوا يتسابقون في الإنفاق .

روى الإمام أحمد — رضي الله عنه — عن أبي طلحة ، سمع أنس بن مالك — رضي الله عنه — يقول :

« كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً ، وكان أحب أمواله إليه « بئرحاء » وكانت مستقبلية المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب .

قال أنس : فلما نزل قول الله تعالى :

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

قال أبو طلحة : « يا رسول الله ، إن الله تعالى يقول : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ ﴾ .

وإن أحب أموالي إليّ « بئرحاء » وإنها صدقة لله أرجو بها برّها وذخرها عند الله تعالى ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله !

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٢ .

فقال النبي ﷺ يخ ذاك مال رابع ، ذاك مال رابع وأنا أرى أن يجعلها في الأقرين»<sup>(١)</sup>

فقال أبو طلحة : «أفعل يا رسول الله ، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»<sup>(١)</sup>

وجاءت آيات كثيرة في القرآن لتشجيع المسلمين على التبرع والنفقة والصدقة واشترط القرآن على أولئك النفاقين من أموالهم في سبيل الله ، أن يكون ذلك من أحب الأموال إليهم ومن أجودها .

ورباهم القرآن على أن المال ، مال الله ، وأن الرزق الذي في أيدي الواحد منهم هو رزق الله .

وكان مجرد إحساس الفرد أن ما في يده عارية محددة بأمد ، ثم يستردها صاحبها الذي أعارها في الأجل المرسوم .

وكان مجرد استحضار هذه الحقائق كفيلاً وحده ، أن يخفف من الشره والطمع في داخل النفس البشرية ، ويبعدها عن الشح والحرص ، ويجعلها تترك التكاليف المسعور في جمع المال ، وبالتالي يملأها بالقناعة والرضى بما يعطيها الله ، ويكسيها الساحة والجود بالموجود»<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا يطمئن القلب فلا يضطرب ، ويقرّ الوجدان فلا يقلق ، وتستريح النفس فلا تذهب حسرات على فائت ، أو ضائع ، لأنّ عمر الإنسان القصير المحدود ليست نهاية الحياة ، ولا نهاية المتاع . قال تعالى :

(١) رواه الإمام أحمد عن روح عن مالك عن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك . وروي أيضاً في الصحيحين ، ورواه ابن كثير عند تفسير هذه الآية .

(٢) ظلال القرآن : سيد قطب . بتصرف .

﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾<sup>(١)</sup> .

ولا يتحرق القلب سعيراً على المرموق المطلوب .

قال تعالى : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولا يتعالى صلفاً وغروراً بما أعطى .

قال تعالى : ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾<sup>(٣)</sup> .

فإذا أعطى الواحد من ماله شيئاً فإنما من مال الله أعطى ، قال تعالى :

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾<sup>(٤)</sup> .

وإذا قدّم حسنة فإنما هي قرض الله يضاعفه له أضعافاً كثيرة ، يضاعفه له في الدنيا ، ويضاعفه له في الآخرة . قال تعالى :

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾<sup>(٥)</sup> .

وليس المحروم الآخذ إلا أداة وسبباً لينال المعطي الواهب أضعاف ما أعطى من مال الله قال تعالى :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾<sup>(٦)</sup> .

وهذا المعنى قد يتجاهله بعض الناس عن قصد أو غير قصد ، وقد يغيب عن أذهانهم هذا المعنى ، أو ينسونه في لحظة من لحظات الغضب والضيق فتتزل آيات القرآن الكريم لتذكر وتنبّه .

(٤) سورة الحديد آية رقم ٧ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ٢٦١ .

(١) سورة النساء آية رقم ٧٧ .

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٣ .

(٣) سورة الحديد آية رقم ٢٣ .



وهذا ما حدث مع رجل الإسلام الأول أبي بكر الصديق — رضي الله عنه —  
عندما قرّر ألا يعطي «مسطح بن أثاثة» شيئاً من ماله، ولا ينفعه بنافعة أبداً.  
ومسطح هذا كان من فقراء المهاجرين، وقريب لأبي بكر، وكان أبو بكر يعوله  
وينفق عليه. فلما كانت حادثة الإفك، خاض مسطح مع الخائضين، وتكلم بما لا  
يجوز.

وكان لأبي بكر أن يغضب من هذا.

يغضب لما أشاعه المنافقون.

ويغضب لما يردده بعض الرجال من المسلمين.

فكان قراره بحرمان مسطح مما كان يعطيه إياه.

ولم يمض كبير وقت على قرار أبي بكر هذا، حتى ينزل القرآن الكريم معاتباً لأبي  
بكر وأمثاله، ومطالباً منهم أن ينفقوا على هؤلاء، ويعطوهم ما كانوا يجودون به  
عليهم من قبل، ويستمع الصديق لحكم الله الذي تنزلت به آيات الله.

قال تعالى:

﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين  
والمهاجرين في سبيل الله وليعضوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور  
رحيم﴾ (١)

فيقول الصديق: بلى ربنا نحب أن تغفر لنا (٢).

ويعيد إلى مسطح ما كان ينفق عليه، ويحلف «والله ما أترعها منه أبداً».

وهكذا كان ينزل القرآن الكريم لتنظيم حياة هذا الجيل، ينزل في الصغير  
والكبير، ينزل ليضع الحلول الجذرية لكبريات المشاكل، ويرسم لهم صورة

(١) سورة النور آية رقم ٢٢.

(٢) تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي.

جديدة ، ويتنزل ليضع لهم الحلول للمشكلات الفرعية ، ويتنزل ليفصل بين الرجل وزوجته ، ويتنزل ليفصل بين الرجل وابنته ، ويتنزل لينقذ رجلاً يهودياً من تهمة توجه إليه .

وينصفه على رجل مسلم من قبيلة الأنصار .

الأنصار الذين آووا ونصروا ، وقدموا أرواحهم ، وأمواهم في سبيل الله .

ولكن الأمر ليس أمر اليهودي .

وليس الأمر أمر الأنصار .

وإنما الأمر أمر تربية هذا الجيل الذي سيحمل الأمانة للبشرية كلها ، الأمر إعلاء أمر الله وكلمته ، وإقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى ، ولا مع العصبية ، ولا يتأرجح مع المودة والشئان أيًا كانت الملابس والأحوال .

والقصة كما ترونها كتب التفاسير<sup>(١)</sup> :

« أن نفراً من الأنصار ، قتادة بن النعمان وعمه رفاعة غزوا مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته ، فسرق درع لأحدهم ، فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم « بنو أبيرق » فأتى الرجل صاحب الدرع رسول الله ﷺ فقال :

« إن بشيراً بن أبيرق سرق درعي » .

فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها في بيت رجل يهودي اسمه : زيد ابن السمين .

وقال لنفر من عشيرته إنني غيبت الدرع ، وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده . فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا :

(١) كتاب أسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ١٧٢ ، وهناك أقوال لجماعة آخرين في الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٥ ، وذكره الترمذي عند تفسيره هذه الآية .

« يا نبي الله : إن صاحبنا بريء ، وإن الذي سرق الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علماً ، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس ، وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك هلك » ؟؟

ولما عرف رسول الله ﷺ أن الدرع وجدت في بيت اليهودي ، قام فبرأ ابن أبيرق (١) وعذره على رؤوس الناس .

وكان أهله قد قالوا للنبي ﷺ قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي : إن قتادة بن النعمان وعمه ، عمداً إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة ، من غير بينة ولا دليل .

قال قتادة :

« فأتيت رسول الله ﷺ فكلنته فقال :

« عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح وترميمهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة » ؟

قال : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك ، فأتاني عمي رفاعة فقال :

« يا ابن أخي ما صنعت ... ؟ »

فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ فقال : الله المستعان (٢) . فلم نلبث أن نزل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً . وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفوراً رَحِيماً . وَلَا تَجَادَلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَاناً أَثِيماً . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا

(١) رواه ابن جرير عن مجاهد أنه ابن أبيرق ص ١٧٦ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي .

يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً. ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴿١﴾.

وكما تنزل القرآن لإنصاف رجل يهودي على ما كان لليهود من تضليل للعقيدة وطعن في القيادة النبوية ، وتشكيك في الوحي والرسالة .

ينزل القرآن ليبطل عادة جاهلية لا تليق بكرامة الآدمي ، وينقذ المرأة العربية ، والمرأة الإسلامية ، والمرأة في كل زمان ومكان من الهوان والمهانة التي كانت وما تزال تقام في البلاد التي لا تحكّم شرع الله .

روى الإمام أحمد بسنده<sup>(٢)</sup> عن خويلة بنت ثعلبة قالت :

«في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله سبحانه وتعالى :

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾<sup>(٣)</sup> .

قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه .

قالت : فدخل عليّ يوماً فراجعتني بشيء فغضب ، فقال : أنت علي كظهر أمي .

قالت : ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ، ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني .

قلت : كلا والذي نفس خويلة بيده ، لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه . فوائبي ، فامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني .

قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٥ - ١٠٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

(٣) سورة المجادلة آية ١ .

رسول الله ﷺ فجلست بين يديه ، فذكرت ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه .

قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول :

« يا خويلة<sup>(١)</sup> ابن عمك شيخ كبير فاتني الله فيه . »

قالت : فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما بتغشاه ثم سري عنه .

فقال لي : يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً ثم قرأ عليّ :

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾<sup>(٢)</sup>

قالت : فقال رسول الله ﷺ « مره فليعتق رقبة . »

قالت : فقلت يا رسول الله ما عنده ما يعتق .

قال : « فليصم شهرين متتابعين . »

قالت : فقلت والله إنه لشيخ ما له صيام .

قال : « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر . »

قالت : فقلت والله يا رسول الله ما ذلك عنده .

قالت : فقال رسول الله ﷺ « فإننا سنعينه بعرق من تمر . »

قالت : فقلت يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعرق آخر .

قال : « قد أصبت وأحسنيت ، فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثم استوصي بأبن عمك . »

(١) هو أوس بن الصامت .

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١ .

قالت : ففعلت»<sup>(١)</sup> .

«وهكذا تم ميلاد جديد ، لمجتمع جديد .

مجتمع له عقيدة تختلف عن كل العقائد التي عرفها الآباء والأجداد .

ومجتمع له نظام وقواعد يستمد أسسه وبرامجه من السماء لا من الأرض .

مجتمع العبودية فيه لله وحده .

والعقيدة أساس الأخوة .

والتعامل فيه ينبثق مباشرة من الإيمان بالله تعالى والتحاكم إلى شرعه .

ومن أجل ذلك ولأول مرة في تاريخ الانسانية يوجد الانسان العالمي ، الانسان

الذي ينتمي إلى الأسرة الانسانية كلها .

الانسان الأتقى الذي يعمل لخير الناس جميعاً أسودها وأبيضها ، ويكذب ويعمل

في سبيل إسعادها .

الانسان الذي تمذهب بمذهب القرآن الكريم ، واتخذ سلوكاً ومنهجاً وارتضاه

قدوة ودليلاً .

الانسان المؤمن : الذي يرى أن الناس كلهم خلق الله تعالى ، فهم إخوة في

الخلقة . وما داموا كذلك ، فلن يفرقهم الجنس أو اللون ، ولن يتفاضلوا بالعصبية أو

القبلية ، ولن يعود بعضهم بعرض زائل من مال أو عقار ولن يستعبد بعضهم بعضاً

لأي سبب من الأسباب ، فالناس كلهم سواسية .

بقول الرسول ﷺ :

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ، وأخرجه البخاري عن عائشة — رضي الله عنها — وفي الترمذي ان الذي

ظاهر سلمة بن صخر البياض وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اعتق رقبة .

«كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>  
والناس كلهم صائرون إلى الله في النهاية فهم إخوة في المصير.

قال تعالى : ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾<sup>(٣)</sup> .  
والناس كلهم من نفس واحدة فهم إخوة في الإنسانية .

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٤)</sup> .

والناس كلهم ينبغي لهم أن يعبدوا الله ويلتقوا في حماه ، فهم إخوة في العقيدة  
قال تعالى :

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشِمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup> .

وبهذا يحج منح القرآن الكريم في توجيه الناس إلى خالقهم ، وردهم إلى  
مولاهم ، وأشعرهم بأنه قريب منهم .  
قريب منهم في السر والجهر .  
في الفلاة ، والحقل .  
في الصحراء والسهل .

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

(٢) سورة النجم آية رقم ٤٢ .

(٣) سورة الانشقاق آية رقم ٦ .

(٤) سورة النساء آية رقم ١ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١١٥ .

في المسجد والمسكن .

في حال الصمت والكلام .

في أثناء اليقظة والنام .

في حلول الليل وإدبار النهار .

قال تعالى : ﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال أيضاً : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾<sup>(٢)</sup> .

أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه ، أقرب إليه من همسه الذي يكون بين شفثيه  
قال تعالى :

﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم  
شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء  
ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى :

﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل  
مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾<sup>(٤)</sup> .

وآمن كل منهم إيماناً لا جدل فيه أن الله معهم يحصي حركاتهم ، ويسجل  
أعمالهم فعمل كل منهم على تنظيف سلوكه وفكره ، وتنظيف شعوره وقلبه .

لا لأن الناس معه وهو مضطرّ إزاءهم أن ينتظف ، وإنما لأن الله معه دائماً وفي  
كل لحظة . قال تعالى :

(١) سورة الحديد آية رقم ٤ .

(٢) سورة ق من آية رقم ١٦ .

(٣) سورة يونس آية رقم ٦١ .

(٤) سورة الأنعام آية رقم ٦٠ .



﴿ هو معهم أين ما كانوا ﴾<sup>(١)</sup>.

ووثق كل فرد منهم أنّ في مقدوره أن يستتر من الناس ، ولكنه لا يستطيع أن يستتر من الله ، وفي مقدوره أن يغلّق على نفسه باباً لا يراه منه أحد ولكن الله يراه ، وقد ينزل على نبيه محمد ﷺ قرآناً يكشف ما كان خافياً من أمره ، فإن أقام سباجاً بينه وبين الناس فما هو بمستطيع أن يقيم سباجاً بينه وبين الله<sup>(٢)</sup> . قال تعالى :

﴿ يعلم السر وأخفى ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً :

﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى :

﴿ ما يكون من نحوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وأصبح الفرد منهم يؤدي عمله وهو يرى ربه معه في كل ما يأتي من أمر أو ينهي عن نهي . فكان الفرد منهم لا يتعامل مع مجتمعه ، ولكن تعامله مع ربه أو بعبارة أوضح يتعامل مع هذا المجتمع والشاهد الله تعالى .

ويمتنع أن يرتكب جريمة في جنح الظلام وهو يحسّ أن عين الله ترقبه .

فإذا جمحت الشهوة في داخل الانسان وسقط سقطته ، وكان ذلك حين لا ترقبه عين ولا تناله يد القانون ، تحوّلت نفسه في داخله إلى نفس لؤامة عنيفة ،

(١) سورة المجادلة آية رقم ٧ .

(٢) في ظلال القرآن : سيد قطب .

(٣) سورة طه آية رقم ٧ .

(٤) سورة سبأ آية رقم ٣ .

(٥) سورة المجادلة آية رقم ٧ .

وزجراً لاذعاً للضمير، وخيالاً مروعاً لا يرتاح معه صاحبه، حتى يعترف بذنبه أمام القانون. ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً تفادياً من سخط الله وعقوبة الآخرة.

عن بريدة رضي الله عنه قال :

«إن ماعز بن مالك الأسلمي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد ظلمت نفسي وزنيت ، وإني أريد أن تطهرني فرده ، فلما كان من الغد أتاه . فقال : يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال :

«تعلمون بعقله بأساً..؟ تنكرون منه شيئاً..؟» .

فقالوا : ما نعلمه إلا وفيّ العقل من صالحينا فيما نرى .

فأتاه الثالثة : فأرسل إليهم أيضاً ، فسأل عنه ..؟ فأخبروه أنه لا بأس به ، ولا بعقله .

فلما كان الرابعة حفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم .

قال : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني وإنه ردّها ، فلما كان من الغد قالت : يا رسول الله لم تردني ..؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً ، فوالله إني لحبلى .

قال : إما لا ، فاذهي حتى تلدي .

فلما ولدت أته بالصبي في خرقه قالت : هذا قد ولدته .

قال : فاذهي فأرضعيه حتى تظميه ، فلما فطمته ، أته بالصبي في يده كبرة خبز .

فقالت : هذا يا نبي الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام .

فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس  
فرجموها .

فيقبل خالد بن الوليد [ رضي الله عنه ] بحجر فرمى رأسها فتضح الدم على وجه  
خالد فسبها .

فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال :

« مهلاً يا خالد فولدي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر  
له » .

ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت» (١)

وكتاب رجال أنزل الله فيهم قرآناً : يقدم لنا نماذج من هؤلاء الرجال رجال  
بأعيانهم كانت تنزل فيهم آيات القرآن الكريم لتحول بينهم وبين عمل يقومون به ، أو  
لتكشف عن عمل تم بعيداً عن أعين الرقباء ، أو لتوضح لهم حكماً ، أو لتعلن توبة  
السماء عليهم .

ونحن نعلم جيداً أن القرآن الكريم نزل عاماً ، وشاملاً لكل الأفراد والجميع  
الأزمان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولكن هذا لا يمنع من عرض هذه  
النماذج لتكون عبرة لهذا الجيل ، ويرى فيه صورة الجيل الأول والتزامه بكلمات  
القرآن ، التي ملأت بالايمان قلوبهم ، ووجهتهم إلى طريق الخير والفلاح ، فانداحوا في  
أربعة أركان الأرض ينشرون الأمن بعد الخوف ، والنور بعد الظلام ، والهدى بعد  
الضلال ، فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال ، وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين .

فالقرآن هو الذي فعل فيهم ذلك ، نقلهم من رعاة إبل جفاة غلاظ يشعلون

(١) أخرجه الإمام مسلم رقم ١٦٩٥ في الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا وأبو داود رقم ١٤٣٣  
و ٤٤٣٤ ، في الحدود ، باب رجم ماعز بن مالك . وباب المرأة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوجعها  
من جهة .

الحرب لأوهى الأسباب إلى قادة وهداة ، قادة إلى الحق ، وهداة إلى الله الواحد الأحد .

قلة قليلة تخرج من الصحراء ، وتتجه نحو المشرق ، فتكسر سور الصين العظيم ، وتنشر من ورائه اسم الله الأعظم ، ثم تمتد حتى تصل إلى السند والهند ، وجزائر المحيط الدافي ، ثم تمتد حتى تصل إلى أوروبا فتطبق عليها من الشرق والغرب ، فإذا جنود مسلمة بن عبد الملك يستولون على القسطنطينية شرقاً ، وإذا جيوش عبدالرحمن الغافقي تفرع من شبه جزيرة إيبيريا ، وإذا البحرية المسلمة ، تسيطر على البحر الأبيض المتوسط وتجوس خلال جزره ، وتملك صقلية ، وقبرص ، وكروسيكا موطن نابوليون في فرنسا .

ونرى أنها دراسة لم تسبق ، وطريقة جديدة تهدف بها ترغيب الأمة الإسلامية ، شبابها وشيوخها فتياتها ونساءها الاقبال على مائدة القرآن الكريم ليكون لهم منهجاً وسلوكاً في حياتهم ، ومستقبل أيامهم .

وسياحة هادفة في بطون مراجعنا الأصيلة التي رصدت تاريخنا المشرق وسجلت أعمال عمالقة الاسلام أيام كانت كلمة الاسلام عالية ، وأحكامه نافذة ورجاله يطوون الأرض ويجوبون البحار بكلمة واحدة نابعة من قلوبهم — هي كلمة لا إله إلا الله .

وهذه الدراسة تربط بين عصرين :

الأول : عصر الرسالة الخاتمة ، حيث الوحي المتتابع من السماء إلى الأرض والنور الغامر ، الذي ملأ القلوب فأضاء الكون حوله .

والثاني : هذا العصر الذي نعيش فيه — عصر الأزرار الفاتكة ، والتكنولوجيا الباهرة ، وكل ما يدعو إلى الدهشة ويصيب الرؤوس بالدوار .

ولكن ما أكثر تشابه الأفراد وتمائل الحوادث ، رغم اختلاف الزمن وتتابع القرون وتوالي الأحداث .

فتلاً عمار بن ياسر — رضي الله عنه — كان دائماً عائداً بالله من فتنه ولكنها وقعت ...

والمسلمون الآن يعيشون فتنه ، فتنه هوجاء عاصفة مدمرة ، تفرق أمرهم ، وتشتت شملهم ... ؟

فأين المخرج وأين المفرّ.. ؟

إن المخرج من هذه الفتن التي يصبح فيها الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً هو كتاب الله .

كتاب الله الذي هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم .

إن القرآن الكريم الذي عاش مشاكل المسلمين الأولى من جيل الصحابة وحكموه في حياتهم فوضع الحلول لمشاكلهم ، ومشاكل البشرية كلها والعلاج لما كانت تعانيه كفيل أن يضع الحلول لما تعانيه الآن من تخلف وهوان ، ولما نعيشه من هزائم متتابة متلاحقة في أكثر من ميدان لأن القرآن الكريم جاء من لدن الحكيم الخبير صانع الانسان وخالقه والخبير بكل جزئياته وتراكيبه والعالم بكل خلجة من خلجاته ، وبكل همسة من همساته .

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾<sup>(١)</sup> .

إنه القرآن صانع هؤلاء الرجال ، ونحن في هذا الكتاب نقدم القرآن ومنهجه وطريقته في صناعة الرجال .

ونحن نفعل ذلك حتى نلقت نظر هذا الجيل إلى كتاب الله وتراث السلف الصالح فإن وفقنا ، فإنما التوفيق من الله ، وإن عجزنا عن الوفاء بما يبلغ بنا الغاية

(١) سورة الملك آية رقم ١٤ .

فحسبنا أن نثير في القلب الإسلامي تشوقاً وأملاً ، وأن نضع في طريق المسلم الذي  
كاد يخنقه الضباب في — عصرنا الراهن — مصباحاً يرشده إلى كلمات الله قال  
تعالى :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من  
المسلمين﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ربِّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على  
الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت  
مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾<sup>(٢)</sup>.

د. عبد الرحمن عميره

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

أبولسابة بن عبد المنذر  
رضي الله عنه

مَا نَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْسِنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ

وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ

سورة الانفال آية

رقم ٢٧ — ٢٨



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين ورجال السير نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن المنذر  
قاله صاحب الإصابة ج ٤ ص ١٦٧ .  
وصاحب سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٤٧ .  
وصاحب الروض الأنف ج ٢ ص ١٩٦ .  
وصاحب الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٨ .  
وتفسير الطبري ج ١٣ ص ٤٨١ .  
وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٠ .  
وتفسير البغوي والحازن ج ٣ ص ٢٠ .  
وقاله صاحب كتاب أسباب النزول الواحد ص ٢٣٤ .

من هو أبو لبابة...؟

## أبو لبابة بن عبد المنذر

رضي الله عنه

من الرجال الأفاضل الذين آووا ونصروا.

ومن الفرسان الذين عرفوا الحرب وعركوها ، ووهبوا نفوسهم في سبيل الله ورفع كلمة الحق ، وإعلاء دينه .

نشأ على أرض يثرب . حيث عيون الماء التي تنساب في سهولة ويسر على ظهر الأرض فيقبلها الثرى بقبول حسن ، وتخرج أشجاره ونباتاته بالخير والتماء للإنسان والحيوان .

وللبينة أثرها الكبير في سلوك الفرد واتجاهاته ، وهكذا كان أهل المدينة دائماً — تعرف فيهم ساحة الخلق ، ودقة الشعور ، وحسن معاملة الآخرين .

وأبو لبابة : من هؤلاء الرجال ، الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (١) .

زوجه : خنساء بنت خدام الأنصارية — وهي من الأوس — أراد أبوها أن يزوجه رجلاً من بني عوف ، وأنها كانت تميل إلى أبي لبابة ، فارتفع شأنها إلى النبي ﷺ :

(١) سورة الحشر آية رقم ٩ .

«فأمر رسول الله ﷺ أباهما أن يلحقها بهواها فزوجها أبا لبابة بن عبد المنذر» (١)

وابنته لبابة : وبها كان يكنى .

تزوجها زيد بن الخطاب — رضي الله عنه — الذي حمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون ، فجعل زيد يقول : أما الرجال فلا رجال ثم جعل يصيح بأعلى صوته :

«اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي ، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومحكم ابن الطفيل ، وجعل يشير بالراية يتقدم بها في نحر العدو ، ثم ضارب بسيفه حتى قُتل .

وهو الذي قتل الرجال بن عنقوة الذي شجّع أبا مسيلمة الكذاب على كفره وأعانه عليه . ولما قتل زيد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«رحم الله أخي سبقني إلى الحسينين أسلم قبلي ، واستشهد قبلي» (٢)

.. وأبو لبابة أسلم مبكراً عند بدء الإسلام .. حيث التقى مجموعة من الأنصار بمصعب بن عمير على أرض يثرب فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وصدقوا بمحمد ﷺ ..

وشهد أبو لبابة بيعة العقبة الثانية .

وكان أول من تكلم فيها العباس بن عبد المطلب — وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له فلما جلس قال :

«يا معشر الخزرج : إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أئني إلا الانحياز

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ ص ١٨٢٦ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٥٠ .

إليكم واللاحق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأتتم وما تجملت من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

فقالوا : قد سمعنا ما قلت : فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . فقال الرسول ﷺ :

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» (١) .  
فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال :

نعم والذي بعثك بالحق لمنعك مما تمنع منه نساءنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الجروب ، وأهل الدروع ورثناها كابراً عن كابر .

فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله — ﷺ — أبو الهيثم بن النهران فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وإنا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا .. ؟

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم» (٢) .

ثم عاد أبو لبابة إلى المدينة — بعد أن التقى برسول الله ﷺ وبهرته أنوار النبوة — وشنت آذانه بالهدى النبوي الكريم .

عاد إنساناً جديداً انسلخ من ماضيه كله .. وأصبح شيئاً آخر يلتزم بكتاب الله تعالى ويحاول أن يطبقه في حياته وسلوكه .

... ولم يمض كبير وقت حتى كان الرسول ﷺ معهم بالمدينة يشرع لهم الشرائع

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٨ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص

ويضع لهم القواعد التي يأتي بها جبريل إليه من ربه فيقبل المسلمون عليها.. ولا يجيدون عنها قيد أتملة..

.. حتى كانت غزوة بدر أول لقاء بين عصاة الكفر — والفئة المؤمنة التي اختارها الله لدينه.

وعلم أبو لبابة بعزم الرسول ﷺ — فأعد عدته — وأخذ أسلحته وانضم إلى جيش المسلمين للملاقاة كفار قريش.

ولكن الرسول ﷺ — رد أبا لبابة وخلفه على المدينة — وهذا أمر لا يقل في خطورته عن نخوض المعارك.

إنه مسئول عن سلامة المدينة أشجارها وثمارها وثغورها.

ومسئول عن الأطفال والنساء وبقية الشيوخ والمعجزة.

إنه مسئول عن إطعام الجائع.. وسد حاجة المحتاج ورعاية الصغير والكبير حتى يعود هؤلاء الرجال — الذين خرجوا في سبيل الله.

واستمع أبو لبابة لأمر الرسول ﷺ — وأقام بالمدينة — يرعى شئونها ويمد الجيش المحارب بما يريده.. وينشط صنّاع السلاح ويحثهم على العمل ليل نهار حتى يكون للجيش ذخيرة معدة...

.. وكان كل يوم يخرج إلى ظاهر المدينة — يحاول أن يتعرف على أخبار المعركة وما تم فيها.. حتى كان النصر وكان الفوز الذي لا يعادله شيء.. وأشاع في المدينة جو التفاؤل وأخبرهم بحقيقة نصر الله — ففرحت قلوب مؤمنة واتجهت إلى ربها بالشكر والعرفان، واغتمت نفوس مظلمة — عرفت الحق ففرت منه وسدت آذانها عن سماعه.

إنهم جماعة اليهود الذين كانوا يجاورون المسلمين بالمدينة والذين أظهروا الحسد بما فتح الله على رسوله وبغوا ونقضوا العهد.

فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع فقال لهم:

«احذروا ما نزل بقرينش وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل.

فقالوا: يا محمد لا يفركك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة... فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه، وبيننا هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلي لها، فجاء رجل منهم، فحل درعها إلى ظهرها، وهي لا تشعر، فلما قامت بدت عورتها. فضحكوا منها فقام إليه رجل من المسلمين فقتله.

ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ، وتحصنوا في حصونهم فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم. وكانوا حلفاء الخزرج فقام إليه عبد الله بن أبي سلول فكلمه فيهم فلم يجبه، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ. فغضب رسول الله وقال: ويحك أرسلني.

فقال: لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة وإني والله لأخشى الدوائر. فقال النبي ﷺ: هم لك خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم. وغنم<sup>(١)</sup> المسلمون ما كان لهم من مال.

ثم إنهم أخرجوا من المدينة أخرجهم عبادة بن الصامت فبلغ بهم ذباب ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا قليلاً حتى هلكوا. وكان أبو لبابة مستخلفاً على المدينة أيضاً من قبل رسول الله ﷺ فقام بواجبه خير قيام: من حماية المدينة وإعداد ما يلزمه الجيش المحارب من عدد وعتاد. لقد تحدّثنا عن غزوة بدر وما كان فيها من انتصار باهر للمسلمين وهزيمة ساحقة للمشركين.

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٨ والبدية والنهاية ج ٤ ص ٥.

وعاد الجيش المهزوم إلى مكة ، ومعه قائده أبو سفيان بن حرب الذي نذر بعد  
المركة ، أن لا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مائتي راكب  
من قريش ليبر يمينه وسار حتى جاء المدينة ليلاً .  
لقد كان جيش المشركين في غزوة بدر قرابة الألف .. ومع ذلك عادوا  
مدحورين مقهورين ..

فلماذا جاء أبو سفيان بهذا العدد القليل ..؟

إن الذي يمكن أن نستنتجه من بين هذه التصرفات .. أن أبا سفيان لم يأت  
لتدور معركة .. أو ينشب القتال .

وإنما جاء فقط .. ليبر يمينه كما يقال ..

جاء مستخفياً بليل ونزل على أذل الناس يهود بني النضير وسيدهم سلام بن  
مشكم . فعلم منه خبر الناس .

ثم خرج من ليلته وبعث رجالاً من قريش إلى مكان في المدينة فحرقوا نخلها  
وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له وعادوا ..

وتعالى الصراخ .. وجمع المسلمون جموعهم — واستخلف أبو لبابة على المدينة  
وتقدم رسول الله ﷺ المسلمين . وساروا مسرعين حتى يلتقوا بعصابة الكفر .

.. ولكن أبا سفيان كان يعلم أن رسول الله ﷺ لن يتركه فترك لفرسه العنان  
وفر هارباً ومن ورائه جيشه الذي لا يعرف الكر إلا في جنح الظلام .. بل أكثر من  
ذلك أخذ جيش أبي سفيان يلقي ما معه من زاد وأطعمة حتى يتخففوا من أجهلهم —  
وتسرع بهم المطايا خوفاً من الجيش المطالب الذي يتبعهم (١) .

وعاد الرسول إلى المدينة — ينتظر الفرصة السانحة ليؤدب هؤلاء الطغاة ...  
إن المشاهد والمتبع لهذه الفترة من تاريخ المسلمين يرى أن الصحابي أبا لبابة —

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٢ .

كان مثال المؤمن الصادق والمسلم المكافح المخلص لدينه ورسوله وربيه .. حتى كانت هذه الحادثة .. التي حدثت له — وكانت على وجه التحديد في غزوة بني قريظة . لقد خرج أبو لبابة في تلك الغزوة ولم يبق في المدينة كما سبق له في غيرها من الغزوات واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ..

لقد حاصر الرسول ﷺ — بني قريظة — خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب .

فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم :

يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً فخذوا أيها شتم (١) .

قالوا: وما هي ..؟

قال : تتابع هذا الرجل ونصده فوالله لقد تبين لكم إنه لنبي مرسل وإنه للذي تجدون في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم ، وأموالكم ، وأبنائكم ، ونسائكم . قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أبيت عليّ هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم تترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نسلًا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء .

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟؟؟ فما خير العيش بعدهم...؟

قال فإن أبيت عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٥ .



قالوا: نفسد علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً<sup>(١)</sup>. ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ — ان ابعث إلينا أبا لبابة ابن عبد المنذر، وكانوا حلفاء الأوس لنستشيره في أمرنا.

ولماذا أبو لبابة..؟

وماذا يمكن أن يشير عليهم هذا الصحابي الجليل..؟

أيمكن أن يخالف رسوله ويعصي ربه — ويشير بما فيه خير اليهود..؟ إن المستشار مؤتمن، وكل القوانين والشرائع تعرف ذلك.. وأبو لبابة أرادته اليهود ليكون مستشاراً لهم.

والرسول ﷺ هو الذي يأمره بذلك ويطالبه بذلك. وسار أبو لبابة إلى تجمعات اليهود، وما كادوا يرونه مقبلاً عليهم حتى قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء، والصبيان يكون في وجهه. فرق لهم.. وعطف عليهم.

وسبق أن قلنا إن أهل المدينة أصحاب قلوب رقيقة ونفوس سمحة، وعطف وحنان..

وأبو لبابة بشر فأخذه الموقف. وما كاد اليهود يقولون له أتزل على حكم محمد..؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله ﷺ.

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٥٤ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٨٥.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه . ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته . وقال : لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت .

وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .. ثم ماذا .. ؟

فلترك أبا لبابة مربوطاً إلى أحد أعمدة المسجد ، وتتابع حكم الرسول ﷺ في بني قريظة .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس وقالوا : يا رسول الله — إنهم كانوا موالينا دون الخزرج — وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت .

فلما كلمته الأوس . قال رسول الله ﷺ :

« ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم .. ؟ »

قالوا : بلى .

قال رسول الله ﷺ « فذاك إلى سعد بن معاذ . »

فجاءوا إليه ، فقالوا :

« يا أبا عمرو » إن رسول الله ﷺ قد ولّك أمر مواليك لتحكم فيهم .

فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن يكون الحكم فيهم لما حكمت .. ؟

قالوا : نعم .

قال : وعلى من ههنا .. ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن

رسول الله ﷺ إجلالاً له .

فقال رسول الله ﷺ : نعم .

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسّم الأموال وتسبي الذراري والنساء.

قال رسول الله ﷺ:

«لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات»<sup>(١)</sup>.

أما أبو لبابة.. فقد تاب عما صدر عنه — وتاب الله عليه — وشارك المسلمين في أعمالهم وفتوحاتهم وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح، وشاهد الناس وهم يدخلون في دين الله أفواجا، واستمر على ذلك حتى وافاه أجله في خلافة علي بن أبي طالب — رضي الله عنهما وأسكنهما فسيح جنانه بقدر ما قدماه من خير للإسلام والمسلمين.

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٥٩ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٨٦.

## أسباب نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري . وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير ، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرع وأريحا ، من أرض الشام ، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا :

«إرسل الينا أبا لبابة ، وكان مناصحاً لهم لأن ماله وعباله وولده كانت عندهم ، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا :

«يا أبا لبابة ما ترى ..؟ أنزل على حكم سعد بن معاذ..؟»

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه — إنه الذبح فلا تفعلوا .

قال أبو لبابة : والله ما زالت قدمي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله فترلت فيه هذه الآية .

فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال :

«والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ» .

فكث سبعة أيام لا ينوق فيها طعاماً حتى خرّ مغشياً عليه ، ثم تاب الله تعالى عليه فقيل له : يا أبا لبابة : قد تيب عليك .

فقال : لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يجلي .

فجاءه وحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي .. ؟  
فقال رسول الله ﷺ :

«يجزيك الثلث أن تتصدق به» .

وفي رواية ابن هشام : فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره — وكان قد استبطأه قال :

«أما أنه لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه»<sup>(١)</sup> .

ويقال : إن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة .  
قالت أم سلمة — رضي الله عنها :

فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك . قالت :

فقلت : مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك .. ؟

قال : تيب على أبي لبابة .

قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ..

قال : بلى إن شئت .

فقامت على باب حجرتها — وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب — فقالت :  
يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك .

فسار الناس إليه ليطلقوه . فقال : لا والله ، حتى يكون رسول الله ﷺ الذي يطلقني بيده .

فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٣٥ وراجع أسباب نزول القرآن للواحي ص ٢٣٤ .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال : تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع والآية التي نزلت في توبته قول الله عز وجل (١) :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ (٢) .

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٣ ص ٢٥٦ وراجع تفسير الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٨ .

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٠٢ .

## تذييل ...

... الأمانة خلق من أخلاق المسلم الأصيلة التي تنبع من عقيدته وتدل على صدق اتجاهه ، وشرف غايته ، ولهذا كانت الأمانة من لوازم الإيمان ، وكانت الحيانة من علامات الجحود والكفران كما قال الرسول ﷺ :

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »<sup>(١)</sup> .

والأمانة : إحدى صفات الأبرار وأحد عناصر تكامل الشخصية .

قال تعالى :

﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال :

« اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة :

اصدقوا إذا حدثتم .

وأوفوا إذا وعدتم .

وأدوا إذا أؤتمتم .

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ٣ — ١٣٥ — ١٥٤ .

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٨ .

وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم» (١).

والتجرد عن هذه الفضيلة يسلب الانسان جميع الفضائل ، ومع ذلك . فكل ابن آدم خطاء» .

وهذه طبيعة البشر لا ينكرها إلا مكابر ، ولا يتجاهل هذه الحقيقة إلى مجادل أو جاهل .

ومن هنا كان اهتمام الله سبحانه وتعالى بهذا الانسان ، الإنسان الذي أسجد له ملائكته ، وأقامه خليفة في أرضه ، وكرمه على كل الخلائق التي تعمر الكون حوله .

هذا الإنسان يمكن أن يرتفع بمبادئ الإسلام إذا تمسك بها إلى مصاف الملائكة ، ويمكن إذا ابتعد عنها أن يهبط إلى درجة الشياطين . وكانت حكمة الله سبحانه وتعالى ، في إرسال الرسل ، وإنزال الكتب هداية الإنسان وإرشاده . فإذا مرت فترة من الزمان خالية من الأنبياء والرسل فلا حساب ولا عقاب .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢) .

وما دام الإنسان بهذا فلا بد من تذكيره دائماً حتى لا يقع فيما حرم عليه ربه ، وأمره بالابتعاد عنه .

قال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

وقال ايضاً : ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴾ (٤) .

(١) رواه الامام أحمد في مسنده رقم ٥ : ٢٢ .

(٢) سورة الاسراء آية رقم ١٥ .

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٥ .

(٤) سورة الفاشية آية رقم ٢١ .



وما الصلاة التي فرضت عليه خمس مرّات في اليوم إلا ليكون قريباً من ربه يذكره فلا ينساه، ويعي أوامره فلا يجهلها.

ومع كل ذلك فإن الإنسان قد يضعف أمام مغريات الحياة، وقد يزين له الشيطان الخروج عن الخط الذي رسمه له ربه، فيضل ويجهل فإذا كان في قلبه نور الإيمان أعاده إلى الحق، وبين له ضلال ما أبدى وما فعل فيعود إلى ربه تائباً مستغفراً.

قال تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ (١).

ويصبح بعدها خير خلق الله كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله: «خير الخطائين التوابون».

وأبو لبابة — رضي الله عنه — أحد الأفراد الذين امتلأ قلبهم بالإيمان وكان من السابقين إلى الإسلام، الملبين داعي الله، ولكن أصابه ما يصيب الآخرين من لحظات الضعف، ففعل ما يغضب الله ورسوله وأشار إلى هؤلاء اليهود بعدم التزول على حكم رسول الله ﷺ لأنه الذبح.

وما كادت تنقش هذه الغمامة، حتى عاد نور الإيمان إلى قلبه وأحس أنه خان الله ورسوله، فكفر عما فعله وعاقب نفسه عقاباً شديداً وتاب إلى ربه، ونزل قول الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم ﴾ (٢).

وخيانة الله سبحانه وتعالى وخيانة رسوله، تتمثل في الابتعاد عن هدي الله وهدى رسوله، وعدم تحكيم شرع الله في حياة الناس، وإهمال ما فرضه الله علينا من فرائض وعبادات.

(١) سورة الزمر آية رقم ٥٣.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٧.

خيانة الله ورسوله : أن تتبع الهوى ، ونستمع إلى وسوسة الشيطان .  
خيانة الله : ألا نخصه بالعبادة والولاء ، فنشرك معه الشركاء الذين لا يملكون  
نفعاً ولا ضرراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا  
ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعَفَ الطالب  
والمطلوب ﴾ (١)

وخيانات الأمانات : أن ننقص الفرائض أو نتركها ، أو نظهر الإيمان ونبطن  
الكفر ، أو أن نخون من سلم لنا أمره ، أو كان بيننا وبينه عهد أو ذمة والإسلام يكره  
الخيانة ويحتقر الخائنين الذين يتقضون العهود ، ومن ثم لا يجب على المسلمين أن  
يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة قال تعالى :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله  
عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ (٢)

وأمانة الحكم تقتضي إسناد المناصب العامة إلى الأمناء الأقوياء ، والأكفاء  
المخلصين . فإن قدم من يستحق التأخير ، أو أخر من يستحق التقديم ، كان ذلك  
إيذاناً بحرب الله ورسوله .

عن يزيد بن أبي سفيان قال : قال لي أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — حين  
بعثني إلى الشام : يا يزيد إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر مما  
أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم  
أحدًا محاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم .

وجاء رجل يسأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة .. ؟

(١) سورة الحج آية رقم ٧٣ .

(٢) سورة النحل آية رقم ٩١ .

فقال له : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .. ؟ فقال : وكيف إضاعتها .. ؟

قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله ..

وأموال الدولة : أمانة في يد الحاكم ، والواجب عليه أن يضعها في مواضعها وأن ينفقها فيما ينفع الفرد والرعية .

فإذا فعل غير ذلك فقد خان الأمانة .. وابتعد عن شرع الله .

فتى يرفرف على الأمة الإسلامية ألوية الأمانة والأمن .. ؟

ومتى يأمن المسلمون على أرضهم فلا تغتصب منهم .. ؟

وعلى أموالهم فلا تنهب أمام أعينهم .. ؟

وعلى أعراضهم فلا تخربها أجهزة الإعلام الموجهة لضياح القيم والأخلاق متى

يحدث ذلك .. ؟ متى يا رب .. ؟

حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَا تَزَلُ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ  
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ  
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
نَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ  
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ  
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

سورة المتحنة الآية (١)

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال جماعة من المفسرين : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة .  
قال ذلك الإمام ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٤ .  
وصاحب الدر المنثور ج ٦ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .  
وتفسير الإمام القرطبي ج ١٨ ص ٥٠ - ٥٢ .  
وتفسير الإمام الطبري ج ٢٨ ص ٣٨ - ٤٠ .  
وتفسير الخازن والبغوي ج ٧ ص ٦٢ - ٦٣ .  
وأسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٤٤٧ .

من هو حاطب بن أبي بلتعة..؟

## حاطب بن أبي بلتعة

رضي الله عنه

حاطب بن أبي بلتعة اللخمي صحابي مشهور من أولئك الأبطال الذين شهدوا معركة بدر الكبرى .

ومن الرجال الذين شهد لهم الرسول ﷺ وهو يدعو ربه ويطلب منه النصر ويقول :

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلي تعبد في الأرض»<sup>(١)</sup> .

وسفير من سفراء الرسول ﷺ ، وكانت مهمة السفارة في صدر الإسلام شاقة مرهقة وكانت تعرض صاحبها للقتل والأسر والتنكيل . وكان من اختصاصاتها نشر الدعوة الإسلامية ، وتبليغ الإنذار قبل بدء القتال ، وتسوية القضايا المتعلقة بانتهاء القتال ، ووضع شروط الهدنة أو الصلح ، وتبادل الأسرى وتحريرهم بعد دفع فديتهم .

وكان حاطب من أشد الرماة في المعارك ، رميته مسددة وسهمه يتجه إلى الهدف فلا يخطئه ، وكانت له تجارة واسعة درت عليه المال الكثير ، وهو فوق ذلك صاحب اللمحة الواعية ، والفكرة الخارقة والدهن اللامح .

أرسله النبي ﷺ بكتاب إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فقام بسفارته خير قيام ، وجر المقوقس ورجاله برجاحة عقله وقوة حجته .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

يقول عن نفسه : « بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية .

فبعثته بكتاب رسول الله ﷺ (١) ، فلما دخلت عليه قلت له :

إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذته الله نكال الآخرة والأولى ،  
فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك .

فلم يثر ولم يغضب بل أجابني إجابة الرجل الحكيم الذي عرك الدنيا وعركته ،  
وفهم الحياة فهم خير .

ثم قال : إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه (٢) .

فقلت : ندعوك إلى دين الله — وهو الإسلام — الكافي به الله فقد ما سواه ،  
إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه  
النصارى . ولعمري ما بشاراة موسى بعبسى ، إلا كبشاراة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا  
إياك إلى القرآن ، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم  
أمنه ، فالحق عليهم أن يطيعوه . وأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولنسنا تنهاك عن دين  
المسيح ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إننا سننظر فيما نقول .

ومر يوم ويوم ، جمع فيه بطارقتة ورجال دولته وأهل المشورة عنده ،  
واستشارهم فيما يفعل ، فأشاروا عليه أن يجمعهم بسفير هذا النبي الجديد .

ثم دعاني إلى ذلك المجلس ، وواجهني بالكلام قائلاً : إنني سألتك عن كلام  
فأحب أن تفهم عني .

قلت : هلم .

قال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي .. ؟

(١) زاد المعاد لابن القيم .

(٢) المصدر السابق .



قلت : بلى هو رسول الله .

قال : فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ..؟

فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ..؟

قال : بلى .

قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ..؟

فقال لي : أنت حكيم جاء من عند حكيم<sup>(١)</sup> .

ثم تشاور مع رجال دولته ، وتجادل مع بطارفته ، وأخذ منهم ورد عليهم ، ثم اتجه ناحيتي وقال : إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة والرسالة .

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له . ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول الله ﷺ :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد :

فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي . وكنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين هما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٣١٥ .

ثم قال لي : هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد وأرسل معك ببذرة (١)  
بيذرقونك إلى مأمك (٢) .

ونجح حاطب في سفارته ، وأدى مهمته على الخير الأكمل ، وكأحسن ما يكون  
الأداء ، وعاد إلى الرسول ﷺ .

وأما الجاريتان اللتان أتى بهما حاطب : فإجداهما مارية القبطية أم ابراهيم ابن  
الرسول ﷺ .

والثانية وهبها رسول الله ﷺ إلى شاعر الإسلام حسان بن ثابت رضي الله عنه .  
ومات الرسول ﷺ .. !

وتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه . فبعث بحاطب مرة أخرى إلى  
المقوقس ، بعثه ليجدد الدعوة إلى الإسلام ، ويدعوهم إلى المسألة (٣) . ونجح  
حاطب مرة أخرى في سفارته الثانية ، ولم يزل أهل مصر كذلك على عهدهم ، حتى  
دخلها عمرو بن العاص ، فنقضوا الصلح فقاتلهم ، وفتح مصر في خلافة عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه .

قال المرزباني في معجم الشعراء : كان حاطب بن أبي بلتعة أحد فرسان قريش  
في الجاهلية ومن شعرائها .

ومات حاطب في خلافة عثمان رضي الله عنها ، وله من العمر خمس وستون  
سنة (٤) .

(١) مجموعة من الرجال يحرسونه ويوصلونه إلى مأمك .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، وذكره أيضاً كتاب الاستيعاب بمعناه ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٣١٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٣١٢ .

## أسباب نزول الآيات

قال جماعة المفسرين<sup>(١)</sup> : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيني بن هاشم بن عبد مناف ، أنت رسول الله ﷺ . جاءت من مكة إلى المدينة ، في الأيام الأولى التي كان فيها رسول الله ﷺ — يتجهز لفتح مكة فقال لها : أمسلمة جئت .. ؟

قالت : لا .

قال : فما جاء بك .. ؟

قالت : أتتم كتم الأهل والعشيرة والموالي ، وقد احتجت حاجة شديدة . فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني .

قال لها : فأين أنت من شباب أهل مكة .. ؟  
وكانت مغنّية .

قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر .

فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب على إعطائها ، فكسوها وحملوها وأعطوها .

فأتاها حاطب بن أبي بلتعة ، وكان أحد القلائل الذين يعلمون بوجهة الرسول

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٤ ، الدر المنثور ج ٦ ص ٢٠٣ — ٢٠٥ ، وتفسير القرطبي ج ١ ص ٥٠ — ٥٢ ، والطبري ج ٢٨ ص ٣٨ .

ﷺ وفاوضها في أن تحمل خطاباً — سرّاً — لأهل مكة نظير عشرة دنانير، وقبلت سارة ما عرضه عليها حاطب، وتسلمت منه الخطاب وفيه :

« من حاطب إلى أهل مكة : إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذرکم » (١).

وخرجت سارة تغدُّ السير إلى مكة، ولعلها كانت تبغي من قريش أضعاف ما أخذته من حاطب.

ونزل جبريل عليه السلام، فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب.

واتبع القائد خطة حكيمة، لا بد من الحصول على الخطاب أولاً، ثم يكون العقاب لحاطب، الذي أفشى سر الرسول ﷺ. وبعث الرسول ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وابا مرثد، وكانوا كلهم فرساناً. وقال لهم : « انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ» (٢) فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وخلوها سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها. فخرجت هذه الكوكبة (٣) من الفرسان تطوي الصحارى حتى أدركتها في المكان الذي حدده لهم رسول الله.

وقالوا لها : أين الكتاب..؟

فحلفت بالله ما معها من كتاب.

ففتشوا متاعها، فلم يجدوا معها كتاباً.

فهموا بالرجوع.

فقال علي رضي الله عنه : والله ما كذبنا ولا كذبتنا رسول الله ﷺ وسل سيفه وقال : « أخرجني الكتاب .. وإلا والله لأجردنك ولأضربن عنقك ، فلما رأيت الحد في عين الإمام علي ، قالت له : إليك عني حتى أخرجك لك .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٣١٢.

(٢) روضة خاخ : بقرب حمراء الأسد من المدينة (باقوت).

(٣) النجم أو الزهرة، ومجموعة من النجوم، والجماعة من الناس، المعجم الوسيط ج ١.

ففتحني عنها رضي الله عنه ، فأخرجته من بين طيات ثيابها — أو من ذواتها — وأعطته لهم ، فخلوا سبيلها (١) .

ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه فقال له :

هل تعرف الكتاب ..؟

قال : نعم ..

قال : فما حملك على ما صنعت ..؟

فقال : يا رسول الله ، والله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم . ولكن : لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت غريباً فيهم . وكان أهلي بين ظهرانيتهم فخشيت على أهلي ، فأردت أن أتخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأساً . وأن كتابي لا يعني عنهم شيئاً (٢) .

فصدق رسول الله ﷺ وعذره .

فقام عمر بن الخطاب فقال : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » (٣) .

ويؤيد هذه الرواية ما يرويه الإمام البخاري رضي الله عنه في — المغازي — بسنده عن الإمام علي رضي الله عنه (٤) قال : بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير

(١) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٤٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤٨ ويراجع أحكام القرآن للشافعي ج ٤ ص ٤٧ — ٤٨ .

(٣) راجع صحيح البخاري ج ٦ ص ١٤٩ ، وراجع فتح الباري ج ٦ ص ٨٧ — ٨٨ .

(٤) راجع الأم للإمام الشافعي ج ٤ ص ١٦٦ ، والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٤٦ وصحيح الترمذي ج ١٢

ص ١٩١ — ١٩٤ . الطبري ج ٢٨ ص ٣٨ .

ابن العوام ، وكلنا فارس ، وقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين ، فانطلقنا حتى أدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ .

فقلنا : الكتاب ؟

فقلت : ما معي كتاب .

فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً .

فقلنا : ما كذب رسول الله ﷺ . لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأته الجِدَّ أهوت إلى حجزتها — وهي محتجزة بكساء — فأخرجته .

فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : يا حاطب ما حملك على هذا ؟ .

فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت ولا بدلت . ولكنني كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد فصانعتهم عليه .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ... ؟

فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . . . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة . وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ﴾ (١) .

(١) سورة المتحنة آية رقم ١ . ورواه الإمام مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وجماعة كلهم عن سفيان ، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٦ .

ويغضب عبداً لحاطب، يغضب منه ويذهب إلى مجلس الرسول ﷺ يشكو حاطباً، وفي ثورة غضبه يقول: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار. ولكن الرسول ﷺ يدافع عن أصحابه، يدافع عن رجال بدر، يدافع عن باعوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله.

ويقول لهذا الغاضب: «كذبت، لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية»<sup>(١)</sup>.

وكان حاطب ممن روى عن الرسول ﷺ، روى عنه: «من رأي بعد موتي فكأنما رأي في حياتي»<sup>(٢)</sup>.

وروى عنه أيضاً: «من مات في أحد الحرمين بعث في الآمين يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٣١٣، وروى الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مثله، ورواه يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة.  
(٢) الإصابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٣٠٠.  
(٣) المصدر السابق.

## تذليل

يقف الإنسان وقفات أمام ما فعله حاطب — وهو المسلم المهاجر — ليتعرف على منحنيات النفس البشرية العجيبة ، وتعرض هذه النفس للحظات الضعف البشري مهما بلغ من كمالها وقوتها .

ثم يقف الإنسان وقفات أمام عظمة الرسول ﷺ وهو لا يعجل بالحكم على حاطب ولكن يسأل : ما حملك على ما صنعت .. ؟ في سعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه ، وإدراك ملهم بأن الرجل قد صدق ، ومن ثم يكف الصحابة عنه : « صدق لا تقولوا إلا خيراً » ليعينه وينهضه من عثرته .

بيننا نجد الإيمان الجاد الحاسم في شدة عمر « إنه خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه » .

يقول المرحوم سيد قطب :

« ثم يقف الإنسان أمام كلمات حاطب وهو في لحظة ضعفه ، ولكن تصوره لقدرة الله وللأسباب الأرضية هو التصور الايماني الصحيح . ذلك حيث يقول : أردت أن تكون لي عند القوم يد . يدفع الله بها عن أهلي ومالي » . فالله هو الذي يدفع ، وهذه اليد لا تدفع بنفسها ، إنما يدفع الله بها ، ويؤكد هذا القصور في بقية حديثه وهو يقول :

« وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وولده وماله . فالله حاضر في تصوره وهو الذي يدفع لا العشيرة ، إنما العشيرة أداة



يدفع الله بها ، إنهم رجال مدرسة الرسول ﷺ ، إنه الإيمان الذي فعل فيهم ذلك ، جعل منهم هداة ودعاة ؛ هداة إلى الحق ، ودعاة إلى الله الواحد الأحد .

ولم يأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقتل حاطب لأنه يعرف قبل غيره — ضعف النفس البشرية — وغلبة الشيطان عليها في هذا الضعف .

ومهمة الرائد : أن يساعد أتباعه ويأخذ بأيديهم ولا يتركهم فريسة لأنفسهم الأمانة بالسوء ، أو للشيطان الذي يجري فيهم مجرى الدم في العروق . وما أكثر كبوات الانسان ، وما أكثر الاخطاء التي يقع فيها ما دام بعيداً عن ربه — ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في فرض الصلوات الخمس اليومية في حياة المسلم — ليكون دائماً قريباً من ربه — يذكر فلا ينسى ، ويعرف فلا يضل — ويعيش مع ربه لحظات قليلة — يفر بعدها الشيطان عنه لساعات كثيرة .

ومن هنا كان أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — لعمر بن الخطاب أن يكف عن خالد — ويمنحه فرصة التوبة والعودة الى خالقه وبارئه — ليتوب الله عليه — وكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

ابن أم مكتوم  
رضي الله عنه

مَا تَرَكَ فَيَسْتَرْجِعُ مِنَ الْآيَاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۙ ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ  
لَعَلَّهُ يَزْكِي ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ④ أَمَا مِنْ  
أَسْتَغْنَى ⑤ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا  
يَزْكِي ⑦ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ وَهُوَ يَخْشَى ⑨  
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى

سورة عبس الآية (١ - ١٠).

## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في ابن أم مكتوم

قال ذلك الإمام الطبري ج ٣٠ ص ٣٢

وقال ذلك الإمام القرطبي ج ١٩ ص ٢٠٩

وقاله أيضاً ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠

وتفسير الخازن والبغوي ج ٧ ص ١٧٤

ونكت الهميان ٢٣

وأسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٤٧٩

فمن ابن أم مكتوم هذا...؟

## ابن أم مكتوم رضي الله عنه

من ابن أم مكتوم هذا...؟

وهل كان له وضع وثقل بين القبائل العربية عامة وأهل قريش خاصة...؟ أكان ممن صوته يدوي في سوق عكاظ ، وهو يلقي مطولته في البطولة والدفاع عن القبيلة...؟ فتتلقفها آذان العرب وترددتها ألسنتهم...؟

أهو ذلك الفارس المغوار ، والبطل الذي لا يشق له غبار ، والذي كان يخوض المعارك ويحيدل الفرسان ، ويتغنى ببطولته الشعراء...؟ أم كان من أولئك الرجال الأفاضل ممن لهم الرأي الحصيف ، والكلمة النافذة ، في دار الندوة ، ملتقى شيوخ العرب وحكامها...؟

إن ابن أم مكتوم رضي الله عنه لم يكن واحداً من أولئك ولا من هؤلاء ، ولم نسمع به الدنيا قبل الإسلام ، ولم يكن له صوت ولا حديث فيها ، بل كان رجلاً من رجالات مكة يعيش لنفسه مع نفسه ، ولا يعرف له اسم أو رسم على التأكيد .

الأمر الذي يوجد الاختلاف في اسمه ، فأهل المدينة يقولون : اسمه عبد الله . وأهل العراق يقولون : اسمه عمرو<sup>(١)</sup> . وإن اتفقوا جميعاً على أن أمه : عاتكة بنت

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١١٩٨ .

عبد الله بن معيص (١)

فَقَدَّ بَصْرَهُ صَغِيراً ، وَعَرَفْتَهُ دُرُوبَ مَكَّةَ وَأَزَقَتْهَا دُؤُوباً فِي طَلَبِ الرِّزْقِ لَا يَهْدَأُ ،  
مُنْتَقِلاً يَبْحَثُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ لَا يَتَعَبُ . إِنْ فَقَدَ بَصْرَهُ ، حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْرِفَةِ الْكَثِيرِ مِنْ  
الْأَشْيَاءِ ، وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ ، وَيَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ ، فَاسْتَعَاضَ عَنْ عَيْنَيْهِ بِأُذُنَيْهِ  
فَاسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ ، فَكَانَ يَسْمَعُ وَلَا يَنْسَى ، وَتَوَصَّفَ لَهُ الْأَشْيَاءُ فَتَبَقِيَ  
مَجَسِّمَةً فِي ذَهْنِهِ مَتَخِيلَةً فِي وَجْدَانِهِ .

سَمِعَ ذَاتَ يَوْمٍ بِتَسَلُّلِ الْعَبِيدِ وَالْخُدَمِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى دَارِ ابْنِ الْأَرْقَمِ يَتَسَمَعُونَ  
إِلَى مُحَمَّدِ الْأَمِينِ الَّذِي تَكَلَّمَهُ السَّمَاءُ . وَأَحْسَنَ أَنْ فِي مَكَّةَ حَرَكَةً غَيْرَ عَادِيَةٍ ،  
فَالْأَعْصَابُ مَشْدُودَةٌ مِنْ سَادَةِ قَرِيْشٍ . وَالْعَبِيدُ وَالْخُدَمُ يَسَامُونَ الْخُسْفَ وَالضَّرْبَ  
وَالتَّعْذِيبَ ، كُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ دَعْوَةِ مُحَمَّدِ الْجَدِيدَةِ ، وَمَدْرَسَةِ ابْنِ الْأَرْقَمِ . فَقَرَّرَ  
الذَّهَابُ إِلَيْهَا لِيَسْمَعَ كَمَا يَسْمَعُونَ ، وَلِيَعْرِفَ الْخَبَرَ الْيَقِينَ فَحَمَلَ عَصَاهُ وَذَهَبَ إِلَى  
هُنَاكَ . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَطَرَّقَ أُذُنَيْهِ كَلِمَاتٌ فَتَنَزَلَ إِلَى الْقَلْبِ مَبَاشَرَةً فَتَعَطَّيَهُ السَّكِينَةُ  
وَالْأَمَانُ ، وَتَهَبَهُ قُوَّةٌ لَا تَبَالِي بِقُوَّةِ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَجْتَمِعَةً ، إِنَّهَا كَلِمَاتُ الْوَحْيِ الَّتِي نَزَلَتْ  
بِهَا جَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِتَقَرَّرَ وَحِدَانِيَةُ الْخَالِقِ ، وَتَسْوِيَّ بَيْنَ الْبَشَرِ  
جَمِيعاً ، وَتَحَقُّقَ الْعَدْلِ بَيْنَ الْأَقْوِيَاءِ وَالضَّعْفَاءِ ، وَتَمَلُّهُ الْأَرْضُ نُوراً بَعْدَ أَنْ مَلَّتْ  
ظُلْماً وَجُوراً .

وَمَدَّ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ يَدَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعْلِناً إِسْلَامَهُ ، وَمَقَرَّراً انْضِمَامَهُ إِلَى  
كُتَيْبَةِ الْإِيْمَانِ ، وَمَعَاهِدَاً اللَّهُ وَرَسُولَهُ عَلَى بَذْلِ رُوحِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمِنْذَ ذَلِكَ الْيَوْمِ  
حَرَصَ عَلَى أَنْ يَتَّفِقَهُ فِي دِينِهِ وَأَنْ يَعْرِفَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكَانَتْ وَسِيلَتُهُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ  
يَسْأَلَ بِلِسَانِهِ وَيَعِي بِأُذُنَيْهِ ، كَانَ يَسْأَلُ الرَّسُولَ دَائِماً ، يَسْأَلُهُ وَحَوْلَهُ حَلْقَةٌ مِنْ  
الرِّجَالِ الْأَوَّلِ يَسْمَعُونَ وَيَفْهَمُونَ . وَيَسْأَلُهُ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَيَسْأَلُهُ وَهُوَ  
يَعْتَرِضُ طَرِيقَ الرِّجَالِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنْ قَرِيشاً تَفَقَدَ صَوَابَهَا ، وَتَشْتَدُّ فِي  
أُذَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتَنْكُلُ بِهِمْ كُلَّ تَنْكِيلٍ .

(١) وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أخي أمها ، المصدر السابق .

ويأذن الرسول ﷺ لهؤلاء الرجال بالهجرة. ففر ابن أم مكتوم بدينه مع المهاجرين. وتختلف الروايات في تاريخ هجرته ، فبعض الروايات تقرر أنه هاجر إلى المدينة بعد غزوة بدر ونزل بدار القراء ، والبعض الآخر يقرر أن ابن أم مكتوم هاجر إلى المدينة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة وقبل غزوة بدر<sup>(١)</sup> . ونحن نميل إلى الرواية الثانية . والذي يؤكد ذلك ما يرويه أبو إسحاق عن البراء بن عازب قال : كان من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي . فقلنا له : ما فعل رسول الله ﷺ فقال : هو مكانه ، وأصحابه على أثري . ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم الأعمى . فقالوا له : ما فعل من وراءك — رسول الله وأصحابه .. ؟

فقال لهم : هم أولاء على أثري<sup>(٢)</sup> .

هاجر ابن أم مكتوم إلى المدينة ونزل في دار القراء كما تقرر بعض الروايات ، وأخذ يؤدي مهمته التي أعد نفسه لها بالأسئلة الكثيرة التي كان يوجهها إلى رسول الله ﷺ ، مهمته في تعليم الناس مبادئ الدين ، ومهمته في تحفيظهم بعض آيات الذكر الحكيم ، ومهمته في تهيئة النفوس والقلوب في استقبال رسول الله ﷺ ، ولم يلبث طويلاً حتى جاءت الأنباء بقرب وصول الرسول ﷺ إلى مدينته يثرب ، وخرج مع وفود المستقبلين يتنسم أخبار حبيب الله ، ويتربح لحظة وصوله حتى يشنف أذنيه بسماع حديثه واستيعاب هديه . وجاء الرسول ﷺ ونزل في دار بني النجار كما تقول كتب السيرة . ثم أخذ في بناء مسجده ، ليكون المدرسة الكبرى لأول جيل عرفته البشرية يحمل هدى الله وكتابه ، واشترك ابن أم مكتوم في بناء المسجد ولازم الرسول ﷺ في أكثر أوقاته ، لم يتخلف عن صلاة واحدة خلف الرسول الكريم ، ولم يغب عن حلقة من حلقات التوجيه النبوي ، ولم تند آية واحدة من آيات الوحي التي كانت تنزل في المدينة عن فكره وعقله ، بل كان يشرب بأذنيه آخر الكلمات

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٠٦ .

النبوية والتوجيهات السماوية التي يرسلها الله لعباده ، وكان في بعض الأحيان تطول الجلسة مع الرسول ﷺ ويحس بأن الوحي أتى إلى الرسول ﷺ ويكاد يرى ببصيرته جبريل الأمين وهو يلقي الرسول الكريم . قال أنس رضي الله عنه : « إن جبريل أتى رسول الله ﷺ وعنده ابن مكتوم » . فقال : متى ذهب بصرك .. ؟ قال : وأنا غلام . فقال : قال الله تبارك وتعالى : « إذا ما أخذت كريمة عبدي لم أجد له بها جزاء إلا الجنة » (١) .

هنيئاً لك يا ابن أم مكتوم . هنيئاً لك بصحبة الرسول ﷺ وهنيئاً لك ببشارة جبريل بأن لك الجنة . ألم ينزل الله فيه قرآنه .. ؟ ألم يقل له الرسول ﷺ كلما لقيه : « أهلاً بمن أوصاني به ربي خيراً » (٢) ... ؟ .

ولقد كان الرسول ﷺ يأمره بالأذان للصلاة إذا ما غاب بلال . وكان صوته العذب يدوي بكلمة « الله أكبر » خمس مرات في اليوم .

فإذا حضر بلال وأذن للصلاة كان على ابن أم مكتوم أن يقيمها خلف الرسول ﷺ ، وكان بلال يؤذن في رمضان فلا يمتنع الناس عن الطعام والشراب لأن أذانه فقط لإيقاظ النائم وتنبيه الغافل ، فإذا أذن ابن أم مكتوم كان هذا إيذاناً بالامتناع عن الطعام والشراب وإمساك الصائمين .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن بلالاً ينادي بلبل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم » (٣) . قال : وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له : أصبحت أصبحت » (٤) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) يراجع تفسير الامام القرطبي عن قوله تعالى : « وأما من جاءك يسعى » وتفسير الامام الطبري في تفسير سورة « عبس » .

(٣) ورواه أيضاً مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

(٤) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٠٧ .



وابن أم مكتوم هذا من أولئك الرجال الذين أُشربت قلوبهم حب النبي ﷺ فهو عنده أحب إليه من الأهل والعشيرة. أحب إليه من الزوجة والولد. بل أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وكل واحد من هؤلاء الرجال — وابن أم مكتوم منهم — قد يَحتمل الإساءة تقدم إلى أهله وذويه ويكظم غيظه. ويعفو ويصفح. ولكنه لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يمس شخص الرسول ﷺ بأذى.

«نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة عمه رجل من الأنصار، وكانت هذه المرأة ترفق به وتحسن إليه وتساعده في طعامه وشرابه. ولكنها أخذت تؤذيه في أحب الناس إلى قلبه، أخذت تسمعه ما يكره في الله ورسوله. فلم يطق صبراً على ذلك. وحاول أن يردعها فلم ترتدع، فتناولها فضربها فقتلها، ورفع أمره إلى النبي ﷺ فلما مثل بين يديه قال له الرسول ﷺ: ماذا حملك على ما فعلت..؟»

فقال: أما والله يا رسول الله إن كانت لترفقني<sup>(١)</sup>. ولكنها أذتني في الله ورسوله فضربتها لكي أحول بينها وبين ما تقول فكان أجلها. فقال رسول الله ﷺ: «أبعدها الله تعالى فقد أبطلت دمها»<sup>(٢)</sup>.

وكان الرسول ﷺ يستخلفه على المدينة عند خروجه إلى غزواته. استخلفه حين خرج إلى غزوة قرقرة الكنكر إلى بني سليم وغطفان. وكان يُجمع بالمسلمين ويخطب إلى جنب المنبر، يجعل المنبر عن يساره. واستخلفه حين خرج إلى غزوة أحد. وحين خرج إلى حمراء الأسد إلى بني النضير وإلى غزوة الخندق، وإلى غزوة بني قريظة، وإلى غزوة بني لحيان، وإلى غزوة الغابة، وإلى غزوة ذي قرد، وفي عمرة الحديبية<sup>(٣)</sup>.

ويروي عن الشعبي قوله:

(١) ترفقه: تخدمه من الرفق: وهو لين الجانب.

(٢) طبقات ابن سعد ص ٢١٠ ج ٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٩.

«غزا رسول الله ﷺ ثلاث عشرة غزوة ما منها غزوة إلا يستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وهو أعمى» .

ولقد كان يشارك في حياة المسلمين ، حياتهم الاجتماعية ، وحياتهم السياسية ، ويتابع أخبار الوفود التي ترد الى الرسول ﷺ .

وكان صواماً قواماً ، لم يره أحد إلا في عبادة أو متجهاً لأداء عبادة ، أو مشاركاً للمسلمين في أمر يهمهم . ولكن ينزل قوله تعالى :

﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ (١) .

إذاً هناك من يتفوق عليه في الأجر ، وفي التقرب إلى الله . وهناك من هو أحظى منه في العبادة . ويتجه إلى ربه ، يتجه إليه بقلب خالص ونفس صافية : يا رب ابتليتنى فكيف أصنع .. ؟ يا رب رحمتك التي وسعت كل شيء . فنزل قوله تعالى :

﴿ غير أولي الضرر ﴾ (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما نزل قوله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ . فسمع بذلك عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فأتى رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله ، قد أنزل الله في الجهاد ما قد علمت وأنا رجل ضرير البصر لا أستطيع الجهاد فهل لي من رخصة عند الله إن قعدت .. ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « ما أمرت في شأنك بشيء ، وما أدري هل يكون لك ولأصحابك من رخصة .. ؟ فقال ابن أم مكتوم : « اللهم إني أنشدك بصري .. فأنزل الله بعد ذلك على رسوله ﷺ :

(١) سورة النساء آية رقم ٩٥ .

(٢) تكلية الآية السابقة .

﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل  
الله ﴾ (١).

لقد أخذ الرخصة من ربه .

فهل ينتفع بهذه الرخصة ؟ لقد سمع قول الرسول الكريم :

« إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه (٢) » . فقرر أن يكون له  
أجر الجهاد ، وطلب من إخوانه أن يشركوه معهم في حروبهم . واستجابوا له ،  
ورافق الجيش المتجه الى القادسية . وعندما وصلوا إلى ميدان المعركة ، قال : يا  
أحباب الله ، يا أصحاب محمد ﷺ ، يا أبطال المعارك ، ادفعوا إليّ اللواء ، فلإني  
رجل أعمى لا أستطيع أن أفر ، وأقيموني بين الصفيين (٣) .

ويروي قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الله بن أم مكتوم يوم  
القادسية كانت معه راية سوداء وعليه درع سابغة (٤) .

ثم عاد إلى المدينة فمات بها . رحمه الله رحمة واسعة .

(١) راجع تفسير هذه الآية في تفسير الإمام القرطبي وتفسير الإمام الطبري ، زرواه ابن سعد بسنده عن زيد  
ابن ثابت ج ٤ ص ٢١١ .

(٢) رواه الإمام أحمد ج ٢ ص ١٠٨ عن كتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢١٠ .

(٤) رواه ابن سعد عن عفان بن مسلم بسنده عن أنس بن مالك ص ٢١٢ ج ٤ .

## أسباب نزول الآيات

عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت هذه الآيات في ابن أم مكتوم <sup>(١)</sup> .  
قالت : أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدني . وعند رسول الله ﷺ من  
عظماء المشركين ، فجعل النبي يعرض عنه . ويقبل على الآخر ، ويقول : أتري بما  
أقول بأساً؟ فيقول : لا . في ذلك نزلت .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « بينا رسول الله ﷺ يناجي عبته بن  
ربيعه ، وأبا جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب . وكان الرسول يتصدى لهم  
كثيراً ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له : عبد الله بن أم  
مكتوم . يمشي وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقرئ النبي آية من القرآن وقال : يا  
رسول الله ، علمني مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله ، وعبس في وجهه وتولى  
وكره كلامه . وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله ﷺ وأخذ ينقلب إلى  
أهله ، أمسك الله بغض بصره ، ثم خفق برأسه ثم أنزل الله : ﴿ عبس وتولى ﴾ .  
فلما نزلت فيه أكرمه رسول الله وقال له : ما حاجتك .. ؟ هل تريد من شيء .. ؟  
وإذا ذهب من عنده قال له : « هل لك حاجة في شيء .. » <sup>(٢)</sup> وذلك لما أنزل الله  
﴿ أما من استغنى ﴾ .

(١) تفسير الإمام القرطبي ج ١٩ ص ٢٠٩ ، والطبري ٣٠ ص ٣٢ . وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ .  
والخازن والبغوي ج ٧ ص ١٧٤ ، ونكت المبيان ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ويراجع الدر المنثور ج ٦ ص ٣٤١ ، وصحيح الترمذي ج ١٢ ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

يجيء الرجل الأعمى الفقير ورسول الله ﷺ مشغول بأمر النفر من سادة قريش ، وهو يدعوهم إلى الإسلام ، ويرجو بإسلامهم خيراً للإسلام في عسرتة التي كان فيها بمكة ، وهؤلاء النفر يقفون في طريقه . يقفون في طريق الدعوة بمالهم ، ويصدون عن الدعوة بجاههم وقوتهم ، ويحولون بينه وبين الناس ، ويكيّدون له كيّداً شديداً حتى كادوا أن يجملوا الدعوة في مكة . أما من هم خارج مكة فلم يكن لهم أن يقبلوا هذه الدعوة الجديدة التي يقف في طريقها أقرب الناس إلى صاحبها .

نقول : يجيء هذا الرجل للرسول ﷺ وهو مشغول بأمر هؤلاء النفر لا لنفسه ولا لمصلحته ولكن لنشر الإسلام ومصلحة المسلمين ، فلو أسلم هؤلاء الرجال لأزيلت العقبات التي تقف في طريق نشر الدعوة . ويكرر ابن أم مكتوم قوله على الرسول ﷺ . فيكره الرسول قطعه لكلامه واهتمامه . وتظهر الكراهية في وجهه الذي لا يراه الرجل فيعبس ويعرض . وهنا تتدخل السماء ، تتدخل لتقول كلمة الفصل ، ويجيء العتاب من الله العلي الكبير لنبية الكريم صاحب الخلق الكريم :

﴿عسى وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنعه الذكرى﴾ .

قال الثوري : فكان النبي بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» . ويقول : «هل من حاجة ..؟»<sup>(1)</sup> .

(1) أسباب نزول القرآن ص ٤٧٩ .

## تذليل

رحمك الله رحمة واسعة ، وجعل الجنة مثواك . يا صاحب رسول الله ﷺ  
هنيئاً لك الجنة من ربك ، هنيئاً لك ما قدمت للإسلام والمسلمين .

أعمى البصر ، ولكنه نافذ البصيرة ، أنزل الله فيه قرآناً فكان هذا إيذاناً من الله  
بقيام دولة الصالحين المؤمنين ، دولة الموحدين القانتين ، العاملين بشريعة الله في  
الأرض . كان هذا إيذاناً من الله بتثبيت القيم الإنسانية ، القيم الإيمانية التي على  
أساسها يتفاضل الناس . قيم الإيمان والتقوى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ومنذ ذلك اليوم ، أخذ الرسول ﷺ يستقبل هؤلاء المستضعفين ، والذين دوى  
صوتهم بعدها في جنبات الأرض ، يحملون للبشرية كلها ، الأمن بعد الخوف ،  
والنور بعد الظلام ، والهدى بعد الضلال ، فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال ،  
وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين .

قلة قليلة ، تخرج من الصحراء ، وتتجه نحو المشرق ، فتكسر سور الصين  
العظيم ، وتنتشر من ورائه اسم الله الأعظم ، ثم تمتد حتى تصل إلى السند والهند ،  
وجزائر المحيط الدافئ ثم تمتد حتى تصل إلى أوروبا فتطبق عليها من الشرق والغرب ،  
فإذا جنود مسلمة بن عبد الملك يستولون على القسطنطينية شرقاً ، وإذا جيوش عبد  
الرحمن الغافقي تفرغ من شبه جزيرة إيبيريا ، وإذا البحرية الاسلامية ، تسيطر على  
البحر الأبيض المتوسط ، وتمخر خلال جزره ، وتملك صقلية ، وقبرص ،  
وكروسيك ، موطن نابليون .

كانوا رعاة جمال قبل نهضتهم وبعدها ملأوا الآفاق تمدينا  
لو كبرت في ربوع الصين مثذنة سمعت في الغرب تهليل المصلينا

أعمى البصر، ولكنه وضاح البصيرة — إنه من أولي الضرر الذين ليس عليهم  
قتال ولا جهاد في سبيل الله. ولكن هذا الصحابي الجليل — يريد أن يستزيد من  
الأجر يريد أن يفوز بالشهادة حتى يكتب عند الله من الشهداء الأبرار الذين هم  
عند ربهم يرزقون، وفي الجنة يرحون. وهو من أجل هذا يرفض أن يتخلف عن  
القتال والجهاد، يرفض أن يقعد في مجلسه في بيته مع الصبية والنساء. فيخرج مع  
المجاهدين — يخرج مع المقاتلين — يخرج مع هؤلاء الذين باعوا نفوسهم رخيصة في  
سبيل الله. وماذا يفعل وهو لا يحسن الضرب بالسيف أو الرمي بالرمح. إنه اختار  
شيئاً لا يسلم إلا لصناديد الرجال أو للفارس المغوار الذي لا يفر من الميدان.

لقد اختار هذا العملاق الذي تربى في مدرسة الاسلام أن يحمل الراية وأن يرفع  
اللواء. ويحمس المقاتلين ويذكرهم بالجنة ونعيمها. وهو في ذلك لا يرهب القتل أو  
الموت بل هو يرحب به إن جاء. فرحى يا أتباع محمد ثم مرحى. بخلودكم في الجنة،  
ولا نامت أعين الجبناء.

أبوسفيان بن حرب  
رضي الله عنه



مَا تَزَلُ فِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ<sup>ع</sup>  
فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ<sup>ط</sup> وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ  
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ  
جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ<sup>ع</sup> أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ

سورة الانفال آية

رقم ٣٦ - ٣٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآيات في المطعمين يوم بدر ومنهم أبو سفيان ابن حرب .

وقال ذلك صاحب تفسير البغوي والهازن ج ٣ ص ٢٦ .

وقاله صاحب سيرة بن هشام ج ٣ ص ٣٢٠ / ٣٢١ .

وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن ص ٢٣٣ .

لن هو أبو سفيان بن حرب ..؟

## أبو سفيان بن حرب

رضي الله عنه

.. رئيس من رؤساء قريش في الجاهلية.

وتاجر عرف الناس طويلاً ، وخبر جيلاتهم ، وتعرف على أهوائهم ورغباتهم ورجل يحب الفخر كما أخبر بذلك أكثر الناس معرفة به العباس بن عبد المطلب وطواف للآفاق. وطاقن دائماً في أرض الله بحثاً عن الرزق. ومفتشاً عن عروض التجارة.

ذلكم هو أبو سفيان بن حرب رحمه الله.

ولد قبل حادث الفيل بعشر سنوات ، وكان يجهز التجارة بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم . وكان أحياناً يخرج بنفسه فكانت إليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب ، وكان لا يحبسها إلا رئيس ، فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس .

... ابنه معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنه — أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وتولى ولاية الشام من قبل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ابنته رملة بنت أبي سفيان بن حرب — زوج الرسول ﷺ — وإحدى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن .

تزوجت أم حبيبة عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى أرض الحبشة — وفوق تلك الأراضي البعيدة عن ديارها تنصر زوجها — فلما انقضت عدتها أرسل إليها النجاشي يقول : إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه .

فقال: بشرك الله بخير.

وتزوجت رملة رسول الله ﷺ، وانتقلت إلى بيت النبوة. وعلم أبو سفيان بزواج ابنته فقال: هذا الفحل لا يجدر أنفه (١).

... سمع أبو سفيان بدعوة الرسول ﷺ فكان من المناوئين له المحاربين لدعوته...  
وذهب مع الوفد الذي أرسل إلى أبي طالب يطلبون منه أن يسلمهم ابن أخيه محمد يذبحونه، ويعطونه أهد شاب لديهم في قريش.

.. واشترك مع قريش في صحيفة المقاطعة التي كتبها قريش تقاطع فيها بني هاشم لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم.  
وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة.

واستقر المسلمون في هذا البلد الآمن الطيب.

وفي يوم من الأيام علم الرسول ﷺ بأن أبا سفيان مقبل من الشام بتجارة لقريش. نعم قريش التي عذبت المسلمين ونكلت بهم، وأخرجتهم من ديارهم واستولت على أموالهم وممتلكاتهم.

وأبو سفيان نفسه كان أحد هؤلاء الرجال الذين وضعوا أيديهم على أموال المسلمين.

يقول أحمد بن جحش أحد المسلمين الفارين بدينهم لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامه  
دار ابن عمك بعثها نقضي بها عنك الغرامه  
وحليفكم بالله ر ب الناس مجتهد القسامه  
إذهب بها اذهب بها طوقها طوق الحامه (٢)

(١) طبقات ابن سعد ج ٨.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٧.

نقول : علم الرسول ﷺ بأبي سفيان فقال :

« هذه غيرُ قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكموها » .

فانتدب الناس .

وكان أبو سفيان — حين دنا من الحجاز — يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً . حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك .

فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة .

وسمع الناس صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ بيطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدد أنفه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول :

« يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه .

الغوث الغوث .

واستطاع أبو سفيان أن يسلك طريقاً آخر بالعين والمال ، وأرسل إلى قريش — بعد أن علم بخروجها — إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم . فقد نجاها الله فارجعوا .

فقال أبو جهل :

« والله لا نرجع حتى نرد بدرأ ، فقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ويمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا »<sup>(١)</sup> .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩١ .

ففضى ودارت المعركة. وانتصر جند الله، وقتل أبو جهل ووقع مجموعة من قريش أسرى وفر أبو سفيان.

وكان في الأسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول ﷺ، فلما بعثت قريش في فداء الأسرى أرسلت زينب بقلادة لها كانت أخذتها من أمها خديجة.

فلما رآها رسول الله ﷺ قال :

« إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا».

فقالوا: نعم يا رسول الله.

وكان رسول الله قد أخذ على أبي العاص عهداً أن يخلي سبيل زينب إليه ويبعث معه زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال :

«كونا بطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحبها حتى تأتياني بها».

فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها. فلما فرغت من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهراً يقود بها وهي في هودج لها.

وتحدث بعض رجال من قريش بخروج زينب، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى. فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد فروعها هبار وهي في هودجها، وكانت حاملاً فيما يزعمون. فلما ريعت طرحت حملها.

فتناول حموها كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً فابتعد الناس عنه.

وأتى أبو سفيان في جماعة من قريش. وقال :

«أيها الرجل كف عنا نيلك حتى نكلمك. فكف».

فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه وقال : إنك لم تُصَب ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وأنت تعلم ما أصابنا من محمد ، فيظن الناس إذا أخرجت ابنته إليه علانية ، من بين أظهرنا أن ذلك على ذلِّ أصابنا وأن ذلك منا ضعف ووهن . ولعمري ما لنا بحبسها عن أيها من حاجة . ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث أن قد رددناها فاخرج بها سراً وألحقها بأبيها» (١) .

ففعل . فأقامت ليالي . حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه .

... واستطاع أبو سفيان في هذا الموقف أن يكون حكيماً أرضى الأنوف المتفتحة من قريش . وحقق رغبة الرسول ﷺ بهجرة أخته إليه وما كاد يمضي عام على غزوة بدر التي انهزم فيها المشركون .. حتى استطاعوا أن يجمعوا جمعهم — ويستنفروا القبائل حولهم لغزو محمد — وكانوا قد رصدوا الأموال التي نجت من المسلمين في غزوة بدر لهذه المعركة . وكان أبو سفيان قائد الجيش وخرجت معه زوجته هند بنت عتبة .

ثم كان النصر حليفهم بسبب مخالفة الرماة لأمر الرسول ﷺ فأراد الله سبحانه وتعالى أن يربي هذه المجموعة الذين سيحملون دينه إلى مشارق الأرض ومغاربها حتى يكون أمرهم جميعاً ولا يتفرقوا ويطيعوا أمر قائدهم .

وبعد انتهاء المعركة وقف أبو سفيان على قمة جبل أحد ثم صرخ بأعلى صوته : «إن الحرب سجال» (٢) يوم بيوم بدر أعْل هبل (٣) — أي أظهر دينك» .

فقال رسول الله ﷺ :

«قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء قتالنا في الجنة ، وقتلاكم في

النار» .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) مكافأة ، يوم لنا ويوم علينا .

(٣) هبل : اسم صنم من أصنامهم .

فلما أجاب عمر أبو سفيان قال :

« هلم إليّ يا عمر » .

فقال رسول الله ﷺ : ائته يا عمر فانظر ما شأنه .. ؟

فجاءه فقال له : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً .. ؟

قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن .

قال : أنت أصدق عندي من ابن قميّة ، وأبر لقول ابن قميّة لهم : إني قد قتلت

محمداً .

ولما أراد الانصراف قال أبو سفيان : إن موعدكم بدرٌ للعام القابل ، فقال رسول

الله ﷺ لرجل من أصحابه :

« قل نعم هو بيننا وبينك موعد » (١) .

.. وسار أبو سفيان بجيشه .. وفي الطريق بدا لهم أمر آخر .. وقالوا : لقد أصبنا

عدداً من أصحاب محمد ، وقتلنا أشرفهم وقادتهم . فما الذي يمنعنا أن نرجع إليهم

كرة أخرى فنستأصل بقيتهم ونفرغ منهم .. ؟

فأجابهم أبو سفيان لطلبهم . ولكن ما كادوا يعنون أعناق الخيل إلى جهة أحد

حتى التقوا بمعبد بن معبد الخزاعي . فقال له أبو سفيان :

ما وراءك يا معبد .. ؟

قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون

عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيعوا ،

فيهم الحق عليكم شيء لم أر مثله من قط .

قال أبو سفيان : ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترهّل حتى ترى نواصي

الخيّل .. ؟؟

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٥ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٤٩ .



قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم .

قال فإني أنهاك عن ذلك ..

واستمعوا إلى نصيحة معبد وكروا راجعين إلى مكة وقال رسول الله ﷺ :  
«والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صُبَّحُوا بها لكانوا كأس  
الذاهب»<sup>(١)</sup>

إن الذي جمع الجموع وجيش الجيوش هو أبو سفيان بن حرب .. وهو الذي  
قدّم جميع ما في القافلة لهذه الحرب .

وهو القائد الأعلى في تلك الغزوة التي قتل فيها مجموعة من خيار المسلمين ..  
ولكن هل يكفي أبو سفيان بذلك .. ؟

لقد توعد المسلمين بغزوة أخرى في العام المقبل ..

إذن ماذا يكون العمل وماله كثير ورجاله لا تحصى ولا تعد .. ؟

لقد قتل أبو جهل وأمّية بن خلف ، وهلك أبو لهب .. فلو قتل أبو سفيان  
لاستراح الناس وقبلوا دين الله ودخلوا فيه أفواجاً .

واستشار النبي ﷺ أصحابه في أمر أبي سفيان فأشار عليه بعضهم بقتله .  
إنه مسئول عن كل قتلى أحد فإذا قتل فسيكون هذا قصاصاً وليس عدواناً  
واستراح الرسول ﷺ إلى هذه النتيجة .

عندها أمر الرسول ﷺ عمرو بن أمّية الضمري — مع رجل من الأنصار  
بالتوجه إلى مكة لقتل أبي سفيان ..

واستجاب الرجلان لأمر الرسول ﷺ وامتطيا راحلتهما واتجها إلى مكة .

قال عمرو : فخرجت وبصاحبي علة فكنت أحمله على بعيري حتى جثنا مكاناً  
يسمى « بطن يأجج » قريباً من مكة .

(١) سورة ابن هشام ج ٣ ص ٦٠ .

فقلت لصاحبي : ترك هنا بعيرنا وننطلق إلى أبي سفيان لنقتله ، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فأركبه والحق برسول الله ﷺ وأخبره الخبر واخل عني (١) .  
فدخلنا مكة ومعني خنجر قد أعددت له إن عاقني إنسان ضربته به . فقال لي صاحبي :

هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين...؟

فقلت : إن أهل مكة يجلسون بأفئدتهم وأنا أعرف بها . فلم نزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا ثم خرجنا فررنا بمجلسهم . فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية....

فتار أهل مكة إلينا وقالوا :

« ما جاء إلا لشر » .

فقلت لصاحبي : فانح بنفسك فخرجنا نشدت حتى صعدا الجبل فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا نتظر أن يسكن الطلب قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بفرس له فقام على باب الغار ، فخرجت إليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع أهل مكة فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني . فوجدوه وبه رمق فقالوا : من ضربك...؟

قال : عمرو بن أمية ، ثم مات ولم يقدر أن يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبي عن طلبي ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب ، ثم خرجنا إلى التنعيم «مكان بمكة» فإذا بجثة خبيب معلقة على خشبة وحوله حرس ، فصعدت خشبته واحتملته على ظهري ، فما مشيت به إلا أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته فاشتدوا في أثري . فأخذت الطريق فأعياوا ورجعوا ، وانطلق صاحبي فركب البعير ، وأتى النبي ﷺ فأخبره . وأما خبيب فلم يرَ بعد ذلك وكان الأرض ابتلعتة .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٩ .

وخبيب<sup>(١)</sup> هذا الذي قال له أبو سفيان حين قدم ليقتل :

أشدك الله يا خبيب ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه  
وأنت في أهلك .. ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه  
وأني جالس في أهلي .

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد  
محمداً ، ثم قتل . يرحمه الله<sup>(٢)</sup> .

وعاش أبو سفيان ولم يقتل ، وفشل عمرو بن أمية في أن ينال منه ، عاش  
ليجيش الجيوش ويجمع القبائل لغزو محمد ﷺ وخرج بهم هذه المرة قاصداً  
المدينة . وعلم الرسول ﷺ بخروجهم فأمر بحفر الخندق والذي أشار به سلمان  
الفارسي — رضي الله عنه — وما كاد المسلمون ينتهون من حفر الخندق . حتى  
جاءت قريش بمجموعها . ولكنهم لا يستطيعون اختراق الخندق فمسكروا خلفه .

وظهر للمسلمين عدو جديد في داخل المدينة — وهم جماعة اليهود ، وخرج  
حُبي بن أحطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة . وكان قد وادع رسول الله  
ﷺ على قومه . فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له .

وقال : إنك امرؤ مشثوم . وقد عاهدت محمداً ولم أر منه إلا الوفاء .

قال حُبي : يا كعب قد جئتك بعز الدهر وبيحر ظام ، جئتك بقريش وقادتها  
وساداتها ، وغطفان بقادتها ، وقد عاهدوني أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمداً  
وأصحابه .

قال كعب : جئتني بذل الدهر ويحك يا حُبي دعني ومحمداً .

(١) بعض الروايات تقول : أن الذي قال له أبو سفيان هذا القول هو زيد بن الدثنة الذي قتل مع خبيب .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٦٤ .

ولكن حبي لم يتركه حتى حمله على الغدر بمحمد ﷺ ففعل ونكث العهد،  
وعاهده حبي إن عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في  
حصنك حتى يصيبني ما أصابك...؟؟

فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل  
منهم وعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:

﴿إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت  
القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً  
شديداً﴾ (١)

واستمر هذا البلاء بضعاً وعشرين ليلة. ولم يكن بين القوم إلا الرمي بالنبل ثم إن  
نعيم بن مسعود الأشجعي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم  
يعلم قومي. فرني بما شئت.

فقال له رسول الله ﷺ إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن  
الحرب خدعة.

فخرج حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم في الجاهلية فقال لهم:

«قد عرقت ودي إياكم».

فقالوا: لست عندنا بمتهم.

قال: قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد، وليسوا كآتم البلد ببلدكم به  
أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه، وإن قريشاً وغطفان  
إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وغلوا بينكم وبين  
محمد ولا طاقة لكم به إن خلا بكم. فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم  
ثقة لكم حتى تناجزوا محمداً.

(١) سورة الاحزاب آية رقم ١٠ - ١١.

قالوا: أشرت بالنصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه:

«قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أن قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمد: هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم...؟  
فأجابهم إلى ذلك. فإن طلبت قريظة منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: أنتم أهلي وعشيرتي. وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم.

وما كاد يتركهم نعيم حتى أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل إلى قريظة وقال لهم: إنا لسنا بدار مقام... قد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال. حتى نناجز محمداً.

فأرسلوا إليهم: لسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً ثقة لنا فإننا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل، ونحن ببلادهم<sup>(١)</sup>.

وعاد عكرمة ليخبر أبا سفيان بما كان من قريظة.

فقال أبو سفيان: والله لقد صدق نعيم بن مسعود فأرسلوا إلى قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً.

فقالت قريظة عند ذلك: إن الذي ذكر نعيم بن مسعود لحق. وخذّل الله بينهم وبعث الله عليهم ريحاً في ليل شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح خيامهم.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٢٦ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ١٨٢.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ (١).

وانهزم أبو سفيان وفر مع جنوده وأحزابه إلى مكة... وقال الرسول ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا» (٢).

... وتحقق ما قاله الرسول ﷺ وتم وضع معاهدة الهدنة بين قريش والرسول ﷺ.

وأخذت وفود الرسول وكتبه تنداح في أقطار الأرض الأربعة — تدعو البشرية قاطبة إلى دين الله وإلى كلمة التوحيد.

وكان من هذه الكتب رسالة أرسلها رسول الله ﷺ إلى هرقل مع دحية الكلبي.

فلما تسلم الكتاب قال لدحية:

«والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا. ثم أخذ عصاه وخرج على الروم — وهم في الكنيسة — فقال: يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعوننا إلى الله — فهيا تتبعه ونصدقته فتسلم لنا دينانا وآخرتنا فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا فقال: ردوهم علي — وخافهم على نفسه — وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت منكم ما سرتني. فسجدوا له.

ثم إن هرقل استدعى أبا سفيان — وكان بالشام تاجراً — فحضر عنده ومعه جماعة من قريش أحلسهم هرقل خلفه وقال:  
«إني سائله فإن كذب فكذبوه».

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٩.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٥٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٠.

فقال أبو سفيان : لولا أن يؤثر عني الكذب لكذبت . فسأله عن النبي قال :  
فصغرت له شأنه . فلم يلتفت إلى قولي وقال :

كيف نسبه فيكم ..؟

قلت : هو أوسطنا نسباً .

قال : هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله ..؟

قلت : لا .

قال : فهل له فيكم ملك سلبتموه إياه ..؟

قلت : لا .

قال : فمن اتبعه منكم ..؟

قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث .

قال : فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أو يقلبه ويفارقه .

قلت : ما تبعه رجل يفارقه .

قال : فكيف الحرب بينكم وبينه ..؟

قلت : سجال يدال علينا وندال عليه .

قال : هل يغدر ..؟

قال : فلم أجد شيئاً أغمز به غيرها .

قلت : لا ونحن معه في هدنة ولا نأمن غدرة ، قال : فما التفت إليها .

قال أبو سفيان : فقال لي هرقل : سألتك عن نسبه ، فزعمت أنه من أوسط

الناس وكذلك الأنبياء .

وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به ، فزعمت أن لا .

وسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه ، فزعمت أن لا .

وسألتك عن أتباعه : فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين . وكذلك أتباع الرسل .

وسألتك عن من يتبعه أيجه أم يفارقه ، فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلباً فتخرج منه .

وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا ، وإن صدقتني ليفلين على ما تحت قدمي . هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك<sup>(١)</sup> .

قال أبو سفيان : فخرجت أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : أي عباد الله لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة . أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم .

لماذا لم يسلم أبو سفيان بعد أن سمع الذي سمع ... ؟

هل كان يشك في صدق محمد ... ؟

إن ملوك الروم لا ينكرون نبوة محمد ﷺ ولو كانوا عنده كما قال هرقل : لغسل قدميه ...

إن الحائل بين أبي سفيان وبين الإسلام هو السلطان والجاه ، هو الرئاسة قريش . ومخافة أن يسلبهم محمد هذا السلطان الذي يتمتعون به في أنحاء الجزيرة العربية حتى قال بعضهم :

﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾<sup>(٢)</sup> .

والله غالب على أمره . ولن يدوم لأبي سفيان سلطة أو صولجان . وما قاله الرسول ﷺ لا بد أن يتحقق .

وهو : أنه لا تستطيع قريش بعد غزوة الأحزاب — أن تغزو المسلمين — ولكن المسلمين هم الآن الذين يتحركون لفتح مكة .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .



نعم لا بدّ من القضاء على قلاع الكفر وآخر جيوب الشرك.

ويعلم أبو سفيان بما عزم عليه الرسول — من فتح مكة . فيخرج إلى المدينة في هذه المرة وحيداً بلا جيش .  
خفيفاً بلا عدّة أو عتاد .

يملاً الخوف قلبه ويسيطر الرعب على كلّ جوانحه .

وسأر حتى دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه .

فقال : أرغبت به غني أم رغبت بي عنه .. ؟

فقالت : هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس ، فلا أحبّ أن تجلس عليه .

فقال : لقد أصابك يا ابنتي بعدي شرّ .

ثمّ خرج حتى أتى النبي ﷺ فكلّمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثمّ أتى أبا بكر فكلّمه ليكلّم رسول الله ﷺ فقال : ما أنا بفاعل .

ثمّ أتى عمر فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به .

وانطلق أبو سفيان إلى بيت علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله وولدها الحسن يدبّ بين يديها فقال :

« يا علي إنك أمس القوم بي رحماً وإني قد جثت في حاجة .. فاشفع لي إلى

محمد » .

وأجاب علي : ويحك يا أبا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه .

فالتمس نصيحته فقال علي كرم الله وجهه :

« والله ما أعلم شيئاً يعني عنك شيئاً لكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، وما أظن ذلك مغنياً ولكن لا أجد لك غيره»<sup>(١)</sup> .

فذهب أبو سفيان إلى المسجد وهناك أعلن أنه أجاز بين الناس ثم أسرع إلى راحلته ، وانطلق بها يعدو في طريق مكة كأنه يفرّ من مطارد .  
وفشلت سفارته .

.. وتحرك الجيش الزاحف ، إلى مكة ، وخرج أبو سفيان ليستطلع أمر هذا الجيش الزاحف وفي الطريق التقى بالعباس بن عبد المطلب فقال له :

« يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس .. واصباح قريش إذا دخل مكة عنوة »  
قال أبو سفيان : فما الحيلة فذاك أبي وأمي .. ؟

فأردفه العباس وراءه وسار به خلال المعسكر ماراً بعشرة آلاف أوقدوا نيرانهم لتلقي الرعب في قلوب المشركين .

فلما مرّ بنا عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — عرف أبا سفيان فأسرع إلى خيمة النبي ﷺ — ودخل عمر على رسول الله — فأخبره وقال : دعني أضرب عنقه . يعني أبا سفيان .

فقال العباس : يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم أخذت برأس رسول الله ﷺ وقلت :

« لا يناجيه اليوم أحد دوني » .

فلما أكثر فيه عمر : قلت : مهلاً يا عمر .

فقال رسول الله ﷺ — اذهب به فقد أمّناه — حتى تغدو علي به بالغداة .  
فرجعت به إلى منزلي . وغدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال :

(١) . سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٢ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٢ .

«ويحك يا أبا سفيان ألم بأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله..؟  
قال: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو كان مع الله غيره لقد أغنى غني  
شيئاً..؟؟»

فقال: ويحك ألم بأن لك أن تعلم أني رسول الله..؟؟  
فقال: بأبي أنت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء.  
قال العباس: فقلت له ويحك تشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك.  
قال: فتشهد وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء.  
فقال رسول الله ﷺ للعباس:

« اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود  
الله» (١)

فقلت: يا رسول الله — إن أبا سفيان رجل يحبّ الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في  
قومه.

فقال عليه السلام: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم  
ابن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.  
يقول العباس بن عبد المطلب — رضي الله عنه — فأخذت أبا سفيان وأجلسته  
عند خطم (٢) الجبل، فمرت عليه القبائل فيقول:

من هؤلاء..؟

فأقول: أسلم. فيقول: ما لي ولأسلم.

ويقول: من هؤلاء..؟

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢١ — ٢٢ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) خطم: قمة الجبل.

فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة .

حتى مر رسول الله ﷺ ، في كتيبه الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق .

فقال : مَنْ هؤلاء ؟

فقلت : هذا رسول الله ﷺ ، في المهاجرين والأنصار .

فقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً .

فقلت : ويحك إنها النبوة .

فقال : نعم إذن .

فقلت : الحق بقومك سريعاً فحذرهم <sup>(١)</sup> .

فسار حتى دخل مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به .

قالوا : فماذا ؟

قال : مَنْ دخل داري فهو آمن ، وَمَنْ دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ثم قال : يا معشر قريش أسلموا تسلموا .

وما كاد يفعل ذلك حتى أقبلت عليه زوجته هند بنت عتبة ، التي قتل أبوها وأخوها في غزوة بدر والتي استأجرت وحشياً لقتل حمزة ولاكت كبده ، هند هذه وقفت في وجه زوجها عندما دعا أهل قريش إلى الإسلام وقبضت على لحيته وقالت :

« يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق » <sup>(٢)</sup> .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٢٤ وفي رواية البداية : اقتلوا : الحميت الدسم ، الأحمس ، قبح من طليعة قوم .

فقال : أرسلني لحيتي ، وأقسم لئن أنت لم تُسلمي لتُضربن عنقك .. ثم قال : ادخلي بيتك !! فتركته (١) .

وشاء الله سبحانه وتعالى : أن يسلم أبو سفيان ويدعو قومه إلى الإسلام .  
وفتحت مكة ، وحطمت الأصنام في داخلها .

أسلم الرجل الذي وقف في وجه الدعوة فترة طويلة من الزمن .. أسلم والد معاوية كاتب الوحي لرسول الله ﷺ .

والذي ساهم مساهمة فعالة في نشر الاسلام في الأصقاع البعيدة .  
أسلم والد أم المؤمنين أم حبيبة .

أسلم والد يزيد بن أبي سفيان الذي كان يقال له : « يزيد الخير » والذي أعطاه الرسول ﷺ يوم حنين : مائة وأربعين أوقية وزنها له بلال . واستعمله أبو بكر الصديق وأوصاه وخرج يشيعه راجلاً .

وأسلمت زوجته هند بنت عتبة .. وكسرت كل صنم في بيتها وقالت : عند تكسيرها للأصنام : لقد كنا منكم في غرور .

وحضرت بيعة الرسول ﷺ للنساء متنكرة لصنيعها بحمزة . فقال لمن الرسول :  
« تبايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً .

قالت هند : إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسئوتيكه .  
قال : ولا تسرقن .

قالت : والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة فقال أبو سفيان — وكان حاضراً : أما ما مضى فأنت منه في حل .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٣ — ٢٤ .

فقال رسول الله ﷺ : أهند...؟

قالت : أنا هند فاعف عما سلف ، عفا الله عنك .

قال : ولا تزنين .

قالت : وهل تزني الحرة..؟

قال : ولا تقتلن أولادكن .

قالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم .

فضحك عمر .

قال : ولا تأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن .

قالت : والله إن إتيان البهتان لقيح ، ولبعض التجاوز أمثل .

ولا تعصيتي في معروف .

قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك .

فقال رسول الله ﷺ لعمر : بايعهن واستغفرهن رسول الله ﷺ وكان عليه السلام لا يمس النساء ولا يصفح امرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه<sup>(١)</sup> .

.. وسارت الحياة بأبي سفيان في رحاب الإسلام .. ولكن لم يسجل التاريخ له شيئاً إلا بعد وفاة الرسول ﷺ واجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين ولم يحضر علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — هذه

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٥ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٣ .

اليعة لانشغاله بغسل وتجهيز رسول الله ﷺ وتم اختيار الخليفة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه .

الرجل الذي أجاب دعوة الله .

وصدق الرسول — في اخباره بالإسراء والمعراج — وقال لمن أخبروه بذلك إن كان قاله : « فقد صدق » .

وثاني اثنين إذ هما في الغار .

هنا ظهر أبو سفيان وهو يقول : إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ ..

أين المستضعفان ؟ أين الأذلان علي والعباس ؟ .. ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ؟ .. ثم قال لعلي : ابسط يدك أبياعك ، فوالله لئن شئت لأملأها عليه خيلاً ورجلاً .

فأبى علي ، عليه السلام عليه ، فتمثل بشعر المتلمس :

ولس يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد  
هذا على الخسف معكوس برمته وذا يشح فلا يبكي له أحد

فزجره الإمام علي — رضي الله عنه — وقال : والله ما أردت بهذا إلا الفتنة لا حاجة لنا في نصيحتك<sup>(١)</sup> .

وفي معركة اليرموك أراد أن يكفر عما بدر منه لصالح الإسلام والمسلمين فقاتل قتال الأبطال حتى فقتت عينه .

قال سعيد بن المسيب — رضي الله عنه — عن أبيه قال :

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٦ .

«فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا رجل واحد يقول : يا نصر الله اقترب  
والمسلمون يقتتلون هم والروم : فذهبت أنظر فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد .  
ومات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان ، وصلى عليه ابنه معاوية  
ودفن بالبقيع ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة<sup>(١)</sup> .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ ص ١٦٨ .



## أسباب نزول الآيات

قال مقاتل والكلبي : نزلت في المطعمين يوم بدر ، وكانوا اثني عشر رجلاً : أبا جهل بن هشام ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ونبيه ومنبه ابنا حجاج ، وأبا البخثري بن هشام ، والنضر بن الحارث ، وحكيم بن حزام ، وأبي بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش ، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جوائز .

وقال سعيد بن جبير وابن أبيزى :

نزلت في أبي سفيان بن حرب ، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاب له من العرب ، وفيهم يقول كعب بن مالك :  
فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع  
ثلاثة آلاف ونحن نصيبة ثلاث مئين إن كثرتنا فأربع

وقال الحكم بن عتبة : أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من الذهب فنزلت فيه هذه الآية .

وقال محمد بن اسحاق عن رجاله :

« لما أصيبت قريش يوم بدر فرجع قُلُوبُهُمْ إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بغيرهم — مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيبت آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل

خياركم ، فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ، ففعلوا فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية (١) :

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ (٢) .

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٢٢٣ وراجع أيضاً تفسير البغوي والحازن ج ٣ ص ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٦ — ٣٧ .

## تذييل ...

.. عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته ، أنها قالت لرسول الله ﷺ :

« يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد..؟ »

فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد باليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

قال : فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال :

« يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك . وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشيين .

فقال له رسول الله ﷺ :

« بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »<sup>(١)</sup> .

فمن هؤلاء الذين كانوا يقفون في وجه الدعوة ويؤذون رسول الله ..؟

من هؤلاء الذين عذبوا المستضعفين في مكة عندما أعلنوا إسلامهم ..؟

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه في بدء الخلق ، والامام مسلم في صحيحه أيضاً في الجهاد رقم ١١١ .

من هؤلاء الذين أخرجوا رسول الله ﷺ ووقفوا أمام دعوته بالمرصاد..؟  
إن ذاكرة التاريخ تحفظ أسماءهم ولا تنساها.. تحفظ أسماء الذين ركبوا  
رؤوسهم ، وأغلقوا قلوبهم ، ووضعوا على عيونهم غشاوة فلم تر نور الحق ، ولم تبصر  
دلائل الهدى والايمان .

وعلى رأس هؤلاء أبو جهل ، الحكم بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن  
ربيعة ، والوليد بن عتبة ، أمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ، وسفيان بن  
حرب ..

.. لقد أبى رسول الله ﷺ أن يدعو على قومه أو أن يصيهم ما أصاب الأمم  
قبلهم عندما كذبوا رسلهم ، ولجوا في عصيانهم . وكفروا برهم .

وقد كان في مقدور الرسول ﷺ أن يقتدي ببعض الأنبياء قبله ، فيطلب من  
ربه مثل ما طلبوا .. ولكنه لم يفعل وقال كلمته الخالدة «عسى الله أن يخرج من  
أصلاهم من يعبد الله وحده» .

فهل تحقق ما قاله الرسول ﷺ ..؟ وهل خرج من أصلاهم من آمن بالله  
وصدق بمحمد نبياً ورسولاً..؟

إن التاريخ يحدثنا عن مجموعة من أبناء هؤلاء الرجال — الذين وقفوا في وجه  
الدعوة — بأنهم أسلموا وحسن إسلامهم — وكانوا للإسلام جنوداً وأبطالاً ،  
حملوا كلمة التوحيد إلى مشارق الأرض ومغاربها .

فهذا عكرمة بن أبي جهل — رضي الله عنه — .

قال له الرسول ﷺ — عندما أسلم : مرحباً بالراكب المهاجر .

فقال يا رسول الله : علمني خير شيء تعلمه حتى أقوله .

فقال له النبي ﷺ : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً  
عبده ورسوله .

فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي ، فاستغفر له رسول الله ﷺ فقال عكرمة :

« والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالاً قاتلته إلا قاتلت ضعفه ، وأشهدك يا رسول الله ثم اجتهد في العبادة حتى استشهد في معركة اليرموك . رحمه الله .

ومنهم خالد بن الوليد — رضي الله عنه — الذي قال الرسول ﷺ — لأصحابه — عندما أسلم خالد وصاحبه : رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها . وقال عنه أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . وكان سيفاً من سيوف الله على المشركين والكافرين ، ومن يقف في طريق الدعوة أو يصدّ عن سبيل الله .

.. وأبوسفيان هذا الذي كان يقود جيوش الكافرين لحرب الرسول ﷺ أكرمه الله بالاسلام وكان من أبنائه ..

يزيد بن أبي سفيان كان يقال له : يزيد الخير ، وشهد مع رسول الله ﷺ حيناً ، وأعطاه رسول الله من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية وزنها له بلال واستعمله أبو بكر الصديق وخرج يشيعه راجلاً .

وكان منهم معاوية بن أبي سفيان : كاتب الوحي لرسول الله ﷺ .

وصدق ما قاله الرسول ﷺ من دخول الناس أفواجا في دين الله .

فأين الطغاة المستبدون .. ؟

أين من وقفوا وصدوا .. ؟

أين الجبابرة الذين أقاموا نفوسهم آلهة في الأرض : يقربون من يرضون عنه ، ويعبدون من يسخطون عليه .. ؟

أين هم .. ؟ لقد ذهبوا جميعاً بعد أن حلّت بهم الهزيمة ، فقتلوا وشردوا ، وانتصر دين الله ، وارتفعت راية الحق عالية خفاقة تعلن قول الله تعالى :

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي  
الصالحون﴾ (١).

فهل يعتبر الطغاة في القرن العشرين..؟

الطغاة الذين يدمرون الأرض ويشردون الآمنين..؟

الأيديرك هؤلاء بأن جيوش الحق هي الغالبة مهما تطاول الباطل وأعلن عن قوته  
وجبروته..؟

أم تراهم في غيهم سادرون ، حتى يأذن الله بنصره فيصيبهم ما أصاب ثمود  
وعاد؟ قال تعالى :

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ (٢).

ألا إن نصر الله قريب ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥ .

(٢) سورة الحاقة آية رقم ٥-٦ .

عمّار بن ياسر  
رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا  
مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ  
بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾

سورة النحل آية ١٠٦



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض رجال التفسيرات نزلت في عمار بن ياسر  
قال ذلك الامام القرطبي ج ١٠ ص ١٨٠  
وقاله الامام الطبري ج ١٤ ص ١٢٢  
وقاله الامام ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٧  
وقاله الفخر الرازي ج ٥ ص ٣٥١  
والبغوي والحاظن ج ٤ ص ٩٥ — ٩٦  
والدر المنثور ج ٤ ص ٣٥٧  
وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن الامام الواحدي.

فمن هو عمار بن ياسر..؟

## عمّار بن ياسر رضي الله عنه

من صحابة رسول الله ﷺ ومن بايع بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم .  
﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ (١) ومن فرسان بدر  
الذين شاركهم في معركتهم هذه ملائكة مسومة ..

وعاز من قبل هذا :

من الأسرة التي تحملت الجزء الأكبر من تعذيب قريش للمستضعفين .  
فوالده ياسر بن عامر كان يمر عليه رسول الله ﷺ وهو ملقى على الرمضاء  
الملتته فيقول له :

« صبراً آل ياسر فوعدكم الجنة » (٢)

وأمه سمية أول شهيدة في الاسلام .

وأخوه عبد الله مات قتيلاً بيد بني الدليل في الجاهلية (٣) .

أما عن أوصافه ..

(١) سورة الفتح آية ١٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٧ .

فلقد كان رجلاً آدم طوالاً

يجلس كأنه واقف

ويسير كأنه راكب

وكان أشهل العينين، بعيد ما بين المنكبين، غزير الشعر، أبيض الفودين.  
كثير الصمت قليل الكلام، عائداً بالله من فتنة، سمع بدعوة الاسلام مبكراً.

ووصلت إلى مسامعه آيات القرآن يتلوها محمد في جوف الكعبة. فقرر أن يلتقي به، ليستمع كثيراً إليه. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟.. وقرئش كلها إلا من عصم الله عيون ترصد بيت ابن أبي الأرقم. وتحول بين أتباع محمد وبين الدخول فيه... وتذيقهم من العذاب ألواناً إذا جلسوا إليه واستمعوا إلى حديثه.. كل ذلك يعرفه عمار... ولكنه لم يستطع أن يقاوم — ولم يكن ذلك في مقدوره — إن أضواء القرآن تجذبه إلى محمد، وحلاوة الايمان تدفعه إليه فاندفع إلى دار بن أبي الأرقم.  
يقول عمار: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها، فقلت له: ما تريد؟...

قال لي: ما تريد أنت؟

فقلت أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه.

قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا فعرض علينا الاسلام، فأسلمنا، ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون<sup>(١)</sup>.  
وأسلم عمار وحسن إسلامه.

واتخذ مسجداً في بيته، يصلي فيه مع أهله وذويه بعد أن آمنوا بمحمد، وتابعوه في كل ما جاء به. وفي مسجده هذا كان يقرأ آيات القرآن، ويقرئها أهله وهو حريص على خفوت صوته، والاسرار بكلماته، وكان في بعض الأحيان يخرججه

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٤٧.

صدق القرآن وحلاوة كلماته عما أخذ نفسه به ، فيرتفع صوته ، مدوياً بالقرآن .  
وبجهاً به . وتسمعت قريش إلى صوت القرآن منبعثاً من دار عمار ... وتلصصت  
عيونهم فشاهدوا صلواتهم وخشوعهم . واقتحمت قريش عليهم دارهم ، وأخذت  
تصبّ عليهم العذاب صباً .

ولم تكتف بذلك بل كانت تخرج بهم إلى الصحراء ، وتجردهم من ملابسهم ،  
وتلتي بهم على الرضاء ، وتنقل بطونهم بالحجارة وتدمي أجسادهم بالسياط . وتضع  
فوق أطرافهم حمات النار . ليعودوا إلى عبادة الأصنام ويكفروا بدعوة محمد .  
وتلتي بهم على الرضاء ، وتنقل بطونهم بالحجارة وتدمي أجسادهم بالسياط . وتضع  
فوق أطرافهم جمرات النار . ليعودوا إلى عبادة الأصنام ويكفروا بدعوة محمد .  
قال عمرو بن ميمون :

أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار قال : فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ، ويمر  
يده على رأسه فيقول :

« يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار ، كما كنت على ابراهيم »<sup>(١)</sup> .

ويقول عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي تماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار  
وعمار وأمه وهم يعذبون ، فقال ياسر : الدهر هكذا .

فقال له النبي ﷺ : اصبر ، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت .

وفي رواية : أبشروا يا آل عمار فإن موعدكم الجنة<sup>(٢)</sup> .

ويستمرّ العذاب رهيباً متصلاً لا تكفّ قريش ولا تملّ ، ويدخل أبو جهل على  
سمية — أم عمار — يرفسها ويركلها ويقول : أحد أحد .

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

ويقوم كالثور الهائج ، كلما سمع منها هذه الكلمة ، يضربها ويدعوها أن تكف عنها ، ونسب محمدًا . ولكنها لا تستمع إليه ، ولا تجيبه إلى طلبه ، بل أخذت في ترديد كلمتها المحببة إليهم جميعاً .. أحد ، أحد ، أحد .

ولم يطق صبراً ، وتناول حربته ، وساعده شيطانه وآزره وطعنها في قلبها ، طغنة قاتلة ، فاستسلمت لقضاء ربها وقدره ، وفارقت روحها جسدها ، وسقطت أول شهيدة في الاسلام . سمية أم عمار<sup>(١)</sup> .

هل ترعوي قريش ، وتكف عما هي فيه ؟ ..

الحقيقة لقد زادها دم سمية إصراراً على الإثم ، واستمراراً على التنكيل بهؤلاء الذين يقولون : ربنا الله .

ويتألم الرسول ﷺ ولكنه لا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً . ويطالبهم بالهجرة إلى الحبشة ... وتتابع المؤمنون إلى هناك ، ووجدوا في جوار النجاشي الأمن والسكينة ، والراحة والاطمئنان التي مكنتهم من عبادة ربهم .

ولكن عماراً لم يستطع أن يهاجر وحاولوا بينه وبين ذلك وبقي في مكة ... هدفاً لحقدهم وغرضاً لكيدهم . ولكنه استطاع أن يفلت منهم ، وهاجر مع المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الثانية .

وفي رحاب ملك الحبشة ، استراح جسمه ، وهدأت روحه ولكن لم يستطع أن يبصر على فراق حبيبه محمد ﷺ .

وأشاعت قريش أنها تابعت محمدًا فيما يدعو إليه ، حتى يعود إليها هؤلاء الفارزون بدينهم ، والذين لم تشف غيظها منهم بعد .. وعاد عمار مع العائدين .. ولم يستمر بمكة طويلاً ، لقد أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، وهاجر إلى يثرب .. وعاش في المدينة يترقب وصول الرسول إليها . وكان يخرج كل يوم إلى مشارف المدينة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٦٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ .

يسأل الركبان وينتسم الأخبار ويرقب الطريق الطويل — طريق مكة — لعله يحظى  
بوصول ناقة الرسول إليها.

وفي يوم ليس كمثلته يوم خرجت يثرب رجالها وشبابها ونساؤها وأطفالها  
يستقبلون رسول الله وصاحبه ، وردد الوجود معهم نشيدهم العذب :

طلع البدر علينا	من ثننيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرف المدينة	مرحباً يا خير داع

وأحسن عمار أن الله أعطاه أكثر مما يريد ، وحقق له كل ما يتمنى ... لقد كان  
كافراً فهداه إلى الاسلام .

وكان مولى لبني مخزوم فأصبح مولاه الله .

وكان لا بيت له فخط له رسول الله بيتاً .

وكان وحيداً بلا رفيق فأخى الرسول بينه وبين حذيفة بن اليمان ..

ويكاد حذيفة يتفق مع عمار في كثير من الصفات والاتجاهات فعمار كما يقول  
الرسول ﷺ : ملئ علماً إلى مشاشه (١) .

وحذيفة حامل أسرار الرسول ﷺ ، والخبير بالمنافقين ، والعليم بأوصافهم  
وصفاتهم . وكلاهما يطيع الرسول ﷺ ولا يعصي له أمراً . فإذا كان عمار يصارع  
الردة والشياطين ، ليحقق ما طلبه منه رسول الله .

فإن حذيفة لبى أمر الرسول عندما طلب منه أن يتعرف على جيش الأعداء .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١١٢٧ والمشاش رأس العظم .

ومتى ... عند الهول الأكبر، ووسط الزلزلة الشديدة التي أصابت المسلمين في غزوة الخندق، حتى وصف القرآن ما أصاب المسلمين عند ذلك بقوله :

﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً ﴾<sup>(١)</sup>  
يقول حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ فقال :

« يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا »<sup>(٢)</sup>

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا يقر لهم قدر ولا نار ولا بناء .

فقام أبو سفيان فقال :

يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه .

قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت :

من أنت ؟ ..

قال : فلان بن فلان .

ثم قال أبو سفيان :

« يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل »<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الأحزاب آية رقم ١٠ - ١١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٥١ .

ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ، لقتلته بسهم :

ثم قال حذيفة :

فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه . فلما رأي أدخلني إلى رجله ، وطرح علي طرف المرط<sup>(١)</sup> ثم رجع وسجد ، فلما سلم أخبرته الخبر<sup>(٢)</sup> .

إنّ الغداية بأجمل معانيها تجلّت في أعمال حذيفة بن اليمان ..

الطاعة لأمر الرسول بلا تردد .

والاتجاه إلى الهدف بغير ضوضاء .

والتقوية على الأعداء وهو بين صفوفهم ، وتمكّنه من أن يقتل قائد الأحزاب ، ولكنه لم يؤمر بذلك وعودته إلى الرسول ﷺ بما يحب ويرضى ...

ومن هنا كان اختيار الرسول ﷺ له ليكون أخصاً ورفيقاً لعمار بن ياسر . وكان من الأعمال الجليلة التي ندب إليها رسول الله أصحابه في المدينة بناء المسجد .. وشاركهم في عملية البناء وأخذ يقول ﷺ :

« لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة<sup>(٣)</sup> ، فدخل عمار ابن ياسر وقد أثقلوه باللبن .

فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون عليّ ما لا يحملون ..

قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ : فرأيت رسول الله ﷺ ينفض فروته بيده وكان رجلاً جعداً وهو يقول :

(١) المرط : الكساء .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ .



ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية (١)  
لقد حدّد الرسول ﷺ قتلته عمار . إنهم ليسوا أصحابه على أي حال .. وليسوا  
هم الكفار والمشركين .. ولكن جماعة من المسلمين ، ولكنهم يتحرفون عن الجادة .  
إنهم — كما وصفهم — رسول الله ﷺ «الفئة الباغية» .

واتهى المسلمون من بناء المسجد ، وتم الأيام ويأتي رجال إلى رسول الله ﷺ  
ينعون إليه عمار .. ويخبرونه بوقوع حائط عليه ..

فيقول الرسول ﷺ :

« ما مات عمار »

« ابن سمية تقتله الفئة الباغية » (٢) .

صدق رسول الله ﷺ وكيف يكون غير ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣)

ويشهد عمار المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

كان فارساً قناصاً في غزوة بدر ، وحاجزاً صلباً يصدّ هجمات المشركين أن تصل  
إلى رسول الله ﷺ .. في غزوة أحد . وعاملاً في الخندق في غزوة الأحزاب . ومبادراً  
إلى مبايعة الرسول ﷺ تحت شجرة الرضوان . وحافظاً لكلمات الرسول ﷺ وداعياً  
لأعماله في حجة الوداع . وذارف الدموع الغزار عندما نعى أبو بكر الصديق رسول  
الله ﷺ إلى أتباعه وأحبابه ومن يومها أحب الرحيل .. وتمنى الهجرة إلى الله .  
وحرص على ذلك ، إنه يبغى الشهادة ويطلبها من ربه ، ولن يجيب الله رجاءه ..  
وتموج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول ﷺ بتيارات غريبة وادعاءات عجيبة ..  
ادعى النبوة الرجال والنساء ، وارتد جمع عن الاسلام ، وامتنعت فئة عن دفع  
الزكاة .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١١٤ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥١ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٣) سورة النجم آية رقم ٣ — ٤ .

وينهض أبو بكر بهذه الأعباء مجتمعة ، ويعدّ جيشاً للقضاء على هؤلاء الكذابين  
أدعياء النبوة .. وكانت معركة الإمامة ، إحدى المعارك الضارية التي خاضها  
المسلمون .

أين أنت يا عمّار بن ياسر؟ ..

أنتقد في مثل تلك الساعة؟ ..

لا إن هذا لا يكون؟ .

إنه هناك فوق الربوة العالية أمام باب الحديقة يحارب ويقا تل ، ويشجع  
وينادي .

عن ابن عمر قال :

رأيت عمار بن ياسر يوم الإمامة على صخرة وقد أشرف بصيح : يا معشر المسلمين  
أمن الجنة تفرون؟ ..

أنا عمار بن ياسر هلموا إلي .

وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقا تل أشد القتال (١) .

وتم النصر للمسلمين ، وعادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى رحاب الإيمان .  
وقبض الله أبا بكر إليه .

ثم جاءها عمر ، وأراد أن يقذف هؤلاء الرجال إلى أرض الفرس والروم لنشر  
دين الله ، والدعوة إلى عبادة الواحد الأحد .. واختار من أتباع محمد ﷺ رجالاً  
لقيادة الجيوش . واختار آخرين ليكونوا قرييين منه يرجع إلى رأيهم ويستأنس  
بمشورتهم ، ويشركهم معه في معضلات الأمور .

وأرسل نوعاً ثالثاً ولاة على الأقاليم وجباة أموال ، وصنفأ رابعاً للدعوة إلى دين

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ١١٤ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٥ .

ثم جاء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وهو المرقال وكان صاحب راية علي .  
وكان أعور .

فقال : يا هاشم أعوراً وجنباً .. ؟

لا خير في أعور لا يغشى البأس ، اركب يا هاشم فركب ومضى معه وهو  
يقول :

أعور يبغى أهله محلاً      قد عالج الحياة حتى ملا  
لا بد أن يفل أو يفلا .      يتلهمُ بذي الكعوب تلا (١)

وعار يقول : تقدم يا هاشم .

الجنة تحت ظلال السيوف .

والموت تحت أطراف الأسل .

وقد فتحت أبواب السماء وترينت الحور العين ، اليوم القي الأحبة محمداً  
وحزبه (٢) .

وتقدم حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له :

« يا عمرو بعث دينك بمصر تباً لك » (٣) .

فقال له : لا ولكن أطلب بدم عثمان .

قال : أنا أشهد على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله ،  
وأنت إن لم تقتل اليوم تمت غداً ، فانظر إذا أعطي الناس على قدر نياتهم ما نيتك ؟

لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ ، وهذه الرابعة ، ما هي

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ٣ - ٤ .

(٣) ابن الأثير ج ٣ ص ٢٠٩ .

بأبر وأتقى . لقد كشف عمار هذه الفئة الباغية التي فرقت أمر المسلمين . وعراهم من ثيابهم التي يستترون بها ، ويخدعون السذج من أتباعهم .

ليس ثار عثمان هو الذي خرج بهم .

وليس دمه الذي يطلبون .

وليس لله ولا للحق يشهرون السلاح في وجه رجل قال عنه الرسول ﷺ انه مني بمنزلة هارون من موسى .

ولكن القضية قضية الدنيا التي فتحت لهم .

قضية الأموال التي تجبى فتستعصي على العبد .

والقصور التي تشيد ويقام أمامها الحجاب .

قضية الحكم وشهوته ، والمملك وسطوته ، إنهم طلاب دنيا ، وليسوا طلاب

دين .

هل في مقدور هؤلاء الخارجين على أمر الجماعة أن يكذبوا عماراً؟

عمار الذي يستأذن على رسول الله ﷺ ، فعرف صوته فقال :

«مرحبا بالطيب المطيب ائذنوا له» (١) .

عمار الذي تقول فيه السيدة عائشة رضي الله عنها : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ : أشاء أن أقول فيه إلا قلت : الا عمار بن ياسر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«ملئ عمار إيماناً إلى اخمص قدميه» (٢) .

ويقول خالد بن الوليد : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أبغض عماراً أبغضه

الله تعالى .

قال خالد : فما زلت أحبه من يومئذ .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١١٣٨ .

(٢) الاستيعاب ج ٣ ص ١١٣٧ .

الله وتفقيه العباد ، وكان عمار ، من أولئك الرجال الذين وقع عليهم اختيار عمر ليكون أميراً على الكوفة .

وكتب كتاباً لأهلها قال لهم فيه :

« أما بعد ، فاني بعث اليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم ، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر ، فاسمعوا لها وأطيعوا واقتدوا بها<sup>(١)</sup> » وعاش عمار مع أهل الكوفة فترة ، يعمل فيهم بما يرضي الله وبما يحسن أن رسول الله ﷺ يرضى عنه .

لقد عاش أميراً زاهداً ، وحاكماً ورعاً ، ووالياً يحب رعيته ويرعاها ، ليس فيه فظاظة الحكام ، ولا امرة الأمراء . يخدم نفسه ويحبل متاعه .

يقول ابن أبي الهذيل : رأيت عمار بن ياسر اشترى قنأ بدرهم فربطه بحبل وحمله على ظهره ، وهو أمير الكوفة<sup>(٢)</sup> . ولكن هذه السيرة الحسنة لم ترض عنه أهل الكوفة واتهموه : بأنه غير كفء .

وغير عالم بالسياسة . ولا يدري على ما استعملته .

فغزله عمر ، وقال له : أساءك الغزل ؟

قال : ما سرنني حين استعملت ، ولقد ساءني حين عزلت .

فقال عمر : قد علمت ما أنت بصاحب عمل ، ولكنني تأولت<sup>(٣)</sup> ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾<sup>(٤)</sup> .

« قد علمت ما أنت بصاحب عمل » .

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن الأثير ج ٣ ص ٣١ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٥ .

(٤) سورة القصص آية رقم ٥ .

وهذا ليس مما يعيب عماراً ، انه صاحب عقل ذكي وفؤاد أبي هداه إلى الاسلام  
وملىء علمياً إلى أخصص قدميه . كما قال رسول الله ﷺ وفارس له القدح المعلى في  
ميدان القتال . وفي موقعة صفين خرج عمار بن ياسر على الناس فقال : اللهم انك  
تعلم أي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته .

اللهم إنك تعلم أي لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سني في بطني ثم أنخي  
عليها حتى تخرج من ظهري لفعلته .

واني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين :  
ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته .

والله إنني لأرى قوماً ليضربنكم ضرباً يرتاب منه المبطلون وإيم الله لو ضربونا حتى  
يبلغوا منا سعفات هُجر لعلمت أنا على الحق ، وأنهم على الباطل .

ثم قال : من يتبغي رضوان الله ربه ، ولا يرجع إلى مال ولا ولد؟ ..  
فأناه عصابة .

فقال : اقصدوا بنا هؤلاء القوم الذين يطلبون دم عثمان والله ما أرادوا الطلب  
بدمه ، ولكنهم ذاقوا الدنيا واستحبوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين  
ما يتمرغون فيه منها ولم يكن لديهم سابقة يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم ،  
فخذعوا أتباعهم .

وإنما قالوا : إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكاً ، فبلغوا ما ترون ،  
فلولا هذه ما تبعهم من الناس رجلاً .

اللهم إن تنصرتنا فطلما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا في  
عبادك العذاب الأليم . ثم مضى ومعه تلك العصابة ، فكان لا يمر بواد من أودية  
صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب النبي ﷺ (١) .

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٣٠٨ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٨ .

ثم نادى عمار يوم صفين: اتتوني بشرية لبن فإن رسول الله ﷺ قال لي: «إن  
آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن» (١).

فأتي بلبن فشربه.

ثم تقدم وهو يرتجز:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله  
أو يرجع الحق إلى سبيله (٢)

وتقدم فقاتل حتى قتل:

قتل عمار بن ياسر، الطيب المطيب، حبيب رسول الله ﷺ.  
«قتلته الفئة الباغية».

كما قال ذلك رسول الله ﷺ.

يروى عن هني مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

كنت أول شيء، مع معاوية على علي. فكان أصحاب معاوية يقولون: لا والله  
لا نقتل عماراً أبداً إن قتلناه فنحن كما يقولون. فلما كان يوم صفين ذهبت أنظر في  
القتلى فإذا عمار بن ياسر مقتول.

فقال هني فجئت إلى عمرو بن العاص وهو على سريرته فقلت:

«أبا عبد الله».

قال: ما تشاء؟

قلت: انظر أكلمك.

فقام إلي فقلت:

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ والبداية والنهاية ج ٨.

(٢) المصدر السابق.

عمار بن ياسر ما سمعت فيه؟..

فقال : قال رسول الله ﷺ : « تقتله الفئة الباغية ».

فقلت : هوذا والله مقتولاً .

فقال : هذا باطل .

فقلت : بصر به عيني مقتولاً .

قال : فانطلق فأرنيه ، فذهبت به فأوقفته عليه ، فساعة رآه امتقع لونه ، ثم اعرض في شق<sup>(١)</sup> ويختصم الرجلان اللذان قتلا عماراً كل منهما يدعي قتله .

فقال : عمرو بن العاص :

« والله إن يختصمان إلا في النار ».

فسمعها معاوية ، فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص : ما رأيت مثل ما صنعت ، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لها إنكما تختصمان في النار .

فقال عمرو : هو والله ذاك ، والله إنك لتعلمه ولوددت أني ميت قبل هذه بعشرين سنة<sup>(٢)</sup> .

وتدوي في سماء المعركة كلمات الرسول ﷺ وتخرق كل أذن وتستقر في كل قلب :

« ويحك ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية » .

وأخذ التمرد يدب في صفوف جيش معاوية . وأوشك أن ينضم كثير من قادة الكتابب بمن معهم إلى جيش علي ..

ويظهر معاوية على مسرح الأحداث ، ويردد ما قاله الرسول ﷺ ويقول : ما قاله الرسول حق وصدق .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق .



ولكن من الذي قتل عماراً؟ ..  
تكلّموا أيها الناس وأجيبوا أميركم ، ولكن أميرهم أعفاهم من الاجابة قائلاً :  
« إنما قتله الذين خرجوا به من داره ، وجاءوا به إلى القتال »<sup>(١)</sup> .  
وسارت عجلة الحياة تدب في طريقها المرسوم حيث يريد لها الله .  
أما عمار ، فقد حمّله « علي » كرم الله وجهه فوق صدره إلى حيث صلّى عليه  
والمسلمون معه . ثم دفنّه في ثيابه .  
لقد كانت الجنة في شوق إلى عمار كما حدث الرسول ﷺ .. وها هو ذا في  
الطريق إليها .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٥٩ .

## أسباب نزول الآيات

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال :  
أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ ، وذكر  
آلهتهم بخير ، فلما أتى النبي ﷺ قال :  
ما وراءك ؟ .

قال : شر يا رسول الله ، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير .

قال : : فكيف تجد قلبك ؟

قال : مطمئن بالآيمان .

قال : فإن عادوا فعد<sup>(١)</sup> .

فأنزل الله تعالى : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس رضي الله عنه :

نزلت في عمار بن ياسر ، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية ،  
وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم .

فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة وقيل لها انك أسلمت من  
أجل الرجال .

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٠٦ .

فقتلت وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الاسلام. وأما عمار، فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فأخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر. فقال: كلا ان عماراً ملئء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه.

فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي.  
فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول:  
«إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»<sup>(١)</sup>.  
فأنزل الله تعالى:

﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال: أول شهيدة في الاسلام أم عمار، قتلها أبو جهل، وأول شهيد من الرجال: مهجع مولى عمر.

وروي عنه أيضاً: أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله ﷺ، وأبو بكر وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار.

فأما رسول الله ﷺ فنعه أبو طالب. وأما أبو بكر، فنعه قومه، وأخذوا الآخرين فألبسوهم أدرع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس.

فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل، ومعه حربة فجعل يسبهم، ويوبخهم، وأتى سمية فجعل يسبها ويرفث، ثم طعن فرجها فقتلها رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>.

قال عمار: كلنا تكلم بالذي قالوا: لولا أن الله تداركنا — غير بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله. وروى ابن جرير الطبري بسنده عن قتادة قال:

(١) تفسير الامام الطبري عند هذه الآية ج ١٠ ص ١٨١.

(٢) تفسير الخازن ج ٣ ص ١٣٦.

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾  
قال : ذكر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر  
ميمون.

وقالوا : اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره<sup>(١)</sup>.  
فشكا ذلك الى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله :  
كيف تجد قلبك؟

قال : مطمئن بالإيمان<sup>(٢)</sup>.

فقال رسول الله ﷺ فإن عادوا فعد<sup>(٣)</sup>.

وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما  
خير عمار بين أمرين إلا اختار أَرشدهما »<sup>(٤)</sup>.

وروي من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال :

« اشتاقت الجنة إلى علي ، وعمار ، وسلمان ، وبلال رضي الله عنهم »<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري ج ١٤ ص ١٨١ .

(٢) المصدر السابق وابن الأثير ج ٢ ص ٦٧ .

(٣) الطبري ج ١٤ ص ١٨١ .

(٤) سنن الامام الترمذي .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١١٣٧ .

## تذييل

لقد كان عمار عائداً بالله من فتنه ..

فتنة تنزل بالمسلمين ، فتفرق وحدتهم ، بعد أن من الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة .. وهداهم إلى الاسلام دين الوحدة والاتحاد . وكان يجب أن يكون أمرهم جميعاً ، بعد أن فتح لهم الدنيا وأصبح الكثير من أهلها يدينون بما يدينون به من التوحيد والايمان .

وكان عمار يتمنى أن تبقى سيوف المسلمين مشرعة دائماً الى الخارج ، خارج الحدود الاسلامية لتعمل على نشر دين الله ، وتجاهد لرفع راية الله وتبقى هكذا عالية خفاقة . تنشر العدل وتحقق السلام .

فماذا جرى للمسلمين حتى رد سيوفهم إلى الداخل ؟ ..

أهو الطمع والحرص ؟ ..

أم الرغبة في الملك والسلطان ؟ ..

أم ان بعض النفوس لا زالت تسيطر عليها روح الجاهلية لأنها دخلت الإسلام رهبة لا رغبة .

إن الإنسان ليصاب بالغشيان ، ويلفه ما يشبه الدوار كلما تذكر أن عمر تطعنه يد آتمة .

وعثمان تقتله عصابة خارجة .

وعلي تحاك له الدسائس وتدبر له المكائد ، ويقتل غيلة وغدرأ .

والحسين ابن بنت الرسول ﷺ وأطفاله الصغار ونساؤه الضعاف بحال بينهم وبين شربة ماء..

ويقتلون شر قتلة لماذا؟..

هل ارتكب الحسين جريرة؟..

هل قاتل أحداً من الناس؟..

هل اغتصب ملكاً أو خلافة؟..

اللهم لا..

ولكنها الفتنة التي كان يستعيد منها عمار.

وكما استغل قيص عثمان ، في تفريق الكلمة ، وإشاعة الفتنة وتفريق الصف ..

استغل مقتل الحسين ، لهذا السبب ذاته ، ونستقرىء سويماً صفحات التاريخ ، فيأخذنا الهول والفرع . أهؤلاء هم الرجال ، أو أبناء الرجال ، الذين فروا بدينهم وهاجروا مع نبيهم ، وتركوا كل ما يملكون من حطام الدنيا ، بل ما هو أعلى من ذلك وأكبر . الأهل والولد ، والحبيب والصديق؟..

ما الذي غير تلك النفوس؟.. وبدل هذه الطباع؟. وطمس على تلك الافئدة؟. لقد حمل رأس الحسين — كما تقول الروايات — إلى قلعة الكوفة ، حيث يجلس عبيد الله بن زياد واليها الحديد من قبل الأمويين..

وكان هذا العمل الذي قام به جيش زياد ازاء قوم عزل عمل بطولي يفتخر به التاريخ . ولم تكذب دماء الحسين وأهل منزله .

حتى شاهدت الكوفة جيشاً لجباً<sup>(١)</sup> جمع صفوة مختارة من أبناء المسلمين ساروا خلف رجل راغب في الحكم وطامع فيه ، ينادون يا لثارات الحسين...

وحاصروا جيش عبيد الله بن زياد ، وتم القضاء عليه وقتل شر قتلة ، وحملت

(١) كثيفاً أو كثيراً.

رأسه إلى قلعة الكوفة، ووضعت أمام المختار الثقيفي، في نفس الموضع، الذي وضعت فيه من قبل رأس الحسين.

ماذا جرى يا أتباع محمد؟

إنها الفتنة التي كان يستعيد منها عمار.

ولم يستطع أن يحول بينها وبين انتشارها، حتى عشتت في كل نفس، وفرخت في كل قلب.. ولم يدم السلام طويلاً للمختار الثقيفي.

ولم يتحقق له أن ينعم بالحلم الجميل الذي راوده في يوم من الأيام، ولم يرع الله في أبناء المسلمين الذين قذف بهم في معركة خاسرة.

حيث يقتل الأخ أخاه، والوالد ابته، ولم يدر ما يفعل؟ إنها رياح الفتنة لا تبتغي ولا تذر.

لقد استيقظ المختار في يوم من الأيام على صوت يدوي وهيز أرجاء الكوفة هواً، إنه جيش مصعب بن الزبير الذي جاء يطالب بالبيعة لأخيه في مكة عبد الله بن الزبير.

والتحم الجيشان في معركة وحشية ضارية، لعب فيها بريق الدينار، وسحر الذهب دوراً كبيراً ودارت الدائرة على المختار وحزت رأسه، وهناك في قلعة الكوفة أيضاً كان يجلس مصعب ينتظر رأس المختار، ينتظرها في قلق حيناً وفي رعب حيناً آخر. وكان شيطاناً يتقمص هؤلاء الطامعين في الملك الراغبين فيه، فلا يستقم لهم قرار، ولا يهنا لهم بال، حتى يشاهدوا رأس الغريم أمامهم، ويتأكلوا منها ما موت صاحبها، وتركه هذه الديار.

وانفرجت أسارير مصعب، وأخذ ينكت الرأس أمامه بقضيب كانت في يده.

وكان في به أخذ يوزع بدراته<sup>(١)</sup> وذهبه، ويقرب فرسانه وجزاريه إلى مقعده، ويطلب من كاتبه أن يذف البشرية لأخيه في مكة.

(١) القود.

ولم تدم أيام الاستقرار طويلاً.

ولم يهدأ للمسلمين بال.

وكيف يكون ذلك ، والفتنة التي كان يستعيد منها عمار تطاردتهم ، وتسخر من أحلامهم .

وفي اللحظة التي تسلم فيها عبد الله بن الزبير خطاب أخيه مصعب . كانت جيوش جرارة بقيادة الحجاج الثقفي تحاصر الكعبة ، وتدنك بنيانها بالمنجنيق وضربت الكعبة .

وتساقطت الأحجار في فنائها .

شلت أيديكم يا أتباع الشيطان .

إن صاحب الفيل لم يستطع أن يفعل ما فعله هؤلاء الذين قادت قلوبهم من صخر ، فلا تنبض برحمة ونزع الله من أفئدتهم الايمان فلا تدل على خير .

وفي الوقت الذي تمكن فيه رجال الحجاج من قتل عبد الله بن الزبير ، وقطع أطرافه وتعليق جثته ، كان هناك على أرض الكوفة جيش يحاصر مصعباً ويبدد رجاله ، ويجندل فرسانه .

وفي هذه القلعة المشؤومة أيضاً وضعت رأس مصعب أمام عبد الملك بن مروان الذي أمر بتقض بنيانها وهدم أركانها ، يا أتباع محمد ، ان هذه الفتنة نقطة سوداء قاتمة في تاريخ هذه الأمة ، وما أجمل الا تكون ولكنها عظة وعبرة .

ودرس يجب أن يعيه الأبناء ليتعلموا منه .

« ان الفتنة لا تأتي بخير » .



سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ  
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي  
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ  
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا  
مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ  
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض رجال التفسير نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص .  
قال ذلك الامام الطبري في تفسيره ج ٢٠ ص ٨٥ .  
قاله الامام القرطبي ج ١٣ ص ٣٢٨ .  
والامام ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٠٥ .  
وتفسير البغوي والحازن ج ٥ ص ١٥٦ .  
وصاحب الدر المشور ج ٥ ص ١٤١ — ١٤٢ .  
وقاله الامام ابو الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه « أسباب نزول القرآن »  
ص ٣٥٦ .

فمن هو سعد بن أبي وقاص ؟

## سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

والده مالك بن أهيب من بني عبد مناف .  
وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية ، مات والده فعاشت لتربيته وأخيه وعاشا لها ،  
حتى جاء الاسلام فتفرقت بينهم السبل .  
وكان يريش النبل ويصنعه في الجاهلية ، فلما جاء الاسلام صار من أبرع الرماة  
وأقدر الفرسان .

كان سعد واضح السمات بين العالم ، يكنى أن تراه مرة فلا تغيب هيئته عن  
ذاكرتك .

فهو قصير القامة دحداحاً .

غليظاً متمكناً من الأرض إذا سار .

شثن الأصابع ، جعد الشعر .

هكذا كانت تصفه ابنته عائشة ، وتقول دخل أبي الاسلام مبكراً عن طريق أبي  
بكر الصديق رضي الله عنه . ويروي البخاري قوله : لقد مكثت سبعة أيام وإني  
لثلث الاسلام<sup>(١)</sup> .

وكان سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة .

(١) يراجع صحيح البخاري والاصابة ج ٢ ص ٣٢ ، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٩ .

تلك الفترة من العمر التي تعتبر أولى مراحل الشباب ، وتفتّح فيها القلوب لكل شيء تلتقي به ، لأنها صافية وخالية ، وتتكامل فيها شخصية الفرد ، وتنمو ملكاته .

ولقد تفتح قلب سعد للنور الجديد ، والهدى الجديد .

نلم يعرف إسفافات الجاهلية ، وتقاليدها . وهو القائد المحنك ، والفارس المحرب .

بطل القادسية ، ومدائن كسرى ، وفتح العراق ، وناشر على أرضه : اسم الله .

وأحد الستة الذين عينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخلافة والشورى ، وقال : وهو يلفظ أنفاسه : إن أصابته الإمرة فذاك ، وإلا فليستعن به الوالي<sup>(١)</sup> فلاني لم أعزله عن عجز أو خيانة<sup>(٢)</sup> . وهو من قبل هذا ومن بعده أيضاً خال الرسول ﷺ .

روى جابر بن عبد الله قال : أقبل علينا سعد فقال النبي : هذا خالي فليبرني امرؤ خاله<sup>(٣)</sup> .

وسعد أول من أراق دماً في الإسلام .

قال ابن اسحاق : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين ، وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم :

فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشججه ، فكان أول دم أهرق في الإسلام<sup>(٤)</sup> . ويتساءل الانسان ماذا كانت تصير اليه الأمور ؟ ..

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥ .

لو تركت قريش محمد وأصحابه يعبدون الله كما أمرهم ربهم ولا يتعرضون لهم بضرب أو استهزاء؟..

أكانت تم الهجرة؟..

أكان الله يقبض للإسلام في مكة أمثال رجال الأنصار؟.. إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً هياً له أسبابه.

وسعد أول من رمى بسهم في سبيل الله. عندما انضم إلى كتيبة عبيدة بن الحارث، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى رافع — مكان قرب مكة — ليلقي عبر قريش فتراموا بالنبل، وكان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله، وقال في ذلك:

ألا هل أتى رسول الله إني حميت صحابتي بصدور نبلي  
أذود بها أوائلهم ذياداً بكل حزونة وبكل سهل  
فما يعتد رام في عدو بسهم يا رسول الله قبلي  
وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وعدل<sup>(١)</sup>

وفي إحدى الليالي في يثرب أرق الرسول ﷺ فقال:

«ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني».

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فلم تمض لحظة واحدة إذ سمعنا صوت السلاح. فقال الرسول: من هذا؟..

قال: أنا سعد بن أبي وقاص، أنا أحرسك يا رسول الله. فدعا له رسول الله

ﷺ.

قالت السيدة عائشة: فنام رسول الله حتى سمعت غطيته<sup>(٢)</sup> إن سعداً يحرس رسول الله ﷺ. يحرس صاحب الرسالة.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٢ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٥.

(٢) المصدر السابق ورواه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة.

وعما قريب سيدعى لحراسة الأمة الاسلامية من أقوى قوة ضاربة عرفتها البشرية  
في ذلك الوقت. قوة الفرس ، التي كانت تتخذ من العرب ، حراساً وعمالاً وجنوداً  
وخفراء .. هنيئاً لك يا بطل القادسية .

وفي معركة بدر أبلى سعد بلاءً حسناً ودافع دفاع الراغبين في الشهادة الطالبيين  
لها .

يقول عبد الله بن مسعود : اشتركت أنا وسعد وعمار يوم بدر فما أصبنا من  
الغنيمة فجاء سعد بأسيرين ، ولم أجدني أنا وعمار بشيء .. ولقد رأيت وهو يقاتل قتال  
الفرس للراجل (١) .

وفي هذه الغزوة ، غزوة بدر ، استشهد أخوه عمير بن أبي وقاص . وحدثنا سعد  
عن أخيه قائلاً :

رأيت أخي عمير قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ للخروج الى بدر يتواري .  
فقلت : ما لك يا أخي ؟

فقال : اني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى فيردني وأنا أحب  
الخروج لعل الله يرزقني الشهادة .

قال سعد : فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال : « ارجع » .

فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة (٢) ايه يا  
أشبال الاسلام ، بكم عز الاسلام وانتصر وظفرتم بما كنتم تريدون .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٩ .

ان هؤلاء الفتيان ، كانوا يتسابقون إلى القتال . ويهنيء بعضهم البعض إذا أجازهم رسول الله ﷺ وضمهم الى الجيش المحارب .  
يتسابقون لا فخراً ولا خيلاء .  
ويتسابقون لا من أجل مال أو غنيمة .  
ولكن ليحظى أحدهم بالشهادة ، وينال هذه الأمانة الغالية .  
أين شبابنا الآن من نغير الجهاد؟ .

لقد خرب الاستعمار ذاتيته وقضى على روحه ، وجعله رخواً محتناً ، يبحث عن اللذة ويصارع الغواني ، يعيش ذاته فلا تمس ، ويصف شعره ، فلا تجرحه نسيمات الرياح .

يا حبذا لو كان للاسلام رجال؟ .

ان مدرسة الرسول ﷺ كانت تعقد جلساتها في رحاب المسجد عقب الصلوات يتحلق الرجال والشباب والفتيان حول معلمهم رسول الله ﷺ ، وفي يوم من الأيام والجمع حاشد والناس جلوس .

قال الرسول ﷺ :

« يدخل عليكم من ذا الباب رجل من أهل الجنة »<sup>(١)</sup> .

قال عبد الله بن عمر :

فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته .

فإذا سعد بن أبي وقاص قد طلع .

فلما قام رسول الله ﷺ قال عبد الله بن عمر بن العاص لسعد بن أبي وقاص :

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٧٤ .



اني غاضبت أبي ، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فان رأيت أن تأويني اليك حتى تنجل يميني فعلت .

قال أنس رضي الله عنه : فزعم عبد الله بن عمر أنه بات معه ليلة حتى إذا كان الفجر فلم يقم تلك الليلة شيئاً ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم الفجر . فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطراً<sup>(١)</sup> .

قال عبد الله بن عمرو :

فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد على ذلك ، غير أنني لا أسمعه يقول إلا خيراً . فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحترق عمله ، قلت :

انه لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك ثلاث مرات في ثلاثة مجالس .

« يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » .

فأطلعت أنت أولئك المرات الثلاث ، فأردت أن آوي اليك حتى أنظر ما عملك فأقتدي بك لأنال ما نلت ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ؟ ..

فقال : ما هو إلا الذي رأيت .

قال : فلما رأيت ذلك انصرفت فدعا بي حين وليت فقال :

« غير أنني لا أحمل في نفسي حقداً لأحد من المسلمين ، ولا أتوي له شراً ولا أقوله .

قلت : هذه التي بلغت بك وهي التي لا أطيع<sup>(٢)</sup> .

(١) المصدر السابق .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٤ .

بالحب الكبير الذي كان يملأ قلوب الرجال الأول وحبهم على بعضهم البعض  
فتحت لهم الدنيا ، وسلمتهم مقاليدها . ثم لما أصبح بأسهم بينهم شديداً صاروا هدفاً  
لكل طالب ، وبلادهم مطعماً لكل راغب .

الحب الذي امتلأ به قلب سعد هو الذي فتح الشام والعراق ، ونشر الإسلام في  
افريقيا والمغرب العربي كله ، والحقد الذي امتلأت به قلوب الأحفاد أضاع تلك  
البلاد .

فتحت بغداد للتتار بالحقد .

وضاعت الأندلس عندما أصبح أمراء المسلمين يتسابقون في النيل من زملائهم  
والتزلف للآخرين ..

وضاعت فلسطين ، عندما طمع أحد الولاة في توسيع رقعة ملكه على حساب  
العرب والمسلمين .

وهنا مفرق الطرق بين من تتلمذ بين يدي القرآن ..

ومن تلقى عن الاستعمار معارفه ، ومنهج حياته ..

أين أنت يا سعد؟ ..

انه قريب منا ومن أصحابه ومن حبيبه رسول الله ﷺ في غزوة أحد .

تلك الغزوة التي كانت محنة واختباراً لتلك الصفوة المؤمنة التي اختارها الله لنشر  
دينه . لقد أكره الرسول ﷺ على الخروج وكان رأيه البقاء في المدينة ، وعاد عبد  
الله بن أبي زعيم المنافقين بثلك الجيش من نصف الطريق .

وخالف الرماة أمر قائدهم وتركوا ظهور المسلمين مكشوفة من أجل الغنائم .  
واشتد الكرب على المسلمين .

واتسعت آمال الشرك فلم تعد ترضى بأقل من رأس الرسول ﷺ هنا تظهر

عبقرية سعد بن أبي وقاص وتظهر قوة إيمانه وصلابة جنانه في الدفاع عن رسوله .  
ووقف شامخاً كالجبل ، يدافع وينافح ويصد تلك الهجمات المخنونة الخاقدة .

ومن خلفه رسول الله ﷺ يناوله التبل ويشد من أزره ويقول له : « ارم سعد فذاك أبي وأمي »<sup>(١)</sup> .

يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك واني سمعته يقول  
له يوم أحد :

« ارم سعد فذاك أمي وأبي »<sup>(٢)</sup> .

وتقول عائشة ابنة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في موقف الامتنان  
والاعتراف بنعم الله :

« أنا بنت المهاجر الذي فداه رسول الله ﷺ بالأبوين .. أنا بنت سعد بن أبي  
وقاص »<sup>(٣)</sup> .

فذاك آباء المسلمين جميعاً وأمهاتهم يا سعد ، وهنيئاً لك الجنة التي بشرت بها  
من رسول الله ﷺ .

هل توقف عطاء سعد عند هذا الحد؟ ..

لا والله .

لقد شهد غزوة الخندق .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤١ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٥ .

وبايع تحت شجرة الرضوان.

واخترق حصن خيبر مع الامام علي كرم الله وجهه..

وحمل إحدى رايات المهاجرين الثلاث في فتح مكة وتم النصر والفوز، وحقق

الله وعده للمؤمنين..

﴿لندخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمينين مخلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾<sup>(١)</sup>.

إن الرجال الذين تعودوا على سهوات الخيل يضعفهم توقف الجهاد..

والرجال الذين بايعوا الله على البذل والفداء يمرض نفوسهم التوقف عن العناء..

وأتباع محمد كانوا دائماً في معركة أو على أهبة الدخول فيها..

وفي حجة الوداع افتقد رسول الله ﷺ سعد، فعلم ان المرض قد حجزه..

فذهب الرسول ﷺ يعود..

فقال سعد: يا رسول الله اني ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة أفاوصي بثلي مالي؟..

قال: لا.

قال: أفاوصي بنصفه؟.

قال: لا.

قال: أفاوصي بثلثه؟.

قال: الثلث والثلث كثير.

إن نفقتك من مالك صدقة، وإن نفقتك على عيالك، لك صدقة، وإن

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٧، ٢٨.

نفقتك على أهلك لك صدقة ، وإنك إن تدع أهلك بعيش ، أو قال بخير ، خير من أن تدعهم يتكفون الناس (١)

ثم قال : اللهم امضي لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله إن مات بمكة (٢)

تقول عائشة ابنة سعد :

ثم وضع رسول الله ﷺ يده على جبهته فمسح وجهه وصدرة وبطنه .  
وقال : اللهم اشف سعداً وأتم له هجرتة .

قال سعد : فما زلت يحبل إليّ أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة .  
وخلف رسول الله ﷺ على سعد رجلاً .  
فقال : إن مات سعد بمكة فلا تدفنه بها .

فقلت يا رسول الله ، أتكره أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها ؟  
قال : نعم .

ولكن سعداً لم يميت .. وعادت العافية بعودة الرسول إليه . ألم أقل لكم إن دوره ضخم وتبعاته جسام فلا بد من أداء رسالته كاملة قبل أن يذهب إلى ربه . ثم كانت حوادث جسام أهت الأمة الإسلامية وشغلت التاريخ عن سعد ..

لقد مات رسول الله ﷺ ...

وتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وكانت حروب الردة ومعارك الخارجين عن الصف وترهات المفرقين بين الصلاة والزكاة ثم جاء عمر لينقل هؤلاء الرجال .. إلى خارج الجزيرة العربية .. بعد أن أجمدت الفتنة وعاد الجميع إلى ساحة الاسلام .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٥ . وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٥ ورواه الإمام البخاري والإمام مسلم ومسنده الإمام أحمد .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٦ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٥ .

وعلى ربي الشام كانت صولات خالد، وإيمان أبي عبيدة ينشران الاسلام  
ويطويان الأرض طياً. وعلى مشارف العراق المثنى بن حارثة يجابه مئات الألوف  
الزاحفة الحرارة.. التي تريد أن تلتهم أبناء الصحراء حاملين معهم أقوى ما وصلت  
إليه البشرية في ذلك الوقت من أسلحة وأساليب حربية. ويستعينون في زحفهم هذا  
بأعتى الحيوانات ضراوة وقوة إنها الفيلة المدربة الفاتكة..

وجاء رسول المثنى إلى عمر يطلب مدداً ويحدثه عن أحوال جنود المسلمين على  
مشارف العراق.

قال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب<sup>(١)</sup>.  
وقرر أمراً.

ودعا الناس للجهاد فلما اجتمعوا إليه، خرج بهم من المدينة حتى نزل على ماء  
يدعى ضراراً.

فسأله عثمان بن عفان رضي الله عنه عن وجهته، فقال له: أريد المسير إلى  
العراق. ووافقته العامة على ذلك وقالوا:  
سر وسر بنا معك.

ولكن عبد الرحمن بن عوف عارض أن يذهب أمير المؤمنين بنفسه إلى العراق.  
وقال له: ابعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وترميه بالجنود. فإن كان الذي  
تشتهي فهو الفتح وإلا أعدته وبعثت آخر، وكان ذلك غيضاً للعدو.  
عندها قال عمر: ومن هذا الرجل؟

واجتمع مجلس الشورى لاختيار من يقدر على هذه المهمة الشاقة التي تعترض  
سبيل المسلمين. وما لبث أن هتف عبد الرحمن بن عوف:  
يا أمير المؤمنين لقد وجدته.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٤٥١.

قال عمر: من هو؟

قال عبد الرحمن هو الأسد عاديا: سعد بن مالك يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>  
أين سعد في ذلك الوقت؟  
لقد كان على صدقات نجد.

وجهاز له عمر جيشاً من ستة آلاف مقاتل، فيه الكثير من صحابة رسول الله  
ﷺ ومن البدرين الذين حضروا موقعة بدر.

وخرج عمر بن الخطاب يودع جيش الفتح وانتحي جانباً بقائده وقال له:  
لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ.

وصاحب رسول الله ﷺ فإن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء  
بالحسن.

وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس في ذات الله سواء، الله ربهم  
وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي  
رأيت رسول الله ﷺ، يلزمه فالزمه<sup>(٢)</sup>.

ووضع عمر بتلك الوصية القواعد والأسس التي ينبغي لقادة المسلمين أن يسيروا  
عليها في كل عصر ومصر.

فقرابة الأفراد لا تغني فتياً من الله ما لم يكن معها الجد والايمن  
ويهزم الأعداء بمقدار ابتعادهم عن هدى الله.  
ويتنصر المسلمون بمقدار نصرهم واتباعهم لأمر الله.  
فالسيء والقبيح لا يمحوه سيء مثله.  
ولكن يمحي بالحسن من الأفعال.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٣٥ والكمال في التاريخ لابن الأثير ص ٤٥١ ج ٢.

وليس بين الناس شريف أو وضيع ولكن الكلّ عباد الله وخلقه وأقربهم إليه ،  
أقربهم لدينه .

ثم وضع له في النهاية قاعدة القواعد ، وهي اتباع نهج الرسول وخطه في  
ساحات القتال ، وفي رحاب السلم . وسار سعد بجيشه بحثاً خطاه إلى هناك .

وفي ريف العراق أخذ سعد يعبئ جنوده ويؤمر الأمراء .. حتى وقف على  
مشارف القادسية ، وعلم رستم بوصول الأسد في برثينه سعد بن أبي وقاص فزحف  
إليه بجيشه ومعداته وأفياله وعيونه .

ولما كان قريباً منه ، أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا .

إن اختيار رجل لهذه المهمة مهمة السفارة في وقت الحرب لا يقلّ عن الحرب  
نفسها ، بل في بعض الأحيان يتوقف عليه سير المعركة .

وتلفت سعد حوله يبحث عن هذا الذي يقوم بهذه السفارة .

ولم يكن بعيداً عنه إنه ربيعي بن عامر ، أحد رجاله الأبطال .

واعلم رستم بجيشه فأظهر زيتته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط  
والنمارق .

وأقبل ربيعي على فرسه وسيفه في خرقه ، ورمحه مشدود بعصب وقد .

فلما انتهى إلى البسط قيل له : انزل .

فحمل فرسه عليها ونزل ، وربطها بوسادتين شقها وأدخل الحبل فيها ، فقالوا :  
ضع سلاحك .

فقال : لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أتم دعوتكموني فاخبروا رستم .

فقال : ائذنوا له <sup>(١)</sup> .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٤٦٣ .



فأقبل يتوكأ على رمحته ويقارب خطوه ، فلم يدع لهم غرقاً ولا بساطاً إلا أفسده  
وهتكه .

فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحته على البسط .

فقيل له : ما حملك على هذا؟<sup>(١)</sup>

قال : إنا لا نستحب القعود على زينتكم ؟

فقال له الترجبان : ما جاء بكم ؟

قال : الله جاء بنا ، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى  
سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه ، فمن قبله قبلنا  
منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو  
الظفر .

فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟

قال : نعم ، وإن مما سنّ لنا رسول الله ﷺ ، ألا نمكّن الأعداء أكثر من  
ثلاث ، فنحن مرتدون عنكم ثلاثاً .

فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل إما الإسلام وندعك  
وأرضك أو الجزية فنقبل ونكفّ عنك ، وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة في  
اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا ، وأنا كفيّل بذلك عن أصحابي .

قال : أسيدهم أنت ؟

قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على  
أعلاهم<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٤٦٣ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

هل رأيتم كلاماً قط أعزّ، وأوضح من كلام هذا الرجل؟  
هكذا قال رسّم لأتباعه.

مرحى يا بطل القادسية، ما أقدرك على اختيار رجالك.  
من علم أبناء الصحراء هذه الحرب النفسية التي تفت في عضد الأعداء؟  
من أدب أبناء الصحراء بهذا الأدب الجمّ، الأدب مع الله؟  
الأدب الذي يجعل ربي يقول: الله جاء بنا.  
لم تكن الغارة على تلك البلاد من أنفسهم، ولم يكن التوغل في أرض الله رغبة  
عند حكامهم. ولكن الأمر هو أمر الله.  
إنهم يدعون إلى دين جديد: دين الإسلام والسلام فليس فيه قهر لأحد لكي  
يعتقه.

ولا مذلة لإنسان ليدخل في رحابه.

ولكن كما يقول ربي:

لنخرج من شاء من عباده.

يشاء هو ويريد هو.

لا كما يشاء غيره ويريد.

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١).

﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (٢).

فهم حرب على هؤلاء الطغاة والجبارين الذين يقفون في وجه أتباعهم ويحولون  
بينهم وبين اعتناق هذا الدين. فإذا دخل الناس في دين الله:

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

فلا حرب ولا قتال ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم .  
فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد : أن ابعث إلينا ذلك الرجل . فبعث  
إليهم حذيفة بن محض ، فأقبل في نحو من ذلك ، ولم ينزل عن فرسه ، ووقف على  
رستم راكباً .

الرسالة : انزل .

ان : لا أفعل .

فقال له : ما جاء بك ولم يجئ الأول؟

قال له : إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء وهذه نوبتي .

فقال : ما جاء بكم؟

فأجابه مثل الأول .

فقال رستم : أو المواعدة إلى يوم ما؟

قال : نعم ، ثلاثاً من أمس ، فردّه وأقبل على أصحابه .

وقال : ويحكم أما ترون ما أرى؟

جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا ،

وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا<sup>(١)</sup> .

ألم أقل لكم بأنها لم تكن سفارات بين جيشين .

ولم يكن تفاوضاً في أمر الحرب أو السلام .

ولكنها كانت حرباً حقيقية يرسل سعد كل يوم جيشاً في صورة رجل ، فيحطم

معنويات هؤلاء القادة ثم يعود من حيث أتى .

وهكذا يجب أن تكون القيادة . يدخر رجاله بعد أن يستولي على قلاع المقاومة

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠ .

في داخل النفس ، وهذا أخطر أنواع القلاع ، فإن استسلمت كان عمل الجيش بعد ذلك تطهير الأرض من هذا التجمع والركام ، وهذا ما فعله سعد .

فلما كان الغد قال رستم ابعثوا إلينا رجلاً . فبعث المغيرة بن شعبة ، فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وسار المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره .

فوثبوا عليه وأنزلوه .

فقال : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوماً أسفه منكم ، إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذي صنعتم أن تحبروني أن بعضكم أرباب بعض : فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد ، وإني لم آتكم ولكن دعوتموني ، اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وإن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا هذه العقول<sup>(١)</sup> .

أرايتم ماذا فعل هذا الجيش الثالث؟

لقد كانت له خطة محكمة ، إذا كانت مهمة السفير الأول ربيعي بن عامر .  
والثاني حذيفة بن محض :

هي تحطيم المقاومة الداخلية عند هؤلاء وشحنهم نفسانياً بأنهم لا قبل لهم بهؤلاء الرجال فإن مهمة المغيرة ، كانت هي إيجاد شرخ في صفوف هؤلاء الرجال .

إنهم سادة وعبيد .

وقادة ومقودين .

فهم يستعبدون بعضهم البعض ، ويستذلون الضعفاء ولا يعطونهم إلا الفتات ..  
إنه يقول لهؤلاء الجنود :

ثوروا على هؤلاء الذين يجرمونكم من حق الحياة .

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٤٦٤ .

ثوروا على هؤلاء الذين يستعيدونكم بالباطل.

حطموا هؤلاء الجلادين.

إن ديننا لا يسمح بهذه الفرقة والتفاضل.

إننا لم نأت لمغنم أو طمع في عرض من أعراض الحياة وإنما جئنا لكم أتم.

لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

ومن ضيق الدنيا إلى سعتها.

ومن جور الحكام إلى ساحة الإسلام.

وتحقيق ما أرادته المغيرة.

حتى قال بعض الجنود: صدق والله العربي.

وقال الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا يتزعون إليه.

قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة<sup>(١)</sup>.

وعاد المغيرة إلى سعد وقال له:

«إنها الحرب».

ووقف الأسد في برائته سعد بن أبي وقاص في جنوده وقال:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾<sup>(٢)</sup>.

وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا على أعدائهم بعد أن أمرهم أن يقولوا:

لا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٣)</sup>.

وأوشكت القبيلة أن تعمل عملها في صفوف المسلمين ولكن القيادة المؤمنة

أبطلت سطوة هذا السلاح الحديد الذي لم تعرفه العرب من قبل.

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٥.

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٣.

ونادى القعقاع في أبناء عمومته ماذا نفعل يا أتباع محمد؟  
وكان الأمر كان معداً.. فلم تمض لحظات حتى خرجت الابل مجللة مبرقة  
وعليها فرسان ملثمون يحملون هباً ومشاعل يحيط بها رجال أقوياء.  
ورأت القبيلة هذا الهول المرعب ففرّت هاربة تحطّم صفوف الفرس ، وتوجد  
الحلل بين تشكيلاتهم ، وتبعهم فرسان المسلمين.

وفي الجانب الآخر صوت يقود المعركة ويوجه سيرها ويشعل الحمية في قلوب  
رجالها إنه صوت سعد الذي كان يملأ سماء المعركة دويّاً وقوة.  
تقدّم يا قعقاع..

إلزم الميمنة يا ابن عامر.

حطم تلك الكراديس يا مغيرة..

يا أصحاب محمد.

يا أهل بدر يا رجال موقعة اليمامة تقدموا فالله معكم وناصركم.

ورفع سعد بن أبي وقاص أكفّ الضراعة إلى ربه.

يا رب اللهم نصرك الذي وعدت.

اللهم امنحنا أكتافهم ، وهبنا النصر من عندك. وتقدّم الرجال ، رجال بدر  
والقادسية يزيلون هذا الركام المتعفن ، ويظهرون الأرض من عبدة النار.  
ومن أرجاس الوثنية.

وارتفع صوت يهزّ الكون بكلمة الله أكبر الله أكبر. إن هذا الصوت يعرفه سعد.

إنه صوت هلال بن علقمة.

وانداح في أرجاء المعركة ليبشّر أتباع محمد بقتل «رستم» قائد معركة الفرس  
واعتنى فوق سريره قائلاً:

«قتلت رستم ورب الكعبة»

فتحلّقوا حوله ، وكبروا ، وانتهت المعركة ، وتحققت دعوة سعد ونصر الله عباده المؤمنين .

هل استراح عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعد أن جيش الجيوش لسعد؟

هل أغمض له جفن؟

هل هدأ له بال؟

هل استقرّ له فؤاد؟

إن أوثق المصادر التاريخية تروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخرج كل يوم إلى خارج المدينة يسأل الركبان والتجار من حين يصبح عن أهل القادسية عن سير المعركة . عن الروح العامة التي تسيطر على المسلمين في تلك المنطقة النائية البعيدة ، والتي جمع أهلها كل ما عرفه العقل البشري في ذلك الوقت من أسلحة وعتاد ويستمرّ عمر في ذلك حتى يتنصف النهار ثم يرجع إلى أهله ومترله حتى كان يوم والتقى بالبشير وسأله من أين؟

فأخبره البشير عن الوجهة التي أتى منها .

قال عمر : يا عبد الله ، حدثني؟

قال البشير : هزم الله المشركين .

قال ذلك ، وعمر يحبّ خلفه يسأله ، والآخر يسير بناقته مسرعاً إلى دار الإمارة ، حتى دخل المدينة ، وإذا الناس يسلمون على عمر بقولهم « أمير المؤمنين » .

قال البشير :

« هلا أخبرتني ، رحمك الله ، أنك أمير المؤمنين » .

فقال عمر : لا بأس عليك يا أخي .

رحمك الله يا عمر ، ورضي عنك .

ورحمك الله يا سعد بمقدار ما حققت من فوز ونصر .

وفي موقعة « المدائن » أبلى سعد بلاء عظيماً .

وكانت موقعة المدائن ، بعد موقعة القادسية بقرابة عامين جرت خلالها مناوشات مستمرة بين الفرس والمسلمين حتى تجمعت كل فلول الجيش الفارسي وبقاياها في المدائن نفسها متأهبة لموقف أخير وفاصل .

وأدرك سعد أن الوقت يكون بجانب أعدائه ، فقرر أن يسلبهم هذه المزية ، ولكن أتى له ذلك ، وبينه وبين المدائن نهر دجلة في موسم فيضانه وجيشانه؟ هنا موقف يثبت فيه «سعد» أمره إلى الجيش بعبور دجلة وأمر بالبحث عن مخاضة في النهر تمكن من هذا العبور .

وقبل أن يبدأ الجيش عملية العبور فطن القائد سعد إلى وجوب تأمين مكان الوصول على الضفة الأخرى التي يربط العدو حولها .

وعندئذ جهز كتيبتين الأولى «كتيبة» الأهوال . وأمر سعد عليها عاصم بن عمرو . والثانية «الكتيبة» الحزباء أمر عليها قعقاع بن عمرو . وكان على جنود هاتين الكتيبتين أن يخوضوا الأهوال لكي يفسحوا على الضفة الأخرى مكاناً آمناً للجيش العابر على أثرهم . ولقد أدوا عملهم بمهارة مذهلة ، ونجحت خطة سعد يومئذ نجاحاً يذهل له المؤرخون .

وأذهل سعد بن أبي وقاص نفسه وصاحبه ورفيقه في المعركة سلمان الفارسي الذي أخذ يضرب كفاً بكف ويقول :  
ان الاسلام جديد .

ذلت والله لهم البحار كما ذلل لهم البرّ ، والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً<sup>(١)</sup> .

يقول ابن كثير في كتابه البداية والنهاية :

«أمر سعد المسلمين أن يقولوا حسينا الله ونعم الوكيل ، ثم اقتحم بفرسه دجلة ،

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٥١٢ .



واقترح الناس وراءه ، لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملأوا ما بين الجانين ، ولم يعد وجه الماء يرى من أفواج الفرسان والمشاة ، وجعل الناس يتحدثون وهم يسرون على وجه الماء ، وكأنهم يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك بسبب ما شعروا به من الطمأنينة والأمن والثوق بأمر الله ونصره ، ووعدته وتأيدته<sup>(١)</sup> ونزل سعد القصر الأبيض ، واتخذ ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيه .

ولما دخل سعد الايوان ، قرأ :

﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينها<sup>(٣)</sup> . وقسم سعد الغنيمة بين الجنود ، وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف ، وتسعة من الدواب .

وبعث سعد بالاحماس إلى عمر :

فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فوالله إن هذا لموطن شكر .

فقال عمر : والله ما ذلك يبكيك ، وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا

وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بأسهم بينهم<sup>(٤)</sup> .

ولقد تحقق والله ما قاله عمر ، وما قاله رسول الله ﷺ من قبله .

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٦ .

(٢) سورة الدخان آية رقم ٢٦ .

(٣) ابن الأثير ج ٢ ص ٥١٤ .

(٤) ابن الأثير ج ٢ ص ٥٢٢ .

فبدأ الحرص على الدنيا يظهر بين بعض الرجال ، والتكالب على مطامعها الفانية  
يحرك السيوف بين أيديهم لا خارج الحدود هذه المرة ، ولكن داخل الصف المسلم  
نفسه .

ثم يرسل سعد إلى عمر بن الخطاب وفداً من جنوده يستشيريه في فتح تكريت  
والموصل .

فلما رآهم عمر ، شاهد رقة بطونهم وجفاف أعضادهم وتغير ألوانهم .

فكتب إلى سعد : أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم ؟

فكتب إليه : ان الذي غيرهم وخومة البلاد ، وإن العرب لا يوافقها إلا ما وافق  
إيلها من البلدان <sup>(١)</sup> .

فكتب إليه عمر : أن ابعث سامان وحديفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس  
بيني وبينكم فيه بحر ولا جمر .

وتم اختيار الكوفة وخططها سعد ووضع حجر أساسها وقال وهو يضع الحجر :  
اللهم اجعلها عصمة للمسلمين من عدوهم .

فما استطاع عدو خارجي أن يدخل هذه القلعة أو تطأ أقدامه أرض العراق إلا  
بعد أن هدمت وصارت أثراً بعد عين في عهد عبد الملك بن مروان ، وبلغ عمر بن  
الخطاب أن سعد بنى قصرأ له ، وأن الناس يسمونه قصر سعد .

فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأمره أن يخرق باب القصر ثم يرجع . وكتب  
إليه :

« بلغني أنك اتخذت قصرأ جعلته حصناً ويسمى قصر سعد بينك وبين الناس  
باب ، فليس بقصرك ولكنه قصر الخيال ، انزل منه منزلاً مما يلي بيوت الأموال  
وأغلقه ولا تجعل على بيتك باباً يمنع الناس من الدخول » <sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق ص ٥٢٧ ج ٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٣٠ ج ٢ .

إن ما فعله سعد وجنوده فوق أرض العراق يشبه الأساطير.  
لقد كانوا جنوداً لله ودعاة في سبيله — هذا حق ولكن هذا كله لا يميز  
لسعد — في رأي الاسلام ورأي عمر، أن يتخذ قصرأ.  
ولم يتخذ كل جندي من الجنود أمثال هذا القصر. وإذا جاز هذا لحكام الفرس  
والروم أن يفعلوا ذلك فلا يحق هذا الفعل لأصحاب الرسالات.  
ولا يجوز لهم أن يقيموا الأبواب والأسوار بينهم وبين الرعية، أو يوقفوا  
الحجاب، لحجب الناس عنهم. إن يوسف الصديق كان على خزائن مصر وخيراتها،  
ولكنه ما ملأ بطنه قط.

وعندما سئل في ذلك، قال كلمته المشهورة: أخشى أن أشيع فأنسى الجائع.  
«انزل يا سعد من هذا القصر واغلقه ولا تجعل على بيتك باباً يمنع الناس من  
دخوله».

سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين.

ولكن الشكوى تزداد من سعد، ويتهمون في دينه وبأنه لا يحسن الصلاة.  
ويبعث عمر إلى الكوفة يسأل عنه.

فجعل الوفد الذي أرسله عمر لا يسألون أهل مسجد إلا أثنا خيراً حتى مروا  
بمسجد لبي عيسى، فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة قال:

إن سعداً كان لا يسير في السرية، ولا يقسم بالسوية،

ولا يعدل في الرعية القضية<sup>(١)</sup>.

فبلغ سعداً فقال:

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٦.

« اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعته فأطّل عمره ، وأدم فقره ، وأعم بصره ، وعرضه للفتن » (١) وتم عزل سعد .

وكان سعد مستجاب الدعوة .

ويروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يدعو لسعد فقال :

اللهم سدد سهمه ، وأجب دعوته ، وحيّه إلى عبادك (٢) .

ويروى أن سعداً قال : يا رسول الله ادع الله أن يجيب دعوتي .

فقال : إنه لا يستجيب الله دعوة عبد حتى يطيب مطعمه .

وفي رواية :

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة (٣) .

وكان الصحابة جميعاً يعرفون ذلك عن سعد : وأنه إذا رمى عدواً أصابه ..

وإذا طلب من ربه أجابه .

وفي يوم من الأيام خرجت جارية لسعد وعليها قميص جديد فكشفها الريح فشدّ عليها عمر بالدرّة .

وجاء سعد ليمنعه فتناوله عمر بالدرّة .

فذهب سعد يدعو على عمر ، فناوله الدرّة وقال « اقتنص مني يا سعد » .

فغفا عن عمر .

ويقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١) المصدر السابق .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٦ ، والأصابة في تميز الصحابة ج ٢ ص ٣٢ .

ويأتي عثمان ويعرض عليه تولية الكوفة، فيأبى ويقول: ما كنت أتولى أمر قوم يقولون عني بأني لا أحسن الصلاة.

ويقتل عثمان، وتشتعل الفتنة بين المسلمين ويعترها سعد.

ويتقدم إليه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يقول له: يا عم ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر.

فقال: أريد من مائة ألف سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع<sup>(١)</sup>.

ويدخل سعد على معاوية فقال له:

ما لك لم تقا تل معنا؟

فقال سعد: إني مرت بي ربح مظلمة فقلت: أخ أخ فأنحت راحتي حتى انجلت عني ثم عرفت الطريق فسرت<sup>(٢)</sup>.

فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ أخ، لكن قال الله تعالى:

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾<sup>(٣)</sup>.

فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة على الباغية.

فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي.

فقال معاوية من سمع هذا معك؟

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٧٧.

(٣) سورة الحجرات آية رقم ٩.

فقال : فلان وفلان وأم سلمة .

وفي رواية ان معاوية قال له : ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟

فقال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ ؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لعلي وخلفه في بعض مغازيه .

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» .

وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .

قال : فتناولت لها .

قال ادعوا لي علياً فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه (١)

ولما نزلت هذه الآية :

﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ (٢)

دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال : «اللهم هؤلاء أهلي» (٣)

فقال معاوية : أما اني لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت علياً .

وفي رواية ثالثة ان هذا كان بينها في المدينة في حجة حجها معاوية وانها قاما إلى أم سلمة فسألاها فحدثتها بما حدث به سعد (٤)

(١) شيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٦ .

(٢) آل عمران آية رقم ٦١ .

(٣) يراجع تفسير ابن كثير في قوله تعالى : ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ .

(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٧٧ .

فقال معاوية : لو سمعت هذا قبل اليوم لكنت خادماً لعلي حتى يموت أو أموت .  
رحم الله الجميع رحمة واسعة .  
ويبلغ الكتاب أجله ، ويفارق سعد هذه الدنيا إلى أصحابه ، وأحبابه في مقعد  
صدق عند ملك مقتدر .

عن عائشة رضي الله عنها أنه لما توفي سعد بن أبي وقاص . أرسل أزواج النبي  
ﷺ أن يمرّوا بجنائزه في المسجد ففعلوا ، فوقف به علي حجرهن فصلين عليه ،  
وخرج به من باب الجنائز الذي كان إلى المقابر .  
فبلغهن أن الناس عابوا ذلك .

وقالوا : ما كانت الجنائز يدخل بها المسجد ، فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها .  
فقالت : ما أسرع الناس أن يعيبوا ما لا علم لهم به ، عابوا علينا أن تمرّ بجنائزنا في  
المسجد وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد (١) .  
وكان ذلك كما ذكر الواقدي سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وسبعين  
سنة (٢) .

يا سعد هنيئاً لك جنة ربك .  
وهنيئاً لك قربك من حبيبك رسول الله ﷺ .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٢ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٨ والاستيعاب ج ٢ ص ٦١ .

## أسباب نزول الآيات

قال المفسرون<sup>(١)</sup> نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمزة : يا سعد بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظنني سقف بيت من الضخ<sup>(٢)</sup> والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه وكان أحب ولدها إياها فأبى سعد .

وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ، ولم تستظل بظل حتى خشي عليها ، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك اليه فأنزل الله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسناً ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾<sup>(٤)</sup> .

﴿ ووصينا الانسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً مرضاه ، وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٨٥ . والقرطبي ج ١٣ ص ٣٢ وابن كثير ج ٣ ص ٤٠٥ .

(٢) الضخ : الشمس .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٨ .

(٤) سورة لقمان آية ١٤ .

(٥) سورة الاحقاف آية ١٥ .



وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه قال :

نزلت هذه الآية في<sup>(١)</sup>

قال : حلفت أم سعد لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ،  
ومكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد ، فأنزل الله تعالى :

قال : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾

وقال سعد بن أبي وقاص أيضاً أنزلت في هذه الآية :

﴿ وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾<sup>(٢)</sup>

قال : كنت رجلاً براً بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد لا آكل ولا أشرب  
حتى أموت فتعبر بي .

فيقال : يا قاتل أمه .

قلت : لا تفعلني يا أماه ، فإني لا أدع ديني لهذا الشيء .

قال : فكثت يوماً وليلة لا تأكل ، فأصبحت قد جهدت .

قال : فلما رأيت ذلك .

قلت : تعلمين والله يا أماه ، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ، ما

تركت ديني هذا لشيء ، إن شئت فكلني ، وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأيت ذلك

أكلت فنزلت هذه الآية ﴿ وإن جاهداك ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع صحيح الترمذي ص ٦٤ — ٦٥ ج ١٢ .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٨ .

(٣) راجع الدر المنثور ج ٥ ص ١٦٥ وتفسير الطبري ج ١٣ ص ٣٢٨ والقصة موجودة أيضاً في تفسير  
البهوي والحاازن ج ٥ ص ١٥٦ .

## تذييل ...

عمر بن الخطاب الذي تقف سيرته على جبهة التاريخ ساطعة مضيئة .

عمر الذي جعل التاريخ لا يعرف في فترة من فتراته الا هذه المنطقة من العالم فجلس فيها يدون ويسجل أعمال هؤلاء الرجال الذين تربوا في مدرسة القرآن . وسعد ابن أبي وقاص . الذي بهرت عبقريته الحربية الكثير ممن يرصدون المعارك والحروب ، ولا زالت خطته التي وضعها للوثوب على المدائن ، خطة عبور نهر دجلة نبعاً ثرياً للدراسات الأكاديمية والشؤون الحربية من عمر هذا بغير الدعوة الاسلامية ؟ من عمر قبل أن يجلس على مائدة القرآن ؟

إنه صاحب خمر لا يفتق . وراعي إبل الخطاب في سفوح مكة .

ومن سعد بن أبي وقاص قبل أن يدخل نور الاسلام قلبه ؟ ومن هو قبل أن يتعرف على هذا النور الجديد ؟ إنه الرجل الذي يقبع طول يومه في حانوته ، ييري النبال ويريش السهام ... ولا شيء غير ذلك . إذن الاسلام والقرآن هو الذي فعل فيهم ذلك نقلهم من رعاة إبل جفافة غلاظ يشعلون الحرب لأوهي الاسباب الى هداة ودعاة .. هداة إلى الحق . ودعاة إلى الله الواحد الاحد .

إن القرآن الذي صنع هؤلاء الرجال لا زال بين ايدينا ، ولكن ليست العبرة بوجوده ولكن العبرة بتلقيه وتطبيقه .. لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كل المعارك التي خاضها المسلمون في عهده ، صاحب غرفة العمليات الحربية الأولى ، إن جاز لنا هذا التعبير . فلم يكن عمر بعيداً عن معارك المسلمين فهو الموجه للقادة ، ويجلس في المدينة ليكون رداء لهم . يشاركهم معاركهم بالكلمة . ويشد

أزهرهم بالمشورة ويمدهم بالجنود والعتاد. وفي معركة القادسية يطلب من سعد أن يصف له كل شيء وأن يحيطه بظروف المسلمين على تلك الأرض ويلح عليه أن يخبره بأحواله كلها. حتى كأنه حاضر معهم مشاهد. ليس هذا فقط... ولكن صاحب غرفة العمليات الحربية يخرج كل يوم إلى مشارف المدينة، يترقب وصول رجل البريد، ولا يطمئن قلبه حتى يصل إليه في دار الامارة، وعندما يراه يخف له، ويحب بقدميه خلفه، يريد أن يسمع منه آخر الأخبار ويرى المسلمون عجباً. عامل البريد فوق دابته يسرع إلى دار الامارة، وخلفه أمير المؤمنين يريد أن يلحق به.

لقد كره عمر أن يوقف جندياً من جنود المسلمين على قارعة الطريق ليسمع منه وبذلك يحول بينه وبين وجهته، حتى ولو كانت وجهته مقر الخلافة، وطلبتة أمير المؤمنين نفسه. ويقول عامل البريد: هلا أخبرتني بأنك الأمير؟ هكذا بعزة نفس وبكرامة المؤمن. ويحبه عمر بتواضع القادريين، وبساحة العارفين «لا بأس عليك يا أخي يغفر الله لك».

ويكثر أهل الكوفة من الشكوى عند عمر ضد سعد بن أبي وقاص، ويسأل عمر عمرو بن معديكرب عن سيرة سعد فيهم فيقول الرجل:

«متواضع في خبائه، عربي في نمرته، أسد في تاموره، يعدل في القضية ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية يعطف علينا الام البرة، ويتقل اليينا حقنا نقل الذرة»<sup>(1)</sup>.

ما أروعك يا سعد... وما أحق المدرسة التي خرجتك بالتقدير والخلود؟؟ إنه متواضع لا يعرف الكبر. أسد في عربته يحمي الديار، عادل لا يعرف الجور، مقدم يقود إلى النصر، رحيم عطوف يأنف أن يكون فظاً غليظاً يجمع لهم رزقهم ويسوي بينهم في قسمته. ومع هذا قرر عمر عزل سعد.

ويقول والله لم أعزله عن عجز أو خيانة وإنما خوف الفتنة. لأن جيوش الفرس في ذلك الوقت كانت تتجمع للغزو والثار، وكان المسلمون يحشدون جيوشهم في

(1) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٩٢ والذرة أصغر الحنظل جمعها ذر.

منطقة نهاوند ، لصد الخطر الفارسي ، فليس من المصلحة اذكاء فتنة في الكوفة لا تعرف نتائجها ، والكوفة يومها كانت القاعدة الامامية الكبرى للجيش الاسلامي في المشرق . ولعل عمر سره أن يكون سعد إلى جانبه في المدينة يستشير به في أمر المسلمين . وتم عزل سعد وتعيين خلف له عمار بن ياسر الحنابي الجليل ، الطيب المطيب ، الذي ملئ إيماناً إلى أخصص قدميه كما قال عنه رسول الله ﷺ ولكن أهل الكوفة لم يرضهم عمار ، ولم يوافق هواهم كما لم يوافق هواهم سعد من قبل .

واتهموه عند عمر بالضعف ، وانه لا علم له بالسياسة فاستجاب لهم عمر للمرة الثانية وتم عزل عمار وهو يقول : من عذيري من أهل الكوفة . إن استعملت عليهم القوي فجروه ، وإن وليت عليهم الضعيف حقروه<sup>(١)</sup> وفي الفتنة التي اشتعل أوارها بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه . يتقدم سعد فيبايع علياً كرم الله وجهه بالخلافة . ويتقدم إلى معاوية ومن كان على رأيه بالنصيحة والمشورة ويطلبهم بمبايعة علي .

ولكنهم لم يستمعوا لرأيه ، ولم يستجيبوا لنصحه ، فاعتزل ولزم بيته ، وكانت أميته أن تتحقق وحدة الكلمة ، ويتجمع الصف ويسير المسلمون جميعاً خلف رجل كانت منزلته من الرسول ﷺ منزلة هارون من موسى . ولكن لم يتحقق ما أراد . فاعتزل الفتنة وعندما ألح أحد أبنائه أن يشارك في أمور المسلمين قال له : لا أفعل إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« انه تكون فتنة ، خير الناس فيها الحنفي التقي ، والله لا أشهد هذا الأمر أبداً »<sup>(٢)</sup> .

وعندما استشاره ابن أخيه هاشم قائلاً له : أين الحق يا عماء ، في هذه الظلمة الداجية ؟ وترى مع من سيكون سيني ؟ ..

(١) البلاذري ص ٢٧٨ ، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٨٨ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٧٤ .

قال له : يا ابن أخي ، ان علياً أحق الناس بهذا الأمر ، ولكنها الفتنة التي حذرنا رسول الله منها والرأي أن تلزم بيتك وتعبد ربك ، فان كان ولا بد فقاتل تحت راية من قال عنه رسول الله ﷺ :

« إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »<sup>(١)</sup> واستجاب هاشم لأمر عمه .

وكان صاحب لواء الإمام علي رضي الله عنه ، في موقعة صفين . لقد كان سعد ابن أبي وقاص راجح العقل ، بعيد النظر متين الخلق ، عف اليد واللسان ، باراً بأهله ، وفياً لأصحابه ، أحب قريش للناس ، بل أحب الناس للناس وأرفقهم بهم ، وكان يتوقى الشبهات ورعاً ، ويقتني آثار النبي ﷺ ، فيعمل بعمله .

قال له ابنه : « يا أبت أراك تصنع بهذا الحلي من الأنصار شيئاً ما تصنعه بغيرهم » .

فقال : أي بني هل تجد في نفسك شيئاً من ذلك ؟

قال : لا ، ولكن أعجب من صنيعك .

قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق »<sup>(٢)</sup> .

(١) الطبري ج ٤ ص ٤٩ .

(٢) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٩٣ .

كعب بن مالك

رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّىٰ  
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ  
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ  
لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

سورة التوبة الآية (١١٨).

## أقوال العلماء في نزول الآيات

ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في كعب بن مالك ، ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي وكلهم من الأنصار .  
ذكر ذلك الإمام القرطبي ج ٨ ص ٢٨٢ .  
وذكر ذلك الإمام الطبري ج ١٤ ص ٤٦٦ .  
وذكر ذلك الإمام ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧ .  
وذكر ذلك الإمام البخاري ومسلم في كتاب التوبة  
وذكر ذلك تفسير البغوي والحازن ج ٣ ص ١٢٠ .  
وذكر ذلك الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي . في كتابه أسباب نزول القرآن .

لمن كعب بن مالك هذا؟ .



## كعب بن مالك

رضي الله عنه

كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، كان شاعراً في الجاهلية . والده : مالك بن أبي كعب بن القين . له في حروب الأوس والخزرج التي كانت بينهما قبل الإسلام مواقف وذكر . وعمه قيس ابن أبي كعب ممن شهد بدرأ وهو شاعر أيضاً . وأمه ليل بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة .

شهد كعب بيعة العقبة الثانية<sup>(١)</sup> . وكان مع الرسول ﷺ في كل غزواته ما عدا غزوة بدر وتبوك . ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بينه وبين طلحة بن عبيد الله . قال الشعر في الجاهلية وعرف به . ولما أسلم كان يدافع عن المسلمين بلسانه وسيفه . قال محمد بن سيرين : كان شعراء المسلمين : حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك . فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، وكان حسان يقبل على الأنساب<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن سيرين أيضاً : فبلغني أن «دوساً» إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتر وخير ثم أجمعنا السيوف

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٩ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٣٢٤ .

نسائلها ولو نطقت لقاتل قواطعهم «دوساً» أو ثقيفاً<sup>(١)</sup>  
 فقالت دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.  
 ويقال: إن أشجع بيت وصف به رجل قومه قول كعب بن مالك:  
 نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوماً ونلحقها إذا لم تلحق<sup>(٢)</sup>  
 وينزل قول الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾<sup>(٣)</sup>. فهتم كعب بن مالك  
 ويتجه إلى الرسول ﷺ. وفي نيته أن يمتنع عن قول الشعر. ويقول: يا رسول الله،  
 إنني أبغي أن أقلع عن قول الشعر. ويقول له الرسول ﷺ:  
 «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»<sup>(٤)</sup>.

ويُروى عن ابن هشام قوله: «لما قال كعب بن مالك:  
 جاءت سخينة كي تغالب زهما فليغلبن مغالب الغلاب  
 قال رسول الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا»<sup>(٥)</sup>.  
 وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لكانها  
 تنضحونهم بالنبل بما تقولون لهم من الشعر»<sup>(٦)</sup>.  
 ولما انهزم المشركون يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ:  
 «إن المشركين لن يغزوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم وتسمعون منهم أذى،  
 ويهجونكم.. فمن يحمي أعراض المسلمين...؟»

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) كتاب الأغاني، ترجمة كعب بن مالك.

(٣) سورة الشعراء آية رقم ٢٢٤.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ١٣٢٥.

(٥) المرجع السابق ص ١٣٢٥.

(٦) كتاب الأغاني ترجمة كعب بن مالك، وكتاب الاستيعاب ج ٣.

فقام عبد الله بن رواحه فقال : أنا . فقال : « إنك لحسن الشعر » ثم قال كعب :  
فقال : أنا . فقال النبي : « وإنك لحسن الشعر »<sup>(١)</sup> .

قال ابن سيرين : وقف رسول الله ﷺ بباب كعب بن مالك فخرج فقال له  
رسول الله ﷺ :

أنشد ، فأنشده . ثم قال : إيه ، فأنشده ، ثم قال : إيه ، فأنشده ثلاث مرات ،  
فقال رسول الله ﷺ : « لَهَذَا أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ »<sup>(٢)</sup> .

وفي غزوة أحد لبس كعب لأمة النبي ﷺ وكانت صفراء ، ولبس النبي ﷺ  
لأمته . فجرح كعب أحد عشر جرحاً<sup>(٣)</sup> . وعندما وقعت الهزيمة بالمسلمين في غزوة  
أحد ، وأخذ شعراء المشركين يفتخرون بذلك . قال :

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتظلم<sup>(٤)</sup>  
تدلى عليه الروح<sup>(٥)</sup> من عند ربه يُنزل من جو السماء ويُرفع  
نشاوره فيما نريد وقصرنا<sup>(٦)</sup> إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع  
وقال رسول الله لما بدوا لنا ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا  
وكونوا كمن يشري الحياة تقرباً إلى ملك يُحيا لديه ويرجع  
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا على الله إن الأمر لله أجمع<sup>(٧)</sup>  
ويقول أيضاً :

(١) المصدر السابق .

(٢) ترجمة كعب بن مالك كتاب الأغاني ج ١٥ ص ٢٩ .

(٣) سيرة ابن هشام .

(٤) لا تحيل عنه ولا تعدل عما قاله .

(٥) الروح هو جبريل مأخوذ من قوله : نزل به الروح الأمين .

(٦) قصرنا : غابتنا يقال قصرك ، وقصاراك وقصارى أمرك .

(٧) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩١ .

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحي (١)  
 ضربناهم حتى تركنا سراتهم  
 ونحن أناس لا نرى القتل سبة  
 جلادٌ على ريب الحوادث لا نرى  
 بنو الحرب لا نعبأ بشيء نقوله  
 بنو الحرب إن نظفر فلستنا بفحش  
 وليس لأمرٍ حمه الله مدفع  
 كأنهم بالقاع خشب مُصْرَع (٢)  
 على كل من يحمي الذمار ويمنع (٣)  
 على هالك عينا لنا الدهر تدمع (٤)  
 ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع  
 ولا نحن من أظفارها نتوجع (٥)  
 وفي حصار المسلمين لحسن خبير، خرج مرحب اليهودي من حصنهم، وقد  
 جمع سلاحه يرتجز ويقول:

قد علمت خبير أني مَرْحَبٌ شاكي السلاح بطل مجرب (٦)  
 أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا اللبث أقبلت تُحْرَبُ (٧)  
 إن حماي للحمي لا يقرب يحجم عن صوتي المجرّب  
 وهو يقول من يبارز...؟ فخرج إليه كعب وهو يقول:

قد علمت خبير أني كعب مفرج الغمي جريء صُلب  
 إذا شبت الحرب تلتها الحرب معي حسام كالعقيق غضب (٨)  
 تطوكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يني النهب (٩)

- (١) رحي الحرب، حمه الله: قدره.  
 (٢) سراتهم: خيارهم، والقاع: المنخفض من الأرض.  
 (٣) اللذار: ما يجب الرجل أن يحميه.  
 (٤) جلاد: جمع جليد وهو الصبور.  
 (٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٤.  
 (٦) شاكي السلاح يريد أن سلاحه حاد ماضن، وأصل شاك: شائك.  
 (٧) محرب: تفضب.  
 (٨) شبت: أوقدت وهيجت، والعقيق: شعاع البرق، شبه به السيف.  
 (٩) أراد بالجزاء هنا الجزية، وهو جمع جزية، والنهب: ما اتب من الأموال.

وكان كعب : عثمانياً ، وله في عثمان وتحريض الأنصار على نصرته قبل قتله مرات ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك منه :

فلو حلتم من دونه لم يزل لكم مدى الدهر عز لا يبوح ولا يسري  
ولم تقعدوا والدار كاب دخانها يحرق فيها بالسعير وبالْحجر  
فلم أر يوماً كان أكثر ضيعة وأقرب منه للغواية والنكر<sup>(١)</sup>

ولما بويع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، بلغه عن حسان بن ثابت ،  
وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وكانوا عثمانية ، أنهم يقدمون بني أمية على بني  
هاشم ويقولون : « الشام خير من المدينة ، واتصل بهم فدخلوا عليه .

فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن عثمان ، أقتل ظلماً فنقول  
بقولك ؟.. أو قتل مظلوماً فنقول بقولنا ؟.. أم نكلك إلى الشبهة فيه ..؟ فالعجب  
من يقيننا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه ، فهاته ، نعرفه .  
ثم قال :

وكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل  
وقال لمن في داره لا تقاتلوا عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل  
فكيف رأيت الله صبّ عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل  
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم وولى كإدبار النعام الجوافل<sup>(٢)</sup>

فقال لهم علي رضي الله عنه : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء  
الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا  
ترضى ذلك العرب ، ولا تعذرنا به . فقال علي : أتردون علي بين ظهراني المسلمين

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٢) المصدر السابق .

بلا بينة صادقة ولا حجة واضحة... اخرجوا عني فلا تجاوروني في بلد أنا فيه  
أبدأ<sup>(١)</sup>.

وتوفي في زمن معاوية سنة خمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن  
سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره<sup>(٢)</sup>، رحمه الله تعالى  
ورضي عنه.

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٣٢٤.

## أسباب نزول الآيات

قد خرج الإمام البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> حديثهم فقال الإمام مسلم عن كعب بن مالك : قال : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أنني تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه ؛ إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، واستقبل عدواً كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد .

فتمجيز إليها رسول الله ﷺ وطفقت أعدو لكي أجهز معهم فأرجع ولم أفض شيئاً ، وأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى بي حتى أسرعوا وتفارض الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدرتهم فياليتني فعلت ... !! ثم لم يقدر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج الرسول ﷺ يحزنني أنني لا

(١) راجع صحيح مسلم كتاب التوبة ، رواه الإمام البخاري ولكن اللفظ لمسلم ، ورواه الإمام القرطبي ج ٢ ص ٢٨٢ . ورواه الإمام الطبري في تفسيره ج ١١ ص ٥٨ بسنده عن ابن شهاب .

أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً<sup>(١)</sup> عليه في النفاق أو رجلاً من عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب بن مالك..؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه والنظر في عطفه<sup>(٢)</sup>. فقال له معاذ بن جبل: بشس ما قلت والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرتني بيثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً...؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه، وأصبح الرسول ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلون فطفقوا يعتذرون إليه ويخلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم. ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت. فلما سلمت تيسم تيسم الم غضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: «ما خلقتك؟ ألم تكن قد ابتهت ظهرك؟». قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً<sup>(٣)</sup>. ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه<sup>(٤)</sup> إني لأرجو فيه عفي الله، والله ما كان لي عذر. والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله ﷺ:

(١) أي مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق.

(٢) كناية عن كونه معجباً بنفسه ذا زهو وتكبر.

(٣) أي فصاحة وقوة كلام.

(٤) تجد: تغضب.



«أما هذا ، فقد صدق . فقم حتى يقضي الله فيك» (١) فقامت وثار (٢) رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي :

والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا . لقد عجزت في ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ .

قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم هل لتي هذا معي من أحد .. ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك . قال : قلت من هما .. ؟ قالوا : مُرارة بن ربيعة العامري ، وهلال بن أمية الواقفي (٣) . قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ فيها أسوة . قال : فضيت حين ذكروهما لي . قال : ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه .

قال : فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتها يبكيان . وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم (٤) ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي : هل حرك شفتي برد السلام أم لا .. ؟

ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظرت إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت

(١) رواه الامام البخاري ومسلم في باب المغازي .

(٢) أي وثبوا علي .

(٣) مترجم لذين الرجلين منفصلين بمشيئة الله .

(٤) أقوامهم على التحمل .

جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ عليّ السلام . فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أي أحب الله ورسوله ..؟ قال : فسكت . فعدت فناشدته فسكت . فعدت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى ، وتوليت حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : « من يدل على كعب بن مالك ..؟ »

قال : فطفق الناس بشيرون إليّ حتى جاعني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان وكنت كاتباً فقرأته فإذا فيه : « أما بعد : فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة فالحق بنا نواسك . قال فقلت حين قرأتها : وهذه أيضاً من البلاء فتيامت بها التنور فسجرتة <sup>(١)</sup> بها ، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبت الوحي إذا <sup>(٢)</sup> رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال : « إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك .. قال فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ..؟ قال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربها . قال : فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . قال فقلت : لامرأتي : الحق بأهلك فكوتني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له : « يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم . فهل تكره أن أخدمه ..؟ »

قال : « لا ولكن لا يقربك » . فقالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، قال : فقال بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما بدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ ، إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ..؟ قال : فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا

(١) أي أوقدته بالصحيفة .

(٢) قال الواقدي : هذا الرسول هو خزيمية بن ثابت .

خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا . قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع<sup>(١)</sup> يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر .

قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج .

قال : فأذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إليّ فرساً وسعى ساع من أسلم قبلي فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعته له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت أنا مع رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً ، يهتفونني بالتوبة ويقولون : لتهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس . فقام طلحة بن عبيد الله<sup>(٢)</sup> يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور يقول : « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك » .

قال : فقلت أمن عند الله يا رسول الله أم من عندك .. ؟

قال : « لا بل من عند الله » .

قال كعب : والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ .

(١) أي أشرف على جبل سلع ، قال الواقدي : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) يسمى طلحة الفياض ، وأخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين كعب ولم يشهد بدرأ وأجرى له رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، سهمه وأجره .

وأخذ كعب : يرتل في خشوع ودموعه تغمر خديه قول الله تعالى :

﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت  
عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو  
التواب الرحيم ﴾<sup>(١)</sup>

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٨.

## تذييل ...

غزوة تبوك من الغزوات التي كانت لها ظروف خاصة ، وكان للمنافقين فيها دور كبير ، وتخلف بعض الرجال المؤمنين المخلصين لدينهم ، لأن النفس البشرية تَوَاقَة إلى الراحة . والشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم في العروق .

وعاد الرسول ﷺ والتقى بهؤلاء الرجال ولم يجد لهم عذراً في التخلف .

وكان لا بدّ من العقاب ، ولا بدّ من تربية هذا الجيل تربية تناسب المهمة الجليلة التي أقيمت على أعناق هؤلاء الرجال .

إنهم الأمة الوسط التي لها حق الشهادة على الناس ، وهم أيضاً خير أمة أخرجت للناس .

لماذا...؟

للمهمة الكبيرة — وهي حمل كتاب الله — وإرشاد البشرية ، ونشر دين الله والدعوة إليه . وليست هذه بالمهمة السهلة ، ولكنها مهمة تنوء بها جهود الرجال .

وكان في هذه الحادثة خير كثير . لقد وجد للأمة الإسلامية ، وللمجتمع الإسلامي داخل المدينة رأي عام ، هذا الرأي يجب أن يلتزم به الجميع . وانفضَّ عن المتخلفين ، الأهل والأحباب ، الأبناء والأقارب ، البنات والزوجات وأحسَّ هؤلاء

أنهم طبقة منبوذة من هذا المجتمع .. ليسوا منهم ولم يشذَّ عن هذه القاعدة أحد ..  
حتى إذا أدت التربية الإسلامية دورها وصهروا في دور التجربة أنزل الله نوبته  
عليهم . واطمأنت القلوب المؤمنة بعفو الله وسماحة رسول الله ﷺ .

\* \* \*

## ثبت بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب — مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الأندلس — بيروت.
٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف — مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م.
٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية — طهران.
٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦هـ.
٩. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله.
١٠. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل العسقلاني : المعروف بابن حجر.
١١. صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ — ١٩٢٩م.
١٢. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م.
١٣. صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي : المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م.
١٤. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي. ونسنتك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢م.
١٥. الجامع الصغير : للإمام السيوطي ، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة.

- ١٦ . كشف الخفا ومزيل الالباس : اساعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الاسلامي — حلب .
- ١٧ . تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، دار صادر — بيروت .
- ١٨ . الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ١٩ . تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت .
- ٢٠ . البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض .
- ٢١ . الطبقات الكبرى : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧ .
- ٢٢ . سيرة النبي لابن هشام : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة .
- ٢٣ . الروض الأنف : عبد الرحمن السهلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة .
- ٢٤ . مروج الذهب : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٥ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، دار الاندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٦ . أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٢٧ . خلفاء الرسول : خالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي — بيروت .
- لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
- ٢٨ . العقبريات : لعباس محمود العقاد .
- ٢٩ . علي بن أبي طالب : بقية النبوة — وخاتم الخلافة ، للاستاذ عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت .
- ٣٠ . هذا هو الطريق : د . عبد الرحمن عميره ، دار التراث مصر — ١٩٧٣ .
- ٣١ . مع الاتحاد وجهاً لوجه : د . عبد الرحمن عميره ، دار الحلبي — القاهرة .
- ٣٢ . أشهر مشاهير الإسلام : رفيق العظم .
- ٣٣ . الاعلام : للزركلي .
- ٣٤ . الأغاني : للأصفهاني .
- ٣٥ . تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي : مصر — ١٣٠٥ .



- ٣٦ . تفسير الحازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
- ٣٧ . تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
- ٣٨ . الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري .. مصر .
- ٣٩ . سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكبيسي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
- ٤٠ . سنن الحفاظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني « ابن ماجه » ، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
- ٤١ . تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

رِجَالٌ  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميرة

الجزء الثاني

دار الجيـد  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

© 2000

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

نحمد الله سبحانه وتعالى حمد العارفين ، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . يطيب لنا أن نقدم للأمة العربية بعامة والأمة الاسلامية بخاصة الجزء الثاني من كتابنا « رجال أنزل الله فيهم قرآناً » ولقد قلنا في مقدمة الجزء الأول ما نعتقد أنه وضح فكرتنا في إصدار هذه الكتاب بهذه الصورة ، وكل ما نريد أن نضيفه في هذه المقدمة أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن بعض الشخصيات التي يحويها هذا الجزء كان لها دور ودوي في سمع الزمان وعمل خلاق ومبدع في رفع كلمة التوحيد عالية خفاقة في أرجاء المعمورة .

فعبادة بن الصامت مثلاً : دوره لا ينكر في فتح مصر ، ولقد استطاع بقوة إيمانه وثبات جنانه أن يقوم بدور الحرب النفسية التي شنها على قادة الجيش الروماني في بداية المعركة حتى فرق جمعهم ، وشتت وحدتهم عندما قال لقائدهم :

جئتكم بعشرة آلاف مقاتل ، الموت لهم أحب من الحياة ، وما منهم من فرد إلا ويطلب الشهادة ، ويسعى جاهداً لنيلها ومن هنا كان النصر المؤزر والفتح المبين لمصر المعمورة . والتي عن طريقها جيشت الجيوش لرفع راية التوحيد بين الأحرار والأساقع في جنوب افريقية المؤمنة . وامتدت هذه الجيوش حتى وصلت إلى قاعدة بنزرت في الشمال الغربي من تونس ، وانطلقت الجيوش الجرارة لتفتح بلاد الأندلس لتنتقل من مآذنها كلمة الله أكبر .

ومنهم : العباس بن عبد المطلب الذي ساهم مساهمة فعالة في مساعدة الضعفاء الذين أعلنوا إسلامهم أمام صناديد قريش ففك قيودهم ، وأعان معسرهم حتى تكونت منهم القوة الضاربة بقيادة الصحابي أبي جندل ، قائد الفدائية الأولى في تاريخ الاسلام ومنهم : أبو عبيدة بن الجراح الذي استطاع بسيفه أن يجندل اياه في المعركة ، وبذلك فتح الطريق للكثائب الإسلامية أن تتوغل في صفوف المشركين ويكون لهم النصر المؤزر والفتح المبين .

لقد تغلبت رابطة الدين على آصرة القربى وكأنه عندما نزل بسيفه على رأس أبيه كان يحطم بذلك كل صنوف الشرك والبهتان والظغيان .

ومنهم : حمزة بن عبد المطلب . عم الرسول صلى الله عليه وسلم عملاق المعارك وأسد الله في عرينه ، والذي جندل بسيفه في غزوة بدر عبدة الأصنام وسدنة الظغيان وملوك الرجس والفجور .

وغير ذلك كثير : إننا لا نعيد التاريخ القديم ولا نعيش على مجد مضى وذهب ، ولكننا والحق يقال ، نريد أن نعيد إلى الاسلام مجده ، ونجعل الحاكمة في مجتمعاته لكتاب الله وحده ، ولدينا أمل كبير أن القاعدة الاسلامية العريضة ستجتمع عما قريب لتنادي بتطبيق شرع الله وتدوس بأقدامها العملاقة هؤلاء الأقرام الذين يعطلون مسيرة النور ويقفون حجر عثرة أمام إقامة حدود الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، والعاقبة للمتقين .

د. عبد الرحمن عميره

عُبَادَةُ بِنِ الصَّامِتِ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ  
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن  
يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا  
فِي أَنفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُوا لَوْلَا  
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ  
حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾  
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض علماء التفسير ورجال السير والتاريخ :  
نزلت هذه الآيات في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول  
قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ .  
وقاله أيضاً الإمام الطبري في تفسيره ج ١ ص ٣٩٥ .  
وقاله صاحب السيرة النبوية لابن هشام .  
وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن الإمام الواحدي ص ١٩١ .

لمن عبادة بن الصامت هذا ؟

## عُبَادَةُ بِنِ الصَّامِتِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

رجل يعد في الرجال بألف رجل.

هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما أرسله مدداً لعمرو في فتح مصر وكان طويلاً فارح الطول ، أسمر البشرة ، لونته شمس الصحراء ، وأكسبت جسمه قوة ونماء .

إنه عبادة بن الصامت .

من السابقين إلى الاسلام ، ومن رجال البيعة الأولى ومن بني عوف بن الخزرج الأنصاري . من الأنصار الذين نصرُوا وآووا وبدلوا أرواحهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله .

والده الصامت بن قيس الخزرجي .

وأمه قرّة العين بنت عبادة .

وأخوه أوس بن الصامت ، وزوجه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها :

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) سورة المجادلة آية رقم ١ .

كان أحد أفراد الوفد المكون من اثني عشر رجلاً والذين بايعوا الرسول ﷺ البيعة الأولى. وكان حليفاً ليهود بني قينقاع بالمدينة وعندما سمعوا بعودته من مكة ، توافدوا إلى منزله ليحدثهم عبادة عن النبي الجديد الذي بمكة ، والذي له علامات وآيات في كتبهم التي بين أيديهم والتي لا تخفى على أحد منهم ، سأله أحد أحبارهم أن يصف لهم النبي وصفاً كأنه جالس بينهم ، ليطابقوا ذلك على ما في كتبهم :

قال عبادة : لقد رأيتاه أبل مرة ، فاستقرت محبته في قلوبنا ، حتى لا يستطيع أحدنا أن يحول وجهه عنه . ، وجهه وضياء ونور ، وفي عينيه بريق يأخذ بلب صاحبه . ليس بالقصير ، ولا بالطويل ، أبيض ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة . يركب الحمار والبعير ويحتلب الشاة .

وتناولت أعناق يهود وأرهفت آذانهم للسمع وخيم على المكان صمت شامل لا يقطعه إلا حديث عبادة . ثم قال : واختبرناه .

فكان ألين الناس وأكرم الناس ، وكان ضحاكاً بساماً ليس بفظ ولا غليظ ، وليس بفحاش ولا صحاب ، يعفو ويغفر . لا تغلق دونه الابواب ولا تقوم بين يديه الحجة ولا يغدى عليه بالحفان ، ولا يراح عليه . يجلس على الأرض ، ويأكل طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويردف بعده ، ويلق أصابعه . يتكلم بكلام فصل ، يحفظه من يسمعه<sup>(1)</sup>

وتناول عبادة كوباً من الماء ورفع فوق شفتيه ليليل ظمأه ، لقد كانت كلماته تنساب في سهولة ويسر وتهدج صوته ، وأوشكت أن تغلبه دموعه فأراد أن يهدئ من روعه ببعض قطرات الماء .

وتصايح اليهود وسرت بينهم كلمات وهمهمات إنه هو ، ما نقص عبادة عما في كتبهم مقدار خردلة . إنها صفات النبي التي توجد عندهم في التوراة ، وتناول

(1) اعتمدنا في تجميع تلك الصفات على أوثق المصادر من كتب الأحاديث والسيرة النبوية وكتب الطبقات .

رئيسهم ذقنه بيده وأخذ يعبث فيها بأصابعه وسرح في فكر عميق . ولكن رده إلى يقظته كلمات عبادة وهو يقول :

بايعنا رسول الله ﷺ على : أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بيهتان نفتره بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف . فقاطعه أحد الرجال قائلاً له : إن فعلتم ذلك ونفذتم ما أمركم به ، ماذا يعطيكم هذا النبي الجديد؟ .

قال عبادة : ليس عنده شيء يعطيه من مال أو عقار ، ولكن الرسول ﷺ قال : « فإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب »<sup>(١)</sup> . وهنا قال فخناس اليهودي :

« هذا النبي ، ألا يقيم حدوداً ، ألا ينفذ شرعاً ، ألا يطبق أحكام الله . »

قال عبادة : قال ﷺ : « إن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله عز وجل ، إن شاء عذب وإن شاء غفر »<sup>(٢)</sup> .

وبدأت الشمس تتجه إلى مغربها ، وأوشك أن تلف المكان ظلمة الليل فافترقوا إلى غد .

واستمر بيت عبادة بن الصامت متدى لهؤلاء الرجال وغيرهم ، يتعرفون فيه على بعض كلمات القرآن الكريم وتوجيهات الرسول ﷺ والتي حملهم إياها أثناء وجوده معهم بمكة . حتى جاء مصعب بن عمير سفير الرسول ﷺ وداعية الاسلام في يثرب ، والذي اتخذ من منزل اسعد بن زرارة مجلساً له . فانتقلت الوفود إلى هناك .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٠ .

(٢) المصدر السابق وراجع البخاري ومسلم فقد روي هذا الحديث عنها من طريق الليث بن سعد .

وفي موسم الحج خرجت قافلة من رجال مؤمنين تسرع السير إلى مكة ، كانت قافلة عجيبية الشأن ، ضخمة العدد يتجاوز أفرادها السبعين رجلاً ، وأبت النساء المؤمنات إلا أن ترسلن سفيرتين ليحدثهن حديث صدق ، عن رسول الله ﷺ . ووقع الاختيار على نسيبة بنت كعب ، أم عمارة وأسماء بنت عمرو بن عدي<sup>(١)</sup> .

وانبعث صوت القافلة مدوياً بيدد وحشة الطريق ويقطع صمت الصحراء بالنداء القوي :

الله أكبر ، الله أكبر .

وحضر عبادة البيعة الثانية « بيعة الحرب » بايعوا الرسول ﷺ على حرب الأسود والأحمر . وأن يمنعه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم<sup>(٢)</sup> . واستوثق الرسول ﷺ لربه ولدينه ولنفسه . ثم قال : أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم<sup>(٣)</sup> . فكان عبادة بن الصامت أحد النقباء الذين وقع عليهم الاختيار .

في الصحيحين عن الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال : « انا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة »<sup>(٤)</sup> ، وهاجر الرسول ﷺ إلى يثرب . وأخى بين المهاجرين والأنصار ، وكان أخو عبادة في الاسلام أبو مرثد الغنوي . الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسراء . فلما قدمها ، سمعت به امرأة يقال لها عناق ، وكانت خليلة له في الجاهلية ، فلما أسلم أعرض عنها .

فأنته فقالت : ويحك يا مرثد ألا تخلوا؟ ..

- 
- (١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٠ .
  - (٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٩ ورواه الامام احمد بسنده عن جابر .
  - (٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٦١ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ .
  - (٤) صحيح الامام البخاري ومسلم والاصابة في تميز الصحابة ج ٢ ص ٢٦٠ .

فقال لها : إن الاسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا<sup>(١)</sup> ما الذي تغير في مرثد؟ ما الذي بدله؟ حتى يمتنع عن الإثم وقد كان يأتيه؟.

إنها دعوة حاضرة ومكان معد.؟

ولكن حاشا لله . لقد كانوا يعبدون الأصنام وهي لا ترى ولا تبصر أما الآن فهم يعبدون الله ، الذي يعلم السر وأخفى إنه الإيمان الجديد الذي صنع الأمة الفريدة في التاريخ . وبعد الفراغ من غزوة بدر ، والتي حقق الله فيها النصر لتلك الجماعة المسلمة ، أمره رسول الله ﷺ أن ينادي — وكان جمهور الصوت — أن ردوا الأنفال والأسلاب إلى رسول الله ﷺ ، فاستجابوا له . يقول أمامة الباهلي : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال . فقال : « فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في تقسيم النفل فجعله الله إلى رسوله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء »<sup>(٢)</sup> .

وشهد عبادة المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان له دوره في اخراج يهود بني قينقاع حلفائه في الجاهلية من المدينة ، ووقف مع الرسول ﷺ يؤازره ويناصره ضد هؤلاء اليهود والمنافقين . وفي حروب الردة كان فارسها المغوار والمجاهد في سبيل الله الباحث عن الشهادة ، وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب يزيد بن أبي سفيان اليه : قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم . فأرسل اليه عمر ، معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء . فأقام عبادة بحمص فاستخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح ، عندما سار لفتح اللاذقية .

ثم صرفه لفتح « طرطوس » ففتحها<sup>(٣)</sup> وكان أول من ولي قضاء فلسطين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ومن قبل ذلك وفي حياة الرسول ﷺ استعمله

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٤ .

(٣) الاصابة ج ٤ ص ٢٨ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٠٦ .

رسول الله على الصدقات وقال له : « اتق الله لا تأتي يوم القيامة ببعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها نواج »<sup>(١)</sup> .

قال عبادة : فوالذي بعثك بالحق لا أعمل عمل اثنين وبائع رسول الله ﷺ على ألا يخاف في الله لومة لائم<sup>(٢)</sup> .

فعندما ولي القضاء اختلف مع معاوية ، اختلف في شئون الصرف ، وكان لا بد أن يختلف مع معاوية بمنعه وبصده ، ويحول بينه وبين أشياء كان ينكرها حبيبه رسول الله ﷺ ولقد عاهده على ذلك ، فلا بد من تنفيذ عهده . فاغلظ له معاوية في القول .

فقال له عبادة « لا أسأكنك بأرض واحدة أبداً »<sup>(٣)</sup> ورحل إلى المدينة ليكون قريباً من عمر رضي الله عنه أقرب الناس تنفيذاً لأوامر الله وأوامر رسوله والتقى به عمر فقال له : ما أقدمك ؟

فأخبره خبره . فقال له عمر : ارجع مكانك ففحح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك . فامتل واطاع ، هكذا علمهم حبيبه رسول الله ﷺ وكتب عمر إلى معاوية : « لا إمرة لك على عبادة »<sup>(٤)</sup> .

وفكر المسلمون في فتح مصر التي بشرهم رسولهم بها ، واتجه إليها عمرو بن العاص في جيش كبير .

ولكنه عندما وصل إلى أرض مصر ، رأى كثرة عدد وعدة من المصريين والروم فطلب مدداً من عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) تهذيب ابن عساکر ج ٧ ص ٢٠٧ .

(٣) الاستيعاب ج ٢ ص ٨٠٨ .

(٤) أسد الغابة ج ٣ ص ١٠٦ .

واستجاب عمر لرأي عمرو . وأمه بأربعة آلاف رجل وكتب له كتاباً قال  
فيه :

إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام ألف<sup>(١)</sup> .  
وكان عبادة بن الصامت أحد هؤلاء الأربعة وانتشرت جواسيس المقوقس  
ورجاله يتعرفون على قوة المسلمين ويعجمون عودهم وعادوا إليه يصفون هؤلاء  
الرجال الذين خرجوا من بلادهم البعيدة يرددون كلمة واحدة : الله أكبر . فتكون  
زادهم إن قل الزاد ، ومطيتهم إن بعدت المسافة ومددهم إن قل المدد .  
قال عيون المقوقس :

« رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليهم من الرفعة  
ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة . وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على  
ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضعيهم ولا السيد من العبد . »  
« وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء  
ويخشعون في صلاتهم »<sup>(٢)</sup> .

فقال المقوقس عند ذلك : والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها  
وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .

ولئن لم نفتحهم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا  
أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم<sup>(٣)</sup> .

صدق المقوقس فيما قال . ووصف به هؤلاء الرجال ، نعم لو استقبلوا الجبال  
لأزالوها بإذن الله ، إن خرجتهم هذه لم تكن لمغنم أو حكم أو وجهة ، أو لأي

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٧٨ .

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ١١ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢ .



هدف من أهداف الدنيا ، وإنما كانت لله ولنشر دينه واخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . وأرسل المقوقس إلى المسلمين أن ابعثوا إلينا رسلاً منكم نتعاون نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص نقرأ من أصحابه على رأسهم عبادة بن الصامت . وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وأميرهم .

نعم عبادة الذي طوله كما يصف الرواة ، عشرة أشبار مهيب الطلعة قوي التراكيب ، ترى في عينيه قوة الشكيمة والإيمان ، أسود البشرة أبيض القلب . الأمر الذي جعل المقوقس عندما دخلوا عليه يرتعد منه ويخافه ويقول لهم : نحوا عني هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمني <sup>(١)</sup> . فقال له أصحاب عبادة : ان هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا . ونرجع جميعاً إلى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير دوننا بما أمره وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله . فقال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟ .

إن المقوقس يقيس الناس بمقاييسه الأرضية ولم يسمع أن هذا الدين كانت من أولى كلماته على لسان رسول الله ﷺ :

« كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم » <sup>(٢)</sup> فلن يتفاضل الناس بالحسب والنسب . ولن يتفاضلوا باللون والجنس . وإنما التفاضل عن طريق شيء آخر كان المقوقس لم يصل إليه بعد . وقال أصحاب عبادة رداً على كلمته : إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً وليس ينكر السواد فينا ، ولم يجد المقوقس حيلة لابعاد عبادة عنه .

فقال لعباده : تقدم يا أسود ، وكلمني برفق ، فإنني أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة <sup>(٣)</sup> .

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق .

فتقدم إليه عبادة فقال :

قد سمعت مقالاتك ، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشد سواداً مني ، وأفطع منظراً لو رأيتم لكنت أهيب لهم مني ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي (١) ثم تابع عبادة حديثه قائلاً : وذلك لأن رغبتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدواً من حارب الله لرغبة في الدنيا .. وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك درهماً ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسند بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه .

وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى واقتصر على هذا الذي بيده .

لأن نعم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء في الآخرة بذلك أمر الله وأمرنا به نبينا ، وعهد الينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همته وشغله في رضاه ربه وجهاد عدوه (٢) .

أرأيتم يا أتباع محمد ﷺ ماذا قال عبادة؟ لقد أربع الرجل بسلامة بنيانه وقوة إيمانه . ثم كان رسول حرب من طراز فريد ، عرف كيف يضرب في الخبز كما يقولون ، إذا كان شكله أربعه ، فهناك أصحابه كلهم على شاكلته .

وإن كان أصابه الكبر ، فهناك على الضنفة الأخرى من النيل فرسان المعارك رهبان الليالي . آه لو رأيتم أيها المقوقس لخرجت روحك قبل أن يحادثوك وهؤلاء جميعاً قد فرغوا من الدنيا ، وفرغت منهم الدنيا إنهم أصحاب رسالة يؤدونها كما أمرهم الله ، وبعدها يذهبون إلى هناك إلى النعيم المقيم .

(١) راجع خطط المقرئزي .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٤ .

وكل هؤلاء الرجال يدخلون المعركة يتسابقون إلى الموت ليقرّبهم إلى ربهم  
ويجمعهم مع حبيّهم ونيّهم . إنهم ليسوا طلاب دنيا . يا زعيم القبط .  
ولكنهم عشاق شهادة .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل  
قط . ؟ لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه  
أخرجهم الله لخراب الأرض ، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها .  
ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت قائلاً له : أيها الرجل الصالح ، قد  
سمعت مقاتلتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما  
ذكرت عنك وعن أصحابك .

وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها .

ثم قال : وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون  
بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي ولا من قاتل ، وأنا لنعلم أنكم لم تقووا  
عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلكم<sup>(١)</sup> .

فقال عبادة : يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما تخوفنا به من جمع  
الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا  
بالذي يكسرنا عما نحن فيه .

إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون في قتلهم وأشدّ لحرصنا عليهم  
لأن ذلك أعذر لنا عند الله إذا قدمنا عليه أن قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من  
رضوانه وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب الينا من ذلك . وأنا منكم حينئذ  
على إحدى الحسينيين . أما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم . أو غنيمة  
الآخرة إن ظفرتم بنا .

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦ .

وإنها لأحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا .

وإن الله عز وجل قال لنا في كتابه : ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (١) .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا ما أمامنا . وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريد فيبينه لنا .

فليس بيننا وبينك خصلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث ، فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل .

بذلك أمرني الأمير . وبها أمره أمير المؤمنين . وهو ما عهد به رسول الله ﷺ من قبله الينا (٢) من كان يتصور أن هؤلاء الرجال الذين خرجتهم البادية وقست عليهم ظروف الطبيعة ، وعاشوا حياتهم الجاهلية بعيدين عن خدع الحرب ومعرفة خفايا النفوس ، تكون لهم هذه المقدرة الفائقة من الحرب النفسية التي شنها عبادة بن الصامت على عظيم مصر ، ففضى على كل مقاومة عنده ، وملأ نفسه بالرعب والفرع وإذا ما وصل قائد من قواد الدول والجيوش إلى هذه الحالة من الاضطراب والهول ، فقد خسر المعركة ، وسلمت بلاده . أما ما جاء بعد ذلك فهي توسلات المقتول إلى قاتله أن يترفق به في ذبحه ويحد شفرته ، حتى لا يحس بألم القتل .

وتمت سفارة عبادة بن الصامت ، وعاد إلى عمرو بن العاص يزف إليه فتح مصر بعد أن خرب نفسية القائد ، وقت في عضد جنوده .

وبينا هم على أهبة الاستعداد لخوض معركة فاصلة مع إحدى حصون الروم ،

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٤٩ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧ .

والتي لم تستسلم بعد ، وصلت رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
وفيها يقول :

أما بعد : فقد عجت لابظائكم عن فتح مصر إنكم تقاتلونهم منذ سنين ، وما  
ذلك الا لما أحدثتم وأحييتم من الدنيا ما أحب عدوكم .

وإن الله تبارك وتعالى : لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك  
أربعة نفر وأعلتلك أن الرجل منهم مقام ألف رجل ، على ما كنت أعرف ، إلا أن  
يكونوا قد غيرهم ما غيرهم .

فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ، ورجبهم في  
الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، ومر الناس جميعاً أن يكون  
لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة ، فإنها تنزل  
الرحمة ، ووقت الاجابة وليبع الناس الله ، ويسألونه النصر على عدوهم <sup>(١)</sup> .  
لم يقرأ قواد العرب والمسلمين ، وصية عمر بن الخطاب هذه لقواده  
وجنوده ؟ ...

وإذا كان الجواب نعم .

فكيف لم تؤثر فيهم هذه الوصايا كما أثرت في عمرو وعبادة ؟ ألم تحرك شعورهم  
إلى شيء ؟

أيها الرجال يا من تدينون بدين هؤلاء الرجال لقد كان أجدادكم قادة  
.. وسادة ؟ ..

عندما حملوا مصحفهم بين قلوبهم . فلماذا أصبحنا في ذيل القافلة ؟

الأننا حولنا هذا الكتاب إلى تمام لمرضانا ، وزينة تزين به عرباتنا وحجراتنا ؟

أم ماذا ؟ ..

(١) المصدر السابق .

لقد قرأ عمرو كتاب أمير المؤمنين ، وأخذ يفكر في خطة يفتح بها الاسكندرية .  
ولم يحتج إلى مجهود كبير ، لأن الخطة الحية كانت مجسمة أمامه في عملاق  
المعارك : عبادة بن الصامت . ووجهه اليها ففتح الله على يديه الاسكندرية ..  
وأخيراً أما آن لسيد النقباء أن يستريح . أما آن لجامع القرآن والسنة النبوية أن  
يستقر لقد آن الأوان لسيف فتح « طرسوس » وشارك في فتح مصر ، وقهر  
الاسكندرية ووقف على ثغرها يفكر في وضع خطة لقهر هذا البحر العظيم لينشر من  
ورائه اسم الله الأعظم الى أن يلقي الأحبة محمداً وصحبه وفي مدينة الرملة بأرض  
الشام استراح الراحة الكبيرة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .  
رحمك الله رحمة واسعة لجهودك في سبيل الاسلام والمسلمين وصدق والله أمير  
المؤمنين عمر فيما قال : « قبح الله أرضاً ليس فيها أمثال هؤلاء الرجال » .

## أسباب نزول الآيات

انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى ، فألم هذا النصر اليهود ، وأخذوا يتحرشون بالمسلمين ، وكان بداية ذلك في سوق بني قينقاع عندما قدمت امرأة من العرب بحليب لها فباعته ، وجلست إلى صائغ بالسوق ، فجعلوا يزيدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعهده إلى ظهرها .

فإقامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع<sup>(١)</sup> .

وعلم الرسول ﷺ فجاء مسرعاً إلى السوق ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

قالوا : يا محمد لا يفرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس<sup>(٢)</sup> .

(١) الروض الألف ج ٤ ص ٣٥٤ وأسباب نزول القرآن ص ٩٢ .

(٢) الروض الألف ج ٥ ص ٣٩٢ .

ثم أرسلوا إليه عبد الله بن أبي بن سلول فكلمه فيهم ، فلم يجبه فقال : يا محمد أحسن في موالي ، وكانوا حلفاء الخزرج فأعرض عنه . فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ . قال له رسول الله ﷺ أرسلني وغضب رسول الله ﷺ ، حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال : ويحك أرسلني . قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة ؟ . اني والله امرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ : هم لك <sup>(١)</sup> .

وعندما علم عبادة بن الصامت بما كان من أمر اليهود وأمر عبد الله بن أبي . جاء مسرعاً إلى الرسول ﷺ وقال : يا رسول الله إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم ، كثيراً سلاحهم ، شديدة شوكتهم ، وأنا أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود <sup>(٢)</sup> ولا مولى لي إلا الله ورسوله .

فقال عبد الله بن أبي : لكني لا أبرأ من ولاية يهود إنني رجل لا بد لي منهم .

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الأحباب أرايت الذي نفست به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت ؟ . فهو لك دونه <sup>(٣)</sup> .

فقال : إذن أقبل .

فنزله قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا

(١) الروض الأنف ج ٥ ص ٣٩٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٣٩٤ وأسباب نزول القرآن ص ١٩١ ، وراجع الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ وتفسير الطبري ج ١٠ ص ٣٩٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٩ وأسباب نزول القرآن للامام الواحدي وتاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٣٨ .



خاسرين . يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم  
ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة  
لأثم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله والذين  
آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله  
والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴿١﴾

(١) سورة المائدة الآيات من ٥١ إلى ٥٦ .

## تذييل ...

مرحى يا أبناء مدرسة القرآن .. مرحى يا أبناء الصحراء ...

لقد كانوا في خرجتهم هذه التي خرجوها معلمين وأساتذة ، واختطوا للبشرية من شئون السياسة والحكم والاقتصاد .. ما تعمل الدول جاهدة للوصول اليه في القرن العشرين .

لقد خرجوا ولم تكن الدنيا العريضة ولا متاعها الزائل مطلبهم .

وليس الملك والصولجان ولا الرغبة في التسلط هي غايتهم .

وانما خرجوا تنفيذاً لأمر الله الذي اختارهم ليكونوا أمة وسطاً .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(١)</sup> .

أمة وسطاً في التصور والاعتقاد لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق .. لا تدع الحياة كلها للمشاعر ، والضمائر ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب .

أمة وسطا في الارتباطات والعلاقات .. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة .

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٣ .

أمة وسطاً في المكان في سرة الأرض وفي أوسط بقاعها وما تزال هذه الأمة التي  
غمر أرضها الاسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق  
وغرب وجنوب وشمال .

وأمة وسطاً في الزمان .. تنهي عهد الطفولة البشرية من قبلها وتحرس عهد الرشيد  
العقلي من بعدها وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات  
من عهد طفولتها ، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى <sup>(١)</sup> .

نعم لقد انموا عهد الطفولة البشرية .. وأقاموا أنفسهم حراساً للرشيد العقلي وبهروا  
قادة العالم وملوك الدنيا بإيمانهم وقوة شخصيتهم والتزامهم بأوامر ربهم وطاعتهم  
لقادتهم وخدمتهم على رعيته .

يصفهم رجل من قبيلة قضاة لقيصر الروم فيقول :

« هم رهبان بالليل فرسان بالنهار ، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى  
رجموه إقامة للحد .. » .

فتعجب القيصر بما يقوله هذا الرجل : لأنه لا يكون كذلك إلا أتباع نبي وقال  
كلمته المشهورة : لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها .

لقد خرجوا من الصحراء بطبيعة قوية كطبيعة الموج في المد المرتفع ، ليس في  
داخلها إلا أنفس مندفعة الى الخارج عنها ، ثم يقاتلون بهذه الطبيعة أمماً ليس في  
الداخل منها إلا النفوس المستعدة أن تهرب الى الداخل .

انهم يدخلون صلاتهم بكلمة « الله أكبر » وكأنهم يعلنون بذلك انصرافهم عن  
الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت ، ومحوها من أنفسهم هو ارتقاؤهم بأنفسهم  
عليها .

لقد كان المسلمون الأول العقل الجديد الذي وضع في العالم المتميز بين الحق

(١) في ظلال القرآن بتصرف المرحوم سيد قطب .

والباطل فهم يبتعثون من حدود دينهم وفضائله ، لا من حدود أنفسهم وشهواتها إذا سلوا السيف سلوه بقانون ، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون .. تقدموا إلى الدنيا وهم يحملون السلاح والأخلاق قوية في ظاهرها وباطنها .. فن وراء أسلحتهم أخلاقهم ، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق .. (١)

ولقد كان ذلك القانون — قانون الأخلاق .. هو المسيطر عليهم في كل معاركهم الحربية .. حتى والاشتباكات على أشدها .. والسيوف تحصد الرقاب وتجنبدل الأبطال .

يتمكن الامام علي رضي الله عنه في أحد المعارك من أحد الأعداء ويلقي به من فوق فرسه .. ويلقي بثقله عليه فوق الأرض .. ويتناول سيفه ليحز به عنقه .. ولكنه لم يفعل .. ويتركه في آخر لحظة سليماً معافى لم يمس وكان يجاوره بلال رضي الله عنه فيقول له : يا علي كيف ترك عدو الله ولم تجهز عليه ؟

فيقول الامام علي : يا أخي بلال لقد بصق في وجهي فخشيت أن أقتله فأكون قتله غضباً لنفسي لا لله ...

صدق القائل ان سيوفهم نفسها ذات أخلاق .

(١) مصطفى صادق الرافعي وحي القلم ج ١ بتصرف .

العبّاسُ بن عبد المطّلبِ  
رضي اللهُ عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ  
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ  
لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة الأنفال الآية ٧٠

## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق العلماء على أن المقصود بهذه الآيات هو العباس بن عبد المطلب وأيضاً عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث .  
قال ذلك الكلبي .

وذكره الإمام مسلم في صحيحه ج ٥ ص ١٥٦

وذكره صاحب مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨ .

وقاله صاحب المستدرک ج ٣ ص ٣٢٤ .

وذكره صاحب الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٤ .

وقاله الخازن والبغوي في التفسير ج ٣ ص ٤٣ — ٤٤ .

وذكره الإمام الواحدي في كتابه — أسباب نزول الآيات ص ٢٣٨ .

فمن العباس بن عبد المطلب ؟ .

## العباس بن عبد المطلب

رضي الله عنه

.. عم الرسول ﷺ ومن أقرب الناس إلى قلبه ، وأحبهم إلى نفسه .  
تتفق الروايات التاريخية على تاريخ مولده ، وتحديدده قبل قدوم أصحاب الفيل  
إلى مكة بثلاث سنوات .

والده : عبد المطلب صاحب الكلمة المشهورة مع أبرهة : «أما الإبل فهي لي ،  
وأما البيت فله رب يحميهِ ..»<sup>(١)</sup> .

وأمه : «ثيلة» ابنة خباب بن كليب ، أول عربية كست البيت الحرام الحرير  
والديباج ، وذلك أن ابنها العباس ضل وهو صبي فنذرت لله ان وجدت طفلها أن  
تكسو البيت الحرام الحرير والديباج . فلما وجدته وردة الله اليها وفّت بنذرها<sup>(٢)</sup> .  
وزوج العباس ، أم الفضل ، امرأة حكيمة عاقلة تناوها الشعر العربي بالثناء  
والتكريم .

ومن أولاده : الفضل وكان أكبر البنين ، أردفه رسول الله ﷺ في حجته ،  
ومات بالشام في طاعون عمواس .

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥ وراجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٨١ .

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٨١١ .



وعبد الله : حبر الأمة دعا له رسول الله ومات بالطائف .  
وقتم : وكان يشبه بالنبي عليه السلام ، خرج إلى خراسان مجاهداً فمات  
بسمرقند .

ومعبد : قتل بافريقيا شهيداً .

وعبيد الله : كان جواداً سخياً ذا مال ، مات بالمدينة .

وأم حبيبة : وبصمت التاريخ فلا يتحدث عنها .

يقول الشاعر عبد الله بن يزيد :

ما ولدت نجبية من فحل يجبل تعلمه أو سهل  
كسته من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل

وكان للعباس رضي الله عنه في الجاهلية عمارة المسجد والسقاية .

واختلف المؤرخون في تاريخ اسلامه . فقال بعضهم أسلم قبل فتح خيبر . وقيل  
ان اسلامه كان قبل غزوة بدر بكثير ، وكان رضي الله عنه يكتب بأخبار المشركين  
إلى رسول الله ﷺ وكان المسلمون يتقون به بمكة ، بعد هجرة الرسول ﷺ .  
بل أكثر من ذلك أنه فكر في الهجرة إلى المدينة ، وأرسل إلى الرسول بذلك  
فكتب إليه عليه السلام : أن مقامك بمكة خير (١) .

فأذعن لأمر الرسول ﷺ ولم يهاجر . ولكننا نتساءل لماذا لم يعلن العباس  
إسلامه ؟ .

أكان ذلك لمصلحة الاسلام والمسلمين ؟ ان حمزة عم الرسول بادر إلى الاسلام  
وأعلن ذلك على رؤوس الملأ من قريش فما الذي يمنع العباس من ذلك ؟ مع أن  
رواية رافع تؤكد تبكيه الى الاسلام .

قال رافع : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دخلنا أهل

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٨١٢ .

البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل ، فكان العباس يهاب قومه ويكره مخالفتهم فكان يكتُم إسلامه (١) .

وإذا كان الخوف خال بينه وبين اعلان اسلامه ، فما باله يلازم الرسول ﷺ ويذهب معه إلى الكعبة ويشاركه في كثير من جلساته ؟

يقول كعب بن مالك رضي الله عنه :

«خرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ أنا والبراء بن معرور وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال : هل تعرفانه ؟

فقلنا : لا .

قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟

قلنا : نعم ، وقد كنا نعرف العباس ، وكان لا يزال يقدم علينا تاجراً .

قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله ﷺ جالس معه (٢) .

وكان للعباس رضي الله عنه دور لا ينكر في بيعة العقبة الثانية .. وكان أول المتكلمين .. مع الأنصار ، ومن قوله :

«يا معشر الخزرج — وكانت الأوس والخزرج تدعى الخزرج — انكم قد دعوتم محمداً الى ما دعوتوه إليه ، ومحمد من أعز الناس في عشيرته بمنعه من كان منا على قوله ومن لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف ، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم ، فان كنتم أهل قوة وجلد وصبر بالحرب ، واستقلال بعداوة العرب

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٠ .

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٨ .

قاطبة فانها سترميكم عن قوس واحدة ، فارتأوا رأيكم ، واتمروا أمركم ، ولا تفتروا  
إلا عن ملا منكم واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه»<sup>(١)</sup> .

وهي كلمات تدل على بصر بالأمور ، وحكمة في معالجة القضايا ، وتفهم لما  
تقضيه مثل هذه المواقف ..

ولم يكتف بذلك بل أراد أن يعرف حقيقة القوم وأن يعجم عودهم فقال :

صفوا لي الحرب كيف تقاتلون عدوكم .؟

فقام عبد الله بن عمر بن حرام فقال :

«نحن والله أهل الحرب ، غدينا بها ، ومرثا عليها ، ورثناها عن آباؤنا كابرأ عن  
كابر ، نرمي بالنقل حتى تفتنى ، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر الرماح ، ثم نمشي  
بالسيوف فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا» .

فانفرجت أسارير العباس واطمأن إلى هؤلاء الرجال الذين سيسلمهم أحب  
الناس الى قلبه ..

وكأنه نسي شيئاً فقال مستدركاً :

أتم أصحاب حرب فهل فيكم دروع ؟

قالوا : نعم شاملة .

ان من يتدبر محاورة الأنصار والعباس يدرك للوهلة الأولى انه محيط بهذا الأمر  
الذي يدعو اليه ابن أخيه .

حقيق ان العرب لن تترك هذا الأمر يمر الا مكروهة ، فهي لا بد أن تصدئ له  
وتقف في طريقه وتجاربه بكل سلاح فالأمر جد ، ولا بد من اعداد العدة له ، ولن  
يتحمل هذا الأمر العظيم الا رجال .

ولن يكتفي لانتشار هذا الأمر الحب وحده فهؤلاء الرجال الذين أتوا إلى الرسول

(١) المصدر السابق ص ١٥٩ .

ﷺ من يثرب كانوا يحبونه أكثر مما يحبون أولادهم وأموالهم وأهلهم وكل ذلك طيب وخير.

ولكن الدعوات لن تقام بالحلب فقط ، ولن تتغلب على أعدائها بخلجات القلوب ولكن الغلبة تكون بالرجال ممن لهم خبرة ودراية بالحروب والمعارك ، وفي نفس الوقت على استعداد تام لبذل أرواحهم رخيصة في سبيل عقيدتهم ومبديتهم . وهذا ما أراد أن يطمئن العباس عليه .

والرجل الخبير بالحياة ، العارف بخبايا النفوس لم يكتف منهم بقولة هم قائلوها بل طلب منهم أن يصفوا له الحرب ليتأكد من صدق نواياهم ، وعندها فقط سمحت نفسه بتمام البيعة بين الانصار والرسول .

وتم ما أراد الله ، وأخذ الرسول ﷺ ، يعد العدة الى الهجرة إلى يثرب .  
أكان العباس يعلم بوقت الهجرة ؟  
أترى أخبره الرسول ﷺ بميعادها ؟  
لا نجد بين أيدينا من الأدلة ما يثبت ذلك .

وبقي العباس في مكة يستقبل أخبار الفئة المؤمنة التي هاجرت بدينها إلى المدينة ويرسل للرسول عليه السلام بأخبار قريش وتحركاتها .  
حتى كانت غزوة بدر ، وعرف الرسول ان العباس وأهله أخرجتهم قريش للقتال معهم وهم لهذا الأمر كارهون . فقال عليه السلام :

« اني عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، من لقي العباس بن عبد المطلب عم النبي فلا يقتله فإنما أخرج مستكرهاً» (١) .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٩ .

قال الرسول ﷺ ذلك وسرت مقالته بين رجال بدر فتقبلوها ولم يعترض أحدا ما عدا أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة .

فإنه قال : « نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرتنا ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لأضربنه بالسيف »<sup>(١)</sup> .

فبلغت مقالته رسول الله ﷺ فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟

فقال عمر : دعني أضرب عتق أبي حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق ...  
ولكن الرسول ﷺ لا يوافق عمر على قتل أصحابه ويتركهم ليتوبوا ويكفروا عن خطيئتهم .

ولقد ندم أبو حذيفة على ما تلفظ به ونطق به لسانه ، وكان يكرر دائماً .  
« والله ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال منها خائفاً إلا أن يكفرها الله عز وجل عني بالشهادة »<sup>(٢)</sup> .

فاستجاب الله له ، وحقق له طلبته فقتل يوم موقعة الجمامة شهيداً .  
واستقرت أمور المسلمين .. وفتح الله لهم فتحاً ميبناً وهاجر العباس إلى المدينة ومعه نوفل بن الحارث .. وتضطرب المصادر التاريخية في تاريخ هجرته ، وتتفق على أن الرسول ﷺ أقطعه وصاحبه موضعاً بالمدينة متجاوزاً .

وفي المدينة وقع رجل في أب للعباس كان للعباس في الجاهلية ، وتكرر ابتداء الرجل لشعور العباس رضي الله عنه ، ولما لم يكف عن ذلك لطمه العباس لطمه اجتمع على أثرها قومه ..

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٠ .

فقالوا : والله لننظمنه كما لطمه ، ولبسوا السلاح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاء وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيها الناس أي تعلمون أكرم على الله ؟  
قالوا : أنت .

قال : فإن العباس مني وأنا منه ، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا<sup>(١)</sup> .  
فجاء القوم فقالوا :

« يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك ، استغفر لنا يا رسول الله .»

ويؤكد هذه الواقعة ما يرويه أبو مجلز رضي الله عنه ، قال :

قال رسول الله ﷺ انما العباس صنو أبي فمن آذى العباس فقد آذاني .  
ويتقدم العباس الى الرسول ﷺ قائلاً : يا رسول الله ألا تؤمرني على امارة ؟ ..  
انه صاحب رأي وحنكة .

وله خبرة ودراية بالنفوس البشرية .

ولكن القائد يرفض أن يقلد عمه ولأية . قد يكون غيره من آحاد المسلمين من هو أحق بها منه .

فيقول له في رفق : يا عباس يا عم النبي :

« نفس تنجيتها خير من امارة لا نخصيها »<sup>(٢)</sup> .

ويقنع العباس ويرضى بما رآه له الرسول ﷺ .

وتمر الأيام ويحتاج الرسول ﷺ إلى عمال يجمعون الزكاة والصدقات من المسلمين . ويعلن ذلك بين أصحابه . فيتقدم العباس مرة ثانية الى الرسول عليه السلام طالباً منه أن يستعمله في أحد الأعمال الجديدة .

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٧ .

فقال الرسول ﷺ :

« ما كنت لأستعملك على غسالة ذنوب الناس » .

ان الرسول ﷺ وهو أعلم الناس به . لم يستعمله على ولاية ، ولم يستعمله في جمع الزكاة والصدقات .

ولا أمل له في عمل من أعمال الدنيا . فليبحث عما ينفعه في الآخرة ويتجه مرة  
ثالثة إلى الرسول ﷺ قائلاً :

« أنا عمك ، كبرت سني واقترت أجلي ، فعلمني شيئاً ينفعني الله به » .

فقال الرسول ﷺ :

« يا عباس أنت عمي ولا أغني عنك من أمر الله شيئاً ، ولكن سل ربك العفو  
والعافية » . عليك سلام الله وبركاته يا رسول الله .

ويبلغ الكتاب أجله ، ويكون العباس أشد الناس حزناً على فراق الرسول ﷺ .

مات الرسول ﷺ وعاش العباس مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه عزيزاً  
كريمًا .

ثم جاء عمر رضي الله عنه .

وكان طريق عمر إلى المسجد ماراً بدار العباس بن عبد المطلب ، وكان للدار  
ميزاب .

وفي يوم من الأيام لبس عمر ثيابه واتجه إلى المسجد ، فلما وافى الميزاب صب فيه  
ماء فأصابه فأمر عمر بقلعه . ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها وجاء فصلى بالناس  
فأتاه العباس فقال :

والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ يقصد الميزاب .

فقال عمر للعباس : فأنا أعزم عليك أن تصعد على ظهري حتى تضعه في  
الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ .

ففعل العباس ذلك .

لا يقضب العباس لقلع الميزاب ولكن يذكر عمر... بأن الذي وضعه رسول الله <sup>صلى الله عليه وسلم</sup>

وترتعد فرائص عمر القوي خوفاً وفزعاً..

كيف يأمر بقلع ما وضعه رسول الله؟..

ويكفر عن فعلته تلك بأن ينصب ظهره ليرتفع عليه العباس ليعيد تثبيت ما وضعه الرسول..

ثم ماذا يا حاكم المسلمين؟. يطبع قبلة حب ورجاء على جبين العباس تكريماً واعزازاً له.

وفي يوم من الأيام أحس عمر رضي الله عنه ان المسجد لم يعد يسع كل المسلمين وفكر في توسيعه، واستشار أصحابه فوافقوه على ما ذهب اليه.

وأخذ في شراء ما حول المسجد من دور..

وبقي دار العباس بن عبد المطلب، أيمن أن يتبرع به لبيت المال؟..

أقبل أن يشتري منه ويقبض الثمن؟..

ويتقدم عمر اليه قائلاً:

يا أبا الفضل ان مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل توسع به على المسلمين في مسجدهم إلا دارك وحجر أمهات المؤمنين، أما حجر أمهات المؤمنين فلا سبيل اليها، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوسع بها في مسجدهم..

فقال العباس: ما كنت لأفعل..

فقال عمر: اختر مني إحدى ثلاث:

أما أن تبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، وإما أن أخطئك حيث شئت من المدينة وابنيها لك من بيت مال المسلمين، وإما أن تتصدق بها على المسلمين فتوسع بها في مسجدهم..



فقال العباس : لا ولا واحدة منها .

فقال عمر : اجعل بيني وبينك من شئت .

فقال : أبي بن كعب .

فانطلقا الى أبي فقصا عليه القصة ..

فقال أبي : ان شئتما حدثتكما بحديث سمعته من النبي ﷺ .

فقالا : حدثنا ..

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان الله أوصى الى داود ان ابن لي بيتاً أذكر فيه ، فخط له هذه الخطة ، خطة بيت المقدس ، فإذا تربيعها بيت رجل من بني اسرائيل .. فسأله داود أن يبيعه إياه فأبى ..

فحدث داود نفسه أن يأخذه منه ، فأوحى الله إليه :

« ان يا داود أمرتك أن تبني لي بيتاً أذكر فيه ، فأردت أن تدخل في بيتي الغصب وليس من شأني الغصب ، وان عقوبتك أن لا تبنيه ..

قال : يا رب فمن ولدي ؟ ..

قال : من ولدك .

قال : فأخذ عمر بمجامع ثياب أبي بن كعب وقال :

جئتك بشيء فجئت بما هو أشد منه ، لتخرجن مما قلت ..

فجاء يقوده حتى ادخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ .. فيهم أبو ذر .

فقال : إني نشدت الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكره .

فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله ﷺ .

وقال آخر : أنا سمعته .

وقال ثالث : أنا سمعته يعني من رسول الله ﷺ .

فقال عمر للعباس : اذهب فلن اعرض لك في دارك .

فقال العباس : أما اذا فعلت فاني قد تصدقت بها على المسلمين أوسع بها عليهم في مسجدهم ، فأما وأنت تخصمني فلا ..

ان عمر يجادل ويخاصم ما دام الأمر يخص المسلمين ولا يتعارض مع شرع الله أما وهناك نص فلا اجتهاد من عمر ، بل يدعن ويستسلم ، ويرى العباس استسلام عمر وان الأمر لم يكن أمر خصام أو اعتداء على حقوقه ، وإنما يعني هذا الحاكم مصلحة المسلمين وحدها ...

فلماذا يتفرد عمر بهذا الأمر وحده ، ولما لا يشاركه اهتمامه بأمر المسلمين .

ان هذا من واجبه . بل من أوجب الأمور عليه ، فيقرر أن يقدم داره هبة للمسلمين لتوسيع مسجدهم .

انهم رجال مدرسة الرسول ﷺ .

ممن نهلوا من ينابيع القرآن .

انهم الرعيل الأول الذين حملوا راية القرآن ، وانداحوا بها في أربعة أركان الأرض فمدنوا الدنيا ، وهذبوا العالم ، وقرروا الحق للانسان .

وتمر الأيام ، وتكر الليالي ، وتعترض عمر إحدى المشكلات العويصة التي تحتاج إلى ذهن ألمعي ، وعقل ذكي ، وتوفيق من الله سبحانه وتعالى . لقد أجدبت الأرض إجداباً شديداً وهلكت الماشية ، وأصيب الناس بمسغبة شديدة وهرع الناس إلى عمر يشكون اليه ما هم فيه من جوع ومخمصة .

ويدعو عمر الموسرين من المسلمين إلى البذل والانفاق ، ويرسل إلى الولاة يطلب منهم المدد .

ولكن الأزمة تزداد سوءاً ، ويجلس عمر في مسجده ضارعاً إلى ربه متوسلاً إليه أن يكشف ما هم فيه من ضرر .

ويدخل كعب بن أبي علي عمر ويلقي عليه بتحية الاسلام ثم يقول : يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء . ونحن معنا عم الرسول ﷺ وصنو أبيه وسيد بني هاشم .

واقنع عمر بما قاله أبي واتجها إلى العباس رضي الله عنه وحدثاه بما يريدان . وشكى إليه عمر بما فيه الناس من جهد ومشقة . ويستجيب العباس لطلب المسلمين ويتجه مع عمر إلى المسجد ثم صعدا إلى المنبر ، ورفع عمر أكف الضراعة إلى ربه قائلاً : « اللهم إنا توجهننا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين » .

ثم تقدم العباس فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« اللهم ان عندك سحباً ، وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل الماء منه علينا فاشدد به الأصل وأدرّ به الضرع .

اللهم انك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة ، وقد توجه القوم إليك فاسقنا الغيث .

اللهم اسقنا سقياً وادعاً نافعاً .

اللهم انا لا نرجو إلا آياك ولا ندعو غيرك ، ولا نرغب إلا إليك ، اللهم إليك نشكو جوع كل جائع ، وضعف كل ضعيف ، اللهم فأغنهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون .

واستجاب الله لهذا الدعاء . فجادت السماء بالمطر ، وجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحفر بالآكام ، وأخصبت الأرض ، وطفق الناس يتجهون إليه قائلين :

هنيئاً لك ساقى الحرمين<sup>(١)</sup> .

وأنشد شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت قوله :

سأل الامام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس  
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس  
أحيا الاله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس<sup>(٢)</sup>

وعاش العباس ما عاش وهو موضع الإجلال والإكبار من المسلمين وحكامهم .  
روى ابن أبي الزناد عن أبيه قال :

لم يمر العباس بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز العباس إجلالاً  
له ، ويقولان :

« عم النبي ﷺ وصنو أبيه » .

ثم ماذا ؟

لكل بداية نهاية .

ولكل سافرة حجاب .

ولكل أجل كتاب .

وسافر العباس في رحلته الأخيرة ، رحلة الخلود والأبدية ، وفر إلى ربه ليلحق  
بالأصحاب الكرام البررة ، وكان ذلك يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة خلت من رجب  
سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالقيع ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

رحمه الله رحمة واسعة وأسبغ عليه سبحانه فضله ورحمته جزاء ما قدم من  
خير للإسلام والمسلمين .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٨١٥ .

(٢) المصدر السابق .

## أسباب نزول الآيات

أسر العباس رضي الله عنه يوم بدر، وكان الذي أسره «أبو اليسر كعب بن عمرو» ويذكر المؤرخون عن أبي اليسر هذا انه كان رجلاً ذكيق الذراعين، ضعيف البنية.

وكان العباس رضي الله عنه رجلاً جنسياً.

فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر.. كيف اسرت العباس يا أبا اليسر؟

فقال: يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا، وهيئته كذا.

فقال رسول الله ﷺ لقد اعانك عليه ملك كريم (١).

وعندما وقع العباس في الأسر كان أول شيء سأل عنه رسول الله ﷺ

فقال لأبي اليسر: ما فعل محمد اما به القتل؟..

قال أبو اليسر: الله أعز وأنصر..

فقال العباس: كل شيء ما خلا الله خلل فما تريد؟..

قال أبو اليسر: ان رسول الله ﷺ نهى عن قتلك.

فقال العباس: ليس بأول صلته وبره.

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٢.

ثم ماذا؟ .. يوضع العباس مع الأسرى موثقين بالحبال وأخذ يتضجر من وثاقه ، وارتفع أنينه الى سمع الرسول ﷺ فأقلقه هذا الأنين وأرهقه .. وامتنعت عيناه من الغمض .

ويدخل عليه بعض الصحابة ويحسون بما يعانیه الرسول ﷺ فيقولون :

ما أسهرك يا نبي الله؟

فقال : أنين العباس (١) .

فقام رجل فأرخى وثاقه ..

فقال رسول الله ﷺ ما لي لا أسمع أنين العباس؟ ..

فقال رجل من القوم : اني ارخيت من وثاقه شيئاً يا رسول الله ..

فقال عليه السلام :

« فافعل ذلك بالأسارى كلهم » .

وفي الصباح عرض الأسرى على الرسول عليه السلام ، فلما جاء دور العباس قال الرسول ﷺ :

يا عباس أفند نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم فانك ذو مال ..

قال يا رسول الله : اني كنت مسلماً ولكن القوم استكروهوني ..

وقال الرسول ﷺ :

« الله أعلم باسلامك ، ان يك ما تذكر حقاً فالله يجزيك به ، فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا فاقد نفسك » (٢) .

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٨١٢ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٩٩ .

وتذكر الروايات التاريخية ان الرسول ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب ...

فقال العباس : يا رسول الله احسبها من فداي .

قال : لا ، ذاك شيء أعطانا الله منك .

قال : فانه ليس لي مال ..

قال عليه السلام :

« فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت وقلت لأُم الفضل بنت الحارث لا أدري ما يصينني في وجهي هذا ، فهذا لك وللفضل ولعبد الله وعبيد الله وقثم » .  
فقال العباس : من أخبرك بهذا ؟ .. فوالله ما اطلع عليه أحد من الناس غيري وغيرها ..

فقال عليه السلام :

« الله اخبرني بذلك » .

فقال له : فانا أشهد أن لا اله إلا الله وأنت رسول الله حقاً ، وانك لصادق<sup>(١)</sup> وذلك معنى قول الله تعالى :

﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً ، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ﴾<sup>(٢)</sup>

ثم يقول العباس : ولقد تحقق ما وعدني ربي من خير ، فأعطاني مكان عشرين أوقية عشرين عبداً وأنا أنتظر المغفرة من ربي .

وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة ، وأنا أرجو المغفرة من ربي<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٣٩ .

(٢) سورة الانفال ، آية رقم ٧٠ .

(٣) راجع مجمع الزوائد ج ٧ ص ٨ ، والمستدرک ج ٣ ص ٣٢٤ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٤ .

ولكن من أين له هذا المال الذي اشترى به عشرين عبداً كل منهم له مال يتاجر به ؟ .

يذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى : ان العلاء بن الحضرمي ، بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً فما أتى رسول الله ما أكثر منه . فأمر بها فنشرت على حصير ونودي بالصلاة فجاء رسول الله ﷺ فقتل على المال قائماً ، وجاء الناس حين رأوا المال ، وما كان يومئذ عدد ولا وزن ، وما كان إلا قبضاً .

فجاء العباس فقال : يا رسول الله انني أعطيت فداي وفدى عقيل بن أبي طالب يوم بدر ولم يكن لعقيل مال ، فأعطني من هذا المال .  
فقال عليه السلام : خذ .

فحثا العباس في خميسة كانت عليه ثم ذهب ينهض فلم يستطع فرفع رأسه إلى رسول الله وقال :

« يا رسول الله ارفع عليّ » .

فتبسم رسول الله ﷺ حتى خرج ضاحكه أو نابه .

وقال : ولكن أعد في المال طائفة وقم بما تطيق .

ف فعل وانطلق بالمال وهو يقول :

« أما احدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزها ولا أدري ما يصنع في الأخرى » (١) .

(١) رواه الحاكم في المستدرک من حيث عبد الله بن موسى ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦ .



## تذييل ...

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، رجل من أولئك الرجال الأفذاذ الذين كان لهم دور في رفع لواء الاسلام وانتشار هديه .

ولقد كانت حياته رضي الله عنه مملوءة بالجلاد والمثابرة ، فكان لا يرى إلا في كبريات الأمور ، ولا يسمع له صوت إلا عندما يكون الأمر جدّ كله لا يحتمل التأجيل أو التسويف .

ولقد كانت له مواقف سجلها التاريخ له بأحرف من نور ، ففي بيعة العقبة الكبرى كان موقفه موقف السفير الخنك الذي يعرض سفارة قومه بالحكمة والدهن اللامع وعرض موقف ابن أخيه صلى الله عليه وسلم من العرب ، وموقف العرب منه ، وتنبأ بالصعاب التي يتعرض لها الرجال الذين يربطون حياتهم بصاحب الدعوة الجديدة وما يمكن أن ينزل بهم من مشقة وجهد في أنفسهم وأموالهم وأهلبيهم ، لأن العرب لن تترك محمداً وما يدعوا إليه إلا وهي مكرهة على ذلك .

وكان موقفه أيضاً موقف الخبير بنفوس الرجال العارف بطبائعها وخصائصها وموقف الفارس المحارب الذي يختار جنوده من بين طعنات السيوف وتلاحم الفرسان .

ولقد اطمأن في نهاية الحوار الذي دار بينه وبين الأنصار ، إلى أن رجال يثرب هم العمالقة الذين اختارتهم العناية الإلهية للوقوف خلف محمد صلى الله عليه وسلم .

وعندئذ أخذ بيد ابن أخيه عليه السلام وأيدي الأنصار في بيعة موثقة وأشهد الله على ذلك .. وطلب في النهاية من ربه بعد أن اتخذ الأسباب لانجاح هذه البيعة التوفيق والسداد .

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى يثرب استشاره العباس في اللحاق به ليكون بجانبه .. ولكن النبي ﷺ أشار عليه بالبقاء ليقوم بمهمة جليلة ويتحمل مسئولية عظيمة ، هي مساندة المسلمين الضعفاء بمكة الذين حالت بينهم وبين الهجرة ظروف قاهرة .

فأذعن العباس لأمر الرسول ﷺ وبقي مع الفئة المؤمنة التي لم تهجر يقوي ضعيفهم ، وبهيء الراحلة لمهاجرهم ، ويسدد ديون الغارمهم ويرصد تحركات قريش ومخططاتها لتكون تحت أعين الرسول عليه السلام وصحبه ، حتى لا يؤخذوا على غرة أو تعمي عليهم الأمور .

فعل العباس ذلك في صدر الاسلام . وما أحوج الأمة الاسلامية الآن في وقتنا هذا إلى عباس جديد يسدد ديون الغارمين من البلدان الاسلامية حتى لا تقع فريسة للالحاد والتبعية والشيوعية . ويقف حائلاً وسداً منيعاً ضد دعايات الكبار من الغزو الفكري والتبشير الصليبي والتوسع الصهيوني الذي يتعرض له ضعاف المسلمين .

الأمة الاسلامية الآن في حاجة إلى عباس جديد ، يضع تحت بصر القيادة المؤمنة أحوال المسلمين وظروفهم لتعمل القيادة البصيرة على انقاذ المسلمين من الابادة الشاملة التي يخطط لها المد الصهيوني الصليبي في الصومال وفي فلسطين وفي موريتانيا وفي جزر القمر ، وفي الحبشة والفلبين .

فن هو العباس الجديد الذي يحمي أعراض المسلمين من التهتك والاباحة نتيجة للتبعية والتقليد؟ .

ويحمي افكار المسلمين وأبناءهم من الحاد ماركس ولينين ، ومن اباحة «فرويد» و«داروين» ويحمي بلاد المسلمين من اطماع الطامعين . وغارات المغامرين .

من العباس الجديد يا ترى ؟

إذا كان للعباس رضي الله عنه هذا الدور العظيم في انقاذ الفئة المؤمنة بمكة والحيلولة بينهم وبين طواغيت قريش . فان دوره في فتح مكة كان كبيراً وخلاقاً . وأنقذ العرب من حرب طاحنة تستنفذ بعض قواهم ، والتي كان يجب أن تدخر في هذا الوقت لتبليغ دين الله إلى البشرية قاطبة .

لقد قام بدور «الحرب الباردة» كما يسمى في عصرنا الحاضر ، وكان بداية ذلك عندما التقى بالقرب من مكة ببعض صناديد قريش وقادتها من أمثال أبي سفيان وحكيم بن حزام وغيرهم .

ومن اللحظات الأولى أخذ يفت في عضدهم . ويوضح لهم القوة الضاربة التي أعدها المسلمون لهذا اليوم . ولم يكتف بذلك بل وقف بهم على ربة عالية ليشاهدوا كتائب المسلمين وهي تسرع الخطا إلى مكة لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد . وعيون يملأها الايمان والصلابة والتصميم على نشر دين الله ..

الأمر الذي جعل أبا سفيان ينطلق إلى مكة ، ويصرخ فيهم بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به . وعندما وقفت امرأة موتورة قتل الكثير من أهلها في الحروب التي دارت بين المسلمين وعصابة الكفر ترد على أبي سفيان وتحرض قومها من قريش على الحرب والقتال ، هاجمها بشدة وقال : لا يغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به وأخذ يفرق من تجمعاتهم ويقول :

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن ..

فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .. وتم نصر الله ، وفتحت مكة أبوابها لرجال الاسلام وتحطمت الأصنام ، واستسلمت قريش وتعنتى الوجود كله بقوله تعالى :

﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته  
عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ .

يا مدرسة القرآن...

يا أمة الاسلام..

أين أبناؤك من أمثال العباس بن عبد المطلب؟..

إن البشرية في حاجة ماسة اليهم الآن..

فتى نلمحهم على الأفق مقبلين؟..

عَمْرَةَ بِنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ  
وَجَدِ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ  
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ  
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ  
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ  
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

صدق الله العظيم

سورة النحل ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال المفسرون : نزلت هذه الآيات عندما قتل حمزة — رضي الله عنه .  
قاله الامام ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٩٣  
ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٩  
والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥  
وقاله ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٣  
وقاله الامام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

من هو حمزة بن عبد المطلب ..؟

## حمزة بن عبد المطلب

رضي الله عنه

أسد الله ، وأسد رسوله ، وسيد الشهداء — كما قال رسول الله — ﷺ .  
وسفير الرسول ﷺ إلى خويلد بن أسد في خطبة خديجة رضي الله عنها .  
وصاحب أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحرب الفئة الباغية من قريش .  
فإذا أردنا أن نتعرف على بعض أحوال طفولته وشبابه ، فنقول : في احد  
البيوتات المحيطة بالكعبة إحاطة السوار بالمعصم كانت طفولته ونشأته . وعلى رُبى مكة  
وسهولها الممتدة عبر الأفق فتح عينه ، وأدرك بعض دنياه .

... وبين لداته وأترابه من أطفال قريش وشبابها تعود الحركة والوثب ، وأتقن  
إرسال الرمح وإصابة الهدف .

حتى إذا ما اشتد عوده ، وخط شاربه ، ووقف على أول أعتاب الشباب  
ضاقَت دروب مكة وملاعبها عن آماله ، فكان يخرج كل يوم الى الوديان الفسيحة ،  
ويعتلي قمم الجبال العالية ، منقباً وباحثاً عن صيد بصيده أو طائر يقتنصه ، أو أرنب  
يرسل خلفه رحمة ..

فإذا آذنت الشمس إلى المغيب عاد الى مكة ، يحمل صيده على راحلته ويبحث  
خطاه إلى منزله .. ليعود بعدها مسرعاً الى الكعبة يشارك أبناء قريش فيما يأخذون  
أنفسهم به من عبث الحياة وجدها .



حتى كان يوم أحس فيه أن جديداً يجري من حوله ، وأن همساً يدور على الشفاه ، في أمور لا تكاد تبين ، وأن قريشاً قررت أن تجتمع في دار الندوة ، اجتماعاً غير عادي ، لتشاور في أمر محمد الذي يدعوها إلى دين جديد ، دين لم يعرفه الأجداد ولا الأحفاد ، ومع ذلك ما كاد شباب مكة يسمع بذلك حتى بادروا بالانضمام إليه ، يشاركونهم في ذلك كل المستضعفين والخدم ، وتابعوا محمداً فيما يدعو إليه .

الأمر الذي أهمها وأقلق راحتها ، وجعلها تركب رأسها ، لتذيق هؤلاء المستضعفين من عبيد وخدم ألوان العذاب ، وصنوف التنكيل .  
أي دين هذا الذي يدعو إليه محمد؟ .

إن حمزة يعرف ابن أخيه جيداً .

فهو أخوه من الرضاعة ، ورفيق حياته ، وصديق طفولته ، ويعرف عنه مكارم الأخلاق ، ورقة الشماثل ، ومحبة الضعفاء ، والوقوف في وجه الظلم .

وهو من قبل هذا ومن بعده الأمين الصدوق بين أهله وعشيرته والحائل بين قريش وبين إراقة الدماء عندما اختلفت في وضع الحجر الأسود فعل ذلك وهو صغير ، أما وقد بلغ مبلغ الرجال يأتي لقومه بما يفرق جمعهم ويشتت وحدتهم؟ .

محال أن يفعل محمد ذلك .

إنه لن يأتي منه إلا الحق والعدل ، ولن يدعوهم إلا إلى خير .

إن محمداً فيما يدعو إليه يحدث عن ربه .

أ يكون صادقاً مع الناس أميناً بينهم كاذباً على ربه ، يتقول عليه بما لم يوح إليه

به .؟

لا : إن هذا لن يكون .

هكذا كان يفكر حمزة بينه وبين نفسه ، وهو يسرع براحلته إلى مكان الصيد ، وأخرجه من تأملاته تلك ، ظهور ثعلب من جحره فلكرز راحلته لتسجه إليه ، وأسرع

نحوه ، ورماه بسهمه فأرداه قتيلاً . وشغله ما فيه من أمور الصيد عن حديث محمد ، وما تدبره له قريش .

وفي المساء عاد حمزة من مكان صيده متوشحاً برمح وسيفه ، سعيداً بما جمعه من غزلان وطيور ، وحيوانات برية ، وما كاد يقترب من دروب مكة حتى سمع صوتاً يناديه ، فالتفت نحوه ، فإذا مولاة عبد الله بن جدعان تطلبه ، فاتجه نحوها فقالت له :

« يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام ؟ وجده جالساً فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد » .

قالت المرأة ذلك فأخذ الغضب بمجامع قلبه وقرر في نفسه أمراً . فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشججه شجة منكرة ثم قال :

أتشتمه .. ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول .. فرد ذلك عليّ إن استطعت فقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ..

فقال أبو جهل : « دعوا أبا عمارة ، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً » .

وعاد حمزة إلى بيته ، ونفى عنه متاعب يومه ، وجلس يفكر ، ويعاود خواطره على هذا الذي حدث من قريب .

كيف أعلن اسلامه ولماذا ؟

لقد أعلنه في لحظة من لحظات الغضب والانفعال ، لقد ساءه أن يهان ابن أخيه ، ويظلم دون أن يجد ناصراً أو معيناً من أهله فغضب من أجله ، وأخذته الغيرة على شرف بني هاشم ، ففعل ما فعل ، وشج رأس أبي جهل . ثم صرخ في وجهه متحدياً معلناً اسلامه ، ومتابعة محمد فيما يدعو إليه .

ولكن هل من العقل أن يغادر الانسان دين آبائه وأجداده دين الأهل

والأحباب ، ويستقبل ديناً جديداً لم يختبر بعد تعاليمه ولا يعرف عن حقيقته إلا قليلاً  
بهذه الصورة؟.

صحيح أنه لا يشك لحظة في صدق محمد ، ونزاهة مقصده ، ولكن أيمن أن  
يستقبل امرؤ ديناً جديداً ، بكل ما يفرضه من مسئوليات وتبعات في لحظة غضب  
مثلاً صنع هو الآن؟.

وعند الكعبة ، كان يستقبلها ضارعاً متهللاً . رافعاً أكف الضراعة إلى السماء ،  
كي يهتدي الى الحق ، والى الطريق المستقيم .  
ولنصغ اليه وهو يروي لنا بقية النبيا فيقول :

« ثم أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبت من الشك في أمر عظيم ،  
لا اکتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت الى الله أن بشرح صدري للحق ،  
ويذهب عني الريب .

فاستجاب الله لي وملاً قلبي يقيناً ، وغدوت الى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان  
من أمري ، فدعا الله تعالى أن يثبت قلبي على دينه . »

وهكذا تم إسلام حمزة رضي الله عنه ، وتابع الرسول فيما يدعو إليه ، عندها  
أبقت قريش أن حمزة سيمنع ابن أخيه ، فكفت عن بعض ما كانت تفعله معه .

وعرف حمزة الطريق الى دار الأرقم بن أبي الأرقم — المدرسة الأولى في  
الاسلام ، والتي تلقى فيها أجلاء الصحابة ، الدستور الخالد لتنظيم الدنيا والآخرة .  
دستور الاسلام الذي ينظم العلاقة بين الفرد ونفسه ، وبين الفرد ومجتمعه ، وبين  
الفرد وربه .

وعندما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تلك الدار وطرق بابها بعنف  
وارتعدت بعض فرائص الرجال عندما سمعوا صوته من الداخل ، كان حمزة أول  
من تقدم ليفتح له الباب .. وقال لمن معه من الرجال لا تراعوا : إن كان عمر قد جاء  
يريد منا خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد بنا شراً قتلناه بسيفه .

وأقبل حمزة على التفقه في دينه ، والجلوس بين يدي الرسول ﷺ يسمع ويستفسر ، ويرهف سمعه لكل ما يقوله الرسول ﷺ ، حتى لا يفوته شيء ، وكلمها عرف شيئاً زاده إلى أن يعرف غيره ، حتى كان يوم ، أحس حمزة رضي الله عنه أن مجلس الرسول ﷺ خال إلا منه فتوجه إليه قائلاً : يا رسول الله .. إنني أريد أن أرى جبريل في صورته .

فقال عليه السلام : إنك لا تستطيع أن تراه .

قال : بلى .

قال عليه السلام : فاقعد مكانك .

قال : فنزل جبريل على خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها إذا طافوا بالبيت .

فقال عليه السلام : ارفع طرفك فانظر ، فنظر فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر فخر مغشياً عليه <sup>(١)</sup> .

وتعود حمزة رضي الله عنه بعدها ، ألا يسأل الرسول ﷺ شيئاً إلا ما يتعلق بأمور دينه ، وما يتقبله عقله ولا يضيق عنه فكره .

ثم ماذا؟ أراد الله بالمؤمنين خيراً وأذن للرسول عليه السلام بالهجرة إلى يثرب ، فامتلأ أمره ثم تناهت هجرة الرجال المؤمنين الذين فضلوا للحاق برسولهم ﷺ ليكونوا على مقربة منه ، ومن الاستماع لهديه . وإن كان في ذلك مفارقة الأهل والولد والمال .

وكان في مقدمة المهاجرين إلى يثرب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وفي المدينة ألقى رحله في منزل أسعد بن زرارة الأنصاري وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة رضي الله عنهما .

واستقر المسلمون بالمدينة ، ووفر لهم الأنصار كل ما يحتاجون إليه في حياتهم

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢ طبعة دار صادر - بيروت .

الجديدة ، وقامت لهم قيادة توجه وترشد ، وتعمل وتخطط وكان على هذه القيادة أن تعمل جاهدة لارهاب قريش ، والعمل على كسر شوكتها ، وتضييق الخناق عليها في تجارتها ، وذلك بإرسال الغزاة إليها وبث العيون في مسالكها .

وكان أول لقاء عقده الرسول ﷺ لهذه الغاية لواء حمزة بن عبد المطلب ، حيث أرسل إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة . وأوشك أن يدور بينهم قتال ، ليحكم السيف بين الفئة المؤمنة ، حرثته ، فقد كان الرجل واسمه « وحشى » عبداً لجبير بن مطعم ، وكان عم جبير قد لقي مصرعه يوم بدر فقال له جبير :

وفي ذلك يقول سيد الشهداء حمزة — رضي الله عنه — مصوراً هذه الحادثة :

بأمر رسول الله أول خافق	عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامة	إله عزيز فعله أفضل الفعل
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا	مطايا وعقلنا مدى عرض النبل
فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا	وما لكم إلا الضلالة من حبل
فشار أبو جهل هنالك باغياً	فخاب ورد الله كيد أبي جهل

علام تدل هذه الحادثة؟ وإلى أي شيء تشير؟

تدلّ على أن هؤلاء المهاجرين بدينهم ، الفارين إلى ربهم ، لم تكن هجرتهم من أجل السلامة ، وحفاظاً على المهج والأرواح ، وبحثاً عن الحياة الناعمة الطيبة . إن ذلك كله لم يكن وارداً في حساباتهم وإنما كانت الهجرة من أجل إعداد القوة لإرهاب الكفرة المشركين الذين يصلون عن سبيل الله .

وتشير هذه الكتيبة الصغيرة التي خرجت تتحدى قوة قريش وجبروتها ، وتداول طغيانها وسيوفها . ان الحياة عند هؤلاء لم يكن لها وزن كبير إلا بمقدار ما

تؤدبه لنشر دين الله. وإلا ما فكر الثلاثون فارساً أن يدخلوا مع ثلاثمائة — يملكون العدة والعدد، والسيوف والدروع — معركة ضارية.

ولكنه الإيمان الذي يهب الانسان القوة، فلا يخاف أحداً، ولا يهاب إنساناً وكيف يداخلهم خوف، أو يكون في قلوبهم وهن، وهم يتلون قول الله تعالى:

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله، والله مع الصابرين (٦٦)﴾<sup>(١)</sup>.

وتأبى قريش إلا أن تركب رأسها، وتأتي بقضها وقضيضها تريد القضاء على محمد ﷺ والمهاجرين معه، ونزلت بماء بدر وخرج المسلمون اليهم قلة في العدد والعدة، ولكنهم كثر في أعين الأعداء، ترعاهم عناية الله، وتشد من أزرهم ملائكته الأبرار ونزل المسلمون على الماء، وأقسموا أن لا ينال كافر منها شربة ماء. ولكن الأسود بن عبد الأسد الخزومي، وكان رجلاً شرساً سيء الخلق، خرج من صفوف قريش وهو يقول:

«أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه».

وما كاد يتقدم ناحية الماء حتى برز إليه حمزة رضي الله عنه، فلما التقيا ضربه حمزة فأطار قدمه بنصف ساقه، وهوى دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دمه، ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر يمينه، فاتبه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.. إن هذا الأسود بن عبد الأسد الخزومي الذي نال جزاءه وعقابه أحد اتباع حزب الشيطان الذين خرجوا من مكة بطراً ورياء لتسمع العرب بهم، وتحدث عن شجاعتهم وقوتهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وجندل

(١) سورة الأنفال الآيات من ٦٤ الى ٦٦.

البعض قريباً من ماء بدر ، وعاد البعض الآخر مدحوراً مهزوماً ، وتدل فلولهم الفارة نحو مكة بأن جند الله هم الغالبون .

ولقد قام أسد الله حمزة في غزوة بدر ، بدوره كاملاً في تشتيت الأعداء وتفريق وحدتهم ، ويكفيه في هذا اليوم ما فعله — يرجوه وجهه الله — من قتله صنيداً من صناديد قريش ، وفارساً من فرسانها هو شيبه بن ربيعة ، وكر مع علي رضي الله عنه وقتلا أخاه أيضاً عتبة بن ربيعة .

فإذا ما انتهت معركة بدر التي كان يحارب فيها بسيفين كما يقول بعض الرواة ، وقرت بذلك عيون المؤمنين وقلوبهم .. فإنه لم يفكر في الراحة بل أخذ يشنف آذانهم على قيثاره الشعر ، ويفتخر بهذا اليوم المبارك الأغر ويكبت حزب الشيطان والضلال بقوله :

أولئك قوم قتلوا في ضلالهم      وخلوا لواء غير محتضر النصر  
لواء ضلال قواد إبليس أهله      فحاس بهم ان الخبيث الى غدر  
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً      برئت اليكم ما بي اليوم من صبر  
فاني أرى ما لا ترون وانني      أخاف مقام الله ، والله ذو قسر

حقاً لقد كانت موقعة بدر إحدى العلامات البارزة في تاريخ المسلمين ، فيها خنس الشرك ، وذلت الجهالة ، واستخذت قريش .. فأخذت تعد العدة لما بعدها ، وتجمع الرجال ليوم تأخذ فيه بثأرها ، وتسترد كرامتها .. حتى كان يوم أخذ ذلك اليوم الذي حددته قريش ، لتتال من محمد ومن رجال محمد ، وعلى رأس هؤلاء الرجال حمزة الذي جندل ابطاهم ، أجل حمزة : لأن الذي كان يسمع أحاديثهم ومؤامراتهم قبل الخروج للحرب يرى كيف أن «حمزة» بعد الرسول ﷺ كان هو القصد وهدف المعركة .

ولقد اختاروا قبل الخروج ، الرجل الذي وكلوا اليه أمر حمزة ، وهو عبد حبشي ، كان ذا مهارة خارقة في قذف الحربة ، جعلوا كل دوره في المعركة أن يقتل

حمزة ، ويصوب اليه ضربته القاتلة من رمحه . ووعدوه بثمان غال وعظيم . هو :  
حريته ، فقد كان الرجل واسمه « وحشى » عبداً لجبير بن مطعم ، وكان عم جبير قد لقي  
مصرعه يوم بدر فقال له جبير :

« أخرج مع الناس ، وان أنت قتلت حمزة فأنت حر » .

ثم أحالوه الى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لتزيده تحريضاً ودفعاً الى الهدف  
الذي يريدون .

وكانت هند قد فقدت في معركة « بدر » أباه وعمها وأخاها وابنها وقيل لها ان  
حمزة هو الذي قتل بعض هؤلاء وأجهز على البعض الآخر .

من أجل هذا .. كانت أكثر القرشيين والقرشيات تحريضاً على الخروج  
للحرب ، لا لشيء إلا لتظفر برأس حمزة مها يكن الثمن الذي تتطلبه المغامرة .  
ولقد لبثت أياماً قبل الخروج للحرب ، ولا عمل لها إلا افراغ كل حقدتها في  
صدر « وحشى » ورسم الدور الذي عليه أن يقوم به .

ولقد وعدته ان هو نجح في قتل حمزة بأثمن ما تملكه المرأة من متاع وزينة ، فلقد  
أسكت بأناملها الخافدة قرطها اللؤلؤي الثمين وقلائدها الذهبية التي تزدحم حول  
عنقها ، ثم قالت وعيناها تحدقان في « وحشى » : كل هذا لك ان قتلت حمزة <sup>(1)</sup> .  
وخرجت قريش برجالها ونساءها وشبابها وكل فرسانها ، تحمل السلاح والعتاد  
وفي قلبها انتقام الحقود .

والتقى الجمعان واشتد أوار المعركة ، وقاتل حمزة قتالاً شديداً ، ثم مر به سباع  
ابن عبد العزى ، أحد كفار قريش ، وكان يكنى بأبي نيار فقال حمزة : إلي يا ابن  
مقطعة البظور ، وكانت أمه أم انمار ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .  
ثم ماذا ؟

(1) رجال حول الرسول — خالد محمد خالد .



يقول قاتل حمزة «وحشى» غلام جبير بن مطعم : والله اني لأنظر لحمزة يهدد الناس بسيفه إذ تقدمني إليه سباع. فقال حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور فضربه ضربة فكأنما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتى إذا رخيتم منها دفعتها فوقعت في شنته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع وأمهلتته حتى إذا مات جثت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجة غيره<sup>(١)</sup>.

قتل سيد الرجال ، وسيد الشهداء بعد أن أدى ما عليه تجاه ربه وتجاه دينه ، وترك خلفه زوجة وبتناً.

أما الزوجة فهي سلمى بنت عميس الخثعمية لها صحبة ، وهي إحدى الأخوات التي قال فيهن رسول الله ﷺ الأخوات مؤمنات<sup>(٢)</sup>.

وقد تزوجها بعد مقتل حمزة شداد بن أسامة الليثي.

وأما الابنة فهي عمارة بقيت بمكة بعد مقتل والدها حتى كانت عمرة القضاء كلم علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال غلام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهري المشركين؟

فلم ينه النبي ﷺ عن إخراجها فخرج بها فتكلم زيد بن حارثة وكان وصي حمزة ، لأن النبي عليه السلام — أخى بينها حين أخى بين المهاجرين .

فقال : أنا أحق بها ابنة أخى تبقى معي وتعيش في منزلي .

فلما سمع بذلك جعفر بن أبي طالب قال : الخالة والدة ، وأنا أحق بها لمكان خالتها عندي اسماء بنت عميس .

فقال علي رضي الله عنه : ألا أراكم تختصمون في ابنة عمي ، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم اليها نسب دوني ، وأنا أحق بها منكم .

فقال رسول الله ﷺ أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فقول الله ومولى رسوله .

(١) راجع تفسير قوله تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ عن الامام القرطبي.

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ .

وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي .  
وأما أنت يا جعفر فشبيه خلقي وخلقتي ، وأنت يا جعفر أولى بها تحتك خالتها ، ولا  
تنكح المرأة على خالتها ولا عمتها « فقضى بها لجعفر .  
قال محمد بن عمر : فقام جعفر فحجل حول رسول الله ﷺ فقال النبي عليه  
السلام : ما هذا يا جعفر؟ .  
فقال : يا رسول الله كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله .  
فقيل للنبي : تزوجها .  
فقال عليه السلام : ابنة أخي من الرضاعة .  
فزوجها رسول الله سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي ﷺ يقول : هل جزيت  
سلمة (١) ؟ .  
رضي الله عن سيد الشهداء ، وأسكنه فسيح جناته ، بمقدار ما قدم من نشر  
لدينه ، والدفاع عن شريعة ربه .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨ .

## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس رضي الله عنه :

لما انصرف المشركون عن قتلى أحد ، انصرف رسول الله ﷺ فرأى منظراً ساءه ، ورأى حمزة قد شق بطنه ، واصطلم أنفه وجذعت أذناه فقال :

« لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة بعدي ، لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطيور ، لأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم » ، ثم دعا بيرده فغطى بها وجهه فخرجت رجلاه ، فجعل على رجله شيئاً من الإذخر ، ثم قدمه وكبر عليه عشراً ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة . وكان القتلى سبعين فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .

وعن أبي هريرة قال :

أشرف النبي ﷺ على حمزة فرآه صريعاً ، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه وقال :

« والله لأقتلن بك سبعين منهم » فنزلت :

« وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . فقال رسول الله ﷺ :

« بل نصبر يا رب » .

وقال المفسرون : إن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقيير البطون ، وقطع المذاكير والمثلة السيئة ، قالوا حين رأوا ذلك : لئن أظفرنا الله عليهم لتزيدن على صنيعهم ، ولئن ثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعلن ولنفعلن .

ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة ، وقد جدعوا أنفه وأذنه ، وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه ، وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم ابتلعها لتأكلها ، فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها ، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فقال : « أما أنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً ، حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئاً من جسده النار » .

فلما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة ، نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء كان أوجع لقلبه منه فقال :

« رحمة الله عليك ، إنك كنت ما علمت وصولاً للرحم ، فعالاً للخيرات ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما والله لئن أظفرنني الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك » فأنزل الله تعالى :

﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ .

فقال النبي ﷺ :

بلى نصبر . وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه .

## تذييل ...

كان حمزة بن عبد المطلب هدفاً من أهداف معركة أحد، وحتى قبل أن تعد قريش العدة لتلك الغزوة، وتجييش الجيوش لخوضها.. كانت هناك التدابير والمؤامرات لقتل هذا البطل مهما كلفها ذلك من ثمن.

.. وكانت الوعود تطرح، والأمانى تقدم لمن يأتي برأس حمزة بن عبد المطلب. حتى المرأة في قريش كان لها دور في هذه المؤامرة الدنيئة.

المرأة الحاقدة الكافرة المتورة.. التي وعدت بتقديم أغلى ما تملكه امرأة من جواهر وكنوز لمن يأتي لها بنجر مجندل الأبطال ومضارع الفرسان.

ولكن لماذا حمزة؟ وحمزة بالذات.

ولم يكن له دور أكثر من غيره من الصحابة في غزوة بدر.

أهناك شيء فيه يميزه عن بقية أبطال الاسلام؟

الحقيقة التي لا يختلف فيها أحد أن حمزة وهب نفسه للدعوة، وأوقف حياته لنصرتها، ولقد حباه الله سبحانه وتعالى الملكات التي تمكنه من أداء تلك المهمة الجليلة.

الأمر الذي جعل الأعداء يحسون منه بالخطر على مراكزهم وحياتهم، إن حمزة في منطق الأعداء، هو قوة باطشة كفيلة بتفريق جموعهم، وقتل صناديدهم، دون أن ينال منه أحد، أو تقف في سبيله عقبة.

وما دام ذلك كذلك ، فلا بد لدعوة الاسلام أن تنتشر ، ولاتباعه أن ينداحوا في الأرض الفسيحة للدعوة له ، وإزالة الطواغيت عن طريقه واكتساب الأنصار لمبادئه .

وهذا ما يربح قوة الكفر والشرك والاحاد .

وإذا كانت الجاهلية القديمة التي عبدت الأصنام وكفرت بالرحمن ، جمعت جموعها ، وحشدت حشودها ، ولم يهدأ لها بال أو استقر لها قرار حتى تم القضاء على حمزة — رضي الله عنه — فإنه وعلى مدار التاريخ كان الإسلام في كل عصر ومصر لا يعدم حمزة جديداً ، يهب نفسه للإسلام ويبيع روحه في سبيل الله . فيربح أعداء الدين ، ويجمع صفوف المسلمين الشاردين من حوله . ويحول بين الأعداء أن ينالوا من خيرات بلاد المسلمين حتى ولو كانت شربة ماء كما فعل حمزة الأول .

وهنا تحس عصابة الكفر بالخطر على مصالحها ، ويبوار معتقداتها وضلالها فتشخذ أسلحتها للقضاء عليه ، أو النيل منه في خلقه ودينه .

وعلى الرغم من مضي أربعة عشر قرناً على تاريخ المؤامرة الأولى التي دبر فيها القضاء على رجل من رجالات الاسلام ؛ فلا زالت بعض الطوائف الحاقدة على الاسلام وأهله ، تستعمل نفس الأسلوب ، ونفس الأسلحة التي استعملتها قديماً .

لقد ظهر بالأمس القريب رجل في مصر ، يدعو إلى دين الله على صدق ويطالب بتطبيق شرع الله بلا عنف ، وصادفت دعوته هوى في القلوب المتعطشة إلى نبع الايمان ، فالتفوا حوله ، وأخذت الدعوة الاسلامية تجمع رجالها وتعد جنودها في الشرق والغرب ، وكلها تدين لهذا الرجل بالولاء والحب .

وأحست عصابة الكفر ، من أتباع الصليبية الحاقدة ، واليهودية المثمرة أن الاسلام يجمع شمله ، ويستعيد قوته — وهذا ما لا ترضاه بحال — لأنه على أقل تقدير يمثل خطراً على كفرها وضلالها .

فدبرت مؤامرتها بليل للقضاء على هذا الرجل ، ولم يعلموا في هذه المرة أيضاً رجلاً ممن ينتسب إلى الاسلام .

وأغروه بلعبة من لعب الحياة .

و بمنصب من مناصب الغرور .

وأموال أضيفت لرصيده لأنه كان من هواة جمع الكنوز .

واستجاب الرجل لهم ووكل أمر فعلته لأتباعه البلهاء ، وبعض أنصاره الجهلاء فنفلوا جريمته كما نفذ وحش فعلته في حمزة .

وسقط في ساحة الايمان شهيد جديد ، وسالت دماؤه الطاهرة فوارة متدفقة لتروي الثرى الطيب ، حتى يظهر عليه بطل جديد .

ولم يمتض على اغتيال الرجل حسن البناء بضعة أعوام ، حتى ظن البلهاء من أعداء الاسلام أن الساحة أصبحت خالية من الرجال الاشداء وان الجو ممهّد لمؤامراتهم ضد الدين وأهله .

ولكن محال أن يكون ذلك . فقد قيض الله لدينه من يدافع عنه ، ولشرعه من يحميه ، وبرز إلى ساحة الايمان هذه المرة رجل آخر في السعودية ومن طراز فريد لم تعرفه الدعوات من قبل .

لقد كان أعداء الاسلام يدعون على دعائه دائماً أنهم طلاب ملك أو غنيمة ، ودعاة فوضى أو هزيمية .

ولكن الرجل الذي يدعو بدعوة الاسلام هذه المرة لم يكن طالب ملك فهو ملك .

ولم يكن طالب رياسة بل في يده مقاليدها .

ولم يكن هدفه الغنى والمال ، لأن الله سبحانه وتعالى أغدق عليه من الكنوز الشيء الكثير .

انه يطالب فقط أن يعود للاسلام مجده وللقرآن عهده .

وأخذ يعد العدة لذلك ، وبرز اسمه في الساحة عملاقاً جريئاً ليس من السهل على أعداء الله أن ينالوا منه .

بل استطاع هذا الرجل في فترة وجيزة — أن يرعب أعداء الاسلام ويدخل الخوف في قلوبهم ، ويوقف مصالحتهم ، ويعطل انتاجهم ..  
ليس هذا فحسب ، بل شارك في معركة رمضان المجيدة فكان النصر المؤزر والفتح المبين .

ولم يسكت الأعداء ، وأخذوا يعدون العدة ، لمؤامرة جديدة ، واستقر سهمهم المسموم في صدر الرجل العملاق الذي حمل راية الاسلام قرة ، ودعا إلى جمع شمل المسلمين في معركة .

قتل الملك فيصل الذي دافع عن قضايا الاسلام والمسلمين .

كما قتل قبله حسن البنا الرجل الذي دعا بدعوة الاسلام .

ومن قبل حسن البنا جندل الكثير من الأبطال .

ومن بعد حمزة ارتوت الأرض بالكثير من دماء الشهداء الذين وهبوا أرواحهم في سبيل الله .

ومع كل هذه المؤامرات التي حيكت ودبرت بليل .

وبالرغم من كثرة من قتلوا وجندلوا من أبطال الاسلام .

فإننا نلمح في الأفق فجراً جديداً ، فجراً مشرقاً يعود علينا برجل جديد ، ينشر النور والأمان ، ويحمي أتباع الاسلام والايمان حتى يفرح المؤمنون بنصر الله .

فمن يا ترى يكون هذا الرجل العملاق ؟

إننا لمنتظرون !!



أبو عُبَيْدَةَ بنِ الجراح  
رضيَ اللهُ عنه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ  
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ  
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ  
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ  
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

صدق الله العظيم

سورة المجادلة آية رقم ٢٢

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض علماء التفسير نزلت هذه الآية في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح.

قاله الامام ابن كثير في تفسيره ج ٦ ص ٥٩١.

وقاله الامام القرطبي في تفسيره ج ١٧ ص ٣٠٧

وقاله الامام السيوطي في تفسير الدر المنثور.

نقلًا عن أبي حاتم والطبراني والحاكم ج ٦ ص ١٨٦

وذكره الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ١٠١

فمن هو أبو عبيدة بن الجراح؟..

## ابو عبيدة بن الجراح

رضي الله عنه

من ابن الجراح .. هذا؟ وما مكانته في الدعوة إلى الله؟

إنه القائد الذي ملأ سمع الدنيا انتصاراً وفوزاً.

والانسان الذي سخر من الدنيا وبهرجها الزائف ، والقى بنفسه في أتون المعارك يطلب الموت ، فكانت توهب له الحياة .

والقوي الأمين الذي اختاره رسول الله ﷺ لأهل نجران معلماً وأميناً .

وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

والقائد الذي طلب من ربه أن تكون آخر أيامه وسط جنوده فحقق الله له مطلبه .

تلك هي أهم الخطوط البارزة في شخصية أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح وناشر كلمة «الله أكبر» في ربوع الشام وبطاحها .

أما عن صفاته الجسدية ، فيقول عنه الرواة ، بأنه كان معروق الوجه خفيف اللحية ، طوالاً أثم — وما رئي أهتم قط أحسن منه — وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء .

ويتقدم أحد الرجال إلى عبد الله بن عمر قائلاً له : ماذا كان ابن الجراح؟

فيقول ابن عمر رضي الله عنه : كان رحمه الله أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، وأشدهم حياة .

وكان يطيب لنا أن نلتقي بعض الظلال على أيامه الأولى بين أترابه ولداته ، ولكن التاريخ يصمت عن تلك الفترة ، فلا يتحدث عن طفولته اليافعة ، ولا عن شبابه المبكر .

ولكن التاريخ الذي لم يعر طفولة هذا العملاق اهتمامه ، يقف عنده فجأة ليسجل لنا وقع خطواته إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم لينضم إلى تلك الفئة المؤمنة التي اختارت الاسلام ديناً ، وآمنت بالله رباً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .  
لقد كان ابن الجراح من السابقين إلى الاسلام ، ومن أوائل الملبين داعي الله .

يقول صاحب الطبقات : انطلق عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الاسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا جميعاً في ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها .  
ومن هذا التاريخ تحول انساناً جديداً يكاد يكون مبتوت الصلة عن الانسان الأول ، الذي عاصر جهالة قريش ، وتقديسها لأصنامها وتخبطها في معتقداتها .  
وعندما ركبت قريش رأسها ، وأعلنت الحرب على الفئة المؤمنة وسامتها صنوف العذاب ، واذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ، كان أبو عبيدة بن الجراح في مقدمة المهاجرين بدينهم الفارين إلى ربهم .

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي قابلهم بها ملك الحبشة ، والتكريم لهم ولأسرهم ، واغداق الأموال عليهم ، وتقريبهم له في مجلسه .. فإن ذلك كله ، لم يعوضهم — ولو للحظات معدودة — ما كان يشنف آذانهم ويملاً قلوبهم بالايمان والغبطة من آيات التنزيل ، وهدى الرسول الكريم ، بل نراهم يعودون مسرعين إلى مكة ، عندما نقلت إليهم أخبار الصلح بين محمد وقريش ، ولقد أنستهم الفرحة

الغامرة التي لفتهم جميعاً من أن يتحققوا من صدق الخبر واستقبلتهم قريش بعذاب أشد وتنكيل أكبر، وسقط البعض صرعى الحقد الأسود الذي يملأ بعض القلوب من أعماء الدعوة الوليدة.

ولم يدم بقاء ابن الجراح بمكة طويلاً فقد استيقظ في يوم على جلبة وأصوات مختلطة، وعندما تعرف عليها أدرك الحسرة التي تملأ قلوب زعماء قريش لانفلات محمد من الحصار الذي أعدته له، وهجرته الى يثرب، لتكون هذه البلدة الطيبة قاعدة الاسلام والمسلمين، ينطلق منها الابطال الذين تربوا في مدسة الاسلام إلى أقطار الأرض قاطبة، داعين عباده اليه، ومطالبين البشرية كلها بكلمة التوحيد، وعبادة الواحد الأحد، الفرد الصمد.

وشاهدت الطريق الممتدة إلى يثرب فارساً يطلق العنان لراحلته لتسابق الريح، وتطوي الأرض تحت أقدامها طياً، حتى يلحق بالعصبة المؤمنة الفارة بدينها، ولم يكن هذا الفارس سوى أبي عبيدة بن الجراح الذي وقف أمام الرسول ﷺ ووجهه لا يكاد يبين من كثرة ما تراكم عليه من رمال الصحراء وعناء الطريق، فاستقبله الرسول وهش لمقدمه، وآخى بينه وبين سعد بن معاذ.

نعم سعد بن معاذ الذي قدم نفسه وماله في سبيل الاسلام ورفض أن يصالح اليهود بعد نقضهم عهدهم مع رسول الله ﷺ وأصيب يوم الاحزاب بجرح غائر فقال:

اللهم لا تخرج نفسي حتى تفر عيني في بني قريظة — ولقد استجاب الله له، وطلب منه الرسول ﷺ أن يحكم على بني قريظة فكان حكمه:

أن تقتل رجالهم.

وتسبي نساؤهم وذرايرهم.

وتصادر أموالهم فيستعين بها المسلمون.

فقال له الرسول ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات (١)  
وفي الأثر: لو نجا أحد من صغطة القبر لنجا منها سعد بن معاذ (٢)

ومن أول يوم وطئت فيه أقدام ابن الجراح أرض يثرب وطن نفسه وحياته لجليل  
التبعات، وعظيم المسئوليات، ولقد ظهر أثر ذلك في كل الغزوات التي خاضها  
بمفرده أو مع رسول الله ﷺ ولم يتخلف أبو عبيدة عن واحدة منها.

فثلاً في غزوة بدر كان ابن الجراح جندياً ملتزماً أوامر القائد، وكان مؤمناً واثقاً  
من نصر الله الذي وعده المؤمنين، وكانت طبيعة المعركة واضحة أمام عينيه لا لبس  
فيها ولا غموض، فكل المحاربين تحت لواء الرسول ﷺ الناطقين بكلمة التوحيد،  
هم أهله وعشيرته وأحبابه، وإن نأت بينهم المسافات، وتباينت فيما بينهم  
الجنسيات، واختلفت فصيلة الدم والنسب.

وكل من حارب تحت لواء قريش وانضم إليها فهو من أعدائه واعداء عقيدته،  
حتى ولو كان من أقرب المقربين إليه.

ومن هذا المنطق لفهم عقيدته ودينه، وطبيعة الدور الذي يقوم به، شاهد  
والده، وهو يحارب بسيفه في صفوف المشركين، ويقتل أحبابه المؤمنين. وعندما  
اقترب منه أراد أن يقتله هو، فحاد عنه، ولكنه تبعه، فما كان من أبي عبيدة، إلا  
أن قصده وقتله.

.. إن والده كافر يشرك مع ربه غيره.

كافر بالاله الذي خلقه وسواه وعدله، إذن لا خير فيه.

ومن لا خير فيه لربه فلا خير فيه للناس أجمعين.

وفي غزوة أحد وقد بلغ القتال ذروة ضراوته أحاط الأعداء برسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٢٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٠٤.

وشاهد أبو عبيدة سهماً ينطلق من إحدى الأيدي الآتية ، ويصيب رسول الله ﷺ فاقرب منه مع بقية الصحابة وعمل سيفه في الذين يحيطون به . وشاهد دمه الزكي يسيل على وجهه ، والرسول يمسح الدم بيمينه وهو يقول (١) : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، مصوراً الدور الذي قام به أبو عبيدة لما كان يوم أحد ، ورُمي رسول الله ﷺ حتى دخلت في وجنته حلقتان من المغفر ، أقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيراناً ، فقلت : اللهم اجعله طاعة ، حتى إذا توافينا إلى رسول الله إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني فقال :

أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعها من وجه رسول الله ، فتركته فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر فزعاها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته معه .

ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى فسقطت فكان أبو عبيدة في الناس أترم (٢) .

وفي غزوة ذات السلاسل أرسله الرسول ﷺ في مجموعة من الصحابة فيهم أبو بكر وعمر ومدداً لعمر بن العاص .

وأوصاه الرسول ﷺ وقال له : لا تختلفا .

حتى إذا قدم على عمرو ، قال له عمرو : يا أبا عبيدة إنما جئت مدداً لي .

قال أبو عبيدة : لا ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه .

ولكن عمرو يرفض تعدد الإمارة ويصر على أنه مدد له :

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٠ .



فقال أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال لي : لا تختلفا ، وانك إن عصيتني أطعتك (١)

.. يا لروعة هؤلاء الرجال ؟!

لقد صنع الاسلام منهم نماذج جديدة ، للانسان الكامل الذي رباه ربه ، وصفى روحه وقلبه ، من كل ترابية الأرض ، واسفاية البشر مرحى يا أبا عبيدة وهنيئاً لك .

ما أصدق هذه الكلمة في ميزان الرجولة — إن عصيتني أطعتك — عندما يكون الدافع لها من الداخل مصلحة الجماعة ، وخير الاسلام والمسلمين !

وسمرد إحدى قبائل « جهينة القبيلة » فيرسله الرسول ﷺ على رأس ثلاثمائة رجل من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب لتأديب الخارجين على شرع الله . وليس معهم من زاد إلا أقل القليل والمهمة شاقة ، والسفر طويل .

ولكن أبا عبيدة وجنوده ، تفانوا في أداء ما كلفوا به ، ولم يقف قلة الزاد وفقده عن القيام بأمر الرسول ﷺ لقد أخذوا بتصيدون الخبط (٢) أي ورق الشجر فيسحقونه ويسفونه ويشربون عليه الماء ليقوموا بذلك على أداء واجبهم ، واستمروا على ذلك حتى ألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيداً (٣)

ويأتي وفد من بحران للنبي ﷺ يطلب منه أن يرسل معهم رجلاً يعلمهم أمور دينهم ويفقههم في شريعة ربهم .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٩٩ .

(٢) الخبط : ورق الشجر .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٢ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٩ ، وفتح الباري على صحيح البخاري

ج ٨ ص ٢٦ .

ويحكم بينهم فيما اقتسموا، ويعدل بالسوية اذا اختلفوا.  
فقال لهم رسول الله ﷺ اتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين.  
فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :

« ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى  
الظهر مهجراً ، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر يمينه ويساره .  
فجعلت أتناول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ،  
فدعاه فقال : « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه »<sup>(١)</sup> .

قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .

وفي رواية ان النبي ﷺ قال لأهل نجران لابعثن حق أمين .  
فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة .

وكان الرسول ﷺ يقول عن أبي عبيدة :

« ان لكل أمة أميناً ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح . »

وصدق ما قاله الرسول ﷺ فقد كان ابن الجراح أميناً في خلقه فلم يأخذ أحد  
عليه شيئاً .

وأميناً على دينه عاملاً على انتشاره والدعوة اليه .

وأميناً على ثغور المسلمين فلم تأخذ من قبله مطلقاً .

وكيف لا يكون كذلك ، وهو أحد العشرة السابقين إلى الاسلام ، وأحد العشرة  
المشهود لهم بالجنة .

ولما توفي رسول الله ﷺ ، أتى بعض الناس أبا عبيدة ليبايعوه بالخلافة فقال :

« أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة »<sup>(٢)</sup> .

(١) فتح الباري بشرح البخاري ج ٧ ص ٧٤ .

(٢) السيرة الجليلة ج ٣ ص ٣٩٥ .

يزيد أبا بكر الصديق رضي الله عنه إشارة للآية الكريمة :

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (١) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن أتاه يومذاك فقال :

«ابسط يدك فلأبايعك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ فقال أبو عبيدة لعمر :

«وما رأيت لك قهوة (٢) قبلها منذ أسلمت أتباعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟ . فكأنه رد عمر إلى شيء كان قد غاب عنه .

فأرسل عمر الى أبي بكر في بيت عائشة أم المؤمنين ، وقصدوا ثلاثهم سقيفة بني ساعدة .

فقال أبو بكر : ما هذا؟

فقال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير» .

فقال ابو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء ، ثم قال : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة .

فقال كل من عمر وأبي عبيدة : لا ينبغي لأحد أن يكون فوقك يا أبا بكر فبايعاه .

انهم أتباع محمد وأصحابه ، صقلهم بقرآن ربه ، وخط لهم شئون الحياة بهديه وأدبه .

ويطلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي عبيدة أن يتولى قيادة جيوش المسلمين على أرض الشام بدلاً من خالد بن الوليد .

فلم يخبر أبو عبيدة خالداً بعزله إكراماً له واجلالاً .

(١) سورة التوبة ٤٠ .

(٢) القهوة : السقطة .

فلما علم خالد بعزله واستعمال أبي عبيدة مكانه قال للناس :  
« بعث عليكم أمين هذه الأمة » .

وقال أبو عبيدة للناس عن خالد :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة »<sup>(١)</sup> .

إنها القيادة ، ولكنها لا تغرهم .

وهي الدنيا ولكنها لا تبطريهم ، لأن رسالتهم محددة ، ومهمتهم واضحة كما قال

ربيعي بن عامر :

« الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده » .

وإذا كانت المناصب لا تغرهم ولا تنال منهم ، فإن الدنيا كلها عندهم كذلك .

أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار وقال

لرسوله : انظر ما يصنع .

فقسمها أبو عبيدة . فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال قال : الحمد

لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا .

ولما قدم عمر الشام تلقاه أمراء الأجناد وقادة الجيوش ، فسألهم أين أخي ؟

فقالوا من ؟ قال أبو عبيدة .

قالوا : يأتيك الآن . فجاء على ناقه مخطومة بحبل فسلم عليه ، فقال عمر للناس :

انصرفوا عنا ، وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله فنزل عليه فلم ير في بيته إلا سيفه

وترسه فقال عمر :

« لو اتخذت متاعاً » . أو قال : شيئاً .

فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيبل<sup>(٢)</sup> .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص ٥٩٥ ، وأسد الغابة ج ٣ ص ٥٨ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ١٢ .

مرحى يا بطل الأبطال .

يا محند الكفر وأهله .

وحاطم الشرك وحزبه ، يا من لم تعرفك الدنيا إلا فوق فرسك فاتحاً ، أو على الثرى ساجداً ، ولربك شاكرًا .

فإذا لم يجد في بيتك عمر الطنافس والرياش لأنك لست قعيد المنازل وإذا لم يجد في بيتك زهرات الدنيا ، وكنوز الحياة ، لأنك كنت دائماً تتطلع إلى ما بعد الحياة .. إنما يحرص على الدنيا من تزين له الشياطين انه مخلد فيها .. أما أنت فكنت تعرف الطريق جيداً الى حياة الخلود والابدية .

وإذا كانت هذه طبيعة أبي عبيدة ، صرامة وقوة ، ودراية بالحياة وخبرة بالنفوس ، والتزاماً بالحق فانه هو هو لا يعرف المجاملة أو الحيدة قيد شعرة عن العدل بين الناس مهما اختلفت منازلهم أو تباينت جنسياتهم . وهذه الحادثة تدل دلالة واضحة على صدق ما نقول :

لقد أسلم جبلة بن الايهم ملك غسان ، عندما كتب له الرسول ﷺ يدعوهُ الى الاسلام ، ولم يزل مسلحاً حتى كان يوماً وهو يسير في سوق دمشق ، إذ وطىء رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فطمه ، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا :

« هذا لطم جبلة »

قال أبو عبيدة : فليلطمه !!

قالوا : وما يقتل ؟

قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : لا ، انما أمر الله تبارك وتعالى بالقيود .

قال جبلة : أو ترون أي جاعل وجهي نداء لوجه جدي جاء من عمق .. ثم ارتد نصرانياً وترحل بقومه ، حتى دخل أرض الروم .

ويريد الله سبحانه وتعالى لدينه أن ينتشر ، وتدين به منطقة الشام كلها ، ولكن

بقيت القلاع والحصون ، واستمر الجند على أهبة الاستعداد لفتح جديد ، ومعهم قائدهم أبو عبيدة بن الجراح .

ولكن الله سبحانه وتعالى يختار الخير لعباده ، وهو أعرف بهم وأعلم بما يصلحهم . ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup> . فقد أنزل عليهم بلاءه وأصيب الجيش بالطاعون ، واخذ يحصد الجند حصدا ، ويعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الوباء وكأنه يضمن بأبي عبيدة على الموت فأرسل اليه يطلب منه الخروج اليه ، قال عمر رضي الله عنه :

«سلام الله عليك أما بعد ، فقد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل» .

ويقرأ أبو عبيدة خطاب عمر ، ويعرف منه ما أراد ، فكتب اليه :

«يا أمير المؤمنين ، قد عرفت حاجتك إليّ ، وإني في جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه فخلني من عزيمتك» .

وبقي أبو عبيدة وأهله وسط جنوده سليماً معافى من الطاعون فقال : اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة .

فخرجت في خنصره بثرة فجعل ينظر اليها ، فقيل له إنها ليست بشيء ، فقال :  
إني لأرجو أن يبارك الله فيها ، فانه إذا بارك في القليل كان كثيراً .

ويصل خطاب أبي عبيدة إلى عمر فلما قرأه بكى فقال الناس : يا أمير المؤمنين :  
أمات أبو عبيدة؟

فقال : لا ، وكان قد<sup>(٢)</sup> .

ومات رحمه الله بالطاعون سنة ثمان<sup>١٨</sup> عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب

(١) سورة الملك آية رقم ١٤ .

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٢١٦ .

وهو ابن ثمان وخمسين سنة. مات الرجل الذي قال عنه رسول الله ﷺ نعم الرجل  
أبا عبيدة.

وقال عمر رضي عنه : لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح فاستخلفته فسألني ربي  
لقلت سمعت نبيك يقول :

« هذا أمين هذه الأمة »<sup>(١)</sup>.

من أجل ذلك تروى هذه الرواية عن عمر أنه جلس في يوم مع أصحابه ، وقال  
لهم تمنوا ، فتمنوا ، وعندما فرغوا من أمنياتهم قال عمر :

ولكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح .

صدق ابن الخطاب في قوله ..

لقد كان أبو عبيدة أمة وحده في مزاياه الانسانية الرفيعة .

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤١٢ والامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣ .

## اسباب نزول الآيات

قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ .

يقال : أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر .

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل أمر الشورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ليختاروا من بينهم خليفة - - ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته .

وبعض رجال التفسير يرى أن هذه الآية نزلت في مجموعة من رجال الاسلام الأول - الذين كانت العقيدة عندهم هي رباطة النسب ووشيجة القرب - وصلة تربط المختلفين في اللون والجنس والأصل فتجعل منهم أسرة واحدة متحابة . فيقولون بأن قوله تعالى : ﴿ ولو كانوا آباءهم ﴾ .

نزلت في أبي عبيدة بن الجراح عندما قتل والده في غزوة بدر الكبرى وقوله تعالى ﴿ أو أبناءهم ﴾ .

نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما همّ بقتل ابنه عبد الرحمن وقوله تعالى ﴿ أو إخوانهم ﴾ .



نزلت في مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل أخاه عبيد بن عمير وقوله تعالى ﴿أو عشيرتهم﴾ .

نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل قريباً له أيضاً في تلك الغزوة وأيضاً نزلت في حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث قتلوا من هم من العشيرة :

«عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة» .

ومن هذا القبيل أيضاً حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر ، فأشار الصديق رضي الله عنه بأن يقادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم .

وقال عمر رضي الله عنه : لا أرى ما رأى يا رسول الله — هل تمكنني من فلان قريب لعمر — فأقتله .

وتمكن علياً من عقيل .

وتمكن فلاناً من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين فأنزل الله تعالى : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ .

## تذييل ...

استطاع الاسلام في فترة قصيرة أن يصهر نفسية المسلم ، وينفي عنها الخبث فصار انساناً جديداً لا يكذب ، ولا يسرق ، ولا يزني ، ولا يخون ، ولا يغش ، ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله ، ويدين بالولاء والحب لأخوته في الاسلام أكثر مما يدين لأهله وذوي قرابته إذا كانوا على غير الاسلام .

وعندما نزل قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

ووضع جميع اللذائذ والمطامع والرغائب ونقط الضعف الانساني ازاء الآباء والأبناء والأزواج والعشيرة والأموال وجميع متطلعات البشرية في كفة ووضع في الكفة الاخرى حب الله ورسوله ، وحب الجهاد في سبيله . رجحت كفة الله ورسوله ، وتسامت النفوس عن رغباتها وترفعت عن شهواتها ، وتجردت عن كل ما يربطها بالأرض . ومن أمثلة هذا : تلك النماذج من تاريخ المسلمين .

(١) سورة التوبة آية رقم ٢٤ .

لقد نشأ عمير بن سعد في حجر جلاس بن سويد بن الصامت إذ خلف جلاس هذا على أم عمير بعد أبيه ..

وفي يوم سمع عمير كلمة نابية قالها جلاس ضد رسول الله ﷺ فقال : والله يا جلاس ، انك لأحب الناس إليّ وأحسنهم عندي يداً ، واعزهم أن يصيبه شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحك ، ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ولاحداهما أيسر عليّ من الأخرى ثم مشى الى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال جلاس (١) وانتصرت رابطة الدين على رابطة الدنيا .

وان كان في ذلك الجوع والمسغبة ، وقلة ذات اليد .

وزيد بن الدثنة عندما أخرجته قريش لقتله اجتمع رهط منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال ابو سفيان حين قدم زيد ليقتل :

«أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه وانك في أهلك؟» .

فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه نصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي .

فقال ابو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً . ثم قتلوه . قتل زيد .

ولكن بقيت مدرسة الايمان لتخرج الآلاف المؤمنة التي تحب دينها ورسولها أكثر من حبها لأنفسها .

وفي احدى الغزوات تقاتل رجل من الانصار مع آخر من المهاجرين فوقف عبد

(١) سورة ابن هشام ج ٢ ص ١٤١ .

الله بن أبي زعيم المنافقين ، وأندر وهدد وقال : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل .

وتطوع بعض المسلمين لقتله ، ولكن الرسول ﷺ رفض هذه الفكرة وقال لعمر : كيف يا عمر اذا تحدثت العرب غداً وقالت محمداً يقتل أصحابه .. ودعا رسول الله ابنه وقال :

« ألا ترى ما يقول أبوك؟ » .

قال : ما يقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟

قال : يقول : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل .

فقال : فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الاعز وهو الأذل ، أما والله إن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبرّ بوالديه مني ، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتية برأسيهما لأتيت بهما .

فقال رسول الله ﷺ : لا .

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي علي بابها بالسيف لأبيه ثم قال أنت القاتل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل؟ أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسوله ، والله لا تدخلن الا بإذن من الله ورسوله .

فقال : يا للخزرج ابني يمنعي بيتي ! . وكرر ذلك مراراً .

فاجتمع اليه رجال فكلّموه فقال : والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله فأتوا النبي ﷺ فأخبروه .

فقال : اذهبوا اليه فقولوا له : خله ومسكنه فأتوه فقال : أما اذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم .

وهذا الذي كان يحدث لم يكن خاصاً بالرجال فقط ، ولكن النساء أيضاً كان لهن دور لا ينكر ، من ذلك :

إن أبا سفيان بن حرب قدم المدينة لأمر يريده من الرسول ﷺ فدخل على ابنته أم حبيبة — زوج الرسول — ﷺ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه .

فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟  
قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس <sup>(١)</sup> هكذا فعلت  
الفتاة المسلمة مع أيها جاهته بكلمة حق ، وخرقت القاعدة التي تقول : كل فتاة  
بأيها معجبة .

وصفعتها بحقيقة موقفه . ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ <sup>(٢)</sup>

وإذا كان ذلك كذلك فبحال أن يمس هذا الفراش فضلاً عن أن يجلس عليه ،  
حتى ولو كان هو الوالد الذي له كل الحقوق وكل الواجبات .

قال عروة بن مسعود الثقفي لأصحابه بعد أن رجع من الحديبية : أي قوم :  
والله لقد وفدت على الملوك : على كسرى ، وقيصر ، والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً  
يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا ، والله إن تتخمن تخامه إلا وقعت في  
كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ  
كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه  
البنظر تعظيماً له <sup>(٣)</sup>

ليس الحب فقط ، وليس الاحترام والتأدب أمام رسول الله ﷺ الرسول الذي  
أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد  
الديان ، ولكن هناك ما هو أكبر من ذلك ، إنه بذل الأرواح رخيصة فداء لرسول  
البشرية .

(١) سيرة ابن هشام ذكر الأسباب الموجبة للمسير الى مكة .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٨ .

(٣) زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٥ .

رفع المشركون خيباً — رضي الله عنه — على الحشبة ونادوه يناشدونه : أتحب أن محمداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ، فضحكوا منه ..

وترس أبو دجاجة يوم أحد على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك .

فعل ذلك حتى ينجو رسول الله ، وإذا نجا فلا يباليون بعدها إن وقعت السهام على ظهورهم أم على بطونهم . !!

هذا مع الرسول ﷺ فاذا تعلق الأمر بإسلامهم والدفاع عنه كانوا لا يباليون عندها بشيء الا بانتصار هذا الدين ، ورفع كلمة الله عالية خفاقة ، لقد التقى في معركة بدر الآباء والأبناء والإخوة والأخوات خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف .

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر بعد إسلامه لأبيه : لقد أهدفت لي يوم مراراً فصدفت عنك .

فقال أبو بكر : لو هدفت لي لم أصدف عنك .

وفي هذه المعركة أيضاً قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه ، لا لأنه أباه ، ولكن لأنه مشرك . فعندما رفع سيفه عليه كان يهوي به على كل الأصنام والأوثان ، وعلى كل ضلالات البشرية ، التي تردت فيها رداً من الزمن فعبدت الحجر والشجر ، وتقربت للنجوم والكواكب ، ودانت بالولاء للكهان والجان ، قهاوت ، وعرف الإيمان الحق طريقه إلى القلوب ..

فمن للإسلام بأبي عبيدة جديد، يقضي على العصية، والوثنية، ويحارب  
الاحقاد المنتمر، ويزيل الجاهلية الجديدة في القرن العشرين.. من يا ترى؟ من من  
أبناء المسلمين سيقوم بهذا الدور ويلهمه الله الرشداً والسداداً؟

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا مَةَ  
مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا  
الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ  
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ  
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيِّنُ ۗ آيَاتِهِ ۗ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة آية رقم ٢٢١

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال صاحب الدر المنثور نزلت هذه الآية في الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة ..

قال ذلك في تفسيره ج ١ ص ٢٥٦ .

وقاله أيضاً الامام الطبري في تفسيره ج ٤ ص ٣٦٨ .

وقاله صاحب أسباب نزول القرآن الامام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٦٦ .

فمن هو عبد الله بن رواحة .. ؟

## عبد الله بن رواح

رضي الله عنه

هو أحد النقباء في بيعة العقبة .

وفارس الفرسان في المعارك الضارية التي خاضها المسلمون مع عصابة الكفر والحاد .

وأحد القادة الثلاثة في غزوة مؤتة .

وشاعر رقيق الحاشية ، عذب الألفاظ ، قوي الكلمات على الكفار كان يرسلها عليهم في شعره ، فيكتبهم وينكل بهم ، وكأنه يهدم بها هدا .

.. ولد في يثرب ، وبين سهولها ووديانها ترعرع عوده ، وعلى رباهما الأخضر وفوق عيونها الثرة بالماء أرسل أجمل الألحان وأعذب الأشعار .

وعندما وصل إلى مرحلة الشباب .. كان يشغل فكره دائماً شيء لا يدري حقيقة ، فيرسل بريد عينيه الى السماء ، تفتش عن مجهول حتى كان يوم ، علم فيه بدعوة النبي ﷺ .

فكان في مقدمة الوفد المتجه إلى مكة الطاعن لرسول الله ﷺ ليتعرف على حقيقة هذا الدين الجديد .

.. وفي مجلس الرسول ﷺ جلس عبد الله بن رواحة يرهف أذنيه ، ليتزود من هديه ، ويرتوي من نبعه ، ويهدأ بالأ بعد أن عرف حقيقة الكون وأسرار الوجود .  
ولما تمت البيعة بين رسول الله ﷺ وبين وفد الأنصار قال عبد الله بن رواحة :  
يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ..

فقال عليه السلام :

أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟

قال : الجنة .

قالوا : ربح البيع لا نقييل ولا نستقييل <sup>(١)</sup> فترل قول الله تعالى :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ <sup>(٢)</sup>

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب كان عبد الله بن رواحة في مقدمة المستقبلين له ، وأخذ بزمام ناقته ، وقال له : أينا يا رسول الله حيث العز والمنعة ، ولكن الرسول عليه السلام رد عليه كما ردّ على الآخرين وأمره بترك زمام الناقة بقوله :

« اتركوها فإنها مأمورة » <sup>(٣)</sup> .

وفي غزوة بدر كان له دور بطولي في محاربة أعداء الله ، وعندما دعت قريش

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٨ إلى ١٦٥ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٢ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ١١١ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٢ .

للمبارزة كان ابن رواحة من أوائل المتقدمين الداعين إلى المبارزة وخرج معه عرف  
ابن الحارث وأخوه معوذ.

ولكن عتبة بن ربيعة وأخاه شيبة قالوا لابن رواحة ومن معه .. من أتم؟ ..  
قالوا: رهط من الانصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفءنا من قومنا<sup>(١)</sup>.

وعرفت قريش بعد اشتباك الفريقين أنهم أقل من أن يكونوا أكفاء لأتباع محمد  
ﷺ ورجالات الاسلام.

ومن الله على المؤمنين بالنصر العظيم والفوز الكبير، وطلب رسول الله ﷺ عبد  
الله بن رواحة ولما مثل بين يديه، أرسله إلى العالية ليخبر أهلها بالنصر الكبير والفوز  
الذي أعطاهم الله فكان صوته في العالية يجلجل بكلمة: الله أكبر، الله أكبر..  
فأثلجت قلوب المؤمنين.. وضافت بها نفوس الكافرين من اليهود والمنافقين فأخذوا  
ينفثون سمومهم، ويجمعون ويرسلون وفودهم إلى قريش وغيرها من القبائل لتتجمع  
لقتال محمد وصحبه. ولكن المسلمين تنهوا لهذا الكيد الذي يدبر لهم، من زعماء  
اليهود، فقرروا قتل كعب بن الأشرف ورافع بن سلام، زعيمي اليهود في ذلك  
الوقت.. هذا وقد أمر اليهود عليهم «أسير بن زارم» وكان رجلاً حقوداً ضيق  
الأفق، متهوراً لم يعتبر بمن قتل قبله، فأخذ يولب غطفان وبقية القبائل، على  
حرب الرسول ﷺ.

وعندما أحيط المسلمون بهذا الخبر أرسلوا عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر ليتأكد  
من صحة ما يشاع عن ذلك.

وأدى عبد الله وصحبه سفارتهم على خير وجه، وعرفوا نوايا (أسير بن زارم)  
وإعداده العدة لحرب المسلمين.

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٣.

عندها كلف الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة بالسير اليهم وندب الناس للانضمام اليه .

وخرج ابن رواحة ومعه هذه الكوكبة من الفرسان — وكلهم شوق ورغبة في قتال هؤلاء الأعداء وتطهير الأرض من شرورهم .. وكان لا بد من استعمال الحيلة ، والحرب خدعة وعندما وقفوا على « أسير » قالوا له : نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له .. ؟

قال : نعم ولي منكم مثل ذلك .

قالوا : نعم .. ثم تكلم عبد الله بن رواحة قائلاً :

إن رسول الله بعثنا اليك لتخرج اليه فيستعملك على خير ويحسن اليك ... !! (١)

فطمع « أسير » في ذلك وتجهز للرحيل معه لمقابلة رسول الله ﷺ وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديف من المسلمين .

حتى إذا ما وصلوا الى « قرقرة ثبار » مكان خارج المدينة ندم « أسير » على خروجه مع ابن رواحة على هذه الصورة .

يقول : عبد الله بن أنيس أحد رجال عبد الله بن رواحة ، أهوى « أسير » بيده على سيني ففطنت له ، ودفعت بعيري بعيداً عنه ، وقلت : عنراً أي عدو الله؟ .. فعل ذلك مرتين .

فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي « أسير » فضربته بالسيف فقطعت فحذته بساقه ، وسقط عن بعيره ، وملنا على أصحابه ، فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً (٢) ولم يُصَب من المسلمين أحدٌ ، وعاد عبد الله وصحبه إلى رسول الله ﷺ .

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٣ والبيداية والنهاية ج ٤ ص ٢٢٢ .

عادوا بعد أن ارتوت سيوفهم من دماء أعداء الله .

وقضوا على الفئة الباغية من هؤلاء اليهود ، قتلة الأنبياء والذين أشاعوا في الأرض التخريب والدمار ، وأشاعوا بين العباد التجسس والريذة .

ووقف عبد الله بن رواحة بين يدي القائد الأكبر ليضع أمامه صورة ما حدث ، ويخبره خبر هؤلاء اليهود .

فقال الرسول ﷺ :

« قد نجاكم الله من القوم الظالمين »<sup>(١)</sup> .

وظل عبد الله بن رواحة بعد ذلك الجندي المخلص للدعوة الاسلامية الذي يتتبع خطوات الرسول ﷺ ويحرص على غشيان مجالسه ، وفي يوم من الأيام سمع الرسول ﷺ بمرض سعد بن عباد... فركب رسول الله وأردف خلفه أسامة بن زيد وفي الطريق إلى منزل سعد ، شاهد الرسول ﷺ عبد الله بن أبي زعيم المنافقين يجلس في ظل الحصن ، وحوله رجال من قومه ، فكره أن يجاوزه دون أن ينزل فيسلم عليه ، وعندما جلس عليه السلام بينهم تلا آيات من القرآن ، ودعا إلى الله عز وجل ، وحذر من عقابه ، وبشر بثوابه ، وخوف من ناره .

وعندما فرغ رسول الله ﷺ من ذلك ، قال عبد الله بن أبي ، والحقد يملأ قلبه ، موجهاً كلامه إلى رسول الله : يا هذا إنه لأحسن من حديثك هذا — إن كان حقاً — أن تجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه اياه ، ومن لم يأتك فلا تعذبه به ، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه . فماكاد عبد الله بن رواحة يسمع كلمة هذا المنافق ، حتى انتفض واقفاً ويده سيفه ، والتف حوله جماعة من المسلمين ، يريدون أن يؤدبوا عدو الله وعلو رسوله وقال :

« يا رسول الله .. إن الذي قلت هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

(١) أي انه املت من القوم .

من خلفه . تنزيل من حكيم حميد ، وإنه والله لأحب شيء إلى نفوسنا وقلوبنا ، فأغشنا به ، واثنا به في مجالسنا وديورنا وبيوتنا فهو —والله— ما نحب ، وما أكرمنا الله به وهدانا بك ..

فخنس وجه التفاق وارتعدت فرائضه مما سمع ، ولم يجد بين يديه حيلة ولا قوة كأنه يخاطب نفسه :

متى ما يكن مولاك خصداً لا تزل تذل ويصرعك الذين تصارع  
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن جد يوماً ريشه فهو واقع<sup>(١)</sup>

وعبد الله بن رواحة من قبل هذا ومن بعده ، شاعر يجود شعره ، ويرسله من حنايا قلبه ، ومن شعاف فؤاده . يروي عن نفسه فيقول :

«مرت في مسجد الرسول ، ورسول الله ﷺ ، جالس عنده أناس من أصحابه في ناحية منه ، فلما رأوني أصبوا إليّ قائلين يا عبد الله بن رواحة ، يا عبد الله ابن رواحة .

فعلمت أن رسول الله يدعوني فانطلقت نحوه . فلما كنت بين يديه . قال عليه السلام : اجلس ها هنا .

فجلست ، فقال : كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟ ..

كأنه يتعجب لذلك ، قلت : أنظر في ذلك ثم أقول .

قال : فعليك بالمشركين .

ولم أكن هيأت شيئاً ، فنظرت في ذلك ثم أنشدته :

يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ماله غير  
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتهم في الذي نظروا

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٩ .



ولو سألتَ أو استنصرت بعضهم في جُلِّ أمرِك ما آووا ولا نصروا  
فثبت الله ما آتاك من حَسَنِ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

قال ابن رواحة :

فأقبل رسول الله بوجهه متبسماً وقال : وإيَّاك فثبت الله .  
واستمر عبد الله يرسل الأشعار في السلم والحرب ، في الحياة وما بعد  
الحياة .

حتى نزل قول الله تعالى :

﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون ﴾ .

قال عبد الله بن رواحة : قد علم الله أني منهم ، وامتنع عن قول الشعر حتى بعد  
أن نزل قول الله تعالى :

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما  
ظلموا ﴾ .

وافتقد المسلمون أحاديث ابن رواحة ، واشتاقوا آذانهم إلى سماعها ، ولكن  
هيات ، لقد انشغل لسانه بذكر الله ، وأوقف جناحه على ترديد كلمات التوحيد  
والتنزيل .

حتى كان يوم .. وخرج رسول الله ﷺ مع أصحابه في سفر طويل ، وكان عبد  
الله لا يتخلف عنه في سفر ولا حضر ، فقال عليه السلام لعبد الله بن رواحة :  
« انزل فحرك بنا الركب » .

قال يا رسول الله : اني قد تركت قولي هذا .

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اسمع وأطع .

فنزول وهو يقول :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلت سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا  
 إن الكفار قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا  
 فقال النبي ﷺ :  
 «اللهم ارحمه» .

فقال عمر: وجبت<sup>(١)</sup> .

وجبت له الجنة ، أو وجبت له الرحمة ، لأنه من جنود الله ، ومن الذين  
 استجابوا لداعي الله عندما دعاهم ، إنه من الرعيل الأول الذين بذلوا المهج  
 والأرواح عندما بجّل بعض الناس ، وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله عندما  
 جبن الآخرون .

هنيئاً لك يا ابن رواحة دعوة نبيك ، ورضي الله تعالى عنك .

ثم ماذا ؟ لا زال القلب الفياض بالخير يعطي ويعطي .. وكان ذلك في عمرة  
 القضاء والمسلمون خلف نبيهم يطوفون بالبيت على ذلك المستوى من العزة والقوة ،  
 وترتفع أصواتهم مهللة مكبرة إلى عنان السماء عندها أخذ الحماس بمجامع نفس ابن  
 رواحة الذي كان آخذاً بزمام القصواء ناقة رسول الله ﷺ التي كان يطوف عليها  
 بالبيت ، فأرسلها من داخل المسجد اثناء الطواف صيحة حرب في وجه قريش  
 قائلاً :

خلوا بني الكفار عن سبيله      خلوا فكل الخير مع رسوله  
 نحن ضربناكم على تأويله      كما ضربناكم على تنزيله  
 ضرباً يزيل الهام عن مقيله      ويذهل الخليل عن خليله

وقد ألهبت هذه الأبيات الحماسية المثيرة ، مشاعر بعض الصحابة فتحرّكت نوازع  
 الحرب ضد قريش .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٢٧ .

فخاف ابن الخطاب أن يكون في قوله دعوة للحرب ، وهو ما يخالف اتفاقية صلح الحديبية .

فقال كالمخذر : يا بن رواحة؟ ..

أي ما هذا الذي تقول؟ ..

فسمع النبي ﷺ ما وجهه ابن الخطاب من تحذير إلى عبد الله ، فقال عليه السلام :

« يا عمر إني أسمع » . فسكت عمر .

ثم أمر الرسول الكريم عبد الله أن يتعد في أقواله عن ما يثير العواطف نحو الحرب قائلاً : إيه يا بن رواحة قل : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده (١) .

فأخذ ابن رواحة يردد ما قاله الرسول ﷺ رافعاً بها صورته ، وأخذ الناس يرددونها خلفه .

ولم يكن ابن رواحة ، فارساً يخوض المعارك فقط ، أو شاعراً يذوب قلبه في شعره فحسب ، ولكنه فوق ذلك كان خبيراً بشؤون الحياة عليمًا بطرق التجارة وأساليبها ، وتقدير الأثمان ومقاديرها .

ولقد بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر ليقدر بين المسلمين واليهود ، واستمر في عمله هذا أكثر من عام ، وكان يمكن أن يبقى في عمله هذا أكثر من ذلك . لولا اختيار الرسول ﷺ له ليكون أحد الأمراء في غزوة مؤتة ..

وفوجيء ابن رواحة بهذا الاختيار ، وأخذت الأفكار المتضاربة تملأ عقله وتحيط به ، لقد تعود أن يحارب بجوار الرسول ﷺ حارب معه في غزوة بدر وغزوة أحد ، وفي كل المعارك التي خاضها رسول الله ، وكان يحارب هؤلاء الاعراب الذي

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٢٢ .

يعرف جيداً مداخلهم ومخارجهم ، وخبر سيوفهم ورماحهم ، أما هؤلاء الروم...  
 فإذا يفعل معهم؟ .. وأخرجه من تأملاته تلك تهيؤ الناس للخروج إلى موته..  
 وعند وداعه لأصحابه ، غلبته دموعه فبكى .. فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟  
 فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية لكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ  
 يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار.

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾

— فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟.

قال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين ، فقال عبد الله  
 ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة      وضربة ذات فرع تقذف الزيدا  
 أو طعنة بيدي حران مجهزة      بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
 حتى يقال إذا مروا على جدتي      أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم يتجه ابن رواحة إلى رسول الله ﷺ ليودعه ويتزود منه ويقول له :  
 يا رسول الله : مرني بشيء أحفظه عنك .  
 قال عليه السلام :

« انك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل فأكثر السجود ».

قال عبد الله : زدني يا رسول الله .

قال : « اذكر الله فانه عون لك على ما تطلب ».

فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع إليه فقال :

يا رسول الله ، إن الله وتر يحب الوتر .

قال : يا ابن رواحة :

« ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة ».

فقال : لا أسألك عن شيء بعدها .

ثم قال وهو يودعه :

فشبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرنا  
إني تفرست فيك الخير أعرفه فراسة خالفتم في الذي نظروا  
أنت الرسول فن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر

.. ويتجه الجيش الاسلامي بقيادة الأمراء الثلاثة إلى أرض الروم وما كادوا  
يصلون إلى مشارف (معان) من أرض الشام حتى بلغهم أن هرقل قد أعد عدته  
وجيش جيوشه ونزل (مآب) من أرض البلقاء في مائة الف من الروم ..

عندها أقام الجيش الاسلامي على أرض (معان) ليلتين واجتمع القادة ينظرون  
في أمرهم واقترح بعضهم أن يكتبوا لرسول الله ﷺ بعدد عدوهم فإما أن يمدهم  
بالرجال ، وإما أن يأمرهم بالقتال .. عندها انبرى لهم عبد الله بن رواحة قائلاً :

يا قوم والله إن الذي تكهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس  
بعدد ولا قوة ولا كثرة . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنا  
هي إحدى الحسينين ، إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن  
رواحه .

فضى الناس إلى طريقهم ..

.. لقد كان عبد الله بن رواحة يعد نفسه لهذا اليوم .. لينال الشهادة بعد أن  
يقدم خيراً لدينه وللمسلمين .. إنهم لم يكونوا يطلبون الموت فراراً من الحياة ..  
ولكنهم كانوا يحرسون على الموت .. حتى ينتشر دين الله وتزال الطواغيت والجبابة  
من طريقه .. ولقد كانوا في خرجتهم هذه يقدرون التبعة الملقاة عليهم .. والامر  
العظيم الذي يتظرهم ..

يقول زيد بن أرقم كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلثد سمعته وهو يشهد أبياته هذه :

إذا أدنيتني وحملت رحلي      مسيرة أربع بعد الحساء  
فشأنك أنعم وخالك ذم      ولا أرجع إلى أهلي ورائي  
وجاء المسلمون وغادروني      بأرض الشام مستهى النواء  
وردك كل ذي نسب قريب      إلى الرحمن منقطع الإخاء  
هنالك لا أبالي طلع بعل      ولا نخل وعيش ذو زواء

قال زيد : فلما سمعتهن منه بكيت ، فحفظتني بالدرة وقال : « ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبي الرجل » ؟ ..  
.. ثم مضى الناس حتى إذا كانوا يتخوم اللقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى اللقاء يقال لها (مشارف).

ودنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها (مؤتة) ولقد هال أبو هريرة ما رآه من عدد وعدة المشركين وما يحملونه من السلاح والكرع والديباج والحزير والذهب ..

فقال له ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة .

قال أبو هريرة : نعم .

قال : انك لم تشهد بداراً معنا إنا لم ننصر بالكثرة .

والنحم الجيشان في قتال مروع ، وقاتل زيد بن حارثة حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

فاستقبل القوم وهو يرتجز ويقول :

يا حبذا الجنة واقتربها      طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها  
عليّ إن لافيتها ضرابها

وقاتل حتى قتل .. فأخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه وهو  
يقول :

أقسمت يا نفس لتنزله لتنزلن أو لتكرهنه  
إن أجلب الناس وشدوا الرنه ما لي أراك تكرهين الجنه  
قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه  
وقال أيضاً :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حجام الموت قد صليت  
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعاها هديت ...

وأخذ يهد الأعداء هدا .. واستبشر المسلمون خيراً وجاءه ابن عم له بعرق من  
لحم فقال :

« شد بهذا صلبك فانك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه فانتبس منه  
نهسة . ثم سمع الحطمة في ناحية الناس . فقال :

وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله  
عنه ..

قتل عبد الله بن رواحة بعد أن وقف على مشارف أرض الروم ، وكأنه يقول لمن  
يأتي بعده من جنود المسلمين ، هذا هو الطريق لنشر دين الله في تلك البقاع معبد  
مهياً ، بعد أن ارتوى من دماء الشهداء ..

## أسباب نزول الآيات

... عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس رضي الله عنهم — في هذه الآية قال :

نزلت في عبد الله بن رواحة ، وكانت له أمة سوداء ، وأنه غضب عليها فلطمها ، ثم إنه فرغ فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها فقال له النبي ﷺ :

ما هي يا عبد الله ؟

فقال : يا رسول الله : هي تصوم وتصلي ، وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسوله .

فقال : يا عبد الله هذه مؤمنة .

فقال عبد الله : فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجنها . ففعل .

فقطع عليه ناس من المسلمين فقالوا :

نكح أمة ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة في أحسابهم<sup>(١)</sup> ، فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ .

وقال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس :

(١) تفسير القرطبي ج ٣ / ٦٧ والدر المنثور ج ١ ص ٢٥٦ .



إن رسول الله ﷺ ، بعث رجلاً من غنيّ يقال له مرثد بن أبي مرثد حليفاً لبي  
هاشم إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسراء فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها :  
عناق .

وكانت خليفة له في الجاهلية ، فلما أسلم أعرض عنها فأتته فقالت :  
ويحك يا مرثد ألا تخلو؟ .

فقال لها : إن الاسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا ، ولكن إن شئت  
تزوجتك ، إذا رجعت الى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك ثم أتزوجك .  
فقالت له : أهي تبرم؟ .

ثم استفاغت عليه فضره ضرباً شديداً ، ثم خلوا سبيله ، فلما قضى حاجته بمكة  
انصرف إلى رسول الله ﷺ راجعاً وأعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي في  
سبيلها فقال :

يا رسول الله أيجل لي أن أتزوجها؟<sup>(١)</sup> .  
فأنزل الله ينهاه عن ذلك بقوله :  
﴿ ولا تنكحوا المشركات ﴾ .

(١) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٦٧ .

## تذييل...

عبد الله بن رواحة لم يكن هو الشاعر الذي عزفته سهول المدينة ووديانها وهو يرسل أعذب الأشعار وأجمل الألحان فقط .  
ولم يكن هو الرجل العاقل الذي سخر قبل ظهور الاسلام من أضنام قريش وأوثانها فحسب .

ولم يكن الرجل المفكر المتأمل ، الذي يرسل بريد عينيه يفتش في أبراج السماء العالية ، وفي أعماق البحار الزاخرة عن شيء مجهول لا يدري كنهه وكفى .

إن هذه الأشياء إن دلت على شيء فإنما تدل على بعض ملامح ابن رواحة ، أما حقيقته فهو أحد الرجال الذين تخرجوا من مدرسة الاسلام وتشربت قلوبهم مبادئه ، فكانوا صفوة مختارة مدحها رسول الله ﷺ وأثنى عليها قرآن ربه .

ومن هذه النخبة الممتازة تكونت أمة الجهاد ، أمة الأبطال والفرسان وأعددهم الرسول ﷺ إعداداً حريياً .

وعلمهم استراتيجية المعارك ومتطلبات النصر .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَد الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جَنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مطر

أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١﴾ .

وأعدهم الرسول أيضاً إعداداً روحياً ، قال تعالى :

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ (٢) .

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى :

﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين

كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (٤) .

ولكن النصر في النهاية لن يكون بقوة السلاح .

ولن يكون بعدد الجنود .

ولن يكون بصلافة القلاع والحصون .

وكل هذه الأشياء عوامل لا بد منها في الجيش المقاتل ، لا يصح اغفالها بحال من

الأحوال .

ولكنها ليست كل أسباب النصر ، ولن يتحقق النصر عن طريق العبادة الكثيرة

ولا عن طريق القوة الروحية ، ولن يتحقق النصر عن طريق معرفة الله فحسب ، ولن

يتحقق النصر عن طريق فرد من الأفراد ، أباً كان هذا الفرد رسولاً أو غير

رسول .. !!

النصر في النهاية من عند الله .

فقد يكون الجيش المحارب ضعيفاً في العدد وضعيفاً في السلاح ، وفي غير

استعداد كامل ومع ذلك يحقق النصر .

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٥١ .

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ١٢ .

قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ييدر وأتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ (١)

وقد يكون الجيش أكثر عدداً وعدة في الرجال والسلاح ومع ذلك لا يحقق النصر، قال تعالى:

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ (٢)

وإذا كان النصر من عند الله، فعلام بترك الجهاد؟.. وتحتل البلاد ونعيش في خوف ورعب؟..

وم نخاف؟.. أمن القتل؟.. ومتى كان المسلمون يحرسون على الحياة والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ (٣)

قدمت الآية القتل لأن المؤمنين لا يتشبهون بالبقاء ولا يحرسون على هذه الدنيا. ولكنهم يحرسون فقط على دينهم أو يموتون دونه وإذا خرجوا لملاقاة الأعداء كان نصب أعينهم إما النصر وإما الشهادة ولم يكن حب البقاء في حسابهم قط.

ولهذا قال رسول الجيش الاسلامي في مجلس ملك الفرس:

«جئنا لكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

وإذا كان النصر من عند الله، فالهزيمة قد تكون بسبب سلوك الأفراد بسبب عدهم عن الله، أو بسبب المعاصي التي يرتكبها المجتمع، قال تعالى:

﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (٤)

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٢٣.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٢٥.

(٣) سورة النساء آية رقم ٧٤.

(٤) سورة الشورى آية رقم ٣٠.

وبهذا الفهم لطبيعة الجهاد في الاسلام خرج فرسان النهار رهبان الليل من الجزيرة العربية ، ينشرون الأمن بعد الخوف والنور بعد الظلام والهدى بعد الضلال .  
خرجوا يحملون المصحف للهداية والسيف لازالة الباطل .  
والقتال في الاسلام لن يكون إلا باسم الله وبإذن منه ، وبتوفيقه وقدره ، قال تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾<sup>(١)</sup> .

لقد قيل انه من أسباب دواعي الهزيمة في حرب ٦٧ كما وضحتها بعض القادة المنهزمين وجود الباخرة «لابرتي» .

باخرة بأجهزة معقدة ، قيل إنها تلتقط إشاراتنا وبياناتنا ، وتكشف عن خططنا ، وتقرأ أفكارنا ، وتكاد تعد علينا أنفاسنا ، ويتكشف لها الغيب — ونعوذ بالله من الضلال — فتعرف ما نأتي وما ندع ؟!  
أحقاً كان ذلك ؟

إن هذه الأجهزة — وبهذه الصورة — قد توجد وقد لا توجد . قد تخطيء وقد تصيب ، قد تنجح وقد تخيب ، إنها مرحلة من العلم ، والعلم لا يزال قاصراً في ميدان الحروب .  
والعلم — كما يقال — لا يعرف الكلمة الأخيرة .

ولكن المسلمين الأول كان لديهم السلاح الذي لا يهزم ، سلاح الايمان كان عندهم شفافية الايمان ، وإشراقة الإحسان ، كان عندهم «الرادار» الذي ينقل ، والأجهزة التي تصور .

كانت عندهم فراسة المؤمن وهي أقوى الأسلحة وأعتى الحصون ، لأن الرسول ﷺ يقول :

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩ .

« اتقوا فراسة المؤمن لأنه ينظر بنور الله »<sup>(١)</sup>

وبهذا الفهم لطبيعة النصر ، وبهذه الثقة لوعده الله لهم ، انداحوا في أربعة أركان الأرض ، وطويت الدنيا تحت أقدامهم ، ولم تمض إلا فترة وجيزة ، حتى كان صوت المؤذن يدوي بـ « الله أكبر » في أنحاء المعمورة .

لقد كانت غزوة مؤتة بداية لهذا المد الاسلامي الكبير ، المد الذي اخترق بلاد الاندلس وسار حتى مشارف أوروبا .

والمد الذي وصل إلى الصين وتوغل حتى نهاية السند والهند .

والمد الاسلامي الذي استولى على « القيروان » وواصل زحفه إلى آخر شواطئ « بانزرت » .

إن الدماء الاسلامية التي أريقت على بطاح « مؤتة » كانت هي الدليل للجيش الاسلامي ليواصل زحفه إلى البحر الأبيض المتوسط ، ويتوغل في جزره ، حتى شمل قبرص ، وصقلية وكورسيكا .

إن الصيحة التي أطلقها ابن رواحة فوق تلك البلاد البعيدة كانت النفير لأبناء المسلمين فانطلقوا سراعاً إلى مشارف روسيا وحطموا أسوارها ودمروا قلاعها واستولوا على ثلاثة أرباعها .

واستولوا على بخارى والقوقاز .

واستولوا على طشقند وسبيريا .

واستولوا على جبال الأورال وعلى بحر قزوين . وزالت الحدود والسدود وسار المسلم بلا جواز أو هوية سوى جواز الاسلام وهوية التوحيد .. إن الاسلام الآن في حاجة إلى مثل هؤلاء الرجال ..

فتى يا رب نجدهم على الأفق مقبلين؟ ..

(١) رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي سعيد ، ورواه العسكري عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ : اتقوا فراسة العلماء فانهم ينظرون بنور الله .

ثابت بن تيسر  
رضي الله عنه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ  
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ  
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات آية رقم ٢



## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس رضي الله عنه.

راجع تفسير الامام الطبري ج ٢٦ ص ٧٥.

وراجع الدر المنثور ج ٦ ص ٨٤ — ٨٦.

وراجع صحيح مسلم ج ١ ص ٧٧.

ومسند الامام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٣٧ طبع الحلبي.

وقاله الامام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ٤٠٧.

فمن هو ثابت بن قيس؟

## ثابت بن قيس

رضي الله عنه

يكنى أبا محمد، وقيل يكنى أبا عبد الرحمن .  
وعندما رزق بابنه الأول، حملة وهروول به إلى الرسول ﷺ ، فحنكه بتمرة  
عجوة، وسماه محمداً .

وله من البنين ثلاثة، قتلوا جميعاً في الدفاع عن الاسلام .  
وأمه امرأة من طيء ، وصفت بالعقل والحكمة ، وشجعت ابنها على تعلم القراءة  
والكتابة — حتى يوصف بالكامل — تلك الصفة التي كانت تطلقها العرب على من  
يحيد الكتابة .

ومن زوجاته حبيبة بنت سهل ، التي رأت في خلقه شدة — كما تقول —  
فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب منه أن يخلعها من ثابت .  
فقال النبي : أوتردين له ما أعطاك ؟ .

فقالت : يا نبي الله كل ما أعطاني فهو عندي .  
فقال : يا ثابت خذ منها . فأرسلت به إليه ، وأقامت في أهلها فترة ثم تزوجها أبي  
ابن كعب . هذه بعض ملامح وظلال ثابت بن قيس والذي كان يطلق عليه قبل  
الاسلام خطيب الأنصار ، ثم سمي خطيب الاسلام ، ثم سمي خطيب رسول الله  
ﷺ بعد ذلك .

شهد غزوة أحد مع رسول الله ﷺ وما بعدها ، وشارك بسيفه ولسانه في الدفاع عن الاسلام .

كان يحرص على مجلس الرسول ﷺ والاستماع لهديه والتفقه في دينه ..  
وفي يوم جاء متأخراً عن مجلس الرسول ، وكان من عادته أن يجلس بجواره حتى تلتقط أذناه كل ما يقول ، فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول : «تفسحوا ، تفسحوا» .

فقال له رجل : قد أصبت مجلساً فاجلس ، فجلس ثابت مغضباً ، وبعد أن استقر في مجلسه ، تحرش بالرجل قائلاً : من هذا؟ ..

فقال : أنا فلان !!

فقال ثابت : ابن فلانة؟ ..

وذكر أماً كان يعير بها في الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه استحياء فأبزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (١) ، وعندما دعا الرسول للخروج إلى بني قريظة الذين خانوا عهد رسول الله ، وتحالفوا مع الأحزاب ، وألبوا الأحمر والأسود على حرب رسول الله ﷺ كان ثابت بن قيس في مقدمة البارزين اليهم ، وكان له دور لا ينكر في التنكيل بهم .. ووقع الزبير بن باطا القرطي اليهودي أسيراً في يده .

وعندما تفرس ثابت في وجه أسيره ، عرف أن هذه ليست المرة الأولى التي التقيا فيها بين الرماح والسيوف ، لقد سبق أن وقع ثابت أسيراً في يد الزبير في الجاهلية

(١) سورة الحجرات آية رقم ١١ .

وعلى وجه التحديد في يوم «بعث» وكان الزبير على غير عادة اليهود كريماً معه ، فلم يطلب فدية أو مالا ولم ينكل به ، أو يجلد ظهره كما كان يحدث مع الأسرى في الجاهلية ، وكل الذي فعله معه أن أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله ..  
عندها قال ثابت للزبير — وهو شيخ كبير — يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ .

قال اليهودي : وهل يجهل مثلي مثلك ؟؟ ..

قال ثابت : اني أردت أن أجزيك بيد لك عندي .

قال : إن الكريم يجزي الكريم ..

ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه كانت للزبير علي مئة ، وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه .

فقال رسول الله ﷺ هو لك .

فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك .

فقال له : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فماذا يصنع بالحياة ؟ ..

فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله هب لي امرأته وولده .

قال عليه السلام : هم لك .

فأتاه ثابت فقال : قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلك وولده فهم لك .

قال اليهودي : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك ؟ ..

فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ماله ..

قال : هو لك ..

فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك فهو لك ..

قال الزبير : أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة يتراعى فيها عذارى الحي :

كعب بن أسد ؟ ..

قال ثابت : قد قتل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب .

قال : قتل .

قال : فما فعل مقدمتنا إذا شبننا ، وحاميتنا إذا فرغنا (عزال بن سموال) .

قال ثابت : قتل .

قال : فما فعل المجلسان : يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة .

قال : قتلوا .

قال الزبير : فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا الحققتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر بعدهم حتى ألقى الأحبة (١) .  
فقدمه ثابت فضرب عنقه ..

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » .

قال : يلقاهم في نار جهنم خالداً فيها مخلداً (٢) .

إن هذه الحادثة الفردية مع هذا اليهودي ، تدل دلالة عميقة على أغوار النفس اليهودية ، وعلى طبيعة الجشع والطمع المتأصل في جبلتهم .  
وتدل من جانب آخر على سماحة الاسلام ورقة قلوب أصحابه ، وانه دائماً يفتح ابوابه أبواب الرحمة والمغفرة .

أبواب العطاء والمنع أمام البشرية قاطبة ، دون تفرقة بين جنس وجنس ولون ولون ، حتى وإن اختلفت العقيدة ، وتباينت الاتجاهات .

وإذا كان ذلك كذلك فلتتابع رحلتنا مع ثابت بن قيس أحد رجالات الاسلام من تشريته أرواحهم وتأصلت مبادئه في قلوبهم .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢ .

لقد كانت غزوة بني قريظة إحدى المعالم البارزة في تاريخ الدعوة، وكان دور ثابت بن قيس ظاهراً لا يخفى، واضحاً لا ينكر. فلما كانت غزوة بني المصطلق اندفع فيها اندفاع من يطلب الشهادة، أو اندفاع الظاعن البعيد عن أهله والآيب اليهم بعد فرقة وحرقة، وغربة وابتلاء، وانتهت المعركة، وعاد وفي يده أجمل فتيات الحبي، وابنة مليكهم «جويرية بنت الحارث»، إنها غنيمة غالبية، وكنتز عظيم أليست ابنة ملك، وعاشت في كنف أبيها آمرة ناهية، تحكم ولا تحكم، وتطلب فلا يرد طلبها.

وإذا كان هذا حقيقة أمرها، وصفة حياتها، أتقبل أن تكون أسيرة، وتتخذ سبية؟ لا: إن هذا لن يكون.. وتقدمت إلى ثابت فكاشفته بخيثة قلبها ووضعت أمامه حقيقة أمرها، فكاتبته على نفسها.. ولكن ماذا تفعل في المال وهي لا تملك من حطام الدنيا شيئاً— وفقدت في هذه الغزوة كل ما تملك، وهي فتاة، ولا تقدر سواعدها على العمل.. عندها فكرت في الاتجاه إلى النبي ﷺ فلما مثلت بين يديه قالت:

يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس فكاتبته على نفسي فجتتك استعينك على كتابتي..

قال الرسول ﷺ:

«فهل لك في خير من ذلك؟».

قالت: وما هو يا رسول الله؟.

قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك.

قالت: نعم يا رسول الله.

قال: قد فعلت<sup>(١)</sup>.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٥٩.

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث .  
فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم .  
قالت عائشة رضي الله عنها :

« فلقد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت  
أعظم بركة على قومها منها » .

إن المعارك التي خاضها المسلمون كان الهدف من ورائها رفع كلمة الله ، ونشر  
دين الله ، والقضاء على هؤلاء الأباطرة والملوك الذين كانوا يمنعون أتباعهم من  
اعتناق هذا الدين . فإذا استجاب الفريق الآخر لداعي الله ونطقوا بكلمة الاسلام  
كانوا إخوة متحابين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ولقد كان لزواج الرسول من  
إحدى المنسيات إشارة وأمرًا للجيش المحارب أن يكف عن هؤلاء الناس ، وينفض  
يديه من كل أموالهم ونسائهم ومتاعهم .

ولقد استجاب المسلمون لرغبة نبيهم ، وسرت ومضة من نور الايمان في قلوب  
الآخرين ، فأعلنوا اسلامهم وأنابوا إلى ربهم ، وأصبح أصهار رسول الله ﷺ  
— قوة ضاربة لصالح المسلمين — استدعى عما قريب للمشاركة في الفتح الأكبر ،  
وتطهير الجزيرة العربية من بقايا الشرك والوثنية .

وإذا كان هذا دور ثابت بن قيس في المعارك والحروب ، فلقد كان له دور آخر  
في مجال الخطابة والمفاخرة ، وتعدد المآثر . مع وفد بني تميم الذين جاءوا إلى النبي  
ﷺ ونادوه قائلين :

« يا محمد اخرج الينا . فان مدحنا زين ، وإن ذمنا شين » .

فلما سمعهم النبي ﷺ خرج اليهم وهو يقول :

« إنما ذلكم لله الذي مدحه زين ، وذمه شين » <sup>(١)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥ .

فقالوا نحن ناس من بني تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك .  
فقال رسول الله ﷺ :

« ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ، ولكن هاتوا » .

فقال الزبيرقان بن بدر لشباب من شبابهم قم فاذا ذكر فضلك وفضل قومك ..

فقام فقال : الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه ، وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاء  
فنحن من خير أهل الأرض ، ومن أكثرهم عدة ومالاً وسلاحاً ، فمن أنكر علينا قولنا  
فليأت بقول هو أحسن من قولنا وفعال هي خير من فعالنا .

فقال رسول الله ﷺ لثابت : قم فأجبه .

فقام فقال : الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا  
إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله دعا المهاجرين من  
بني عمه أحسن الناس وجوهاً وأعظمهم أحلاماً فأجابوه ، فالحمد لله الذي جعلنا  
أنصاره ووزراء رسوله ، وعزاً لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا  
الله ، فمن قالها منع منا نفسه وماله . ومن أباها قاتلناه ، وكان قتله في الله تعالى علينا  
هيناً . أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ..

فقال الزبيرقان بن بدر لشباب من شبابهم قم يا فلان فقل آياتاً تذكر فيها  
فضلك ، وفضل قومك ..<sup>(١)</sup>

فقام الشاب فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع<sup>(٢)</sup>  
ونطعم الناس عند القحط مكرمة وتونس الضيف إن أمسى به فرع  
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحدٌ إنا كذلك عند الفخر نرتفع

(١) المصدر السابق .

(٢) البيع : أماكن الصلوات والعبادات .



فأرسل رسول الله ﷺ إلى حسان بن ثابت فانطلق إليه الرسول فأحضره ، فقال  
حسان :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على الرغم بادٍ من معد وحاضر  
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى إذا طاب ورد الموت بين العساكر  
ونضرب هام الدارعين وننتمي إلى حسب من جذم غسان قاهر  
فلولا حياء الله قلنا تكراً على الناس بالخفين هل من منافر  
فأحيأونا من خير من وطىء الحصى وأمواتنا من خير أهل المقابر  
فقام الأقرع بن حابس يقول :

إن محمداً لموتى له .. والله ما أدري ما هذا الأمر ، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم  
أحسن قولاً ، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر ، ثم دنا من رسول الله ﷺ  
فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله .  
فقال النبي ﷺ :

« ما يضرك ما كان قبل هذا »<sup>(١)</sup> ؟

ثم أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم .

وهكذا قام ثابت بن قيس رضي الله عنه بدور جديد قد كلف به ، فوفاه حقه ،  
وأحسن وأجاد ، وانتصر المسلمون في معركة الكلام ، كما انتصروا سابقاً في معركة  
السيف والسنان .

وفي يوم من الأيام والمسلمون يعلنون العدة ، للخروج تحت قيادة اسامة بن زيد  
نعي الناعي اليهم رسولهم وكان وقع هذا الخبر على ثابت بن قيس كما كان على غيره  
شيء لا يطاق .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٤ .

ولكن بدأ يردهم إلى صوابهم ، ويخفف عنهم هول الصدمة الأولى .  
ان لكل أجل كتاباً ، وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .  
﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على  
أعقابكم ﴾ (١) .

وكان على المسلمين أن يجابوا أمرهم بحزم وقوة ، وخصوصاً بعد أن ارتد كثير  
من العرب عن الاسلام ، وظهر بينهم الكذبة وأدعياء النبوة ، يمنونهم الأمانى ،  
ويتقولون على الله ما لم يقل .

وأخذ خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ، الأمر بجذ كله ، وسير الجيوش  
للقضاء على هؤلاء المرتدين عن دينهم ومحاربة الأدعياء والتنكيل بهم . وخرج ثابت  
ابن قيس مع جيش خالد بن الوليد الذي اتجه إلى اليمامة ، لمحاربة مسيلمة الكذاب  
— مدعي النبوة — والذي التف حوله مجموعة من صناديد العرب وفرساتها ..

والتقى الجيشان في معركة ضارية ، وانكشف المسلمون في الجولة الأولى عندما  
يتقدم ثابت بن قيس ومعه سالم مولى ابي حذيفة إلى مقدمة الجيش ويصرخ في هؤلاء  
المنكشفين عن مواقعهم بقوله : يا أبطال الاسلام يا جنود الرحمن ، ما هكذا كنا  
نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم حفر كل واحد منها له حفرة فثبنا وقاتلنا حتى قتلنا .  
قتل هذان البطلان بعد أن فتحا في صفوف الأعداء ثغرة نفذ منها فرسان  
الاسلام إلى قلب الأعداء .

وكان دماءهم التي سالت على أرض المعركة ، بداية النصر الكبير من الله  
سبحانه وتعالى لمن خرجوا من ديارهم لا يرجون إلا إعلاء كلمته ، ونشر دينه .  
قتل ثابت بن قيس ، وكان عليه يوم مقتله درع له نفيسة ، فمر به رجل من

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٤ .

المسلمين حديث عهد بالاسلام فأخذها لنفسه ، ولم يتقدم بها الى أهله ! .. وظن أنه ما دام لم يره أحد من الجنود فلا خوف عليه .

ولكن نسي أن هذه الدرع هي لرجل شهيد .

لرجل قاتل لإعلاء كلمة الله حتى سقط في أرض المعركة .

والشهداء ليسوا بأموات ولكنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

فلما كان اليوم التالي للمعركة ، رأى رجل آخر من المسلمين في نومه أن ثابتاً قد أتاه وقال له : إني أوصيك بوضيعة ، فيأياك أن تقول هذا حلم فتضعه ، إني لما قتلت أمس مرّ بي رجل من المسلمين ، فأخذ درعي ومثله في أقصى الناس وعند خيائه فرس يعده لمرجه ونشاطه . وقد كفاً على الدرع بُرمة وجعل فوق البرمة رحلاً ، فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي ، فيأخذها<sup>(١)</sup> .

وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له : إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقبتي عتيق وفلان .

فأتى الرجل خالداً فأخبره ، فبعث الى الدرع فأتى بها ، وحدث ابا بكر رضي الله عنه برؤياه فأجاز وصيته بعد موته .

قال : ولا نعلم أحداً أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> .

إن هذه الحادثة قد لا يستريح اليها مجموعة من الناس حصرت نفسها داخل العالم المادي ، الذي يبصر ، أو يلمس أو يشم .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٢٣ .

(٢) البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٤ .

ونسي هؤلاء الناس أن كون الله الفسيح أكبر من أن يحيط به عقلهم القاصر، أو يشمله بصرهم الكليل. ولقد كفانا كتاب ربنا مؤنة الرد عليهم في آية واحدة قال تعالى:

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة يونس آية رقم ٣٩.

## أسباب نزول الآيات

قال الإمام الواحدي : نزلت هذه الآية وهي قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ في ثابت بن قيس ابن شماس . وكان في أذنه وقز ، وكان جمهوري الصوت وكان اذا كلم انساناً جهر بصوته ، فربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته فأنزل الله تعالى هذه الآية (١)

.. وروى ابن جرير بسنده قال لما نزلت هذه الآية : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول :

قال : فقد ثابت بن قيس رضي الله عنه في الطريق يبكي ..

قال : فربه عاصم بن عدي من بني العجلان . فقال : ما يبكيك يا ثابت ؟ ..

قال : هذه الآية ، أخوف أن تكون نزلت فيّ ، وأنا صليت رفيع الصوت وغلبه البكاء فأنتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي سلول فقال لها : إذا دخلت بيت فرس ، فشدي على الضبية بمسمار ، فضربته بمسمار ، وقال : لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى ، أو يرضى عني رسول الله ﷺ .

قال : وأنتى عاصم رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأخبره خبره .

(١) راجع تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٥ والدر المشور ج ٦ ص ٨٤ — ٨٦ والاستيعاب في معرفة الاصحاب ج ١ ص ٢٠١ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٠٧ .

فقال : اذهب فادعه لي .

فجاء عاصم رضي الله عنه إلى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس ، فقال له :

« إن رسول الله ﷺ يدعوك » .

فقال : اكسر الضبية .

قال : فخرجا ، فأتيا النبي ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا ثابت ؟ ..

فقال رضي الله عنه : أنا صليت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴾ .

فقال له النبي ﷺ :

أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟

فقال : رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ . قال وأنزل الله تعالى :

﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ (١) .

وقال الامام البخاري عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ ، حين قدم عليه ركب بني تميم .

فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخيه بني مجاشع ، وأشار الآخر برجل آخر .

(١) تفسير الامام ابن كثير ج ٤ ص ٢٢ وراجع صحيح الامام البخاري .

قال نافع : لا أحفظ اسمه .

فقال ابو بكر لعمر رضي الله عنها : ما أردت إلا خلافي .

قال : ما أردت خلافاك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ (١) .

---

(١) راجع تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٦ ، وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣٠٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٨٤  
وأسباب نزول القرآن ص ٤٠٧ .

## تذييل ...

للاعلام دوره الكبير في حياة الدول والشعوب ، لأنه الصورة الصادقة المعبرة عنها في الداخل وفي الخارج ، وكلما كانت الدولة صاحبة مذهب تريد أن ينتشر ، أو دعوة تريدها أن تعم ، كان اهتمامها بالاعلام أكبر ، وبوسائله المؤثرة في حياة الأفراد والجماعات أكثر .

والاعلام في عصرنا الحاضر ، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية ، لم يعد قاصراً على الدول والممالك فقط ، بل تخطى ذلك إلى كل فرد ، كل يريد أن يعلن عن نفسه ، أو عن فكره ، أو عن مؤسساته وأعماله . وتختلف وسائل الاعلام وأداته من عصر إلى عصر ، بل من دولة إلى أخرى ، وبمقدار نجاح تلك الوسائل ، وذلك عن طريق معرفتها لرغبات الافراد ومتطلبات الشعوب ، كلما كان دور الاعلام ، ناجحاً وموفقاً في أداء مهمته .

والاسلام لم يغفل الاعلام ووسائله في أيامه الأولى ، ولم يكف رسول الله ﷺ ، بجهوده وجهود رجاله في الدعوة إلى الاسلام ونشر مبادئه ، في داخل الجزيرة العربية ، بل تعدى حدودها إلى ما يحيط بها من أمم أو يتاخمها من شعوب ..

وحياة الرسول ﷺ دليل على أنه لم يغفل أمر الدعوة إلى الله لفترة واحدة من أيامه ، ولم يتوان عن ارسال الرسل والوفود والاعلام عن مبادئ الاسلام إلى آخر لحظة من لحظات حياته .



من ذلك أن ابن كثير يذكر في كتابه البداية والنهاية ، أن رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال :

« أما بعد فاني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليّ كما اختلف بنو اسرائيل على عيسى بن مريم» .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فرنا وابعثنا فبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب إلى كسرى ملك الفرس ، وبعث دحية بن خليفة إلى هرقل عظيم الروم ، وبعث أيضاً إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق . كما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية (١) .

وكل هؤلاء الرسل كانوا يحملون معهم مبادئ الاسلام وتعاليمه وكانوا قبل إرسالهم يختارون على مبادئ معينة ، ويشترط فيهم صفات خاصة ، تؤهلهم لأداء مهمتهم ، وإقناع الملوك وأتباعهم برسالتهم .

ولقد كان للشعر دوره في الاعلام عن أمجاد القبيلة ، وتعداد انتصاراتها وكان للعرب موسمها السنوي الذي تلتقي فيه بأسواق عكاظ ومجنة ذوو الحجاز ، ويتبارى الشعراء والخطباء في تعداد المفاخر ، وذكر المحاسن فلما جاء الاسلام استمر للشعر دوره ، وللکلمة مجالها في التعبير والاعلام .

قال محمد بن سيرين : كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ، فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، وكان حسان يقبل على الأنساب .

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

وقال ابن سيرين أيضاً : فبلغني أن « دوساً » إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتر وخبير ثم أجمعنا السيوف  
نسائلها ولو نطقت لقات قواطعهن « دوساً » أو ثقيفا

فقات دوس : انطقوا فخذلوا لأنفسكم لا يتزل بكم ما نزل بثقيف ويقال أن رسول الله ﷺ وقف بباب كعب بن مالك فخرج فقال له رسول الله أنشد ، فأنشده ، ثم قال : إيه فأنشده ثم قال : إيه فأنشده ثلاث مرات . فقال رسول الله ﷺ : « لهذا أشد عليهم من وقع النبل »<sup>(1)</sup> .

والآن ما موقف وسائل الاعلام في بلادنا من الاسلام؟ ..

نعني وسائل الاعلام التي تصدر في بلاد المسلمين ، وتتفق عليها الأموال من خزائنهم ! ..

إن المتتبع لتلك الوسائل ، سواء الصحافة والاذاعة المرئية والمسموعة يلحظ مدى الخصومة المتأصلة بين الاسلام وبين القائمين على تلك الاجهزة فلماذا هذه الخصومة؟ ..

وما الذي يغضبهم من الاسلام وشرعه؟ ..

الإجابة على هذه الاسئلة يفتش عنها في داخل أولئك الذين وكل اليهم أمر الاعلام — ولعلنا نلتمس لهم بعض العذر في ذلك — لأن أكثرهم تربي على موائد الشرق والغرب ، بعيداً عن هدى الاسلام ونوره ، وعبوا من أفكار الهابطين ومبادئ الملحدين ، وبالجملة فقد تتلمذوا على ايدي اليهود ، اليهود الذين يعملون على تدمير العالم بتدمير أخلاقيات أفراده حتى يتحقق لهم حلمهم القديم ، وهو جعل العالم مملكتهم .

(1) طبقات ابن سعد .

ونحن الآن في القرن العشرين ، نرقب طفيان الأفكار الأجنبية ، والعادات الأجنبية على حياتنا ، وتغلغلها في أعماقنا ، وسيطرتها على مناهج التعليم والتوجيه في بلادنا .

إننا لا نذهب لاستيراد هذه الأفكار في أكثر الأحيان ، ولكنها ترد إلينا عن طريق أصحابها أو أتباعهم ، فتعمل في حياتنا عمل السحر ، وتأكل رصيدنا من الأخلاق كما تأكل النار الهشيم ، وتتدخل في كل شئتنا فتحرك كل يد ، وتسيطر على كل نفس ، وتتغلغل في كل بيت إلا من عصم ربي ..

إن وسائل الاعلام في بلادنا يجب أن تنطلق من توجهات الاسلام ومبادئه ، لتربي أجيالنا على الخلق والفضيلة ، وتنشئ أبناءنا على توحيد الله ومعرفته والعمل على مرضاته .

أما في الخارج فما موقف اعلامنا تجاه ديننا واسلامنا؟

إن موقفها في الخارج لا يقل تهاوناً عن موقفها في الداخل ، وتضمت هذه الأجهزة ، فلا تذكر الاسلام من قريب أو بعيد ، وكأن الاسلام مهمة يجب الابتعاد عنه ، وعدم الاقتراب منه . تفعل وسائل الاعلام في بلادنا ذلك تجاه دينها ، في الوقت الذي تقوم في البلاد التي يدينون لها بالولاء اذاعات كاملة ، وصحافة موجهة — لا عمل لها إلا التبشير بالانجيل والدعوة إلى المسيحية .

وإذا كانت الدول المسيحية — وعلى رأسها امريكا — تفعل ذلك فإن دولة الصهيونية ، أشد اغراقاً وتعصباً في الاهتمام بدينها والدعوة له ، ولقد اقيمت في تل ابيب اذاعة تنطق باللغة العبرية لتشنيف آذان المستمعين بكلمات العهد القديم ، والتبشير باقامة هيكل سليمان والاستيلاء على أرض الميعاد التي تمتد من النيل إلى الفرات ، والتي لم تكن دولة فلسطين إلا جزءاً يسيراً منها .

فتى نرى اذاعة اسلامية تنطق باسم الاسلام وتعمل على نشر مبادئه والدفاع عنه ، في كل أرض يصل إليها الأثير ، ويمكن أن ينقل إليها صوت البشير؟ ..

إن تم ذلك فلا بد أن يستجيب الناس لصوت الحق ، ويدخلون في دين الله أفواجاً...

أنعجز في القرن العشرين — ومعنا كل الوسائل ، والتجهيزات الحديثة من صحافة ، وإذاعة ، ودعاية ، وسياسة أن نفعل كما فعل ثابت بن قيس ؟ .

لا : إن الاسلام وأهله بخير . وإذا عم الظلام فارتقب الفجر..

أَسِيدُ بِنِ حَمِيزِ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاتُوا  
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ءِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ  
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ  
وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَلَّا تَمُوتُوا  
وَءَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
وَءَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ  
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ  
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

صدق الله العظيم

سورة آل عمران الآيات من ١٠٠ - ١٠٣

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير ورجال السير نزلت هذه الآيات في أسيد بن حضير،  
وقال البعض الآخر نزلت في الأوس والخزرج عامة.

راجع الدر المنثور ج ٣ ص ٥٧.

وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٤

وتفسير الإمام الطبري ج ٧ ص ٥٥.

وراجع أسباب نزول القرآن للامام أبي الحسن الواحدي

لن هو أسيد بن حضير..؟

## أسيد بن حضير

رضي الله عنه

يكنى أبا يحيى ، وكانه رسول الله ﷺ أبا عيسى . وسمي في الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة باللغة العربية ، وتفوقه في العموم والرمي ، ومن كانت فيه هذه الخصال مجتمعة أطلقوا عليه لفظ «الكامل»<sup>(١)</sup> .

والده فارس الفوارس في الجاهلية ، وكان يسمى «حضير الكنايب» ورئيس قبيلة الأوس ، وحامل لوائها يوم موقعة «بعث» آخر المعارك الكبرى بين الأوس والخزرج قبل هجرة الرسول إليها .

وأمه سليلة بيت عز وشرف ، ابنة النعمان بن امرئ القيس ، كان لها دورها الكبير في تربية «أسيد» وتنشئته ، وأرضعته — وهو صغير — حب معالي الأمور ، والبعد عن سفاسفها .

ولد أسيد في يثرب .

تلك المدينة الخالدة ، التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، ومن فوق هضابها السمر ، جيشت الجيوش ، وهيئت الكنايب لنشر دين الله .

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ج ١ ص ٩٢ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠٣ .



وعرفت دروب المدينة «أسيد» الفتى الشجاع ، الذي يمتطي سهوات الخيل  
ويتغنى بالبطولة ، وبحب مكارم الاخلاق .

وقتل والده وهو في أول الشباب فتوَجَّته القبيلة رئيساً لها خلفاً عن والده ،  
وتحمل تبعات الحياة ، وعرك سياسة الأفراد مبكراً .

وكان صديق طفولته وشبابه ، ومستشاره في همومه الكبار ، وتبعاته الجسام ،  
سعد بن معاذ ، فتى الفتيان ، وفارس الشجعان في الجاهلية .

.. وكان أسيد وسعد لا يفترقان في ظعن أو إقامة ، ولا يتباعدان إلا عندما  
يأوي كل منها إلى فراشه .

وكانت لها جلستها المفضلة تحت ظلال النخيل الذي يحيط «بيئر مرق» خارج  
المدينة .

يجلسان كل يوم يتسامران ، ويتشاكيان ، ويدبران شؤون الأوس ويستعدان  
لجولة جديدة مع قبيلة الخزرج ، يثاران فيها «لخضير» الذي قتل يوم موقعة بعاث .

وفي يوم من الأيام وهما يجلسان في مجلسها هذا ، جاء اليها كعب بن الحرث  
وأخذ يحدثها عن رجل يدعى : مصعب بن عمير ، جاء من مكة ، ونزل ضيفاً على  
أسعد بن زرارة ، وهو يدعو إلى دين يسمى — الاسلام — ويزعم مصعب أنه  
رسول من قبل النبي الذي ظهر بمكة .

ثم قال كعب : وقد سمعته البارحة يتفق مع اسعد بن زرارة ليحضرا عندكما اليوم  
ويعرضا عليكما الدين الجديد .

ثم تابع كعب كلامه قائلاً : وانني لأعجب من جلوسكما فوق هذه الربوة ، وقد  
يكون الرجل يجلس في ناديكما الآن ! ..

عندها قال سعد بن معاذ مستفسراً :

دين جديد .. أي دين هذا؟ ..

قال كعب.. إنه يزعم أن صاحبه بمكة يهبط عليه الوحي من السماء ويطلب  
بنذ عبادة الاصنام، ويدعو الناس إلى عبادة الواحد الأحد. ولم يطق سعد أن  
يسمع أكثر من ذلك فقال لأسيد:

«انطلق يا أخي إلى هذين الرجلين اللذين قد يأتيا إلينا ليسفها ضعفاءنا، ويفرقا  
جمعنا، فازجرهما — إن استطعت. وانهما أن يأتيا دارينا»<sup>(١)</sup>.

ثم خفت حدة صوته، ولانت كلماته، وتابع حديثه لأسيد قائلاً: «والله لولا أن  
أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدمة وهو مني حيث قد علمت كفيتك  
هذا؟؟»<sup>(٢)</sup>.

وأما أنا فسأذهب إلى نادينا لأكون على أهبة الاستعداد، لأحول بينها وبين ما  
يريدان، إن فشلت جهودك في منعها من الحضور.

فأذعن أسيد لما قاله سعد، وتناول حربته وسار يحث الخطى إلى منزل أسعد بن  
زرارة.

وفي الطريق أخذت كلمات كعب بن الحرث ترن في أذنيه، وكأنها تلقى عليه مرة  
أخرى.

«نبد الأوثان».

«عبادة الواحد الأحد».

«وحي السماء».

«نبي جديد» ما هذا؟.

وأخرجته من تأملاته تلك، دقائق يده، وهي تطرق الباب بعنف على منزل  
أسعد بن زرارة.

(١) الروض الانف ج ٤ ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق.

وفتح الباب له ، وعندما رآه أسعد هش لمقدمه ، وسلم عليه ، وقال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه ، قد جاءك فاصدق الله فيه .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

ولكن «أسيد» ما جاء ليجلس ، ولم يأت ليستمع ، لقد جاء ليلقن هذا الرجل ، درساً قاسياً يرد له عقله ، ويرجعه إلى بلده ، ويجعله لا يفكر في العودة مرة أخرى إلى تلك البلاد .

وبدأ حديثه قاسياً غاضباً ثم قال :

«ما جاء بك إلينا تسفه ضعفاءنا وتغير أحوالنا؟ . اعترلنا إن كانت لك بنفسك حاجة» .

فقال مصعب له :

«أوتجلس فتسمع ، فان رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره» .

إن مصعباً يدعو أسيداً ليستمع عقله ، يدعو للتعرف على ما يدعو إليه ، إنها بداية طيبة من هذا الرجل .

إذن لِمَ لا يستمع إليه؟

وقد يكون ما سمعه عنه وشاية ، أو حديثاً مفترى ، أيرفض أسيد هذا المنطق — وهو الرجل الذي يسمى بالكامل؟

أيجهل على رجل من غير هذه الديار..؟

وأين كرم الضيافة وحقوق الضيف..؟

ثم أيحكم على قول قبل أن يستمع إليه..؟ إن هذا لمن قلة الرأي !

وما لبث أن استوقفه عقله ، وردته الى صوابه الكلمات البسيطة الصادقة التي نطق بها مصعب .

عندها قال أسيد لمصعب أنصفت ، ثم ركز حربته ، وجلس إليه ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وشرح له أصوله ، وقرأ عليه القرآن .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين ﴾ (١) .

وقول الله تعالى أيضاً : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ (٢) .

فما لبث أن أشرق وجهه ، وانفرجت أساريه ، وفتتح قلبه للهدى الجديد ، وقبل أن ينتهي مصعب من حديثه ، قال أسيد :  
« ما أحسن هذا الكلام وأجمله . ماذا تصنعون إذا أردتم الدخول في هذا الدين ؟ » .

قال مصعب : نغتسل فتطهر ، ثم تشهد شهادة التوحيد وتصلي .  
فقام فاغتسل ، وطهر ثوبه ، وبدنه ، ونطق أمام مصعب بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلمه مصعب الصلاة ، فقام فركع ركعتين (٣) .  
هيناً لك يا أسيد لقد هدأك ربي إلى الفطرة إلى دين الاسلام . ومن اللحظات الأولى بعد إسلامه ، تحول إلى داعية للاسلام ، ومبشر بهذا الدين الجديد .  
وأطلق لفرسه العنان ، متجهاً إلى هناك حيث يجلس صديق طفولته ورفيق شبابه ، سعد بن معاذ .

وعندما رآه سعد ، رأى شخصاً جديداً غير أسيد الذي يعرفه من قبل فبادره بقوله : أحلف بالله لقد جئنا يا أسيد بغير الوجه الذي ذهبت به . ما وراءك ؟

(١) سورة الواقعة آية رقم ٧٧ — ٨٠ .

(٢) سورة الشعراء آية رقم ١٩٤ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٣ .

ولكنه لم يمهل ، بل حمله إلى هناك حيث سفير الرسول ﷺ فاستمع إليه كما استمع أسيد ، ولقن الشهادة ، واطمأن قلبه بالاسلام .

ثم عادا إلى قومها شخصين آخرين ، وكأنهما عندما تحرك لسانها بهذه الكلمة الجديدة (كلمة التوحيد) تلاشت مرة واحدة كل وساوس الشرك ، وكل تطلعات الجاهلية ، وانسلخا من عرفها وطبائعها بالكامل ، الأمر الذي جعل أسيد بن حضير يقف في نادي قومه قائلاً :

يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟..

قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيية ..

قال : فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله (١) .

قالوا : فوالله ما أمسى دار من بني عبد الأشهل إلا وفيه رجل مسلم أو امرأة مسلمة .

ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ويجح مصعب في سفارته ، وأجاب الأنصار داعي الله — وأخذت النفوس المؤمنة من الأنصار تتطلع إلى رؤية رسول الله ﷺ وتهفو إلى مكة تلك البقعة المباركة ، التي اختارها الله لتكون منارة نور وهداية ، ومبعث وحيه ودينه .

.. وفي موسم الحج .. خرجت قافلة الايمان ، تسرع السير إلى مكة قافلة عجيبة الشأن ، ضخمة العدد ، يتجاوز عددها السبعين رجلاً . وأبت النساء المؤمنات من زوجات الأنصار واخواتهن إلا أن تشاركن في هذه الرحلة ، بإرسال سفيرتين ليحدثن حديثاً طويلاً عن رسول الله ﷺ .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٣ راجع الروض الأنف ج ٤ ص ٧٨ .

ووقع الاختيار على نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء بنت عمرو بن عدي<sup>(١)</sup> وانبعث صوت القافلة مدوياً يبدد وحشة الطريق ، ويقطع صمت الصحراء بالنداء القوي :

«الله أكبر، الله أكبر» .

وكان أسيد بن حضير أحد حداة القافلة ، قافلة الايمان التي سيكون لها شأن أي شأن في ذاكرة التاريخ .

وفي مكة ، وفي مكان أمين بعيد عن عيون المشركين المتلصصة ونحت جنح الليل الساتر ، والذي أضاء بنور الايمان طريق تلك القافلة . التقوا بالرسول ﷺ ومن اللحظات الأولى لهذا اللقاء أظهر الانصار بطولة فائقة ، واثبتوا ان ايمان قلوبهم أقوى من الجبال الراسيات ، فبايعوه على حرب الأحمر والأسود ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم وذرايعهم .

وتكلم الرسول ﷺ فقال :

«أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم»<sup>(٢)</sup> .

وتم اختيار النقباء ، وكان أسيد بن حضير أحد هؤلاء الرجال الذين وقع عليهم الاختيار .

ثم ماذا؟ . عادت القافلة بعد ذلك إلى يثرب ، يملأ قلوب أصحابها نور الايمان وتباركها عناية الرحمن .

وفي يثرب عاش أسيد شخصاً جديداً يتفقه في دينه ، ويؤدّي فرائض ربه ، ويتفقد أحوال العشيرة . فإذا جنّ المساء تحولت داره إلى منتدى لدراسة الدين ،

(١) الروض الانف ج ٤ ص ٨١ .

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٦ .

ومعرفة أصوله ، وكان اليهود في المدينة يشتركون في هذه المناقشات ويحاولون بأساليبهم اللثوية أن يشككوا في الرسالة والرسول .

فكان أسيد يعلمهم بالحجة مرة ، ويوقفونه موقف الحيرة والشك بأسئلتهم المتلاحقة مرات .

حتى جاء البشير بقرب وصول الرسول ﷺ الى يثرب بعد أن خرج من مكة مهاجراً إليها ، فكان أسيد يخرج كل يوم على رأس قبيلته يتربص وصول رسول الله إليها .

وما أن تراءى لعيونهم من قرب ، ودلفت ناقته القصواء إلى داخل المدينة حتى أخذ أسيد بزمامها قائلاً :

(هلم يا رسول الله الينا إلى العدد والعدة والمنعة) .

فقال الرسول ﷺ خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة .

وتتابعت طلبات الأنصار كل يرجو أن ينزل عنده ، ولكن الرسول ﷺ كان يردهم رداً كريماً مردداً كلمته : خلوا سبيلها فانها مأمورة<sup>(١)</sup> .

وأقام الرسول ﷺ بناء مسجده واشترك أسيد مع بقية الأنصار في عملية البناء .

وآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وكان أخو أسيد ، حب الرسول ومولاه ، زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup> .

وفي العام الثاني من هجرة الرسول ﷺ جيشت قريش الجيوش ، وأعدت العدة والرجال ، للقضاء على تلك الفئة المؤمنة التي هاجرت إلى ربها واستقرت في يثرب .

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٨ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٣٢ .

(٢) ذكر ابن هشام أن زيد بن حارثة كانت مواخاة بينه وبين حمزة ولكن ابن سعد ذكر ذلك في طبقاته .

وكانت موقعة بدر الكبرى ، التي نصر فيها المسلمون نصراً مؤزراً ، ولكن أسيد ابن حضير تخلف عن هذه الموقعة الفاصلة ، وأكل الندم قلبه لما حدث ، وأصيب بهمّ وغمّ شديدين لتخلفه عن أول موقعة خاضها المسلمون لرفع كلمة الله .

وعاد الرسول ﷺ من بدر وفي طريق عودته التقى به أسيد فقال : الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك .

ثم تابع حديثه قائلاً :

« والله يا رسول الله ، ما كان تخلفني عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً .. ولكن ظننت أنها العير ، ولو كان علمي أنه عدو الله ما تخلفت » .

فقال رسول الله ﷺ :

« صدقت » (١) .

ولم يتخلف بعدها عن موقعة من مواقع الرسول ﷺ .

وفي غزوة أحد ، جرح أسيد ، سبع جراحات ، وثبت مع رسول الله حين انكشف الناس عنه .

وانتهت معركة أحد بالنتيجة المعروفة ، وتذكر الرجال في مجلس الرسول ﷺ بلاءهم ومواقفهم في تلك الغزوة .

ولم يتكلم أسيد ولم يعلن عن نفسه .

فقال الرسول ﷺ :

« نعم الرجل أسيد بن حضير » (٢) .

إنها شهادة من قائد المعركة ، بأن أسيداً قام بواجبه كاملاً وأدى ما عليه في هذه

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٠٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٠٥ .

سيرة ابن هشام والروض الأنف ج ٦ ص ٢٤ .



المعركة تجاه ربه ، وتجاه دينه ، وتجاه رسوله ، وإذا قال القائد .. فلا مقال بعده لقائل .

ويمر الرسول ﷺ بعد موقعة أحد بدار من دور الأنصار ، فسمع البكاء والنواح على قتلاهم ، فجدد هذا البكاء شجونه ، وتذكر عمه حمزة بن أبي طالب ، وما فعله الأعداء به فدرفت عينا رسول الله ﷺ فبكى . ثم قال : « لكن حمزة لا بواكي له » .

وتصل هذه الكلمة إلى مسامع سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير فرجعا إلى دورهما وأمرنا نساء الأنصار أن يتخمرن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن قال :

«رحم الله الأنصار ، فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة مروهن فليصرفن»<sup>(١)</sup>

رحم الله الأنصار ، ورحم الله أسيد بن حضير ، الذي كان يحب الله ورسوله ويحب دينه ، ومن أجل ذلك كان يتحرى أوامر الرسول ﷺ فينفذها ، وما نهى عنه فيتبعه عنه .

وكان كبير العقل ، ثابت الجنان ، عرفته الحوادث والظروف رجلاً محنكاً حكيماً لا يعرف الطفرة ولا الرأي الفطير .

والحادثة التي نضعها أمام القراء تلقي أضواء كثيرة على هذه الشخصية الفذة المؤمنة ، شخصية أسيد بن حضير .

.. انتهى رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ، وتزاحم الرجال على بئر الماء ، وتناوش رجل من المهاجرين مع آخر من الأنصار ، وصرخ كل منهما يستنجد بأهله وعشيرته .

(١) الروض الالف ج ٦ ص ٢٤ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٤٧ .

ووجدها عبد الله بن أبي زعيم المنافقين فرصة ، ينفس فيها عن حقه وغيظه ،  
وخبثته نفسه .

فقال : أوقد فعلوها؟ . يقصد المهاجرين .

ثم تابع حديثه قائلاً : لقد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله لقد أصبح حالنا مع  
جلايب قريش هذه إلا كما قال الأول :  
«سمن كلبك يأكلك» .

«أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل» .

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم :

«هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله  
لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم» .

وسمع الرسول ﷺ بما قاله هذا المنافق ، وخشي أن يقتله رجل من المسلمين ،  
غضباً لله ورسوله ، وخصوصاً بعد أن قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :  
«يا رسول الله مر به عبّاد بن بشر فليقتله» .

فقال له الرسول ﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس «أن محمداً يقتل  
أصحابه»؟ . لا : ولكن آذن بالرحيل<sup>(١)</sup> .

وكان ذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها .

فلما تحرك الجيش ، جاء أسيد بن حضير إلى الرسول ﷺ وقال : يا نبي الله ،  
والله لقد رحلت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ..

فقال له رسول الله ﷺ :

«أوما بلغك ما قال صاحبكم؟ ..»

قال : وأي صاحب يا رسول الله؟

(١) راجع أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٥٩ .

قال : عبد الله بن أبي .

قال : وما قال يا رسول الله؟

قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الاعرُ منها الأذل<sup>(١)</sup> .

قال : فأنت يا رسول الله ، والله تخرجه منها إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز .

ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الحرز ليتوجوه ، فانه ليرى انك قد استلبته ملكاً .

بهذه الكلمات الواضحة القوية الصادقة ، عالج أسيد قضية عبد الله بن أبي وكأنه من أكبر النفسانيين الذين يتعمقون إلى أغوار النفس البعيدة ويعرف أحاسيسها وشعورها وملابساتها وأطوارها .

إن هذا المناق أساء إلى المسلمين جميعاً وأساء إلى الرسول ﷺ ، وأساء إلى نفسه بإظهار نفاقه ، وغيظه ، ولقد كان يهدف من وراء ذلك — وفي كل موقف كان يقفه — إلى تفتيت الصف المسلم وطرد المسلمين من المدينة إن أمكن ذلك ، وكان يعتقد أن بداية ذلك أن ينال المسلمون بعضهم من بعض ، وأن تثار بينهم معركة تسيل فيها الدماء ، ليكون هذا مدعاة لخروجهم من المدينة ، حتى يعود إليه الملك والتاج الذي كان يعد له .

وكان الرسول ﷺ يفوت عليه غرضه ، ويبطل كيده .

ثم إن أسيداً استطاع أن يخفف من غضب الرسول ﷺ بتصوير حال الرجل ، وبأنه موتور ، لضباع فرصة غالية ، كان ينتظرها ويمني نفسه بها .

والرسول عليه السلام يعلم ذلك ، ولكن كلمات أسيد التي جاءت في حينها كانت شهادة على صدقه ، والتماسه من الرسول ﷺ عنراً لهذا الرجل .

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩ .

والرسول — من قبل هذا ومن بعد — وهو صاحب السماحة ، الذي يتجاوز عن هفوات الآخرين واطغائهم .

ولا يقف كيد النفاق والمناققين عند حد ، بل يستمرون في غيهم ويتقولون الأقاويل ، ويشيعون الأكاذيب ، ويشككون في الرسول والرسالة ، وتطورت أساليبهم ، حتى أشاعوا كلمة « الإفك » عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها . فعلوا ذلك لتلويث الصف الاسلامي باطلاق الشائعات بالباطل ، ظناً منهم أن تلك الأقاويل والمفتريات يمكن أن تضع ذلك من المكانة الخلقية للحركة الاسلامية .

ووقف الرسول ﷺ وقال :

« أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ؟ . ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ، والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي الا وهو معي »<sup>(١)</sup> .

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، وقف أسيد بن حضير منافحاً ومدافعاً عن الرسول وأهل بيته ، ثم قال :

« يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من اخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم »<sup>(٢)</sup> .

لقد كان أسيد في الموقف السابق سمحاً ليناً يلتمس الأعذار للناس ، ويقدر ظروفهم ، أما هذا الموقف ، فهو شاق على النفس البشرية ، مؤلم لها ، لا يحتمل أعذاراً ، ولا تجدي فيه كلمات .

.. إنه الطعن في الشرف بلا دليل ، ورمي أظهر نساء الأرض بغير بينة وتلويث بيت النبوة . لهذا كانت كلماته حاسمة وقاطعة :

(١) راجع أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٣٣ وتفسير الطبري ج ١١ ص ٧١ .

(٢) راجع تفسير البغوي والخازن ج ٥ ص ٤٦ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٤ — ٢٦ .

«إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم».

إنه موقف الرجولة من رجل كريم، وموقف الجندي الذي ينتظر أمر القائد فينفذه بلا بطء، أو هواده.

وفي يوم لم يعرف المسلمون مثله قسوة وبلاء وزعزعة، واضطراب وقف الناعي ليعني لهم رسول الله ﷺ.

وعاش المهاجرون في هول الصدمة الأولى، وتصدعت نفوس المسلمين من الداخل عندما أحسوا أنه لا لقاء بعد اليوم برسولهم الذي أنقذهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان.

وفي وسط هذه الأحزان التي عصفت بصبر الحليم، اجتمع رجال الأنصار في سقيفة بني ساعدة، لاختيار خليفة رسول الله ﷺ وقدما سعداً بن عبادة ليتولى أمور المسلمين، ووقف خطيب الأنصار وقال:

نحن الأنصار وكتيبة الاسلام.

وعلم المهاجرون بهذا الاجتماع، فتدافعوا اليهم، وأوشكت أن تكون فتنة لا تبي ولا تذر.

أين الرجل حكيم الأنصار في هذا الهول؟

أين أسيد بن حضير؟ ليهديء من ثورة النفوس الثائرة، ويخفف من وقدة القلوب الفائرة، ويرد المسلمين إلى عقلهم وصوابهم؟

أين هو؟ أيفتقد في مثل هذا الوقت؟

لا إن هذا لن يكون، فهو يدلّف من باب السقيفة ويدافع الناس بيده داخلها حتى يصل إلى مكان مرتفع، ليسمع الحاضرين صوته.

وقبل أن تم الفتنة، ويلفهم ليل من الاختلاف طويل، كانت كلمات أسيد تشق هذا الجمع الحاشد لتستقر في قلوبهم، وتعيد السكينة والأمن والهدوء إلى نفوسهم.

قال أسيد: مخاطباً الأنصار من قومه: تعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، فخليفته إذن ينبغي أن يكون من المهاجرين.

ولقد كنا أنصار رسول الله ﷺ وعلينا اليوم أن نكون أنصار خليفته.

واستراح المسلمون لكلمات أسيد، ووقى الله جموعهم شر الفتنة وتمت مبايعة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

صدق رسول الله ﷺ في قوله:

«نعم الرجل أسيد بن حضير».

وبعد عام السقيفة عاش أسيد عابداً متبتلاً يترقب تحقيق ما وعده رسول الله ﷺ هو وأصحابه بقوله:

«اصبروا حتى تلقوني على الحوض».

لقد كان أسيد بن حضير من الرجال القلائل الذي يجود بهم الزمن — ثم عاش في مدرسة الاسلام الأولى — فكان من الصفوة المختارة التي يحبها الله ورسوله، لقد كان شجاعاً في الحق، كريماً لا يبخل، عطوفاً لا يقبل الظلم واستمر على ذلك حتى وافاه أجله عام عشرين للهجرة.

مات أسيد بن حضير، وشارك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حمله إلى مقره الأخير.

مات الرجل الكريم وعليه أربعة آلاف درهم ديناً للفرماء، وأراد الدائون أن يبيعوا أرضه وعقاره وفاء للدين، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فبعث إلى غرمائه فقال:

هل لكم أن تقبضوا كل عام ألفاً فتستوفوه في أربع سنين؟

وكان ماله يغل كل عام ألفاً.

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>.

يا حكام المسلمين في القرن العشرين. من منكم يكون خليفة أسيد بن حضير  
يعمل لدينه وربه، ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، ويموت فتقوم تركته سداداً  
لدينه؟

من يا أتباع محمد؟ أم ترى عقت هذه الأمة، فلم تعد تنجب أمثال هؤلاء  
الرجال؟! ١١٢

---

(١). الإصابة في معرفة الصحابة والاستيعاب ج ١ ص ٩٢.

## أسباب نزول الآيات

كان بين الحيين الأوس والخزرج قتال في الجاهلية ، وكانت آخر المعارك بينهم قبل الاسلام معركة «بعث» التي قتل فيها (حضير الكتائب) والد أسيد بن حضير وأخذ أسيد يعد العدة لمعركة كبيرة بينه وبين أعدائه ليأخذ بثأر أبيه .. ولكن الله سبحانه وتعالى أراد بهم خيراً فهداهم الى الاسلام وألف بين قلوبهم .

.. ولكن يهود المدينة ألمهم ذلك كيف يتم الاتفاق بين هذين المتحاربين ان معنى ذلك بوار تجارتهم ، وتوقف كيدهم ، وانكشاف أمرهم ..

إذن لا يبد من عودة الشقاق والخلاف بين الأوس والخزرج حتى يزاولوا نشاطهم وتزوج أموالهم ، واذا لم يكن هناك تنافر أو جدوه ، واذا كان هناك سلم اصطنعوا أسباب الحرب ..

وفي يوم من الايام مر «شاس بن قيس» اليهودي — وكان شيخاً قد كبر سنه وكان شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم في الاسلام ، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة .



فقال : قد اجتمع ملائني قبيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار<sup>(١)</sup>

فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بيوم «بعث» وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، وكان «بعث» يوماً — كما قلنا سابقاً — اقتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا ، وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين أوس بن فيظي أحد بني حارثة من الأوس ، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقالوا ، وقال أحدهما لصاحبه :

إن شئت والله رددتها الآن جذعة ، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا قد فعلنا ، السلاح ، السلاح ، موعدكم الظاهرة — وهي حرة — فخرجوا إليها وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال :

«يا معشر المسلمين أبدوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية ، فألف بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً...؟ الله ، الله»<sup>(٢)</sup>

فغرف القوم أنها نزع من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، وألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ متساحين مطيعين فأنزل الله عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾<sup>(٣)</sup>

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ١١١ والدر المنثور ج ٢ ص ٥٧ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٥٧

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٠٠

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أوما الينا رسول الله ﷺ فكفنا ، وأصلح الله تعالى ما بيننا فما كان شخص أحب الينا من رسول الله ﷺ فما رأيت قط يوماً أقبح ولا أوحش أولاً ، وأطيب آخراً من ذلك اليوم .

.. وفي رواية عن عكرمة رضي الله عنه : اجتمع الأوس والخزرج وأخذوا السلاح ، واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية ، فجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفيين فقرأها ورفع صوته ، فلما سمعوا صوته انصتوا له وجعلوا يستمعون اليه ، فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجثوا يبكون .»

رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار .

## تذييل ...

إنهم اليهود قديماً وحديثاً، حرقوا التوراة وادعوا على الله، وقتلوا الأنبياء ورموهم بكل نقيصة، وتقولوا عليهم الأقاويل.

وارتكبوا أول جريمة من جرائم السرقة في التاريخ عندما خدعوا نساء المصريين واستولوا على ذهبهم، ومجوهراتهم، وصنعوا منه فيما بعد معبودهم.

واتقنوا أعمال اللصوصية، وتقنوا في أساليب السرقة والنهب، نهب الأفراد ونهب الشعوب، وكانوا دائماً وراء الأسباب التي أدت إلى اشعال الحروب وتدمير الحضارات، وتخريب المدن.

ليس هذا فحسب، بل نجد دائماً اليهود وأبناء اليهود، وراء حركات الإلحاد والزندقة، والتشكيك في الرسالات والرسول.

والهدف الذي ييغونه من وراء ذلك تحطيم القيم والأخلاق، واشاعة الرجس، وإفساد الشباب. والحصول على الذهب، والتحكم في أسواق العالم واقتصادياته.

تاجروا بالرقيق الابيض، وهربوا المخدرات والافيون إلى كثير من البيوت والاسر، وعملوا على صناعة الافلام الساقطة، والروايات الداعرة بغية تحطيم القيم والفضائل عند الافراد.

انشأوا بيوت الأزياء «المؤدة» من أجل تخريب البيوت، وتدمير الاسر وتقويض الحياة الزوجية.

وعملوا على سفور المرأة، وعرضوها سلعة رخيصة في سوق النخاسة :

تقول «بروتوكولات»<sup>(١)</sup> اليهود: يجب أن نعمل لتناه الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا إن «فرويد» منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه».

وتقول أيضاً: لقد رتبنا نجاح «دارون» و«ماركس» و«نيتشه» وذلك بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي، واضح لنا بكل تأكيد.

ولقد تعقب القرآن الكريم، الخلق اليهودي والجملة اليهودية وما انطوت عليه من جبن وقسوة، وطغيان، وكفر، وكذب واقتراف، ومكر وحقد، وجشع وذلة، وانحطاط.

أما عن الجبن، فهو طبيعة متأصلة في نفوسهم، ومظهر عام فيهم، وإن تظاهروا بعكس ذلك. قال تعالى:

﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن دلائل الجبن المختلط بذواتهم حبهم الحياة وكراهيتهم الموت، وفرارهم من كل ما يتصورونه أنه يقربهم منه قال تعالى:

﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ﴾<sup>(٣)</sup>.

إنهم جبناء بالفطرة يهابون الموت، وحينما يحاربون يفضلون معارك الليل في

(١) بروتوكولات صهيون: تحقيق التونسي.

(٢) سورة الحشر آية ١٤.

(٣) سورة البقرة آية ٩٦.

الظلام وعندما طلب منهم موسى عليه السلام الذهاب معه إلى فلسطين كان قولهم كما يحكيه القرآن عنهم :

﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾<sup>(١)</sup>

وأما عن القسوة : فقد صورها القرآن أكمل تصوير في قوله تعالى :

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ .

إنها قسوة في القلوب ، وقسوة في المعاملة ، وقسوة في الأخذ وفي العطاء قسوة لازمتهم على مدار التاريخ واكتوت البشرية بناها ، وأريقت الدماء من ضحاياها دون أن تبض قلوبهم برحمة أو شفقة .

جاء في الكتاب الذي وضعه المؤرخ كاسيوس ما نصه :

« حينئذ عمد اليهود إلى « كيزين » شواطئ طرابلس الغرب حالياً بقيادة « اندريا » إلى ذبح الرومان واليونان وأكلوا من لحمهم وشربوا دماءهم .

وسلخوا جلودهم ولبسوها ، وقطعوا أجسام كثيرين منهم نصفين من الرأس فنازلاً ، وألقوا بالكثيرين إلى الحيوانات المفترسة ، وكذلك فعلوا في مصر وقبرص .

وتقول جريدة الديلي ميل البريطانية تصف بعض المشاهد من الحرب الأهلية

الاسبانية :

« في مقاطعة قرطبة وجد ٩١ مذبحاً ، وآخرون وجدوا محروقين وهم أحياء من بينهم راهبان من كنيسة العذراء سحلت عيونها بالمخارز ، وفي سافيل هجم الشيوعيون بقيادة امرأة يهودية ، وقتلوا السجناء ثم صبوا البترين على أجسامهم وأشعلوا فيها النيران .

(٢) سورة المائدة آية ٢٤ .

وعلى أرض العرب في فلسطين وفي قرية دير ياسين العربية جمع اليهود سكان القرية صفاً واحداً، رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، ثم صبوا عليهم المدافع الرشاشة وأخذوا في حصدهم وتعذيبهم أثناء عملية القتل والذبح، فبقروا بطون الحبالى وأخرجوا الأطفال وذبحوهم، وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا أجسامهم حتى يصعب التعرف عليهم.

إنها طبيعة اليهود الوحشية، وهمجيتهم التي لا تجارى، مارسوها منذ أن كان لهم تاريخ ولا يزالوا يزاولونها.. إلى يومنا هذا.

وكما سجل القرآن جبنهم وقسوتهم سجل عليهم أيضاً قتلهم أنبياءهم وتقوهم عليهم، ورميهم بالفجور والزنا. قال تعالى:

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ (١).

وقال أيضاً:

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ (٢).

وإذا كان هذا حالهم مع أنبيائهم، فكيف حالهم مع البشر؟..

إنهم يستعملون معهم الكذب والافتراء لزعزعة العقيدة، وتهوينها في قلوبهم ويستعملون المكر والكيد من أجل تحقيق غايتهم وتحطيم غيرهم ممن ليسوا على دينهم، ولقد شهد القرن العشرون عملية بارزة تدل على مدى المكر المتأصل في طبائعهم، لقد تظاهروا باعترافهم بالاسلام ليسهموا في القضاء على الخلافة الاسلامية، ولقد تحقق لهم ما أرادوا، ولم يتصل اليهود من فعلتهم التي ارتكبوها في

(١) سورة البقرة آية رقم ٨٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٩١.

حق الاسلام والمسلمين . بل كان أحدهم «قراصو» ثالث ثلاثة أبلغوا السلطان عبد الحميد قرار الخلع .

وقد وجه السلطان العثماني كلامه إلى الصدر الاعظم وكان أحد الذين أبلغوه القرار قائلاً : أفهم أن يخلعني المسلمون وتبلغني أنت قرار الخلع بحكم مركز الديني ولكن ماذا يفعل معكم هذا اليهودي؟ وأشار إلى «قراصو» .

لقد حضر «قراصو» مندوباً عن اليهود حتى يفهم السلطان أنهم وراء هذا الخلع وانه تم بتديبرهم ، وأنهم خططوا له من يوم أن رفض أن يبيع قطعة غالية من أرض العرب وطرد منويهم (هرتزل) .

ولن نستطيع في تلك العجالة أن نحيط بكل أساليب اليهود ، ولا أن نحصي أفعالهم ، والقضية الهامة التي يجب أن يتنبه لها المسلمون الآن أن الأمر لم يعد أمر خلافة تسقط .

ولا قطعة غالية من أرض المسلمين استولوا عليها .

إن الأمر أعمق من ذلك .

إن اليهودية العالمية لن يهدأ لها بال ولن يستقر لها قرار حتى يتحقق لها ما تعمل له من قديم وهو تحويل أبناء المسلمين عن دينهم إلى الالحاد والتبعية وأن تجعل منهم أنفسهم أداة هدم لدينهم وأخلاقهم ومثلهم ..

انها تستعمل كل الوسائل في ذلك حتى يتحقق لها الأمل الكبير أمل الاستيلاء على أرض الميعاد التي يحددها تلمودهم بما بين النيل إلى الفرات .

إن الأمل معقود في الله سبحانه وتعالى الذي يقول في محكم كتابه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾ (١) .

يا حكام المسلمين وقادتهم .. إن الطريق أمامكم ممهّد ، والمستقبل لكم لو أعددتم للأمر عدته .. فهل أتم فاعلون ؟ ..

(١) : سورة النور آية رقم ٥٥ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ  
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ  
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ  
وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ  
أَسْطَظَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَبِمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ  
فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة آية ٢١٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في سرية عبد الله بن جحش الأسدي.

قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ١ ص ٢٥١.

وقال ذلك ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٥٢.

وقاله ابن هشام

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٠.

وذكره ابن الأثير في كتابه الكامل ج ٢ ص ١١٤.

وذكره الامام الواحدي صاحب كتاب نزول القرآن ص ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣.

من هو عبد الله بن جحش؟

## عبد الله بن جحش

رضي الله عنه

يعرف بالمجدع .

لأنه مثل به وجدع أنفه وأذناه في غزوة أحد ، تلك الغزوة التي تحول فيها جنود قريش ونساؤها إلى ذئاب مفترسة ، تبقر البطون ، وتهش الأذان والأنوف وله سابقة كان يعتر بها دائماً .

فهو صاحب أول لواء عقده رسول الله ﷺ . وأول من سن الخمس من الغنيمة ﷺ قبل أن يفرض الخمس .

أما عن والده فهو جحش بن رثاب بن خزيمة الأسدي .  
وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

وأخته أم المؤمنين زينب بنت جحش زوج الرسول ﷺ .

كانت ولادته في مكة ، قريباً من بيتها الحرام ، ولما شب عن الطوق ، عرف الطريق إلى الكعبة ، وكان يقف أمامها طويلاً ، يشاهد الوفود الجرارة ، التي تفد إلى تلك البقعة المباركة من كل أنحاء العالم .

وكم رأى بعينه دموعاً تتساقط ، وابتهالات وأدعية أمام الكعبة من الرجال والنساء ، الذين يفدون حجاجاً إلى بيت الله الحرام .

وكم سمع تمتات ، وهمهات ، تعيها أذناه ولا يفهم لها معنى .  
عندها يطلق قدميه تسبقان الريح ويرتمي بين أحضان أمه يسألها مستفسراً  
ملحاً .

وتجيبه حانية عاطفة ، حتى تأخذه سنة من النوم فتربت على كتفه ، وتلفه  
بغطائه ، وتدعو رب البيت أن يحرسه ويرعاه .

وعاد لها في يوم من الأيام حزيناً باكياً ، لقد شاهد الرجال يعملون معاولهم في  
أركان وجدران الكعبة ، وتوجه إليها بالسؤال قائلاً : لماذا يفعلون ذلك يا أماه ؟

وهدأت الأم من روعه ، إنهم يفعلون ذلك لإعادة بنائها حتى تكون جديدة  
وحتى لا تمتد أيدي اللصوص عن طريق جدرانها الذي هدمه السيل ، فيسرقون ما  
فيها من حلي وجواهر . وشاهد عبد الله تشاحن القبائل ، وتنافر البطون في مكة ،  
واشهارهم السلاح ، ودعوتهم للحرب والقتال من أجل التنافس على وضع الحجر  
الأسود .

وأخيراً قرروا أن يحكموا أول داخل عليهم ليختار القبيلة التي يكون لها شرف  
تثبيت الحجر الأسود في مكانه .

ولقد كان محمد الأمين الذي قرر أن تشارك كل القبائل في وضعه وفرض رداءه  
ووضعه عليه ، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف وحسنت مشكلة الحجر الأسود .  
وأخذ الرجال يعودون إلى عملهم في البناء .

ومن يومها أحب عبد الله محمداً الأمين كل الحب ، وأعجب به كل الاعجاب  
فاتخذته قدوة ومثالاً ، يتابعه في كل ما يأتي من أمر أو يلقي من حديث .

وفي كل يوم يخرج عبد الله إلى محمد يجلس إليه إن جلس ويتبع خطواته إذا  
سار . وفي يوم من الأيام افتقد محمداً فلم يعد يراه . وبحث عنه فلم يجده .

وطرق بابه فأخبر من أهله أنه في غار حراء .

وعاد إلى بيته تلعو وجهه مسحة من الحزن والكآبة ، إنه في شوق إلى هذا الرجل  
فتى يعود؟

وفي يوم من الأيام ومع ضياء الفجر الوليد ، ومع السمات الندية التي تملأ الكون  
قبل مشرق الشمس ، فتوقظ الحياة والأحياء .

كان صلى الله عليه وسلم ، ساجداً في مصلاه يعبد ربه ويتبتل إليه عندما سمع صوتاً كصلصلة  
الجرس ، ونزل عليه جبريل عليه السلام بكلمات ربه وأمره ﴿ وأنذر عشيرتك  
الأقربين ﴾ (١) .

وارتفعت الشمس قدر رمح أو رمحين وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرع الخطى ناحية  
الصفاء مسرعاً حتى استوى عليه وأخذ ينادي :

يا صباحاه ، يا صباحاه (٢) .

وكان عبد الله لا زال في فراشه مفتح العينين يفكر في الذهاب إليه في غار حراء  
كما أخبرته خديجة ، عندما سمع صوته يملأ الكون .

يا صباحاه ، يا صباحاه ، إن صوت محمد ينادي من فوق الصفا ، والقى غطاءه  
من عليه وخرج مسرعاً إلى هناك .

واجتمعت إليه قريش تريد أن تعرف ماذا يريد هذا الأمين بدعوته المبكرة إليهم .

لقد عرفوه ميمون الطالع فلا يأتي إلا بخير .

وصادق الكلمة فلا ينطق بغير الحق .

وترى في بني سعد ، فلك ناصية البيان فإذا استمعوا إليه ، استمعوا إلى كلام

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٤ .

(٢) راجع تفسير القرطبي عند قوله تعالى : تبت يدا أبي لهب وتب سورة المسد آية رقم ١ .

بين ، فصل . ولما رأى رسول الله ﷺ اجتماعهم قال : يا آل غالب ، يا آل لؤي ، يا آل مرة ، يا آل كلاب ، يا آل قصي ، يا آل عبد مناف .

لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك كذباً .

قال : فإني رسول الله اليكم خاصة ، والناس عامة <sup>(١)</sup> . وتلا قول الله تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذنين ، وأنذر عشيرتك الأقرين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وانفضوا من حوله . بين مصدق ومكذب . وسرت همهمات لا تفسح ولا تبين .

وعاد الرسول ﷺ إلى بيته ، وعاد عبد الله بن جحش بتلك الكلمات التي سمعها ، فأضاعت قلبه وأثلجت صدره ، ووجهته إلى دار محمد حيث وضع يده في يده ، ونطق بكلمة الشهادة .

أسلم عبد الله وحسن اسلامه ، ودعا أخويه وأختيه الى الاسلام فاستجابوا له . واتخذ من بيته مصلى ومسجداً . ولكن قريشاً ركبت رأسها ، وأخذت تشن حرباً لا هوادة فيها على المستضعفين الذين تابعوا محمداً على دينه ، وكان عبد الله من هؤلاء الرجال الذين أصابهم شر كبير .

وذهب بعض المستضعفين إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يدعو ربه ليخفف عنهم ما هم فيه . فجلس محمراً وجهه ثم قال :

« والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق اثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء . وليتمن الله هذا

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الشعراء آية رقم ٢١٣ - ٢١٥ .

الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت ، لا يحشى إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون»<sup>(١)</sup> .

وأخذ العذاب يشتد ، والهول يصب عليهم صباً ، ويدخل أبو جهل على سمية أم عمار فيرقمها ويركلها ، ثم يطعن بالحرية في قبلها فماتت<sup>(٢)</sup> .

وسرى الخبر بين المستضعفين ، فأرقتهم وأقلق بهم أن الرسول ﷺ لم يأذن لهم بحرب فماذا يفعلون ؟ .

وهؤلاء يشنون عليهم حرب إبادة .

واجتمعوا عند الرسول ﷺ ووضعوا بين يديه ما يراد بهم ، وما ينتظرهم من بلاء على يد هؤلاء القساة غلاظ الأكباد .

عندها قال الرسول ﷺ : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه<sup>(٣)</sup> إنها الهجرة إذن ، والأمر من الرسول ﷺ بذلك .

عندها خرج عبد الله بأخوته وأخويه وأهل بيته جميعاً إلى تلك الأرض التي حددتها لهم رسولهم إلى أرض لا يظلم فيها أحد ، وإلى ملك كان يعرف ربه ، ويتابع محمداً على دينه ويتبع أنباءه مع قريش ، ومعاركه في سبيل نصره هذا الدين .

يقول عمرو بن العاص ، رضي الله عنه : كنت أجلس عند النجاشي ، فدخل عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ بعثه بكتاب إليه ، فلما خرج قلت للنجاشي : هذا الرجل عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطينه فأقتله .

(١) حلية الأولياء .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ ص ١٨٦٥ .

(٣) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٠٣ .

فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره فابتدرت أنفي ، فجعلت ألتقي الدم بشيبي ، فأصابني من الذل ما جعلني أتمنى أن تنشق بي الأرض لأتوارى فيها ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك .

قال : فاستحيا وقال :

يا عمرو تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ .

قال عمرو : فغير الله أبي عما كنت عليه .

وقلت في نفسي : عرف هذا الحق العرب والعجم وتحالف أنت ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ .

قال : نعم أشهد به عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله إنه لعلى الحق ، وليظهرون على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعني له على الاسلام ؟ .

قال : نعم ، فبسط يده فبايعني على الاسلام (١) .

وعاش عبد الله وأسرته في الحيشة في جوار هذا الملك الكريم ، حتى جاءتهم الأخبار أن قريشاً رجعت عن ضلالها ، وتابعت محمداً فيما يدعو إليه . فعاد إلى قريش .

وفي مكة عرف أن ذلك لم يكن سوى خدعة من قريش أشاعتها حتى يعود إليها هؤلاء الفارون بدينهم لتباشر معهم صنوف التعذيب والتنكيل .

وأقام عبد الله وأسرته بمكة ، حتى أذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى المدينة .

فهاجر وهاجرت معه أسرته كلها ، وأصبحت ديارهم في مكة يباباً لا يسكنها

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢٣٧ .



أحد فلما رأى أبو سفيان ذلك عدا على دورهم فباعها ، فلما بلغ بني جحش ما فعله أبو سفيان . ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ .

فقال له رسول الله ﷺ : « ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك بها داراً خيراً منها في الجنة ؟ » .

قال : بلى .

قال الرسول عليه السلام : فذلك لك <sup>(١)</sup> . فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، كلمه أبو أحمد <sup>(٢)</sup> أخو عبد الله بن جحش في دارهم . فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال الناس لأبي أحمد ، يا أبا أحمد ، إن رسول الله ﷺ يكره أن ترجعوا في شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله ﷺ ، وقال لأبي سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عواقبه ندامه  
داز ابن عمك بعثها تقضي بها عنك الغرامه  
وحليفكم بالله ر ب الناس مجتهد القيامه  
اذهب بها اذهب بها طوقها طوق الحمامه

وعبد الله بن جحش صاحب السرية التي أرسلها رسول الله ﷺ إلى مكة . والتي قتل فيها عمرو الحضرمي من قريش . وأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان والتي أثارت قريش : وقالت محمداً وأصحابه يستحلون الشهر الحرام .

وشهد عبد الله مع الرسول ﷺ غزوة بدر وكل المشاهد بعدها . حتى كانت غزوة أحد ، التي أراد فيها سبحانه وتعالى ابتلاء المسلمين واختبارهم .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) قال السهيلي : أبو أحمد هذا اسمه عبد وقيل ثمامة والأول أصح وكانت عنده القارعة بنت أبي سفيان ولهذا تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بني جحش .

فعاد عبد الله بن أبي المنافق من نصف الطريق بثلاث الجيش . وأكره المسلمون رسول الله ﷺ على الخروج .

وجلس رسول الله ﷺ قبل بداية المعركة في عريش له .  
وجاءته أم سلمة بكنف مشوية فأكلها .

ثم جاءته بنبيذ فشرب ، ثم أخذه رجل من القوم فشرب منه ، ثم أخذه عبد الله ابن جحش فعب فيه . فقال له رجل : بعض شرابك أندري أين تغدو؟ .  
قال : نعم ألقى الله وأنا ريان ، أحب إلي من أن ألقاه وأنا ظمآن .  
اللهم إني أسألك أن أستشهد في سبيلك وأن يمثل بي (١) .

وعن ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال : إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا نأتي فدعو الله؟ ..

فجلسوا في ناحية فدعا سعد وقال : « يا رب إذا لقيت العدو غداً ألقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده ، أقاتله وأخذ سلبه » .

فأمن عبد الله بن جحش ثم قال :

« اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني .

فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك؟ فأقول فيك وفي رسولك .

فتقول : صدقت .

قال سعد : كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي لقد رأيت آخر النهار وإن أذنه وأنفه معلقان جميعاً في خيط (٢) .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٩١ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٨٧٩ .

هكذا كان أتباع محمد ﷺ يندفعون إلى المعركة اندفاع من يريد شيتين  
ويتمناها :

أولها : اعلاء كلمة الله ونصرة دينه .

وثانيها : أن يرزقه الله الشهادة .

ولقد كان الله سبحانه وتعالى يحقق لهم ما يريدون فإن دعوا أجيب دعوتهم .

وإن سألوا الله كان قريباً منهم .

﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾<sup>(١)</sup> .

ولقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعوة عبد الله بن جحش لقد أدى ما عليه  
تجاه ربه وتجاه دينه ، وتجاه رسوله . إذن فلا بد من بلوغ الكتاب أجله أما سعد بن  
أبي وقاص ، فلا زالت أمامه الشقة بعيدة والاعباء الجسيمة ومعارك الكفر الضارية  
التي تنتظره .

وتفقد الرسول ﷺ القتلى بعد موقعة أحد ، وأمر أن يدفن عمه حمزة وعبد الله  
ابن جحش في قبر واحد .

وقال لهم أيضاً ، انظروا إلى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمر ابن حرام فانهما  
كانا متصافيين في الدنيا فأجعلوهما في قبر واحد<sup>(٢)</sup> .

ثم قال ﷺ : « أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في سبيل الله ، إلا  
والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه . اللون لون دم والريح ريح مسك ، انظروا أكثر  
هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر<sup>(٣)</sup> . صلى الله عليك يا رسول  
الله . وأسكن أصحابك فسيح جناته فهو العفو الغفور .

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩ .

## أسباب نزول الآيات

قال المفسرون : بعث رسول الله ﷺ ، عبد الله بن جحش في ججادي الآخرة ، قبل قتال بدر بشهرين ، على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين<sup>(١)</sup> .

وكتب لأمرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال : سر على اسم الله ، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين . فإذا نزلت منزلين ، فافتح الكتاب واقراه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ، ولا تستكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك .

فسار عبد الله يومين . ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخله فترصد بها غير قريش لعلك أن تأتينا منه بخير<sup>(٢)</sup> فلما نظر عبد الله في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال لأصحابه ذلك وقال : انه قد نهاني أن استكره أحداً منكم .

وسارت هذه القافلة بأمر رسول الله ﷺ وتحرسها عناية الله . وفي مكان يسمى «بحران» ضل لسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعير لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ١١٣ .

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ١١٤ .

طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة . ففرت غير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وثمان بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان . فلما رأهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم . فأشرف لهم عكاشة بن محض وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا . وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب . فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم . ولئن قتلتموهم لقتلنهم في الشهر الحرام ؟ ..

فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى أحد أصحاب عبد الله بن جحش عمرو الحضرمي فقتله . واستأسر عثمان بن المغيرة ، والحكم بن كيسان .

وأقلت نوفل أخو عثمان . وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسير حتى قدموا على رسول الله ﷺ . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش ان عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ فيما غنمنا الخمس فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس . فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » فوقف العبير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنفهم إخوانهم من المسلمين ، فيما صنعوا .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال . وقالت يهود : تفائل بذلك على رسول الله ﷺ .

عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله .

عمرو : عمرت الحرب .

وواقد : ووقدت الحرب (١) .

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ١١٤ .

فلما أكثر الناس في ذلك ، أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

قال ابن اسحاق :

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه .

قبض رسول الله ﷺ العير والاسيرين وبعث قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ :

« لا نفديكما حتى يقدم صاحباننا ، يعني سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم ، فقدم سعد وعقبة فأفداهما رسول الله ﷺ . »

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً . وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين .

فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً ، فقتله الله تعالى ، وطلب المشركون جيفته بالثمن . فقال رسول الله ﷺ :

خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية (١) .

وقال عبد الله بن جحش :

تعدون قتلاً في الحرام عظيمه وأعظم منه لو ترى الرشد راشد

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٦٤ .

صدودكم عما يقول محمد  
واخراجكم من مسجد الله أهله  
فانا وان غيرتمونا بقتله  
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا  
وكفر به والله راء وشاهد  
لثلا يرى لله في البيت ساجد  
وأرجف بالاسلام باغ وحاسد  
نخلة لما أوقد الحرب واقد<sup>(١)</sup>

---

(١) الروض الأنف ج ٥ ص ٦٧ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٥٢.

## تذييل ...

يجوار بيت الله الحرام ، البيت الذي جعله الله آمناً وسلاماً لعباده ، استجابة لدعوة أبي الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام .  
«رب اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً» .

قتلت أسماء أم عمار بن ياسر ، وقتل زوجها أيضاً قتلاً بيد الغدر والكبرياء الزائفة لا من أجل جريرة ارتكباها ولكن لأنها يقولان ربنا الله .

وفي هذه المنطقة التي اختارها الله ليرفرف عليها السلام المطلق الشامل بين المتخاصمين والمتحاربين والمتصارعين والمتزاحمين على الحياة ، ليعودوا إلى رشدهم ويردوا إلى صوابهم بمجرد دخولهم إلى أرض هذه المنطقة حولتها قريش إلى ساحة قتال مع فئة لا تملك من وسائل الحرب والقتال شيئاً .  
وفتنتهم عن دينهم .

وحالت بينهم وبين الاستماع لهدي نبيهم .

لقد أراد الله لمنطقة بيته الحرام أن تكون واحة للأمان يأمن فيها الطير فلا يصاد أو يقنص ويأمن فيها الحيوان والحشرات فلا تروع ويأمن فيها الانسان فلا قتل ولا قتال .  
فما بال قريش تحول الأمان إلى خوف ... وترد السلام إلى قتال . وتقلب الحرية إلى عبودية بحماسة الناس على معتقداتهم وانتظام حركة أنفاسهم .



وتعتبر الاستجابة لدعوة التوحيد الخالص التي دعا إليها الرسول ﷺ كفراً وزندقة ، ما دام يخرج بدعوته هذه عن الخضوع لللات والعزى ومناة وكل الأصنام التي يذبح جوف الكعبة . لقد جعل الله حرمة هذا البيت منذ أن رفع إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام قواعد البيت وجعله منذ ذلك التاريخ ، مثابة للناس وأمناً .

﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾ (١)

نعمة ومنة يمن الله بها على عباده . ولكن قريشاً ركبت رأسها فقتلت بجوار البيت الحرام وعذبت المستضعفين في منطقة الأمان ، وطاردت المؤمنين داخل الكعبة . وكذبت دعوة النبي ، وسخروا من صلاته ، ومما يدعو إليه وآذوه في نفسه وأهله وذويه .

﴿ وقالوا : إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ (٢) ، من يستطيع غيرهم أن يجور على هذه المنطقة كما جاروا ؟

ومن في مقوره أن يعتدي على حرم الله كما اعتدوا ؟ لقد فكر « أبرهة » في الاعتداء على بيت الله الحرام ، وركب عقله واغتر بقوته ، ولم يستمع لنصيحة ناصح وسار إلى الكعبة بأفياله ، وأشباله وجنوده .

وأحست قريش بما يريد أبرهة .

فلم تفكر في الدفاع عن البيت . ولم تثر فيهم جموع الفيلة المهاجمة النخوة فيرفعوا السلاح في وجهها ، دفاعاً عن هذا البيت . بل تركوا الكعبة وفرروا إلى الشعاب . فرأوا وهم على علم بنتيجة هذه الحرب الخاسرة التي يشنها « أبرهة » على منطقة الأمان التي أقامها الله سبحانه وتعالى في أرضه .

وعندما تعجب أبرهة من طلب عبد المطلب إبله ولم يتحدث في أمر البيت قال كلمته المشهورة : « أما الإبل فهي لي وأما البيت فله رب يحميه » .

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٥ .

(٢) سورة القصص آية رقم ٥٧ .

وحمي رب البيت ، وأحاطه بحفظته وجنوده ، وأنزل عقابه وهوله ، على هؤلاء الذين يتجاوزون حدودهم ويريدون أن يعكروا صفو الأمان في تلك المنطقة ﴿ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ (١) .

ويتعجب الله سبحانه وتعالى من قولتهم تلك ﴿ إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ (٢) . إنهم كذبة فيما يدعون ، يخفون الحقائق ، ويصمون آذانهم عن دعوة الحق . ويجاههم رب العزة بقوله ﴿ أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شيء ﴾ (٣) . وكما أوجد الله سبحانه وتعالى مكان الأمان في مكة . أوجد أيضاً زمان الأمان في الأشهر الحرم ، ولكن العرب أخذت تتلاعب أيضاً بهذه الأشهر حسب الأهواء فتوغل بفتوى بعض الكهان أو بعض زعماء القبائل الأقوياء من عام إلى عام .

فلما جاء الإسلام قرر ان هذا التأجيل والتعطيل والتغيير كفر وباطل ، وضلال لا يعتمد على أساس ﴿ إنما النسبيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (٤) .

فقريش هي التي غدرت بمنطقة الأمان وهي التي تلاعبت بالأشهر الحرم وفتنت المسلمين عن دينهم ، وقتلتهم وسفكت دماءهم وأدمت ظهورهم بالسياط ورضخت أجسادهم بالحجارة ، وانضجت جلودهم على البطحاء وحالت بينهم وبين كلمة الحق .

حتى فروا بدينهم إلى مهجرهم الجديد ، عندما أذن لهم الرسول بذلك . فروا بدينهم واستولت قریش على أموالهم وتجارتهم ومنازلهم وكل ما يملكون .

(١) سورة الفيل آية رقم ٣ - ٤ - ٥ .

(٢) سورة القصص آية رقم ٥٧ .

(٣) الآية السابقة .

(٤) سورة التوبة آية رقم ٣٧ .

وكان لا بد من الانتقام من الفئة الباغية الضالة ، وكانت سرية عبد الله بن جحش وقتل فيها من قتل . وأسر من أسركما بينا ذلك سابقاً .

وقامت قريش ولم تقعد ، وأخذت تؤلب القبائل على هؤلاء الفارين الى الله ، والمهاجرين اليه .. وتقول بين العرب إن محمداً وأصحابه يعتدون في الأشهر الحرم ، ظانين أنهم بذلك ينالون شيئاً من وحدة الصف الاسلامي أو يفت ذلك في عضد المؤمنين .. وينزل القرآن بالفصل في هذه القضية :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يتردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (١) .

هذا هو وجه قريش الذي كشفه الوحي وتلك غايتها وما تريد وما تطلب . إن بغيتهم أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ، ويردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم — إن استطاعوا — ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى ذلك .

ولقد ارتفعت الآداب الاسلامية ، والتوجيهات السماوية بالمؤمنين وبالجماعة الاسلامية ، التي أناط الله بها قوامه البشرية كلها .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٢) .

نقول ارتفعت الجماعة الاسلامية على العواطف الذاتية والملايسات العارضة في الحياة واستجابوا لأمر ربهم بعدم الاعتداء على الذين صدوهم عن منطقة الأمان ،

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٣ .

وأخرجوهم منها وردوهم عن البيت الحرام.. وتركوا في قلوبهم الكره والبغض ،  
فهذا كله شيء وواجب الأمة المسلمة شيء آخر يناسب دورها العظيم .

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على  
البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾<sup>(١)</sup>

وقال المسلمون سمعاً وطاعة لأمر ربنا . ثم حملوا راية الله ، ودعوا بدعوة الله  
فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين . فما بال الأحفاد  
في ذيل القافلة اليوم؟ .. وكيف أضاع الأبناء ما شيده الآباء؟ ..

يا أتباع محمد هذا هو الطريق فولوا شطركم نحوه ..

(١) سورة المائدة آية رقم ٢ .

## ثبت المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد قواد عبد الباقي ، دار الشعب — مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الأندلس — بيروت.
٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف — مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م.
٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية — طهران.
٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور : للإمام السيوطي.
١١. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله.
١٢. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.
١٣. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل العسقلاني ، المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ — ١٩٢٩م.
١٥. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاکر : دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م.
١٦. صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي : المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م.

١٧. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي. ونسك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م.
١٨. الجامع الصغير : للإمام السيوطي ، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة.
١٩. كشف الخفا ومزيل الالباس : اسماعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الاسلامي — حلب.
٢٠. تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، دار صادر — بيروت.
٢١. الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م.
٢٢. تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت.
٢٣. البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض.
٢٤. الطبقات الكبرى : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧.
٢٥. سيرة النبي لابن هشام : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة.
٢٦. الروض الأنف : عبد الرحمن السهلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة.
٢٧. مروج الذهب : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٩. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م.
٣٠. خلفاء الرسول : خالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م.
٣١. العقبريات : لعباس محمود العقاد.
٣٢. علي بن أبي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة : للاستاذ عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
٣٣. هذا هو الطريق : د. عبد الرحمن عميره ، دار التراث مصر — ١٩٧٣.
٣٤. مع الالحاد وجهاً لوجه : د. عبد الرحمن عميره ، دار الحلبي — القاهرة.
٣٥. أشهر مشاهير الإسلام : رفيق العظم.
٣٦. الاعلام : للزركلي.

٣٧. الأغاني : للأصفهاني .
٣٨. تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ .
٣٩. تفسير الخازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
٤٠. تليس إبليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
٤١. الروض الأنف : للإمام السهيلي .
٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري .. مصر .
٤٣. سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
٤٤. سنن الحفاظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه» : حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
٤٥. تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

رِجَالُ  
أَنْزَلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميرة

الجزء الثالث

دار الحديث  
بيروت



جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين النبي الأبي الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد، كان من توفيق الله سبحانه وتعالى علينا أن أعاننا بفيض من عنده لتقديم للأمة الإسلامية نخبة من هؤلاء الرجال الذين أنزل الله فيهم قرآناً.

ولقد قلنا في مقدمة المجلد الأول: إن هدفنا من إخراج هذه السلسلة هو ربط جيل المسلمين في القرن العشرين بكتاب ربهم.

وذلك لإيماننا الجازم أن كتاب الله — هو العلاج الناجع لكل ما تعانيه البشرية من أوجاع — فهو فضلاً عن أنه نور وهداية، يعتبر المنهج الأمثل والدستور الخالد الذي يرشد البشرية إلى الخير في عاجل دنياها وآجل آخرها.

إن القرآن الكريم جاء من عند الله سبحانه وتعالى، ليكون للبشرية — كل البشرية — المنهج الذي يجب أن تلتزمه في حياتها وتسير على مبادئه في كل أمورها.

وقد التزم الجيل الأول — جيل الصحابة والتابعين — ومن بعدهم السلف الصالح — بما كان يملية عليهم هذا الكتاب — فإذا كانت النتيجة؟ .. لا ينكر منصف في الشرق والغرب — أنهم أصبحوا به سادة وقادة.

سادة تتلمذت على أيديهم الدنيا في كل شئون الحياة .  
وقادة انقادت لهم البشرية وتابعتهم في الإيمان بكلمة التوحيد .  
ثم عاشوا حياتهم على ظهر الأرض قادة ومعلمين .  
ثم ماذا؟ ..

ثم خلف من بعدهم خلف .. جعلوا كتاب ربهم وراءهم ظهرياً ، فلفهم ليل  
طويل — ودخلوا في معارك طاحنة — معارك داخلية ومعارك خارجية ، وكان لا بد  
من هزيمتهم .

انهزموا في معاركهم السياسية .

وانهزموا في معاركهم الحربية .

وانهزموا في معاركهم الفكرية .

وكانت الأخيرة أخطر أنواع الهزائم ، لأنهم تعرضوا بعد ذلك لغزو فكري منظم  
أبعدهم عن كتاب ربهم وهدى نبيهم .

والراصد لحركات التاريخ في هذا العصر ، يرى أن الأمة الإسلامية التي أزهقتها  
الحروب المتتابة والانزيمات المتلاحقة في هذا القرن وما سبقه من قرون ، قد آن لها  
الآن أن تستيقظ ، وتأخذ طريقها في مقدمة الركب .

إننا نلمح على الأفق بشارات النصر .

ونلاحظ كتائب الإيمان تسرع الخطا إلى طريق المجد .

ونشاهد جند الرحمن يعدون عدتهم لمعركة فاصلة مع حزب الشيطان الذي بغى  
وتسلط ، وملاً الأرض بالركام المتعفن .

إن هذه الصحوة التي تعم الآفاق الإسلامية ، هي دليل على أن أبناء الأمة  
الإسلامية ، أخذوا يعودون إلى كتاب ربهم ، ويحكمونه في كل شئون حياتهم .

إن التاريخ يعيد نفسه .  
وبشائر الفجر أوشكت على الظهور .  
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

د . عبد الرحمن عميره

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

صدق الله العظيم

سورة الكهف آية رقم ٢٨

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والحديث : نزلت هذه الآية في ستة من الصحابة رضوان الله عليهم ، هم : ابن مسعود ، وصهيب ، وعمار ، والمقداد ، وبلال ، وسعد بن أبي وقاص .

- قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ .  
وقاله الإمام القرطبي ج ٦ ص ٤٣١ .  
وقاله الإمام الطبري ج ١١ ص ٣٧٨ .  
وذكره ابن ماجه في سننه ج ٣ ص ١٣٨٣ .  
وتفسير الخازن ج ٢ ص ١١٣ .  
والإمام مسلم ج ٧ ص ١٢٧ .  
وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٤٦ .

من هو عبد الله بن مسعود؟ ..



## عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه

يكنى أبا عبد الرحمن.

وهو من السابقين إلى الإسلام.. الملبين دعوة الرسول ﷺ عندما نادى بكلمة التوحيد.

ومن الذين تحملوا الجانب الكبير من أذى قريش وتسلطها ، عندما وقفت لهذه الفئة المؤمنة ، وصبت عليها العذاب صباً.

والده : مسعود بن غافل ، كان رقيق الحال — في الجاهلية — غير ميسر عليه في الرزق فحالف بني زهرة.

وأمه : أم عبد بنت عبد ود ، من كرائم النساء ، ومن قبيلة تميم بن سعد بن هزبل ، وأمها هند بنت عبد الحارث بن زهرة.

وأخوه : عتبة بن مسعود ، هاجر معه إلى أرض الحبشة ، الهجرة الثانية ، ثم قدم المدينة ، فشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، ولما مات بكى عليه عبد الله . فقيل له : أتبكي ؟ ..

قال : نعم . أخي في النسب وصاحبي مع رسول الله ﷺ وأحب الناس إلي . فكيف لا أبكي ؟ ..

وأما عن حياة ابن مسعود فقد تحمل أعباء الحياة مبكراً. من ذلك أنه كان يرعى الغنم لعقبة بن معيط نظير أجر زهيد.

ولقد كان هذا العمل سبباً في سعادته، وفتحت قلبه لنور الاسلام مبكراً قبل غيره.

من ذلك أن رسول الله ﷺ ومعه أبا بكر مرا عليه في مزرعته التي يرعى فيها، فقالا له: يا غلام، هل عندك من لبن تسقيننا؟

فقال: إني مؤتمن ولست ساقيكما.

فقال النبي ﷺ: هل عندك من جذعة<sup>(١)</sup> لم ينز عليها الفحل؟

قلت: نعم. فأتيتها بها.

فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا، فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متفجرة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر، ثم شربت ثم قال للضرع: اقلص، فقلص.

قال: فأتيته بعد ذلك، فقلت: علمني من هذا القول.

قال: إنك غلام معلم.

فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينزعني فيها أحد<sup>(٢)</sup>.

ويقال: إن عبد الله بن مسعود أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

قال عن نفسه: «لقد رأيتني سادس ستة، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا»<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن الجزري: إنه أسلم قبل عمر<sup>(٤)</sup>.

(١) الثنية من الضأن.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥١.

(٣) أسد الغابة ٢٥٦.

(٤) غاية النهاية لابن الجزري ج ١ ص ٤٥٨.

إن القلوب الصافية ، لا تتلکأ عندما ترى نور الإيمان ، ولا تتباطأ عندما تشاهد دلائل الحق . وهذا هو الذي حدث مع ابن مسعود .

لقد سارع إلى الدخول في ساحة الإيمان . وأعلن على الملأ من قريش أنه كفر بآلهتهم ، وتبرأ من أصنامهم ، واتجه بقلبه إلى فاطر السموات والأرض وموجد الحياة والموت ، المتفرد في ملكه ، لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، سبحانه لا إله إلا هو .

ويعتبر ابن مسعود أول من جهر بالقرآن في مكة بعد رسول الله ﷺ وهو الفقير الذي لا يغرّه المال ، والحليف الذي لا تمنعه العشيرة ، لكنه الفتى المؤمن الذي اعتر بالإسلام فأعزه ، واعتمد على خالقه فلم يضعه .

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط . فن رجل يسمعه موه ؟ ..

فقال عبد الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشاهم عليك . إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعوني ، فإن الله سيمعني .

فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أندية حتى قام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ الرحمن علّم القرآن . خلق الإنسان علّمه البيان . الشمس والقمر بحسبان ﴾ (١) .

قال : وتأمّلوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ .

(١) سورة الرحمن الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه . وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه — وقد أثروا في وجهه — فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك !

فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ، ولئن شتمت لأغادينهم بمثلها غداً .

قالوا : لا ، حسيك قد أسمعتهم ما يكرهون<sup>(١)</sup> .

ونقف وقفات أمام كلمة عبد الله بن مسعود : « ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن » !!

إن الإيمان إذا استقر في القلوب ، هانت الدنيا فأصبحت لا تساوي شيئاً .  
والجين لن يأتي إلا من التكالب على الدنيا والاهتمام بأعراضها الزائلة من منصب أو جاه أو مال .

... وهذا هو السبب في أن الصف الأول من المسلمين كانوا يدخلون معاركهم ، وليس في محبتهم إلا طلب النصر والشهادة .. والنصر كان يُطلب لا لأنفسهم ، ولا من أجل تسلطهم ولكن من أجل رفع كلمة الله تعالى .. من هنا هان الأعداء من صناديد قريش في نظر عبد الله بن مسعود ، لأنهم لا يستطيعون أن يأخذوا منه شيئاً يحرص عليه أو يخاف عليه .. إنه لا يملك إلا قلبه وروحه ، وكلاهما لا يستطيع أي بشر من البشر ، مهما بلغت سطوته ، أن ينال منها شيئاً .. فالقلب يملكه مقلب القلوب ، وأجله محدد ومؤجل .. ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان ذلك كذلك .. فلا نامت أعين الجبناء .

... واشتد أذى المشركين للفتنة المؤمنة . وأذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى يثرب

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٦ — ٣٣٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٥ .

بعد عودة المهاجرين من أرض الحبشة . وهاجر عبد الله بن مسعود إلى المدينة ،  
وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الزبير بن العوام من المهاجرين ، وبينه وبين معاذ بن  
جبل من الأنصار رضوان الله عليهم أجمعين .

... وأراد الله سبحانه وتعالى أن تكون دار ابن مسعود قريبة من المسجد ، الأمر  
الذي جعله قريباً من الرسول ﷺ .

ولم يمض على وجوده في المدينة فترة حتى كان صاحب سواد رسول الله يعني :  
سره ، ووساده ، وسواكه ، ونعليه ، وطهوره .

يقول ابن سعد : كان عبد الله بن مسعود يستر رسول الله ﷺ إذا اغتسل .  
ويوقظه إذا نام ، ويلبس رسول الله نعليه ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا اتخذ  
مجلسه نزع نعليه ، فأدخلها في ذراعيه ، وأعطاه العصا ، فإذا أراد رسول الله ﷺ  
أن يقوم ألبسه نعليه ، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجر قبل رسول الله  
ﷺ .

وحدث عبد الله عن نفسه قال : « قال لي رسول الله ﷺ : آذنتك على أن ترفع  
الحجاب وأن تسمع سوادي حتى أنهاك » (١) .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم ينظرون إلى ابن مسعود ويتمنون مكانه ،  
ويعترفون له بالفضل الذي لم يؤته غيره ، حتى ليقول أبو موسى عنه : « إنه كان  
ليدخل إذا حجبتنا ويشهد إذا غبتنا » .

ولقد عرف عبد الله فضل ما هو فيه ، فعرض عليه بالنواجذ ، وتربص بكل من  
قد بنفسه عليه أو يزاحمه فيه ، وما أكثر المنافسين والمزاحمين ، حتى إنه اضطر إلى  
أن يكذب مرة كي لا يستأثر غيره بأمر من أمور الرسول ﷺ .

قال : « ما كذبت على عهد النبي ﷺ إلا كذبة واحدة . كنت أرحل لرسول

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠١ .

الله، فجاء رجل من الطائف، فقلت: هذا يغلبني على الرحال. فقال: أي الرحال أحب إلى رسول الله؟ فقلت: الطائفية المكية. فرحل بها. فقال الرسول ﷺ: من رحل لنا هذا؟ فقالوا: الطائفي. فقال: مروا عبد الله فليرحل لنا. فعدت إلى الرحال»<sup>(١)</sup>.

ولقد استغرق في خدمة الرسول ﷺ وملاصقته، حتى قال أبو موسى الأشعري: لقد رأيت النبي ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله.

ويقول تلميذه علقمة: كان عبد الله يشبه النبي في هديه ودله وسمته. ويقول حذيفة: أشبه الناس هدياً ودلاً وسمناً بمحمد ﷺ ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. وكان صوته ندياً بالقرآن، يملأ القلوب خشية وإيماناً من ذلك.

قال عبد الله: «قال لي النبي ﷺ: اقرأ علي. قلت: يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: نعم. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾<sup>(٣)</sup>. قال: حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»<sup>(٤)</sup>.

وقال عمر: «إنا سمعنا ليلة في بيت أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ، ثم خرجنا ورسول الله يمشي بيني وبين أبي بكر فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه.

فقلت: يا رسول الله، أعتمت. فغمزني بيده اسكت.

قال: فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر.

(١) ابن قتيبة: غيون الأخبار ج ٢ ص ٣٠.

(٢) ابن سعد ج ٣ ص ١٠٩.

(٣) سورة النساء آية ٤١.

(٤) فتح الباري ج ٩ ص ٧٧.

فقال النبي ﷺ : سل تعطه . ثم قال : مَنْ سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل  
فليقرأ قراءة ابن أم عبد<sup>(١)</sup> .

إنهم رجال مدرسة القرآن .

مدرسة النبوة ، مدرسة الإسلام .

يسهرون ليلهم ، ويقومون نهارهم — لا يشغلهم عمل عن عمل ، يعطون الدنيا  
ما تطلبه منهم ، ويعلمون نفوسهم لنصرة دين الله — وتشتاق نفوسهم للشهادة في  
سبيله ، فهم كما وصفهم ربهم بقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله — والذين معه أشداء  
على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يتغنون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ .

وهكذا كانت حياة ابن مسعود الذي عاش لكتاب ربه ، وملاً قلبه به ، إنه  
رجل القرآن في مدرسة القرآن والذي يصفهم بقوله :

« ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس  
يفطرون ، وبجزنه إذا الناس يفرحون ، وببكاائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا  
الناس يخطون ، وبخشوعه إذا الناس يخالون .

وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً ، حكيماً حليماً ، عليماً سكيناً . ولا  
ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ، ولا غائلاً ولا صخاباً ولا صباحاً ، ولا  
حديداً<sup>(٢)</sup> .

إنه يحمل هداية السماء إلى الأرض فيجب أن يكون هادياً .

ويحمل نور الله في غبشة الليل الداكنة فيجب أن يكون مضيئاً .

ويحمل الرحمة المهداة من خالق الأرض والسماء — فعليه أن يكون رحيماً .

هذه هي بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها أولئك الذين رزقهم الله  
سبحانه وتعالى نعمة حفظ القرآن وترتيله .

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) الحلية ج ١ ص ١٣٠ .

وفي غزوة بدر الكبرى قام ابن مسعود بعمل بطولي ، وهو جز رقبة عدو الله أبي جهل .

من ذلك أن رسول الله ﷺ أمرهم أن يبحثوا في القتلى عن جثة أبي جهل — بعد انتهاء المعركة وقال لهم :

« انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان ، وكنت أشف (١) منه يسيّر فدفعته فوق علي ركبته فجحش (٢) في إحداها جحشاً لم يزل أثره به .»

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فوجدته بأخر رمق ، فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ، قال : وقد ضبث (٣) بي مرة بمكة فأذاني ولكرني . ثم قلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله .. ؟

قال : وبماذا أخزاني .. ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم .. ؟

قلت : لله ولرسوله . ثم احتزرت رأسه ، وجئت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل .

فقال رسول الله ﷺ : الله الذي لا إله غيره .

قلت : نعم . والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ — فحمد الله (٤)

جز ابن مسعود رقبة فرعون هذه الأمة كما كان يسميه رسول الله ﷺ .

وامتثل لأمر رسول الله — وقام به على الفور — وكأنما كان ينتظر هذا الأمر .

(١) أشف : أقوى .

(٢) جحش : جرح جرحاً غائراً .

(٣) ضبث : قبض عليه ولزمه .

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .



إنهم أصحاب رسول الله ﷺ صنعهم على عينه وأدبهم بكتاب ربه .. وجعل منهم سادة وقادة ، وأساتذة يخطون من شئون السياسة والتنظيم الاجتماعي ما تعمل الدول جاهدة للوصول إليه .

... وكان ابن مسعود فصيحاً لساناً قوي الحججة ، واضح الدليل ، قوي العبارة .

يقول أبو الدرداء :

«خطب النبي ﷺ خطبة خفيفة ثم قال : قم أبا بكر فقام فخطب فقصر دون النبي ﷺ . فقال : قم يا عمر فاخطب ، فخطب فقصر دون النبي ﷺ . ثم قال : قم يا فلان فاخطب إلى أن قال : قم يا ابن أم عبد فاخطب . فقام عبد الله بن أم عبد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أيها الناس ، إن الله ربنا ، وإن الإسلام ديننا ، وإن هذا نبينا ، وأومى بيده إلى النبي ﷺ رضيما ما رضي الله لنا ورسوله والسلام عليكم» .

قال رسول الله ﷺ : «أصاب ابن أم عبد ، صدق ابن أم عبد» (١) .

ولقد كان قربه من الرسول يدفعه إلى أن يعلق عليه برأي في المهم من الأمور ، فلا يرد له الرسول ﷺ رأياً .

ففي أسرى بدر قال عليه السلام :

«أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء ، أو ضرب عتق» .

قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام . فسكت رسول الله ﷺ .

يقول ابن مسعود : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ :

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٤ .

«إلا سهيل بن بيضاء»<sup>(١)</sup>.

هنيئاً لك يا ابن مسعود استجابة الرسول ﷺ لقولك .  
لقد كان لك في قلبه مكان وتقدير ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو القائل  
صلوات الله وسلامه عليه :

«اهدوا هدى عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» .

ثم قال أيضاً :

«رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لأمتي ما سخط لها ابن أم  
عبد»<sup>(٢)</sup> .

ثم كانت الدرجة العالية التي لا تتناول .. عندما شهد له بالجنة» .

عليك صلوات الله وسلامه يا رسول الله .

ثم ماذا... ؟

مات رسول الله ﷺ وانداح المسلمون في جنبات الأرض يحملون المصحف في  
يد وفي الأخرى سيف لم يسئل من غمده إلا في سبيل الله ، ورفع كلمته ، ونصرة  
دينه . فأين موقف ابن مسعود في هذه الجيوش الخارجة في سبيل الله . ؟

لقد صدر أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يتجه عبد الله بن مسعود إلى  
الكوفة . والكوفة في عهد عمر كانت موطناً للشغب والفتن وإثارة القلاقل .

وكانت مهمة عبد الله بن مسعود محددة وهي تعليم الأمة وتفقيها في أمور دينها ،  
ومدارستها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتابه لأهل الكوفة :

(١) الطبري ج ٣ ص ١٣٥٧ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٣٧١ .

«إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من  
النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن أهل بدر فاقتدوا بهما ، وأطيعوا واسمعوا  
قولها ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي»<sup>(١)</sup> .  
ولقد عاش ابن مسعود فترة طويلة في الكوفة ، يقضي بين الناس ويعلمهم  
ويشرف على بيت المال .

وتولى أمر الكوفة — وهو فيها — ستة من الولاة :

عمار بن ياسر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنها .

والمغيرة بن شعبة في عهد عمر وستة من عهد عثمان .

وسعد بن أبي وقاص .

والوليد بن عقبة .

وسعيد بن العاص .

وأبو موسى الأشعري .

وعاش معهم عبد الله بن مسعود يعاونهم ، ويضيء لهم طريق الحكم ، وهو  
يعرف مكائهم ، ويقدرهم هم مكائهم . وكان يأخذ على أيديهم إذا بدرت منهم  
بادرة يراها تضر بالدولة ، أو بقيمة من قيم الإسلام .

واختلف مع سعد بن أبي وقاص ، والوليد بن عقبة ورفع أمرهما إلى الخليفة عثمان  
رضي الله عنه ، فأقره على ما رأى وعزلها عن ولاية الكوفة .

ولقد كان أجلاء الصحابة يستمعون له وينزلون على رأيه . فهو أحد المبشرين  
بالجنة ، وقدمه في الميزان أنقل من جبل أحد كما أخبر بذلك الصادق الأمين رسول  
الله ﷺ .

عن أبي موسى الأشعري قال : سمعت علياً كرم الله وجهه يقول : أمر رسول الله

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٩ .

صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها . فنظر أصحابه إلى دقة ساقه فضحكوا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما يضحككم ؟ لرجلا عبد الله في الميزان أثقل من أحد» (١) .

إنه قارئ القرآن غصاً طرياً ، والمتبتل به ليل نهار ، والذي وهب نفسه للإسلام والدعوة إليه — فجزاؤه الجنة كما قال الله تعالى :

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون . نُزلاً من غفور رحيم . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ (٢) .

وحدث بعض أهل الكوفة قالوا :

« وفدنا على عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فأجازنا ، وفضل أهل الشام علينا في الجائزة فقلنا :

يا أمير المؤمنين .. أتفضل أهل الشام علينا .. ؟

فقال : يا أهل الكوفة ، أجزعتم أن فضلت أهل الشام لبعث مشقتهم ، لقد أثرتكم بآبئ أم عبد» (٣) .

إذا كان عمر يعطي أهل الشام زيادة في عروض التجارة . فقد أعطى أهل الكوفة عبد الله بن مسعود .

ويمنّ عليهم أن آثرهم به عن نفسه .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٨٩ .

(٢) سورة فصلت الآيات رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٤ .

فعمر يعرف قيمة هذا الرجل ويقدره حق قدره ، ويدخره للأمر العظيم الذي لا يقدر عليه إلا أمثال ابن أم عبد كما كان يطلق عليه .

وعمر أقدر الولاة في معرفة اقدار الرجال .

والذي قاله عمر بن الخطاب في ابن مسعود ، قاله كل من عرفه ، أو كانت له خبرة به .

يقول حبة بن جوين :

« كنا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فذكرنا بعض قول ابن مسعود وأثنى القوم عليه ، ثم قالوا : يا أمير المؤمنين ، ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً ولا أرفق تعليماً ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود .

فقال علي : نشدتكم الله إنه لصدق من قلوبكم ..؟

قالوا : نعم .

فقال : اللهم إني اشهدك ، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل<sup>(١)</sup> .

وأبو موسى الأشعري — رضي الله عنه — العالم الجليل والفقير الكبير يطلب من الناس ألا يسأله أحد عن شيء من الفتيا ما دام ابن مسعود موجوداً . والدافع إلى ذلك أن أبا موسى سئل يوماً وهو أمير الكوفة عن رجل قُتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر أين هو...؟

فقال أبو موسى : في الجنة .

فقال ابن مسعود للسائل : أعد على الأمير فتياك فلعله لم يفهم .

قال السائل : قلت أيها الأمير ، ما قولك في رجل قاتل في سبيل الله فقتل مقبلاً غير مدبر ، أين هو...؟

فقال أبو موسى : في الجنة .

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٠ .

فقال ابن مسعود رضي الله عنه : أعد على الأمير فعله لم يفهم . فأعاد عليه ثلاثاً .. كل ذلك يقول أبو موسى : في الجنة .

ثم قال : ما عندي غير هذا ، فما تقول أنت .. ؟

فقال ابن مسعود : لكني لا أقول هكذا .

فقال : فما قولك .. ؟

فقال : أقول إن قُتل في سبيل الله فأصاب الحق فهو في الجنة .

فقال أبو موسى : « صدق . لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الخبر بين أظهركم »<sup>(١)</sup> .

وكان داعية للعلم والمعرفة ، وهو بهذا يلتزم بما أمر به الإسلام من الدعوة إلى العلم ، لأن العلم في الإسلام دعامة من دعائمه ، وركن من أركانه . ولقد منَّ الله سبحانه وتعالى على العلماء بقوله :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

من هنا كان ابن مسعود معلماً وداعية إلى العلم . يقول لعامة المسلمين وخاصتهم :

« عليكم بالعلم قبل أن يُقبض وقبضه ذهاب أهله ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه ، وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم وإياكم والتعجل وإياكم والتنطع »<sup>(٣)</sup> .

وهو داعية عرف طبيعة النفس البشرية وخصائصها . وتعمق في خلجاتها وخفاياها . فهو عالم نفساني يطب للنفوس الدواء بعد أن يشخص لها الداء . ويطلب

(١) قوت القلوب ج ٢ ص ٢١ نقلاً من كتاب عبد الله بن مسعود . د . عبده الراجحي .

(٢) سورة فاطر الآية رقم ٢٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥ .

العاصين بالنهوض من عثراتهم ، آخذاً بأيديهم إلى طريق التوبة عملاً بقول الله تعالى :

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ (١) .

فيقول : إذا رأيتم أخاكم قارفاً ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه فتقولوا : اللهم اخزه اللهم العنه . ولكن سلوا الله العافية فإننا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم علام يموت .. ؟ فإن ختم له بخير علمنا أنه أصاب خيراً ، وإن ختم له بشر خفنا عليه .

ومات ابن مسعود رحمه الله بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين هجرية ودفن بالبيع ، رضوان الله عليه .

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

## أسباب نزول الآيات

عن المقدم بن شريح ، عن أبيه عن سعد قال :

نزلت هذه الآية فينا ستة : في ، وفي ابن مسعود ، وصهيب ، وعمار ، والمقداد ، وبلال . قالت قريش لرسول الله ﷺ : إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم [عنك] فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله . أن يدخل . فأنزل الله تعالى عليه :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (١)

وعن خباب بن الأرت قال :

فيما نزلت ، كنا ضعفاء عند النبي ﷺ بالغداة والعشي فعلمنا القرآن والخير ، وكان يخوفنا بالجنة والنار ، وما ينفعنا ، وبال موت والبعث ، فجاء الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن الفزاري فقالا : إنا من أشرف قومنا ، وإنا نكره أن يرونا معهم ، فاطردهم إذا جالسناك .

قال : نعم .

قالوا : لا نرضى حتى نكتب بيننا كتاباً . فأتى بأديم ودواة ، فنزلت هذه الآيات :

(١) رواه مسلم عن زهير بن حرب . والآية سورة الأنعام آية ٥٢ .



«ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه»، إلى قوله تعالى :  
﴿وكذلك فتناً بعضهم ببعض﴾  
وعن ابن مسعود قال (١) :

مر الملائ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت ، وصهيب ،  
وبلال ، وعمار فقالوا : يا محمد رضيت هؤلاء؟ أتريد أن نكون تبعاً لهؤلاء؟  
فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ .

وبهذا الاسناد قال : حدثنا عبيد الله عن أبي جعفر عن الربيع (٢) قال : كان  
رجال يسبقون إلى مجلس رسول الله ﷺ ، ومنهم بلال ، [وعمار] ، [وابن  
مسعود] وصهيب ، وسلمان ، فيجيء أشراف قومه وساداتهم وقد أخذ هؤلاء المجلس  
فيجلسون إليه ، فقالوا :

صهيب رومي .

وسلمان فارسي .

وبلال حبشي .

يجلسون عنده ونحن نجيء فنجلس ناحية ، وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ،  
وقالوا : إنا سادة قومك وأشرافهم . فلو أدنيتنا منك إذا جئنا ، فهم أن يفعل ، فأنزل  
الله تعالى هذه الآية (٣) .

وقال عكرمة (٤) : جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث  
ابن نوفل ، في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا :

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٣٤ والدر المنثور ج ٣ ص ١٢ ومسنند أحمد ج ٦ ص ٣٦ . وتفسير الطبري  
ج ١١ ص ٣٧٤ وجمع الروائد ج ٧ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) هو الربيع بن أنس البكري روى عن أنس بن مالك وتوفي سنة ١٣٩ هـ .

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣ .

(٤) تفسير الطبري ج ١١ ص ٣٧٩ والحازن والبغوي ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣ .

« لو أن ابن أخيك محمداً يطرد عنه مواليها وعميدنا كان أعظم في صدورنا وأطوع  
له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له .

فأتى أبو طالب النبي ﷺ ، فحدثه بالذي كلموه . فقال عمر بن الخطاب : لو  
فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون .. ؟ وإلام يصيرون من قولهم .. ؟  
فأنزل الله تعالى هذه الآية .

فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعتذر عن مقالته .

## تذليل ...

مدارسة كتاب الله تعالى ومحاولة فهمه ، نعمة كبرى لا يعرفها إلا من ذاقها ، لأنها نعمة ترفع العمر وتباركه وتركيه .

وابن مسعود — رضي الله عنه — أحد هؤلاء الرجال الذين تخرجوا من مدرسة القرآن ، وعبوا من ينابيعه الصافية ، ثم جعلوه سلوكاً لهم ومنهجاً لحياتهم فمدنوا الدنيا وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان .

ولهذا يقول عن نفسه وعن الفئة المؤمنة التي تابعت محمداً ﷺ فيما دعا إليه :

« كنا نتعلم من النبي ﷺ عشر آيات ، فما نتعلم العشر التي بعدهن حتى نتعلم ما أنزل الله في هذه العشرة من العمل » .

فمدارسة القرآن ليس هو ترديد الذي لا يعي ولا يفهم ما يقول ، وإنما هو التطبيق العملي والفعلي للقرآن في كل جوانب الحياة .. القرآن الذي يتعلم منه الإنسان أنه لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العابرة العارضة ، وإنما كل شيء بقدر وحساب . قال تعالى : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (١) .

وقال أيضاً : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٢) .

(١) سورة الفرقان الآية ٢ .

(٢) سورة القمر الآية ٤٩ .

ويتعلم الإنسان منه أيضاً أن كل أمر في هذا الكون ، وكل صغيرة وكبيرة في هذا الوجود ، وجدت لحكمة وخلقت لغاية .

ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة ، ولا للعقل المحدود الذي خلقه الله لغاية ، وزود الإنسان به لهدف — ألا وهو عبادة خالقه ، وتعمير هذا الكون بتحقيق الخلافة فيه . قال تعالى :

﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (١)

وقال : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (٢) .

إن كل ما فعله الجيل الأول — جيل الإسلام أنهم أخذوا نفوسهم بكتاب الله ، فكان التغيير الشامل ، والفوز العظيم — والمستعرض لتاريخ هذه الأمة يجد مصداق ما نرمي إليه .

لقد كانت بلادهم مجدبة قاحلة ، وأرضهم محدودة ضيقة ، ورزقهم لا يأتهم إلا بالجهد والمثابرة .

فتغير الحال بأكمله . وفتحت الدنيا أبوابها إليهم بأسرها ، واتسعت رقعة أرضهم بالفتوحات والجهاد ، وجاءهم الخير الكثير والمال الوفير . حتى بدت قصورهم في بغداد والقاهرة والقيروان — قلاع الملوك والقياصرة على مشارف الفرس والروم .

وكانوا قبائل متفرقة ، وجماعات ممزقة ، لا تجمعهم قيادة ، ولا يلم شملهم ملك أو سلطان ، وإنما هي غارة يقومون بها مرة من هنا ومرة من هناك ، ويحاولون اختلاسها في غيبة فارس القبيلة ، أو قلة أبطالها الشجعان .

... فأصبحوا بعد الإسلام سادة وقادة ، ينتصرون على أعدائهم بالرعب وتسلم

(١) سورة النساء الآية ١٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

لهم الممالك والحصون بمجرد الإنذار ، ويسير جيشهم الظافر يقطع الأرض ويطوي البلاد ، حتى تقف خيلهم على شاطئ البحر ، تريد أن تعبر ماءه ، وتقتحم أمواجه . إن كان يوجد بعده قوم لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون بمحمد ، ولا يدينون بدينهم الذي ارتضاه الله لهم .

واستمر الحال على ذلك فترة طويلة من الزمان — حتى تجاهلوا هذا الكتاب وابتعدوا — راضين أو مكروهين — عن هديه ، ولم يعد تدار عليه قضاياهم أو يحكمونه في شئونهم — كما فعل الجيل الأول — فعادوا كما كان عليه العرب سابقاً قبل أن ينعم عليهم بنعمة الإسلام .

عادوا قبائل متفرقة تدعي أنها دول وممالك .

وعادت الدسائس تدبر بينهم ، والمكائد تحاك من خلفهم .

وأصبحت رقعة أرضهم تنحسر من تحت أقدامهم . إما عن طريق الحرب تارة ، أو عن طريق الغزو الفكري تارة أخرى .

وأخذ يتنكر لهم العدو والصديق ، ويقار عليهم فلا يصدون غارة وتغتصب منهم بلادهم فلا يحمي لهم أنف ، ولا يتصب لهم رأي .

وتساءل وتتعجب : ماذا دهم أبناء خالد .. ؟

وماذا حل بأحفاد أبي عبيدة وعمرو بن العاص .. ؟

ولكن لا عجب ولا عجاب من أن يحدث ذلك لهم ، وتكالب الممالك عليهم يريدون نهب خيراتهم ، وغزو بلادهم ، وإبعادهم عن دينهم .

لأنهم انقطعوا عن مستودع النور فحل بهم ظالم حالك .. ؟

وانحرفت عن الطريق أقدامهم فتشعبت بهم المسالك . وهم الآن بين طريق لا يعرف له نهاية ، وبين ظلام لا تكشف له بداية .

وهم يتساءلون ويتخبطون : أين المخرج .. وكيف الطريق .. ؟

الطريق أن تعودوا من حيث بدأتم ، وتسلكوا الطريق الذي اتبعتم ، ولن يتم لكم ذلك إلا بالعودة الى كتاب ربكم وتحكيمه في حياتكم ، وجعله دستوراً وشرعة لأعمالكم .

عندها تعود اليكم البلاد المغصوبة ، وترد إليكم مرة أخرى الديار المنهوبة .  
حكّموا كتاب الله ، حتى تنقذوا أنفسكم من الهاوية ، وتنقذوا البشرية مما تردّت فيه .. من الدمار والحروب وضياح الأخلاق والقيم ، واتباع سياسة الظفر والناب .

حكّموا كتاب الله فأنتم الأمة الوسط — التي اختارها الله وفضلها على كثير من خلقه وامتن عليها بالخيرية بقوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١)

حكّموا كتاب الله — وتحكيمه له صورة واحدة وطريق واحد — هو العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم . إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتكم والتحاكم إليه وحده في شئونكم وإلا فهو الفساد في الأرض والشقاوة للناس .

إن الاحتكام الى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار إنما هو الإيمان أو فلا إيمان . قال الله تعالى :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

وقال أيضاً :

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ (١) .

فهل يستجيب المسلمون لهذه الصيحة .. ؟

نرجو من الله ذلك ...

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ - ١٩ .

صهيب بن سنان  
رضي الله عنه



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ  
مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءً مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة الآية رقم ٢٠٧

## أقوال العلماء في نزول الآية

قال بغض رجال التفسير وكتاب السير:

نزلت هذه الآية في صهيب بن سنان.

قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ١ ص ٢٣٨.

وقاله الإمام الطبري ج ٤ ص ٢٢٩.

وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن الإمام الواحدي ص ٥٨.

وقاله ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٢٢٩.

وقاله صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٧٢٩.

فمن هو صهيب بن سنان..؟

## صُهيب بن سنان

رضي الله عنه

فارس من الفوارس الشجعان لا يخطيء سهمه ، وبطل من أبطال المعارك لا ينبو سيفه ، ومسلم عرف الإيمان طريقه إلى قلبه ، فحرك كل ذرة من ذراته ، وكل جارحة من جوارحه ، فرفض عرض الدنيا الزائل وخرج بدينه مهاجراً إلى ربه .

إنه صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمر ، كان والده عاملاً لكسرى على الأيلة ، وكانت قبيلته تعيش بأرض الموصل ، أما والده فكان يقطن قرية على شط الفرات مما يلي الجزيرة .

وأمه سلمى بنت قعيد بن عمرو بن تيم ، من كرائم الأسر ، ومن ذرى القبائل ، تذكرها كتب التاريخ عرضاً عند الحديث عن ابنها فتصفها بالنبل وكرم السجايا وحسن الأحلوة .

عاش صهيب في تلك البقعة الفسيحة المطلة على نهر الفرات ، يلعب مع لداته ويشاركهم هو الطفولة الخالية من هموم الحياة .

ولقد كان لوالدته قرة عينها ، ولوالده الأمل الكبير عندما يتخيله يشارك فرسان القبيلة في ساحة الكر والفر ويعود إليه وأكاليل النصر على مفرق رأسه . هكذا كان يتصوره والده عندما يبلغ مبلغ الشباب .

ولكن هذه الأمانى لم تتحقق ، إذ غارت جحافل الروم على تلك الناحية

وساقت الكثير من الأسرى ومن بينهم الطفل صهيب ، وهكذا عرف قساوة المهجر مبكراً ، ولم ينعم بحنان الوالدين إلا فترة يسيرة من عمره ، وعاش في أرض الغربة فترة محدودة بلغ فيها مبلغ الشباب واكتمل عوده ، واشتد ساعده .

وفي يوم من الأيام وصلت إلى أرض الروم قافلة من قوافل قريش التي كانت تأتي للتجارة إلى تلك البلاد ، والتقى أحد أفراد قبيلة بني كلب بالفتى العربي ، فابتاعه من الروم ، ثم قدم به مكة ، فاشتراه منه عبد الله بن جدعان ثم أعتقه (١) .

وعرفت دروب مكة ووديانها الفتى الرومي — كما كان يطلق عليه — عرفته بحركته الدائبة ، وبصيده الكثير ، وباتقانه لكثير من الصناعات المختلفة ، وبحسن إصابته الهدف ، وخفته في امتطاء سهوات الخيل ، وبراعته في الانقضاض على خصمه ، وبالإضافة إلى ذلك تناسق أعضائه وحسن هندامه ، وعفة لسانه .

ويصفه الرواة والمؤرخون فيتفقون على أنه كان أحمر شديد الحمرة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان غزير شعر الرأس ، يلفت النظر إليه .

هذا هو صهيب يعيش في مكة ، ويشارك أهلها حلو الحياة ومرها ، وتمر الأيام عليه رتيبة مملة ، حتى يقرب موسم الحجيج الذين يأتون من كل مكان ، فتمور مكة بالحركة ، وتملاً أزقتها ودروبها زمر الوافدين فتنحر الذبائح ويعم الخير ، وتعيش قريش فترة رخاء وشبع . وتكثر اللقاءات حول الكعبة ، وترتفع الأصوات بالتهليل ، ويختلط الوافد بالمقيم وتقام أسواق الشعر وتنصب بلاغة الكلام . ويتبارى الخطباء والشعراء في تعداد مناقب القبيلة ، وشجاعة الفرسان .

حتى كان يوم وصهيب عائد من صيده آخر النهار فسمع لفظاً كثيراً وأحسن حركة دائبة وأصواتاً ترتفع حيناً وتخفض أخرى ... وتساءل بينه وبين نفسه : ماذا حدث في مكة .. ؟

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٧٢٩ .

أهو موسم الحجيج..؟ ولكنه تذكر أن وقته لم يحن بعد.

أغار على الكعبة مغير..؟ فهم يعدون العدة لصدده..؟ واستبعد هذا أيضاً. إذاً ماذا يكون..؟ وما حقيقة الذي يراه ويسمعه..؟

دارت هذه الأفكار بمخيلته حتى اقترب براحلته من جمع من القرشيين.. واستطاعت أذناه أن تلتقط ما يتحدثون به.

إنه النور الجديد الذي يربط السماء بالأرض.

إنه الأمل المرتقب للحيارى والمستضعفين.. والباحثين عن نور الإيمان.

إنه الضياء الذي يملأ الكون ويبدد ظلام الكفر والشرك.

إنه الرسول الخاتم الذي طال انتظاره.

إنه العدل والسلام على الأرض.

إنها كلمة التوحيد الذي صدع بها محمد الأمين في جنبات الكعبة وفوق الصفا. فتهاوت الأصنام، وزعزع البهتان.

واشتاقت نفس صهيب على أن تعرف الكثير عن هذا الدين الجديد الذي أصبح حديث قریش وأنديتها.. وشغل كل بيت وتحدث به كل فرد، ولم يطق صبراً فسأل عن الداعي لهذا الدين فأرشدوه إلى دار أبي الأرقم.

ويحدثنا عمار بن ياسر عن إسلام صهيب فقال: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها. فقلت له: ما تريد..؟

فقال لي: ما تريد أنت..؟

فقلت: أردت الدخول على محمد فأسمع كلامه.

قال: وأنا أريد ذلك.

فدخلنا فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا ، ثم خرجنا ونحن مستخفون<sup>(١)</sup> .

... ولكن نور الإيمان لا يخفى ، وكلمة التوحيد تدل على صاحبها وترشد إليه . ولم تطق قريش صبراً على هؤلاء الذين يتبعون محمداً ﷺ ويسخرون من أصنامهم ومعتقداتهم وأخذت تصب عليهم العذاب صلباً . وتحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تفتن هؤلاء عن دينهم . ولم يسلم الرسول ﷺ من هذا الأذى .. حتى أراد الله سبحانه وتعالى له ولصحبه بالهجرة إلى يثرب .. وتتابع المهاجرون . وأحسن صهيب أنه أصبح وحيداً في تلك الديار التي تضيق بكلمة التوحيد ، وفكر في الهجرة .  
... وما هي إلا أيام معدودة حتى أعد راحلته وجمع سهامه وتقلد سيفه وخرج ميمماً شطر يثرب .. وما كاد يفارق أبواب مكة حتى ظهر له صنابير الكفر يحولون بينه وبين الهجرة .

وبحدثنا سعيد بن المسيب عن هجرة صهيب فيقول :

« أقبل صهيب مهاجراً نحو المدينة فتبعه نفر من قريش فترز عن راحلته وأخرج ما في كنانته من سهام ثم قال :

« يا معشر قريش لقد علمتم أني من أركم رجلاً ، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فافعلوا ما شئتم ، فإن شئتم دللتكم على مالي وخليتي سبيلي .

قالوا : نعم . ففعل<sup>(٢)</sup> .

وسار حتى دخل المدينة ، ورسول الله ﷺ كان يجلس بقباء ومعه أبو بكر وعمر وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كلثوم بن الهدم . وصهيب قد رمد بالطريق وأصابته مجاعة شديدة فوقع في الرطب فقال عمر :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٢٧ .

(٢) المصدر السابق .

يا رسول الله ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد..؟

فقال رسول الله ﷺ :

تأكل الرطب وأنت رمد..؟

فقال صهيب : وإنما آكله بشق عيني الصحيحة.

فتبسم رسول الله ﷺ .

وجعل صهيب يقول لأبي بكر : وعدتني أن تصطحبني فرحت وتركتني.

ويقول : وعدتني يا رسول الله أن تصاحبني فانطلقت وتركتني ، فأخذتني قريش

فحبسوني فاشتريت نفسي وأهلي بمالي .

فقال رسول الله ﷺ : ربح البيع ، ربح البيع (١).

وفي المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن أبي جبل رضي الله عنه .

معاذ الذي قال عنه رسول الله ﷺ :

«أعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل» .

وعندما وجهه الى اليمن سأله رسول الله ﷺ :

«بم تقضي..؟»

قال : بما في كتاب الله .

قال : فإن لم تجد؟

قال : بما في سنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد؟

قال : أجتهد رأبي .

فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحب رسول

الله .

(١) المصدر السابق ص ٢٢٨ .

وشهد صهيب مع رسول الله ﷺ غزوة بدر الكبرى ورأى أبطال الإسلام الأول وهم يخرجون للملاقاة المشركين ، وقد أحاطوا بنبيهم وباعوا نفوسهم في سبيل الله . لقد خرجوا لا يرجون من الله إلا النصر ، نصر هذا الدين الذي أكرمهم بحمله ، أو الشهادة في سبيله ، ووعت أذن صهيب قول الرسول ﷺ وهو يقول بعد أن تأكد له أن قريباً لا تريد استخلاص القافلة ، ولكنها تريد الحرب : « أشيروا علي أيها الناس » .

فقام سعد بن معاذ سيد الأنصار وقال : كأنك يا رسول الله تريدنا . ؟  
قال : أجل .

قال : فامض يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد .

فقال رسول الله ﷺ : سيروا على بركة الله .  
وتم النصر للمسلمين .. وأخزى الله الكفر وجنده .

واشترك صهيب مع بقية المسلمين في حفر الخندق في غزوة الأحزاب واستمع إلى الرسول ﷺ وهو يقول :

« اللهم إن الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة » .  
فأجابوه وصهيب معهم :  
نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً .

وقرت عين صهيب ، وهو يشاهد اندحار الأحزاب بعد أن أرسل الله عليهم جنداً من عنده . فهتكت القباب وكفتت القدور ، ودفتت الرحال وقطعت الأوتاد فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد .

وجلس صهيب مع المسلمين وهم يتحلقون حلقاً أمام رسول الله ﷺ وهو يتلو عليهم قول الله تعالى بعد هزيمة الأحزاب : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ، من المؤمنين



رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا  
تبدلاً، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن  
الله كان غفوراً رحيماً، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين  
القتال وكان الله قوياً عزيزاً<sup>(١)</sup>.

لقد كان صهيب يكنى : أبا يحيى .

ويقول عن نفسه إنه من العرب .

وكان يطعم الطعام الكثير .

ولقد لفتت هذه الأشياء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له :

يا صهيب مالك تكنى أبا يحيى وليس لك ولد...؟

وتقول إنك من العرب وأنت رجل من الروم...؟

وتطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال...؟

فقال صهيب :

أما عن الكنية فإن رسول الله ﷺ كناني أبا يحيى .

وأما قولك في النسب وادعائي إلى العرب ، فإني رجل من النمر بن قاسط من

أهل الموصل ولكن سبيت ، سبني الروم غلاماً صغيراً بعد أن عقلت أهلي وقومي  
وعرفت نسبي .

وأما قولك في الطعام وإسرائي فيه فإن رسول الله ﷺ كان يقول :

«إن خياركم من أطعم الطعام وردَّ السلام»<sup>(٢)</sup> .

فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام .

لقد كان صهيب بن سنان رضي الله عنه نسيج وحده .. من الرجال التزم

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٢ - ٢٥ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٧٣٠ .

بكتاب ربه ، ونفذ سنة نبيه ، واقتدى بسلوكه في حله وترحاله ، وكان يرسم خطى نبيه في كل ما يأتي وما يدع . عرف أن الدنيا ليست بدار قرار فتخفف منها . وعرف أن المال عرض زائل فلم يتكالب عليه . فأطعم الطعام . وتصدق بالمال . وفرج كرب المكروبين لا يبغي من ذلك إلا التقرب من ربه ، باتباع تعاليم دينه وهديه . وكيف لا يكون صهيب بهذه الصورة وهو القائل :

« لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم ، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط ، حتى توفي رسول الله ﷺ » (1)

إنه دائماً بجوار القائد لا يتخلف عنه ، ولا يغيب عن مشهد يشهده وهو حريص كل الحرص على أن يفديه بروحه ... إن كان هناك مكروه أو خطر .

إنه الإيمان الذي خامر قلوبهم ، فوهبوا نفوسهم لدينهم وحرصوا كل الحرص على الالتفاف برسول الله ﷺ يدافعون معه ، ويبدلون نفوسهم رخيصة في إعلاء كلمة الله ، ويستمعون من هدي النبوة ، ويقتدون بكل ما يأتيه من قول أو فعل .

وفي غزوة حنين رأى صهيب رسول الله ﷺ يحرك شفثيه فاقرب منه أكثر حتى تعي أذناه ما يقول .. ولكنه لم يسمع شيئاً وكره أن يسأل رسول الله ﷺ عن ذلك حتى يجبرهم به .

ثم صلى رسول الله ﷺ صلاة الغداة فأخذ في تحريك شفثيه مرة أخرى .

عندها لم يطق صهيب صبراً فقال : يا رسول الله أراك تحرك شفثيك بشيء وكنت لا تفعله .

(1) حلية الأولياء ج 1 ص 101 .

فقال عليه السلام: إن نبياً كان قبلنا أعجبتة كثرة أمته فقال: «لا يروم هؤلاء» — أحسبه قال شيئاً —.

فأوحى الله تعالى إليه أن خير أمتك بين ثلاث: إما أن أسلط عليهم الموت، أو العدو، أو الجوع.

فعرض عليهم نبيهم ذلك فقالوا:

أما الجوع فلا طاقة لنا به، ولا طاقة لنا بالعدو، ولكن الموت. فمات منهم في ثلاثة أيام سبعون ألفاً.

فأنا اليوم أقول:

«اللهم بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل»<sup>(١)</sup>.

قال الرسول ﷺ ذلك في غزوة حنين عندما اغتر المسلمون بكثرتهم، حتى قال بعضهم: لن نغلب اليوم عن قلة.

نسي المسلمون في هذا الموقف أن النصر هو من عند الله — بعد اتخاذ أسبابه — ولن يكون ولن يأتي عن طريق العدد. أو العدة.

وفي هذا الموقف نزل قول الله تعالى:

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾<sup>(٢)</sup>.

... ويريد الله سبحانه وتعالى أن تتم هذه الرسالة الخاتمة، ويؤدي الرسول ﷺ ما كلفه به ربه، ثم يأتيه أجله. ويعيش المسلمون من بعده فترة يعملون لدينهم ويجهشون الجيوش لمحاربة أعدائهم حتى تم لهم ما أرادوا. وانتشر الإسلام في جنابات الأرض الأربعة.

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٥٥.

(٢) سورة التوبة الآية ٢٥.

ثم ماذا بعد هذا...؟

لقد لقت المسلمين فتنة عارمة ، فانقسموا على أنفسهم وأصبح بأسهم بينهم شديداً ، ويقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه .

ثم يبايعون علياً كرم الله وجهه ، فأين صهيب في هذا المعترك...؟

لقد انضم للحزب الذي بناوى الخليفة الجديد ولكنه كان يلتزم الصمت ويحاول مع مجموعة من الصحابة أن يجمع المسلمين على خير ، وهذه الواقعة التي يذكرها ابن الأثير تؤيد ما نرمي إليه من أنه التزم الصمت ولم يحاول الاشتراك في الفتنة بقول أو فعل .

«لقد سار كعب بن سور الى أهل المدينة يسألهم . فلما قدمها اجتمع الناس إليه — وكان يوم جمعة — فقال :

«يا أهل المدينة ، أنا رسول أهل البصرة إليكم ، نسألکم : هل أكره طلحة والزبير على بيعة علي أم أتباها طائعين» ..؟  
فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد رضي الله عنه ، فإنه قام وقال :  
«إنها بايعا وهما مكرهان !!» .

فوائبه سهل بن حنيف والناس ، فقام صهيب وأبو أيوب في عدة من أصحاب النبي ﷺ — ومعهم محمد بن سلمة — حين خافوا أن يقتل أسامة ، فقالوا : اللهم نعم . فتركوه .

وأخذ صهيب أسامة بيده إلى منزله وقال له : أما وسعك ما وسعنا من السكوت...؟

قال : « ما كنت أظن أن الأمر كما أرى »<sup>(١)</sup> .

ومات رحمه الله بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ودُفن بالبقيع . رحمه الله رحمة واسعة .

(١) تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٥ .

## أسباب نزول الآيات

قال سعيد بن المسيب : أقبل صهيب مهاجراً نحو رسول الله ﷺ ، فاتبعه نفر من المشركين ، فنزل عن راحلته ، ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال :  
« يا معشر قريش ، لقد علمتم أني من أركامكم رجلاً وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ، ثم أضرب بسيني ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم .  
فقالوا :

دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك ، وعاهدوه إن دلمهم أن يدعوه ، ففعل .  
فلما قدم على النبي ﷺ قال :

أبا يحيى ربح البيع ، ربح البيع ، وأنزل الله قوله تعالى :  
﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾ (١) .  
وقال المفسرون :

أخذ المشركون صهيياً فعذبوه . فقال لهم صهيب : إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم ، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتدروني وديني ؟ .  
ففعلوا ذلك . وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة ، فخرج إلى المدينة فلتقاه أبو بكر وعمر في رجال :  
فقال له أبو بكر : ربح بيعك أبا يحيى .

(١) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

فقال صهيب : وبيعتك فلا يخسر. ما ذلك؟

فقال : أنزل الله فيك كذا وقرأ عليه الآية .

وأخرج الحاكم في المستدرک نحوه من طريق بن المسيب عن صهيب موصولاً ،  
وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة .

وأخرجه أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بتزول  
الآية وقال صحيح على شرط مسلم .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : نزلت في صهيب وأبي ذر ، وجندب بن  
السكن أحد أهل أبي ذر .

وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال  
تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل  
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من  
الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (١) .

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

## تذليل ...

ماذا فعل الاسلام بهؤلاء الرجال ..؟ رجال الجيل الأول .  
وما هي المعطيات التي قدمها لهم حتى آثروه على الأهل والمال والولد .؟  
إن الواقع يقرر أن حب النفس لهذه الأشياء عميق ومتأصل في داخلها ولا  
تستطيع الانفكاك من أسرهِ إلا بمشقة قال تعالى :  
﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب  
والفضة ﴾<sup>(١)</sup> .

فكيف تخلصوا منها وتحرروا من ثقل قيودها .؟

الحقيقة التي يقرها تاريخهم أن وسيلتهم إلى ذلك كانت هي الإيمان .. الإيمان  
الذي ملأ قلوبهم ، وسيطر على كل جارحة من جوارحهم ، فوضح أمامهم حقائق  
الحياة ، كما بينها الله سبحانه وتعالى ، وكما أرادها لهم فعرفوا أن هذه الأشياء — وكل  
عرض من أعراض الدنيا زينة .

وفرق كبير في ميزان الاسلام بين الزينة والقيمة .

وهذه الحقيقة هي التي توصل اليها صهيب بن سنان عندما عرف الاسلام طريقه  
إلى قلبه ، وعرفها عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وكل المهاجرين الذين قرؤوا  
بدينهم إلى يثرب ، وتركوا المال والأهل والولد .

(١) سورة آل عمران آية ١٤ .

فماذا فعل صهيب بعد أن عرف قآمن ؟.

لقد وضع ماله وحياته ، وكل ما يربطه في هذه الحياة في كفة ، ووضع في الكفة الأخرى دينه ومحبة الله ورسوله ، فرجحت الأخيرة ففرَّ مهاجراً إلى ربه .

والمشاهد في حياتنا المعاصرة أن كثيراً من الناس قد شغلهم جمع المال وكنزه ، ومحاولة الحصول عليه ، وسلكوا في سبيل ذلك كل الطرق وطوفوا بالعديد من المسالك . وتراهم وهم يتكاثرون على ذلك لا يهتمهم إن كانت هذه الطرق التي يسبسون فيها شريفة أو غير شريفة ، تتفق مع شرع الله ومع القواعد التي قعدها أو تختلف معها ، تليق بكرامة الانسان الذي فضله الله وكرمه على كثير من خلقه أو لا تليق .

فكل هذه الأشياء لا تخطر لعباد المال على بال ؟

وتراهم في سبيل تحقيق هذه الغاية — غاية جمع المال وكنزه يضحون بأغلى القيم عندهم ، ويهملون أولادهم وزوجاتهم ، ويتجاهلون تعاليم دينهم وأوامر ربهم . وهؤلاء قد يطول بهم العمر ، وتمتد بهم السنون ، وهم سادرون فيما هم فيه ، غارقون ومستغرقون في المضاربات والمحاسبات وموازنة الربح والخسارة . ثم يفيقون على الحقيقة المرة ، ويتنبهون في نهاية الطريق عندما يولي شبابهم ، وتذبل زهرة أيامهم ، وتركهم الدنيا على قارعة الطريق .

وقد لا يتنبهون إلا بعد فوات الأوان عندما يقترب ملك الموت من قبض نفوسهم ، وازهاق أرواحهم .

ولو حكّم هؤلاء عقولهم لأدركوا أن المال عرض زائل، وعارية مردودة ومطية لنا نستعمله عندما نريد ، وليس من الحكمة أن نعكس قانون الحياة ونقلب ناموس الكون ، ونصبح مطية للمال — نقله على ظهورنا من بنك إلى بنك ، ونقف « كالديدبان » حراساً عليه — ونلهث خلفه من مكان إلى آخر .



إن المال الذي يزيد عن الحاجة — يدخل في حساب الفائض ، هذا الفائض هو  
أخطر ما تصاب به الجماعات والأفراد أياً كان نوعه .

فإذا كان فائضاً في الوقت تحول إلى ملل مدمر يصيب النفس بالكآبة ويحول  
الأيام إلى جحيم قاتل .

وإذا كان فائضاً في الجنس — ولا ضابط له من شرع ودين — حول صاحبه إلى  
غول مدمر — يعيث في الأرض فساداً بالاعتداء على أعراض الآخرين وحرمتهم .  
وتتحول الحياة به أو معه إلى مباءة للرجس والفجور .

والفائض في الثروة ، عبء على صاحبه — وإن لم يشعر بذلك — وذلك  
بانشغال فكره عند عده ونقده — وقد يكون عاملاً من عوامل التدمير والانفلات  
من قواعد الخلق والدين ، ومسرح الحياة وما يجري فيها دليل وشاهد على ذلك .

من هنا كانت دعوة الاسلام إلى الاعتدال والانضباط . ومطالبة الفرد في عدم  
الاسراف والتبذير في هذا الفائض — سواء أكان وقتاً أو مالاً أو جنساً أو طعاماً .

فالاسراف في الطعام فائض يضر الجسم ، ويفسد الأجهزة في داخله ويصيب  
الانسان بالكسل والحمول .

والاسراف في العبادات — هروب من تعيير الكون ، وابتعاد عن العمل في  
مرضاة الله — ولهذا نهى الرسول ﷺ قوماً أرادوا أن يشغلوا وقتهم كله بالعبادة  
— هروباً من العمل — وإخلاداً للراحة أو ظناً منهم أن ذلك يقربهم إلى الله .

جاء في الصحيحين من رواية أنس — رضي الله عنه — قال : جاء ثلاثة رهط  
إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا عنها كأنهم  
تقالوها .

قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ .

قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً .

وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .

وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنني لأحشاكم لله وأتقاكم له . ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وبعد ، لقد هاجر صهيب بن سنان لينضم للجيش الذي اراد الرسول ﷺ أن يعده لفتح مكة وتطهيرها من عبث الوثنية ورجس الأصنام ، ولم يمض على الهجرة إلى يثرب إلا فترة وجيزة من عمر الزمن حتى تحقق للمسلمين ما أرادوا وعادوا إلى مكة مهللين مكبرين يحطمون الأصنام ويقهرون الكفر وأهله — ويرددون في داخل الكعبة — كلمة التوحيد ، ووقف الرسول ﷺ على بابها مردداً :

لا إله إلا الله .

صدق وعده .

ونصر عبده .

وأعزَّ جنده .

وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله .

فمن القائد الجديد الذي يفعل كما فعل صهيب بن سنان ؟ .

من القائد الجديد الذي يترك ماله ومعها الدنيا وكل ما حوت وبهاجر في رحلة إلى ربه ، يعود بعدها لاعداد جيش الإيمان وتنظيم جنود الحق والرحمن ؟

نعم من القائد الذي يحرر أرض الاسلام ويعمل على جلاء البهتان ويعيد المشردين إلى أرضهم وديارهم ؟

تري من يكون هذا الرجل.؟

وفي أي البقاع أو البلدان يكون ظهوره.؟

الله يعلم أن المسلمين الآن وفي كل بقاع الأرض ينتظرون فجره وبزوغ نجمه فهل تتحقق الأمانة.؟ ويعيد التاريخ نفسه.؟

نتمنى من الله ذلك !!

الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَلَا

قال تعالى :

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا  
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء آية رقم ٦٥ .

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين ورجال السنن نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الأنصار.

- |                                   |                   |
|-----------------------------------|-------------------|
| قال ذلك الامام ابن كثير في تفسيره | ج ٢ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ . |
| وقاله الامام القرطبي في تفسيره    | ج ٥ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ . |
| وقاله الامام الطبري في تفسيره     | ج ٨ ص ٥١٨ — ٥١٩ . |
| ورواه النسائي                     | ج ٢ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ . |
| ورواه الامام أحمد في مسنده        | ج ٤ ص ٤ — ٥ .     |
| ورواه الامام البخاري              | ج ٦ : ٢٦ — ٢٨ .   |
| ورواه الامام مسلم                 | ج ٢ : ٢٢١ .       |

فمن هو الزبير بن العوام؟ ..

## الزبير بن العوام رضي الله عنه

حواري رسول الله ﷺ وفارس عرفته المعارك وفر من أمامه الفرسان ، وأحد الرجال السابقين للإسلام ، وأحد الستة من رجال الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليختاروا من بينهم خليفة من بعده .  
.. والده العوام بن خويلد ، قتل يوم حرب « الفجار » .  
وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمه الرسول ﷺ وشقيقة حمزة .

يجتمع نسب الزبير ونسب رسول الله ﷺ في قصي بن كلاب وينسب إلى أسد ابن عبد العزى بن قصي ، فيقال الأسدي .

وقد قال الزبير لابنه عبد الله : كانت عندي أمك ، وعند رسول الله ﷺ خالتك عائشة ، وبيني وبينه من الرحم ما قد علمت ، وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدته ، وأمي عمته ، وأمه آمنه وجدتي هاله بنتا وهب بن عبد مناف ، وزوجته خديجة بنت خويلد عمتي .

فهو من أسرة عريقة في النسب ، كان لها دورها في الجاهلية والإسلام تعود رجالها أن يجندلوا الأبطال ويلقوا مصارعهم في أتون المعارك دفاعاً عن العرض والمال ، وحمي الديار .

من أجل ذلك ترمى الزبير منذ نعومة أظفاره تربية قاسية عنيفة ، وأعد إعداداً كاملاً لمصارعة الفرسان .

ومن وسائل الإعداد لتلك المهمة ، أنه كان يتلقى الضربات الموجعة من أمه وينال على يديها الركل والتعذيب ، ولقد مرَّ عليها أحد رجالات الأسرة وشاهد ما تفعله أمه فيه .. فتقدم إليها قائلاً :

قتلته ، خلعت فؤاده ، أهلكت هذا الغلام .

قالت : إنما أضربه كي يَلْبُ ويَجْرَّ الجيش ذات الجَلْبُ .

وفي ذروب مكة ووديانها ، كان يزاول هوايته المحببة مع أتراه ، ويطبق عليهم الدروس العنيفة التي يتلقاها من أمه . الأمر الذي ترتب عليه كسر ذراع غلام .

وعندما علمت أمه بذلك ، كان هذا مدعاة لسرورها وفخرها .

أسلم مبكراً عندما علم بدعوة الاسلام وهو ابن ست عشرة سنة فعلقه عمه في حصير ، ودخّن عليه ليرجع إلى الكفر فكان يقول :  
( لا أكفر أبداً ) .

لقد ذاق حلاوة الايمان وأضاء قلبه بنور الاسلام ، فبحال أن يعود إلى ظلام الجاهلية ، أو الى ربة الأصنام ..

وعندما أذن مؤذن الهجرة إلى الحبشة كان الزبير بن العوام في مقدمة المهاجرين إلى هناك . حيث لقي المسلمون في جوار النجاشي كل رعاية وعناية ، وعندما نازع النجاشي رجل من الحبشة ، حزن المسلمون لذلك حزناً شديداً . وأخذوا يترقبون أخبار المعركة بينه وبين خصمه ، التي كانت تدار على الجانب الاخر من النيل ، ولما لم تسعفهم رواية الأخبار ، اجتمع المسلمون على أرض الحبشة وقالوا : من رجل يخرج إلى أرض المعركة ثم يأتينا بالخبر ؟ ..

فقال الزبير (أنا) وكان احدث القوم سناً ، فنفضخوا له قرية فجعلها في صدره ،



ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم.. ثم انطلق حتى حضرهم.

وانتصر النجاشي على عدوه، فعاد الزبير إلى المسلمين ليبشرهم بهذا النصر قائلاً:

(ألا ابشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه، ويمكن له في بلاده).  
ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً.

وعاد الزبير مرة أخرى إلى مكة مع العائدين عندما علموا بخديعة قريش وإشاعتهم الصلح بينهم وبين محمد، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وإذا كان سعد بن أبي وقاص أول من أراق دماً بمكة بعد دعوة الاسلام فإن الزبير بن العوام، كان أول من سل سيفاً عندما أذاع المشركون (أن رسول الله ﷺ قد قتل).

فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلى مكة فقال النبي ﷺ مالك يا زبير؟؟؟

فقال: أخبرت أنك أخذت.

فأثنى عليه، ودعا له ولسيفه،

وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، ورأى الزبير أن أحبابه وأصحابه أخذوا يتفلتون الواحد تلو الآخر، في رحلات متتابعة إلى المدينة، وأحس إن تواني في الهجرة، لن يبقى معه أحد من الصفوة المختارة، فكلهم لا يطيقون فراق رسول الله ﷺ ولا يقبلون الحياة بعيداً عنه.

وقرر أن يلحق بالرسول ﷺ وهاجر بمفرده حتى دخل المدينة فنزل على المنذر ابن محمد بن عقبة.

وأخي النبي ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش الذي استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الإمامة .

وفي المدينة عاش الزبير بن العوام جندياً من جنود الاسلام، يعمل بأوامر رسوله، ويأتمر بأمر القائد.. حتى كان يوماً وهو يصلي في المسجد ركعات لربه ويتبذل ببعض آيات من قرآنه، اذ سمع جلبة وضوضاء خارج المسجد وما كاد يتفقت من صلاته، حتى خرج مسرعاً يستطلع الخبر..

وكم كانت فرحته عندما علم بأنه رزق بغلام من زوجته أسماء بنت أبي بكر، ولقد كان سروره عامراً ومعه كل المسلمين، لأن عصاة الكفر من اليهود قبل ذلك قد أشاعوا (أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم) فكان ابنه عبد الله أول مولود في الاسلام للمهاجرين بالمدينة..

وعندما ركبت قريش رأسها وجاءت لحرب الرسول في موقعة بدر، كان الزبير ابن العوام يركب فرسه ويعتمر بعمامة صفراء ويقود ميمنة الجيش وجندل من ضناديد قريش عبدة بن سعيد بن العاص، ونوفل بن خويلد بن أسد وجرح جرحين غائرين.

وفي غزوة أحد ثبت مع الرسول ﷺ وبايعه على الموت وكانت مع الزبير إحدى رايات المهاجرين الثلاث.

وعندما جاء الأحزاب وحاصروا مدينة الرسول ﷺ واضطرب المسلمون وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، قال رسول الله ﷺ:

من يأتيني بخبر القوم..؟

فقال الزبير: أنا.

فقال: من يأتيني بخبر القوم..؟

فقال الزبير: أنا.

فقال : من يأتيني بجزير القوم ..؟

فقال الزبير : أنا .

فقال النبي ﷺ إن لكل نبي حورياً وان حواربي الزبير .

مرحى يا ابن العوام ، لقد أجبت داعي الله وداعي رسوله ، وكنت لديك حافظاً ولربك شاكراً ولنبيك مخلصاً حتى مات وهو راض عنك ...

عن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال :

قلت لأبي يوم الأحزاب : قد رأيتك يا أبت تحمل على فرس أشقر؟

قال : قد رأيتني أي بني ؟

قلت : نعم .

قال : فإن رسول الله حينئذ جمع لي أبويه يقول : فذاك أي وأمي .

وانتهت غزوة الأحزاب بفرار عصاة الشرك والكفر وفتح الله على المسلمين وبشر الرسول ﷺ أصحابه بأن قريشاً لن تغزوهم بعد اليوم .. إذن الطريق ممدد إلى مكة ، وشوق المسلمين إلى الكعبة يزداد وبشرى القرآن بدخولهم المسجد الحرام إن شاء الله تملأ حياتهم ، وتجمال أيامهم ، وتحول بينهم وبين النوم .

حتى كان يوم نقضت قريش العهد الذي بينها وبين المسلمين ، اذن لا بد من فتح مكة ، وتطهيرها من الأصنام ، وتأديب تلك الفئة الباغية التي لا تحفظ عهداً ولا ترعى حرمة .

وسار جيش الله بقيادة الرسول ﷺ متجهاً نحو مكة وكان المقداد بن الأسود على مجنبة الجيش اليمنى ، وكان الزبير بن العوام على مجنبة الجيش اليسرى .

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ، وهدأ الناس جاءا بفرسيهما فقام رسول الله ﷺ ، يمسح الغبار عن وجهيهما بثوبه وقال :

إني قد جعلت للفارس سهمين ، وللفارس سهماً فننقصهما نقصه الله .

إن هذا العمل من رسول الله ليدل على فهم عميق لطبيعة القيادة ، ودراسة واعية للنفس البشرية ، هذه اللمسات التي يقدمها القائد لجنوده كم تكلفه ؟ لا شيء الا النذر اليسير من وقته .

ولكنها في داخل نفوس الجنود تعمل عمل السحر ، وتجعل الجندي يدخل المعركة لا يبالي بما يناله سوى رفع كلمة الله أو الشهادة .

إن هؤلاء العالقة الذين تربوا في مدرسة الاسلام كانوا نماذج فريدة في تاريخ البشر . ونرجو من الله أن تتكرر ما دام كتاب الله الذي صنع تلك النماذج لا زال بين أيدينا ، وهدى الرسول ﷺ ليس ببعيد عنا .

فلما مات الرسول ﷺ كان جندياً عارفاً لطبيعة عمله الذي يجب عليه أن يؤديه في غياب صاحب الرسالة .. فهو مرة يعيد العقل إلى مانعي الزكاة في الجزيرة العربية .

وأخرى يرسل مدداً على مشارف الروم ليشارك في معركة اليرموك الفاصلة ، وثالثة على أرض مصر مع عمرو بن العاص محاصراً (حصن بابلون) وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر فقبل للزبير إن به الطاعون فابتعد عنه فقال :  
(إنما جئنا للطعن والطاعون) .

ثم يتقدم إلى عمرو بن العاص قائلاً :  
يا عمرو اني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوافقه عمرو على ذلك .

فتقدم الزبير ووضع سلماً واسنده الى جانب الحصن ثم صعده ، وأمر بقية الجنود إذا سمعوا تكبيره أن يجيبه جميعاً .

وأخذ الاعداء على غرة ، وأصابهم الهول والفرع عندما شاهدوا الزبير على رأس الحصن يكبر والجنود من خلفه يتدققون .  
وانتهت بفتح الحصن المعركة الحاسمة لفتح مصر .

وطلب المقوقس الصلح ، فأجابه المسلمون إلى ما طلب ، وكان الزبير بن العوام وابنه عبد الله ومحمد شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين ..

صدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله :

الزبير عمود من عمد الاسلام ، وركن من أركان الدين .

ثم ماذا؟ حدث في صفوف المسلمين شرح كبير ، وحدثت الفتنة التي كان يتعوذ منها عمار بن ياسر ، واضطرب أمر الجماعة ، وقتل عثمان رضي الله عنه ، وأصبح المسلمون بلا خليفة فترة .

تقول بعض الروايات التاريخية : اجتمع بعد قتل عثمان أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا له :

« لا بد للناس من امام » .

فقال : لا حاجة لي في أمركم ، فن اخترتم رضيت به .

فقالوا : ما نختار غيرك .

وترددوا اليه مراراً وقالوا له : إنا لا نعلم أحداً أحق به منك ، ولا أقدم سابقة ، ولا أقرب قرابة من رسول الله ﷺ .

فقال : لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً .

فقالوا : والله ما نحن فاعلين حتى نبايعك .

قال : ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد .

فكان أول من بايعه طلحة بن الزبير .

فقال لها : إن أحببنا أن تبايعاني ، وإن أحببنا نبايعتكما .

فقالا : بل نبايعك .

وتمت البيعة لعلي ثم استأذن طلحة والزبير في العمرة فأذن لها فلحقا بمكة والتقيا بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فحرضها على الخروج وقتال علي فأجابتهم لذلك ..

وقبل أن يتحرك الجيش أحس الزبير أنها معركة خاسرة ، فقال لابنه عبد الله الذي كان بجواره : يا بني لا يقتل إلا ظالم أو مظلوم ، وإني لأراني إلا سأقتل مظلوماً ، وإن من أكبر همي ديني الذي عليّ . أفترى ديننا يبني من مالنا شيئاً ؟ ثم قال : يا بني بع مالنا واقض ديني .

ثم تابع حديثه بقوله : وإن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه مولاي . قال عبد الله : فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبت من مولاك ؟ قال : الله .

يقول عبد الله : فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت يا مولاي الزبير اقض عنه دينه فيقضيه .

وبلغ علياً خروجهم إلى البصرة فخرج هو أيضاً ، وحاول بكل وسيلة أن يتفادى الحرب بين الطرفين . وعمل على مقابلة طلحة والزبير حتى تحقق له ذلك . فقال علي : يا زبير ما أخرجك .. ؟

فقال : أنت . ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا . فقال له : تذكروا يوم مررت مع رسول الله ﷺ وهو متكئ على يدك ، فسلم عليّ رسول الله ﷺ وضحك إليّ ثم التفت إليك فقال لك :

« يا زبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم » .

فقال الزبير : اللهم نعم فقال علي : فعلام تقاتلني ؟ » .

فقال الزبير : نسيتهما والله لو ذكرتها ما خرجت إليك ولا قاتلتك .

ثم التقى به عبد الله بن عباس فقال له :

« أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد

المطلب » .

ثم سمع أن عمار بن ياسر موجود مع علي بن أبي طالب فخاف أن يقتل عمار وقد

قال النبي ﷺ :

« يا عمار تقتلك الفئة الباغية ».

فدخل على عايشة رضي الله عنها فقال :

« يا أمه ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام إلا ولي فيه رأي وبصيرة غير هذا الموطن ، فإنه لا رأي لي فيه ولا بصيرة ، اني لعل باطل » .  
وقال لابنه : اني راجع ، ولا تعد هذا مني جبناً ، فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية ولا إسلام » .

وعاد الزبير أدراجه ولم يقاتل علياً وانطلق براحلته يريد المدينة ، فلقبه رجل يقال له الثغر بن زمام فقال له :

يا حوارى رسول الله إليّ إليّ فأتيت في ذمتي لا يصل اليك أحد من الناس . فرآه رجل من بني تميم فأقبل على الأحنف بن قيس فقال :

« هذا الزبير في وادي السباع » .

فرجع الأحنف صوته ، وقال هذا هو الزبير في وادي السباع يريد اللحاق بأهله فسمعته مجموعة من الرجال فاقبلوا نحوه . وركبوا أفراسهم في طلبه ، فلحقوه فحمل عليه عمرو بن جرموز قطعة خفيفة ، فحمل عليه الزبير ، فلما ظن أن الزبير قاتله قال : الله ، الله يا زبير . فكف عنه .

ثم سار فحمل عليه القوم جميعاً فقتلوه ، رحمه الله .

وأخذ ابن جرموز سيفه حتى أتى به علياً فأخذه علي وقال :

« سيف والله طالما جلا به عن وجه رسول الله ﷺ الكرب » .

ودفن الزبير رحمه الله بوادي السباع ، وجلس علي يبكي عليه هو وأصحابه وجاء ابن جرموز يستأذن علي فاستجفاه فقال — كلمة أحفظت علي . فقال علي رضي الله عنه : بغيك التراب ، إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم :

﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾ (١)  
مات الرجل الورع التي الذي كان يخاف الله ويخشى عقابه ، ويتحرج أن يروي  
عن رسول الله ﷺ .  
قال له ابنه عبد الله : ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث عنه  
أصحابه ؟ ..

فقال : أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنني سمعته يقول :  
« من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .  
رحم الله الزبير وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من خير للاسلام  
والمسلمين » .

(١) سورة الحجر آية رقم ٤٧ .



## أسباب نزول الآيات

روى الإمام البخاري بسنده عن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلاً في سقي بستان فقال النبي ﷺ :

« اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك » .

فقال الأنصاري : يا رسول الله ان كان ابن عمك .؟

فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال :

« اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الماء إلى الجُدْرَ ثم أرسل الماء إلى جارك » .

فاستوعب النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري ، وكان اشار عليهما ﷺ بأمر لها فيه سعة .

قال الزبير : فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ .

وهناك رواية عن أبي الاسود قال : اختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقضى بينهما . فقال المقضي عليه : ردنا إلى عمر بن الخطاب .

فقال رسول الله ﷺ : نعم انطلقا إليه .

فلما أتيا إليه ، فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا

فقال : ردنا إلى عمر بن الخطاب فردنا إليك .

فقال عمر : أكذلك ؟

قال : نعم .

فقال عمر : مكانكما حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما ، فخرج اليها مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله ، وأدبر الآخر ، فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : قتل عمر والله صاحبي ، ولولا أني أعجزته لقتلني .

فقال رسول الله ﷺ ما كنت أظن أن يجترأ عمر على قتل مؤمن .

فأنزل الله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ﴾ الآية .

فهدر دم ذلك الرجل وبريء عمر من قتله .

## تذييل ...

لا بد من تحكيم أوامر الرسول ﷺ ونواهيه التي هي أوامر الله تعالى ونواهيه ، في كل ما نأتي من أمر أو نسلك من سلوك .

والقرآن الكريم يطالب المسلمين باتباع أوامر الرسول ونواهيه قال تعالى :  
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (١) .  
وما دام ذلك كذلك ف « من يعطع الرسول فقد أطاع الله » .

ومن طاعة الرسول أن نتلمس طريقة حياته التي تعتبر مواد السلوك للفرد المسلم والجماعة المسلمة ، والدستور الخالد الذي يخرج صاحبه من عثرات الهوى وكيونات الضلال .

والمتتبع لأحاديث الرسول ﷺ يرى أنه تناول حياة الفرد في الصغير منها والكبير ، ونظم سلوكه وأخلاقه بأوسع ما تضمنته كلمة أخلاق .

وهذا التنظيم يتناوله منذ أن يصبح إلى أن يمسي ، ومنذ ميلاده إلى أن تنتهي به الحياة ، ثم ينظم شئون ميراثه ، إن كان له ميراث . إنه ينظم سلوكه مع نفسه يقول الرسول ﷺ لعمره سفيان بن عبد الله الثقفي :  
« قل آمنت بالله ثم استقم » .

(١) سورة الحشر آية رقم ٧ .

وينظم سلوكه مع مجتمعه يقول الرسول عليه السلام : اتق الله حيثما كنت وأتبع  
السيئة الحسنة تحمها وخالق الناس بخلق حسن .

وينظم سلوكه مع ربه ، ويمكن العبد الفاني الضعيف من الاتصال بخالقه  
والقرب منه ، وفي الحديث القدسي :

« ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي  
يسمع به وبصره الذي يبصره ، ويده التي يبطش بها ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن  
استعاذني لأعيذنه . »

ومن تحكيم الرسول ﷺ في أمورنا أن نلتزم أوامره فان دعا إلى العلم التزم الفرد  
بالعلم ، وإن دعا إلى الأخلاق التزم بالأخلاق ، وإن دعا إلى القوة بحث ونقب عن  
أسباب القوة وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فلا بد من طلبه من المهد  
إلى اللحد ، ولا بد من الضرب في فجاج الأرض بحثاً عنه ، والعلماء ورثة الأنبياء ،  
والخشية من الله والخوف منه خاص بالعلماء ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١)  
ولن يحول بعد المسافة أو وعورة الطريق عن السعي لطلب العلم ( اطلب العلم ولو  
بالصين ) .

وطلاب العلم تحفهم الملائكة وتنزل عليهم الرحمة وتغفرهم السكينة .  
يقول الرسول ﷺ :

( ما من قوم اجتمعوا في بيت من بيوت الله يذكرون الله ويتدارسون العلم إلا  
حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ) .  
والعلم في الاسلام يتناول كل موجود ، وكل ما يوجد ، فهو علم أعم من العلم  
الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر ، فالعلم عبادة وفي الأثر :  
( فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ) .

(١) سورة فاطر آية رقم ٢٨ .

ومن خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع .  
وإذا كانت رسالة الاسلام دعوة الى العلم ، فلا بد أن تكون القراءة وأن يكون  
العلم باسم الرببي .

(اقرأ باسم ربك) .

تعلم العلم باسم ربك .

اضرب في فجاج الأرض للبحث عن كنوزها وكشف مخبياتها باسم ربك ، ضع  
يدك على سلاحك لترد كيد الكائدين ، وتطهر الأرض من الغاصبين باسم ربك .  
فلن يكون طلب العلم باسم بشر من البشر ، أو باسم فرد من الناس أياً كان هذا  
الفرد مصلحاً اجتماعياً أو زعيماً سياسياً أو مربياً عالمياً فمن خرج عن هذا الطريق أو  
انحرف عن هذا النهج ، أو أخذ بعض الكتاب وترك بعضه فهو لم يرض بحكم الله  
وحكم رسوله .

والعلم يجب أن يكون باسم الخبير الصانع ، باسم الخالق المبدع الذي أوجد الجهاز  
الآدمي ، وصنع أجزائه ومركباته ، وأوجد سمعه وبصره وقدر حياته وموته ، وحدد  
رزقه وأجله ، لأنه وحده القادر على وضع ما يصلح حياته ومحقق سعادته ، ومعلم  
حياته بالأمن والاطمئنان .

ومن تحكيم شرع الله ، والاطمئنان اليه ، أن نستفيد من تجارب الآخرين في كل  
مجالات الحياة شريطة أن نستعملها باسم الله وفي سبيل الله .. ولنضرب لذلك مثلاً :  
فالمدفع انتاج بشري ساهمت في تطويره وصنعه أجيال من البشرية متتابعة ،  
ولكنك حين تستخدمه في الاعتداء على الآخرين أو في قتل الأطفال والنساء .  
إذا استخدمته في تخريب الأرض وإشاعة الدمار فيها .

إذا استخدمته في ازعاج الآمنين واغتصاب أرضهم وديارهم . فأنت لا تحكم  
شرع الله ولا تلتزم بأحكام الرسول ﷺ .

فشرط استخدامه في الاسلام أن يكون إحقاقاً لكلمة الله في الأرض وأن يكون الدين كله لله ، قال تعالى :

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾<sup>(١)</sup> .

وقس على ذلك كل المخترعات الحديثة .

فوسائل العرض ، والإذاعة المرئية يمكن أن تستعمل في عرض العواطف النظيفة ، والانسانية الرفيعة ، وصراع البشرية في سبيل الخير .

يمكن استخدامها في زيادة الانتاج الزراعي والحيواني بعرض تجارب الآخرين في هذا الميدان والاستفادة من خبراتهم .

يمكن استخدامها في ميدان الصناعة والتطور «التكنولوجي» بعرض نماذج حية من تنسيق العقول في هذا المضمار .

يمكن استخدامها في تكتيك الحروب وخدع المعارك والاستفادة من خطط الآخرين في ميدان الحروب والقتال .

يمكن استخدامها في ميدان الطب والوقاية الصحية .

يمكن استخدامها في دور التعليم بمراحله المختلفة .

ولكننا لن نكون محكمين شرع الله ورسوله ولسنا بمؤمنين إذا كنا نستخدمها في عرض الشهوات الفاجرة ، والنظرات الداعرة والانسانية الهابطة ، وصور المجتمعات التي تردت في حمأة الرذيلة من كل نوع التي تسمى بمسميات مختلفة .

مرة باسم الأخلاقيات وهي منحرفة عن هدى السماء .

ومرة باسم الفكر وهي لا تلتزم بكتاب الله .

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٣ .

وثالثة باسم الحضارة ، وهي تعيد لنا تردي الجاهلية واسفاف الهمجية اذا كانت الحضارة هي الخمر والميسر .

وإذا كانت الحضارة هي الدعارة الخلقية .

وإذا كانت الحضارة بيع النساء في سوق النخاسة .

إذا كانت كذلك فنحن لا نريدها ولا نقبلها لأنها حضارة التعفن والطين ، حضارة الغاب وشريعة الذئاب .

أما حضارتنا التي تؤمن بها وتدعو لها فهي حضارة التعمير والبناء حضارة الايمان والاسلام ، حضارة السلام والحب .

النَّبَاشِي

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

لَتَجِدَنَّ

أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا<sup>ط</sup>

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ<sup>ع</sup>

ذَلِكَ إِنْ مِنْهُمْ قَسْبِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا<sup>ط</sup>

مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ

الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق العلماء على أن المقصود بهذه الآيات هو النجاشي ملك الحبشة.

قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ٢ ص ٣٠٣.

والإمام الطبري في تفسيره ج ١٠ ص ٤٩٩

وفي تفسير الخازن ج ٢ ص ٦٧.

وفي أسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ١٩٦

فمن النجاشي هذا...؟

## النجاشي

على بطحاء مكة الملتهبة بأشعة الشمس المسلطة ، وفي الرمضاء المحرقة ، طرحت أجساد الفئة المؤمنة حتى تعود إلى دين الآباء والأجداد . وبقطع الحديد المحرمة على النار المشتعلة طبعت قريش على أجساد وأبشار أصحاب محمد بن عبد الله ﷺ حتى يكفوا عن قولتهم المرعبة لقريش والمحبية إلى نفوس المؤمنين «أحد ، أحد» (١) . وبالسياط ذات الشعب المتعددة والتي شبعت بالزيوت والدهون أدمت ظهر عمار ، وصهيب ، وبلال .

إن هذه الدعوة الجديدة فيها القضاء الكامل على نفوذهم وصولحانهم في الجزيرة العربية وخارجها . وركبت قريش رأسها ولم تسمع قولاً أو تستجب لنصيحة وأخذت تصب جام غضبها على هؤلاء . وسلطت عليهم حديدتها ونارها . وتساقط القتلى من أصحاب هذه الدعوة ، وأرмضت أجسام البقية الباقية تحت قفل الحجارة ، وفَتَّ في عضد البقية منهم . عندها قال الرسول ﷺ لأصحابه المستضعفين : « لو أخرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه » (٢) .

فمن هذا الملك الذي لا يظلم عنده أحد .. ؟ ومن يكون حتى يحظى بهذه الشهادة من الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى .. ؟

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ١٩٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٠٣ .

إنه أصحمة بن أبحر — وتفسيره عطية<sup>(١)</sup> — وكان ملكاً للحبشة في فترة بعثة الرسول ﷺ ، ومن عجائب القدر أن هذا الملك عاش فترة في جزيرة العرب عبداً رقيقاً ورعى الغنم لسيدته الذي اشتراه في منطقة قريبة من بدر ، وفوق الصحراء الممتدة عبر الأفق وفي الليالي المقمرة في تلك البقاع ، ومع السكون الشامل الذي يلف الكون كله صفت نفسه ورفرت مسبحة باسم الخالق المبدع لهذا الوجود ، وكان لوجوده في الجزيرة العربية قصة ، تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

« إن أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكناه أخاه ، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثنا عشر رجلاً فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا . فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه ، فهكثوا على ذلك حيناً ونشأ النجاشي مع عمه ، وكان ليبياً حازماً من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأته الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لتتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه فمشوا إلى عمه . فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فإننا قد خفناه على أنفسنا . قال : ويلكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم... ؟ بل أخرجته من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه لرجل من التجار بستائة درهم ، فقدمه في سفينة فانطلق به ، وكان الذي اشتراه من العرب من بني ضميرة<sup>(٢)</sup> . وحكي النجاشي عن نفسه : أنه كان يرعى الغنم لسيدته بوادي يقال له بدر كثير الأراك<sup>(٣)</sup> . ومكث فترة طويلة بأرض العرب تعلم من لسانهم وعرف لهجاتهم واكتسب الكثير من صفاتهم .

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) الروض الأنف : عبد الرحمن السهيلي ج ٣ ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق وذكر ذلك النجاشي عندما علم بوقعة بدر بين الرسول صلى الله عليه وسلم وكمفار قريش .

ثم ماذا..؟ تقول الروايات التاريخية : إن سحابة من سحاب الخريف هاجت فخرج  
 عمه يستمطر تحتها — في أرض الحبشة — فأصابته صاعقة فقتلته . ففرغت الحبشة  
 إلى ولده ، فإذا ولده في غفلة من الأمر ليس فيهم خير ، فرج على الحبشة أمرهم .  
 فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك . قال بعضهم لبعض : « تعلموا والله أن ملككم  
 الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعث للأعرابي فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة ،  
 فأدركوه واجتأوا عنه . » فخرجوا في طلبه ، حتى عثروا عليه . فاعتذروا له فجاءوا به  
 وملكوه عليهم .

واستجاب المسلمون لأمر قائدهم وهاجروا من مكة متجهين إلى أرض الحبشة  
 وأخذ شاعرهم يردد على وقع خطاهم :

يا راكباً بلغن عني مغللة من كان يرجو بلاغ الله والدين  
 كل امرئ من عباد الله مضطهد يبطن مكة مقهور ومفتون  
 إنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والخزاة والهون  
 فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ي في المات وعيب غير مأمون<sup>(١)</sup>

واستقروا على أرض الحبشة ، ووجدوا في جوار النجاشي كل أمان واطمئنان ،  
 وصدق رسول الله ﷺ فيما بلغهم عنه . وتتابعت أفواج المهاجرين إلى الحبشة  
 وأحست قريش أن هؤلاء يفلتون من بين يديها حيث يجذون في جوار هذا الملك  
 الأيمن لدينهم والاطمئنان على حياتهم ودنياهم ، وقرروا أن يرسلوا إلى النجاشي ليرد  
 هؤلاء المارقين ليسوموهم سوء العذاب وليكونوا عبرة لمن يعتبر . ووقع اختيارهم على  
 عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ليكونا سفيرين إلى النجاشي ، وجمعوا لها  
 هدايا له ولبطارقتة عليه ينخدع بهذا ويرد ما عنده من المهاجرين . وعندما سمع أبو  
 طالب ما تريد أن تفعله قريش مع هؤلاء المهاجرين . أرسل إلى النجاشي رسالة ينبهه  
 إلى خديعة قريش ويوصيه خيراً بمن عنده وكتب له هذه الأبيات :

(١) ينسب هذا الشعر لعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٤ .

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يسقى لديك المحانب  
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب  
وأنت فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعادي نفعها والأقارب<sup>(١)</sup>

تقول أم سلمة زوج النبي ﷺ وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة تصور  
خروج عبد الله بن أبي ربيعة ورفيقه عمرو بن العاص رضي الله عنه رسولي قريش  
إلى النجاشي : « خرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخر دار عند خير جار ،  
فلم يبق من بطارقتهم بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي . وقالوا لكل  
بطريق منهم : إنه قد ضوى<sup>(٢)</sup> إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم  
يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أتم ، وقد بعثنا إلى الملك  
فيهم أشرف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم  
إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم<sup>(٣)</sup> عينا وأعلم بما عابوا عليهم . »

فقالوا لها : « نعم » . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منها ، ثم كلماه  
فقالا له : « أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ،  
ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك  
فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم ، لتردهم ، فهم أعلى بهم عينا ،  
وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . » قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن  
أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت  
بطارقتهم حوله : « صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم  
فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . » قالت : فغضب النجاشي ، ثم  
قال :

« لا والله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ،

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٧ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٢) ضوى إليك : أي آووا إليك ولاذوا بك ، أما ضوي بكسر الواو فهو الخزال .

(٣) أعلى بهم عينا : أي أبصر بهم ، أي عيبتهم وابعارهم فوق عين غيرهم في أمرهم .

واختاروني على مَنْ سِوَايَ ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ ، فَاسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَا فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ اسْلَمْتَهُمْ إِلَيْهَا ، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتَهُمْ مِنْهَا وَأَحْسَنْتَ جَوَارِهِمْ مَا جَارُونِي .»

## حوار بين النجاشي وبين المسلمين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه .. ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاؤوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله سأهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل .. ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب <sup>(١)</sup> . فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ، لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده — لا نشرك به شيئاً — وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : « فعدد عليه أمور الاسلام » .

(١) كان أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ما أدري بأيها أنا أشد فرحاً أبغدم جعفر أم بفتح خيبر .. ؟ وسنترجم له قريباً بمشيئة الله .



وتابع جعفر حديثه قائلاً: «فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الحبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك»<sup>(١)</sup> .

قالت : فقال له النجاشي : «هل معك مما جاء به عن الله من شيء» ..؟  
قالت : فقال له جعفر : «نعم» فقال النجاشي : «فاقرأه علي» قالت : فقرأ عليه صدرأ من «كهيعص» قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم<sup>(٢)</sup> . ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون»<sup>(٣)</sup> .

قالت : فلما خرجنا من عنده ، قال عمرو بن العاص : «والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم» .

قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا «لا نفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا» قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ . قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألمهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧١ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٦٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ .

بعضهم : « ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ..؟ قالوا : نقول والله فيه ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن !! قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ..؟ قالت : فقال له جعفر بن أبي طالب : « نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ». قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ثم قال :

« والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود »<sup>(١)</sup> . قالت : فتناخرت بطارفته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم<sup>(٢)</sup> بأرضي من سبكم غرم . ثم قال : من سبكم غرم . ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لي دبراً<sup>(٣)</sup> من ذهب ، وأني آذيت رجلاً منكم ، ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليها ما جاء به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار<sup>(٤)</sup> .

ومات النجاشي رحمه الله ، ونعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ، في اليوم الذي مات فيه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « اخرجوا افصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم ». فقالوا : ومن هو ..؟

فقال : النجاشي . فخرج رسول الله ﷺ . إلى البقيع . وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة ، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه ، وكبر أربع تكبيرات ،

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٧١ ، ورواه الإمام البخاري في باب هجرة الحبشة ، والروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٢) الشيوم : الآمنون .

(٣) الدبر : الجليل .

(٤) سيرة ابن هشام ، والبداية والنهاية والروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٨ ، والروض الأنف ج ٣ ص ٢٦٢ .

واستغفر له ، وقال لأصحابه : استغفروا له <sup>(١)</sup> . فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على عَلِج حَبْشِي نصراني ، لم يره قط ، وليس على دينه . ! فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

رحم الله النجاشي رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير هؤلاء المسلمين الأول  
الذين فروا بدينهم إلى أرض الله ...

\* \* \*

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٩٩ .

## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ بمكة يخاف على أصحابه من المشركين .

فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه إلى النجاشي وقال : «إنه ملك صالح ، لا يُظلم ولا يُظلم عنه أحد ، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً»<sup>(١)</sup>

فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم : تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم...؟ قالوا : نعم . قال : اقرؤوا . فقرؤوا وحوله القسيسون والرهبان . فكلما قرؤوا آية من آي القرآن انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق .

وعن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وغيرهما عن الليث قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري . وكتب معه كتاباً إلى النجاشي . فقدم عليه ، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه . فأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن . فقرأ جعفر سورة مريم . فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . ويراً بالذي ولم

(١) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ١٩٦ ، وراجع الدر المنثور ج ٢ ص ٣٠٣ ، وتفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٩٩ .

يجعلني جباراً شقيماً. والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً. ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴿<sup>(١)</sup>﴾. فاضت أعينهم من الدمع.

وقال آخرون : قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلاً ، بعثهم النجاشي وفداً إلى رسول الله ﷺ عليهم ثياب الصوف ، اثنان وستون من الحبشة ، وثمانية من أهل الشام ، وهم :

بحيرا الراهب . وأبرهة . وإدريس . وأشرف . وتمام . وقثيم . ودريد . وأيمن <sup>(٢)</sup> .  
فقرأ عليهم رسول الله ﷺ — سورة يس — إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن  
وآمنوا وقالوا : ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ؛ فأنزل الله تعالى :

﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) سورة مريم من آية ٢٩ إلى ٣٤ .

(٢) تراجع تفسير الطبري ج ١ ص ٥٠٤ ، والدر المثور ج ٢ ص ٣٠٣ والقرطبي ج ٦ ص ٢٥٦ .

(٣) سورة المائدة آية رقم ٨٢ — ٨٦ .

## تذييل ...

« اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي من سبكم غرم ». بهذه الكلمات الصادقة المؤمنة الحازمة كان ردّ النجاشي على بطارفته ووفد قريش .

إن الدين لا يتجزأ لأنه من عند الله الواحد الأحد ، فحال أن يختلف أو يتباين وإنما الاختلاف في النفس البشرية إذا اتبعت الهوى أو انحرفت عن الطريق السوي ، ولقد كان موقف النجاشي من المؤمنين الفارين بدينهم موقف الرجل الذي رأى في هؤلاء الأفراد أخوة له في الدين وأخوة له في البشرية وأخوة له في التمتع بهذا الكون الكبير الذي لم يخلقه الله لواحد من البشر وإنما للناس كافة .  
« وسخر لكم ما في الأرض جميعاً » .

وكان موقف هؤلاء الفارين بدينهم موقف الرجال الذين ملأ الإيمان كل قلوبهم ، فعندما دعوا الى النجاشي وضعوا بين يديه حقيقة ما هم عليه من عبادة الواحد الأحد .

وفي المرة الثانية لم يجنبوا أن يقولوا ما قاله القرآن في عيسى بن مريم وهم يعلمون أن ذلك قد يغضب بطارقة الملك وقد يغضب الملك نفسه وقد يؤدي هذا إلى طردهم من بلاده . ويعودون مرة أخرى إلى عذاب قريش والتنكيل بهم ، ولكن كل ذلك لم يفت في عضدهم أو يمنعهم من أن يقولوا كلمة حق لأن المسلم لا يكذب .  
والمؤمن لا يخاف ، ورجال الله لا يجنبون .

بمدرسة النبي نما شباب  
صحائفهم على الأجيال تتلى  
سجود ركع عند المصلى  
وقفت أسائل التاريخ عنهم  
عباقره لهم في الخلد ذكر  
وليس وراء ما صنعوه فخر  
وحين الحرب أبطال تكرر  
فطالعني من الأجداد سفر

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ

سورة البقرة الآية (١٤٦)

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُرْءُودٌ مَّسِينٌ ﴿٢٠٨﴾

سورة البقرة الآية (٢٠٨)

إِنَّمَا

وَلْيُكْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

سورة المائدة الآية (٥٥)

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- في الآية الأولى قال صاحب الدر المنثور .  
نزلت في عبد الله بن سلام ج ١ ص ١٤٨ .  
وقاله أيضاً الإمام ابن كثير ج ١ ص ١٩٤ .  
وقاله الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٤٠ .  
وفي الآية الثانية قال ابن عباس رضي الله عنه :  
نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه .  
وقاله أيضاً الإمام ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٢٤٨ .  
وقاله أيضاً الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٥٩ .  
وفي الآية الثالثة . قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه .  
ونقله صاحب الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣ .  
وقاله أيضاً الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ١٩٢ .  
فمن هو عبد الله بن سلام؟ ..

## عبد الله بن سلام

رضي الله عنه

كان حبراً من أحبار اليهود وعالماً من علمائهم ، يكنى أبا يوسف ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان حليفاً للأَنْصَارِ ، كان اسمه في الجاهلية الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله (١) .

وكان يعلم كما تعلم اليهود أن نبياً سيبعث في آخر الزمان ، وكانوا يترقبون بعثته ويتظرون ظهوره . وتسامعت الجزيرة العربية كلها بالرسول ﷺ الذي يرفض الأصنام ويدعو إلى عبادة الواحد الأحد ، ومنذ ذلك التاريخ وابن سلام يتنسم أخبار محمد ﷺ ويتربص وصوله إلى يثرب مع المتلهفين ، بعد أن جاءتهم الأخبار ترى بقرب وصوله إلى المدينة ، ويصور لنا ابن سلام قصة إسلامه فيقول : لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف (٢) له ، فكنت مُسْرّاً لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ فلما نزل في بني عمرو بن عوف . أقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرتُ . فقالت لي

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٦٢١ .

(٢) نتوكف : تترقب وتتوقع .

عمتي ، حين سمعت تكبيرتي : خبيك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران  
قادما ما زدت . فقلت لها : أي عمّة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ،  
بعث بما بعث به . فقالت : أي ابن أخي ، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع  
نفس الساعة .. ؟

فقلت لها : نعم . فقالت : فذاك إذاً . قال : ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ ،  
وتأملت وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذاب . وكان أول شيء سمعته منه : «أيها  
الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس  
نيام ، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(١)</sup> .

فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا . قال : وكنت إسلامي  
من اليهود ، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله ، إن يهود قوم يُهت  
وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى  
يجبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به يهتوني<sup>(٢)</sup>  
وعابوني . قال : فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلّموه  
وسألوه ثم قال لهم : «أي رجل الحصين<sup>(٣)</sup> بن سلام فيكم ؟» . قالوا : سيدنا  
وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا . فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم . فقلت لهم : يا معشر  
اليهود ، اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ﷺ  
تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله وأومن به  
وأصدقه وأعرفه . فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي . فقلت لرسول الله ﷺ إنهم قوم

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٩ .

(٢) وبهته يهتأ وبهتاناً قدّفه بالباطل ، وفي حديث اللغية وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته المعجم الوسيط  
ج ١ .

(٣) هكذا كان يسمى كما سبق ذلك .

بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ، ثم أظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ،  
وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها» (١) .

وشهد رسول الله ﷺ لعبد الله بن سلام بالجنة ، روى ابن وهب وجماعة عن  
مالك بن أنس عن أبي النضر ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه قال : ما  
سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا  
لعبد الله بن سلام (٢) .

وكان عالماً فاضلاً أريباً صاحب حنكة وتجارب ، عن يزيد بن عميرة  
السكسكي وكان تلميذاً لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن معاذاً قبل موته أمره أن  
يطلب العلم من أربعة :

عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، وعويمر (أبي  
الدرداء) (٣) .

وشهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجاوية .

وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين وله في الصحيحين « ٢٥ »  
حديثاً .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٢٢ تحقيق علي محمد البجاوي .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٥٢ .

## أسباب نزول الآيات

كان عبد الله بن سلام وأصحابه من أهل الكتاب يعرفون رسول الله ﷺ يعرفونه بنعته ، ويعرفونه بصفته وتوقيت مبعثه ، يعرفون ذلك عن طرق كتبهم التي كانت بين أيديهم ، يعرفونه كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان . قال عبد الله ابن سلام رضي الله عنه : لأننا كنت أشد معرفة برسول الله ﷺ مني بابني . فقال له عمر بن الخطاب رضي عنه : وكيف ذلك يا ابن سلام .. ؟

قال : لأنني أشهد أن محمداً رسول الله حقاً يقيناً ، وأنا لا أشهد بذلك على ابني ، لأنني لا أدري ما أحدث النساء بعدنا . فقال عمر رضي الله عنه : وفلك الله يا ابن سلام <sup>(١)</sup> .

فتزل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ودخل عبد الله بن سلام وأصحابه في الإسلام وآمنوا بما جاء به رسول الله ﷺ ولكنهم مع هذا كانوا لا يقتصرون على القرآن الكريم بل يضيفون إليه شرائع موسى ، فعظموا السبب ، وكرهوا لحمان الإيل وألبانها بعدما أسلموا ، فأنكر عليهم المسلمون ذلك . لأن القرآن الكريم يجابهم بالحقيقة ﴿ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا

(١) راجع الحديث مفصلاً في الدر المنثور ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٦ .

ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴿١﴾

وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام وتقول الروايات أنه مرض مرضاً شديداً فنذر لله لئن عافاه ليمتنعن — تطوعاً — عن لحوم الإبل وألبانها وكانت أحب شيء إلى نفسه ، فقبل الله منه نذره . وجرت سنة بني إسرائيل على اتباع أيهم . في تحريم ما حرم ، كذلك حرم الله على بني إسرائيل مطاعم أخرى عقوبة لهم على معصيات ارتكبوها وأشير إلى هذه المحرمات في آية الأنعام : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ (٢) .

وكانت قبل هذا التحريم حلالاً لبني إسرائيل . فما الداعي للتحريم بعد الدخول في الإسلام .. ؟ فقالوا : إنا نقوى على هذا وهذا ، وقالوا للنبي ﷺ : إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها (٣) فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ (٤) .

أما الآية الثالثة : فتذكر الروايات أنه بعد إسلام عبد الله بن سلام وبجموعة من رجالات اليهود فرضت عليهم اليهود مقاطعة ، وأخذوا لا يتحدثونهم ولا يجالسونهم فشق ذلك عليهم . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا يا رسول الله إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث ، وإن قومنا لما رأونا آمننا بالله ورسوله وصدقناه — رفضوا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا . ولا نستطيع

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٣ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ١٤٦ .

(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٠٨ .

مجالسة أصحابك لبعث المنازل . وشكى ما يلقي من اليهود<sup>(١)</sup> . فنزلت هذه الآية  
فقرأها عليه رسول الله ﷺ :

﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا... ﴾<sup>(٢)</sup> فقال : رضينا بالله ورسوله  
وبالمؤمنين أولياء . والله أعلم .

\* \* \*

---

(١) راجع أسباب نزول القرآن للواحي ص ١٩٢ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٥ .



## تذييل ...

كانت الدنيا في حاجة إلى منقذ ينقذها مما تردت فيه ، ومن الانحرافات التي أصيبت بها الإنسانية في فترة من فترات التاريخ . انحرافات في العقيدة . وانحرافات في التصور عن حقيقة الكون والإنسان . وكان أهل الديانات السابقة يترقبون ظهور نبي جديد يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . وتحدث به كتبهم وتصور أوصاف هذا النبي الجديد .

وكان أحبارهم ورهبانهم يتحدثون بقرب مبعثه . كانوا يفعلون ذلك ويتحدثون به في مجالسهم الخاصة والعامة .

وعندما بعث الرسول ﷺ كان اليهود أول من وقف في طريق الدعوة الجديدة . وقفوا بالكلمة يشككون ويروجون الأكاذيب . ووقفوا بالسلاح يحاربون ويصدون عن سبيل الله . وسلكوا سبيل الدس والخديعة فألبوا قريشاً على الرسول ﷺ ودعوا العرب قاطبة لكي تقف أمام هذا النور الجديد .

أرادوا أن يطفئوا نور الله وأراد الله غير ذلك فأكمل دينه ونصر رسوله وجعل من أتباع هذا الدين الجديد سادة وقادة: ﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ (١) . واستجاب بعض النفوس المؤمنة من

(١) سورة القصص آية رقم ٥ .

رجال الكذب السماوية فأمنوا بدعوة الرسول لأنهم أحسوا أن الأديان السماوية وهذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ تخرج من مشكاة واحدة. فهل توقف اليهود عن كيدهم وهل خفت الصليبية من حقدتها على الإسلام والمسلمين؟ اللهم لا. فلا زالت المعركة ضارية بين أتباع الحق وهواة الضلال ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) سورة الحج آية رقم ٤٠.

زَيد بن حارثة  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ  
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَنُحِنِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ  
وَتُحْنِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا  
وَطَرًا زَوْجَهَا لَوْ كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ  
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ  
اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

سورة الأحزاب الآية (٣٧)

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- اتفق العلماء على أن المقصود بهذه الآيات زيد بن حارثة رضي الله عنه :  
قال ذلك : صاحب تفسير البغوي ج ٥ ص ١٩٠ .  
وقاله الإمام القرطبي ج ١٤ ص ١١٨ .  
وقاله صاحب الدر المنثور ج ٥ ص ١٨١ — ١٨٢ .  
وصاحب كتاب «أسباب نزول القرآن» الإمام أبي الحسن علي بن أحمد  
الواحدي ص ٣٧٠ .

فمن هو زيد بن حارثة..؟

## زيد بن حارثة

رضي الله عنه

كان يسمى ابن محمد ﷺ . واستمر ذلك حتى نزول قول الله تعالى :  
﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ (١) .  
وكان يلقب حب رسول الله ﷺ .  
وقال له الرسول ﷺ في أحد المواقف :  
« أنت أخونا ومولانا » (٢) .

فكيف حظي هذا الرجل بهذه الدرجة من الحب ، حب رسول الله عليه السلام ؟ حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله ﷺ زيد ابن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ، ولو بقي حياً بعد الرسول لاستخلفه » (٣) وما هي المؤهلات الخلقية والجسدية والفكرية ، التي رشحته لهذه القمم العالية؟ نعتقد أن لذلك قصة ترتبط بحياة زيد ، ولعل الأقدار أرادت أن تنتشله من ضباب الجاهلية ، التي كانت تعيش فيها قبيلته خاصة ، والجزيرة العربية ، والعالم بأسره عامة ، لتجعله قريباً من البقعة المباركة التي اختارها الله سبحانه وتعالى ليهبط عليها

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٨٧ .

(٣) المصدر السابق .

وحيه ، فيقوم بدوره الذي أعد له من قبل خالقه ، في حمل رسالة الله إلى البشرية قاطبة بقدر ما يتحمل ويتسع لذلك أجله . ولنبدأ في ذكر هذه القصة :

تساقطت دمعة على خد حارثة بن شرحبيل ، وهو يودع زوجته ، الذاهبة إلى أهلها في رحلة قصيرة ، مصطحبة معها ابنها زيد . وأحسَّ الرجل غصة في حلقه ، وانقباضاً في قلبه لا يعرف لها سبباً .. !! فهذه هي المرة الأولى التي تفارقه فيها أم زيد في مثل هذه الرحلة . وهذه هي المرة الأولى أيضاً التي سيحرم فيها من ضحكات الصبي الصغير ومداعباته التي يستقبله بها إذا أصبح ، ويستقبله بها إذا أمسى . ولكن ما لبث أن أخذ في تهدئة نفسه ، والتخفيف من روعه ، والتذرع بالصبر ، بأن هذه الرحلة لن تطول وما هي إلا أيام معدودة ، يعود بعدها الأنس والسرور بعودة هذه القافلة الصغيرة إلى بيته .

وتمر الأيام بطيئة متناقلة على حارثة ، وفي إحدى الأمسيات الحزينة عادت الزوجة بمفردها إلى عش زوجها ، أما ابنها فلم يكن معها . فقد أغازت إحدى القبائل على أهلها — كما كانت عادة العرب في الجاهلية — وكان ابنها أحد الغنائم التي ظفرت بها القبيلة المغيرة<sup>(١)</sup> . وتصدع قلب حارثة من هول ما سمع ، وركبته الهموم والأحزان ، وغاصت الابتسامة التي كانت لا تفارق شفثيه . وأخذ يهتمهم بينه وبين نفسه أين زيد .. ؟ وما مصيره .. ؟ وفي أي البلاد البعيدة ألقى رحله .. ؟ وبكاه بدموع غزار ، ورددت البطحاء والوديان أحزان أشعاره التي كان ينفثها من بين حنايا ضلوعه وكبده .

بكيث على زيد ولم أدر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل فوالله ما أدري وإني لسائل أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجَلْ تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا غربها أقل

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٤٢ .

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل  
سأعمل نص العيش في الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإيل  
حياتي أو تأتي عليّ منيتي فكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل<sup>(١)</sup>

أما زيد فقد خيل إليه أنه قد حرم الصدر الحنون إلى الأبد، هكذا خطفته  
الأيدي الغليظة، دون مراعاة لمشاعره، أو عاطفة أمه وأبيه. وسبق إلى سوق عكاظ  
حيث يباع الرقيق، فباعه هؤلاء الذين خطفوه إلى حكيم بن حزام بن خويلد مع  
جماعة من الرقيق. وفي يوم من الأيام ذهبت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لزيارة  
حكيم بن حزام — وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ — فأعجبها منظر هؤلاء الغلمان،  
ولعل حكيم لحظ رغبة عمته. فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو  
لك<sup>(٢)</sup>. وعندما ألفت السيدة خديجة نظرها على هؤلاء الأطفال مرة أخرى، تعلق  
نظرها بطفل بعينه، لقد كان قصير آدم — أي أسمر — شديد الأدمة، في أنفه  
فطس. ولم يكن هذا الطفل سوى زيد بن حارثة الذي رأت في ملامحه، صفاء  
السرية، ونقاء القلب، وتوقد الفؤاد فاخترته. ورآه رسول الله ﷺ أعرف الناس  
بالرجال فطلب من زوجه أن تهبه له.

فأجابته الى طلبه. وفرح الرسول ﷺ بزيد، وأحاطه بعنايته، ورعاه برعايته،  
وأعتمه<sup>(٣)</sup>.

واستراح زيد من عناء هذه الرحلة الطويلة، ووجد في قلب الرسول ﷺ وفي  
حذب زوجه ما عوضه حنان فقد الأم والأب.

ولكن هل نسي أباه وأمه؟ وهل غفل قلبه عن ذكرهما؟!  
الحقيقة أن ذلك لم يكن في مقدوره.

(١) سيرة ابن هشام والروض الأنف ج ٣ ص ١٠.

(٢) سيرة ابن هشام والروض الأنف ج ٣ ص ٩ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٤٢.

(٣) المصدر السابق، والإصابة ترجمة زيد بن حارثة.



فكان يخرج في موسم الحج عله يجد أحداً من قبيلة أبيه ليطمئن هذين البعيدين عليه، وليخبرهما أنه يعيش في خير حال، وفي أحسن جوار.

وفي أحد المواسم هداه الله إلى بعض الحجيج من قبيلة بني كلاب، فحملهم رسالة إلى أبيه وفيها هذه الأبيات:

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيد البيت عند المشاعر  
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر  
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كائناً بعد كابر<sup>(١)</sup>

وانطلق الكليون هذه الأبيات، يزفون إلى أبيه البشري، ويقدمون بين يديه دليل وجوده، ووصفوا له موضعه، وأعلموه اسم مولاه. فخرج الأب يعث السير إلى مكة، واصطحب معه أخاه كعب، ليفدي ابنه ويعودان به إلى القبيلة بعد هذا الأسر الذي طال. وقدما مكة، والتقيا بالنبي ﷺ وقال له حارثة: «يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جنتك في ابنتنا عندك<sup>(٢)</sup> فامن علينا، وأحسن إلينا في فدائه<sup>(٣)</sup>»

قال النبي ﷺ: ومن هو..؟

قالا: زيد بن حارثة. فقال الرسول ﷺ: فهلا غير ذلك..؟ قالا: وما هو..؟ قال: أدعوه فأخبره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني، فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحد. قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنست..<sup>(٤)</sup> فدعاه

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٤٤، والروض الأنف ج ٣ ص ١٧.

(٢) في رواية ابنتنا عندك.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧.

(٤) الروض الأنف ج ٣ ص ١٨ والاستيعاب ج ٢ ص ٥٤٥، وفي الإصابة: فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء.

فقال : هل تعرف هؤلاء ..؟ قال : نعم . قال : من هذا ؟ قال زيد : هذا أبي وهذا عمي . قال : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما . قال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم <sup>(١)</sup> . فقالا : ويحك يا زيد ، أختار العبودية على الحرية ، وعلى أهلك وعمك ، وأهل بيتك ..؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً <sup>(٢)</sup> .

إنها ليست عبودية لمحمد ، ولكنها الحرية من عبودية الشرك ، ومن عبودية الأصنام ، ومن عبودية الأوهام ، إنه محمد منقذ البشرية ، والأمين — كما كانت تدعوه قريش — الأمين على أموالهم والأمين على أعراضهم ، وهو الأب الرحيم الودود لأبنائهم .

ولهذا كان رأي زيد البقاء مع محمد ، حتى ولو كان في ذلك حرمان من حنان الأب ، ومن دفء الأم .

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر وقال : « يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه » <sup>(٣)</sup> . عند ذلك طابت نفس الوالد والعم فانصرفا راضيين .

ومنذ ذلك التاريخ دعي زيد بن محمد ﷺ .

وفي يوم من الأيام لم يعرف له التاريخ مثيلاً نزل قول الله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) الإصابة في معرفة الصحابة وفي الروض الأنف : بل أقيم معك ج ٣ ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الروض الأنف ج ٣ ص ١٨ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٤٥ .

(٤) سورة العلق الآيات من ١ — ٤ .

وقتر الوحي مدة ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأندر . وربك فكبر . وثيابك فطهر ﴾ (١) . وأخذ رسول الله ﷺ يدعو إلى دين الله ، وإلى كلمة التوحيد ، ونبذ الأصنام والشرك . وكان زيد — كما تقول بعض الروايات — أول من أسلم من الموالي (٢) .

وكان كل يوم يتقرب إلى قلب الرسول ﷺ بمخصاله العالية ، وأخلاقه النادرة . وأراد الرسول ﷺ أن يحطم الفوارق الطبقية الموروثة في الجماعة المسلمة ، فيرد الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وعمل صالح . وكان الموالي — وهم الرقيق المحرر — طبقة أدنى من طبقة السادة ، ومن هؤلاء كان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فأراد رسول الله أن يحقق المساواة الكاملة بتزويجه شريفة من بني هاشم قريبة رسول الله ﷺ ، زينب بنت جحش ، ليسقط تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته . وكانت هذه الفوارق من العمق والعمق ، بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة حسنة وتسير البشرية كلها على هداية في هذا الطريق . وانطلق ليخطب على فناء — زيد بن حارثة — رضي الله عنه . فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها . فخطبها فقالت : لست بناكحتك . قال رسول الله ﷺ : « بل فانكحيه » (٣) .

قالت : يا رسول الله ، أوامر في نفسي ..؟ فبينما هما يتحدثان ، أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ :

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ (٤) . عندها قالت زينب

(١) سورة المدثر الآيات من ١ — ٤ .

(٢) الروض الأنف ج ٣ ص ٩ وسيرة ابن هشام .

(٣) رواه ابن كثير بسنده عن العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦ .

رضي الله عنها : « قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً ..؟ » قال رسول الله ﷺ :  
نعم (١)

قالت : إذن لا أعصي رسول الله ﷺ قد أنكحته نفسي (٢)

ويرسله الرسول ﷺ إلى مجموعة من القبائل أميراً على السرايا ، أرسله إلى بني  
ثعلبة في سرية ذات الطرف ، وأرسله أميراً على سرية العيص عندما بلغ رسول الله  
ﷺ أن عبيراً لقريش قد أقبلت من الشام ليعترض طريق هذه القافلة . وأرسله أميراً  
على سرية «حسمى» في خمسمائة رجل إلى قبيلة جذام فعاد ومعه ألف بعير ومن  
الشاة خمسة آلاف شاة ، ومن السبي مائة من النساء والصبيان ، ولكنهم أسلموا ،  
فرد رسول الله ﷺ ما أخذ منهم (٣) . فهو الفارس المغوار ، وهو المؤمن الصابر .  
الملتزم بأمر القائد ، والمتبع لما يلقى إليه . حتى كانت غزوة مؤتة . ووقف الرسول ﷺ  
يودع الجيش المسافر إلى مشارف الروم وقال : « عليكم زيد بن حارثة . فإن أصيب  
زيد ، فجعفر بن أبي طالب . فإن أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة » فوثب جعفر  
فقال : يا رسول الله ، ما كنت أرغب أن تستعمل عليّ زيد . فقال ﷺ : امضه  
فإنك لا تدري أي ذلك خير (٤) .

ولكأنما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ غيب المعركة المقبلة حين وضع  
أمراء الجيش على هذا الترتيب : زيد ، فجعفر ، فابن رواحة .. فقد لقوا ربهم جميعاً  
وفق هذا الترتيب أيضاً . ولم يكد المسلمون يطالعون جيش الروم الذي حزره بماتي  
ألف مقاتل حتى أذهلهم العدد الذي لم يكن لهم في حساب . فأقاموا ليلتين ينظرون  
في أمرهم . وقالوا نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا . فقال : عبد الله بن  
رواحة :

(١) المصدر السابق وقال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان : نزلت في زينب بنت جحش .

(٢) ذكره المرحوم سيد قطب في تفسيره لسورة الأحزاب ج ٢٢ ص ١٨ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ .

(٤) المصدر السابق .

«والله يا قوم إن الذي تكرهون للذي خرجتم له ، تطلبون الشهادة ، وما نقاتل العدو بعدة ، ولا قوة ، ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين ، إما ظهور ، وإما شهادة» (١) .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة فمضى الناس .

ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ :

«أخذ زيد الراية فقاتل حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً . ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بعض ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حيث قتل شهيداً» (٢) .

وعندما جاء خير زيد جهشت بنت زيد في وجه رسول الله ﷺ حتى انتحب (٣) .

فقال له سعد بن عباد : يا رسول الله ما هذا .. ؟ قال : « هذا شوق الحبيب إلى حبيبه » (٤) .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجعل الجنة مثواه بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين .

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٩ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد .

(٤) طبقات ابن سعد ج ٢ .

## أسباب نزول الآيات

كيف تم زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها؟ وما الظروف والملابسات التي أحاطت بالزواج حتى باركته السماء وأنزل فيه رب العزة قرآناً يتلى..؟

نقول أوثق المصادر من كتب السير والتفاسير وكتب الحديث : جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد قد افتقده رسول الله ﷺ فترة من الزمن . فقال : أين زيد ..؟ فقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فأعرض عنها رسول الله ﷺ . فقالت : ليس هوها هنا يا رسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي <sup>(١)</sup> . فأبى رسول الله ﷺ أن يدخل ، وإنما عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله على الباب فوثبت عجلة ، فأعجبت رسول الله ﷺ فولى وهو بهمهم بشيء لا يكاد يفهم : إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرف القلوب <sup>(٢)</sup> . فلما جاء زيد إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ..؟ فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى .

قال : هل سمعته يقول شيئاً..؟ قالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرف القلوب . فخرج زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ .

(٢) المصدر السابق .

يا رسول الله ، بلغني أنك جنت منزلي ، فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله .  
 ثم قال : لعل زينب أعجبتك ، فأفارقها .. فقال رسول الله ﷺ : « أمسك عليك  
 زوجك » . فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم ، فكان يأتي رسول الله ﷺ  
 فيخبره فيقول له رسول الله ﷺ : « أمسك عليك زوجك » . ولكن زيد فارقها  
 واعتزلها ، وحلت لرسول الله ﷺ .

ويقول الإمام أحمد رضي عنه راوياً عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما :  
 « لما انفقت عدة زينب قال النبي ﷺ لزيد بن حارثة : « اذهب فاذكرها  
 علي » . فانطلق حتى أتاه — وهي تخمر عجينها — قال : فلما رأيتها عظمت في  
 صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها ، أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها  
 ظهري ، ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب ، أبشري أرسلني رسول الله ﷺ  
 يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل ثم قامت إلى  
 مسجدها ، ونزل قول الله تعالى <sup>(١)</sup> : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ، وأنعمت  
 عليه ، أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس  
 والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين  
 حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فقال الرسول ﷺ من يذهب إلى زينب يبشرها ، يقول : إن الله زوجنيها .. ؟  
 قالت السيدة عائشة : رضي الله عنها : فأخذني ما قرب وما بعد ، لما يبلغنا من  
 جمالها ، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لها زواجها <sup>(٣)</sup> . قالت  
 عائشة : فخرجت سلمى خادم رسول الله ﷺ تخبرها بذلك فأعطتها أوضاعاً <sup>(٤)</sup>  
 لها . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ

(١) رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير .

(٤) نوع من الحلبي يتزين به النساء يصنع من الفضة .

أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك .. ؟

يقول أنس فما أدري أنا أخبرته والقوم قد خرجوا أو أخبر.. ؟ فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ، وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ (١)

\* \* \*

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣ .



## تذييل ...

ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني مكان الأب والعم ..

بهذه الكلمات الصادقة ، حسم زيد بن حارثة القضية بين أبيه وعمه وبين رسول الله ﷺ . لقد ترك له حرية الاختيار فاختر . اختار الرسول ﷺ ، وفضل أن يعيش معه مضحياً بأبيه وأمه .

ماذا فعل الذين بهؤلاء الرجال .. ؟ وماذا قدم لهم رسول الله ﷺ حتى أحبوه هذا الحب الكبير وضحووا في سبيله بالأهل والولد والمال .. ؟

قال عروة بن مسعود الثقفي لأصحابه بعدما رجع من الحديبية : «أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، على كسرى وقبصر والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً ، ... إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يجدون إليه النظر تعظيماً له»<sup>(١)</sup> .

ليس الحب فقط ، وليس التعظيم والاحترام لرسول الله ﷺ ، ولكن هناك ما هو أعمق من ذلك كله إنه بذل الأرواح رخيصة فداء لرسول البشرية ﷺ .

«رفعوا خيبياً رضي الله عنه على الخشبة ونادوه يناشدونه أتحب أن محمداً

(١) زاد المعاد ج ٣ ص ١٢٥ .

مكانك ..؟ قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه فضحكوا منه» (١).

«وترس أبو دجانة يوم أحد على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك» (٢) فعل ذلك حتى ينجو رسول الله ﷺ.

وخرجت امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ . فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ...؟ قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين . قالت أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رآته قالت : «كل مصيبة بعدك جلل» (٣) .

وقدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج الرسول ﷺ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ..؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس» (٤) . هكذا فعلت الفتاة العربية مع أيها ، جابته بكلمة حق وخرقت القاعدة العربية التي تقول : «كل فتاة بأيها معجبة» وصفعته بحقيقته ﴿إنما المشركون نجس﴾ (٥) .

وشيء آخر أثير في المجتمع الإسلامي عند زواج الرسول ﷺ من مطلقة متبناه زيد بن حارثة ، ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يبطل عادة جاهلية ، وهو نظام التبني الذي كان موجوداً بعد بعثة الرسول ﷺ . ومحرم على الرجل أن يتزوج مطلقة متبناه ، ولم يكن غير الرسول ﷺ يستطيع أن يقوم بإبطال تلك العادة عملياً بعد أن أبطل القرآن عادة التبني بقوله :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦٣ .

(٢) زاد المعاد ج ٣ ص ١٣٦ .

(٣) رواه ابن اسحاق في باب المغازي ، ورواه البيهقي مرسلأ .

(٤) سيرة ابن هشام .

(٥) سورة التوبة آية رقم ٢٨ .

﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾<sup>(١)</sup> ، وأهم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن زيدا سيطلق زينب وأنه هو سيتزوجها للحكمة التي قضى الله بها ، وكانت العلاقات بين زينب وزيد قد اضطربت ، وعادت توحى بأن حياتها لن تستقيم طويلاً . ولم تمر المسألة سهلة فلقد فوجيء بها المجتمع الاسلامي كله ، كما انطلقت السنة المنافقين تقول : تزوج خليفة ابنه . ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد فقد مضى القرآن يؤكد لها ، ويزيل عنصر الغرابة فيها ويردها إلى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية . ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾<sup>(٢)</sup> . فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأديعاء ، وإذن فلا حرج في هذا الأمر وليس النبي ﷺ فيه بدعاً من الرسل . ﴿ سنة الله في الدين خلوا من قبل ﴾<sup>(٣)</sup> . والله أعلم .

\* \* \*

- 
- (١) سورة الأحزاب آية رقم ٤ وهـ .  
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٨ .  
(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣٨ .

سلمان الفارسي  
رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

سورة البقرة آية ٦٢

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال الإمام الطبري في تفسيره «نزلت في سلمان الفارسي» ج ٢ ص ١٥٠ —

.١٥٤

وقاله صاحب الدر المنثور ج ١ ص ٧٣ — ٧٤.

وقاله الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي صاحب أسباب نزول القرآن

ص ٢٣.

من هو سلمان الفارسي..؟

## سلمان الفارسي

رضي الله عنه

ابن الاسلام : كما كان يعبر عن نفسه .

ومن آل البيت كما قال الرسول ﷺ « سلمان منا آل البيت »<sup>(١)</sup> وكان يعرف بين الصحابة : بسلمان الخير .

وقال عنه كعب الأحبار : « سلمان حشي علماً وحكمة »<sup>(٢)</sup> .

وسئل الإمام علي كرم الله وجهه عن سلمان فقال : « علم العلم الأول الآخر ، بحر لا ينزف ، وهو منا آل البيت »<sup>(٣)</sup> ، وهو من « رام هرمز » في بلاد فارس ، البلاد الغنية بكنوزها ، الجميلة بحدائقها وبساتينها ، والتي بشر رسول الله ﷺ أصحابه بفتحها .

وفي قرية « جي » كانت ولادته .

وعلى مناظر الطبيعة الخلابة فيها فتح عينيه ، وفوق سندسها الأخضر الذي يغمر أرضها كانت أولى خطواته .

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٣ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٦٣٤ .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٨٨ .

أما عن أمه فيصمت التاريخ فلا يذكرها في قليل أو كثير، وأما والده فهو «دهقان قرية جي» وكان خبيراً بشئون الزراعة — عارفاً بخصائص التربة، الأمر الذي جعله يملك الضياع الغنية بالغلل، والبساتين الفواحة بالأرج.

ورزق سلمان بعد فترة انتظار وترقب، فأحبه كل الحب وآثره على نفسه وماله وهياً له حياة رخيّة رغدة، ووهبه خادماً للنار «معبودتهم المقدسة» والتي كانت تشتعل في كل بيت ولا تترك تحبوا قط.

وقام سلمان بواجهه ازاء النار، يقدم لها وقودها، ويتأمل لهيها ويتسمع الى زمجرتها.

وفي أحد الأيام شغل الوالد ببعض شأنه، فلم يمر على ضياعه ولم يتفقد بساتينه فطلب من ابنه القيام بتلك المهمة، وأوصاه أن يعود مسرعاً ولا يبطيء، ليطمئن قلبه، ولا ينشغل فؤاده، وكانت هذه هي المرة الأولى التي سمح له فيها بمغادرة البيت بمفرده والاختلاط بالحياة والأحياء.

يقول سلمان: «كان لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوماً فقال لي: يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها فاطلّعها وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليّ من ضيعتي وشغلنتني عن كل شيء من أمري»<sup>(١)</sup>.

وخرج إلى الحياة، والتقى بوجوه الناس، وسار يحث خطاه نحو ضيعة أبيه، وفي الطريق وصلت الى سمعه أصوات غريبة، لم يألف سماعها من قبل، أصوات تراتيل وتسايح، وأجراس تصلصل، ودفعتة رغبته في التطلع أن يعرف مبعث هذه الأصوات، والتي لم تكن سوى إحدى كنائس النصرارى المنتشرة في تلك البلاد.

يقول سلمان: فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون. فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٦.



عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين .. ؟<sup>(١)</sup> .

وهكذا كل النفوس الصافية الباحثة عن الحق . إنها تترقب أول شعاع تلتقي به فتتبعه وتتعلق به حتى تصل إلى مستودع النور ، لقد كانت هذه الكلمات التي سمعها من هؤلاء المصلين الضياء الذي فتح عينيه ، وأضاء قلبه ، فعرف أن ما عليه والده وقومه ليس هو الحق الذي يتبع ، وليس هو الدين الذي يرضاه الله لعباده . وفي المساء عاد إلى والده بغير الوجه الذي خرج به في الصباح ، عاد وفي حلقه غصة وفي عينيه حيرة ، وعلى شفثيه حديث طويل . الأمر الذي شغل الوالد وأقلقه فسأله : أين كنت .. ؟ أولم أكن عهدت اليك ما عهدت .. ؟ قال : يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس<sup>(٢)</sup> .

قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آباؤك خير منه . قال : كلا والله انه خير من ديننا<sup>(٣)</sup> .

وبدأ الصراع بين الأب وقلده كبده ، وأحب الناس إلى قلبه . صراع عنيف مدمر ، الوالد الذي شاهد الأجداد والآباء يعكفون على النار ويتقربون إليها ليل نهار ، ويستشيرونها في ظعنهم وإقامتهم ، ولم يحاول أن يستعمل عقله فيما يعبده أو يفعله ، إن هذه النار هو الذي يشعلها ، وفي قدرته أن يخمدهم ليهيها ، بل يخمدهم من تلقاء نفسها إذا لم يقدم لها وقودها فكيف تكون هذه آلهة ؟ وبين الابن الذي أضاء الله بصيرته فأعمل عقله وفكره فهدها عقله إلى أن هذه النار التي كان يعكف عليها أياماً طويلة وليالي متعددة ، ليست إلا من مخلوقات الله الذي هو خالق كل شيء .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٦ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق .

وفكر سلمان في الهجرة إلى الله باحثاً عن الحق. ومقبلاً عن طريقه وأخذ يرقب  
الظاعنين وقوافل التجارة، حتى حانت الفرصة وجاءت قافلة وجهتها الشام.

يقول جواب الآفاق: فألقيت الحديد من رجلي، الذي كان قيدني به والذي،  
ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فسألت من أفضل أهل هذا الدين علماً...؟  
قالوا الأسقف في الكنيسة.

فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأجبت أن أكون معك،  
وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك.  
قال: ادخل، فدخلت معه.

وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها  
أكثره لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وفضة فأبغضته  
بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات<sup>(١)</sup>.

إنها صورة من صور الأعداء، الأعداء في كل عصر ومصر والأعداء في كل  
ميدان من ميادين الحياة، انهم يشوهون حقائق الأشياء، ويطوعونها حسب أهوائهم  
وأغراضهم. وأبغض هذه الصور، صورة الدعي في الدين، والذي تزيا بزوي  
العارف بشرع الله والمنفذ له، والمتبع لتعاليمه، وهو أبعد ما يكون عن ذلك كله.  
وقد كشف سلمان بلمحته الواعية عن خبيثة هذا الدعي المنافق الضليع في  
النفاق، وعندما جاء أصحابه ليدفنوه تقدم إليهم كاشفاً لهم الحقيقة.

إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جتموه بها أكثرها  
لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، ودلهم على مكان كتبه، فاستخرجوا القلال  
المملوءة ذهباً ورقاً<sup>(٢)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥ وراجع الحاكم في مستدرکه ومسنده الإمام أحمد.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٧.

وكان القرآن الكريم كان يعنيه وأمثاله بقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون ﴾<sup>(١)</sup> .

وجاء رجل آخر.. وتعرف سلمان عليه ، وأخذ يرقب أعماله ، ويرصد أحواله ، ويحاول أن يصل إلى خبيثة نفسه ، فلم يجد فيه ما ينكر أو يعاب ، فربط أسبابه بأسبابه ، وأخذنا يعبدان الله سوياً ، حتى حضرت الرجل الوفاة وأصبح في الترع الأخير.

يقول سلمان : فاقتربت منه وقلت له : يا فلان إني كنت معك فأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فألى من توصي بي ؟ .. وبم تأمرني ؟ .. قال : أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس وبدلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل — هو فلان — وهو ما كنت عليه فالحق به «<sup>(٢)</sup> رجل واحد بالموصل ، يا سبحان الله ، وهذه سنة الله في خلقه ، ان رجال الله دائماً قليل ، وهم كالجوهر المكنون في قاع البحر لا يصل اليه الصياد الا بعد جهد ومشقة ، وهذا الصنف نادر الوجود ، لا يوجد منه الا الواحد بعد الواحد.. حكمتك يا رب ...

وحمل المسافر جواب الآفاق زاده وزواده ، ولم يكن إلا الايمان والتقوى وقلب خفّاق بين جنبيه ، لا يني عن التسبيح لخالفه ورازقه.

وكان الأرض كانت تطوى تحت قدميه ، واستقر به المقام عند صاحبه الجديد وأخبره قصته مع صاحبه الذي فارقه فرحب به وهش له ، وعاش معه عابداً وطالب

(١) سورة التوبة آية رقم ٣٤ — ٣٥ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٣ ومسنند الامام أحمد والحاكم في مستدرکة .

معرفة ، وباحثاً عن الحق ، وتوفاً لمعرفة المجهول . فلما حضرته الوفاة أوصاه أن يلحق  
برجل آخر ، وكان الآخر هذه المرة بنصيبين<sup>(١)</sup> .

ولم تمل قدماء التجوال والطواف والسفر ، ولم ترتو روحه الباحثة عن المعرفة  
بعد ، ومن نصيبين ، يوصيه صاحبه بالذهاب الى «عمورية»<sup>(٢)</sup> .

ويلقى عصا التسيار في «عمورية» وأوصاه صاحبه الجديد بنوع من العبادة  
فريد .

أوصاه أن يعمل ويكسب . ويشقى ويتعب ، ويتعرف على الناس وأعمالهم  
ويلتقي بالأرض والتربة ، ليشاهد قدرة الخالق في خلقه ، وابداع المالك في ملكه  
ويرى :

(كيف يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)؟

فالعامل هو لب العبادة ، وتعمير الكون فريضة ، ومساعدة الخلق على الحياة من  
أخلاق الصالحين الأبرار .

يقول سلمان : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيات ، ثم ماذا حدث .. ؟  
نزل أمر الله بصاحبه فلما حضرته الوفاة اقترب منه وقال : «يا فلان اني كنت مع فلان  
فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم  
أوصى بي فلان اليك ، فإلى من توصي بي ؟ .. ويم تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما  
أعلم أنه أصبح في الأرض أحد على مثل ما كنا عليه ، أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلم  
زمان نبي ، وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة  
إلى أرض بين «حرتين» بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٧ وفي حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ فليك يراه وراء الجزيرة ويراجع  
مسند الامام أحمد .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٧ .

الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل<sup>(١)</sup> .  
إنهم رجال الله ، يعملون في صمت ، ويتواصون بالحق ، ويرقبون ظهور النور  
الجديد ويعرفون النبي بعلاماته ، ويتدارسون بينهم صفاته .

حتى قال قائلهم : نحن نعرف النبي أكثر مما نعرف أبناءنا<sup>(٢)</sup> ، وأخذ سلمان يردد  
بينه وبين نفسه كلمات صاحبه ، وانطبعت على صفحة قلبه : يخرج بأرض العرب .  
ويهاجر إلى أرض بين حرتين<sup>(٣)</sup> .

يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة . وبين كتفيه خاتم النبوة . لقد عم الظلام  
البسيطة كلها ، وليس هناك من شعاع يهتدي به ، فلا بد أن يكون هذا ارهاصاً  
لشيء جديد ومقدمة لظهور النور الشامل ، وهكذا سنة الوجود إذا وصل الظلام  
إلى قمته فانتظر الفجر . واختفاء الصالحين من أرض الله بشير صدق بظهور نبي  
وإرسال رسول .

إذن لا بد من الرحيل إلى هناك ، إلى أرض النبوة وبيننا هو في تأملاته وسبحاته  
رأت عينه قافلة تهباً للمسير ، وعلم أن وجهتها بلاد العرب ، فطلب منهم أن يحملوه  
معهم . ولهم ما يملك من بقرات وغنيمات ، ويا له من أجر زهيد في سبيل الوصول  
إلى طلبته . ووجدوها صفقة رابحة ، لا تكلفهم كثيراً فحملوه معهم وسارت المطي  
تقطع الفيافي والصحارى ، حتى قربت الرحلة من الانتهاء ، وتراءت لعينه تلك  
البلاد ، وكاد أن يشم أريج النبوة ويتنسم عطر الإيمان ثم ماذا...؟

يقول سلمان حتى إذا بلغوا وادي القرى ، ظلموني وخانوا ما اتفقنا عليه ، فباعوني

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٧ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٧ .

(٢) قال هذه الكلمة عبد الله بن سلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنها .

(٣) كل أرض ذات حجارة سود .

لرجل يهودي عبداً<sup>(١)</sup> فكنت عنده ، ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي<sup>(٢)</sup> . فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ففرقتها بصفة صاحبي . فأقت بها وبعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر لما أنا فيه من شغل الرق . ثم هاجر الى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عذق<sup>(٣)</sup> لسيدي أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه . فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة<sup>(٤)</sup> ، والله إنهم الآن مجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبي .

يا للهفة المشتاق ، عندما يشعر أنه لم تبق بينه وبين ما يريد خطوة ، ويا لشدة وجيب القلب عندما يحس أن بينه وبين تحقيق آماله لحظة . وتلك كانت حال سلمان . لقد نزل مسرعاً يريد أن يتحقق مما سمع حتى يروي ظمأ الليالي الطويلة وهو ينتظر ، ويتربق طلعة الحبيب ، وعندما تتم ببعض العبارات سائلاً ومستفسراً عن حقيقة ما يقوله هذا الرجل .

لكزه سيده قائلاً له : ما لك ولهذا .. ؟ أقبل على عملك ..<sup>(٥)</sup> .

### اسلام سلمان

في المساء تلفع سلمان بغطاء الليل ، وتسلك إلى هناك ، إلى « قباء » المكان الذي التقطته أذناه ، والذي نزل فيه الرجل الذي يقال عنه إنه النبي .

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ ومستند الإمام أحمد .

(٢) المصدر السابق .

(٣) العذق : يفتح العين النخلة ، وبكسرهما عنقود النخلة .

(٤) قيلة أم الأوس والخزرج .

(٥) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٨ .

وحمل تحت ابطه «كومة» من ثمر وتمر، وأطلق لساقيه الطويلتين سرعتها لتحمله إلى هناك.

يقول سلمان: فدخلت عليه فقلت له:

«إنه بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فأيتكم أحق به من غيركم».

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا»<sup>(١)</sup>. وأمسك يده فلم يأكل. فقلت في نفسي: هذه واحدة ثم انصرفت عنه.

ومرت أيام امتنع فيها سلمان عن الذهاب إلى رسول الله ﷺ حتى تجمع لديه بعض الثمار والتمر فجاء بها إلى رسول الله ﷺ قائلاً له: «إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه»<sup>(٢)</sup>.

فقال سلمان: هاتان ثنتان. ثم توفي كلثوم بن الهدم أحد أصحاب رسول الله ﷺ. وتبع الرسول عليه الصلاة والسلام جنازته، وسار خلفه حتى بقع الغرقد وجلس مع صحابته، فوجدها سلمان فرصة لعله يتأكد من بقية العلامات التي حددها له صاحبه فاستدار إلى ظهر الرسول ﷺ ليرى الخاتم الذي وصف له صاحبه.

وعرف الرسول ﷺ ما يريد هذا الرجل فألقى رداءه عن ظهره. يقول سلمان: فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبلة وأبكي. فقال رسول الله ﷺ:

(١) المصدر السابق وحلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ والحاكم في مستدرکه.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٤ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٩.

تحول<sup>(١)</sup> فجلس بين يدي حبيبه ، فقص عليه رحلته الطويلة الممتدة في رحاب الزمن بحثاً عن هدى النبوة. حتى وجدها فأسلم وحسن اسلامه.

وعاش سلمان رقيقاً بالمدينة يخدم سيده اليهودي تهاوراً ويتبتل إلى ربه ليلاً حتى فاته الكثير من الأحداث التي كان يمكن الانتفاع بها مع رسول الله ﷺ.

### سلمان تحور من الرق

وفي إحدى زيارته لرسول الله ﷺ والتي كان يجلسها من سيده. قال له رسول الله كاتب يا سلمان<sup>(٢)</sup> ، ونفذ ما أمره به رسول الله ﷺ فاحتال على سيده ، حتى قبل أن يكاتبه على ثلاثمائة نخلة يجيها بالفقير<sup>(٣)</sup>. وأربعين أوقية من الذهب. ويصدر أمر الرسول الكريم للصحابة بمعاونة سلمان حيث قال لهم : «اعينوا أخاكم»<sup>(٤)</sup> وردد الجميع : سماعاً وطاعة لأمر رسول الله.

يقول سلمان : فاعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية<sup>(٥)</sup> حتى اجتمعت لي ثلثائة ودية ، فقال له رسول الله ﷺ : « اذهب يا سلمان فققر لها فاذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي<sup>(٦)</sup> .

قال سلمان : فققرت ، وأعاني أصحابي حتى إذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله ﷺ إليها ، فجعلنا نقرب إليه «الودي» ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، حتى فرغنا.

(١) المصدر السابق وراجع مسند الامام احمد والحاكم في مشتركه.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٧٩ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٧.

(٣) الفقير: البئر تفرس فيها الفسيلة.

(٤) حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٥ ورواه الحاكم في مشتركه.

(٥) الودية: فراخ النخل الصغار.

(٦) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٠.



فوالذي نفس سلمان بيده ، ما غابت منها «ودية واحدة» (١) .  
أكل هذا من أجل سلمان ؟ ...  
لا بل من أجل الاسلام .

إن القائد يجب أن يكون مع جنوده في كل موقع يتجهون اليه ، حتى يأخذوا منه القدوة ، ويتعلموا منه الايثار والاسلام دين التعاون ، يدعو أتباعه إلى التضامن والتماسك ، وان يبذل كل واحد ما عنده في سبيل الآخرين وبهذه الروح العالية التي اكتسبوها من القرآن الكريم ، ومن أخلاق رسوله الكريم فتحت الدنيا لهم أبوابها ، وسلمتهم مقاليدها في فترة وجيزة من عمر الزمن حتى قال بعضهم إن الأرض كانت تطوى من تحت أقدامهم .

لقد أدى سلمان ما عليه من تفكير النخيل وبقي عليه الذهب .

وذاث يوم ورسول الله ﷺ بين أصحابه أتاه رجل بمثل البيضة من ذهب أصابها من بعض المعادن ، فتصدق بها .

فقال رسول الله ﷺ : « ما فعل الفارسي المسكين المكاتب ؟ .. ادعوه لي » (٢) .

فلما جاء قال له الرسول ﷺ : « خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان (٣) » . قال سلمان : وأين تقع هذه يا رسول مما علي ، قال عليه السلام : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها (٤) . وتحرر سلمان . تحرر جواب الآفاق . تحرر من عبودية الحيرة والضياح

(١) المصدر السابق .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ويراجع مستند الامام احمد .

بالدخول في الاسلام وتحرر من عبودية الرق بالمكاتبه وأداء ما فرض عليه — وعليه الآن أن يأخذ مكانه وسط الصف الاسلامي — فالاسلام ليس فقط كلمة تقال ، أو ركعات تؤدى وشعائر تقام ، وزكاة تدفع .

إن الاسلام مع هذا كله مسؤوليات ضخمة وأعباء جسام يؤديها الفرد إزاء نفسه فلا تنحرف أو تضل .

وازاء الجماعة فلا تنسى حق الله وحق دينه وازاء الأمة الاسلامية كلها حتى لا تنسى رسالتها أو تهمل القيام بأعباء الخلافة في الأرض .

وكان بداية عمل سلمان مع الجماعة الاسلامية عندما وصل الخبر إلى المدينة أن قريشاً حزبت الأحزاب وخرجت برجالها وفرسانها تريد المدينة . ورأى المسلمون أنفسهم في موقف عصيب .

وجمع الرسول أصحابه ليتدارس الأمر . ولم يحضر سلمان هذا الاجتماع . وإنما كان يجلس على هضبة عالية . يتفحص المدينة ويتعرف على مداخلها وهاله وسره في نفس الوقت أن وجدها محصنة بالجبال والصخور . ما عدا فجوة واسعة ، يستطيع الجيش المغير عن طريقها أن يقتحم المدينة .

ونزل مسرعاً ، وانضم إلى مجلس الحرب الذي عقده رسول الله ﷺ وأشار عليهم بحفر خندق في المنطقة المنبسطة أمام مدخل المدينة<sup>(١)</sup> .

واستجاب المسلمون لرأي سلمان . إنه ليس الرأي العجل ، ولكنه الرأي الذي أقيم على أسس وحسابات دقيقة ولذلك اقتنع به الرجال ، وتعاونوا على حفره . يقول عمر بن عوف عن عمل الصحابة في حفر الخندق : ضربنا حتى بلغنا الندى فأخرج الله صخرة بيضاء «مروءة» من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلت لسلمان : ارق إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ، فرقى إليه سلمان .

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٩ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٠ .

فقال : يا رسول الله ، صخرة بيضاء خرجت من بطن الخندق فكسرت حديدنا  
وشقت علينا ، فاما أن نعدل عنها والمعدل قريب ، أو تأمرنا فيها بأمرك . فإننا لا نجب  
أن نجاوز خطك فقال عليه السلام :  
«أرني معولك يا سلمان»<sup>(١)</sup> .

ثم هبط علينا فكنا على شفة الخندق فنزل رسول الله ﷺ فضرب ضربة ،  
صدعها وبرق منها برقة أضواء ما بين لابتيها . فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح فكبرنا  
ثم ضرب الثانية . فبرق منها برقة أضواء ما بين لابتيها حتى كأن مصباحاً في جوف بيت  
مظلم .

فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح فكبرنا . ثم ضرب الثالثة فكسرها وبرق منها برقة  
أضواء ما بين لابتيها ، فكبر تكبير فتح فكبرنا ثم رقى حتى إذا كان في مقعد سلمان .  
قال سلمان : يا رسول الله ، رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط .

فالتفت عليه السلام إلى القوم فقال : «هل رأيتم ؟»<sup>(٢)</sup> .

قالوا : نعم بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، رأيناك تضرب فخرج برق كاللوج  
فتكبر ، فتكبر لا نرى غير ذلك .

قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم فأضواء لي قصور  
الحيرة ، ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة  
عليها . ثم ضربت ضربتي الثانية : فبرق الذي رأيتم أضواء لي معها قصور الحمر من  
أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل : أن أمي ظاهرة عليها .

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٣ .

(٢) سيرة ابن هشام .

ثم ضربت الثالثة : فبرق الذي رأيتم ، أضاء لي معها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا<sup>(١)</sup> يرددها ثلاثاً .

وسط هذا الهول الذي يزلزل النفوس والخوف الذي يقطع القلوب ، والأعداء الذين يحيطون بالمسلمين من كل جانب والذي يصوره القرآن أبلغ تصوير في قوله : ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسط هذا كله يبشر رسول الله ﷺ أصحابه بفتح فارس والروم واليمن . أما المسلمون فكانوا واثقين من نصر الله ومن بشارة رسول الله ﷺ ، لأن الله أخبرهم بأنه مع وجود البأساء والضراء والزلزلة يكون النصر .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ﴾<sup>(٣)</sup> . وها هم أولاء يزلزلون فنصر الله إذن منهم قريب . ومن ثم قالوا : ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾<sup>(٤)</sup> .

أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، فكان هذا الهول كاشفاً لحبيبة نفوسهم ومظهِراً لنفاقهم . قال معتب بن قشير : كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . ولقد تحقق ما أخبرهم به الرسول ﷺ وفتحت المدائن وفتحت القسطنطينية ، وفتحت صنعاء وحملت كنوز كسرى وقيصر إلى حاكم المسلمين لم تمسسها يد ولم ينقص منها شيء . ويتقبلها

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢١٤ .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٢٢ .

عمر ليضعها في بيت مال المسلمين ، ويقول الحمد لله . والله ان الذين أدوا هذا  
لأمناء<sup>(١)</sup> .

أمناء على دينهم ، وأمناء على الناس ، وأمناء على أداء الأمانة التي كلفهم الله  
بها .

### سلمان والبا على المدائن

إن سلمان يفر من الامارة ، ويوصي أصحابه بالفرار منها ، وعندما يستشيريه أحد  
الرجال في قبول الامارة يكون رده :

« إن استطعت أن تأكل من التراب فكل منه ولا تكونن أميراً على اثنين ، واتق  
دعوة المظلوم والمضطرب فإنها لا تحجب »<sup>(٢)</sup> .

وإن سلمان يربط بين الامارة وبين دعوة المظلوم والمضطرب وكأنه يقول : كم من  
المظلومين بين الناس لا تلحظهم عين الامارة وكم من المضطربين بين الرعية تغلق  
دونهم أبواب الامارة . إنها في الدنيا تبعات وملازمة . وفي الآخرة حسرة وندامة .  
ولكن عمر بن الخطاب كان في حاجة إلى هؤلاء الولاة أمثال سلمان الفارسي ليتحملوا  
معه تبعات الأمة وليكونوا عوناً له في تنفيذ شرع الله .

وأرسل إلى سلمان ليتولى إمارة المدائن . ويرفض سلمان ويتشدد في رفضه  
ويتمسك عمر ويصر على طلبه ، إنها أمانة الأمة ولن يتحملها بمفرده .

ويذهب الوالي الجديد إلى مكان الولاية ، تحمله دابته إلى هناك وحيداً بلا  
رفيق ، وفريداً بلا صديق . ويحدثنا أبو المليح عن هريم عن دخول الوالي الجديد إلى  
ولايته فقال : رأيت سلمان الفارسي على حمار «عرة» وعليه قيص قصير ، ضيق ،

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٦ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٨٥ .

وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبته.

قال: ورأيت الصبيان يحضرون خلفه فقلت: ألا تتحون عن الأمير؟... فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم<sup>(١)</sup>. ورتب عطاء لسلمان خمسة آلاف، ومع ذلك كان يوزعها على الرعية، ويأكل من جدل الخوص وكانت إمارته ثلاثين ألفاً من الناس، وكانت عليه عباءة يفترش نصفها ليجلس. فأرادوا أن يقيموا له بيت الإمارة فرفض، ولكن أحد الرجال ممن كان يفهم نفسيته أقنعه بحقيقة البيت الذي يبني قائلاً له: ألا ابني لك بيتاً تستظل به من الحر، وتسكن فيه من البرد؟.

فقال له سلمان: نعم.

فلما أدبر صاح سلمان به فسأله: كيف تبنيه؟...

فقال أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك... فقال سلمان: نعم<sup>(٢)</sup>.

يقول النعمان بن حميد: دخلت مع خالي على سلمان بالمدائن وهو يعمل الخوص فسمعته يقول: اشتري خوصاً بدرهم ثم أعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهماً فيه وأنفق درهماً على عيالي وأنصدق بدرهم.

ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت<sup>(٣)</sup> وكان يخرج كل يوم في إمارته يختلط بالناس، ويتعرف على مطالبهم، وعليه هذه العبادة التي غير الزمن معالمها وكثرة الاستعمال وفي الطريق لقيه رجل قادم من الشام ومعه حمل تين وتمر وكان الحمل يؤود الشامي ويتعبه، فلم يكذبصر أمامه رجلاً يبدو عليه أنه من عامة

(١) طبقات ابن سعد ج ٤.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق.

الناس وفقرائهم حتى بدا له أن يضع الحمل على كاهله حتى إذا أبلغه وجهته أعطاه شيئاً نظير حملة .

وأشار للرجل فأقبل عليه ، وقال له الشامي احمل عني هذا فحملة ومضيا معاً .  
وإذ هما في الطريق بلغا جماعة من الناس ، فسلم عليهم فأجابوا واقفين وعلى الأمير السلام . وعلى الأمير السلام ... أي أمير يعنون؟ .. هكذا سأل الشامي نفسه . ولقد زادت دهشته ، حين رأى بعض هؤلاء يسارع صوب سلمان ليحمل عنه قائلين : عنك أيها الأمير . فعلم الشامي أنه أمير المدائن سلمان الفارسي فسقط في يده ، وهربت كلمات الاعتذار والأسف من بين شفتيه ... واقرب بتترع الحمل ، ولكن سلمان هز رأسه رافضاً وهو يقول : لا حتى ابلغك منزلك<sup>(١)</sup> . يا مدرسة القرآن ماذا فعلت هؤلاء الرجال؟ ... حتى حملوا كتابك وانداحوا به في ارجاء الأرض ينشرون الأمن بعد الخوف ، والنور بعد الظلام ، والهدى بعد الضلال .. ان الدنيا الآن أحوج ما تكون إلى أمثال هؤلاء الرجال .. فيا أتباع محمد ، الكتاب الذي فعل الأعاجيب بين أيديكم ، فتقدموا به . إن التاريخ هناك عبر الأفق ينتظر خطواتكم على الدرب ويضع سلمان دستور الحاكم المسلم في أمة الاسلام فيربت على صدر سعد بن أبي وقاص ، ويأخذ يده بكلتا يديه ويقول : يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند حكمتك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت<sup>(٢)</sup> .

### سلمان والحياة الاجتماعية

ذهب سلمان رضي الله عنه لزيارة أبي الدرداء فرأى امرأته رثة الهيئة فقال : ما شأنك؟

قالت : إن أخاك ليست له حاجة في شيء من الدنيا ، يقوم الليل ، ويصوم النهار .

(١) رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٩١ .

فلما جاء أبو الدرداء رحب به سلمان ، فقرب اليه طعاماً فقال له سلمان : أأطعم .  
قال : إني صائم . فقال سلمان : أقسمت عليك إلا طعمت .  
وقال : ما أنا بآكل حتى تأكل .  
قال : فأكل معه وبات عنده .

فلما كان من الليل قام فحبسه سلمان ، ثم قال : يا أبا الدرداء إن لربك عز وجل  
عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، أعط كل ذي حق حقه ،  
صم ، وأفطر ، وقم ، وتم ، واثت أهلك . فلما كان عند وجه الصبح قال : قم الآن  
فقاما وتوضيا وصليا ، ثم خرجا إلى الصلاة ، فلما صلى النبي ﷺ قام إليه أبو  
الدرداء فأخبره بما قال سلمان<sup>(١)</sup> : فقال رسول الله ﷺ : لقد أشبع سلمان  
علماً<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية .

فقال النبي : «عويمر سلمان أعلم منك . لا تحقق فتقطع ولا تجبس فتسبق» إنه  
بذلك وضع يده على الخطوط الأصلية في النفس البشرية ، وقدم منهجاً للبشرية ،  
استقاه من تعاليم الاسلام .

لا بد من التوازن والاعتدال في داخل النفس وفي داخل الحياة ، فليست هي  
السلبية المريضة التي تؤدي إلى الرهينة والانعزالية ، وليست هي الإيجابية المادية ،  
التي تتكالب على الحياة وترفض أن تتجه لحظات إلى رب الحياة . وتزوج سلمان  
وعندما ذهب إلى خباء زوجته ، قال برفق وأدب للنسوة اللاتي يحطن بها : هل انتن  
مخرجات عني؟ .. مخليات بيني وبين امرأتي؟ .. قلن نعم فخرجن .

فذهب إلى الباب حتى أغلقه وأرخصي الستر ، ثم جاء حتى جلس عند امرأته

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٨٨ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٣٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٨٥ .



فسح بناصيتها ، ودعا بالبركة . فقال لها : هل أنت مطيعتي في شيء أمرك به ؟ ..  
قالت : جلست مجلس من بطاع .

قال : فإن خليي ﷺ أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن اجتمع على طاعة الله عز وجل . فقام وقامت إلى المسجد فصليا ما بدا لها ، ثم خرجا فقصى منها ما يقضى الرجل من امراته .

فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا : « كيف وجدت أهلك ... » (١) . فأعرض عنهم . ثم أعادوا فأعرض عنهم ثم أعادوا فأعرض عنهم ثم قال : إنما جعل الله الستور والحدود والأبواب لتواري ما فيها ، حسب امرئ منكم أن يسأل عما ظهر له فاما ما غاب عنه فلا يسأل عن ذلك .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المتحدث عن ذلك كالحارين يتسافدان في الطريق » (٢) « رحمك الله يا سلمان ، وصلى الله عليك يا رسول الله ، أكان يعلم رسول الله ﷺ بما يحدثه بعض أتباعه من بعده من اخراج زوجته عارية كاسية ويتحدث عنها ويصف مفاتها للأجانب ، ويلوك جولاتها مع الغير بفخر واعتزاز كأنه يتحدث عن معارك البطولة والنصر .

ويدخل رجل على سلمان فيشاهد منظراً عجيباً إنه يعجن فقال له : يرحمك الله أيها الأمير . أين الخادم .. ؟

فقال سلمان : بعثناها لحاجة فكرهنا أن نجتمع عليها عملين (٣) يا لدقة الاحساس ويا لرقة الشعور عند هؤلاء الرجال . ويدخل عليه سعد بن أبي وقاص يعود في مرض الموت فوجده يبكي . فقال سعد : ما يبكيك يا أبا عبد الله .. ؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، وتلقى أصحابك ، وترد على الحوض . قال سلمان : والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد الينا عهداً فقال : « لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب » (٤) وحوالي هذه

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ١٨٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٩٠ حلية الأولياء ج ١ ص ١٩٦ .

(٤) المصدر السابق .

الأساود قال سعد : فنظرت فلم أر إلا أكافا ووطاء ومتاعاً قوم نحواً من عشرين درهماً . ولكنهم أبناء الاسلام ، وصحابة رسول الله ﷺ وتربية القرآن . وأن لجواب الآفاق أن يستريح ، وأوشك أن يبلغ الكتاب أجله ، وأحسن بقرب الرحلة . فقال لزوجته : هلمي خبيك الذي استخبأتك .

قالت : فجئته بصرة مسك . قال : اثني بقدر فيه ماء ، فنثر المسك فيه ثم أذابه بيده ثم قال : انضجيه حولي ، فإنه يحضرنى خلق من خلق الله يجدون الريح ولا يأكلون الطعام ، ثم أغلقت عليّ الباب وانزلي .

قالت : ففعلت ، وجلست هنيهة فسمعت هسهسة قالت : ثم صعدت فإذا هو قد مات <sup>(١)</sup> . رحمتك الله رحمة واسعة يا صاحب رسول الله . وأعطاك ربك بمقدار ما قدمت للاسلام والمسلمين .

وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان بالمداين . سنة خمس وثلاثين <sup>(٢)</sup> .

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٩٣ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٦٣٨ .

## أسباب نزول الآيات

عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ : « إن الذين آمنوا والذين هادوا.. » الآية نزلت في سلمان الفارسي (١) .

وعن الإمام السدي : إن الذين آمنوا والذين هادوا ، الآية قال : نزلت في أصحاب سلمان الفارسي لما قدم سلمان على رسول الله ﷺ جعل يخبر عن عبادتهم واجتهادهم ، وقال يا رسول الله : كانوا يصلون ويصومون ، ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك تبعث نبياً .

فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله ﷺ : يا سلمان هم من أهل النار (٢) فأنزل الله : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ وتلا إلى قوله : ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ .

وأخرج الواحدي عن مجاهد : قال لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه . قال : هم في النار .

قال سلمان : فأظلمت عليّ الأرض : فنزلت : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ — إلى قوله : — يحزنون ﴿ .

وروى ابن جرير الطبري قصة سلمان الفارسي عن أسباط بن نصر عن السدي

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

إن الذين آمنوا والذين هادوا قال : نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي ، وكان سلمان صديقاً لابن الملك لا يقضي واحد منها أمراً دون صاحبه . وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً ، فبينما هما في الصيد ، إذ رفع لها بيت من عباء فأتياه ، فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي . فسألاه ما هذا ؟ ... فقال : الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما ، فإن كنتما تريدان أن تعلمنا ما فيه ، فانزلا حتى أعلمكما ، فنزلا إليه فقال لها : هذا كتاب جاء من عند الله ، أمر فيه بطاعته ونهى عن معصيته ، فيه : أن لا تزني ولا تسرق . ولا تأخذ أموال الناس بالباطل .

فقص عليها ما فيه — وهو الانجيل — الذي أنزله الله على عيسى فوقع في قلوبها ، وتابعاها ، فأسلما وقال لها : ان ذبيحة قومكما عليكما حرام . فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه ، حتى كان عيد للملك فجعل طعاماً ثم جمع الناس والأشراف ، وأرسل الملك إلى صديق ابنه فدعاها ليأكل مع الناس فأبى الفتى . وقال : انا لا نأكل من ذبائحكم ، انكم كفار ليس تحل ذبائحكم .

فقال الملك : من أمرك بهذا .. ؟

فأخبره أن الراهب أمره بذلك فدعا الراهب فقال : ماذا يقول ابنه هذا ؟ .  
قال الراهب : صدق ابنك ..

قال له : لولا ان الدم فينا عظيم لقتلتك ، ولكن اخرج من أرضنا ، فأجله أجلاً فقال سلمان : فقمنا نبكي عليه <sup>(١)</sup> . فقال لها : ان كنتما صادقين فأنا في بيعة بالموصل مع ستين رجلاً نعبد الله فيها .

فلما التقى سلمان برسول الله ﷺ أخبره خبرهم . فقال : كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ، ويشهدون انك ستبعث نبياً . فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم . قال له النبي ﷺ : يا سلمان هم من أهل النار <sup>(٢)</sup> . فاشتد ذلك على سلمان . وقد قال له

(١) تفسير الطبري والدر المشور ج ١ ص ٧٣ .

(٢) راجع تفسير الامام الطبري ج ١ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

سلمان : لو أدركوك صدقوك واتبعوك فأنزل الله هذه الآية : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ (١) .

ثم دعا رسول الله ﷺ سلمان فقال : نزلت هذه الآية في أصحابك ثم قال النبي ﷺ : من مات على دين عيسى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بي فهو على خير . ومن سمع بي اليوم ولم يؤمن بي فقد هلك (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٦٢ .

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٧٣ ، ٧٤ وتفسير الطبري ج ١ ص ١٥٥ .

## تذييل ...

يا أتباع محمد ﷺ أي نوع من الرجال هؤلاء الذين خرجتهم مدرسة القرآن .  
وما هو المنهج الذي سلكته في صناعة هذه النماذج ؟ ..  
الحقيقة انه منهج فريد في عالم المناهج .

المنهج الذي أخرج حظ الشيطان من نفوسهم ، بل أخرج حظ نفوسهم من نفوسهم . وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة ، وفي اليوم رجال الغد لا تجزعهم مصيبة ، ولا تبطرحهم نعمة ، ولا يشغلهم فقر ولا يطغيهم غنى ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفهم قوة . ان الانسان ليعجب من هؤلاء الرجال ، بعد التحاقهم في سلك هذه المدرسة ، مدرسة الإيمان والتربية والتي كانت تملي على صاحبها الفضائل الخلقية ، وتعلمه قوة الارادة وقوة الايمان ، وقوة الحججة ، وقوة محاسبة النفس والانصاف منها .

يخرج جعفر بن أبي طالب وأصحابه مهاجرين إلى أرض الحبشة لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً ، تطاردهم قوى الشر والبغي ، وتربص بهم زبانية القهر والعدوان . وما كادوا يظنون بأقدامهم الأرض الحديدية ، حتى ترسل قريش خلفهم من يردهم إلى التنكيل والتعذيب والهوان . ووسط هذا الهول الذي يحيط بهم من كل جانب يدخل جعفر وأصحابه الى ملك الحبشة . دخلوا ورؤوسهم مرفوعة تملأ قلوبهم الثقة بعون الله ورعايته . ويتقدم اليهم القساوسة والرهبان الذين يحيطون بهذا

الملك ويقولون لهم : اسجدوا كما تفعل بقية الرعية . ولكن جعفرأ المهاجر بدينه يقول في أنفة وعزة وإيمان لا : اننا لا نسجد الا لله .

أرأيتم كيف هانت الدنيا في نظر هؤلاء الرجال ، وكيف امتلأت قلوبهم بالقوة والإيمان فلم يرهبوا إلا الله ولم يخافوا إلا من عقابه ؟ ..

ويطلب رستم قائد الجيوش الفارسية إلى سعد بن أبي وقاص أن يرسل له رسولا ليتعرف على وجهة نظر المسلمين فأرسل له ربيعي بن عامر . فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالتمارق والحرير ، واليواقيت الثمينة ، وعليه تاجه وقد جلس على سرير من ذهب .

ودخل ربيعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل عليه وسلاحه ودروعه وبيضته على رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا والا رجعت فقال رستم : ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمح فوق التمارق فخرق عامتها . فقالوا له : ما جاء بكم ؟ ..

فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

هكذا قال ربيعي : الله ابتعثنا . فلم تكن خرجتهم الى غارة يغيرونها ، ولكن إلى نفوس ليغيروها . ووضع بين أيديهم بعض لبنات المنهج . الدعوة إلى عبادة الله وحده . وتحرير العباد من رق العبودية ومن هوان العيش وإقامة عدل الاسلام المطلق ، بعيداً عن جور المنحرفين والمضللين من أذعياء الدين . ويأتي من البادية رجل ليتعرف على دعوة الاسلام وأخذ يجلس إلى مجالس الرسول ﷺ لا يترك مجلساً منها ، ولا تند عن سمعه كلمة واحدة حتى أشبع علماً وحكمة فلما كانت غزوة خيبر

غم رسول الله ﷺ شيئاً ، فقسّمه وقسم للاعرابي فأعطى أصحابه ما قسم له . وكان يحمي ظهور المسلمين فلما جاء دفعوه إليه . فقال : ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك رسول الله ﷺ فأخذه فجاء به الى النبي ﷺ فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ .. قال : قسم قسمته لك .

قال : ما على هذا اتبعك ، ولكن اتبعك على أن أرى ها هنا — وأشار إلى حلقة — بسهم فأموت فادخل الجنة .

فقال : ان تصدق الله بصدقك ، ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتوا به النبي ﷺ وهو مقتول .

فقال : أهو هو ؟ ..

قالوا : نعم .

قال : صدق الله فصدقه (١) .

يا اتباع محمد ﷺ يا من أصبحتم في موقف لا تحسدون عليه .

إن سلمان الفارسي من المدرسة التي خرجت هؤلاء الأبطال .

(١) زاد المعاد ج ٣ ص ١٩٠ .



كعب بن عجرة

رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ  
فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ  
الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ  
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ  
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً  
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي  
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

## أقوال العلماء في نزول هذه الآية

اتفق كثير من العلماء والمفسرين ورجال الحديث على أن هذه الآية نزلت في الصحابي الجليل كعب بن عجرة.

قال ذلك الإمام البخاري في صحيحه ٨ / ١٤٤ وأيضاً ٣ / ١٠ وأيضاً ٥ /

١٢٣ ، ٦ / ٢٧ ، ٨ / ١١٩ — ١٢٥ .

وقاله الإمام مسلم في صحيحه ٤ / ٢١ .

وقاله الإمام الطبري في تفسيره ٤ / ٦٢ .

وقاله الإمام السيوطي في الدر المنثور ١ / ٢٧٠ .

وقاله صاحب المستدرک ٢ / ٢٧٧ .

لئن هو كعب بن عجرة رضي الله عنه؟

## كعب بن عُجرة

رضي الله عنه

من الرجال الأفاضل الذين تخرجوا في مدرسة الإسلام ومن عمالقة الأنصار الذين آووا ونصروا ، آووا إخوانهم المهاجرين ونصروا دين الله ، ورفعوا راية الإسلام عالية خفاقة في أربعة أركان الأرض .

يتوقف رجال السير والتاريخ عن الحديث عنه قبل إسلامه ويتجاهلون تجاهلاً كاملاً إلقاء الضوء على طفولته وبداية شبابه .

وهذه ظاهرة تدعو للتأمل لأن المتبع لتاريخ رجالات الإسلام يحسّ للوهلة الأولى وكأن كتاب السير والتاريخ يسقطون عمداً تلك الفترة من حياة هؤلاء الرجال .

وكأنهم لم تكن لهم حياة أية حياة تستحق الاهتمام والذكر قبل أن يضيء الإسلام قلوبهم ، وقبل أن تشرق شمس الهداية على حياتهم ، ولكن هذا الرجل الذي تجاهله التاريخ فترة طويلة من حياته يلتفت إليه فجأة ، ويعانقه في قوة أمام حادثة من أدق الحوادث في حياة المسلمين ، يلتفت إليه في صلح الحديبية : الصلح الذي كتبت سطره على جبهة التاريخ بأحرف من نور .

يلتفت إليه عند أشرف بقعة من الأرض الطاهرة : البقعة التي شهدت بيعة

الرضوان والتي قال الله سبحانه وتعالى فيها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . وقال أيضاً :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

يلتفت التاريخ إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحيط به الأنصار والأصحاب وهم يطوفون حول الكعبة بيت الله الحرام الذي جعله الله سكيناً للناس وأمناءً، وشاعر الرسول يجهر بصوته عالياً مخاطباً عصبة الكفر والضلال :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ  
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَبِيلِهِ      أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ  
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ      كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ  
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ      وَيَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

في هذه الأيام الخالدة الخالفة في تاريخ الإسلام يستعرض الرسول ﷺ أبطال الإسلام الذين بايعوه على الشهادة وشراء الجنة فيلمح كعب بن عُجرة والهوام يتساقط على وجهه .

فاقترب منه وسأله :

أَيُّذِيكَ هُوَامُ رَأْسُكَ؟

قال : نعم يا رسول الله .

قال : احلق .

وينزل الله تعالى في حلقه هذا قرآناً يتلى . قال تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آدَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٦ .

ومن هذا التاريخ أخذت الأضواء تسلط عليه والدنيا بأسرها تلتفت إليه ، إنه من السابقين الأولين الذين أجابوا داعي الله ولقد أحس إحساساً صادقاً أن الإسلام ليس كلمة تقال ولا ركعات تؤدى ولكنه جهاد وعمل ، وطوفان يكتسح الكفر وأهله ويشيع كلمة العدل بين الناس قاطبةً .

فأين كعب من هذا كله ؟ هكذا كان يحدث نفسه ويناجي فؤاده وما كان يصل في خطراته إلى هذا الحد حتى لمح عن بُعد سرية غالب بن عبد الله الليثي ، إنها تستعد للرحيل إلى بقعة من بقاع الأرض حيث الكفر والإيمان يصطرعان . وما هي إلا لحظات حتى كان كعب يتقلد سلاحه ويمتطي صهوة جواده ويشارك جند الله في وجهتهم .

وما هي إلا سويعات حتى لفهم الليل الدامس وكأنه غطاء ساتر يحول بينهم وبين أعين الأعداء ، وقبل أن يشرق الصباح بنوره كانت كتيبة الله تعود إلى قاعدتها بمدينة الرسول ﷺ سالمة غامرة بعد أن أبليت بلاءً حسناً ونفذت أوامر القائد الأعلى لجيش المسلمين .

وكان كعب بن عجرة كثيراً ما يجلس في مجلس الرسول ﷺ ليتفقه في أمور دينه ويكون على أهبة الاستعداد إذا ما كلّفه الرسول ﷺ بأمر ، وفي صيف قاطظ وفي شدة وعسرة تَلَف المسلمون يقف على باب مسجد الرسول ﷺ وقد لا تُعرف هويته ولكن تدلّ وجوههم وملاحمهم على أنهم أهلُ خير وجاءوا يبغون خيراً . ويمسك كعب بن عجرة بلجام فرس قائدهم ويقول له :

مَنْ أَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟

— أَنَا وَائِلَةُ بِنِ الْأَسْقَعِ

وماذا تريد ؟

— جئتُ أَبْغِي رَسُولَ الْإِسْلَامِ .

ويأخذ كعب بيده حتى يوقفه بين يدي الرسول ﷺ ، وقال له الرسول :

مَنْ أَنْتَ وَمَا جَاءَ بِكَ وَمَا حَاجَتُكَ؟

فأخبره عن نسبه وقال :

أُتَيْتُكَ لِأَوْمَنِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ .

فقال عليه السلام ، فبايعُ عَلَيَّ مَا أُحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ .

فبايعه وجلس معه كعب بن عجرة ليبين له معالم الإسلام وقواعد أركانه ، وعندما قرر الرحيل رافقه كعب بن عجرة مع كوكبة من فرسان الإسلام حتى مشارف المدينة .

عاد وائلة بن الأسقع إلى بلاده وعلم أبوه بإسلامه فقال له : أَصْبَأْتَ وَتَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ وَاللهَ لَا أَكَلِمَكَ كَلِمَةً أَبَدًا فَحَزَنَ حَزْنًا شَدِيدًا وَرَكِبْتَهُ الهموم والأحزان ولكن أخته التي أسلمت سرًا خفت من أحزانه وأمرته بالعودة إلى مدينة الرسول ﷺ ، وما كادت أقدامه تطأ أرض المدينة مرة أخرى حتى علم بخروج الرسول ﷺ إلى أرض تبوك والمسلمون يتابعون في الرحيل خلفه وهنا يقف وائلة حائراً إنه يريد اللحاق برسول الله ﷺ ولكن ليس لديه الراحلة القوية التي تنقله إلى هناك وليس معه الدراهم التي تنفي بحاجته في هذه الرحلة وهنا يقف أمام مسجد الرسول ﷺ وينادي بأعلى صوته : مَنْ يَنْقُلْنِي إِلَى هُنَاكَ...؟

مَنْ يَحْمِلُنِي عَصْبَهُ وَهُوَ سَهْمِي؟

وكان الأرض انشقت من جنباتها لتظهر أمامه كعب بن عجرة ويقول : أَنَا أُحْمِلُكَ يَا أَخَا الإِسْلَامِ .

ويسرعان في السير حتى يلحقا برسول الله ﷺ ويشهدا معه معركة تبوك .

ويتنصر الإسلام في هذه المعركة نصراً مؤزراً ، وتفر فلول الكفر لا تلوي على شيء . ويصدر الرسول ﷺ — أمره إلى خالد بن الوليد بالتوجه إلى «أكيدر» لهدم أصنامها ويستجيب خالد لأمر القائد وينضم وائلة إلى كتيبة خالد الذاهبة إلى تلك المهمة الشاقة . لأن الأمر لا يتعلق بهدم الأصنام وتحطيم الأوثان وإزالة البهتان ،

ولكنه أمر خطير يتعلق بتغيير النفوس من الداخل حتى تقبل هذا الأمر الذي يقوم به خالد بن الوليد من تحطيم الآلهة التي كانت تعبد وتقدم لها القرابين والنذور .  
ونجحت كتيبة خالد في مهمتها وأزالت البهتان وحطمت قلاع الطغيان وعادت بالنصر والغنائم .

ويحمل وائلة ما أصابه من تلك الغنائم إلى كعب بن عجرة وفاء بالشرط الذي كان بينها . ولكن كعب الذي خرج لنصرة دين الله ولرفع كلمة التوحيد عالية خفاقة محال أن يأخذ أجراً على نقله أحد المجاهدين إلى ساحة المعركة ، ويرد وائلة وما يحمل من غنائم إلى مأمته .

ثم ماذا ..؟ أحسن كعب أن أصحابه يتخطفهم الموت الواحد تلو الآخر . فعزم أمره إلى الذهاب إلى الكوفة ، لعله يجد فيها بعض السلوى وتخفف عنه مفارقة الإخوة والخلان .

ويشعر ابنه محمد بما عزم عليه أبوه فيقول له :

ويحك يا أبي أتترك مدينة رسول الله ﷺ — إلى غيرها ..؟ فيقول له : نعم يا بني أريد ذلك ، ولكن معاذ الله أن يكون ذلك قلاً لأهلها أو رغبة عن تربة شاهدت الرسول وصحبه . ولكن دروبها ومسكنها وكل نسمة تهب علي من نسائتها تذكرني بأحبابي وخطائي الذين فارقتني بالشهادة أو الموت . فلعل في البعد عنها أجد سلوة ونسيان .

محمد : وإلى أين الوجهة يا أبي ..؟

— وجهتي ستكون إلى أرض الكوفة بمشيئة الله ..؟

ولماذا الكوفة يا أبي ..؟

— أرغب في الكوفة يا بني لأن الإمام علي رضي الله عنه قال :

« الكوفة كثر الإيمان ، وحجة الإسلام ، وسيف الله ورمحه يضعه حيث شاء ، والذي نفس بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز » .



أسمعت هذا من الامام علي يا أبي ..؟

— نعم يا بني وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول :

« أهل الكوفة أهل الله ، وهي قبلة الإسلام يحن إليها كل مؤمن » . لقد حببني الى الذهاب معك يا أبي لولا مسجد الرسول — ﷺ — الذي أقضي فيه بعض أوقاتي وأيامي .

يا بني : إن مسجد الرسول — ﷺ — أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها كما أخبر بذلك سيد الخلق — صلوات الله وسلامه عليه — ولكن إذا كنت من رواد المساجد وقلبك متعلق بها . فلكوفة مسجدها وقد رويت فيه فضائل كثيرة .

أية فضائل يا أبي ..؟

من ذلك يا بني ما رواه حبة العري قال :

« كنت جالساً عند علي — رضي الله عنه — فأتاه رجل فقال :

« يا أمير المؤمنين هذه زاحتي وزادي أريد هذا البيت أعني بيت المقدس ..؟ » فقال علي رضي الله عنه :

« كل زادك وبع زاحلتك وعليك بهذا المسجد — يعني مسجد الكوفة — فإنه أحد المساجد الأربعة ركعتان فيه تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد . فقال الرجل : ولماذا يا أمير المؤمنين ..؟ »

فقال الإمام علي : في زاويته فار التنور ، وعند الاسطوانة الخامسة صلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقد صلى فيه ألف نبي ، وألف وصي وفيه عصا موسى ، والشجرة اليقطين ، وفيه هلك يعقوب ويعوق ، وهو الفاروق ، وفيه مسير لجبل الأهواز ، وفيه مصلى نوح عليه السلام .

## أسباب نزول الآيات

قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ يقول الإمام  
الواحدي صاحب كتاب أسباب النزول أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي ، أخبرنا أبو  
طاهر محمد بن الحسن ، حدثنا العباس الدوري ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا  
اسرائيل عن عبد الرحمن الأصفهاني ، عن عبد الله بن معقل عن كعب بن عجرة  
قال : « في نزلت هذه الآية ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ وقع  
القمل في رأسي فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : أحلق وصوم صيام ثلاثة أيام أو  
النسك ، أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين صاع .

أخبرنا محمد بن ابراهيم المزكي ، حدثنا عمرو بن مطر ، إملاء ، أخبرنا أبو خليفة  
حدثنا مسدد ، عن بشر ، حدثنا ابن عوف ، عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى  
قال :

قال كعب بن عجرة : « في نزلت هذه الآية ، أتيت رسول الله ﷺ ، فقال :  
ادنه ، فدنوت مرتين أو ثلاثاً ، فقال : أيؤذيك هوأمك ؟ قال ابن عوف وأحسبه  
قال : نعم ، فأمرني بصيام أو صدقة أو نسك ما تيسر . رواه مسلم عن أبي موسى عن  
ابن أبي عدي ، [ ورواه البخاري عن أحمد بن يونس عن ابن شهاب ] ، كلاهما  
عن ابن عوف .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الله المجلدي ، أخبرنا أبو الحسن السراج أخبرنا

محمد بن يحيى بن سليمان المروزي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا شعبة ، أخبرني عبد الرحمن [بن] الأصفهاني ، سمعت عبد الله بن معقل قال :

تعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد — مسجد الكوفة — فسألته عن هذه الآية : (فقدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال : حُمِلت إلى رسول الله ﷺ ، والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك هذا ، ما تجد شاة ؟ قلت لا ، فنزلت هذه الآية : (فقدية من صيام أو صدقة أو نسك) قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من طعام ، فنزلت في خاصة ولكم عامة . رواه البخاري عن آدم بن أبي إياس وأبي الوليد ورواه مسلم عن بندار عن غندور ، كلهم عن شعبة .

أخبرنا أبو إبراهيم اسماعيل بن إبراهيم الصوفي ، أخبرنا محمد بن علي الغفاري ، أخبرنا إسحاق بن محمد [الرسغي] ، حدثنا جدي حدثنا المغيرة الصقلاني ، حدثنا عمر بن بشر المكي ، عن عطاء عن ابن عباس قال :

لما نزلنا الحديدية جاء كعب بن عجرة يشتر هوام رأسه على جبهته فقال يا رسول الله ، هذا القمل قد أكلني ، قال : احلق وافده . قال : فحلق كعب فنحرت بقرة ، فأنزل الله عز وجل في ذلك الوقت : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ﴾ الآية .

قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : الصيام ثلاثة أيام والنسك شاة ، والصدقة الفرق بين ستة مساكين ، لكل مسكين مُدٌّ . أخبرنا محمد بن محمد المنصوري ، أخبرنا علي بن عمر الحافظ ، أخبرنا عبد الله بن المهدي ، حدثنا طاهر ابن عيسى بن إسحاق التميمي ، حدثنا زهير بن عباد ، حدثنا مصعب بن ماهان ، عن سفیان الثوري ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة قال :

مر به رسول الله ﷺ وهو يوقد تحت قدر له بالحديدية فقال : أُوذيك هوام رأسك ؟ قال : نعم ، قال : احلق . فأنزل الله هذه الآية ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ

به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴿ قال : فالصيام ثلاثة أيام ،  
والصدقة فرق بين ستة مساكين ، والنسك شاة .

أخبرنا عبد الله بن عباس الهروي فيما كتب إليّ : أن العباس بن الفضل بن  
زكريا حدثهم عن أحمد بن نجدة ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا أبو عوانة ، عن  
عبد الرحمن بن الأصفهاني عن عبد الله بن معقل قال :

كنا جلوساً في المسجد ، فجلس إلينا كعب بن عجرة فقال : فيّ أنزلت هذه  
الآية ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ﴾ قال : قلت : كيف كان شأنك ؟  
قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، محرمين ، فوقع القمل في رأسي ولحيتي وشاربي  
حتى وقع في حاجبي ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فقال ، ما كنت أرى أن الجهد  
بلغ منك هذا ، ادعوا الخالق ، فجاء الخالق فحلق رأسي ، فقال : هل تجد نسيكة ؟  
قلت : لا ، وهي شاة قال : فصم ثلاثة أيام أو أطعم ثلاثة أصع بين ستة مساكين .  
قال : فأنزلت فيّ خاصة ، وهي للناس عامة .

## ثبت بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب / مصر.
٣. أسباب نزول القرآن الكريم للواحدي، تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم، ابو الفداء اسماعيل بن كثير، دار الاندلس / بيروت.
٥. تفسير الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف / مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي، دار الكتب بمصر سنة ١٣٦٠هـ.
٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الاسلامية / طهران.
٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي بيروت سنة ١٣٨٦.
٩. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي وزميله.
١٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أبو الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر.
١١. صحيح الامام مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية بالأزهر.
١٢. مسند الامام احمد، شرح احمد بن شاكر، دار المعارف بمصر سنة ١٣٦٨هـ.
١٣. صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ.

- ١٤ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، أ. ي. ونسنت ، تعريب محمد فؤاد عبد  
الباقي بريل لندن سنة ١٩٦٢ .
- ١٥ . الجامع الصغير للسيوطي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة .
- ١٦ . كشف الخفاء ومزيل الالتباس ، اساعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الاسلامي ،  
حلب .
- ١٧ . تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت .
- ١٨ . الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ١٩ . تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث ، بيروت .
- ٢٠ . البداية والنهاية ، الحافظ بن كثير ، مكتبة بيروت ، ومكتبة النصر / الرياض .
- ٢١ . الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، صيدا ، دار بيروت سنة ١٣٧٧ .
- ٢٢ . السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية —  
القاهرة .
- ٢٣ . الروض الأنف ، عبد الرحمن السهيلي ، دار الكعب الحديثة ، القاهرة .
- ٢٤ . مروج الذهب ، المسعودي / دار الاندلس / بيروت / مكتبة نهضة مصر .
- ٢٥ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر — دار الاندلس / بيروت / مكتبة نهضة  
مصر .
- ٢٦ . أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر ، علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر /  
بيروت طبعة سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٢٧ . خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد / دار الكتاب العربي / بيروت ، طبعة ٢ سنة ١٣٩٤ .
- ٢٨ . العقبريات ، عباس محمود العقاد .
- ٢٩ . علي بن أبي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة ، الاستاذ عبد الكريم الخطيب ، دار المعرفة  
للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٣٠ . هذا هو الطريق ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار التراث بمصر سنة ١٩٧٣ .
- ٣١ . مع الإلحاد وجهاً لوجه ، د. عبد الرحمن عميرة ، دار الحلبي ، القاهرة .
- ٣٢ . أشهر مشاهير الإسلام ، رفيق العظم .
- ٣٣ . الاعلام ، الزركلي .

- ٣٤ . الأغاني ، الأصفهاني .
- ٣٥ . تاريخ الخلفاء ، للإمام جلال الدين السيوطي ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .
- ٣٦ . تفسير الخازن والبغوي المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، البغوي ، دار الفكر / لبنان .
- ٣٧ . تليس ابليس ، ابن الجوزي ، مصر سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٣٨ . الرياض النضرة في مناقب العشرة ، الحب الطبري ، مصر .
- ٣٩ . سنن الترمذي ، حققه وصححه عبد الرحمن عثمان / محمد عبد المحسن الكبي صاحب المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
- ٤٠ . سنن الحفاظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني . ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٣٩٥ دار احياء التراث العربي .
- ٤١ . تراث الانسانية — مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

رِجَالٌ  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميره

الجزء الرابع

دار الحديث  
بيروت



جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

.. كان من عناية الله لنا وحسن توفيقه أن أعاننا على أن نقدم للناطقين بالضاد بعامة ، والأمة الإسلامية على وجه الخصوص المجلد الرابع من كتابنا «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» .

ويجئ إلينا أننا قلنا في مقدمة المجلدات السابقة ما فيه غنى وكفاية ، من توضيح هدفنا ، والغاية التي نرجوها من وراء تأليفنا لهذا الكتاب .

ونحب أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن بعض الشخصيات التي يتضمنها هذا المجلد شاركت في الحروب الطاحنة بين أبناء الأمة الإسلامية .

الحروب التي كان لها أكبر الأثر في توقف الفتوحات الإسلامية ، وانحسار المد الإسلامي عن بعض البلدان .

ونقول الآن بعد مضي أربعة عشر قرناً على حدوثها ، إنها فتنة وقى الله المسلمين شرها .

وما كادت تنتهي وتتوقف ، حتى عادت الجيوش الإسلامية مرة أخرى إلى الانتشار في أربعة أركان الأرض .

يقدمون الأمن بعد الخوف .

وينشرون النور بعد الظلام .

ويرفعون كلمة التوحيد عالية خفاقة .

ومن أجود الأشياء التي قرأتها وأنا أفنش وراء الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الفتنة ، هذا الحوار الذي دار بين الزرقاء بنت عددي التي كانت تحرض الكتاب من جيش أهل الكوفة على جيش الشام وبين معاوية ، فأمر أن تسير إليه وأن تكرم حتى إذا جاءت قال معاوية :

« كيف حالك يا خالة ، وكيف مسيرك إلينا؟ ..

قالت : خير مسير .

قال : ما حملك على أن تحرضي علينا؟ ..

قالت : يا أمير المؤمنين ، قد مات الرأس ، وبت الذنب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال : هل تحفظين ما قلت؟ ..

قالت : لا .

قال : لله أبوك لقد سمعتك تقولين : أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس وإن الكواكب لا تضيء مع القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، إنه لا يستوي الحق والمبطل ، ﴿ أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون ﴾ فالترال الترال ، والصبر الصبر ، ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء .

يا زرقاء أليس هذا تحريضك؟ ..

قالت : لقد كان ذلك .

قال : لقد شاركت علياً في دم سفكه .

قالت : أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتكم ، مثلك يبشر بخير

ويسر خليله .

قال : أوقد سرك ذلك؟ ..

قالت : والله لقد سرني وأنا لي بتحقيقه .

قال : والله لولاؤكم له بعد موته أعجب إليّ من حبكم له في حياته ، فاذكري حاجتك ؟ ...

قالت : يا أمير المؤمنين : إني آليت على نفسي : لا أسأل أحداً بعد علي حاجة .

قال : لقد أشاروا علي بقتلك ؟؟ ..

قالت : لؤم من المشير ولو أطعته لشاركته .

قال : كلا لعفون عنك .

قالت : يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا ، وتجاوز عن أساء ،

وأعطى من غير مسألة .

فأعطاها كسوة وأقطعها ضيعة .

نسأل الله العليّ القدير أن يوفق الأمة الإسلامية إلى خير دينها ودنياها إنه سميع

قريب مجيب الدعاء .

د . عبد الرحمن عميرة

زَيد بن أرقم  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ  
عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا<sup>ج</sup> وَلِلَّهِ نَزَّازَاتُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ  
لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنهَا الْأَذَلَّ<sup>ج</sup>  
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

صدق الله العظيم

سورة المنافقون : آية رقم ٧ — ٨

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والسنن نزلت هذه الآيات تصديقاً لزيد بن أرقم .  
قال ذلك صاحب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٣٥ .  
وراجع البخاري ٨ / ٤٩٤ في تفسير سورة المنافقون .

وباب : اتخذوا أعيانهم جنة ، وباب قوله : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ﴾ .

وباب : إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم .  
وأخرجه مسلم رقم ٢٧٧٢ في صفات المنافقين .  
وأخرجه الترمذي رقم ٣٢٠٩ و ٣٢١٠ في التفسير .

لئن زيد بن أرقم؟ ..



## زيد بن أرقم

رضي الله عنه

هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس .

من الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين أحسن استقبال ، وقدموا لهم المال والأنفس والأرواح .

يقال نشأ يتيماً في كنف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة الذي كان يمسك بزمام ناقة الرسول ﷺ في عمرة القضاء ، ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله  
خلوا فإن الخير مع رسوله  
قد أنزل الرحمن في تنزيله  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله  
ويذهل الخليل عن خليله

وقيل : بأن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن رواحة انزل فحرك بنا الركب .

قال : يا رسول الله إني قد تركت قولي هذا .

فقال له عمر : اسمع وأطع ، فترن وهو يقول :

يا رب لولا أنت ما اهتدينا  
ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا  
وثبت الأقدام إن لاقينا  
إن الكفار قد بغوا علينا  
وإن أرادوا فتنة أبينا

فقال النبي ﷺ : « اللهم ارحمه » (١)

فقال عمر : وجبت .

في هذه الأجواء المخلقة ، وفي رعاية هذا الصحابي الجليل الذي يحبه رسول الله ﷺ ويدعوه له ، نشأ زيد بن أرقم رضي الله عنه .

ولا يحدثنا التاريخ عن طفولة زيد بن أرقم ولا عن شبابه ، ولا كيف دخل الإسلام في قلبه . حتى يقف أمامه مبهوراً في غزوة من غزوات الرسول ﷺ .

يقف التاريخ عنده طويلاً ويسجل له حادثة من أعجب الحوادث التي مرت بالمسلمين ، إنها حادثة من حوادث النفاق . وأصحابها هم أولئك الذين دخلوا في جماعة المسلمين بألسنتهم ولم يستقر الإسلام في قلوبهم ، والحادثة : هي غزوة بني المصطلق .

وحقيقتها : أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ .

فلما سمع رسول الله ﷺ بهم ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له (المريسيع) .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٢٧ .

واقْتل الناس ودارت معركة انهزم فيها بنو المصطلق.

وتراحم الناس على الماء ، فأقبل أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال له جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه فازدحم معه سنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخرج على الماء ، فاقتلا .

فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار .

وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث .

فقال : أوقد فعلوها؟ .. قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وأهل قريش إلا كما قال الأول :

«سَمِّنْ كَلْبِكَ بِأَكْلِكَ»<sup>(١)</sup> .

أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم :

«هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم» .

فسمع ذلك زيد بن أرقم .

فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من شؤون المعركة ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال :

«مر به عباد بن بشر فليقتله» .

فقال له رسول الله ﷺ :

(١) هنا مثل من أمثال العرب ، وفي ضده قول العرب : «جوع كلبك يتبعك» .

« فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ .. لا ولكن إنئذ  
بالرحيل » .

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس .  
وعلم عبد الله بن أبيّ بما قاله زيد بن أرقم ، فاتجه إلى رسول الله ﷺ وحلف  
بالله ما قلت : ما قال ، ولا تكلمت به ، وكان في قومه شرفاً عظيماً .

فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى  
أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل عطفاً على ابن أبيّ  
ودفعاً عنه .

فلما سار رسول الله ﷺ ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم  
قال :

يا نبي الله ، والله لقد رحمت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها؟ ..

فقال له رسول الله ﷺ :

« أوما بلغك ما قال صاحبكم؟ »

قال : وأيّ صاحب يا رسول الله؟ ..

قال : عبد الله بن أبيّ .

قال : وما قال؟ ..

قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل .

قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الدليل وأنت  
العزير .

ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظّمون له  
الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليتهم حتى

أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذنتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال :

« هذا الذي أوفى الله بأذنه . »

لقد أدّى زيد بن أرقم ما يوجهه عليه السلام .

إنه المسلم الملتزم ، ولا يقبل مطلقاً أن ينال أحد من رسول الله أو من جماعة المسلمين .

والمسلم دائماً ولاؤه لله تعالى .

والمسلم في كل أحواله محبّ لرسول الله ﷺ .

والمسلم الحق : هو الذي يلتزم بكتاب الله تعالى وبسنة الرسول ﷺ .. يحكمها في شؤونها كلها ...

أما هؤلاء الذين يكون ولاؤهم لليهود الذين حرفوا التوراة .

أو للنصارى الذين يقولون : بالتثليث .

أو هؤلاء المنافقين ، والانتهازيين ، والمارقين عن حدود الله فإن الله تعالى يخاطب المؤمنين بقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ (١) .

لقد نزل القرآن ليفصل في هذه القضية .

ويقول لهذا المنافق إنك كذاب . تنال من الناس بغير حق ، ويسيطر الجبن على

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١ .

كل جارحة من جوارحك .. فلا تنطق بالحق ولا تقرر الواقع ، ولا تعتذر عما بدر منك .

ونزل القرآن ليصدق هذا الصبي فيما نقله .

فهو صادق بقلبه .

وهو صادق بلسانه .

وهو صادق فيما نقله إلى رسوله ﷺ .

ومن هذا التاريخ لم يتخلف زيد بن أرقم عن غزوة من غزوات الرسول ﷺ .

فهو الجندي المجاهد في سبيل دينه ومن أجل إعلاء كلمة ربه .

وأصبح الجهاد حرفته لا يستطيع التخلف عن غزوة مهما كانت الأسباب ، حتى

تلك الغزوة التي كانت على مشارف الروم والتي سميت بغزوة مؤته ، كان زيد بن

أرقم أحد رجالاتها وأبطالها .

يقول محدثاً عن نفسه :

كنت رفيقاً لعبد الله بن رواحة في غزوة مؤته ، فخرج مردفي على حقيبة راحلته

فوالله إنا لنسير ليلة إذ سمعته يتمثل بأبياته هذه :

إذا أدنيتني وحملت رحلي      مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمي وخلاك ذم      ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وآب المسلمون وغادروني      بأرض الشام مشتهي الإواء

وردك كل ذي نسب قريب      إلى الرحمن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع بعل      ولا نخل أسافلها رواء<sup>(١)</sup>

يقول زيد بن أرقم :

(١) كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ج ١ ص ١١٩ .

« فلما سمعتهن بكيت ، قال : فخففتني بالدرة ، وقال : ما عليك أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبي الرحل » .

وحقق الله له ما تمناه ونال الشهادة ..

وعاد زيد بن أرقم مع الجيش العائد إلى المدينة .. وتقلبت به الأيام ومرت عليه الليالي .. وبصمت التاريخ فلا يحدثنا عن زيد — حتى كانت موقعة صفين بين علي ومعاوية — رضي الله عنهما ، هنا يظهر زيد في جيش علي ، أحد الأبطال المغاوير ومن خالصاء علي بن أبي طالب المقرّبين .. ثم اعتزل كل ذلك ونزل الكوفة وابتنى بها داراً في كندة (١) ..

يعبد ربه ويستقبل أصحابه ، ويهدي إلى الخير ويدل عليه ، حتى آتاه اليقين في سنة ثمان وستين .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته بمقدار ما قدم من خير للإسلام ورفع رأيته ونصرة دينه ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

(١) كتاب الامتيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٣٥ .

## أسباب نزول الآيات

يقول زيد بن أرقم رضي الله عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر — أصاب الناس فيه شدة — .

فقال عبد الله بن أبي : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله ،  
وقال :

«لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل» .

قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله .  
فاجتهد يمينه ما فعل .

فقالوا : كذب زيد رسول الله ﷺ .

قال : فوقع في نفسي مما قالوا شدة ، حتى أنزل الله تصديقي : ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ — «سورة المنافقون» .

قال : ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم ، قال : ﴿ لووا رؤوسهم ﴾ ، وقوله :  
﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ . قال : كانوا رجالاً أجمل شيء .

وفي رواية أن زيدا قال : كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول : فذكر



نحوه ، قال : فذكرت ذلك لعمي — أو لعمر<sup>(١)</sup> — فيذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاني فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني فأصابني غم لم يصبني مثله قط ، فجلست في بيتي .

وقال عمي : ما أردت إلى أن كذبتك النبي ﷺ ومقتك ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ إلى قوله : ﴿ ليخرجن الأعراس منها الأذل ﴾ [ المنافقون ١ — ٨ ] . فأرسل رسول الله ﷺ فقرأها عليّ ثم قال : « إن الله قد صدقك »<sup>(٢)</sup> .

وفي رواية أخرى له قال : غزونا مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء ، وكان الأعراب يسبقوننا إليه ، فسبق أعرابي أصحابه ، فسبق الأعرابي فيملاً الحوض ، فيجعل حوله حجارة ، ويجعل النطع عليه ، حتى يجيء أصحابه قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً ، فأرخصي زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشججه ، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره ، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ، ثم قال :

« لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله — يعني الأعراب — وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام .

قال عبد الله : إذا انفضوا من عند محمد فانتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه :

( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعراس منها والأذل ) .

قال زيد ، وأنا ردف عمي ، فسمعت عبد الله ، فأخبرت عمي ، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد ، قال : فصدقه رسول

(١) وقع عند الطبراني : أن المراد بعمه سعد بن عبادة ، وليس هو عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج ، وعم زيد بن أرقم الحقيقي هو ثابت بن قيس له صحبة .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

الله ﷺ وكذبي ، قال : فجاء عمي إليّ فقال : ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون .

قال : فوقع عليّ من الهم ما لم يقع على أحد ، قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر ، قد خفقت برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا .

ثم إن أبا بكر لحقني فتمال : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ ..؟

قلت : ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني ، وضحك في وجهي .

قال : أبشر .

ثم لحقني عمر ، فقلت له مثل قولي لأبي بكر .

فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين <sup>(١)</sup> .

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٤ / ٨ في تفسير سورة المنافقين ، في فاتحتها وباب انحلوا أعيانهم جنة ، وباب قوله : ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) وباب (إذا رأيتم تمجك أجسامهم) ، وأخرجه مسلم رقم ٢٧٧٢ في صفات المنافقين ، والترمذي رقم ٣٣٠٩ و ٣٣١٠ في التفسير ، باب ومن سورة المنافقين .

## تذييل ...

.. لماذا ذهب زيد بن أرقم رضي الله عنه إلى الكوفة ، وأقام بها ؟ .. ومن قبله  
ومن بعده مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم آثروا المقام بالكوفة ؟ .  
ولماذا تركوا تلك البلاد التي أقام فيها رسول الله ﷺ ؟ ..  
الآن الكوفة في ذلك العصر كانت وافرة الخير كثيرة الرزق ؟ ..  
أم لسلامة مناخها وعذوبة مائها ؟ ..  
أم أن هناك أشياء أخرى غير ذلك ، دفعتهم للهجرة إلى الكوفة والإقامة بها بقية  
حياتهم ؟ ..

قبل أن نجيب على ذلك ، يقتضينا الكلام أن نلتي بعض الأضواء على نشأة  
الكوفة ، ومن الذي قام بينها وتخطيطها ، فنقول :

لما فرغ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من معركة القادسية ، وهرب  
(يزدجرد) إلى اصطخر ، نزل كل قوم من المسلمين في ناحية فاعتلوا ، فكتب سعد  
إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنها بذلك ، فكتب إليه عمر قائلاً :  
« إن العرب لا يصلحها من البلدان ، إلا ما أصلح الشاة والبعير ، فلا تجعل بيني  
وبينهم بحراً وعليك بالريف » .

فأتاه ابن ببيعة فقال له : هل أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت  
عن المبة ؟ ..

قال : نعم ، فدلّه على موضع الكوفة .

ويقال : إن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال عندما وضع أثاث قلعة الكوفة : اللهم اجعلها عصمة للمسلمين من عدوهم ، وكان سعد مستجاب الدعاء .. فاستجاب الله دعوته : فلم يستطع عدو خارجي أن يقتحم بناء الكوفة . وهذه البنية قائمة .

ومع ذلك كان المسلمون في داخل بلادهم — مع قيام قلعة الكوفة — بأسهم بينهم شديد ، ودخلوا في ليل مظلم طويل لا نهاية له ، ومعارك طاحنة بددت قوتهم وأضرّت بالإسلام والمسلمين .

يقول أحد المؤرخين مصوراً ضراوة المعارك التي دارت بين المسلمين في الفترة التالية التي ذهب فيها إلى الكوفة زيد بن أرقم :

«إنه رأى رأس الحسين رضي الله عنه في قلعة الكوفة أمام عبد الله بن زياد وهو ينكث الرأس بقضيب كان في يده» .

وما لبث أن ثار المختار الثقفي ، وقاد جيشاً جراراً من المطالبين بثأر الحسين وحاصر جيش عبد الله بن زياد ، فاستسلم له ، وقتل عبد الله بن زياد ، وحمل رأسه إلى قلعة الكوفة أيضاً ، ووضع أمام المختار الثقفي .

ولم يمض على ذلك وقت طويل ، حتى كان جيش مصعب بن الزبير ينكل بجيش المختار الثقفي ، ويمجز رأسه بعد قتله لتوضع أمام مصعب بن الزبير في قلعة الكوفة .

وخشي الأمويون على ملكهم ، فأرسل عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً فحاصر جيش مصعب بن الزبير ، وتمكن قائده في النهاية من حزّ رأس مصعب لتوضع أمام عبد الملك بن مروان .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فما لبثت أن زحفت الجيوش المحيثة بقيادة أبي مسلم الخراساني لتحطيم الدولة الأموية وإعلان قيام الدولة العباسية .

وتّمّ للجيش المغير ما أراد وخربت المدن ، وأبيد مئات الآلاف من أبناء المسلمين ، وشرّد آلاف آخرون .

والحقيقة التي يجب أن يعرفها أبناء المسلمين الآن ، أن الأمر لم يكن أمر محطّم دولة ، وقيام أخرى بديلة ، وإنما كان الأمر أعمق من ذلك وأكبر ، إنه تخريب لذاتية الأمة الاسلامية كلها ، وانتهزامها من الداخل ، وكان وقوع هذا نتيجة تحكيم الهوى والغرض ، وعدم الاحتكام إلى كتاب الله ، وكان أن فتحت أبواب بغداد — عاصمة الإسلام — أمام جحافل التتار والمغول ، بيد الحزب المناوئ للحزب الحاكم في ذلك الوقت .

وفي مصر ، العاصمة الثانية للإسلام — في ذلك الوقت — أرسل الوزير الفاطمي المسلم ، رسالة إلى الصليبيين ليستعين بهم على حكم المسلمين .

وفي الأندلس ، كان حكامها المسلمون يستعينون على بعضهم البعض ، بمن كان يجاورهم من حكام الفرنجة .

حدث هذا وأكثر منه ، في الفترة التالية للفترة التي كان زيد بن أرقم رضي الله عنه يظأ أرض الكوفة ، ويقيم داراً في كندة ...

ونعود للسؤال السابق : لماذا اختار مجموعة من الصحابة الكوفة بالذات ، مقرّاً لإقامتهم ؟ ...

إن الإمام علي رضي الله عنه ، يقول عنها :

الكوفة : كثر الإيمان .

الكوفة : حجة الإسلام .

الكوفة : سيف الله ورمحه يضعه حيث شاء .

والذي نفسي بيده: «لينصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها، كما انتصر بالحجاز»<sup>(١)</sup>.

أقال الإمام علي رضي الله عنه هذا الكلام؟  
إن مما يؤيد ذلك ما يقوله سلمان الفارسي رضي الله عنه:  
«أهل الكوفة أهل الله، وهي قبة الإسلام يحن إليها كل مؤمن»<sup>(٢)</sup>.  
والآن في هذا العصر الموار بالفتن المشتعل بالحروب، الهائج بكل عاصفة هوج، وبكل ريح مدمرة.

هل لا زالت الكوفة: كثر الإيمان وحجة الإسلام؟

وهل لا زال أهلها: أهل الله؟

أم أنه قد أصابهم ما أصاب غيرهم، وأن ضراوة الغزو الفكري المنمر،  
وأساليب المذاهب الهدامة، والإعلام الموجه من الصهيونية الغادرة، كان له تأثير في  
تغيير هذه المدينة وأهلها.

.. الله أعلم بذلك، وعلى الله قصد السبيل.

(١) معجم البلدان: يا قوت الحموي ج ٤ ص ٤٩٢.

(٢) المصدر السابق.

صرت بن قيس  
رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ  
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ  
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ  
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ  
لَكُمْ الْخَبِيثَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَبِيثِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ  
ثُمَّ امْتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ  
فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة : آية رقم ١٨٧



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض رجال السير والتفسير نزلت هذه الآية :  
في أبي قيس ، صرمة بن أبي أنس بن مالك .  
قاله صاحب الاستيعاب ج ٢ ص ٧٣٧ .  
وقاله ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ .  
وقاله أبو داود رقم ٢٣١٤ في الصيام باب مبدأ فرض الصيام .  
وراجع البخاري ٤ / ٩١١ ، ٩١٢ ، في الصوم باب ﴿ أحل لكم ليلة الصيام  
الرفث إلى نسائكم ﴾ .  
وراجع الترمذي رقم ٢٩٧٢ في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .  
وراجع النسائي ٤ / ١٤٧ ، ١٤٨ في الصيام باب تأويل قول الله عز وجل :  
﴿ كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ .  
لن صرمة بن قيس ؟ ..

## صرمة بن قيس

رضي الله عنه

مَنْ يكون صرمة هذا ، حتى يقف التاريخ أمامه مهوراً يسجل أعماله وكلماته بأحرف من نور؟..

مَنْ هذا الرجل الذي رزقه الله سبحانه وتعالى عقلاً أليفاً ، فرّق به بين الحق والضلال والهدى والنور؟..

مَنْ هذا العملاق الذي أعلن كلمة التوحيد عالية خفاقة في ثرى يثرب ، فردّد معه جنبات الوادي معلنة التسييح والتحميد لله الواحد الأحد؟..

إنه : صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك ، أخو بني عدي بن النجار .  
يكنى أبا قيس .

وربما قال فيه بعضهم صرمة بن مالك ، فنسبه إلى جده .. بين السهول الخضراء ووسط العيون الفوارة بالماء العذب ، وعلى ثرى الطبيعة الفواحة بالعطر ، المليئة بالخير كانت ولادته .

فنشأ مع الأجواء الفسيحة يشاهد السماء الصافية العالية المقببة ، على الأرض بلا عمد ترفعها أو حواجز تسندها .

واستمع شبابه الباكر بجمال الكون الذي نسفته يد القادر الخالق ، فهذه الكواكب والثريات التي تنتشر على صفحة السماء .

وهذه الشمس التي ترسل أشعتها إلى الأرض بالدفء والظياء.  
وهذا القمر الساجي نوره، الساطع بهاؤه.  
وهذه المياه العذبة التي تقذف من باطن الأرض بلا تعب ولا مشقة، فتسقي  
النبات وتشيع في الأرض الخضرة والثمار.  
مَنْ فعل كل ذلك؟..

مَنْ الذي نسق هذا الكون؟..

مَنْ الذي خلق الانسان في أحسن تقويم؟..

مَنْ الذي جعل له السمع والبصر والفؤاد، وعلمه ما لم يكن يعلم؟..  
مَنْ فعل ذلك؟..

أهي الأصنام المقامة في الكعبة ويحجّ لها الحجيج في كل عام، يقدمون لها الذنور  
ويذبحون باسمها الذبائح، ويتمسحون بحجارتها الصلدة؟..

إنها لا تنطق ولا تتكلم.

إنها لا تنفع ولا تضر.

إنها لا تستطيع أن ترد عنها كيد المعتدين، وعبث العابثين، فحال أن تكون  
المبدعة الخالقة للكون وما فيه؟..

هذه التساؤلات كانت لا تفارق مخيلة صرمة، فأقلقت نهاره، وأسهرت ليله،  
حتى هدي إلى الحق، وبان له نور اليقين.

فماذا كان منه؟.. لبس المسوح وترهب، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة.  
يقول عنه ابن اسحاق:

«كان رجلاً قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وفارق الأوثان، واغتسل  
من الجنابة، وهمم بالنصرانية، ثم أمسك عنها.  
إذن ماذا يفعل وكيف يتجه؟..»

لقد قرّر أن يدخل بيتاً ويتخذهُ مسجداً له ، لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب ابراهيم عليه السلام .

إبراهيم الذي قال لأبيه : ﴿ أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ .

إبراهيم الذي أراد أن يهدي قومه إلى حقيقة التوحيد ، فقال عندما رأى كوكباً هذا ربي .

﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين ﴾ (١) .

وعندما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي .

﴿ فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ (٢) .

وعندما رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربي ، هذا أكبر .

﴿ فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ﴾ (٣) .

ووقف ابراهيم في وجه الطاغوت بصدع بكلمة الحق ويعلم كلمة التوحيد :

﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ .

قال الطاغية : أنا أحيي وأميت .

قال ابراهيم : ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ .

هل تستطيع طواغيت الأرض أن تفعل ذلك ؟

(١) سورة الأنعام آية رقم ٧٦ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٧٧ .

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٧٨ .

هل في مقدورهم أن يخلقوا ذبابة؟..

محال أن يفعلوا ذلك : ﴿ فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (١)

واستمر صرمة في عبادة رب ابراهيم .

وسخر منه قومه وتقولوا عليه الأقاويل ، ورموه بالخبيل والجنون ، فقال لهم :

سبحوا لله شرق كل صباح	طلعت شمسك وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا	ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوي	في وكور من آمانات الجبال (٢)
وله الوحش بالفلاة تراها	في حقاف وفي ظلال الرمال (٣)
ولسه هودت يهود ودانت	كل دين إذا ذكرت عضال
وله شمس النصارى وقاموا	كل عيد لربهم واحتفال (٤)
وله الراهب الحبيس تراه	رهن بؤس وكان ناعم بال
يا بني الأرحام لا تقطعوها	وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعف اليتامى	ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم ولياً	عالمأ يهتدي بغير سؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه	إن مال اليتيم برعاه والي

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨ .

(٢) الوكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٣) الحقاف : جمع حقف ، وهو المستدير من الرمال .

(٤) شمس : تعبد ، والشماس : عابد من عباد النصارى ، وصحي الشماس بذلك لأنهم يشمسون أنفسهم .

يا بنيَّ التخوم لا تخزلوها      إن خزل التخوم ذو عقال<sup>(١)</sup>  
يا بنيَّ الأيام لا تأمنوها      واحذروا مكرها ومرَّ الليالي  
واجمعوا أمركم على البرِّ والتقوى      سوى وترك الحنا وأخذ الحلال<sup>(٢)</sup>

إنه يطالب الذين من حوله بالتسبيح والتقديس ، للذي أظهر الصباح وأطلع الشمس والقمر .

ويصف الله سبحانه وتعالى أنه عالم السر ، عالم الغيب .. يعلم خلجات الأنفس .

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾<sup>(٣)</sup>

ثم يقول بأن الله سبحانه وتعالى له كل ما في الكون من إنس و جن و طير و حيوان ، الكل يسبح له و يخضع لمشيئته .

ثم بعد أن يرشد الناس إلى خالقهم ، يدعوهم إلى مكارم الأخلاق .  
فهو يطالب بصلة الأرحام .

ويدعو إلى الرفق باليتيم ، وعدم الأخذ من ماله .

فالدنيا إلى فناء والآخرة إلى بقاء .

وكل ما يملكه الانسان عرض زائل ، و عارية مردودة .

فالبر ، والتقوى التقوى ، والابتعاد عن كل ما ينقص أو يشين .

وأكل الطيب الحلال .

(١) التخوم : حدود الأرضين ، والعقال : ما يمنح الرجل من المشي ويعقلها .

(٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٣١ - ٢٢٢ .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٧ .

واستمر صرمة على حاله معتكفاً في مسجده ، يدعو إلى مكارم الأخلاق والبعد  
عن سفاسفها حتى كان يوم .

وسمع بسفارة مصعب بن عمير رضي الله عنه لأهل المدينة ، يدعوهم إلى  
الإسلام ، ويبشرهم بالفوز بالجنان إن هم أجابوا داعي الله .

فأعلن صرمة إسلامه ، وانضم إلى الدين الجديد ، وفي رحاب التوحيد استطاع  
أن يتعرف على كثير من الأسئلة التي كانت ترد على خاطره وتشغل نهاره وتقلق ليله  
ولا يجد لها جواباً .

ويصور أبو قيس صرمة بن قيس دعوة الرسول ﷺ ، وما لقيه من كفار قريش  
بقوله :

يذكر لو يلقي صديقاً مواليا	نوى في قريش بضع عشرة حجة
فلم يرَ من يؤوي ولم يرَ داعيا	ويعرض في أهل المواسم نفسه
فأصبح مسروراً بطيبة راضيا	فلما أتانا أظهر الله دينه
وكان لنا عوناً من الله باديا	وألقي صديقاً واطمأنت به النوى
وما قال موسى إذ أجاب المناديا	يقص لنا ما قال نوح لقومه
قريباً ولا يخشى من الناس نائيا	فأصبح لا يخشى من الناس واحداً
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا	بدلنا له الأموال من حل ما لنا
ونعلم أن الله أفضل هاديا	ونعلم أن الله لا شيء غيره
جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا	نعادي الذي عادي من الناس كلهم
تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا	أقول إذا أدعوك في كل بيعة
حنانك لا تظهر عليّ الأعدايا	أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة
وإنك لا تبني لنفسك باقيا	قطاً معرضاً إن الختوف كثيرة
إذا هو لم يجعل له الله واقيا	فوالله ما يدري الفتى كيف تبني

وكان حكيماً يجري الله سبحانه وتعالى الحكمة على لسانه ، وذكر سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد قال :

سمعت عجزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس رضي الله عنه يختلف إلى صرمة بن قيس يتعلم منه هذه الآيات :

يقول أبو قيس وأصبح ناصحاً ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا  
أوصيكم بالله والبر والتقوى وأعراضكم وبالبر بالله أول  
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا  
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا  
وإن يأت غرم قادح فارقوهم وما حملوكم في الملمات فاحملوا  
وإن أتم أملكتم فتعففوا وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا  
هذا هو أبو قيس صرمة بن قيس قبل الإسلام ، وقبل مبعث الرسول ﷺ ، فما  
دوره عندما أشرق قلبه بنور الإسلام ، أكانت له مجادلات مع اليهود في المدينة ،  
هؤلاء الذين كانوا يبشرون بقرب ظهور نبي ، فلما جاءهم الرسول تنكروا له ؟ ..  
أكانت له مواقف مع هؤلاء المنافقين الذين يؤمنون نهراً ويكفرون ليلاً ؟ ..  
والذي عبر القرآن عنهم بقوله :

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا  
فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> .  
إن الوثائق التي بين أيدينا لا تشير إلى شيء من ذلك ، ولا تذكر أنه اشترك في  
غزوات أو حروب .

بل أغفلت كتب التاريخ أن تحدد لنا تاريخ وفاته ، رحمه الله رحمة واسعة  
وأسكنه فسيح جناته .

(١) سورة البقرة آية رقم ٩ - ١٢ .



## أسباب نزول الآيات

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :

« كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان أحدهم صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً ، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال :  
« أعندك طعام ؟ » .

قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك . وكان يومه يعمل فقلبت عينه فجاءت امرأته ، فلما رأته قالت : خيبة لك ، فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية :

﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ .

ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت :

﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ .

هذه رواية البخاري والترمذي <sup>(١)</sup> .

(١) راجع البخاري ٤/٩١١ ، ٩١٢ في الصوم ، باب أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، والترمذي رقم ٢٩٧٢ في التفسير ، باب ومن سورة البقرة .

وفي رواية النسائي : قال أخبرني هلال بن العلاء بن هلال بسنده عن البراء بن عازب أيضاً :

« أن أحدهم كان إذا نام قبل أن يتعشى لم يحل له أن يأكل شيئاً ولا يشرب ليلته ويومه من الغد حتى تغرب الشمس حتى نزلت هذه الآية :

﴿ واكلوا واشربوا ﴾ إلى قوله : ﴿ الحيط الأسود ﴾ . وقال : نزلت في أبي قيس ابن عمرو ، أتى أهله وهو صائم بعد المغرب فقال :

« هل من شيء ؟ »

فقال امرأته : ما عندنا شيء ، ولكن أخرج القميس لك عشاء فخرجت ووضع رأسه فنام ، فرجعت إليه فوجدته نائماً وأيقظته فلم يطعم شيئاً ، وبات وأصبح صائماً حتى انتصف النهار ، فغشي عليه وذلك قبل أن تنزل هذه الآية ، فأنزل الله فيه <sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع النسائي ٤ / ١٤٧ - ١٤٨ في الصيام ، وأبو داود رقم ٢٣١٤ في الصيام .

## تذييل...

سؤال نظرحه على أنفسنا أولاً وعلى القراء ثانياً ، هل كان صرمة بن قيس متفرداً في التبرم بالأصنام والسخرية بالأصنام؟ ..

أم كان يشاركه في ذلك مجموعة ممن حياهم الله سبحانه وتعالى رزانه في العقل وسلامة في التفكير؟ ..

إن وقائع التاريخ تقرر أن النزعة إلى الخنيفية في جزيرة العرب كانت شائعة ويعتقها مجموعة من الناس .

ومما يؤكد ذلك ما يقدمه لنا ابن هشام في سيرته بقوله :

«قال ابن اسحاق : اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم ، عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ويدورون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً .

فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض :

«تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض» . قالوا أجل .

وهم : ورقة بن نوفل .

وعبد الله بن جحش بن رباب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب .

وعثمان بن الحويرث .

وزيد بن عمرو بن نقييل .

فقال بعضهم لبعض :

تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ؟؟  
يا قوم : التمسوا لأنفسكم ديناً ، فإنكم والله ما أنتم على شيء .  
فتفرقوا في البلدان يلتمسون الخنيفية دين إبراهيم .

أما ورقة بن نوفل : فاستحکم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم  
علماً من أهل الكتاب .

يقول عنه صاحب الأغاني : أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية ، وطلب  
الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

وتعلم العبرانية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما  
شاء الله أن يكتب .

ولم يكن أمر معرفته وعلمه مجهولاً بين قومه ، ولذلك انطلقت خديجة بنت  
خويلد إليه بالنبي ﷺ ، لتستفسر عما عرض للرسول من أمر الوحي فأفادها  
وطمأنها .

تقول عائشة رضي الله عنها :

« أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي : الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان  
لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبيب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء  
فيحنت<sup>(١)</sup> فيه ، وهو التعب الليلي ذوات العدد قبل أن ينزع<sup>(٢)</sup> إلى أهله ، ويتزود  
لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه  
الملك فقال :

اقرأ .

قال : فقلت : ما أنا بقارئ .

(١) الحنت : التعب .

(٢) نزع : رجع .

قال : فأخذني فغطني (١) حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني .

فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارىء .

قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني .

فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارىء ؟ . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم

أرسلني .

فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم

الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٢) .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فواده ، فدخل على خديجة بنت خويلد

فقال :

« زملوني ، زملوني » (٣) .

فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة — وأخبرها الخبر — لقد خشيت

على نفسي ، فقالت له خديجة :

« كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ،

وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل — وهو ابن عم خديجة —

وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فكتب الإنجيل

بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي .

فقالت له خديجة :

(١) غطه : ضغطه بشدة .

(٢) سورة العلق آية رقم ١ — ٥ .

(٣) التزميل : التغطية والتلف في الثوب .

« يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك » .  
فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ ..  
فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .  
فقال له ورقة :

« هذا الناموس <sup>(١)</sup> الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً <sup>(٢)</sup> ، ليتني  
أكون حياً إذ يخرجك قومك » .

فقال له رسول الله ﷺ : أومخرجي هم ؟ ..

قال : نعم ، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك حياً  
أنصرك نصراً مؤزراً .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي وقتر الوحي <sup>(٣)</sup> .

وكان ورقة شاعراً ناضج التفكير في شعره ، ومثال ذلك قوله :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير ، فلا يغركم أحد  
لا تعبدن إلهاً غير خالقنا فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد  
إلى أن قال :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودي المال والولد  
وأما عبيد الله بن جحش : فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم  
هاجر مع المسلمين إلى الحبشة فلما قدمها تنصر .

(١) الناموس : صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بنجر ، ولا يظهر إلا الجميل ، وسمي جبريل عليه السلام  
ناموساً ، لأنه مخصوص بالوحي والغيب اللذين لا يطلع عليها أحد من الملائكة سواه .

(٢) جذعاً : الجذع هنا كناية عن الشباب . يقول يا ليتني كنت شاباً عند ظهورك .

(٣) راجع البخاري في بدء الوحي ، وفي تفسير سورة اقرأ ، ومسلم رقم (١٦١) في الإيمان باب بدء  
الوحي .

وأما عثمان بن الحويرث : فقدم على قيصر ملك الروم ، فتنصر وحسنت منزلته عنده .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل ، فهو عم سيدنا عمر بن الخطاب ، وهو والد سعيد ابن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وكان أحد من اعتزل عبادة الأوثان ، وامتنع عن أكل ما ذبح باسمها ، وكثيراً ما أنكر على قريش ذبحها على غير اسم الله قائلًا :

« يا معشر قريش : أيرسل الله قطر السماء ، وينبت بقل الأرض ، ويخلق السائمة فترعى فيه ، وتذبحونها لغيره ؟ .. »

ولقد حاول زيد بن عمرو أن يحل ألغاز الكون .

من أين جاءت الحياة ؟ ..

وإلى أين تذهب ؟ ..

ولم كانت على هذه الصورة ولم تكن على غير ذلك ؟ ..

إلى الكثير من التساؤلات .. وأخيراً خرج ظاعناً إلى الشام يسأل عن الدين الحق ليتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم قائلًا له : لعلي أدين بدينكم فأخبرني به ؟ .

فقال اليهودي : إنك لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله .

فقال زيد : لا أفر إلا من غضب الله ، وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأنا أستطيع ، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا ؟ ..

قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً .

قال : وما الحنيف ؟ ..

قال : دين إبراهيم .

فخرج من عنده وتركه . فأتى عالماً من علماء النصارى ، فقال له نحواً مما قال لليهودي .

فقال له النصراني : إنك لن تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله .  
فقال : إني لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنا أستطيع فهل  
تدلني على دين ليس فيه هذا؟ ..

فقال له نحواً مما قال اليهودي : لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً .  
فخرج من عندهما ، وقد رضي بما أخبراه واتفقا عليه من دين إبراهيم .  
فلما برز رفع يديه وقال :  
« اللهم إني على دين إبراهيم » .



هِلَالُ بِنِ أُمَيَّةَ  
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا  
أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ  
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ  
مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

صدق الله العظيم

سورة النور : آية رقم ٦ - ٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآية في هلال بن أمية .  
قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره ج ١٨ ص ٦٦ .  
وقاله صاحب الدر المنثور ج ٥ ص ٢٣ .  
وصاحب تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨٤ .  
وصاحب تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٧ .  
وقاله صاحب كتاب أسباب النزول الإمام الواحدي ص ٣٢٩ .

فمن هو هلال بن أمية؟ ..

## هلال بن أمية

رضي الله عنه

من هلال بن أمية..؟ كيف كانت طفولته وشبابه..؟ متى دخل في الاسلام ونطق بكلمة التوحيد، وصدق بمحمد رسول الله ﷺ؟ لا أحد يدري..

إلا أنه أحد المسلمين الذين دخلوا في دين الله أفواجا، وشهد غزوة بدر مع الرسول ﷺ.

ولقد تناول القرآن في موضعين:

الأول: عندما تخلف مع المتخلفين في غزوة تبوك.

الثاني: عندما رمى زوجته بشريك بن سحان.

أما لماذا تخلف عن غزوة تبوك.. وما هي الأسباب التي حالت بينه وبين اللحاق برسول الله ﷺ فالإجابة على ذلك يقتضينا أن نلقي بعض الأضواء على غزوة تبوك.

فنقول: إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمن عسرة من الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاء.

ثم إن رسول الله جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله.

فحمل رجال من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها .

فقال رسول الله ﷺ :

« اللهم ارض عن عثمان فأني عنه راض » .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة .

فقال عليه الصلاة والسلام : « لا أجد ما أحملكم عليه » .

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

ثم سار رسول الله ﷺ ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه .

تخلفوا من غير شك ولا ارتياب ، منهم :

كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة .

ومرارة بن ربيع أخو بني عمرو بن عوف .

وهلال بن أمية أخو بني واقف .

وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف .

وكانوا نفر صدق لا يهتمون في إسلامهم .

أما أبو خيثمة فإنه بعد أيام من سفر رسول الله ﷺ ، رجع إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في خيمتين قد رشت كل واحدة منها عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاماً .

فلما دخل قام على باب الخيمة ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال :

« رسول الله ﷺ في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام

مهياً وامرأة حسناء في مال مقيم ، ما هذا بالصف » .

ثم قال :

«والله لا أدخل خيمة واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيتا لي زاداً ،  
ففعلتا» .

ثم ركب فرسه وخرج في طلب الرسول ﷺ .

حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك .

قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل .

فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيشمة .

فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيشمة .

فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله :

«أولى لك يا أبا خيشمة» .

ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر .

فقال له رسول الله خيراً ، ودعا له بخير .

وفي ذلك يقول أبو خيشمة :

لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعفَ وأكرما  
وبابعت بسايمنى يدي لحمد فلم أكتسب إثمًا ولم أغش محرما  
تركت خضيباً في العريش وصرمة صفايا كراماً بُسُرُها قد نحما  
وكنت إذا شك المنافق أسحت إلى الدين نفسي شطره حيث بما

هذا ما فعله أبو خيشمة ، فلماذا لم يفعل هلال بن أمية ما فعله زميله؟ ..

إن الروايات ترى عنه بأنه رجل صالح تقي ، يحب رسول الله ﷺ ويلتزم

أوامره ..

أهناك ظروف حالت بينه وبين ذلك؟ ..

إن وقائع التاريخ تذكر أنه كان يملك المال والراحة .. وليس هناك ما يعوق أو  
يحول بينه وبين الذهب ..

وعاد الرسول ﷺ من هذه الغزوة .  
وكانت من أولى أوامره لجماعة المسلمين :  
« لا تكلموا أحداً من هؤلاء الثلاثة » :

/ كعب بن مالك .  
/ ومرة بن الربيع .  
/ وهلال بن أمية .

يقول كعب بن مالك : هل لقي هذا أحد غيري؟ ..  
قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك  
قلت : من هما؟ ..

قالوا : مرة بن الربيع ، وهلال بن أمية .  
فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أسوة ، ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا نحن  
الثلاثة .

فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا .

ثم يقول : فأقمنا على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسول  
رسول الله يأتيني فقال :

« إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك » .

قلت : أطلقها أم ماذا؟ ..

قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقر بها ، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك .

فقلت لامراتي : إحتقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو

قاص ..

فماذا كان من أمر هلال بن أمية عندما وصل له هذا الخبر؟ ..

يقال : جاءت امرأته رسول الله ﷺ فقالت :  
« يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفنكره أن  
أخدمه؟ ..

قال : لا ولكن لا يقرينك .

قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إليّ ، والله ما زال يبكي منذ كان من  
أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره .

.. إنها دموع التوبة ، دموع الندم ، عن التخليف عن رسول الله ﷺ ، وعدم  
الاستجابة الفورية لما أمر .

إنه الصراع الخفيف مع النفس البشرية ، التي أحسّت أنها أخطأت في حق  
نفسها وفي حق رسولها وفي حق ربها .

عندها تاب الله عليهم إنه هو التّوّاب الرحيم ، قال تعالى :

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة  
من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ، وعلى  
الثلاثة الذين تخلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم  
أنفُسهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التّوّاب  
الرحيم ﴾ (١) .

هذا هو الموضوع الأول الذي ذكر فيه القرآن هلال بن أمية مع زميليه اللذين  
تخلفا في غزوة تبوك ..

أما الموضوع الثاني : فيذكر الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عباس قال :

« لما نزلت ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين  
جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ﴾ (٢) .

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٧ - ١١٨ .

(٢) سورة النور آية رقم ٤ .



قال سعد بن عبادة — وهو سيد الأنصار — رضي الله عنه :

«أهكذا أنزلت يا رسول الله؟» ..

فقال رسول الله ﷺ :

«يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» ..

فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرةً، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته.

فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم إنها الحق وإنما من (الله)، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه، ولا أحرکه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته.

قال: فما لبثوا إلا يسيراً — حتى جاء هلال بن أمية — وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء، فوجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ، فقال:

«يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني».

فكره رسول الله ﷺ — ما جاء به — واشتد عليه، واجتمعت الأنصار، وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة.

الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس.

فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، وقال: يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به، والله يعلم إني لصادق.

فوالله إن رسول الله يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسول الله ﷺ الوحي:

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم

أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴿ (١) 》 .

متى حدث هذا مع هلال بن أمية؟ ..  
أحدث ذلك قبل غزوة تبوك أم بعدها؟ ..  
وَمَنْ مِنْ أزواجه التي حدث معها ذلك؟ ..

إننا نرجح أن تكون هذه الحادثة وقعت قبل غزوة تبوك ، لأن هلال بن أمية في غزوة تبوك كان شيخاً هرمًا لا يتحرك إلا بصعوبة ، وليس له في النساء رغبة كما تحدثت بذلك زوجته أمام رسول الله ﷺ ..

وإذا كان ذلك كذلك فَمَنْ مِنْ زوجاته التي حدث معها ذلك؟ ..  
لقد كان متزوجاً من الفريعة بنت مالك بن الدخشم .

والدها مالك بن الدخشم ، شهد العقبة في قول ابن اسحاق ، وشهد بدرًا وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو ، وفي ذلك يقول :

أسرت سهيلاً فلا أبتغي أسيراً به من جميع الأمم  
وخنذف تعلم أن الفتى فتاها سهيل إذا يظلم  
ضربت بندي الشفر حتى انثنى وأكرهت نفسي على ذي العلم (٢)

وأرسله الرسول ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضرار .

فهو رجل مسلم مجاهد في سبيل الله ، وجندي من جنود الدعوة الإسلامية .

وعن أنس بن مالك قال : ذكر مالك بن الدخشم عند النبي ﷺ فسبوه ، فقال النبي ﷺ :

(١) سورة النور آية رقم ٧ .

(٢) سيرة ابن هشام .

« لا تسبوا أصحابي ».

والسؤال الذي نطرحه ، أيمكن أن تفعل فتاة من فتيات هذا الرجل المحاهد هذا العمل ؟ ..

ومن فتاة محصنة تعيش في عصمة رجل ؟ ..

ونشأت في بيت إيمان وتقوى . وجهاد وشهادة .. إننا نستبعد أن يحدث ذلك منها .

وإذا لم تكن هذه الزوجة الثانية ؟ ..

إن الزوجة الثانية — هي مليكة بنت عبد الله بن أبي سلول — زعيم المنافقين في المدينة .

فوالدها : عبد الله بن أبي كبير المروّجين لحادث الإفك ، وكان يرمي من وراء ذلك إلى الطعن في عرض النبي ﷺ ، وعرض أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية .

ووالدها أيضاً : كان له عديد من الجواري اللواتي يزاولن حرفة البغاء بغية الكسب والربح . وأرادت إحداهن أن تتوب بعد أن أسلمت ، ولكنه تشدّد عليها ، فأقبلت إلى أبي بكر رضي الله عنه وشكت ذلك إليه ، فذكره للنبي ﷺ فأمره بقبضها .

فصاح عبد الله بن أبي : من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا .

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

أتكون ابنة عبد الله بن أبي صاحبة هذه الحادثة المشهورة ؟ ..

(١) سورة النور آية رقم ٣٣ .

إن ما بيننا من نصوص وأدلة لا تصل بنا إلى درجة اليقين لنحكم في هذه القضية لهذه أو لتلك ، والله وحده هو أعلم بذلك .

وبعد هذا من المتهم مع زوجة هلال بن أمية؟ ..  
أهو رجل من الكافرين المشركين؟ ..

أم أنه رجل من هؤلاء المنافقين الذين يُظهرون إسلامهم ويُبتغون كفرهم؟ .  
إنه لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ..

فهو رجل مسلم — صادق الإيمان — يسمى شريك بن سحماء ، وسحماء هذه هي أمه ، واسم أبيه : عبدة بن مغيث :  
وهو أخ للبراء بن مالك من أمه .

البراء الذي قال فيه رسول الله ﷺ :

«كم من ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره ،  
منهم البراء بن مالك» .

يقول ابن إسحاق : زحف المسلمون إلى المشركين في الإمامة حتى ألبأوهم إلى  
الحديقة ، وفيها عدو الله مسيلمة ، فقال البراء :  
«يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم» .

فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على  
المسلمين وقتلوا مسيلمة .

وشريك هذا بعثه أبو بكر الصديق رضي الله عنه رسولاً إلى خالد بن الوليد وهو  
بالإمامة أن يسير إلى العراق ..

وعندما قام بسفارته بين خليفة رسول الله ﷺ وبين القائد ، أصدر أمره أبو  
بكر يجعله أميراً من أمراء الشام .

وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسولاً إلى عمرو بن العاص ، حين أذن له  
أن يتوجه إلى فتح مصر ..

أيمكن أن يحدث هذا الفعل من هذا الرجل؟ ..  
إن الآراء تضطرب في ذلك أشدّ الاضطراب .. ولكن الحادثة وقعت فعلاً ،  
ومع إحدى زوجات هلال بن أمية ..  
حتى قال الرسول ﷺ عن هذه المرأة :  
«لولا الايمان لكان لي ولها شأن» .  
رحم الله هلال بن أمية وأسكنه فسيح جناته .

## أسباب نزول الآيات

لما نزلت : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء — إلى قوله تعالى — الفاسقون﴾ ..

قال سعد بن عبادة — وهو سيد الأنصار — : أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ ..  
فقال رسول الله ﷺ :

«ألا تسمعون يا معشر الأنصار إلى ما يقول سيدكم؟...»

قالوا : يا رسول الله ، إنه رجل غيور ، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً ، ولا طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا على أن يتزوجها ، من شدة غيرته .

فقال سعد : والله يا رسول الله ، إني لأعلم أنها حق ، وأنها من عند الله ، ولكن قد تعجبت أن لو وجدت لكاعاً قد تفضدها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء ، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته . فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشية فوجد عند أهله رجلاً ، فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال :

— يا رسول الله ، إني جئت أهلي عشياً فوجدت عندها رجلاً ، فرأيت بعيني وسمعت بأذني .

فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه .

فقال سعد بن عباد: الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية، ويبطل شهادته في المسلمين.

فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً.

ثم قال: يا رسول الله، إني قد أرى ما قد اشتد عليك مما جئتك به، والله يعلم إني لصادق.

فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي — وكان إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تَرَبُّدِ جلده — فأمسكوا عنه حتى إذا فرغ من الوحي، فنزلت:

﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم﴾ الآيات كلها... فسرى عن رسول الله ﷺ فقال:

«أبشروا يا هلال، فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً».

فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي.

فقال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها». فجاءت، فتلاها رسول الله ﷺ عليها فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليها.

فقلت: كذب.

فقال رسول الله ﷺ: «لاعنوا بينها».

فقيل لهلال: أشهد... فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة قيل له:

«يا هلال اتق الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب».

فقال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها.

فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم قيل للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين. وقيل لها عند الخامسة: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.

فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف.. ثم قالت: والله لا أفصح قومي، فشهدت الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقضى أن لا يدعى ولدها لأب، ولا يرمى ولدها، ومن رمى ولدها فعليه الحد.

وقضى رسول الله ﷺ أن لا بيت لها عليه، ولا قوت لها، من أجل أنها يفترقان من غير طلاق، ولا متوفى عنها. وقال:

«إن جاءت به أصيب<sup>(١)</sup> أريسخ<sup>(٢)</sup> حمش الساقين<sup>(٣)</sup> فهو لهلال، وإن جاءت به أورق<sup>(٤)</sup> جعداً<sup>(٥)</sup> جالياً خدلج الساقين سابع الإليتين فهو للذي رميت به».

فجاءت به أورق جعداً جالياً خدلج الساقين سابع الإليتين.

فقال رسول الله ﷺ: «لولا الايمان لكان لي ولها شأن».

(١) أصيب: تصغير أصهب، وهو الذي في شعره حمرة.

(٢) أريسخ: تصغير أرسح، وهو خفيف لحم الإليتين.

(٣) حمش الساقين: دقيقتها.

(٤) أورق: أتمر.

(٥) جعداً: شديد الأسر والخلق والذي شعره غير سبط، وهما مدح. والقصير المتردد الخلق والبخيل، وهما ذم.



## تذييل ...

لماذا تخون المرأة زوجها ..؟ وتلتقي بأخر لتعاشره معاشره الأزواج ، تفعل ذلك وهي لا زالت في عصمة الأول؟ .

أهناك ملاسبات وظروف داخلية وخارجية تدفع المرأة إلى ذلك؟ ..

وإذا كان فما هي الملبسات والظروف التي تدفع المرأة إلى الخيانة الزوجية مضحية بسمعة الزوج ، وشرف الأسرة ، وتاركة جسدها لقمة سهلة طرية بين أنياب الذئاب والخنازير البشرية؟ .

أيكون للفراغ الذي تعيش فيه بعض الزوجات فترة كبيرة من الوقت بعيدة عن زوجها عامل من عوامل الخيانة؟ ..

إننا كثيراً ما نرى في عصرنا الراهن بعض رجال الأعمال والتجارة ، ومجموعة من الأطباء ، وأساتذة الجامعات ، ورجال القضاء والنيابة ، يلقي عليهم من الأعمال والتكاليف ، ما يستغرق كل يومهم ، وجزءاً كبيراً من ليلهم ، وتترك الزوجات هذه الفترات الطويلة ، لا يشغلن شغل ولا يقطع وحدتهن أنيس .

هنا يداعبن الشيطان بوساوسه ، ويدغدغ أعصابهن ، ويدفعهن دفعاً إلى الجريمة ..

وإذا لم يكن للفراغ هذا العامل في الخيانات الزوجية ، أيكون للجوع الجنسي الأثر الكبير في ذلك؟ .

لأننا نلاحظ أن بعض الرجال — وهم في خريف العمر — يلجأون إلى الزواج من فتيات صغيرات في مقبل الشباب ، فيكون للقاء الخريف مع تفتح الربيع أثر كبير في نفور الزوجة من زوجها ، وتطلعها إلى شاب آخر في مثل سنها يبادلها المتعة الحرام ، واللذة الآتمة .

ونستطيع أن نقول إذن ، بأن الاختلاف البين بين عمر الرجل والزوجة له أثر كبير وعامل فعال في الحيوانات الزوجية .

أم أن هذا غير واقع في الجملة — وكثيراً ما نرى فتيات صغيرات يعشن مع أزواج في عمر آبائهن وهنّ سعداء في حياتهن — مغتبطات بأزواجهن .

أقول بأن التباين في عمر الزوجين ليس عاملاً من عوامل الحياة الزوجية ؟ .

وإذا لم يكن التباين عاملاً من عوامل الحياة فماذا يكون ؟ ..

أ يكون العامل الاقتصادي ، ودخل الزوج عاملاً من هذه العوامل ؟ ..

إن المرأة في الجملة تحب الذهب والآلئ .

وتأخذ بلها الجواهر الغالية ، والأشياء الثمينة .

وإذا كانت الجدات قديماً ، كن يهوين جمع حبات الخرز ، وقطع الزجاج ، ويتزينّ ببعض أسنان الحيوانات المفترسة ، وبعض الأصواف والأوبار والخفيف المزركش من ريش الطيور .

فإن المرأة في القرن العشرين ، هي جامعة التحف ، وحائزة النادر فهي تحب هذه الجوهرة شريطة ألا تكون لها ثانية تشاركها في التزين بها ، وتحب هذا الفستان ، وتجري لاهته حول بيوت الأرياء لتحصل على كل ما يبهر العين ، ويلفت النظر ويسرّ القلب ، ويلوي أعناق الرجال .

هكذا المرأة كانت في العصور السابقة .

وهكذا المرأة في عصرنا الراهن الذي نعيش فيه .

وهكذا ستكون المرأة في كل العصور، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.  
فإذا لم تحصل المرأة على حاجتها من طريق زوجها، أو بالطرق المشروعة لجأت  
إلى طرق أخرى غير مشروعة، إما أن تمدّ يدها إلى مدخرات زوجها أو أيها، تختلس  
منها ما يحقق لها شراء هذا الفستان مرة، والجوهرة الثالثة مرة أخرى، وهكذا.

فإذا سُدَّتْ أمامها الطرق وأقفلت في وجهها النوافذ، لجأت إلى الطريق الآخر  
طريق الشيطان تغازل الأجدان، وتستهوِي العشاق، وتلتصص في غفلة من الزوج  
لتحقق للجياح أغراضهم، ويحققون لها رغباتها من شراء هذا، وحياسة ذلك.

إننا نقرر أن السبب الحقيقي للخianات الزوجية، هو غياب الوعي الإسلامي  
الصحيح وإبعاد الأخلاق والأحكام الإسلامية عن المجتمع، وإحلال قوانين  
وأخلاق الغرب الماجنة الساقطة محلها.

أما ما ذكرناه من :

الفراغ الذي تعيش فيه بعض الزوجات.

الفارق الكبير بين سن الرجل والزوجة.

تطلع المرأة إلى ما يرضي غزورها ويزين جيدها وعنقها.

لقد احتاط الإسلام لهذه العوامل، ووضع الضمانات الكافية لسلامة الأسرة،  
والحفاظ على كيانها وعرضها.

فالرجل يسعى في فجاج الأرض، ويضرب في جنباتها شريطة ألا يشغله ذلك  
عن بيته وزوجته.

ويلحظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الجانب، فيصدر أوامره والجنود في  
معركة، والحرب قائمة بيننا وبين الأعداء بعدم بقاء الجندي في سفرته البعيدة في بلاد  
الأعداء أكثر من ثلاثة شهور، حتى يعود إلى الزوجة الصابرة المؤمنة يقضي معها  
فترة من الزمن، ثم يعود بعدها إلى ميدانه.

وأيضاً حتى تقوم الأسرة على سياج متين من الخلق والدين ، يشترط في الزواج التكافؤ .

لا بد أن يكون هناك تكافؤ بين الرجل والمرأة ، تكافؤ في الحرية وتكافؤ في البنية ، وتكافؤ في تقارب الأعمار .

وعندما لجأ أحد الصحابة وهو جابر بن عبد الله رضي الله عنه إلى الزواج من ثيب .

قال له الرسول ﷺ :

« هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟ » .

فالثيب للثيب ، والبكر للبكر .

وكلمة التكافؤ: كلمة واسعة يدخل فيها كل البنود والشروط التي تحقق أمن الأسرة ، وتضمن سلامتها ، وتصون عفافها .

ولم يكتفِ الإسلام بذلك ، بل وضع ضمانات في المجتمع ، وحذر من الاختلاط ، الاختلاط الذي يجعل الرجل يلحظ الفتيات الجميلات ، ويزين له الشيطان جهنم وحسنه فيرديه في الرذيلة ، والاختلاط الذي يجعل المرأة تقابل الرجال ، وتحادن الشباب ، وتلتقي بهم في أوقات متتابعة ، فيقع ما حذر الرسول ﷺ منه « ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » .

ونحن نعيش في عصر موار بالفتن ، صخاب بكل عجيب ، ينقل إلينا الفتنة إلى داخل بيوتنا ومخادعنا .

فالفتنة في « المدياع » عن طريق الأغنية الخليعة ، والمسلسل الماجن والكلمة القبيحة ، والصوت المخنث .

والفتنة في « التلفاز » بالصورة المحسمة ، والفتنة الطاغية وأساليب الشيطان التي تلقن الزوجات طريق الحيانة ، وتبرهن الرذيلة وتشجع عليها ، وتقدم أسهل الطرق لذلك .

والفتنة عن طريق الصحافة: التي تحاول أن تصنع المجتمع ليكون صورة من الغرب الهابط.

فالمحادثة بين العشاق طريق إلى الحضارة.

والخيانة الزوجية وسيلة إلى الحرية.

والعفة، والشرف، والأمانة، عند صحافة القرن العشرين دعوة إلى الرجعية،

دعوة إلى الهمجية، دعوة إلى التأخر.

... فتى يستيقظ العالم الإسلامي .. ويجعل من هذه الوسائل الثلاث أعمدة

للبناء، أعمدة للخير، أعمدة للتطهير من الرذيلة، والتربية للفضيلة، والعمل لخير البشرية قاطبة.

متى يحدث هذا يا رب؟

إننا لمنتظرون.

الأشعث بن قيس

رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَّ قَلِيلًا أُولَٰئِكَ  
لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْأٰخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ  
إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

صدق الله العظيم

سورة آل عمران : آية رقم ٧٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض رجال التفسير: نزلت هذه الآية في الأشعث بن قيس.  
قال ذلك صاحب الدر المنثور ج ٢ ص ٤٤.  
وقال الإمام الطبري في تفسيره ج ٦ ص ٥٢٩.  
وذكره الإمام البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١١٠.  
وهو فيه أيضاً ج ٣ / ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٧٧ - ١٧٩.  
ج ٦ / ٣٤ ج ٨ / ١٣٤ - ١٣٧ - ١٣٨ ج ٩ / ٧٢ ، ١٣٣.  
وذكره الإمام أحمد في مسنده ج ٣ / ١١٣ ، ١١٧.

فن هو الأشعث بن قيس؟..



## الأشعث بن قيس

رضي الله عنه

... هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية ، يكنى أبا محمد ، نشأ على بطاح اليمن .. تلك البلاد التي كان لها دور في التاريخ ، وتجوّل في أرجائها هدهد ، واخترت بطاحها رسالة نبي .. فخضعت لها ملكة صاحبة دولة وسلطان .. ولقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى :

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَىٰ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحُهُ أَوْ لَأُنَبِّئُنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ وَجَنَّتْكَ مِنْ سَبِيلٍ يَنْبَغِي يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ .

إلى قوله تعالى :

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

(١) سورة النمل ، الآيات من ٢٠ إلى ٢٤ — آية ٤٤ .

وكان الأشعث يسمى : «عرف النار» .

ونتساءل : كيف كانت طفولته ؟ .. وكيف قضى مرحلة شبابه ؟ ..

يصمت التاريخ عن ذلك فلا يتحدث عنه من قريب أو بعيد ، سوى أنه كان رئيساً مطاعاً في كندة .

ثم ماذا ؟ .. سمع بدعوة الإسلام ، وبدخول الناس أفواجا في هذا الدين ، فقدم إلى الرسول ﷺ في ثمانين ركباً من كندة ، ودخلوا على رسول الله مسجده وقد رجلوا شعورهم ، وتكحلوا ، عليهم جيب الحبرة وقد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال : « ألم تسلموا ؟ .. » .

قالوا : بلى . قال : « فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ .. »  
فشقوها وألقوها .

ثم قال الأشعث : يا رسول الله ، نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار .  
فنبسّم رسول الله ﷺ وقال :

« ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعه بن الحرث » .

وكان العباس وربيعه تاجرين ، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسئلا من هما ؟  
قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعزون بذلك .

ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « بل نحن بنو النَّضْر بن كنانة ، لا نقفوا أمنا ولا ننتقي من أيينا » .

فقال الأشعث : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته  
ثمانين<sup>(١)</sup> .

ثم عاد الوفد إلى بلده ، بعد أن تفقهوا في دينهم ، وعرفوا بعض شرائع الإسلام .  
واستمر الحال على ذلك .. حتى وفاة الرسول ﷺ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٨ .

وارتدّت بعض قبائل العرب .. وكان الأشعث أحد الذين ارتدّوا عن دينهم  
ورغبوا عن الإسلام .

وعلم الخليفة أبو بكر بارتدادهم ، فأرسل اليهم المهاجر بن أمية في جيش كبير  
فحاربهم وتغلب عليهم ، واستطاع أن يظفر بالأشعث ويقبض عليه . ولما مثل بين  
يديه قال المهاجر :

« الحمد لله الذي خطأ فاك يا أشعث يا عدو الله ، فقد كنت أشتهي أن ينزنيك  
الله .. وشده كتاباً .. »

فقيل له : أخره وسيّره إلى أبي بكر ، فهو أعلم بالحكم فيه ، فسيره إلى أبي بكر  
مع السبي .. فكان المسلمون يلعنونه ، ويلعنه سبائا قومه ، وسمّته النساء « عرف  
النار » وهو اسم الغادر عندهم .

فلما قدّم المدينة قال له أبو بكر : ما تراني أصنع بك ؟ ..

قال : لا أعلم .

قال : فإني أقتلك .

قال : فأنا الذي راوضت القوم في عشرة فما يحلّ دمي .

قال : إنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها ، وإنما كنت قبل ذلك  
مراوضاً .

فلما خشى القتل قال : أوتحتسب فيّ خيراً فتطلق إيساري وتقبلي عثرتي وتفعل  
بي مثل ما فعلت بأمثالي وترد عليّ زوجتي ؟

وقد كان خطب أم فروة أخت أبي بكر ، لما قدّم على النبي ﷺ مع وفد كندة .

وأم فروة هذه كانت من المبايعات ، بايعت رسول الله ﷺ ، حديثها عند قاسم  
ابن غنم الأنصاري عن بعض أمهاته ، عن أم فروة قالت : سمعت رسول الله ﷺ  
يقول :

« إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة في أول وقتها »<sup>(١)</sup> .  
فإن فعلت ذلك تجدي خير أهل بلادي لدين الله .  
فحقن أبو بكر دمه وردَّ عليه أهله ، وأقام بالمدينة في حياة أبي بكر رضي الله  
عنه ..

وولد له محمد وإسحاق وحبابة وقرينة<sup>(٢)</sup> .

ثم كانت معركة القادسية .. تلك المعركة التي كان لها دويٌّ في سمع التاريخ  
وانتصر فيها المسلمون نصراً مؤزراً .. وأحسَّ عمر بن الخطاب بضراوة الفرس وكثرة  
عددهم ، فأرسل الأشعث مدداً لسعد بن أبي وقاص في ألف وسبعمائة من أهل  
اليمن ...

وعندما التقى به سعد فوق تلك الأراضي البعيدة ، رحَّب به ، وأوصاه ألا يؤخذ  
المسلمون من قبله ، ثم جعله أحد الرسل الذين أرسلهم سعد إلى «يزدجرد» ملك  
الفرس .

وسار هؤلاء الرجال كل منهم جيش وحده :

النعمان بن مقرن .

وأسر بن رهم .

والأشعث بن قيس .

وعاصم بن عمرو .

ولما وصلوا إلى ساحة «يزدجرد» اجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتمهم خيول كلها  
صُهَّال ، وعليهم البرود ، وبأيديهم السياط . فأذن لهم وأحضر الترجمان وقال :  
سَلُّهُم ما جاء بكم ، وما دعاكم إلى غزونا والتوغل ببلادنا ؟ .. أمن أجل أننا  
تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ ..

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ ص ١٩٤٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٨١ .

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شتمت تكلمت عنكم ، ومن شاء أثرته .  
فقالوا : بل تكلم .

فقال : إن الله رحمتنا فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير ، وينهانا عن الشر ،  
ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدعُ قبيلة إلا وقاربه منها فرقة ، وتباعد  
عنه بها فرقة . ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ، فبدأ بهم فدخلوا معه على  
وجهين .

فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا  
أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف .

فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم  
فأمر من الشر هو أهون من آخر هو الجزية . فإن أبيتم فالمنالجزية ، فإن أجبتم إلى ديننا  
خلفنا فيكم كتاب الله على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ،  
وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم <sup>(١)</sup> .

فتكلم «يزدجرد» فقال :

«إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ، ولا أسوأ ذات بين  
منكم . قد كنا نوكل بكم قري الضواحي فيكفوننا أمركم ، ولا تطمعوا أن تقوموا  
لفارس ، فإن كان غرر لحفكم فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتاً إلى  
خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فأسكت  
القوم» .

فقام المغيرة بن زرارة فقال :

«أيها الملك ، إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم ، وهم أشراف يستحيون من  
الأشراف ، وإنا يكرم الأشراف ويعظم حقهم الأشراف ، وليس كل ما أرسلوا به

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٤٥٦ .

قالوه ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، فجاوبني لأكون الذي ابغاك وهم يشهدون على ذلك لي .

فأما ما ذكرت من سوء الحال فهي على ما وصفت وأشد ، ثم ذكر من سوء عيش العرب وإرسال الله النبي ﷺ إليهم ، ثم قال له :

— اختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت السيف ، أو تسلم فتنجي نفسك ؟ ..

فقال : لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي<sup>(١)</sup> .

ثم تابعت الرسل بينهم — وكانت المعركة الفاصلة — بين الفرس والعرب . وقام الأشعث في قومه كندة فقال :

« لله در بني أسد أي فري يفرون وأي هذي يهدون ، ثم نهد ونهدوا معه فأزالوا الذين بازائهم حتى فتح الله عليهم » .

.. وكان الأشعث بن قيس أحد الذين قصدوا خالد بن الوليد بعد انتصاره في معركة اليرموك ، فأجازه بعشرة آلاف .

نعم عشرة آلاف ، والتي تكفي في ذلك الوقت لتجهيز جيش كامل .

فلما سمع عمر بن الخطاب بما أخذه الأشعث ، كتب إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامة ويترع عنه قلنسوته ، حتى يعلم من أين أجاز الأشعث .

أمن ماله أم من مال إصابة أصابها ؟ ..

فإن زعم أنه فرقه من إصابة أصابها ، فقد أقرّ بخيانة .

وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف .

واعزله على كل حال واضمم إليك عمله .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٤٥٧ . والبداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٤٧ .

فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر ثم سأل خالداً من أين أجاز الأشعث ؟ .

فلم يجبه .

فقام بلال فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ونزع عمامته ، فلم يمنعه سمعاً وطاعة ، ووضع قلنسوته ثم أقامه فعقله بعمامته وقال :

من أين أجزت الأشعث ، من مالك أجزت أم من إصابة أصبتها ؟ ..

فقال : بل من مالي ، فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال :

« نسيم ونطع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا »<sup>(١)</sup> .

إن كان المال الذي قدمه للأشعث من مال المسلمين فقد خان الأمانة ، وهذه صفة لا يصح أن يتصف بها قائد .

وإن كان المال الذي قدمه من ماله الخاص فقد أسرف ، والقائد المسرف لا يؤتمن على جنوده ..

فلا بد من عزله .. وعزل خالد ، وكتب إليه عمر بالإقبال عليه ..

فرجع خالد إلى قنشرين فخطب الناس .. وعلم جنوده بعزله . فقام إليه أحد الرجال وقال :

كيف تعزل يا خالد ، وأنت في قمة الانتصار ؟ .. إنها الفتنة سنملؤها خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب في المدينة .

إن هذا الرجل يريد من خالد أن يعزل عمر ، يريد وهو القائد أن يأمر جيشه بالتوجه إلى مقر الخلافة ، ويعزل الرجل الجالس فوقها .

ولو فعل ذلك خالد — وهو بيده الجيش — ما توقف أحد في طريقه ، ولكن الرجل الذي تربي في مدرسة الإسلام قال لمن يدعو إلى الثورة والتمرد :

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٥٣٦ .

.. لا يا أخي ..

«إن الأمة الإسلامية التي حطمت دولة الفرس ، وأزالت عروش الروم ، ليست في حاجة الآن إلى سيف خالد .

إن حاجتها الى عقل عمر أكثر من حاجتها إلى سيف خالد ، ومحال أن تكون فتنة وابن الخطاب موجود .

وسار إلى المدينة ، فلما قدم على عمر شكاه وقال : قد شكوتك إلى المسلمين فبالله إنك في أمري لغير مجمل ، فقال له عمر :  
من أين هذا التراء ؟ ..

قال : من الأنفال والسهمان ، ما زاد على ستين ألفاً فلك ؟ ..  
فقوم عمر ماله ، فزاد عشرين ألفاً فجعلها في بيت المال ثم قال :  
«يا خالد والله إنك عليّ لكريم وإنك إليّ لحبيب» .

وكتب إلى الأمصار : «إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانه ، ولكن الناس فحّموه وفتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ، فأحبيت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنة وعرضه عما أخذ منه»<sup>(١)</sup> .

إنهم رجال مدرسة القرآن وأتباع محمد ﷺ ، صنعهم على عينه وأدبهم بأدب ربه من كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولكن أين صوت الأشعث فيما حدث لخالد ؟ .. إن التاريخ يفقله في تلك اللحظة ولا يتحدث عنه في مجالس عمر ، ولا في الحروب التي كانت بعد معركة القادسية .. أين هو ؟ .. وفي أي البلاد كانت إقامته ؟ .. لا أحد يدري حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه .

فيصدر عثمان أمره بتولية الأشعث إمارة «أذربيجان»<sup>(٢)</sup> ، ويستمر فيها حاكماً

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٧ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٧ .



وأمرأ لم تسمع عنه شكوى .. ولم يقصر في أمر من أمور الولاية ، واعتزل الفتنة وآثر البقاء في ولايته حتى قتل عثمان ، واضطربت الأمور وعمت البلوى التي لم يسلم منها أحد .. وفي وسط هذا الظلام الدامس الذي لف المسلمين في تلك الفترة ، تمت بيعة علي رضي الله عنه .

وأراد الإمام علي أن يأخذ بيعة الأمصار ، فأنجه إلى البصرة وأرسل منها إلى جرير ابن عبد الله البجلي وكان عاملاً على «همذان» وإلى الأشعث بن قيس وكان أيضاً على «أذربيجان» وأمرهما بأخذ البيعة له والحضور عنده ، ونفذا ما طلب منها .

واستمر الحال على ذلك حتى كانت موقعة صفين ، وجاء الأشعث بجيش كبير وانضم إلى جيش الإمام علي . ولقد حاول رجال معاوية في تلك الموقعة أن يمنعوا الماء عن جيش علي رضي الله عنه ، فلما سمع الإمام علي بما يريد جيش معاوية قال : قاتلوهم على الماء .

فقال الأشعث بن قيس : أنا أسير إليهم ، فسار إليهم مع مجموعة من الجنود ، فلما دنوا منهم نازروا في وجوههم ، واستطاع الأشعث وجنوده أن يجلوهم عن أماكنهم .

فلما رأى معاوية ما فعله الأشعث بجنوده أرسل إليهم يزيد بن أسد البجلي ، وأرسل عليّ مدداً للأشعث شيب بن ربيعي الرياحي . وازداد القتال وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار في أيدي أصحاب علي .

فقالوا : والله لا نسقيه أهل الشام .

فأرسل عليّ إلى أصحابه : أن خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم ، فإن الله نصركم عليهم ببغيتهم وظلمهم<sup>(١)</sup> .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . والبداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ٢٧٩ .

ثم استؤنف القتال مرة أخرى ، واستطاع أهل العراق أن يزيلوا أهل الشام عن  
أماكنهم ، وأوشكت الدائرة أن تدور عليهم .

فلما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك ، قال لمعاوية :

— هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتناعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ ..

قال : نعم .

قال : نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها : هذا حكم بيننا وبينكم ، فإن أرى  
بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ،  
وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل .

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : « هذا حكم ، كتاب الله عز وجل بيننا  
وبينكم » .

فلما رآها الناس قالوا : نجيب إلى كتاب الله .

فقال لهم عليّ :

« عباد الله ، امضوا على حكمكم وصدقكم وقتال عدوكم ، فإن معاوية وعمراً  
وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف  
بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال .. وبحكم !  
والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة » .

فقالوا له : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله (١) .

فقال لهم عليّ : فإني إنما أقاتلهم ليدنوا لحكم الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله فيما  
أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه .

فقال الأشعث بن قيس : أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم  
القرآن ، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد؟ ..

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٣١٦ .

قال علي : ائته .

فأتاه الأشعث فقال له : لأي شيء رفعت هذه المصاحف؟

قال معاوية : لزرع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه .. تبعثون رجلاً ترضون به ، وتبعث رجلاً ترضى به ، نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه ، ثم تتبع ما اتفقا عليه .

قال الأشعث : هذا الحق .

وعاد إلى علي فأخبره .

فقال الناس : قد رضينا وقبلنا .

واختار أهل الشام عمرو بن العاص .

وقال الأشعث ومعه جماعة — ممن صاروا خوارج — : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري .

فقال علي : قد عصيتُموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن ، لا أرى أن أولي أبا موسى .

فقال الأشعث وزيد بن حصين وميسرة بن فدكي : لا نرضى إلا به فإنه قد حذرنا مما وقعنا فيه .

قال علي : فإنه ليس بثقة ، قد فارقتني وخذلت الناس عني ، ثم هرب مني حتى أمته بعد شهر ، ولكن ابن عباس أوليه ذلك .

قال الأشعث ومن معه : والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس ، لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء .

فقال علي : قد أبيتم إلا أبا موسى ؟ ..

قالوا : نعم .

قال : فاصنعوا ما أردتم<sup>(١)</sup> .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٢١ . والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٠١ .

## وثيقة التحكيم وموقف الأشعث منها

.. وحضر عمرو بن العاص عند الإمام عليّ ليكتب الوثيقة بحضوره . فكتبوا :  
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين » ..

فقال عمرو بن العاص : هو أميركم وأما أميرنا فلا .. اكتب اسمه واسم أبيه .

فقال الأحنف لعلي :

— لا تمحُ إمارة المؤمنين ، فإني أخاف إن محتها أن لا ترجع إليك أبداً ، لا تمحُها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً .

فأبى ذلك عليّ ..

ولكن الأشعث قال للإمام علي : امحُ هذا الاسم ، فحجى ، فقال علي :  
« الله أكبر ، سُنَّةٌ بسُنَّةٍ ، والله إني لكتاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية  
فكتبت : محمد رسول الله » .

وقالوا : لستَ برسول الله ، ولكن اكتب اسمك واسم أهلك .

فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه ..

فقلت : لا أستطيع .

فقال : أرنيه ، فحاه بيده ، ثم قال : إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب .

وكتب الكتاب (١) :

« هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .. قاضى عليّ  
على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم .. أننا ننزل  
عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره ، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى  
خاتمته ، نحبي ما أحيا ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله ، وهما : أبو

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

موسى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص ، عملا به ، وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة والجامعة غير المفرقة . وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمان على أنفسهما وأهليهما ، والأمة لها أنصار على الذي يتفاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يردها في حرب ولا فرقة حتى يقضيا ، وأجل القضاء إلى رمضان ، وإن أحببنا أن يؤخر ذلك أخره ، وإن مكان قضيتها مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام» (١) .

وشهد الأشعث بن قيس وعبد الله بن فحل العجلي وحجر بن عدي الكندي على هذه الوثيقة وآخرون معهم .

ومن أصحاب معاوية : أبو الأعور السلمي ، وجيب بن مسلمة ، وزمل بن عمرو وآخرين ...

وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس ، ومرّ على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية ، فقرأ عليهم .

فقال عروة : تمحكون في أمر الله الرجال ؟ .. لا حكم إلا لله .

ثم شدّ بسيفه فضرب به عجز دابة الأشعث ضربة خفيفة ، واندفعت الدابة وصاح به أصحاب الأشعث ، فرجع وغضب للأشعث قومه ، وناس كثير من أهل اليمن .

فشى إليه الأحنف بن قيس ومسر بن فدكي وناس من بني تميم ، فاعتذروا فقبل اعتذارهم (٢) .

وتساءل : ماذا كان من أمر الحكيمين ؟ ..

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٢٠ . والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٢١ .

لقد كان الأشعث من أوائل المشجعين لعملية التحكيم.. واختلف مع الإمام عليّ أولاً في مبدأ التحكيم، واختلف معه ثانياً في اختيار أبي موسى الأشعري. فهل تحققت نفاذات الأشعث؟..

أم سار الأمر كما تنبأ به الإمام عليّ؟..

إننا لا نحكم على هؤلاء الرجال، ولا نستطيع أن ننال من موازينهم، ولكننا فقط نعبر عن النتيجة التي وصل إليها أمر التحكيم.

### ذكر اجتماع الحكيم..

اجتمع الحكمان وابتدأ الكلام عمرو بن العاص فقال :

— يا أبا موسى ، أأنت تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً؟..

قال : أشهد.

قال : أأنت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟..

قال : بلى.

قال : فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت؟.. فإن خفت أن يقول

الناس : ليست له سابقة ، فقل وجدته وليّ عثمان الخليفة المظلوم والمطالب بدمه ، الحسن السياسة والتدبير ، وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ وكتابه وقد صحبه وعرض له بسلطان.

فقال أبو موسى :

— يا عمرو اتق الله ، فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على

الشرف تولاه أهله ، ولو كان على الشرف لكان لآل أبرهة بن الصباح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أنني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب.

وأما قولك : إن معاوية ولي دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فلم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين .

وأما تعريضك لي بالسلطان ، فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لَمَا وليته ، وما كنت لأرتشي في حكم الله ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب — رحمه الله — .

قال له عمرو :

— فما يمنعك من ابني وأنت تعلم فضله وصلاحه ؟ ..

فقال : إن ابنك رجلٌ صدق ، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة ! ..

وقال : يا ابن العاص ، إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعوا بالسيوف ، فلا تردنهم في فتنة ! ..

فقال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟ ..

قال : أرى أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَنْ أحبوا .

فقال عمرو : الرأي ما رأيت ..

وأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو :

— يا أبا موسى ، أعلمهم أن رأينا قد اتفق .

فتكلم أبو موسى فقال :

— إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة .

فقال عمرو : صدق وبرّ .. تقدّم يا أبا موسى فتكلم .

فتقدم أبو موسى ، فقال له ابن عباس :

— ويحك ! والله إني لأظنه قد خدعك ! .. وإن كنا اتفقنا على أمر فقدمه

فليتكلّم به قبلك ، ثم تكلم بعده فإنه رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما ، فإذا قتت إليه خالفك .

ولكن أبا موسى لم يستمع لما قاله ابن عباس ، وتقدم للناس فقال :

«أيها الناس ، إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها ، ولا ألمّ لشعنها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية .. فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلاً» .. ثم تنحى .

واقبل عمرو بن العاص فقال :

«إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ ابن عفان والمطالب بدمه وأحقّ الناس بمقامه»<sup>(١)</sup> .. هكذا تمّ أمر التحكيم .. فهل رضي الأشعث عن هذه النتيجة؟ .. لقد كان رسول الإمام عليّ إلى معاوية .

وكان أول من ألقى بسهم في معركة صفين .

وكان أيضاً من المشبّين برأيهم في إجابة أتباع معاوية إلى حكم الله عندما رفعوا المصاحف .

وكان أيضاً خلف اختيار أبي موسى الأشعري في تلك المهمة .

فإذا كان موقفه بعد هذه السلسلة المتلاحقة من الخداع التي قام بها بعض الأفراد لأغراض في نفوسهم؟ ..

إننا ننزه أصحاب رسول الله ﷺ من كل ما يشين ، وكل ما حدث في تلك الفتنة ..

ولكنها حدثت وكما أخبر بها رسول الله ﷺ .

«ان بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٣٢ . والبدية والنهاية ج ٧ ص ٣١٠ .



كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من  
الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي .. فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم ،  
واضربوا بسيوفكم الحجارة»<sup>(١)</sup> .

ونقول : إن الأشعث لم يرتفع له صوت بعد ما حدث في التحكيم ، ولم تحدثنا  
كتب التاريخ ومصادره عن موقف الأشعث من ذلك ..

أتراه اعتزل في بيته ؟ ..

وهجر سيفه ورعاه ؟ ..

وعاش مع دينه وكتاب ربه .. أم كان له شأن آخر ؟ ..

نقول : الله أعلم بحقيقته وبما كان من أمره .

ومات — رحمه الله — سنة أربعين بعد مقتل علي — رضي الله عنه — بأربعين

يوماً ، وصلى عليه الحسن بن علي — رضي الله عنها — .

---

(١) رواه ابن ماجة في باب الفتن ٣٦ — حديث رقم ٣٩٦١ .

## أسباب نزول الآيات

قال رسول الله ﷺ :

«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، لَتَى اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ» (١) .

فقال الأشعث بن قيس : في والله نزلت ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني ، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال :  
— ألك بينة ؟ ..

قلت : لا .

فقال لليهودي : أتخلف ؟ ..

فقلت : يا رسول الله ، إذن يحلف فيذهب بمالي ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ .. الآية (٢) .

وعن صالح بن عمر عن الأعمش ، عن شقيق قال : قال عبد الله قال رسول الله ﷺ : «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْطَعَ بِهَا مَالًا ، لَتَى اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ» ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ .. إلى آخر الآية .. فأتى الأشعث بن قيس فقال :

(١) رواه البخاري عن عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٧ .

— ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ ..

قلنا: كذا وكذا.

قال: لفيّ نزلت، خاصمت رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقال: ألك بينة؟ ..

قلت: لا.

قال: فيحلف.

قلت: إذا يحلف. قال ﷺ: «من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مالا، لقي الله وهو عليه غضبان».

فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾.

وعن سفيان، عن منصور والأعمش، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلف رجل على يمين صبر، ليقطع بها مالا فاجراً، إلا لقي الله وهو عليه غضبان».

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾.

قال: فجاء الأشعث، وعبد الله يحدثهم، قال: فيّ نزلت وفي رجل خاصمته في بئر، وقال النبي ﷺ:

— ألك بينة؟ ..

قلت: لا.

قال: فيحلف لك.

قلت: إذا يحلف.

قال: فنزلت: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري ج ٦ ص ٣٤، عن حجاج بن منهل، عن أبي عوامة. ورواه مسلم ج ١ ص ٨٥ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع.

## تذييل ...

من هؤلاء الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحضر قتلهم الأشعث بن قيس رضي الله عنه؟ ..

إن أصحاب كتب الفرق يكادون يتفقون على أن أول الخارجين هو يزيد بن عاصم الهادي ، كان مع علي بصفين فلما رأى انشقاق الفريقين على الحكيم ، استوى على فرسه ، وحمل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلاً ، وحمل على أصحاب علي وقتل منهم رجلاً ، ثم نادى بأعلى صوته :

«ألا إني قد خلعت علياً ومعاوية ، وبرئت من حكمهما» ، ثم قاتل أصحاب علي حتى قتله قوم من همدان .

ثم تقدم علي رضي الله عنه وقال لهم :

ماذا نقتم مني؟ ..

فقالوا له : أول ما نقتمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، فلما انهزم أصحاب الجمل أبحث لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبي نساءهم وذرائعهم .

فكيف استحللت ما لهم دون النساء والذرية؟ ..

فقال : إنما أبحث لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم .

والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ولم يكن منهم ردة عن الإسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر ، وبعد ، لو أبحث لكم النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ ..

فخجل القوم من هذا ثم قالوا له :

« نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية ، لما نازعك معاوية في ذلك » .

فقال : فعلت مثل ما فعل رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين قال له سهل بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك .

فكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، وسهيل بن عمرو » وأخبرني رسول الله ﷺ أن لي منهم يوماً مثل ذلك ، فكانت قصتي مع الأبناء قصة الرسول ﷺ مع الآباء .

فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنت أهلاً للخلافة فأثبتاني ، فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك أولى ؟؟ .

فقال : إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ، ولو قلت للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرضَ بذلك معاوية ، وقد دعا رسول الله ﷺ نصارى نجران إلى المباهلة ، وقال لهم :

« تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (١) .

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦١ .

فأنصفهم بذلك عن نفسه ، ولو قال : أبتهل فأجعل لعنة الله عليكم ، لم يرضَ  
النصارى بذلك .

لذلك أنصفتُ معاوية من نفسي ، ولم أدرِ غدر عمرو بن العاص .  
قالوا : فلمَ حكمتَ الحكمين في حق كان لك ؟ ..

فقال : وجدت رسول الله ﷺ قد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ، ولو شاء  
لم يفعل ، وأمت أنا أيضاً حكماً لكن حكم رسول الله ﷺ حكم بالعدل ، وحكمي  
خُدع حتى كان من الأمر ما كان .  
فهل عندكم شيء سوى هذا ؟ ..

فسكت القوم ولكن لا عن رضى بل قرر بعضهم قتال علي رضي الله عنه ،  
وبرز إليه حرقوص بن زهير أحد الخوارج وقال :

« يا ابن أبي طالب والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة » .  
فقال له علي بل مثلكم كما قال تعالى :

﴿ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون  
أنهم يحسنون صنعا ﴾ (١)

منهم أتم ورب الكعبة .. ثم قاتلهم قتالاً مريراً .. فهل انتهى الخوارج عند هذا  
الحد ؟ ..

إن هناك خوارج من نوع جديد لا زالت تعيش بين أبناء الأمة الإسلامية ، تفرّق  
جمعهم وتشتت وحدتهم .

إن الذي يفرّق أمر الأمة وهي جمع ، فهو من الخوارج ؟ ..  
والذي يكفر أبناءها ويستبيح دماءها فهو من الخوارج ؟ ..

(١) سورة الكهف آية رقم ١٠٤ .

ولقد أخبر الرسول ﷺ بهم ودلّ على الدور الذي يقومون به في تاريخ الأمة الإسلامية، من ذلك ما رواه سعيد رضي الله عنه قال :

« بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله » .

فقال : ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ..

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ ..

فقال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يرمقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية » .

إن أحفاد هذا الرجل لم يزل لهم دور في الأمة الإسلامية ، وهم غلاظ الأكباد والقلوب .

يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم .

فمن علي بن أبي طالب الجديد الذي يقضي على خوارج الأمة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري ، خوارج الفرقة ، خوارج الدس والفساد ، خوارج أتباع كل ناعق . وهؤلاء هم الخوارج الحقيقيون . كما قضى عليهم فارس الفرسان وبطل الشجعان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرن الأول ؟ ...

إننا في حاجة ماسة إلى هذا الرجل ..

فتى يظهر للوجود ؟ ..

إننا في انتظاره ، وعلى الله قصد السبيل .

قنادة بن نعمان

رضي الله عنه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

ومن

يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ  
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ  
عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ  
خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا  
وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء : آية رقم ١١٠ - ١١٢

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من رجال التفسير والحديث : سبب نزول هذه الآيات ما قاله قتادة ابن النعمان لرسول الله ﷺ بشأن سرقة السلاح والطعام من عمه رفاعه .

راجع الترمذي في تفسير باب ومن سورة النساء رقم ٣٠٣٩ .

وراجع الطبري رقم ١٠٤١١ .

وراجع الحاكم والمستدرک / ٤ / ٣٨٥ .

وراجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٢٧٧ .

وراجع تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٧٦ .

من قتادة بن النعمان؟ ...

## قتادة بن النعمان

رضي الله عنه

لا يعرف التاريخ شيئاً عن طفولته وشبابه ..  
ولا يحدثنا في قليل أو كثير عن أيامه الأولى قبل الإسلام ..  
ولكنه يقف مهوراً ليسجل عن قتادة أول حادث له عندما انضم إلى القافلة  
الميمونة المتجهة إلى مكة ..  
لقد كانت هذه القافلة تضم سبعين رجلاً ..  
تركوا أموالهم وزروعهم ، وزوجاتهم وأبناءهم ، في رحلة قصيرة ليلتقوا بمحمد  
ابن عبد الله الرسول الأمين .  
وكانت معهم في تلك الرحلة نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء ابنة عمرو بن  
عدي ..

وسارت بهم المطي حتى ألفت رحلها بمكة ..  
والتقى بهم رسول الله ﷺ ..

وأخذ قتادة يستمع إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وهو يقول :  
« يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو  
على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده » .

ثم قال :

«وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه وما نعوه مما خالفه فأنتم وما تحمّلتم من ذلك .. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عزٍّ ومُنعة من قومه وبلده» .

يقول قتادة : فقلنا للعباس : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورعّب في الإسلام ، ثم قال :

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» .

يقول قتادة : فأوشكت أن أقوم فسبقتني إلى ذلك البراء بن معرور ، فأخذ بيده عليه السلام ثم قال :

«نعم والذي بعثك بالحق لتمنعك مما تمنع منه نساءنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب ، وأهل السلاح ، ورثناها كابراً عن كابر» .

فاعترض القول — والبراء يكلم رسول الله ﷺ — أبو الهيثم بن التيهان فقال :

«يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً وأنا قاطعوها (يعني اليهود) ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟» .

يقول قتادة : فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال :

«بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم» .

وتمّت البيعة التي باركها الله وحضرتها ملائكته الأبرار .

وانجهدت القافلة إلى المدينة وعاد قتادة معها ، عاد وهو إنسان آخر لا يعرف الانسان الأول .

.. لقد حرص على تطهير نفسه وقلبه من كل الأمراض التي كانت تشيعها  
الجاهلية من الحقد والغل والحسد.

وحرص على تطهير ماله ورزقه.. فلا يقبل إلا حلالاً ولا يأكل إلا طيباً،  
وتساوت عنده البشرية، فكلهم لآدم وآدم من تراب..

ومن هنا فلن يتفاضل الناس بالحسب والنسب.

ولن يستعلي بعضهم على بعض بالمال والجاه.

وإنما هناك شيء واحد يُميّز الناس بعضهم عن بعض ويفضل بعضهم على  
بعض، هو التقوى والعمل الصالح.

وأسلمت زوجته وأولاده، وأخذ يدعو إلى هذا الدين الجديد ويبشّر بقرب  
وصول الرسول الكريم إلى يثرب.

وأخذت الأيام تمر بطيئة مملّة، أيام انتظار الرسول ﷺ حتى أعلن البشير  
وصول الرسول ﷺ، فخرج ومعه أهله وأحابه لهذا اللقاء.

.. وشارك المهاجرين والأنصار ببناء مسجد الرسول ﷺ، هذا المسجد الذي  
تحول فيما بعد إلى قلعة لتخريب الرجال وصناعة الأبطال، ورسم شؤون الحياة.

ففي المسجد كانت تقام الصلوات، ويتفقه الناس في أمور دينهم.

وفي المسجد تعلم قتادة فقه الشريعة وأصول الدين.

وفي المسجد كانت تجيش الجيوش، وترسم الخطط، للمعارك التي كانت تقام  
بين المسلمين وعصابة الكفر.

ومن تاريخ الهجرة، ووصول الرسول ﷺ أصبح قتادة جندياً من جنود  
الإسلام.

وفارساً لا يشق له غبار.

ومؤمناً يطلب الشهادة ويتمناها لنصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد. وجاءت

غزوة بدر أول لقاء بين جند الرحمن وأتباع الشيطان ، وقام قتادة في هذه الغزوة بما يفرضه الإيمان على الجندي المسلم ، وانتصر المسلمون وهزم الكفر وأهله .  
ثم كانت غزوة أحد .

تلك الغزوة التي خالف فيها بعض المسلمين أمر القائد ، وأغرتهم الدنيا عندما شاهدوا هزيمة الكفار وانتصار المسلمين ، فتركوا أماكنهم في أعلى الجبل إحراراً للغنائم وجمعاً للحطام التي تركته قريش .

واهتبل المشركون هذه الفعلة ، فغاروا على المسلمين فهزموهم عن أماكنهم وكروا خلفهم يقتلونهم ، حتى أغراهم ذلك بالتقدم لقتل الرسول ﷺ .

وجاء أبي بن خلف وهو يقول :

«أين محمد؟ .. لا نجوت إن نجأ» .

فقال القوم : يا رسول الله أبعطف عليه رجل منا .

فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه .. فمات عدو الله وهو قافل إلى مكة .

وتتابع المشركون ، وحاط المسلمون بالرسول ﷺ ، وترس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل .

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ .

قال سعد : فقد رأيتني يناولني النبل وهو يقول :

«ارم فذاك أبي وأمي» .

حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل فيقول : ارم به .

وتناول قتادة سيف الرسول ﷺ وأخذ يجندل به عصاة الشرك والكفر ، حتى أبعدهم عن رسول الله ﷺ ، وتناوشته السهام ، وشرعت نحوه السيوف ، وامتلاً

جسده بالجراح ، ولكن كل هذه الأشياء لا تساوي شيئاً ، ما دام في ذلك العمل فداء لرسول الله ﷺ .

وما كادت تنتهي المعركة ، وهرب فلول الكفر ، حتى أصيبت عين قتادة فسالت حدقته على وجته .

فاقترب من رسول الله ﷺ وقال :

« يا رسول الله إن عندي امرأة أحبها ، وإن هي رأت عيني خشيت أن تقذرنني . فدفعت الرسول حدقته بيده ، حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته وقال : « اللهم اكسبها جمالاً » .

فعادت أحسن عينيه وأحدها نظراً .

وذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال :

وفد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديوان أهل المدينة إلى عمرو بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان .

فلما قدم عليه قال له : فن الرجل ؟ ..

فقال :

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه فردّت بكف المصطفى أحسن الردّ فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حُسن ما عين ويا حسن ما ردّ

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعادت بعد أبو الـ

وكان قتادة دائماً على مقربة من الرسول ﷺ لا يتركه في سفر ولا حضر .

ومن حديث أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ خرج ذات

ليلة لصلاة العشاء ..

وهاجت الظلمة من السماء، وبرقت برقة، فرأى رسول الله ﷺ فتادة بن النعمان ..

قال : فتادة .

قال : نعم يا رسول الله ، علمت أن شاهد الصلاة الليلة قليل ، فأحببت أن أشهدها .

فقال له : إذا انصرفت فائتني .

فلما انصرف أعطاه عرجوناً وقال له :

«خذها فسيضيء أمامك عشراً وخلفك عشراً»<sup>(١)</sup> .

إنه نور الإيمان ، نور التقوى الذي يهبه الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده  
قال تعالى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال أيضاً :

﴿ أَقْنِ شَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وَمِنْ شَرَحِ اللَّهِ لَصَدْرِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُوَفِّقَهُ إِلَى آدَاءِ مَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ فِي مَقْدَمَةِ ذَلِكَ الصَّلَاةِ .

يقول تعالى :

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٢٧٦ .

(٢) سورة النور آية رقم ٤٠ .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٢٢ .



﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ (١)

ويقول الرسول ﷺ :

« صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين درجة .. وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له بها درجة ، وحُطَّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مُصلّاه .

اللهم صلِّ عليه .

اللهم ارحمه .

وفي رواية : اللهم اغفرْ له ، اللهم تُبِّ عليه ، ما لم يؤذِ فيه ، ما لم يحدث فيه .. (٢)

وقتادة كان يفعل ذلك ، كان يحرص على صلاة الجماعة ، وكان يسرع في التكبير إلى المسجد ، وكان دائماً يتلو القرآن ويتدبر آياته ويداوم على قراءة سورة الإخلاص لأنها تعدل ثلث القرآن كما يقول الرسول ﷺ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

« إن رجلاً سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يرددھا ..

فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالمها ، فقال رسول الله ﷺ :

«والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن» .

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٣ .

(٢) الحديث رواه البخاري في الجماعة ٢ / ١١٣ باب فضل صلاة الجماعة وفي المساجد . ورواه مسلم رقم ١٤٩ في المساجد وأبو داود رقم ٥٥٩ باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة .

قال البخاري : وزاد أبو معمر بسنده عن أبي سعيد قال : أخبرني أخي قتادة بن النعمان ، عن النبي ﷺ .

وفي رواية قال : قال النبي لأصحابه :

«أبجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليله ؟...»

فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أبنا يطيق ذلك يا رسول الله ؟..

فقال : «الله أحد الله الصمد ثلث القرآن»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه السورة التي كانت لا تغيب عن ذاكرة قتادة بن النعمان ينبثق منهج كامل للحياة ..

منهج لعبادة الله وحده ، الذي لا حقيقة لوجود إلا وجوده ، ولا حقيقة لنا عليه إلا فاعليته ، ولا أثر لإرادة إلا إرادته ..

ومنهج للاتجاه إلى الله وحده في الرغبة والرغبة ، في السراء والضراء ، في النعماء والبأساء .. وإلا فما جدوى التوجه إلى غير موجود وجوداً حقيقياً وإلى غير فاعل في الوجود أصلاً ؟...»<sup>(٢)</sup>

وسارت حياة النعمان نوراً على نور ، فهو يستضيء بكتاب ربه ويهدي نبيه ﷺ ..

وعندما تحرك عشرة آلاف مقاتل بقيادة الرسول ﷺ لفتح مكة ، كان قتادة يحمل راية بني ظفر ، وكان يتمنى أن تطوى الأرض تحت حوافر خيلهم حتى يطهر بيت الله الحرام ، من الأصنام والأوثان التي تشيع البهتان والإضلال .

وتم النصر الأكبر وطهرت الكعبة مما فيها . وشاهد قتادة رسول الله ﷺ وهو واقف بباب الكعبة قائلاً :

(١) أخرجه البخاري ٥٣/٩ في فضائل القرآن ، والموطأ ٢٠٨/١ في القرآن ، وأبو داود ١٤٦١ في الصلاة باب في سورة الصمد ، والنسائي ١٧١/٢ في الاقتراح .

(٢) في ظلال القرآن ج ٨ تفسير سورة الإخلاص .

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم  
الأحزاب وحده .

يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ ..  
قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .  
قال عليه السلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء» (١) .

وعندما وصلت هذه الكلمات إلى أذن قتادة أخذ يردد بينه وبين نفسه قول الله  
تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

لم يعاقب النبي ﷺ هؤلاء الذين أخرجوه من بلده ..  
ولم يفكر لحظة في إيقاع الأذى بهم ، وهم طالما آذوه ونالوا منه وتقولوا عليه  
الأقويل .

فهو الرحمة المهداة الذي خفف عن المكرويين كربانهم .  
وهو العادل الأمين الذي ساوى بين الموسرين والمحتاجين .

وهذا ما جعل قتادة وغيره من الصحابة يقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل  
الله ، وفداءً للرسول الكريم ..

ثم كانت أحداث وأحداث ..

وتمَّ الدين وبلَّغت الرسالة ، وبلغ الكتاب أجله ، وتوفي رسول الله ﷺ ..  
وتبعه رفيقه وصاحبه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في سنة ثلاث وعشرين هجرية ،

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) سورة القلم آية رقم ٣ .

كانت وفاة قتادة بن النعمان رضي الله عنه ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . وتزل في قبره أبو سعيد الخدري ، وهو أخوه لأمه رضي الله عنها  
نسأل الله العليّ القدير ، أن يسكنه فسيح جناته ، وأن يجعله مع الأبرار  
والشهداء والصالحين ، جزاء بما قدّم من خير للإسلام والمسلمين .

## أسباب نزول الآيات

عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق : بشر ، وبشير ، ومبشر ، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب النبي ﷺ ثم ينحله (١) بعض العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا .

فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر ، قالوا :  
« والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث » .  
أو كما قال الرجل .

وقالوا : ابن الأبيرق قالها .

قال : وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير .

وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة (٢) من الدرملك (٣) ، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، وأما العيال فإتاما طعامهم التمر والشعير ، فقدمت ضافطة من

(١) النحلة : الهبة والعطية .

(٢) ضافطة : التجار الذين يضررون الدقيق والزيت .

(٣) الدرملك : الدقيق .

الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرملك ، فجعله في مشربة<sup>(١)</sup> له ، وفي المشربة سلاح : درع وسيف ، فعدى<sup>(٢)</sup> عليه من تحت البيت ، فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح .

فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال :

« يا ابن أخي ، إنه عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا » .

قال : فتحسسنا في الدار وسألنا .

فقبل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم .

قال : وكان بنو أبيرق قالوا — ونحن نسأل في الدار — والله ما نرى صاحبكم إلا لييد بن سهل ، رجل منا له صلاح وإسلام .

فلما سمع لييدُ اخترط سيفه ، وقال : أنا أسرق ؟ ..

فوالله ليخالطنكم هذا السيف ، أو لنين هذه السرقة .

قالوا : إليك عنا أيها الرجل ، فما أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار ، حتى لم نشك أنهم أصحابها .

فقال لي عمي : يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ؟ ..

قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت :

« إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه » .

فقال النبي ﷺ : سآمر في ذلك .

(١) المشربة : الفرفة .

(٢) فعدى عليه : سرق ماله .

فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له : أسيد بن عروة فكلموه في ذلك ،  
واجتمع في ذلك أناس من أهل الدار .

فقالوا : يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا .. أهل  
إسلام وصلاح ، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت .

قال قتادة : فأنيت رسول الله ﷺ فكلمته فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر  
منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة من غير ثبت ولا بينة ؟ ..

قال : فرجعت ، ولوددت أني خرجت من بعض مالي ، ولم أكلم رسول الله  
ﷺ في ذلك .

فأناني عمي رفاعة فقال :

« يا ابن أخي ما صنعت ؟ » ..

فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ ، فقال : الله المستعان .

فلم نلبث أن نزل القرآن :

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين  
خصيماً﴾ « بنو أبيرق » واستغفر الله « مما قلت لقتادة » إن الله كان غفوراً رحيماً  
ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، يستخفون  
من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله  
بما يعملون محبطاً ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .. الخ .

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعة .

قال قتادة : ما أتيت عمي بالسلاح ، وكان شيخاً عَسَاً أو عَسَاً <sup>(٢)</sup> — الشك  
من أبي عيسى في الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولاً .

(١) سورة النساء من ١٠٤ — ١٠٨ .

(٢) عسا بالسين غير المعجمة ، أي كبير وأسن وبالمعجمة قل بصره وضعف .

فلما أتته قال لي: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً.

فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد<sup>(١)</sup> بن سمية. فأنزل الله تعالى:

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً، إن الله لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾<sup>(٢)</sup>.

فلما نزل على سلافة، رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعر. فأخذت رحله فوضعتها على رأسها ثم خرجت به في الأبطح ثم قالت: «أهديت إليّ شعر حسان<sup>(٣)</sup> ما كنت تأتيني بخير»<sup>(٤)</sup>.

(١) سلافة: زوج طلحة بن أبي طلحة، وهي أم مسافع والجلال وكلاب بنو طلحة قتلوا يوم أحد هم وأبوهم قتلهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) سورة النساء آية رقم ١١٥، ١١٦.

(٣) شعر حسان يقول في أوله:

وما سارق الدرعين إن كنت ذاكرًا  
بذي كرم من الرجال أودعه  
فقد أنزلته بنت سعد فأصبحت  
ببنازعها جلد استها وتنازعه

(٤) الحديث رواه الترمذي رقم ٣٠٣٩ في التفسير، باب ومن سورة النساء، وأخرجه الطبري رقم ١٠٤١١، والحاكم في المستدرک ٤ / ٣٨٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.



## تذليل ...

نزل القرآن الكريم ، لتربية الأمة الإسلامية ، تربية توافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

نزل القرآن ليخاطب الأمة الوسط بما يجب أن تكون عليه من مثل وأخلاق تتفق ومسئولية الإنسان في الأرض وقيامه بدور الخلافة عن ربه .

والقارىء آيات القرآن الكريم .. يلحظ أنه منهج حياة للفرد المسلم والمجتمع المسلم والأمة المسلمة ..

منهج حياة للإنسان في حياته وبعد مماته .

فهو ينظم سلوكه في طفولته ، وينظم حياته في شبابه ، وينظم حياته في كل دور من ادوار حياته .

وهو دائماً يقدم الأصلاح لحياته ولمن يحيطون به .. فالأسرة لبنة أولى في بناء المجتمع .. يخصص لكل دور في الحياة ..

فالرجال للضرب في فجاج الأرض بحثاً عن الرزق وتعمير الكون والحياة .. ليس هذا فحسب ، ولكن هو دائماً الأقوى والمدافع عن هذه الأسرة الصغيرة أمام تقلبات الطبيعة وضربات الحياة .

فهو المسؤول عن الطعام والشراب ..

وهو القائم بمتطلبات الأمن والأمان ..

وهو في النهاية المدافع عن شرف القبيلة ، وعن حرمة الوطن ، وعن إقامة العدل بين الناس جميعاً .

والمرأة : لها وظيفتها التي لا تقلُّ في التبعة والمسؤولية عما يقوم به الرجال ، بل هي أخطر مسؤولية وأعظم تبعية مما يقوم به الرجال .

المرأة : حاضنة الطفولة ، وصانعة الرجولة ، والمسؤولة عن البيت السعيد الذي يضمُّ الأطفال الزغب .

والإسلام يقدم لهذه الأسرة كل الضمانات الكافية ، لقيامها بواجباتها على الوجه الأكمل .

إن القرآن الكريم .. يحرص دائماً على إقامة الأمن في قلب المسلم .. الأمن أمام الحياة ، والأمن أمام الرزق ، والأمن أمام الأجل ..

فالحبيبي والمميت هو الله سبحانه وتعالى .

والآجال مكتوبة محددة لا تتقدم ولا تتأخر .

قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٢) .

وكل شيء وُضِعَ بميزان وحكمة .. قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ

لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

والتقوى والفلاح عاملان من عوامل تفريج الكربات وزيادة الرزق .. قال

تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ

عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٤) .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٥١ .

(١) سورة الرعد آية رقم ٣٨ .

(٤) سورة الطلاق آية رقم ٢ ، ٣ .

(٢) سورة يونس آية رقم ٤٩ .

مرشد بن ابي مرشد  
رضي الله عنه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾

صدق الله العظيم

سورة النور: آية رقم ٢ - ٣

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والسِّيَر: نزلت هذه الآيات في مرثد بن أبي مرثد الغنوي.

قال ذلك صاحب كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣ ص ١٣٨٥ وص ١٣٨٦.

وذكره الإمام الترمذي رقم ٣١٧٦ في التفسير، باب ومن سورة النور.  
وذكره أبو داود رقم ٢٠٥١ في النكاح، باب قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾.

وذكره النسائي ٦/٦٦ في النكاح، باب تزويج الزانية.

فمن مرثد بن أبي مرثد هذا؟..

## مرثد بن أبي مرثد

رضي الله عنه

صحابي جليل وابن صحابي.

نشأ قريباً من الحرم.. واختلط بكثير من الحجيج الذين كانوا يقدون إلى الكعبة، فعرف الكثير من أحوال الأمم والشعوب.

كان والده حليفاً لحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، فحالفه هو أيضاً، وقام برحلة الشتاء والصيف متاجراً في مال حليفه.

ولما جاء الإسلام انضم مع والده إلى سبيل الرشاد.

ونالها من صنوف العذاب ألوان، ولكن ذلك لم يمنعها من التمسك بدينها والدعوة إليه، والاستشهاد في سبيله إن اقتضى الأمر ذلك.

وعندما علما بهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب، عزم أمرهما على اللحاق به، والانضمام إلى جيش الإسلام الذي يُعدُّ هناك.

ونحت جنح الظلام، وقريش تغط في نوم عميق، أسرعت بهما المطي إلى مدينة الرسول ﷺ.

واستقبلها المسلمون استقبالاً طيباً، ورحب بها رسول الله ﷺ وأخى بين والده وبين عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وأما هو فأخى الرسول بينه وبين أوس بن الصامت .  
وأوس هذا الذي ظاهر من زوجته عندما قال لها : أنتِ عليّ كظهر أمي .  
وفيه وفي زوجته خولة بنت ثعلبة نزل قول الله تعالى :

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما  
إن الله سميع بصير ﴾ (١) .

وفي مدينة الرسول ﷺ تعلم مرثد فنون الحرب والقتال ، وأتقن الفدائية بكل  
صورها ، وكانت الدعوة في بداية أمرها تحتاج إلى هذا النوع من الرجال الأبطال .  
وكانت قريش تحبس بعض المسلمين في دورها وتحول بينهم وبين اللحاق  
بالرسول ﷺ .

وكان مرثد يقوم بمهمة فكك الأسرى من بيوت قريش ويحملهم إلى مدينة  
الرسول ﷺ .

وتكررت رحلات مرثد إلى مكة ، يعود في نهاية الرحلة بمجموعة من المسلمين  
الذين كانت تحبسهم قريش .

وفي إحدى الليالي واعد أحد الأسرى أن يأتي إليه ليفك قيده ويحمله إلى  
المدينة .. يقول مرثد :

— وكانت ليلة قراء ، فخرجت حتى انتهيت إلى حائط من حيطان مكة ،  
فجاءت امرأة تسمى عناق ، كانت له صاحبة في الجاهلية .

فقلت : مرثد؟

قلت : مرثد .

قلت : مرحباً وأهلاً ، هلمّ فبتّ عندنا الليلة .

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ١ .

قلت : يا عناق ، إن الله حرم هذا .  
فما كان منها إلا أن رفعت صوتها قائلة : يا أهل الحباء ، هذا الذي يحمل  
الأسرى .

فاتبعني ثمانية رجال ، وسلكت طريق الجبل حتى انتهيت إلى غار فدخلته ،  
وجاءوا حتى قاموا على رأسي ، وأعماههم الله عني ، ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي  
فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الأذخر ففككت عنه قيده ، وسرنا حتى  
قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ .

ولم يستطع مرثد أن يذهب إلى مكة بعد ذلك ، لأن قريش وضعت له الكمائن  
ورصدت له العيون .

وما دام الأمر كذلك ، فلا بدّ من تدبير أمر آخر ينال من قريش وعصابة  
الكفر ..

وجاءت غزوة بدر ، وكان مرثد يركب فرساً يقال لها السبل ، وأبلى في هذه  
الغزوة بلاءاً حسناً حتى أراد الله سبحانه وتعالى وانتصر المسلمون انتصار الأبطال .  
ثم كانت غزوة أحد التي كان من أمرها ما كان ...

وفي العام الثالث للهجرة ، وفد على رسول الله ﷺ رهطٌ من قبيلة تسمى  
عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نقرأ من  
أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام .

واستجاب الرسول ﷺ لمطلبهم ..

واختار لهم ستة من أصحابه ، وهم :

مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب .

ونخالد بن البكير الليثي حليف بني عدي بن كعب .

وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح .



وحبيب بن عدي أخو بني جحفي .

وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو .

وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر .

إنهم من خيرة الرجال والأبطال ، وكلُّ منهم له تاريخ طيب في الإسلام والدعوة إليه .. إنهم الرجال الذين جمعوا بين فقه الشريعة وقوة الشكيمة ، وفنون القتال .

وأمر الرسول ﷺ عليهم مرثد بن أبي مرثد .

وخرجت القافلة على بركة الله ، تسرع الخطى نحو الغاية التي حُدِّدت لها .. حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لقييلة هذيل بالقرب من الحجاز) استصرخوا عليهم قبيلة هذيل ، فخرجت هذه القبيلة وأحاطتهم بالسيوف ، فأخذ الصحابة سيوفهم ليقاتلوا القوم :

فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتالكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

ولكن أياكون للغادر عهد؟ ..

أياكون للمشرك ميثاق؟ ..

إن هؤلاء خانوا الأمانة ، وخذعوا رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين ، فلن يكون لهم عهد ولا ميثاق .

فاتفق مرثد ، وعاصم ، وخالد بن الكبير ، على مقاتلة القوم ، وقالوا : لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً .

ووقف عاصم بن ثابت على ربوة عالية شاهراً سيفه وهو يقول :

ما علّتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عُنَابِل  
تزل عن صفحتها المعابل والموت حق والحياة باطل

وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل  
إن لم أقاتلكم فأمي هابل

ثم اندفعوا ثلاثهم لقتال القوم فقاتلوهم فقتلوا جميعاً.

قتل مرثد بن أبي مرثد.

وقتل خالد بن البكير.

وقتل عاصم بن ثابت.

فأرادت هذيل أخذ رأسه ليعبوه لسلافة بنت سعد ، وكان عاصم قتل ابنها يوم  
أحد.

فندرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في رأسه الخمر.

ولكن هل في استطاعة هذيل أن تأخذ رأس عاصم؟ ..

لقد كان عاصم قبل موته ، قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً  
تنجساً ، فلا بد من أن الله يحفظه ويحول بينه وبين المشركين .

فاكاد يسقط شهيداً حتى أحاطت به مجموعة من النحل ، تحارب عنه حرب  
المستमित القادر .

وكل من حاول الاقتراب منه غرزت فيه إبرها .

وعجز الأشرار عن الاقتراب من جثة عاصم .

وقالوا : لنترك الجثة الآن ، فإذا جاء الليل ذهب النحل إلى بيوتها وأخذنا ما  
نبتغيه منه .

وما كاد يأتي المساء ، حتى أرسل الله سبحانه وتعالى سيلاً عارماً حمل عاصم إلى  
حيث أراد الله سبحانه وتعالى .

إنهم جنود الله الذين يقفون مع عباده .

يقفون معهم بالنصر والتأييد .

ويقفون معهم بالرعاية والحفظ .

وصدق الله العظيم : ﴿ والله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) . وقوله أيضاً : ﴿ وإن جنودنا لهم الغالبون ﴾ (٢) .

وأما زيد بن الدثنة .

وخبيب بن عدي .

وعبد الله بن طارق .

فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران اتزع عبد الله بن طارق يده من الحبل الذي يربط به ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بها مكة ، وتراحمت قریش لشراء الأسيرين .

أما خبيب فاشتراه حجير بن أبي إهاب ليقتله بأبيه الذي قتل في غزوة بدر فكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدها فاعارته .

قالت : ففعلت عن صبي لي .

فدرج إليه حتى آتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأته فرغت منه فرعة عرف ذلك مني ، وفي يده الموسى .

فقال : أنحشين أن أقتله ؟ .. ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(١) سورة الفتح آية رقم ٧ .

(٢) سورة الصافات آية رقم ١٧٣ .

وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيتَه يأكل من قِطْفِ  
عنب وما بمكة يومئذ ثمرة ، وإنه لموثق في الحديد .  
وما كان إلا رزق رزقه الله خيباً .

### قتل خبيب

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال :  
« دعوني أصلي ركعتين » ، فلما انصرف من صلاته ، تقدّم إليهم وقال :  
لولا أن تروا ما بي جزع من الموت لذدت .  
فكان أول من سن الركعتين عند القتل .  
ثم قال : « اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بديداً ولا تبي منهم أحداً » .  
واقرب منهم وقال :

فلست أبالي حين أقتل مسلماً  
على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ  
يبارك على أوصال شيلو ممزع<sup>(١)</sup>

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله<sup>(٢)</sup> ...

.. لقد كان في مقدور خبيب أن يفر من القتل ، وكان في مقدوره أن يحتفظ  
بالطفل لديه حتى يطلقوا سراحه ، وكان في مقدوره أن يشفي غيظه بقتل هذا الطفل  
وهو مقتول ولكنه لم يفعل ، لأن المسلم الذي تربى في مدرسة القرآن يحتفظ دائماً  
بأخلاقه ودينه .

(١) الشلو: العضو من أعضاء الانسان ، المزع: المفرق .

(٢) رواه البخاري ٧ / ٢٩١ - ٢٩٥ في المغازي ، وأبو داود رقم ٢٦٦٠ ، ٢٦٦١ في الجهاد والبخاري  
أيضاً ٧ / ٢٩٦ باب غزوة الرجيع .

## أسباب نزول الآيات

عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنها قال :  
كان رجل يقال له : مرثد بن أبي مرثد ، وكان رجلاً يحمل الأسراء من مكة  
حتى يأتي بهم المدينة ، قال : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها : عناق ، وكانت  
صديقة له ، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله قال :  
« فجننت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة ، في ليلة مقمرة ، قال :  
فجاءت عناق ، فأبصرت سواد ظلي يجنب الحائط ، فلما انتهت إليّ عرفني »  
فقالت :

« مرثد..؟ »

فقلت : مرثد .

فقالت : مرحباً وأهلاً ، هلمّ فبتّ عندنا .

قال : قلت : يا عناق حرم الله الزنا .

قالت : يا أهل الحيام هذا الرجل يحمل أسراءكم .

قال : فتبعني ثمانية ، وسلكت الخندمة ( جبل بمكة ) فانهيت إلى غار أو كهف  
فدخلت ، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا ، فظل بولهم على رأسي وعماهم الله  
عني ، قال : ثم رجعوا .

ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً ، حتى انتهيت إلى الإذخر ،

(بعض النبات الذي ينبت في مكة) ففككت عنه أكبله ، فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت :

« يا رسول الله ، أنكح عناق؟ .. » .

فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد شيئاً حتى نزلت :

﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ .

فقال رسول الله ﷺ يا مرثد : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ فلا تنكحها .

هذه رواية الترمذي ، وأخرجه النسائي بنحوه ، ورواية الترمذي أتم .

وأما زيد بن الدثنة فابن عمه صفوان بن أمية ليقنله بأبيه أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقنل .

واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له حين قدم ليقنل :

« أنشدك الله يا زيد أنتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنتك في أهلك .. ؟ » .

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي .

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يجب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً .

ثم قتله نسطاس يرحمه الله (١) .

قال ابن عباس :

« لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم قال رجال من المنافقين : يا ويح

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ .

هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم قعدوا في أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، ، فأنزل الله تعالى في ذلك :

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ (١)

ونزل في أصحاب السرية قوله تعالى :

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد ﴾ (٢)

ومن حديث مرثد عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن سرکم أن تقبل صلاتکم فليؤمکم خيارکم ، فإنهم وفدکم فيما بينکم وبين ربکم » (٣)

وكانت سرية الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ .

رحم الله مرثد بن أبي مرثد وأسكنه وصحبه فسيح جناته إنه سمع الدعاء وعلى الله قصد السبيل .

واختصره أبو داود قال : إن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة ، وكان بمكة بغي يقال لها : غناق ، وكانت صديقته قال :

فجئت النبي ﷺ ، فقلت يا رسول الله ، أنكح غناق؟ ..

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٠٧ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٣٨٤ .

قال : فسكت فنزلت ﴿ الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ﴾ فدعاني فقراها  
وقال : لا تنكحها (١) .

وأخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : كانت امرأة يقال لها أم مهزول  
وكانت تسافح ، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها ، فأنزل الله :

﴿ الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ .

وأخرج ابن سعيد بن منصور عن مجاهد قال :

« لما حرم الله الزنى كان زوان عندهن جمال فقال الناس : ليطلقن فليتزوجن  
فنزلت » (٢) .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣١٧٦ في التفسير ، باب ومن سورة النور ، وأبو داود رقم ٢٠٥١ في النكاح ، باب  
قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ والنسائي ٦ / ٦٦ في النكاح باب تزويج الزانية ، واسناده  
حسن ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وصححه الحاكم ٢ / ٣٩٦ .  
(٢) تفسير الجلالين على هامش المصحف أول سورة النور ص ٤٦٢ بصرف .



## تذييل ...

.. فرض الله على الأمة الإسلامية الجهاد، والجهاد أحد المعالم الأساسية في شريعة الإسلام.. والأمة التي لا تجعل الجهاد سلوكاً لأبنائها وفرضاً عليهم، لا تستطيع العيش في هذه المجتمعات التي كثيراً ما تلغي صوت العقل وتبطل شرع الله، وتقيم ألوية الشيطان.

«والإسلام دين القوة، شارعه هو الجبار ذو القوة المتين، ومبلغه هو محمد الصبار ذو العزيمة الأمين، وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجزه، ولسانه هو العربي الذي أخرس كل لسان وأبان...»

فن لم يكن قويّ النفس..

قويّ البأس..

قويّ العزيمة..

قويّ الإيمان..

قويّ العقيدة..

كان مسلماً من غير إسلام، ومؤمناً من غير إيمان، وإنساناً بغير ضمير..

والأمة الإسلامية استطاعت في فترة وجيزة أن تعلن كلمة التوحيد في رقعة

فسيحة من المعمورة..

عندما كان الجهاد طريقها، والاستشهاد في العقيدة سبيلها.

يقول خالد بن الوليد في أخريات حياته :

« ما ليلة يُهدى إليّ فيها عروس ، أنا لها مُحبّب .. أو أبشّر فيها بغلام ، أحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو .. فعليكم بالجهاد »<sup>(١)</sup> .

ومن هنا وصفهم الله تعالى بقوله :

﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾<sup>(٢)</sup> .

إنهم في رباط دائم وصحوة مستمرة .. في رباط مع ربهم لا يغفلون عنه لحظة ، ولا ينشغلون عن أوامره خطيرة .. وفي صحوة مستمرة مع أنفسهم ، في صحوة ضد أعداء الدين ، أعداء الوطن ، سمعوا نداء ربهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ، يفقر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى نجونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب وبشّر المؤمنين ﴾<sup>(٣)</sup> .

سمعوا ذلك النداء فلبّوا بصوته ، وآمنوا أن هذا الطريق هو طريق النصر وتلك هي شروطه :

إيمان عميق بالله ورسوله .

وجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس .

والإيمان العميق لن يأتي إلا عن طريق العقيدة ، العقيدة التي حملها أتباع محمد ﷺ ، فانفتحت أمامهم الدنيا وانداحوا في أربعة أركان الأرض .

(١) عبقرية خالد ، للاستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ١٧ .

(٣) سورة الصف آيات رقم ١٠ - ١٣ .

إن الحرب كريمة وبشعة ، وهذا حق ..  
والحرب تأكل الرجال ، وتقضي على الشيوخ والأطفال .. ومن هنا كانت  
كراهية الحرب ، وكراهية احتدام القتال .  
ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ،  
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢١٦ .

أبيّ بن كعب  
رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ  
مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ  
يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ③ وَمَا  
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ  
الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ  
وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ⑤

صدق الله العظيم

سورة البينة آية من ١ - ٥

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من رجال التفسير والسير عندما نزلت سورة البينة قال الرسول ﷺ لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك هذه السورة.

راجع تفسير الامام ابن كثير ج ٩ ص ٢٦٣

وتفسير القرطبي ج ٢٠ ص ١٣٩

وتفسير الشوكاني فتح القدير ج ٥ ص ٤٧٤

وذكره أيضاً صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ٦٧

وذكره ابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ٤٩٩ — ٥٠٠

فمن هو أبي بن كعب؟ ..

## أبي بن كعب

رضي الله عنه

ابن قيس الأنصاري ، نشأ في ربي المدينة ، معتزلاً بالحياة والناس باحثاً عن المدير لهذا الكون ، ومن أجل هذه الغاية ، تعلم القراءة والكتابة ، وعكف قبل بعثة الرسول ﷺ على ما كان يقع في يده من وريقات التوراة التي كان يتداولها اليهود الذين كانوا يجاورونهم بالمدينة . ولكنها لم تشف غلته ..

ولم تستطع أن نجيب على الأسئلة التي تنبت في مخيلته .

وعاش حائراً يبحث عن الهدى ..

ظامناً يفكر في النبع ..

غريباً في مجتمع مفرق في أمر الحياة فلا يفكر لحظة في أمر السماء يكتفى أبا الفضل .

وكانه رسول الله ﷺ أبا المنذر .

إن رجال الله دائماً في صراع مع الدنيا ومع الناس ، تجاههم دائماً أمور لا تجد استجابة من داخلهم ، ومن هنا يصابون بالقلق ويفرون من المجتمعات ، ويتحاشون عبث الحياة وهوها .

ولقد كان أباي من هذا الطراز ، أحسن أن البشرية في فترة من الفترات قد  
صلّت طريقها . وألغت عقلها عندما اتجهت بالولاء والتقدير إلى الشجر والحجر ..

أَيكون لهذا الجهاد من القدرة على النفع والضرر ما ليس للانسان ؟  
وإذا كان في مقدور هذه الجهادات في تصوّر المشركين أن تقدم لهذا الانسان  
الضعيف ما يحمل حياته ويسعد أيامه . ؟

فن خلق السماء وأوجد الأرض . ؟

من الذي أقام الجبال الشاهقة ، وعمق البحار الزاخرة . ؟

من الذي يخرج النبات من الأرض . ؟

من الذي يسير الرياح ويرسل الغيث . ؟

من الذي بيده حق الحياة والموت . ؟

كانت هذه الأسئلة تلاحقه ليل نهار ، وتفسد عليه حياته حيناً وتملؤها بالنشوة  
والحبور في كثير من الأحيان .

إن أياً يعيش في كونه الذي اختاره لنفسه ، ويقع في بيته حتى إذا أحسّ  
بقرب المساء خرج إلى ربوة عالية ليتأمل في صنع الله الذي أتقن كل شيء ،  
ويلحظ كيف يهجم الليل بظلامه على نور النهار الذاهب فيتكور عليه حتى  
يتلاشى ، عندها يرى صفحة السماء الصافية يتلألأ فيها ما لا يحصى من النجوم  
والكواكب التي ترسل ضياءها إلى الأرض لترشد الطاعنين إلى طريق الحياة .  
وتهدى الحائرين إلى قدرة الله ..

وفي ليلة من الليالي سمع حواراً من أحد المنازل المجاورة في الطريق إلى بيته  
واستطاعت أذنه أن تلتقط بعض الكلمات .

نعم لقد ظهر الرسول بمكة وأخذ يدعو قومها إلى نبذ الأصنام .  
وإلى أي شيء يدعو يا سعد ؟ ..



يدعو إلى عبادة الواحد لأحد الفرد الصمد .  
ولكن قومه حاربوه ، ونكلوا باتباعه .

ثم ماذا يا أخي ؟ ..

جاء أحد أتباعه إلى ديارنا منذ أيام ونزل في منزل سعد بن زرارة وأخذ يدعو إلى الدين الجديد .. ويلقي على مسامعهم كلمات يقول انها من الوحي الذي نزل على صاحبه .

ولم يطلق أُبيّ بن كعب أن يسمع أكثر من ذلك فأخذ يطرق الباب بيده ليعرف حقيقة هذا الأمر .

وفتح الباب ، باب سعد بن الربيع ، أحد رجالات الأنصار ومن السابقين إلى الإسلام الذي أخبره بمكان مصعب ، وأنهم يتجهزون بعد غد في رحلة إلى مكة لمقابلة نبي الإسلام ويعرفوا منه الكثير عن هذا الدين الذي يدعو إليه .

وشهد أُبيّ بن كعب العقبة الأولى ، والتقطت أذناه الكثير من آيات القرآن الكريم ووعتها ذاكرته ، وعندما عاد إلى المدينة كان بيته متدنى الباحثين عن الحق ، المفتشين عن نور الإيمان ، واستمر على ذلك حتى جاء رسول الله ﷺ وشارك أُبيّ في بناء المسجد المدرسة الأولى في الإسلام .

المدرسة التي تلقى فيها جيل الإسلام الأول مبادئ الحق وشرعة الله ، وكان أُبيّ أحد الرجال الذين يرابطون في المسجد ليل نهار ولا يغادرونه إلا للنوم أو قضاء الحاجة .

وأخى رسول الله ﷺ بين أُبيّ بن كعب وبين سعيد بن زيد ، نعم سعيد بن زيد .

الرجل الأواب الكثير الخوف من ربه .

والمبتل في محراب الإيمان حتى قيل إنه مستجاب الدعوة . ولقد شكته أروى

بنت أوس إلى مروان بن الحكم وادعت عليه أنه استولى على أرضها وظلمها في حقها.

وعندما علم سعيد بن زيد بشكوى أروى قال :

«تروني ظلمتها، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«من ظلم من الأرض شبراً طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين.

ثم قال : فلتأخذ ما تراه أنه حقها. وتوجه إلى ربه بقوله :

«اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتجعل قبرها في بئر».

وترك لها سعيد ما ادعت فأقامت عليه جدارها.

يقول راوي الخبر : فلم تمكث إلا قليلاً حتى عميت ، وكانت تقوم بالليل ومعها

جارية تقودها ، فقامت وتركت الجارية فلم توقظها فخرجت تمشي حتى سقطت في البئر فأصححت ميتة.

إننا نؤمن بأن لكل أجل كتاباً ، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سبباً ،

فهذا حدّد أجله وقدر رزقه ولكن جعل سببه بأن يتردى عن طريق الأعداء من حائق.

أو يجعل قبره أعماق البحار عندما تفرق السفينة.

وثالث عن طريق اصطدام سيارة أو احتراق طائرة.

تعددت الأسباب وتباينت الملابس والأجال محددة ، لا تتقدم لحظة ، ولا

تتأخر فترة.

وإذا كان أبي لا يفارق الرسول ﷺ في أيام السلم ويتابعه في كل ما يأتي وما

يدع ، وتلتقط أذناه كل ما يتلفظ به. إذا كان أبي يفعل ذلك أترك رسول الله

والأسنة مشرعة والحرب قائمة ، وجيوش الكفر تريد أن تقضي على الدعوة الوليدة

وأصحابها؟ محال أن يكون ذلك؟! ١٥٨

لقد شهد أبي غزوة بدر التي فصل الله سبحانه وتعالى فيها بين الحق والباطل .  
وأنزل فيها ملائكته لتشدّ من أزر هؤلاء المؤمنين ، عندما ناشد محمد ربه بقوله :  
« اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض » .

وفي غزوة أحد التي ابتلى فيها المؤمنون لمخالفتهم أمر رسولهم وإكراهه على الخروج  
أرسل أبي بن كعب من قبل الرسول ﷺ ليأتي بخبر سعد بن الربيع .

عن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد :  
« من يأتي بخبر سعد بن الربيع ؟ .. فإني رأيت الأسننة قد أشرعت إليه .

فقال أبي بن كعب : أنا ؛ فذهب يطوف بين القتلى فوجده وبه رمق فقال سعد  
ابن الربيع : ما شأنك ؟ ..

فقال أبي : بعني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك ؟؟ .

قال : فاذهب إليه فأقرئه مني السلام ، وأخبره أنني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة ،  
وأنني قد أنفذت مقاتلي ، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله  
ﷺ ، وواحد منهم حي » .

ولم يبرح أبي مكانه حتى مات سعد بن الربيع ، فرجع إلى رسول الله ﷺ  
فأخبره بما كان من أمر سعد .

فقال رسول الله ﷺ رحمه الله نصح الله ورسوله حياً وميتاً .

وعاش أبي بعد ذلك في مجلس الرسول ﷺ يكتب له ما ينزل به جبريل عن  
ربه — ويتفقّه في دينه ، ويعبد ربه وينتظر أوامر رسوله ﷺ فإذا جاءت الوفود  
وكثيراً ما كانت تأتي — وجههم الرسول الكريم إلى أبي بن كعب ليقرأهم القرآن ،  
ويشرح لهم قواعد الدين .

حدث هذا مع وفد بني حنيفة ، وجلس رئيس الوفد «رحال بن عنقوة» بين  
يدي كعب ليقرأ القرآن ويتعلم الحديث .

ومع وفد ثقيف الذي أبى أحدهم وهو عثمان بن أبي العاص بعد مقابلته للرسول ﷺ إلا أن يتخلف عن الوفد ويلازم أبي بن كعب ليتعلم على يديه القرآن ويفقه في أمور الدين.

وكذلك مع وفد غامد الذين جاءوا الى رسول الله ﷺ يعلنون اسلامهم ، ويتفقون في دينهم — ونزلوا فترة في بقيع الفرقد.

فإذا تغيب الرسول ﷺ في سفر عن المدينة طلب من أبي أن يؤم المصلين في صلاحهم ، ويحيب على ما يعين لهم من أسئلة أو استفسارات ..

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوكل إليه القيام بتلك المهمة لأنه يعرف من هو أبي ، فقهاً في الدين ، ومعرفة بكتاب الله . ولقد قال عنه الرسول ﷺ :  
«أقرأ أمي أبي بن كعب».

يروى عن أبي نضرة عن رجل يسمى جابراً قال : طلبت حاجة إلى عمر في خلافته ، وإلى جنبه رجل أبيض الشعر أبيض الثياب فقال :

«إن الدنيا فيها بلاغنا وزادنا إلى الآخرة ، وفيها أعمالنا التي نجارى بها في الآخرة  
قلت :

من هذا يا أمير المؤمنين..؟

قال : هذا سيد المسلمين أبي بن كعب... (١) ٤٤

انه سيد المسلمين بقراءته للقرآن ، وسيد المسلمين بالتزامه بأوامر ربه ، وسيد المسلمين ، لأنه عرف كيف يحكم نفسه ويضبط شهواته ، فانقادت له الأمور ، وفتح الله له عين قلبه ، وألهمه الرشد والصواب .

ومع ذلك كان يتعاهد القرآن ويتدارسه كثيراً ولا يتركه في سفر أو حضر.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٩٩ .

عن أبي المهلب عن أبي بن كعب قال :

كنت أختم القرآن في ثماني ليال وكان تميم الداري يجتمه في سبع ، ومن كان كذلك فهو يتأدب بأدب القرآن ، وينهج نهجه ، ويتبع أوامره وينتهي عن نواهيه . فهو لا يسبق الحوادث ، ولا يفرغ المسائل ولا يفتي فيما لا يقع ، ولا يفرض الفروض ، ولا يقول بغير علم كما يفعل بعض المتعلمين :

عن الشعبي عن مسروق قال : سألت أبي بن كعب عن مسألة فقال :  
يا ابن أخي أكان هذا .. ؟

قلت : لا .

قال : فاحمنا حتى يكون ، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا<sup>(١)</sup> .

وفي مسجد الرسول ﷺ كان يجلس أبي بن كعب يعظ وينذر ، ويبشّر ويحوّف ، ويقدم للمسلمين ما وعته ذاكرته من قول أو فعل أو تقرير .

قال قيس بن عبادة قدمت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ فلم يكن فيهم أحد أحبّ إليّ لقاء من أبي بن كعب ، فقممت في الصفّ الأول فخرج ، فلما صلى حدث ، فما رأيت الرجال تطاولت أعناقهم إلى شيء كما فعلت مع أبي بن كعب .  
فسمعتة يقول :

« هلك أهل العقدة ورب الكعبة قالها ثلاثاً ، هلكوا وأهلكوا أما إني لا آسى عليهم ، ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين . »

لماذا هلك أهل العقدة .. ؟

وكيف يكون هلاكهم .. ؟

أيمكن ذلك بابتعادهم عن هدي نبيهم .. أم لجعلهم كتاب ربهم وراءهم  
ظهيرياً .. ؟

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٠٠ .

إن هذا هو الهلاك الذي لا هلاك بعده .

من أجل ذلك كانت وصية أبيّ بن كعب لمن طلب منه النصيحة قوله : « انخذ كتاب الله إماماً ، وارضَ به قاضياً وحكماً ، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم شفيع مطاع وشاهد لا يتهم ، فيه ذكركم وذكر من قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبركم وخبر ما بعدكم . »

وهل ضلّت الأمة الاسلامية إلا ببعدها عن كتاب ربها ؟

إن ما أصاب المسلمين من وهن وضعف وقلة حيلة ، راجع إلى بعدهم عن القرآن الكريم .

إن العرب قبل الاسلام لم يكونوا شيئاً يذكر بالنسبة لمن كان يجاورهم من الأمم ، ولكنهم بعد أن عرفوا كتاب الله خضع لهم الملوك وطلب ودّهم القياصرة والكياسرة ، لأنهم ربطوا أسبابهم بالله سبحانه وتعالى ، وإذا كان القرآن الكريم هو النص الثابت الباقي من الكتب السماوية لم يلحقه التبديل والتحريف مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾<sup>(١)</sup> .

فإن للسنة النبوية — وهي المصدر الثاني للتشريع — أعمق الأثر في حياة المسلمين ، وعليها مدار نهضتهم وتقدمهم .

يقول أبيّ بن كعب رضي الله عنه :

عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبْدِ على سبيل وسنة ، ذكر الرحمن عزّ وجلّ ففاضت عيناه من خشية الله عزّ وجلّ فتمسه النار . وليس من عبْدِ على سبيل وسنة ، ذكر الرحمن فاقشعر جلده من مخافة الله عزّ وجلّ إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها ، فيبنا هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها ، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتت عن هذه الشجرة ورقها .

(١) سورة الحجر آية رقم ٩ .

وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنته ، فانظروا أعمالكم فإن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء» .

ويصور أبيّ بن كعب حال المؤمن ، ويرى أن المؤمن لا يخلو حاله عن واحد من أربع .

إن ابتلى صبر .

وإن أعطى شكر .

وإن قال صدق .

وإن حكم عدل .

فهو يتقلب في خمسة من النور ، وهو الذي يقول الله «نور على نور» كلامه نور ، وعلمه نور ، ومدخله في نور ، ومخرجه من نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة .

أما الكافر فإنه يتقلب في خمسة من الظلم ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة .

وصدق أبيّ بن كعب رضي الله عنه فيما قال .. فن أين يأتي النور لهذا الكافر الذي طمس الله على بصره فلم ير الحق؟ ..

وزان الضلال على بصيرته فلم يهتد الى النور؟؟ ..

ان الكافر بربه ، المنكر لفضل مولاه هو أشد أنواع الخلائق في الغي والعمية .

ان هذه الصفة صفة الكفر التي يتصف بها الانسان الكنود لا يشاركه فيها أحد من الكائنات أو الجادات في هذا الكون الكبير الذي لا يحد .

فالكل يعبد ربه ، ويسبح بحمده ، ويخضع له .

قال تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١)

وقال أيضاً :

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ (٢)

لقد كان أبي الذي عب من هدي الرسول ﷺ يرى دائماً شاحب الوجه ، منهوك القوى ، كأنه عائد من سفر طويل ، سأله الرسول يوماً : ما جزاء الحمى ؟ قال : « تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم ، أو ضرب عليه عرق ».

فقال أبي بن كعب : اللهم اني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك ولا خروجاً إلى بيتك ، ولا مسجد نبيك .

قال : فلم يمس أبي قط إلا وبه حمى .

وفي يوم من الأيام جلس أبي كعادته — في مسجد الرسول ﷺ — يحدث المسلمين بكلمات القرآن ، ويحدث الرسول عليه السلام قال أبي رضي الله عنه :

كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قال :

« يا أيها الناس اذكروا الله إذا جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه »  
يقولها ثلاثاً .

ثم قال : قال لي رسول الله ﷺ يا أبي ألا أعلمك كلمات مما علمني جبريل عليه السلام .. ؟

(١) سورة الاسراء آية رقم ٤٤ .

(٢) سورة النور آية رقم ٤١ .



قال قلت : نعم يا رسول الله .

قال : قل اللهم اغفر لي خطاياي ، وعمدي ، وهزلي ، وجدي ، ولا تحرمني  
بركة ما أعطيتني ، ولا تفتني فيما حرمتني .

ثم تهديج صوته ، وشحب وجهه ، وعجزت يده أن تحمل عصاه ولكن أحد  
السائلين طلب منه أن يتكلم عن موقف هؤلاء الولاة الذين يشيدون القصور !  
ويوقفون الحجاب .. !

فقال أبيّ : اللهم إني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمن بما سمعت من  
رسول الله لا أخاف فيه لومة لائم .

فانصرف عنه الرجل ينتظر الجمعة ..

يقول صاحب السؤال : فلما كان يوم الخميس خرجت لبعض حاجتي فإذا  
السكك غاصة من الناس لا أجد سكة إلا يلقاني فيها الناس .

قال قلت : ما شأن الناس : . ؟

قالوا : مات سيد المسلمين أبيّ بن كعب .

رحم الله أبيّ وجزى عنه الاسلام والمسلمين خيراً .

## أسباب نزول الآيات

روى الامام أحمد بسنده عن مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ إلى آخرها ، قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها آيياً .

فقال النبي ﷺ لأبي :

« إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة .»

قال أبي : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ ..

قال : نعم ، قال فبكى أبي <sup>(١)</sup> .

وعن طريق آخر قال احمد حدثنا محمد بن جعفر بسنده عن زر بن حبیش عن

أبي بن كعب قال : ان رسول الله ﷺ قال لي :

« ان الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قال فقرأ <sup>(٢)</sup> .»

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ قال ثم قال :

« ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه

لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وان

(١) مستند الامام أحمد .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة .

ذات الدين عند الله الحنيفة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره».

وروى الطبراني بسنده عن أبي بن كعب قال ، قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر اني أمرت أن أعرض عليك القرآن».

قال : بالله آمنت وعلى يدك اسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبي ﷺ القول :

قال : يا رسول الله وذكرت هناك ؟ ..

قال : نعم باسمك ونسبك في الملا الأعلى .

قال : فاقراً اذاً يا رسول الله . وعلق ابن كثير على هذا الحديث بأنه غريب من هذا الوجه .

وقال : وإنما قرأ النبي ﷺ هذه السورة تهيئة له وزيادة لإيمانه فإنه كما رواه الإمام أحمد والنسائي من طريق أنس عنه أن أياً كان أنكر على عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما قرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأها وقال لكل منها «أصبت» .

قال أبي فأخذني من الشك ، فضرب رسول الله ﷺ في صدره .

قال أبي : ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله فرقاً .

وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال :

«إن الله يأمرك أن تقرئ القرآن على حرف» .

فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته .

فقال : على حرفين .. ؟ فلم يزل حتى يقال : إن الله يأمرك أن تقرئ القرآن على سبعة أحرف<sup>(١)</sup> .

والله أعلم .

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٩ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

## تذييل ...

قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

عبادة الله سبحانه وتعالى هي سبب الخلق ، وعليها تقوم الدنيا قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ (١) .

ومن أجل ذلك أراد الله سبحانه وتعالى : أن يوجد خليفة في الأرض من جنس البشر ، فبهت الملائكة وقالوا لهم :

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. ؟ ﴾ (٢)

قال الله تعالى لهم : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (٣) .

أتلك هي طبيعة البشر الافساد والقتل .. ؟

إن الله تعالى يقول : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ (٤)

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٦ .

(٢) (٣) سورة البقرة آية رقم ٣٠ .

(٤) سورة الحجر آية رقم ٢٩ .

اذن هذا المخلوق فيه نفخة من روح الله .

وإذا كان ذلك ففيه الهدى والصلاح لوجود النفخة ، فيه الضلال والافساد والقتل لطبيعة الأرض .

إذن لا بد للبشرية من مرشد وموجه ، يوجهها فلا تضل ويرشدها فلا تنحرف .  
وأخذت الرسالات ترى ، ورسل الله يتعاقبون الواحد تلو الآخر كلها تدعو إلى دين القيمة دين الاسلام .

نوح عليه الصلاة والسلام يقرر ذلك ويدعو قومه إلى الاقرار به ويؤكد لهم أمر ربه بذلك يقول تعالى على لسان نوح :

﴿ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقصوا إلي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (١) .

دعاهم الى دين القيمة الى دين الاسلام ولكنهم رفضوا دعوته وقال بعضهم لبعض : ﴿ لا تذرنا آهنتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (٢) .

فجاء الطوفان ، فحطم الأصنام وأغرق البهتان واكتسح الكفر وأهله .

ثم جاء هود عليه السلام يدعو إلى دين القيمة الى التوحيد قال تعالى على لسان هود : ﴿ يا قوم اعبد الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ (٣) .  
ولكنهم لم يستجيبوا له وقالوا بعد أن خوفهم بعذاب ربه :

﴿ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ (٤) . وكانت العاصفة التي دمرت كل شيء . ويصور القرآن هلاك قوم عاد بقوله :

(١) سورة يونس آية رقم ٧١ .

(٣) سورة الأعراف آية ٩٥ .

(٢) سورة نوح آية ٢٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ٧٠ .

﴿ وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ﴾ (١) .

وجاء صالح أيضاً يدعو الى دين القيمة الى دين الاسلام الى كلمة التوحيد قال تعالى : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (٢) .

وانقسم المجتمع الى قسمين ، قسم المؤمنين ، وقسم الكافرين .

وقال الكافرون للمؤمنين : أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه .

ويرد المخلصون المؤمنون : ﴿ إنا بما أرسل به مؤمنون ﴾ (٣) .

فيقولون لهم : ﴿ إنا بالذي آمتم به كافرون ﴾ (٤) . ووقفوا موقف التحدي ﴿ وقالوا يا صالح اثنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ .

واستجاب الله لدعوة صالح وأنزل عقابه بالجاحدين الكافرين ؛ قال تعالى :

﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ (٥) .

وأخذت رسالات الله ترى ورسل الله يتعاقبون وكلهم يدعو إلى دين القيمة دين الاسلام قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ (٦) .

والخواريون أصحاب عيسى عليه السلام يقرون باسلامهم ويطلبون من نبيهم أن يشهد باسلامهم قال تعالى :

(٤) الأعراف آية ٧٦ .

(٥) سورة هود آية ٦٧ .

(٦) سورة يوسف آية ١٠١ .

(١) سورة الحاقة آية ٦ .

(٢) الأعراف آية ٧٣ .

(٣) الأعراف ٧٥ .

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (١).

وسحرة فرعون يجابهون الطاغية بكلمة الاسلام ويتساءلون لماذا ينقم عليهم ويتنقم منهم قال تعالى :

﴿ إنا إلى ربنا منقلبون ، وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾ (٢).

فالاسلام اذن هو دعوة نوح عليه السلام ، ودين ابراهيم الخليل ، ومطلب اسماعيل الذبيح ، والحقيقة التي يموت عليها أبناء يعقوب ، والفكرة التي يتقبل الموت من أجلها أتباع موسى ، ويرفضون الحياة وزخرفها عند فقدها .

وإذا كان الاسلام هو القاسم المشترك بين أنبياء الله ورسله جميعاً فإن الدعوة إلى الله ، الدعوة إلى عبادة الواحد الأحد ، الدعوة إلى التوحيد الخالص ، إلى دين القيمة ، هو أساس كل دين .

قال تعالى مخاطباً الرسول الكريم محمداً ﷺ :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٣).

وإذا كان ذلك كذلك .. فعلام الاختلاف ..؟

لماذا التعصب باسم الدين ..؟ والتقاتل باسم الرسل ..؟

والاختلاف على دين الله وهو واحد.؟

والتقاتل على حقيقة الألوهية وهو فرد صمد؟

(١) سورة آل عمران آية ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

يا أتباع محمد في كل مكان .. ان رسالتكم واضحة ، ودينكم خاتم الأديان ،  
فادعوا البشرية الضالة اليه .. إن فعلتم استحققتم وصف الله سبحانه وتعالى لكم :  
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون  
بالله ﴾

فهل أنتم على الدرب سائرون .؟ نرجو من الله ذلك .. !



مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا  
ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا  
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين :

نزلت في مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب .

قال ذلك الإمام القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٢٦٩ .

وقال الإمام ابن كثير عن ابن عباس أنها نزلت في حمزة وأصحابه ج ١ ص

٤٢٧ .

وقاله الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن

ص ١٢٥ .

فمن هو مصعب بن عمير؟ .

## مُصعب بن عُمير

رضي الله عنه

يكنى أبا محمد، وكان يسمى المقرئ، ومصعب الحير أول المهاجرين إلى المدينة.

والداعية لدين الله بين قبائل الأنصار. وسفير الرسول ﷺ إلى يثرب وحامل لواء المسلمين في غزوة بدر، التي نصر الله فيها المسلمين نصراً مؤزراً.  
والده: عمير بن هشام بن عبد مناف، من أشرف بيوتات قريش وأعرقها حسباً ونسباً.

والدته: خناس بنت مالك بن المضرب، من أكثر اغنياء مكة ثروة ومالاً ما جاءت قافلة إلى مكة إلا وكان لها فيها نصيب.

وما خرجت قافلة من قوافل مكة إلى الشام إلا كان فيها «لخناس» إبل وأحمال. أخوه أبو عزيز، صاحب لواء المشركين يبدر بعد النصر بن الحارث، وأحد الأسرى فيها، أسره أبو اليسر، فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي فقيل لها أربعة آلاف درهم.

فلم تدفع أقل من ذلك فداء له (١)

(١) راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٨٩.

ولد مصعب بمكة ، ونشأ على بطحائها ، وعرفته دروبها بالفتى المعطر الذي يلبس أحسن اللباس ، وأعلى الأردية .. وحبته الحياة بمكة رقة البشرة ، وجمال الهيئة ، واستقامة القوام في غير طول أو قصر ، وكان حسن اللمة ، ضاحك الثغر يملأ الحياة رواء وبهاء .

وكان أبواه يجبانه ، ويفديانه ولو بنور عينيها ، لا يبخلان عليه في قليل أو كثير ولا يضمنان عليه بما يطلب . بل يحققان له ما يريد .  
ويجلبان اليه ما يرغب .

يقول ابن سعد في طبقاته : كانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرفه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمي من النعال فكان رسول الله ﷺ ، يذكره ويقول :

« ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » (١) . كان خارج مكة عندما وقف الرسول ﷺ على الصفا ، ونادى على أهلها ، وأخبرهم أنه رسول الله اليهم خاصة ، وإلى الناس عامة .. وعاد من رحلته .. فوجد قريشاً لا حديث لها إلا حديث محمد ، تذكر ما قاله لهم .. وكيف كان رد عمه أبي لهب عليه .

وجلس مصعب في أحد هذه الأندية عله يسمع شيئاً عن هذا الحدث الجديد ، الذي دعا اليه محمد .

وجاءت جلسته في هذا المنتدى بجوار جبير بن مطعم أحد سادة قريش ورجالها الشجعان ، فابتدره مصعب قائلاً :

أسمعت ما قاله محمد صباح هذا اليوم يا جبير؟  
نعم يا مصعب لقد كنت حاضراً ، ولقد وعت ذاكرتي كل ما قال ، أو تلفظ به .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٦ .

وتحرك مصعب ناحية جبير ليكون على مقربة منه ثم قال : ورب الكعبة ألا حدثني بما سمعت .. قال : كنت أمام حانوت سعد بن أبي وقاص لأتسلم منه بعض النبل والسهم استعداداً لموسم الصيد الذي قربت أيامه ..

عندها طرقت أذني صوت محمد الأمين ينادي على الصفا يا صباحاه يا صباحاه .

فانفلت مسرعاً تجاه الصفا تاركاً خلفي سعداً ونبله وسهامه ، وعندما وصلت الى هناك ، كانت كثرة كثيرة من بطون قريش قد سبقتنني إلى هناك .. ثم قال محمد : يا آل غالب ، يا آل فهر ، وعدد بطون قريش ، لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ .

قالوا له : ما جربنا عليك كذباً يا محمد . قال بعدها إني رسول الله اليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، فرد عليه عمه أبو لهب قائلاً :

« تبا لك ألهذا جمعتنا؟ وانفض الناس عنه ، ولم يبق أمامه في الساحة إلا بعض العبيد والموالي ، وضعفاء مكة . قال مصعب : ثم ماذا يا جبير ألم يقل غير ذلك ؟ قال جبير : لقد سمعته يقول : إنه يوحى إليه ، ثم تلا بعض كلمات مما يزعم أنها تنزلت عليه . أتعيها يا جبير؟ نعم . إنه كان يردد : ﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذنين ، وأنذر عشيرتك الأقرين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ <sup>(١)</sup> . ما معنى هذا يا جبير؟ .

ورب هذه الكعبة يا مصعب لم أفهم مما قال شيئاً ، ولكن والحق يقال هذه الكلمات صدعت قلبي . وجاء ساقى الشراب فانصرفا إلى شيء جديد « إن هذه الكلمات صدعت قلبي » .

هكذا أخذ مصعب يردد هذه الكلمات وهو عائد إلى منزله في الهزيع الأخير من الليل .

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٣ — ٢١٤ — ٢١٥ .

وقدمت له أمه طعامه فانصرف عنه ، ما بك يا مصعب لعلك نسيت كعادتك أن  
تمر على آهتنا لتباركك وتعد عنك هوام الجو والبر.. لا شيء يا أماه ولكن أريد أن  
آوي إلى فراشي . ولم يغمض لمصعب جفن ، وأخذت كلمة جبير تظن في أذنيه ،  
وتحيط به ، وتحول بينه وبين النوم . وفي الصباح كان مصعب يسرع السير إلى هناك  
إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث يوجد محمد وأصحابه .

والتقى برسول الله ﷺ واستمع إلى حديثه ودعاه إلى الاسلام ، واستجاب  
مصعب لرسول الله ﷺ ونطق بكلمة الشهادة ، الكلمة الفاصلة بين عهدين ، انها  
كلمة ولكن الانسان يصبح بنطقها خلقاً جديداً . انه يشهد على الغيب بأن لا اله إلا  
الله وهكذا ينطلق من قيود الحس وظرف الزمان ، وتحديد المكان إلى رحابة الغيب  
وهذا مفرق الطرق بين الحيوان الذي لا يعرف غير ما يحس ويشاهد . وبين الانسان  
الذي يطلق عقله فيتعرف على ما وراء الغيب ويشهد عليه بأنه حاضر شاهد .  
إنها نقلة من سجن الكفر إلى رحاب الإيمان ، ومن ظلمة الجهل إلى نور  
الاسلام ، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد ، الفرد الصمد ..

وخرج مصعب من دار أبي الأرقم يكتم اسلامه ، خوفاً من قريش أن تناله  
بالأذى أو تتعرض له بمكرهه . أو من أمه فتحول بينه وبين الذهاب إلى رسول الله  
ﷺ وأصبح مصعب إنساناً جديداً غير الذي عرفته قريش من قبل .

إنه يحب العزلة ، ويعشق الوحدة ، ويكثر الطواف بالكعبة والجلوس بها  
ويختلس غفلة قريش ، فيتجه إلى ربه يصلي ركعات وركعات . فاذا جن المساء أسرع  
السير إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ليستمع إلى محمد ﷺ ويتزود من نور الإيمان  
ولكن لم تدم هذه السعادة طويلاً .

ولم ينعم بالراحة والاطمئنان إلا أشهر معدودات بعد أن عرف الطريق إلى ربه .  
لقد أبصر به عثمان بن طلحة يصلي في جوف الكعبة فأشاع ما رأى ، وأخبرت  
أمه بما حدث به ابن أبي طلحة ، وكان يوماً عصيباً على مصعب .

أصبأت يا مصعب .؟

لا يا أماء، ورب هذه الكعبة، ولكي عرفت الطريق الحق إلى الله.

أي إله تعني يا مصعب .؟

إنه إله واحد. الذي خلق الأرض والسماء، وبسط الظلام والنور وجعل الموت والحياة.. هناك آلهة غير اللات، ومناة، وهبل يا مصعب..؟

يا أماء: أعلم أنك راجحة العقل نافذة البصيرة وإني لأرجو ألا يغيب عنك أن هذه الأحجار لا تنفع ولا تضر، ولا تملك من أمر نفسها شيئاً..؟

إنها نفس الأصنام التي حطمها أبو الأنبياء إبراهيم وقال لقومه عندما عارضوه في ذلك، وأرادوا الانتقام منه لما فعل بتلك الأصنام ما فعل..

﴿هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعوكم أو يضرون؟﴾<sup>(١)</sup>

فكيف يا أماء تكون هذه الأحجار التي نصنعها بأيدينا آلهة نتوجه إليها بالعبادة والتقديس؟

خسئت يا مصعب وشل لسانك، أبهذه الجراءة تنال من آلهتنا وتسخر من معتقداتنا؟

معاذ الله يا أماء أن أكون كما تقولين ولكن..

كف يا مصعب، عن هذا الهراء، لقد صدقوني فيما قالوه لي عنك وعن عقوقك للآلهة.. ماذا قالوا لك يا أماء؟ قالوا: بأن محمداً سحرك بسحر، فصبأت عن ديننا وتابعته فيما يدعو إليه.. وحق هذه الآلهة لأضعن قدمك في القيد كما نفعل بالدواب، حتى تموت أو تكف عن هذا الذي تقول..

واستمر مصعب في قيده، حتى أذن الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فانفلت من محبسه وانضم إلى قافلة المهاجرين إلى الله، الفارين بدينهم من قريش.

(١) سورة الشعراء آية رقم ٧٢، ٧٣.



وهناك على أرض الحبشة وجدت الكتيبة المهاجرة الأيمن والاطمئنان بعيداً عن  
سياط مكة وجحيمها... ولكن ما لبث هؤلاء المهاجرون أن أحسوا بالفراغ القاتل  
يلف حياتهم، والحنين الطاغى إلى كلمات الرسول ﷺ وهدية تشدهم إلى هناك  
حيث مجلس الرسول ﷺ بمكة.

وبمجرد أن وصلت إلى أسماعهم إشاعة قريش التي زعمت فيها انها تابعت محمداً  
فيما يدعو إليه.. حتى أخذ المهاجرون في العودة إلى أرض الوطن، وكان مصعب من  
أوائل الذين وطئت أقدامهم أرض مكة.

عاد مصعب من الحبشة بغير الوجه الذي ذهب به، لقد كان صبوراً الحيا،  
مفتول العضل، قوي البنية، وكان خفيف الحركة ضاحك الثغر.

فعاد وعلى مجاه مسحة من الحزن وفي حلقه غصة من الألم، وأصيب جسمه  
بضمور وضعف. الأمر الذي جعل أمه تكف عن عذابه. وأقبل مصعب على النبي  
ﷺ وهو جالس بين أصحابه، عليه قطعة نمره قد وصلها بإهاب قد ردته ثم وصله  
إليها، فلما رآه أصحاب النبي ﷺ نكسوا رؤوسهم رحمة له. ليس عندهم ما  
يغيرون عنه، فسلم فرد عليه النبي ﷺ وأحسن عليه الثناء وقال: « الحمد لله يقبل  
الدنيا بأهلها لقد رأيت هذا — يعني مصعباً — وما بمكة فتى من قريش أنعم عند  
أبويه نعيماً منه ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله »<sup>(١)</sup> وفي  
إحدى مواسم الحج التقى رسول الله ﷺ برجال الأنصار، ودعاهم إلى الاسلام  
فبادروا إلى دعوته، وبايعوه البيعة الأولى، وكان عددهم اثني عشر رجلاً.

وحمل هؤلاء الرجال إلى قومهم دعوة الإسلام، واستجاب الكثير لهذه  
الدعوة، وانتشر الاسلام بين الأنصار. عند ذلك أرسلوا إلى الرسول ﷺ كتاباً  
يقولون فيه: « ابعث إلينا رجلاً من أصحابك يفقهنا في الدين يقرئنا القرآن » وتلفت  
الرسول ﷺ بين أصحابه ليختار رجلاً يصلح لتلك المهمة، ووقع اختياره على

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٧.

مصعب بن عمير. انه يمتاز برجاحة العقل ، ودماثة الخلق ، وحسن البيان وحباه الله موهبة الاقناع ، والتوفيق فيما يتجه له من أمور وفوق ذلك فإن عقله يعي ما أنزله الله على رسوله من آيات بينات ، وتحفظ ذاكرته بالكثير من أعمال الرسول ﷺ وتوجيهاته . وهذا القدر كاف لتلك المهمة التي سيقوم بها . ودعاه الرسول ﷺ وأوكل إليه أمر هذه المهمة وزوده بنصائح وتوجيهاته ، ودعا له بالتوفيق في مهمته . وسار مصعب إلى يثرب لينشئ على مكث في تلك البلدة الطيبة قاعدة إسلامية ويصنع من هؤلاء الرجال جنوداً للدعوة الجديدة ، ويمهد النفوس لما بعد ذلك .

ومن يدري ؟ قد تكون هذه المدينة في المستقبل منطلق الاسلام والمسلمين إلى كل بقاع الأرض ، وإلى كل أفراد البشرية . فالمهمة ليست سهلة ولا ممهدة أمام مصعب ، ولكنها شاقة وصعبة . فلو كانت المهمة ، مهمة سفارة وكفى لهان الأمر . ولو كانت المهمة تبليغ رسالة أو اقناع فرد ما كان هناك بأس . ولو كانت المهمة ، الوقوف أمام مجموعة من الرجال عليهم الدروع والزرذ ، لاستعان بالله عليهم ويدد جمعهم ، ولكن المهمة صناعة الانسان وتغيير النفوس ، وتوجيه القلوب إلى هدى الله ونور الإيمان . ولكن لا بأس فكل صعب يهون ما دام في سبيل الله . ولاحت لعينيه أشجار النخيل السامقة ، وكأنها آلاف الأكف المبسوطة بالضراعة لخالقها وتبتهل لموجدها . وشاهد مصعب معالم يثرب . فترجل عن دابته ، وكانت الشمس تؤذن بالمغيب فصلى لربه وخالقه ، واتجه إلى مولاه ضارحاً أن يشد أزره ، ويأخذ بيده ، لتحقيق ما كلفه رسول الله به . وقبل أن يلف الكون رداء الليل . كانت يده تطرق طرقات خافتة على منزل أسعد بن زرارة أحد رجالات البيعة الأولى ومن السابقين إلى الإسلام ، واستقر به المقام في منزل أسعد ، وأخذ في أداء ما كلف به ، وكل يوم يمر يكسب مصعب قلباً للإسلام .

وفي يوم من الأيام ومصعب بين المسلمين يقرئهم القرآن ويسمعهم هدى النبوة . إذا بطرقات عنيفة على الباب . وما كاد الباب يفتح حتى ظهر أسيد بن حضير يتطاير الشرر من عينيه ويقبض على حربته بيده . عندها قال أسعد بن زرارة لمصعب : هذا أسيد بن حضير سيد قومه ، قد جاءك ، فأصدق الله فيه . قال مصعب : أن يجلس

أكلمه . ولكن «أسيداً» ما جاء ليجلس ، ولم يأتِ ليستمع ، لقد جاء ليلقن هذا الرجل درساً قاسياً يرد له عقله ويرجعه إلى بلده ، ويجعله لا يفكر في العودة مرة أخرى إلى تلك البلاد . وبدأ حديثه قاسياً غاضباً ثم قال : «ما جاء بك إلينا تسفه ضعفاءنا وتغير أحوالنا؟ اعتزلنا إن كانت لك بنفسك حاجة؟ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ .

إنه يدعو للاحتكام إلى العقل ، يدعو للتعرف على ما يدعو إليه ، إنها بداية طيبة من هذا الرجل . إذن لم يستمع إليه؟ وقد يكون ما سمعه عنه وشاية ، أو حديثاً مفترى .. أيرفض «أسيد» هذا المنطق؟ وهو الرجل الذي يسمى بالكامل؟ .

أيجهل على رجل من غير هذه الديار؟ وأين كرم الضيافة ، وحقوق الضيف؟ ثم يحكم على قول قبل أن يستمع إليه؟ إن هذا لمن خطل الرأي؟ وما لبث أن استوقفه عقله ، وزدته إلى صوابه الكلمات البسيطة الصادقة التي نطق بها مصعب . عندها قال «أسيد» لمصعب أنصفت . ثم ركز حربته ، وجلس إليه ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وشرح له بعض كلماته البسيطة .. وقرأ عليه آيات من القرآن .

ولم يلبث أن أشرق وجهه .. أسيد ، وانفرجت أساريه وتفتح قلبه للنور الجديد .

وقال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قال مصعب : تغتسل فتتطهر ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة التوحيد ، وتصلي . فقام فاغتسل ، وطهر ثوبه وبدنه ، ونطق أمام مصعب بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعلمه مصعب الصلاة . فقام فركع ركعتين<sup>(١)</sup> .

ومن اللحظات الأولى بعد إسلامه تحول إلى داعية للإسلام ومبشر بهذا الدين الجديد . وأطلق لفرسه العنان ، وانطلق إلى صديق طفولته ورفيق شبابه ، سعد بن معاذ . وعندما رآه سعد قال ما وراءك يا أسيد؟ ولكن أسيد لم يجبه بشيء ، بل حمله إلى هناك حيث سفير الرسول ﷺ فاستمع إليه كما استمع أسيد ، ولقن

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٤ .

الشهادة ، وعادا إلى قومها شخصين آخرين وكأنها عندما تحرك لسانها بهذه الكلمة العجيبة. تلاثت مرة واحدة كل وساوس الشرك ، وكل تطلعات الجاهلية ، وانسلخا من عرفها ، وطبائعها بالكامل الأمر الذي يجعل سعداً بن معاذ يقف في نادي قومه قائلاً: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمتنا نقيبة . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله<sup>(١)</sup> .

قالوا : فوالله ما أمسى دار من بني عبد الأشهل إلا وفيه رجل مسلم أو امرأة مسلمة . ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعو مصعب إلى الاسلام ويشد أزره سعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير ، وأسعد بن زرارة . حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

ونجح مصعب في مهمته ، وأجاب الأنصار داعي الله ، وأخذت النفوس المؤمنة تتطلع إلى رؤية حبيب الله ﷺ وتهفو إلى مكة تلك البقعة المباركة التي اختارها الله لتكون منارة نور وهداية ، ومبعث وحيه ودينه .

وفي موسم الحج ، خرجت قافلة الايمان تسرع السير إلى مكة ، قافلة عجيبة الشأن ضخمة العدد ، يتجاوز عددها السبعين رجلاً ، وأبت النساء المؤمنات إلا أن ترسلن سفيرتين ليحدثن حديث صدق عن رسول الله ﷺ . ووقع الاختيار على نسيبة بنت كعب ، أم عمارة وأسماء بنت عمرو بن عدي . وانبعث صوت القافلة مدوياً يبدد وحشة الطريق ويقطع صمت الصحراء بالنداء القوي ، شل عروش القياصرة والأكاسرة فيما بعد :

الله أكبر ، الله أكبر .

ووصلت القافلة مكة ، وقدم مصعب منزل الرسول ﷺ وجعل يخبر رسول الله ﷺ عن الأنصار وسرعتهم إلى الاسلام .

(١) المصدر السابق ص ٤٥ .

فسر رسول الله ﷺ بكل ما أخبره.. وبلغ أمه أنه قد قدم ، قدم مصعب من يثرب .. فلم تنطق الأم صبراً وأرسلت إليه : يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه لا تبدأ بي؟<sup>(١)</sup>

ولكن مصعباً ما كان عاقاً بأمه ، وهو البار بدينه والباذل نفسه في سبيل الله .

وقال لرسول أمه : ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ . وانتهت مهمة مصعب مع الرسول ﷺ وتركه مع هؤلاء الرجال ، رجال يثرب ، وانفلت إلى أمه . فقالت أمه : إنك لعلي ما أنت عليه من الصبأة بعد؟؟ قال : أنا يا أماه على دين رسول الله ﷺ وهو الاسلام الذي ارتضاه الله لرسوله ولخلفه . قالت ما الداعي لذهابك أرض الحبشة مرة ، ويثرب مرة أخرى ؟

قال يا أماه .. فرار بديني أن أفتن فيه .

فأرادت حبسه ووضعته في القيد كما فعلت سابقاً فقال : لئن أنت حبستني لأحرض على قتل من يتعرض لي . قالت : فاذهب لشأنك وجعلت تبكي<sup>(٢)</sup> .

قال : يا أماه إني لك ناصح وعليك شفيق ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

قالت : والثواب لا أدخل في دينك فيزري برأيي ويضعف عقلي ، ولكن أدعك وما أنت عليه ، وأقيم على ديني<sup>(٣)</sup> . وأقام مصعب بمكة عدة شهور عاد بعدها إلى يثرب ليكون في استقبال رسول الله ﷺ عندما يأذن الله له بالهجرة . وازدانت يثرب بقدوم الرسول ﷺ وأخى بين مصعب بن عمير وبين أبي أيوب الأنصاري الذي نزل عليه رسول الله ﷺ عندما رحل من قباء إلى المدينة .

يقول أبو أيوب : لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى ، وأنا وأم

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٩ .

أيوب في العلو. فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكن في العلو وتزل نحن فنكون في السفلى .

فقال : يا أبا أيوب أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت (١) . فكان رسول الله ﷺ في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر جب (٢) لنا فيه ماء ، فقممت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء مخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه . قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضلة تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة (٣) وكان مصعب يحمل لواء المسلمين في غزوة بدر ، وفتح الله عليهم ونصرهم نصراً مؤزرأ .

وفي غزوة أحد كان اللواء مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع عبد الدار .

قال الرسول ﷺ : نحن أحق بالوفاء منهم وأخذ اللواء من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فدفعه إلى مصعب بن عمير (٤) .

وقاتل مصعب دون رسول الله ﷺ قتالاً مجيداً حتى قتل .

تقول أم عمارة رضي الله عنها ، خرجت أول النهار في غزوة أحد أنظر ما يصنع الناس ، ومعني سقاء فيه ماء ، فانتبهت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقممت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس ، حتى خلعت إلي . فلما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابن قنينة أمه الله يقول : دلوني على محمد لا نجوت إن نجيا (٥) . فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٩ .

(٢) الإناء الذي يوضع فيه الماء وغالباً ما يكون من الفخار .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام .

فصرت هذه الضربة ، وكان على عاتقها جرح أجوف له غور ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان<sup>(١)</sup> مرحى يا أم عارة . ثبتت حيث فر الرجال ٩ . ودافعت عندما تخلى الأبطال ٩ . وهذا ليس عجيباً ، لأن القلب إذا ملئ بالآيمان تضاعلت أمامه قوى الشرف فلا ترهبه ، وصغرت في عينه الدنيا فلا تستذله .. ووضع بين يديه عزمه فلا يرهب إلا الله ولا يخشى إلا عقابه أيحاف القتل ، لقد كان القتل أمنية الرجال المؤمنين أيحاف أن يصاب جسمه وكم يساوي هذا الجسم في سبيل تحقيق أهداف دعوة الله ..

لقد كان عدد قتلى المسلمين في غزوة أحد سبعين شهيداً .. فعلت فيهم الوحوش الآدمية ، ما لا يخاطر على قلب بشر .

قال بعض المفسرين : إن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد من تبخير البطون وقطع المذاكير والمثلة السيئة ، قالوا حين رأوا ذلك :

لئن أظفرنا الله عليهم ، لتزيدن على صنيعهم ولتثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ، ولنفعن ولنفعلن .. ووقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة وقد جدعوا أنفه وأذنه ، وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فضغتها ثم ابتلعها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها .

فما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة ، نظر إلى شيء لم ينظر قط إلى شيء كان أوجع لقلبه منه فقال : رحمة الله عليك ، إنك كنت ما علمت : وصولاً للرحم فعلاً للخيرات ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرتي أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما والله لئن أظفرتي الله تعالى بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك . فأنزل الله تعالى :

﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (٢) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٤ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٦ .

فقال النبي ﷺ : « بلى نصير ». وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه (١) ويعود المسلمون إلى المدينة ، ولم يعد معهم صاحب اللواء لم يعد مصعب الخير في الطريق الذي اعتاد الناس أن يعودوا منه . لقد سلك طريقاً آخر ، طريق الخلود طريق من يحظى بالشهادة ، وينال شرف الحياة عند ربه . ووقف الرسول ﷺ على مصعب وهو منجحف على وجهه فقرأ هذه الآية :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (٢) . ثم قال : إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة .

ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس زورهم وأتوهم وسلموا عليهم ، فوالذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم مسلم الى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام (٣) .

ويقول خباب بن الأرت : هاجرنا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله ، فلنا من مضى ، ولم يأخذ من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن به إلا نمره فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه . فقال لنا رسول الله ﷺ اجعلوها مما يلي رأسه واجعلوها على رجليه من الإذخر . ومنا من أينعت له نمرته فهو يهد بها (٤) .

رحمك الله يا مصعب ، وجعل الجنة مثواك .. وتلقتي حمئة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير بالعائدين من أحد . ونعي إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت . فقال رسول الله ﷺ « إن زوج المرأة منها لمكان » (٥) .

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٩٢ . (٤) المصدر السابق .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣ . (٥) البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٢١ .



لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالتها، وصباحها على زوجها، إن مصعب بن  
عمير، وحمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش من الرجال الأفاضل في تاريخ  
الدعوة الإسلامية، وما أحرى أن تبكي عليهم البواكي.. ويستغفر لهم المسلمون  
ويذكرهم الآباء للأبناء.

رحمة الله ورضوانه عليهم.

## أسباب نزول الآيات

حمل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ، ثبت به مصعب فأقبل ابن قبيثة ، وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنأ عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنأ على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء .

قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق ، لئلا يزهلوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب . ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ . وعن طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلي رسول الله ﷺ فقال : ما لي أراك مهتماً؟ قلت يا رسول الله ، قتل أبي وترك ديناً وعيالاً . فقال : ألا أخبرك ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وأنه كلم أباك شفاهاً فقال : يا عبدي سلني أعطك .

قال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية . فقال : انه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون .

قال : يا رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

وعن سعيد بن جبير قال : لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير يوم أحد ورأوا ما رزقوا من الخير ، قالوا ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة . فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

## تذييل ...

ماذا كان يفعل محمد ﷺ لهؤلاء الرجال ، الذين كانوا يتابعونه فيما يدعو إليه . ؟ وما نوع المعطيات التي كان يقدمها لهم . ؟ فتكون هذه المعطيات أعلى عندهم من الأم والأب ، من الإخوة والأخوات ، من الأبناء والأحفاد . أكان هناك بديل يعرضهم عن كل ذلك . ؟ من مال أو جاه . أو منصب أو رياسة . حتى يتركوا ما هم فيه من نعمة و ثراء و رخاء في العيش ورفاهية في الحياة .

إلى شظف العيش وإلى جوع وحرمان ، وتعذيب وتنكيل .

الحقيقة أن محمداً ﷺ لم يكن يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولم يكن يعدهم بملك عريض أو جاه كبير .

وكل ما كان يقدمه لهم هي كلمة الشهادة ، وآيات من القرآن الكريم التي تنزل جبريل بها عليه كلما أذن له ربه . وآيات القرآن الكريم كانت هي زادهم وشغلهم الشاغل وهي التي صنعت فيهم ما صنعت . وأخرجتهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن ظلام الجهل إلى نور الايمان . والتي حولت كلاً منهم إلى إنسان جديد مبتوت الصلة بماضيه ، فإن كانت له أسرة وأولاد عرض عليهم هذه الآيات البينات فإن قبلوها سار معهم في رحلة الايمان الشاقة الطويلة .

وإن أبوا ذلك ورفضوه أقام بينهم وبينه سداً وحاجزاً لا يزيله إلا نطقهم بكلمة التوحيد ، ومتابعة محمد ﷺ فيما جاء به .

ومصعب بن عمير رضي الله عنه ، من هؤلاء الرجال الأفاضل الذين استمعوا إلى آيات القرآن فنقلتهم نقلة كبيرة .

وتحول مصعب إلى انسان جديد يرفض المتاع والجاه ويسخر من الثروة الطائلة ، وإن كان لا يجد ما يسد الرمق . ما دامت هذه الثروة تقف بينه وبين ما أخذ نفسه به من اتباع هذا الدين .

ولقد وجه مصعب ملكاته ، وكل ما يملك — والحقيقة انه لم يكن يملك إلا قلبه وعقله — في سبيل نصره هذا الدين الجديد .

لقد جلس مصعب في مدرسة الرسول ﷺ وعب من تعاليمها وتفقه على يد معلمها وقائدها . لقد كانت هذه المدرسة المحمدية ، فريدة في برامجها ومناهجها التي لم تكن غير مبادئ القرآن وتعاليمه . لقد استطاعت في فترة وجيزة من الزمن أن تخرج هؤلاء الرجال في كل علوم الحياة والدين ..

خرجت هذه المدرسة القادة الذين بهروا العالم بخططهم الحربية وفنونهم العسكرية .

الأمر الذي جعل قادة الفرس والروم يعجبون بهؤلاء الرجال في ميدان المعركة فينضمون بكتائبهم إلى جيش المسلمين ، لقد وجدوا جيشاً لا يفترق فيه الجندي عن القائد ولا يتمايز رئيس عن مرؤوس ، فالكل تحت إمرة الأوامر يؤدي دوره ، تجاه ربه وتجاه دينه ، وتجاه الجماعة التي خرج معها .

والتاريخ الاسلامي حافل بالكثير من تلك النماذج . من ذلك أن قائد الروم يوجه حديثه إلى خالد بن الوليد في معركة اليرموك قائلاً له : يا خالد أصدقتي ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ .

قال خالد : لا .

قال الرجل : فبم سميت سيف الله؟

قال : إن الله بعث فينا رسوله منا من صدقه ، ومنا من كذب وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا إلى الاسلام وهدانا برسوله فبايعناه . فدعا لي الرسول ﷺ وقال لي : « أنت سيف من سيوف الله » فهكذا سميت سيف الله .

قال القائد الروماني : وإلام تدعون ؟ .

قال خالد : إلى توحيد الله وإلى الاسلام .

قال : هل لمن يدخل في الاسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم وأفضل .

قال : كيف وقد سبقتموه ؟ .

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر . أما أنتم يا من لم تروه ، ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب ، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم . وصاح القائد الروماني . وقد دفع جواده إلى ناحية خالد ووقف بجواره :

« علمني الاسلام يا خالد » وأسلم وصلى ركعتين .. لم يصل سواهما فقد استأنف الجيشان القتال ، وقاتل « جرحه » الروماني في صفوف المسلمين مستميتاً في طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها ، وخرجت هذه المدرسة مجموعة من رجال السياسة الذين كان لهم دورهم البارع في تنظيم شئون الحكم والادارة والاهتمام بأمر الرعية .

ولقد كان لنعيم بن مسعود دوره الذي قام به في غزوة الحندق دور السياسي البارع والمسلم الحبير بدروب النفس ومنحنياتها .

يسلم نعيم بن مسعود نفسه لرسول الله ﷺ ويقول له يا رسول الله ﷺ انما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم : البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرن على أن تحولوا منه إلى

غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليس كأنهم ، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل .

ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .

فقالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغني أمر رأيت عليّ حقاً أن ابغىكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عني .

قالوا : نفعل .

قالوا : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه ، إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على ما بقي منهم ثم نستأصلهم ؟

فأرسل إليهم أن نعم .

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم إن قريشاً أرسلت إلى بني قريظة : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه .

فقالوا لهم لسنا بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإننا نخشى إن نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنسبوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك فلما رجعت الرسل قالت قريش :

« والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق » فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا .

فقالت بنو قريظة : ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا ان نقاتل ، فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم .

رجل واحد من مدرسة النبوة استطاع أن يفعل أكثر مما يفعل الجيش لقد خذل الأحناف .

وفرق بين أحزاب الكفار ، وأوجد بينهم حرباً نفسية ، فتت في عضدهم ، وأعدمت الثقة بينهم ، وخشي كل منهم على نفسه من الآخر وبذلك فشلت خطتهم ، وانتكست تدابيرهم ، وألقى الله الرعب في قلوبهم . ففترقوا مدحورين . وحسب الله الفئة المؤمنة عن طريق أحد رجالها رجل واحد من مدرسة الاسلام .  
مرحى يا رجال مدرسة القرآن .

وخرجت هذه المدرسة أيضاً رجال الدعوة فكانوا سفراء لدينهم ، أمناء على شريعة ربهم ، يدعون إلى الحق ويتحلون به ، حتى إن الواحد منهم ، كان يعمل عمل العصبة الكبيرة من الرجال إن تكلم أصغى الناس لحديثه .  
وإن دعا إلى الاسلام وجد من يلبي دعوته .

وكانوا في أحوالهم وتصرفاتهم نماذج حية من أخلاق الاسلام ومن مبادئه .

ومن هؤلاء الرجال مصعب بن عمير ، الداعية الأول وسفير الرسول ﷺ إلى يثرب . فلم يمض على بعثته عام ، إلا واستطاع في تلك الفترة الوجيزة أن يدخل الاسلام في كل بيت من بيوت الأنصار وأن يجيبه إلى دعوته الرجال والنساء والأطفال حتى إذا جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة ، خرجت لاستقباله برجالها وشبابها وفتياتها ونسائها .



الجميع يرددون كلمة الإسلام ويهتفون الله أكبر وينشدون الأناشيد فرحاً  
وابتهجاً بوصول صاحب الدعوة اليهم . مرحى يا مصعب . ورضوان الله عليك يوم  
خرجت مهاجراً إلى المدينة . ويوم دعوت الأنصار إلى دين الله . ويوم دافعت عن  
رسول الله ﷺ حتى نلت الشهادة .

## ثبت بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي: تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الاندلس، بيروت.
٥. تفسير الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م.
٧. الدر المنثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الاسلامية، طهران.
٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار احياء التراث العربي: بيروت ١٣٨٦هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور: للإمام السيوطي.
١١. تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي وزميله.
١٢. أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.
١٣. فتح الباري بشرح البخاري: للحافظ أبي الفضل العسقلاني: المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم، بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ — ١٩٢٩م.
١٥. مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر: دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م.
١٦. صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م.

- ١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي. ونسك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م .
- ١٨ . الجامع الصغير : للإمام السيوطي ، مطبعة الباي الحلبي — القاهرة .
- ١٩ . كشف الخفا ومزيل الالباس : اسماعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الإسلامي — حلب .
- ٢٠ . تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني : دار صادر — بيروت .
- ٢١ . الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ٢٢ . تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت .
- ٢٣ . البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض .
- ٢٤ . الطبقات الكبرى : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧ .
- ٢٥ . سيرة النبي لابن هشام : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة .
- ٢٦ . الروض الأنف : عبد الرحمن السهلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة .
- ٢٧ . مروج الذهب : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٨ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، دار الاندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٩ . أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٣٠ . خلفاء الرسول : خالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
- ٣١ . العبريات : لعباس محمود العقاد .
- ٣٢ . علي بن ابي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة : للأستاذ عبد الكريم الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت .
- ٣٣ . هذا هو الطريق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار التراث مصر — ١٩٧٣ .
- ٣٤ . مع الاخلاص وجهاً لوجه : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الحلبي — القاهرة .
- ٣٥ . أشهر مشاهير الاسلام : رفيق العظم .
- ٣٦ . الاعلام : للزركلي .

- ٣٧ . الأغاني : للأصفهاني .
- ٣٨ . تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ .
- ٣٩ . تفسير الخازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
- ٤٠ . تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
- ٤١ . الرياض الأنف : للإمام السهيلي .
- ٤٢ . الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري .. مصر .
- ٤٣ . سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
- ٤٤ . سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه» ، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد قزاد عبد الباقي ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
- ٤٥ . تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

رَجَالُ  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميرة

الجزء الخامس

دار الحديث

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

## مقدمة

نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا في ابراز الأجزاء الأربعة من كتابنا «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» بهذه الصورة المشرقة التي كان لها أعمق التقدير في الأوساط العلمية والثقافية.

أما هذا الجزء وهو الجزء الخامس فهو خاص بثلاثة من عمالقة الاسلام. أما أولها: فهو الصديق أبو بكر — الذي ضحى بماله وبكل ما يملك من ثروة في سبيل إعلاء كلمة الحق.

وهو الذي وقف في وجه المرتدين عن الاسلام وقال كلمته المشهورة: والله لو منعوني عقلاً كانوا يعطونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم — لخارتهم عليها. والثاني: عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — عملاق الاسلام والذي كان يذرف الدموع الغزار خوفاً من الله تعالى وعندما قال له ابنه عبد الله ما الذي يبكيك يا والدي..؟ ولقد أمنت الخائف، وأشعبت الجائع، وكسوت العاري..؟ قال: يا بني أخشى لو عثرت بغلة في طريق العراق لحاسب الله عليها عمر لأنه لم يجهزها الطريق.

عمر بن الخطاب الذي كان يحاسب الولاة ويطالبهم برد الهدايا التي أعطيت لهم لبيت المال.

وأما الثالث: فهو عثمان بن عفان — رضي الله عنه — الذي جهز جيش العسرة

من ماله الخاص . حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ما ضر عثمان ما فعل بعد ذلك . »

عثمان الذي وقعت في عهده الفتنة — الفتنة التي أثارها عبد الله بن سبأ ، ففرقت الأمة ، ومزقت الوحدة ، وجعلت بأس المسلمين بينهم شديداً .

فتى يخرج المسلمون من هذا الليل الطويل الذي يلف حياتهم متى يا رب . ؟

د. عبد الرحمن عميرة



أبو بكر الصديق  
رضي الله عنه

الآيات التي نزلت في أبي بكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا

بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ  
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا  
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ

صدق الله العظيم

سورة الأحقاف آية ١٥

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآيات في أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — .

قال ذلك صاحب تفسير البغوي ٦ / ١٣٤ .

وقال رواية أخرى صاحب الدر المشور ٦ / ٤١ .

وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن الامام الواحدي ص ٤٠١ .

فمن هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؟ .

## قال رسول الله ﷺ

« ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة .

وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من الناس لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله .

وما عرضت الاسلام على أحد إلا كانت له كبرة إلا أبو بكر فإنه لم يتلعم في قوله .»

أخرجه الترمذي

## أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

.. أول من آمن وصدق برسالة الرسول ﷺ من الرجال. ورفيق الرسول في رحلته إلى يثرب.

ومحرر الرقيق والعييد من مخالف الطغاة المستبدين من صناديد قريش ورافع راية الجهاد ضد المرتدين حتى عادت الجزيرة العربية إلى كتاب ربها.

وأول خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول عليه السلام.

ووالد أم المؤمنين عائشة — زوج النبي — ﷺ.

اسمه: عبد الله بن أبي قحافة.

ولقب: بالصديق.

وسماه رسول الله ﷺ بالعتيق.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«اني لني بيت رسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء وبيني وبينهم الستر إذ أقبل أبو بكر فقال رسول الله:

«من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا<sup>(١)</sup>» .

ووصف بأنه نسابة العرب .

ووهبه الله سبحانه وتعالى عقلاً المعياً ، وحافظة قوية ، تعي ولا تنسى ، وتحفظ ولا تترك ، من ذلك .

أن رسول الله ﷺ كان يوماً جالساً بين أصحابه يستعيد ذكرى الأيام الأولى قبل بعثته فقال :

«لست أنسى قس بن ساعدة ، ممتطياً جملاً أورق في سوق عكاظ وهو يتحدث حديثاً ما أحسبني أحفظه» .

فقال أبو بكر : إني أحفظه يا رسول الله ، كنت حاضرًا ذلك اليوم في سوق عكاظ ومن فوق جملة الأورق وقف قس يقول :

«أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا : إن من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ .

إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لغيراً .

ومهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لن تغور .

ليل داج وسماء ذات أبراج .

يقسم قس ، إن لله لديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه» .

ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا...؟ أم تركوا

فناموا...؟» .

ثم أنشد أبو بكر شعر قس بن ساعدة :

في الداهيين الأولين من القرون لنا بصائر

(١) أخرجه الترمذي باب مناقب أبي بكر الصديق ، قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقال صاحب جامع

الأصول : لكن للحديث شواهد بمعناه يرفى بها ذكر بعضها في مجمع الزوائد .

لما رأيت موارداً للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها يسعى الأكبر والأصغر  
أبقت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

إن الله سبحانه وتعالى رزقه هذه الحافظة الواعية والقلب الذكي لأنه يعده لكبار الأمور ويهيئه ليكون درعاً لرسوله ﷺ عندما يحمل رسالة ربه ، ويدعو الناس إلى عبادته وتوحيده .

أما عن أخلاقه وسماحته فكما وصفه الرسول ﷺ بقوله :

« إن الله عزّ وجلّ ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله عزّ وجلّ ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة .

وإن مثلك يا أبا بكر كمثلك إبراهيم قال :

﴿ فمن تبغني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ (١)

وإن مثلك يا أبا بكر كمثلك عيسى قال :

﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢)

إن هذا الشيء يدل على سماحة الخلق ونزاهة القصد ، ومحبة خلق الله ومعرفة ما ركب في طبائعهم من ضعف وقصور . وهكذا كان أبو بكر رضوان الله عليه . وأيضاً تدل هذه الأوصاف — على التسليم الكامل لمشيئة الله سبحانه وتعالى والرضى بقدر الله وحكمه .

وهذه إحدى خصائص الإيمان الذي كان يعمر قلب الصديق ويفيض على من حوله بالخير والرعاية والتوجيه .

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة آية ١١٨ .

وبهذه الأخلاق العالية ، والسلوك الطيب الذي التزمه أبو بكر رضي الله عنه طوال حياته قال الرسول ﷺ كلمته المشهورة :

«إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ، غير أن الله قد اتخذ صاحبكم خليلاً يعني نفسه ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» (١)

فإذا أردنا أن نتعرف على صفات أبي بكر الجسدية . فإن الرواة يقدمون لنا سجلاً بأوصافه وثبتاً بهيشه وملاحمه .

يقول ابن سعد في طبقاته : إن عائشة رضي الله عنها نظرت إلى رجل من العرب ماراً وهي في هودجها فقالت :

« ما رأيت رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا فقلنا صني لنا أبا بكر ؟ »

فقالت : رجل أبيض نحيف ، خفيف العارضين ، أجنأ لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقوته ، معزوق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة عاري الأشاجع» (٢)

هذه صفة أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — .

لم يكن طوالاً عملاقاً .

ولا ضخماً الجسم بديناً .

وليس فيه ما يلفت النظر ، أو يسترعي الانتباه .

ومع ذلك وقف التاريخ مبهوراً يسجل أعماله ويحصي أفعاله .. ويتركها للأجيال من بعده نوراً على الدرب ومشعلاً لهداية الحيارى والمتمعين .

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب مناقب أبي بكر والترمذي في المناقب .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٨ .



## إسلام أبي بكر رضي الله عنه

لقد كان الصديق قبل بعثة الرسول ﷺ يشتغل بالتجارة وكان يشارك في رحلة الشتاء والصيف التي ذكرهما القرآن. وكانت هذه الرحلات وما يحمله فيها من عروض التجارة تدرّ عليه مالاً وفيراً وخيراً كثيراً ، وبالإضافة إلى ذلك أعطته خبرة ومعرفة بنفوس الناس وطرق معاملتهم.. ومن أهمها الصبر وحسن الخلق .

وفي إحدى رحلاته للشام وبعد أن هيا تجارته وقبل أن يعود إلى مكة رأى رؤيا استولت على وعيه ، ومألت وقته بالتفكير والتأمل .

فسارع إلى أحد الرهبان الصالحين وكان يعرفه من كثرة تردده على تلك البلاد وقصّ عليه ما رآه وهو :

« أن القمر قد غادر مكانه في الأفق الأعلى ، ونزل على مكة حيث تجزأ إلى قطع وأجزاء تفرقت على جميع منازل مكة وبيوتها ، ثم تقاربت هذه الأجزاء مرة أخرى ، وعاد القمر إلى كيانه الأول ، واستقر في حجر أبي بكر .

فتهلل وجه الراهب الصالح وقال لأبي بكر :

لقد أهلت أيامه ..

وتساءل أبو بكر :

من تعني ؟ النبي الذي ننتظر . ؟

ويجيبه الراهب :

نعم وستؤمن معه وستكون أسعد الناس به .

ويعود أبو بكر إلى مكة ، وتصل إلى أذنيه كلمات قريش التي ترددها بشأن محمد

ﷺ .

ويقترّب من أبي بكر أحد الرجال ويقول له : أعلمت ما فعل صاحبك . ؟

ويجيبه أبو بكر وماذا فعل يا أخا العرب ؟

وقال الرجل : ما ندرى ذات صباح حتى صعد محمد على الصفا فهتف : يا صباحاه .

فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟

قال : محمد .

فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بني عبد فلان ، يا بني فلان ، يا بني فلان يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب .

فاجتمعوا إليه ، فقال : أريتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكتم مصدقي ؟

قالوا : ما جربنا عليك كذباً .

قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »<sup>(١)</sup>

كان الرجل يقص ذلك — وأسارير أبي بكر تنفرج ودقات قلبه تتلاحق حتى انتهى الرجل من أقواله .

فقال أبو بكر كلمته الخالدة :

« إن كان قائله فقد صدق » .

وأسرع أبو بكر حيث يجلس الرسول ﷺ وقال له :

يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك ؟

فسأله النبي : وما بلغك عني يا أبا بكر ؟

قال : بلغني أنك تدعو إلى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله .

قال : نعم يا أبا بكر إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً ، وجعلني دعوة إبراهيم وأرسلني إلى الناس جميعاً .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٠ .

فما أبطأ أبو بكر أن قال : والله ما جربت عليك كذباً وإنك لخلق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك وحسن فعالك . مُد يدك فلإني أبايعك .

وهكذا أصبح الصديق أول رجل من شرفاء العرب دان بالإسلام بعد نبيّه عليه السلام ، دان به سريعاً ، وكتب له في اللحظة الأولى أن يكون ثاني اثنين حين يكون النبي هو أول الاثنين . فكان ثاني اثنين في الاسلام وثاني اثنين في غار الهجرة . وثاني اثنين في كل وقعة من الوقعات بين المسلمين والمشركين ، وأقرب صاحب إلى النبي في شدة الاسلام ورحائه وفي سرّه وجهه ، وفي شؤون نفسه وشؤون المسلمين . ومن اللحظة الأولى وهب للاسلام كل ما يملك إنسان أن يهب من نفسه وآله وبنيه .

ومن الشواهد الدالة على ذلك أنه أشار على النبي ﷺ أن يجتمعوا في المسجد ويجهروا بالدعاء فلما وقف بينهم في المسجد يدعو إلى الله ورسوله وثب عليهم المشركون يضربونهم ويؤذونهم ويوسعونهم إهانة مع الضرب والايذاء . وتصدى عتبة بن أبي ربيعة لأبي بكر فجعل يضربه بنعلين مخصوفين حتى ورم وجهه ، وخفى على الناظر إليه مكان أنفه . وتسامع أهله من بني تيم فأقبلوا يتعادون ويجلون المشركين عنه ، ثم حملوه في ثوب إلى بيته وما يشكون في موته ، وصاح منهم صاحبون في المسجد : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة .. ثم أحاطوا به يكلمونه حتى أفاق وأجاب .

فكان أول ما فاه به وهو في تلك الحال : ما فعل رسول الله .. ؟

فلاموه وعنفوه وسألوا أمه أن تطعمه أو تسقيه شيئاً يردّ إليه نفسه فأبى أن يأكل أو يشرب حتى يعلم ما فعل رسول الله .

قالت : والله ما أعلم بصاحبك .

قال : فاذهبي إلى بنت الخطاب فاسألها عنه .

فلما جاءت أُنكرتها وأشفقّت أن تكون عيناً من عيون المشركين عليها وعلى رسول الله .

فقلت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله .

ثم عرضت عليها أن تذهب إلى أبي بكر لتسمع منه وتطمئن إلى مقاله فوجدته صريماً دنفأ قد برّح به الألم فغلبها الإشفاق فأعلنت بالصياح وهي تقول :

« إن قوماً نالوا منك لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله لك .

فما زاد على أن كرر سؤاله الذي لزمه مذ أفاق من غشيبته :

« ما فعل رسول الله . » ؟

قالت : وهي لا تزال حذرة من أمه :

« هذه أمك تسمع . » ؟؟

قال : لا عين عليك منها .

قالت : سالم صالح .

فلم يكفه ذلك حتى يراه بعينه وسألها أين هو . ؟

فأعلمته بمكانه من دار الأرقم بن أبي الأرقم .

وأحب أن يذهب إليه فأكبرت المرأتان العطوفتان حبه لصديقه ونبيه فأمهلتاه حتى سكن الناس وخليت الطرق وخرجتا به يتكى عليها ولا يقدر على حمل نفسه ثم دخلتا به على رسول الله وهو بتلك الحال فانكبّ عليه يقبله ، ورقّ الرسول لصديقه وصفحّه رقة شديدة .

واستمرّ الصديق على حاله تلك من الاستهانة بكل خطر ، واسماع الكفار ما يضيقون بسماعه . حتى أذن له الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة .

واستجاب لدعوة رسوله ، وحمل متاعه ويم وجهه شطر الحبشة . وفي الطريق لحق به ربيعة بن فهم المعروف بابن الدغنة .

فقال له : إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج .

إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك .

وظاف ابن الدغنة في أشراف قريش يبلغهم أنه أجار أبا بكر فعرفوا له جواره وقالوا له : مره فليعبد ربه في داره يصلي فيها ويقرأ ما يشاء ولا يؤذينا ولا يستعلن به فإننا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

إلا أن أبا بكر بنى بفناء الدار مسجداً يصلي فيه ويرتل القرآن .

ويخرج صوته الشجي بآيات القرآن إلى من حوله .

ويتجمع حول بيته الشباب والنساء والأطفال .

يصغون ويطيلون الاصغاء .

ثم ينتشرون في دروب مكة وطرقاتها يرددون ما سمعوا ، ويجتمع عليهم آخرون .

وتغتاظ قريش ، وتصب جام غضبها على الموالي والضعفاء .

وتفرغ إلى ابن الدغنة تطلب منه أن ينهي أبا بكر عما يفعل أو يسترد منه ذمته .

ويذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر ويضع بين يديه ما طلبته قريش .

ويرفض الصديق أن يستجيب إلى ما طلبوا .

ولم يكتف بذلك بل إنه قال لابن الدغنة عندما ألحَّ عليه في ذلك :

«فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل»<sup>(١)</sup> .

وأخذ في الدعوة إلى دين الله .

فأسلم على يديه رهط من أكبر السادة وأكبر القادة في الاسلام ، أسلم على يديه : عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيدالله ، وسعد بن أبي

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٥ والبنية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٠٣ .

وقاص ، وعثمان بن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم  
كثير.

وعندما وجد قريشاً تعذب العبيد وتنكل بهم أخذ في شرائهم وتحريرهم . منهم  
بلال بن رباح مؤذن النبي ﷺ وكان سيده يخرجه في حارة القيظ فيطرحه على  
ظهره في بطحاء مكة ويلقي بصخرة عظيمة على صلبه ويدعه وهو يقول : لا تزال  
هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد .

فلا يزيد على أن يقول : أحدٌ أحد .

ويردّها حتى يوشك أن يغيب عن وعيه من ألم العذاب ، اشتراه أبو بكر بما  
يساوي خمس أواق ذهباً .

ف قيل له : لو أبيت إلا أوقية لبعناك .

فقال : ولو أبيت إلا مائة أوقية لأخذته؟<sup>(١)</sup>

ومضى في شراء العبيد والإماء بما يطلبه ساداتهم من ثمن يغالون فيه ليعجزوه  
ويدخلوا الندم على نفسه ، وهو لا يبالي ما يبذل من ماله وجهده في سبيل نصرته  
الاسلام وأتباعه .

ولكن قريشاً أحست بعد ذلك أنها تخسر جديداً كل يوم .

وأن دعوة محمد يقبل عليها الناس أفواجاً .

وتسامعت قبائل العرب بهذه الدعوة فجاءته الوفود ترى .

إذن لا بدّ من عمل جادّ حاسم يحفظ لها سلطانها ويرد لها عبيدها ويقضي على  
هذه الدعوة قضاءً لا قيام بعده .

فإذا فعل ؟ وأي المسالك تسلك ؟ ولم يطل بها التفكير والتدبير واجتمع  
رجالها في دار الندوة .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٦ - ٦٧ .

وتداولوا وقلبوا وجوه الرأي .

وانقضوا في النهاية على قرار .

لا بدّ من قتل محمد .؟؟ وتفريق دمه في القبائل . فما موقف أبو بكر من هذا القرار وماذا أعدّ له ؟ .

### الصحبة يا رسول الله .. ؟

في ساعة من ساعات الهجرة التي تلف مكة بوهج من اللظى والحرارة ، فتدفع الناس إلى السكون والهمود في داخل منازلهم ، خرج رسول الله ﷺ ميمماً شطر منزل أبي بكر . وما أن وصل إلى هناك وأذن له بالدخول حتى أسرع إلى داخل البيت .

تقول عائشة رضي الله عنها : أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها . فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء .

فقال رسول الله ﷺ :

أخرج عني من عندك .

فقال : يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك ؟ . فذاك أبي وأمي .

فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة .

فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله .

قال : الصحبة .

قالت عائشة : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح

حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ .

ثم قال يا نبي الله : « ان هاتين راحلتان كنت قد أعددتها لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن اريقط يدلها على الطريق (١) » .

وفي غار حراء استقر بهما المقام بعض الوقت طلباً للراحة وتضليلاً لقريش التي خرجت برجالها ومعداتها تطلب محمداً وصاحبه وتغري الطامعين والمغامرين بالمال وما هو فوق المال إن عادوا بمحمد حياً قبل أن يصل إلى دار العزة والمنعة .  
يقول أبو بكر :

قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه .

فقال : يا أبا بكر .

« ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ (٢) » .

ووصل موكب المهاجرين إلى المدينة تحدهما رعاية الله وتحفظها عنايته .  
وفي المدينة آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وبين خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري .

فتزل أبو بكر عليه وتزوج ابنته حبيبة .

وخارجة هذا يعد من كبار الصحابة ، وقُتل يوم أحد قتله صفوان بن أمية أخذاً بثأر أبيه الذي قتله خارجة ومعاذ بن عفراء .

وهكذا استقر أبو بكر في يثرب بجوار صاحبه ﷺ ولم ينس في هجرته هذه أن يأخذ معه جميع ماله ، لا حرصاً عليه ، ولكن ليكون مورداً للدعوة وسنداً للمهاجرين ونفقة في سبيل الله .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٤ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٨ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢٠٠ وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث همام .



تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها لما هاجر رسول الله ﷺ وهاجر أبو بكر معه . احتمل أبو بكر ماله كله ، خمسة آلاف درهم أو ستة . فدخل علينا جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، وقال :

«إني لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه»؟؟

قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع فيه ماله ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده وقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه وقال :

«لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم» .

ولا والله ما ترك لنا شيئاً . ولكني أردت أن أسكن الشيخ (١) .

وعاش مع الرسول ﷺ كما يعيش الجندي يأتمر بأمر قائده يصلر اليه الأمر فلا يتلثم ولا يجادل بل يقوم بتنفيذه على الفور .

ووضع نفسه وماله وحياته تحت إمرة قائده ورسوله ﷺ حتى تكلم الرسول ﷺ موضعاً دور أبي بكر واخلاصه لدينه ورسوله بقوله :

«ما لأحد عندنا يد ، إلا وقد كافأناه بها ، ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة» .

«وما نفعني مال أحد قط ، مثلما نفعني مال أبي بكر» .

«وما عرضت الاسلام على أحد إلا كانت له كبوة عدا أبي بكر فإنه لم يتلثم (٢)» .

إنه رجل من معدن الرجولة .

وإنسان من خلاصة الانسانية .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) رواه الترمذي في الناقب باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وهو كما قال : حسن بشواهد وقد ذكره الحافظ في الفتح .

ومن الصفوة المختارة من رجالات الاسلام .  
نعم رجالات الاسلام الذين أجابوا داعي الله .  
وملاً الإيمان قلوبهم فكانوا للبشرية نوراً ، أنقذها من دياحي الظلمة ومن شباك  
الضلال ...

إنه من رجال مدرسة النبوة أصدق مدرسة عرفها سجل التاريخ .  
وفي السنة الخامسة من الهجرة خرج الرسول ﷺ في جمع من أصحابه  
قاصدين مكة ليعتمروا .

وعلمت قريش بخروج الرسول إليها وصممت على منعه من دخول مكة .  
فأرسل الرسول إليها عثمان بن عفان رضي الله عنه ليخبرها أن الرسول ما جاء  
لقتال وإنما جاء معتمراً .  
ولكنها ركبت رأسها وصممت على المنع .

وانتهت المفاوضات إلى عقد ميثاق يعود المسلمون بمقتضاه إلى المدينة مرجئين  
زيارة البيت إلى العام القادم .

وأثارت شروط صلح الحديبية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ورأى أن فيها  
إجحافاً بحق المسلمين .

فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ .

قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين ؟ .

قال : بلى .

قال : أوليسوا بالمشركين ؟ .

قال : بلى .

قال : فعلامَ نعطى المدينة في ديننا ؟ .

قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه<sup>(١)</sup>. فإني أشهد أنه رسول الله.

قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان موقف أبي بكر من الرسول ﷺ التسليم الكامل لحكمه ، والتصديق الشامل بكل ما يأتي وما يدع.

وما كان أبو بكر يكون ذلك لولا الإيمان الغامر الذي يملأ كل ذرة من ذرات جسمه ، ويحرك كل خلية من خلجاته ، وكل كلمة من كلماته حتى قال عنه صاحبه وأعرف الناس به :

«لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر».

هذا الإيمان الذي يملأ قلب صاحبه ، فيضيء له الطريق ، ويوضح له السبل ويكون فرقاناً له بين الحق والباطل ، هو إيمان عمر أيضاً ولكن عمر يختلف عن أبي بكر في بقاء التلقي. وفي التفتيش عن الحججة الظاهرة والرأي البين يتضح ذلك من محاورته مع رسول الله ﷺ بعد تركه لأبي بكر بقوله :

«يا نبي الله ، ألسنت نبي الله حقاً؟»

وأجابه الرسول :

بلى ، يا عمر...

قال : فلم نعط الدينة في ديننا؟ .

أجابه الرسول :

يا عمر ، إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري .

قال عمر :

أولم تعدنا ، يا رسول الله ، بأننا سنأتي البيت ونظوف به؟ .

(١). غرزه : يريد الزم طريقه ولا تحتر لنفسك إلا ما يختاره.

(٢). سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٥ .

قال الرسول : أوقلت هذا العام يا عمر؟

قال عمر : لا..

قال النبي : فإنك آتية ومطوف به .

يقول عمر : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً<sup>(١)</sup> .

هذان هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

شربا من نبع الاسلام حتى فاض على ما حولها بالري والشبع .

ومن أجل ذلك قال الرسول ﷺ لأصحابه : عندما أقبل أبو بكر وعمر أحدهما أخذ بيد صاحبه :

« من سره أن ينظر إلى سيدي كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين .. فلينظر إلى هذين المقبلين » .

ويسأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ بقوله :

يا رسول ، أي الناس أحب إليك؟

قال : عائشة .

قلت : إنما أعني الرجال .

قال : أبوها .

صدق رسول الله ﷺ فهو جدير بالحب والتقدير وفي الأيام المقبلة ، بعد هذا الحديث أثبت أبو بكر أنه جدير بحب الرسول ﷺ .

لقد أدى الرسول الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ونزل قول الله تعالى :

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٩٠ .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١)

وبلغ الكتاب أجله ومات رسول الله ﷺ ، وتسامع المسلمون بالخبر ، فطاشت عقولهم ، وسلبت ألبابهم ، وأوشك أن تعمهم فتنة عمياء .  
حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله مات ، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران .

والله ليرجعن رسول الله ، فليقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات .

ألا ، لا أسمع أحداً يقول إن رسول الله مات ، إلا فلقنت هامته بسيفي هذا (٢) .

هذا هو موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، موقف الرجل الذي أذهلته المفاجأة والفاجعة في أحب الناس إليه ، من أن يتحصن بالإيمان ويعود إلى ربه يستلهمه الرشد والصواب .

وإذا كان هذا موقف عمر رضي الله عنه ، فما موقف أبي بكر؟ .

يقول صاحب الطبقات :

« دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مسجى في ناحية البيت عليه بُرد حيرته فكشف عن وجهه ، ثم قبله وقال :

« بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً . إن الموتة التي كتبها الله عليك قد متها .

ثم رد الثوب على وجه الرسول ﷺ .

ثم خرج وعمر يكلم الناس فدعاه للسكوت ، فأبى عمر إلا أن يسترسل في

قوله :

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٧٢ وذكره السيوطي عن طريق ابن هبيرة .

فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، أقبل على الناس يكلمهم . فلما سمعوه أقبلوا عليه  
منصتين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ..

من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات .

ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

ثم تلا هذه الآية :

قال تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل  
انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله  
الشاكرين ﴾ (١) .

فوالله لكان الناس يسمعون هذه الآية لأول مرة .

أما عمر فقد وقع على الأرض ، حين علم من كلمات أبي بكر أنه الموت حقاً (٢) .  
إنه الفهم الكامل لحقيقة الحياة .

والوعي الناضج لكتاب الله .

والرجل الذي يتقبل الأمور الصعاب بجلد الأفوياء ، وبصبر الأتقياء وبعزاء  
الأوفياء .

إنه الصديق الذي لم يتلثم عندما سمع بدعوة الاسلام .

والرجل الذي بذل ماله وحياته لنصرة هذا الدين .

والذي قبل الهجرة مع صاحبه مع ما فيها من مخاطر وصعاب .

فماذا تنتظر منه في هذا الموقف غير هذا؟ .

لقد فقد فعلاً أعز الناس إليه .

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٧٢ .

فماذا تراه يفعل .. والتبعة ثقيلة ، والطريق طويلة ، وكلمة التوحيد الخالدة ، لا بد أن تصل إلى الأصقاع البعيدة وإلى كل مكان يعمره البشر ويقطنه خلق الله ؟ .  
ولكن قبل هذا وبعده من يتولى أمر المسلمين ؟ .  
من الذي تسند إليه تبعة الخلافة ؟ .

وهل يتفق المسلمون على أحد أم تراهم يختلفون .. ويتقاتلون ؟ . هذه هي بعض الأمور التي شغلت بال أبي بكر رضي الله عنه بعد أن وارى جسده الطيب الطاهر وألقى على الرسول ﷺ في قبره نظرة أخيرة .  
فن هو أحق الناس بالخلافة ؟ .

إذا كان ذلك كذلك ، فلنعد بالزمن خطوات قبل وفاة الرسول ﷺ وعلى وجه التحديد في مرضه الأخير .

### مروا أبا بكر فليصل بالناس ..

.. تقول عائشة ، رضي الله عنها ، لما نقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال :

« مروا أبا بكر فليصل بالناس » .

قالت : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس فلو أمرت عمر .

قال : مروا أبا بكر يصلي بالناس .

فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر .

فقلت له حفصة :

فقال : إنكن لاتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

فقلت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيراً<sup>(١)</sup> .

قالت : فأمرؤا أبا بكر يصلي بالناس .

فلما دخل أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تحطبان في الأرض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم كما أنت .

قالت : فعاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً .

يقندي أبو بكر بصلاة الرسول ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر .

وهنا سؤال يطرح نفسه : ولماذا أبو بكر بالذات ؟ .

لأنه أول من أسلم من الرجال ؟ .

أم لأنه ثاني اثنين إذ هما في الغار ؟ .

أم لأنه قريب إلى قلب الرسول حبيب إلى نفسه ؟ .

قد يكون لكل هذه الأشياء سبب في هذا الاختيار ، ولكنها ليست هي بالسبب الاساسي التي دفعت الرسول ﷺ الى أن يأمر أبا بكر ليقوم مقامه في إمامة المسلمين ..

ولكن الشيء الذي تستريح اليه النفس ويطمئن اليه القلب .. أن الرسول ﷺ كان أعرف بطبيعة المرحلة ، التي ستمر بها الأمة الاسلامية بعد وفاته — وهو أقدر الناس معرفة بالرجال — وخبرة بطبائعهم ولعله رأى بثاقب فكره .. وشفافية نفسه أن أبا بكر هو أقدر الصحابة على تحمل تلك التبعة والقيام بتلك المهمة .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢١١ وما بعدها ورواه البخاري في الجماعة باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ومسلم في الصلاة باب استخلاف الامام والترمذي في المناقب والنسائي في الامامة .



ويؤيدنا فيما نذهب إليه ما رواه جبير بن مطعم عن أبيه :  
« أن امرأة أتت النبي ﷺ في شيء فقال لها رسول الله :  
ارجعي إليّ .

قالت : يا رسول الله فإن لم أجدك — تعني الموت . فأبى من ؟  
قال : إلى أبي بكر<sup>(١)</sup> .

فالرسول ﷺ كان يعد أبا بكر ليتولى شؤون المسلمين بعده .  
ولعل الكثير من المسلمين كانوا يعرفون ذلك ولا ينكرونه .  
وإذا كان ذلك كذلك فلماذا ترددت السيدة عائشة في أن يقوم أبو بكر مقام  
النبي في إمامة المسلمين في الصلاة ؟ .  
يقول صاحب العقبريات :

« كان هذا التردد أدل على مكاتها وفضلها وعلى استحقاقها لمنزلة الأيثار في ذلك  
القلب العظيم .»

فهي قد ترددت لتبريء نفسها من القالة . وتبريء ذلك الموقف الخطير من  
المظنة ، وتبريء الخلافة من أسباب الادعاء . وقد يكون فيها إضعاف وإيذاء .  
وأشهدت على نفسها أولى الناس بالشهادة في ذلك الموقف الخطير حفصة بنت  
عمر رضي الله عنها .

فإذا علمت حفصة أن عائشة راجعت رسول الله مرتين في تبليغ الأمر إلى أبيها أن  
يصلي بالناس فقد علمت ذلك من هي أحق بعلمه من سائر أمهات المسلمين<sup>(٢)</sup> .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٧٨ .

(٢) موسوعة عباس محمود العقاد مجلد ٢ ص ١٨٠ .

## بيعة أبي بكر بالخلافة ..

.. اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يتحدثون بحقهم في الخلافة دون المهاجرين .

وكان القوم فريقين متنافسين منذ زمن قديم ، وهما الأوس والخزرج وبينهما من الشحاء ما تهون معها كل مشاحنة بين الأنصار والمهاجرين .

فأتاهم أبو بكر وعمر وعبيدة بن الجراح .

فقام حباب بن المنذر وكان بدرياً فقال :

« منا أمير ومنكم أمير فإننا والله ما نفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ، ولكننا نخاف أن يليها أو يليه ، أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم .

فقال عمر : إن العرب لا تمنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم

منهم» .

وقال أبو عبيدة :

« يا معشر الانصار كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغير»<sup>(١)</sup> .

وقال أبو بكر :

« إن هذا الأمر إذا تولته الأوس نفثته عليهم الخزرج ، وإن تولته الخزرج نفثته عليهم الأوس . ولا تدبّين العرب لغير هذا الحي من قريش نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تفتنون بمشورة ولا نقضي دونكم الامور .

ونادى في القوم :

هذا عمر وهذا ابو عبيدة فأبيها شتم فبايعوه .

فقال عمر وقال أبو عبيدة :

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٧٦ .

«لا والله لا تتولى هذا الأمر عليك ، فأنت أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار ، وخليفة رسول الله على الصلاة .

والصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا الذي ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك .

«ابسط يدك نبايعك»<sup>(١)</sup> .

فبايعه زعيم من الأوس يسمى بشير بن سعد وهو يقول :  
«كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم»<sup>(٢)</sup> .

وقال أسيد بن حضير : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم نصيباً أبداً فقوموا بايعوا .

وبايع عمر وأبو عبيدة فكأنما بايع المهاجرون معها . ولم يبق للخزرج الحاضرين عزم خلاف ، فتراحموا على البيعة ، حتى أوشكوا أن يطأوا زعيمهم المريض . وماتت الفتنة في مهدها لأنها ولدت بعلّة الموت . تولى أبو بكر ، رضي الله عنه ، خلافة المسلمين .

فوضع أمام المسلمين منهجه الذي يسير عليه ، والدستور الذي سيأخذ نفسه به قبل أن يأخذهم به أو يطبق عليهم بنوده فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :  
أما بعد : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن ، وسنّ النبي ﷺ السنن ، فعملنا فعلمنا ، اعلّموا أن أكيس الكيس التقوى ، وأن أحقّ الحمق الفجور وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه . وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق . أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوموني<sup>(٣)</sup> .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٧٨ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٣٢ .

إن الحاكم في الإسلام هو رجل منهم ، كلف بحمل تبعه الحكم ، فهو فرد منهم لا يتسلط عليهم برأي ، ولا يستبد دونهم بمشورة .

وليس له مزية على أي فرد منهم إلا بمقدار ما يقدمه من خير لأمته ، أو يفيض قلبه بحب رعيته .

وهذا ما قاله أبو بكر في بداية حكمه ، ثم أخذ نفسه به .

ثم وضع أن خطته في الحكم وسيرته في الرعية ستكون دائماً نابعة من دستور الدساتير الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ ومهتدية بهدي الرسول وأقواله في السلم والحرب ، وهو من قبل هذا ومن بعده : متبع وليس بمبتدع .

نعم هو متبع ، لا يصدر في أحكامه من عند نفسه ، ولكنه ملتزم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

وما دام الأمر كذلك فليس هناك قوي يستعصي على حكم الله ، وليس هناك ضعيف تهضم حقوقه ، أو يُنال منه .

والجميع أمام شرع الله متساوون ، كلهم لآدم وآدم من تراب .

والحاكم بشر يخطيء ويصيب ، ويضل ويهتدي ، وعلى الرعية أن تعين هذا الحاكم وتشد من أزره ، تبصره إذا أخطأ ، وتقف في وجهه إذا جار ، وتعزله إن ركب رأسه ، أو استبد بأقدار الرعية .

وتسأل هل التزم أبو بكر بما قاله أمام الرعية ؟

ونعني بذلك : هل حافظ على أقدار المسلمين ، وعمل على حماية ثغورهم وحدودهم ؟

وهل اجتهد في إعانة ضعفائهم ، وصان لهم دينهم وإيمانهم ؟ أم كان الأمر غير ذلك ؟

للإجابة على ذلك علينا أن نستقرئ أحكامه ، ونتابعه في أعماله .

.. لقد كان أبو بكر، رضي الله عنه، يحلب للعجائز شياهم، ويعجن الخبز لبعضهم، وتسامعت إحدى الفتيات الصغيرات باختيار حالب الشياه حاكماً عاماً للمسلمين.

فتوجهت لأمها بهذا السؤال :

ومن يحلب لنا منائح دارنا يا أماه؟.

ويسمع الخليفة سؤال الفتاة، أو سمع له.

فقام على الفور وقال :

«بل لعمرى لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه»<sup>(١)</sup>.

واستمر الخليفة الذي يفيض قلبه بالحب لرعيته والعطف على ضعفائها بما كان فيه سابقاً.

وتذكر كتب التاريخ : أنه كان يحلب لهم فرما قال للجارية من الحي :

«يا جارية أتخبين أن أرغي لك أو أصرح؟».

فرما قالت : أرغ، وربما قالت : صرح.

فأي ذلك، قالت : فعل.

إن بعض الشعوب في هذا القرن نظرت إلى زعمائها بعين التقديس والتأليه لأن أحدهم تنازل عن حصته من السكر لطفل رضيع.

وآخر مر على بعض القواد في الحرب العالمية الثانية، وهو يغط في نوم عميق بعد معركة ضارية وسط الأحرار والمستنقعات.. فما كان من هذا الزعيم إلا أن اقترب من القائد وخلع حذاءه المبللة بالماء خوفاً عليه أن يصاب بأذى.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٨٦.

وما كاد يداع هذا ويعلم حتى تناقلت وكالات الأنباء هذين الخبرين وكأنهما من الأشياء النادرة ، التي لا تصدر إلا من عظماء الرجال وإذا كان ذلك كذلك فماذا يقول المبهورون والمبهورات بهؤلاء الزعماء عن حاكم عام يحلب الشياه للعجائز؟

وأخر يحمل على ظهره الدقيق والدهن للنفساء؟

وثالث: يحمل عن مجهود حملة حتى يبلغه مأمته؟

ورابع وخامس من مدرسة الاسلام؟ ثم ماذا؟

لترك أبا بكر في أعماله الخاصة لتتابعه في عظام الأمور وكبريات الحوادث

أبو بكر وبعثة أسامة بن زيد...

لقد كان أول عمل جابه أبا بكر بعد بيعته بالخلافة ، جيش أسامة بن زيد الذي كان الرسول ﷺ أعده لتكون وجهته إلى الشام .

ومات الرسول ﷺ ، وهذا الجيش معسكراً على بعد ثلاثة أميال من المدينة ، لأنه كان تهباً للمسير . وأرجأت وفاة الرسول زحفه .

ثم اختلفت الآراء بعد ذلك ..

فريق من المسلمين يرى أن بعث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبية في الوقت الذي أصبحت المدينة نفسها مهددة بغزو المرتدين .

وكان على رأس هذا الفريق عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

وفريق آخر يرى أنه لا بد من بعث هذا الجيش مهما كانت الظروف ولا يجوز بأي حال من الاحوال أن تحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ .

ويمثل هذا الفريق أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

حتى إنه قال عندما أكثر عليه بعض الصحابة ، في أن يترث في هذا البعث :

« والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ، ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة<sup>(١)</sup> » .

وأيضاً « ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة إلى وجهته ؟ » .

وهناك رأي ثالث .. كان يوافق على البعث شريطة أن يتقدم للقيادة من هو أسن من أسامة وأخبر بفنون القتال .

ولكن الخليفة أبا بكر رأى رأياً واحداً في هذا الموضوع .. وهو الطاعة التامة في إرسال بعثة أسامة بقيادته في غير هودة ولا إبطاء .

ثم أمر بتنفيذ ما ارتآه .

وأذن الصحابة لأمره . عندها وقف وسط الجنود يوصيهم بتقوى الله وبالصبر عند لقاء الأعداء ثم قال :

« لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للمأكلة ، وسوف تمر على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها اندفعوا باسم الله<sup>(١)</sup> .

لقد وضع أبو بكر ، رضي الله عنه ، في هذه الوصية دستوراً للحرب الهادفة وقانوناً للمعارك الشريفة .

إنه يطلب من الجنود الذين خرجوا في سبيل الله ، ورغبة في إعلاء كلمة الحق أن يلتزموا بقواعد الإيمان ، ويتأدبوا بأدب الإسلام ، ومعروف أن هذه الآداب تختلف في حقيقتها عن القواعد التي يتبعها قادة الجيوش في القرن العشرين . والتي تخرج للغزو والتسلط .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٣٤ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٤٣ .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٥ وج ٦ ص ٣٤٣ .

إن الخليفة الذي تربى في مدرسة الاسلام وتلقى على يد معلمه وصاحبه محمد صلى الله عليه وسلم دستور الدساتير يحرم على جنوده، وهم في ميدان القتال، أن يخونوا أعداءهم.

أو أن يقدروا بهم.

لأن قتالهم — في هذا الوقت — لم يكن في سبيل غارة يغيرونها.

ولكن من أجل نفوس يغيرونها.

وقتلهم ليس للتسلط والجبروت وفرض السلطان.

وإنما هم فقط يريدون إعلاء كلمة الله ونشر دينه.

فالحرب إذن لن تشن إلا على هؤلاء الطواغيت والأباطرة الذين يصدون

أتباعهم عن قبول دعوة الاسلام.

والأطفال والنساء والشيخوخ لا يفعلون ذلك.

من هنا كانت دعوة أبي بكر للجنود بعدم التعرض لهؤلاء.

وما دام المقصود من الحرب في الاسلام، هو دعوة الناس للدخول في دين الله

أفواجاً.

فما الداعي إلى الائتلاف والتدمير، وحرق الزرع والنبات، وإشاعة الفساد في

الأرض، كما تفعل الحروب الحديثة، حيث يعمد أهلها إلى تطبيق قانون الظفر

والناب؟

ويحتم أبو بكر وصيته لجنوده:

بعدم التعرض للعباد والزهاد، الذين يعيشون في صوامعهم يذكرهم ربهم

ويتبتلون إلى مولاهم.

هذه خلاصة الوصية التي وضعها الخليفة الأول لجنوده — في أول خروجه

يخرجونها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خارج الجزيرة العربية — ولقد استجاب الجنود

لأمر قائدهم.



وأخذوا نفوسهم بتعاليم الاسلام.

ووضع كل منهم نصب عينيه إحدى الحسينين، إما النصر لكلمة الله تعالى وإما الشهادة التي وعدهم بها الله تعالى، ثم ماذا يا خليفة رسول الله؟  
.. ثم شيع جيش أسامة ماشياً على قدميه وعبد الرحمن بن عوف يقود دابته بجواره فقال أسامة:

«يا خليفة رسول الله، والله لتركبني أو لأتزلن.

فقال: والله لا تنزل، والله لا أركب، وما عليّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة.

ثم استأذن أسامة قائلاً:

«إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل. فعاد عمر بإذنه. بإذن القائد الذي هو في مقام الطاعة هناك. حتى على الخليفة، وعلى أكبر الصحابة من بعده.  
ثم قال لأسامة:

«اصنع ما أمرك رسول الله ﷺ ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله» (١).

ونقول أكان الخليفة الأول على حق في إرسال هذه البعثة؟

ألم يكن هناك خطر على المدينة عندما حلت من الجيش المحارب؟

ولماذا لم يتزل الخليفة على أمر المسلمين الذين أشاروا عليه ببقاء هذه البعثة،

ولماذا تمسك برأيه؟

هذه أسئلة كثيرة كانت تحاك في بعض النفوس في حينها.

ولكن بعد أن عادت هذه البعثة أدرك المخالفون لرأي الخليفة أنه كان على حق فيما

تمسك به.

وأنه لو فعل غير ذلك لكان احتمال الخطر أكثر من السلامة.

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٣٤ والبدية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٤٤.

.. لقد شاع في الجزيرة العربية خبرها.

وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمر بقبيل يريدون الارتداد إلا تخوفوا وسكنوا. وقالوا فيما بينهم :

« لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء ».

.. ومع ذلك أخذت الأخبار تترى إلى المدينة ، بارتداد بعض المسلمين عن دينهم .

وامتناع البعض الآخر عن دفع الزكاة التي كانوا يدفعونها لرسول الله ﷺ .  
وظهرت فتنة مسيلمة الكذاب وادعاؤه النبوة .

وأعدت الجيوش وجهزت الكتائب للزحف على مدينة الرسول ﷺ عاصمة الخلافة في ذلك الوقت ..

فماذا كان موقف الخليفة الأول ؟ وماذا كان رأي جماعة المسلمين ؟

### حروب الردة ..

توفي رسول الله ﷺ فارتدت أحياء كثيرة من الاعراب ، ونجم النفاق بالمدينة ، وجعلت الوفود تقدم يقرون بالصلاة ، ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع عن دفعها إلى الصديق رضي الله عنه واحتجوا بقوله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ (١)

قالوا : فليسنا ندفع زكّاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا .

وأنشد بعضهم :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فواعجباً ما بال ملك أبي بكر

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه .

وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي بكر :

علام نقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ :

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»<sup>(١)</sup> .

فقال أبو بكر : والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى الرسول ﷺ لأقاتلهم على منعها ، ان الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .

قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق .

ويقول عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه :

لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه ، ولولا أن الله منّ علينا بأبي بكر أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة محاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين .

فعزم الله لأبي بكر على قتالهم فوالله ما رضي إلا بالخطبة المخزية أو الحرب المحلية فأما الخطبة المخزية ، فإن بقروا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة . وأن يدوا<sup>(٢)</sup> قتلاتنا ، ونغنم ما أخذنا منهم .

وأن ما أخذوا منا مردود علينا . وأما الحرب المحلية فإن يخرجوا من ديارهم .

وهكذا اجتمع أمر المسلمين على رأي واحد وهو القتال .

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة والبداية والنهاية لابن كبير ج ٦ ص ٣٥١ .

(٢) يدوا : بدفعا الية .

وعقد الخليفة لهذه المهمة الخليفة أحد عشر لواء..

الأول : لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، ومالك بن نويرة.

الثاني : لعكرمة بن أبي جهل وسيره إلى مسيلمة الكذاب.

الثالث : للمهاجر بن أبي أمية المخزومي القرشي وأمره بجنود الأسود العنسي في

اليمن.

الرابع : لخالد بن سعيد وبعثه إلى مشارف الشام.

الخامس : لعمرو بن العاص وأرسله إلى قضاة ووديعه والحارث.

السادس : لخديفة بن محض ، وبعثه إلى دبا.

السابع : لعرفجة بن هرثة وأمره بمهرة.

الثامن : لشرحيل بن حسنة وأرسله في إثر عكرمة.

التاسع : لمعن بن حاجر السلمي وأمره ببني سليم.

العاشر : لسويد بن مقرن الحضرمي ووجهه إلى البحرين.

الحادي عشر : وللعلاء الحضرمي وأمره بالبحرين<sup>(١)</sup>.

لقد استطاع أبو بكر، رضي الله عنه، أن يجمع هذا العدد الكثيف من الجنود ويُعدّه هذه العدة في فترة وجيزة. وليس ذلك إلا للإيمان الخالص الذي يعمر القلوب ويملأ الأفتدة، والعزيمة الصادقة التي لا تكل ولا تمل. والاطمئنان إلى نصر الله تعالى وعونه.

وقبل أن تتحرك هذه الجيوش الجرارّة كتب لكل أمير كتاباً قال فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم — من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ، إلى من بلغه كتابي هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع عنه ، سلام على من اتبع

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٥٥ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٦.

الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فأني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . ونقرّ بما جاء به ، ونكفر من أبي ذلك ونجاهده ..

أما بعد .

فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه ، حتى صار إلى الاسلام طوعاً أو كرهاً ، ثم توفي رسول الله وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الاسلام في الكتاب الذي أنزل فقال :

﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ <sup>(١)</sup> . وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال للمؤمنين :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين ﴾ <sup>(٣)</sup> .

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً مات ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حي لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه يجزيه ، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم وما جاء به من نبيكم وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله فإن كل من لم يهده الله ضالاً ، وكل من لم يعافه مبتلى وكل من لم يعنه الله مخذول ، ومن هداه غير الله كان ضالاً . قال الله تعالى :

(١) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

﴿ من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ (١)  
ولم يقبل له في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل ، وقد بلغني رجوع من رجوع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به ، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره وإجابة للشيطان . قال الله تعالى :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ﴾ (٢)  
وقال : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (٣)

وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الايمان بالله ، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه وأعان عليه ، وإن أبى حاربه حتى يفيء إلى أمر الله » (٤)

ويفهم من هذا الكتاب أنه لن يكون قتال إلا بعد الدعوة إلى الاسلام ، ولا يستطيع أمير أن يخالف أمر الخليفة ويهاجم قوماً دون التحقق منهم — ومعرفة ما إذا كانوا على الاسلام أم رجعوا عنه — وبذلك تبطل دعاوى المضللين الذين يدعون أن الاسلام قام على حدّ السيف .

### تحرك الجيوش لحروب الردة ..

.. روى الإمام أحمد من طريق وحش بن حرب .. أن أبا بكر الصديق لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة . قال :

(١) سورة الكهف الآية ١٧ .

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠ .

(٣) سورة فاطر الآية ٦ .

(٤) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٦ .

«سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم عبدالله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، سيف من سيوف الله سلته الله على الكفار والمنافقين» .

ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق ، واعدّه أنه سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء . وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب . وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي<sup>(١)</sup> .

وكان طليحة في قومه بني أسد ، وفي غطفان ، وانضم إليهم بنو عيس وذبيان . ثم سار خالد حتى التقى مع طليحة الأسدي بمكان يقال له «بزاخة» ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينتظرون على من تكون الدائرة .

وجاء طليحة فيمن معه من قومه ومن التف معهم ، وحضر معه عيينة بن حصن في سبعمائة من قومه بني فزارة . واصطف الناس ، وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأ لهم وينظر ما يوحى إليه فيما يزعم . وجعل عيينة يقاتل ، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طلحة وهو ملتف في كسائه فيقول :

أجاءك جبريل ؟ .

فيقول : لا .

فيرجع فيقاتل ، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك ويرد عليه مثل الأول ، فلما كان في الثالثة قال له :

هل جاءك جبريل ؟ .

قال : نعم .

قال : فما قال لك ؟ .

قال : قال لي : إن لك رحي كرحاه ، وحديثاً لا تنساه .

(١) طليحة الأسدي ارتد عن الاسلام وقام بمؤازرته عيينة بن حصن وقال لقومه : والله لني من بني أسد أحب إلي من بني من بني هاشم وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه فوافقه بنو فزارة على ذلك .

فقال عيينة : أظن أن قد علم الله أنه سيكون لك حديث لا تنساه ثم قال : يا بني فزارة انصرفوا . فانصرفوا فانهزم الناس عن طليحة .

فلما رأى طليحة ذلك ركب على فرس كان قد أعدها له ، وأركب امرأته النوار على بعير له ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه ، وأسر خالد عيينة بن حصين وبعث به إلى المدينة مجموعة يدها إلى عنقه ، فدخل المدينة وهو كذلك . فجعل الولدان والغلمان يطعنونه بأيديهم ويقولون :

«أي عدو الله ارتدت عن الاسلام» .؟

فيقول : والله ما كنت آمنتم قط (١) .

فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقن دمه ، ثم حسن اسلامه بعد ذلك .  
وأما طليحة فإنه راجع الاسلام بعد ذلك أيضاً ، فذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق واستحى أن يواجهه مدة حياته .

وقد رجع فشهد القتال مع خالد وكتب الصديق إلى خالد بشأن طليحة :  
«أن استشره في الحرب ولا تؤمره» .

انتصر الاسلام بقيادة خالد بن الوليد على طليحة وعصابته ، واستطاعت الكتيبة المسلمة أن تفرق شملهم وتبدد جمعهم ، وتدير الدائرة عليهم إنهم جند الله وحزبه فالله معهم وناصرهم .

وانهزم حزب الشيطان وجمعه .

وعلم الخليفة أبو بكر الصديق بنصر المسلمين فكتب إلى خالد يقول :  
«ليزدك ما أنعم الله به خيراً واتق الله في أمرك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٨ .



محسون جد في أمرك ولا تلتن ، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا نكلت به» (١).

وبقي خالد في «بزاخة» شهراً ثم سار في طريقه يحطم الكفر ويزيل الركام المتعفن أمامه من أمثال «أم زمل» سلمى بنت مالك وجيشها ، ومالك بن نويرة وأصحابه ، حتى وصل إلى مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة باليمامة .

### مقتل مسيلمة الكذاب ..

حشد مسيلمة جيشاً جراراً وجعل على ميمنة جيشه المحكم بن الطفيل ، وعلى اليسرة نهار الرحال بن عنقوة .

وجاء خالد بن الوليد بجيشه فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه :

«اليوم يوم الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سيئات وينكحن غير حظيات ، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم» (٢) .

وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كتيب يشرف على اليمامة فضرب به عسكره وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس والعرب على راياتها .

واضطدم المسلمون والكفار فكانت جولة ، وانهمزت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد .

ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس :

«بئس ما عودتم أقرانكم ، ونادى من كل جانب : أخلصنا يا خالد . فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار . وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يُعهد مثله . وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون :

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٥٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦٢ .

«يا أصحاب سورة البقرة، بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتاً حتى قتل هناك.

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: نخشى أن نؤتى من قبلك، فقال: «بئس حامل القرآن أنا إذا».

وقال زيد بن الخطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً وقال: والله لا أتكلم اليوم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحق فقتل شهيداً رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحملوا فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم وسار إلى مسيلمة وجعل يترب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفيين ودعا إلى البراز وقال:

أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين، يا محمداه — وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رخي المسلمين ثم اقترب خالد من مسيلمة فعرض عليه النصف والرجوع إلى الحق فجعل شيطان مسيلمة يلوي عنقه، لا يقبل منه شيئاً، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر — صرفه عنه شيطانه.

فانصرف عنه خالد وقد ميز المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أب على رأيهم يقاتلون تحتها، حتى يعرف الناس من أين يؤتون؟

وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى محور

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٦٦ — ٢٦٧.

عدوهم حتى فتح الله عليهم ، وولّى الكفار الأدبار فأتبعوهم يضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا حتى أبلأوهم إلى حديقة الموت .

وقد أشار عليهم المحكم بن طفيل بدخولها ، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة لعنه الله . وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر المحكم فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله وأغلقت بنو حنيقة الحديقة عليهم وأحاط بهم الصحابة . وقال البراء بن مالك :

« يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة »<sup>(١)</sup> .

فاحتملوه حتى ألقوه من فوق سورها .

أي نوع كان هؤلاء الرجال ؟

الذين يقدمون نفوسهم رخيصة إلى هذا الحد ؟

رجل يرى أن السهام مشرعة ، والسيوف قائمة تناله من كل جانب وتنهش من جسمه .. ولكنه لا يبالي .. إن جسمه لا يهمه كثيراً ولا يحس به — ولا يوقع السهام التي تنال منه — إن أمامه شيئاً واحداً لا بدّ أن ينجزه قبل موته وقبل أن يلفظ آخر نفس من أنفاسه ، وهو أن يفتح باب الحديقة أمام جنود الله حتى يقضوا على عصابة الكفر وهذا ما فعله البراء ، ولم يسترح أو يهدأ له بال حتى فتح الباب .. وانداحت فيه جنود الله يقتلون عصابات الكفر أتباع الشيطان حتى خلصوا إلى مسيلمة فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم ، فرماه بحربة فأصابه وخرجت من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط . فنادت امرأة من القصر : وأمير الوضاعة قتله العبد الأسود .

قتل رأس الكفر مسيلمة الكذاب .

قتل من جمّع الجموع وجيش الجيوش أمام المسلمين .

وبقتله عادت الجزيرة العربية مرة أخرى إلى الاسلام ، وإلى دفع الزكاة لبيت المال مرة أخرى ، لتعود بالتالي إلى فقرائهم .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦٤ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٦٦ .

حدث هذا بفضل الله سبحانه وتعالى ، ثم بالعزيمة الصلبة التي امتاز بها أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه .

عادت الجزيرة العربية إلى الاسلام .  
وارتفعت فوق مآذنها كلمة التوحيد .

وأحس أبو بكر ، رضي الله عنه أن المهمة لا زالت طويلة وشاقة أمام المسلمين ، إنهم حملة كتاب الله ، والرسالة الخالدة التي بعثها الله للبشرية قاطبة .  
إذن لا بدّ من إبلاغ كلمة التوحيد إلى كل الأصقاع .  
ونشر الاسلام في كل مكان .

وهذا ما فعله أبو بكر ، رضي الله عنه ، جيش الجيوش وجهاز الكتاب ، ودفعهم إلى أرض فارس .. ليخلصوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الأحد .

وتتابعت جيوشه إلى أرض الروم ليخلصوا البشرية أيضاً من طغيان الأباطرة ، وتسلبت القيصرية ، ويعيدوا الناس جميعاً إلى آدميتهم ويشيعوا بين جموعهم .. أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد . ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى أو عمل صالح . وجاءت رسل الجيوش لأبي بكر في المدينة بالنصر المؤزر والفتح المبين واستمر الحال على ذلك حتى جاءه أجله ، الذي أجله الله تعالى وقدره له .

وفاة أبي بكر رضي الله عنه ..

جاءت عائشة ، أم المؤمنين — رضي الله عنها — وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فقالت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى  
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ثم قال (١) :

﴿ ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن قولي ، وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (٢) .

ثم قال : إني قد كنت نحلتك حائطاً وإن في نفسي منه شيئاً فرده إلى الميراث .  
قالت : نعم . فردّته .

ثم قال : أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضج وجرّد هذه القطيفة .

فإذا ميت فابعثي بهم إلى عمر وابرئي منهم .

ففعلت : فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول :

« رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده .

رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده .

يا غلام ارفعن (٣) .

فقال عبد الرحمن بن عوف :

« سبحان الله نسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرّد قطيفة ثمن

خمسة الدراهم ؟ .

قال : فما تأمر ؟ .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٩٦ .

(٢) سورة ق . الآية ١٩ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٧ .

قال : تردهن على عياله .

فقال عمر : لا والذي بعث محمداً بالحق ، لا يكون هذا في ولايتي أبداً ، خرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله .. الموت أقرب من ذلك <sup>(١)</sup> .  
مرحى لرجال مدرسة القرآن .

أبو بكر يتخلص من آخر شيء يربطه بالدنيا ويرده الى بيت المال .  
وعمر يقبل ذلك بصدور رحب ويضيفه إلى أموال المسلمين ويرفض أن يخص به أبناء أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه بعد رسول الله ﷺ .

إنهم الرجال الذين تأدبوا بأدب النبوة وأخذوا نفوسهم بمنهج القرآن فكانوا على جبهة التاريخ نوراً يبدد ظلام الليل الحالك ، ويزيل من على الأرض أشواك الحياة وأدران النفوس .  
ثم ماذا ؟ .

ثم قال لأم المؤمنين عائشة : أنظري ملاءتي هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيها ، فإن الحمي أحوج إلى الحديد من الميت .

ومات رحمه الله ورضي الله عنه مساء ليلة الثلاثاء ثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من هجرة النبي ﷺ فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩٧ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٣ .

## أسباب نزول الآيات

قال الإمام الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : إنها على العموم والأصح أنها نزلت في أبي بكر الصديق — رضي الله تعالى عنه — وذلك أنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة ، والنبي ابن عشرين سنة . في تجارة إلى الشام فنزلوا منزلاً فيه سدره فقعد النبي ﷺ في ظلها ، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين فقال الراهب :

من الرجل الذي في ظل السدره ؟

فقال : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

فقال الراهب : هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبي آخر الزمان <sup>(١)</sup> .

فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ، فكان لا يفارق النبي ﷺ في سفر ولا حضر . فلما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة أكرمه الله بنبوته واختصه برسالته ، فأمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

(١) تفسير الخازن والبغوي ج ٦ ص ١٢٤ .

فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل قال : ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي ﴾ (١).

وقال علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — في قوله : ووصينا الانسان بوالديه حسناً — في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره ، وأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده .

﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ (٢).

قال ابن عباس أحابه الله تعالى : فأعتق تسعاً من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه .

﴿ وأصلح لي ذريتي ﴾ (٣).

فأحابه الله تعالى : فلم يكن له ولد إلا آمن ، فاجتمع لأبي بكر إسلام أبويه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمر ، وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبي عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وأبوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنته محمد كلهم ، أدركوا النبي ﷺ وأسلموا ولم يجتمع ذلك لأحد من الصحابة غير أبي بكر .

وقال صاحب الدر المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، رضي الله عنهما : قال أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه (٤).

(١) سورة الاحقاف الآية ١٥ .

(٢) — (٣) سورة الاحقاف الآية ١٥ .

(٤) تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٤١ وراجع الطبري ج ٢٦ ص ١٧ والقرطبي ج ١٦ ص ١٩٥ .



## تذييل ...

لماذا كانت حروب الردة؟.

ولماذا الجهاد في الاسلام؟.

وما الداعي لخروج الجيوش الاسلامية من الجزيرة العربية؟

أخرجوا ليفرضوا دينهم — دين الاسلام — بالقوة وبحد السلاح؟.

وانداحوا في أركان الأرض ليخضعوا البشرية تحت قوة هذا الدين الجديد؟

الحقيقة إن القرآن الكريم يرفض القوة لإجبار الناس على اعتناقه.

ولا يرضى بغير الاقناع العقلي بديلاً لدخول الافراد في هذا الدين. يقول الله

تعالى مخاطباً الرسول الكريم، عندما رغب في إيمان بعض أقاربه وألح عليه في ذلك :

﴿ أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول الله سبحانه وتعالى للبشرية عامة :

﴿ لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة بونس الآية ٩٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

والدعوة إلى الدين في شرع الاسلام يجب أن تكون بالكلمة الطيبة والافتناع  
السلیم.

يقول الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي  
هي أحسن ﴾<sup>(١)</sup>

وإذا كان ذلك كذلك ، فلماذا خرج المسلمون من جزيرتهم وانجهوا في أركان  
الأرض الأربعة؟

أهناك ضرورة دفعتهم إلى ذلك؟

أم أن رسولهم أمرهم به؟

الحقيقة أن هذا الخروج كان من أجل نشر دين الله ، خرجوا ليبشروا بهذا الدين  
الجديد.

خرجوا لتكون كلمة الله هي العليا.

هذا هو المبرر الأول للحركة الجهادية في الاسلام ، ويؤيد هذا الرأي ما يروى  
عن الرسول ﷺ عندما سأل عن الرجل يقاتل للشجاعة ، والرجل يقاتل للمغتم ،  
والرجل يقاتل ليرى مكانه : «أي مفاخره».

فأي ذلك في سبيل الله؟

فقال : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

فليس الجهاد من أجل الاستيلاء على البلاد ، وليس الجهاد من أجل الثروة  
الاقتصادية أو الغلبة ، وليس الجهاد من أجل الرغبة في خفض العيش وإيجاد الرخاء  
في أساليب الحياة على حساب الآخرين.

وإنما العامل الأساسي في ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الجهاد في  
سبيل الله ، والجهاد دفاعاً عن الأهل هو جهاد في سبيل الله ، والجهاد دفاعاً عن

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

المال هو جهاد في سبيل الله ، والجهاد دفاعاً عن العرض هو جهاد في سبيل الله ، والجهاد دفاعاً عن الوطن وتحرير الأرض هو جهاد في سبيل الله ، يقول الرسول ﷺ :

«من قُتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»<sup>(١)</sup> .

ومن هنا وضحت رسالتهم أمام البشرية وكما بينها ربعي بن عامر رسول المسلمين إلى (يزدجرد) ملك الفرس بقوله :

«الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الرحمن ، فالأمم جميعها أمام الإسلام سواء والناس أمام شرع ربهم اكفاء والخلق جميعاً لآدم وآدم من تراب» .

قال تعالى :

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا الفهم لطبيعة التقوى في الإسلام نرى صاحب الدعوة الإسلامية محمد ﷺ يوصي قادة الجيوش بقوله :

«أوصيكم بتقوى الله ومن معكم من المسلمين» .

ثم يقول :

«اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من «الكفار» فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم» .

(١) أخرجه الامام البخاري والامام مسلم في صحيحهما .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

لا بد من التقوى للقائد الذي يتأمر على الجيش ، لأن الرجل التقي يخاف الله ويحشى عقابه ، فيأمر بالعدل ويدعو إليه .

والرجل التقي ، يحشى الخديعة ولا يقع فيها ، ويحذر الخيانة ولا يأتيها والرجل التقي يؤمن بأن لكل أجل كتاباً ، فلا يخاف ما تأتي به الليالي فيقاتل وهو واثق من احدى الحسينين ، إما النصر وإما الشهادة .

ولا بد أن تكون الحروب باسم الله ، فلن تكون الحروب في شرع الاسلام باسم العصبية ، ولن تقام الحروب في شرع الاسلام باسم الافراد ، ولن تقام الحروب للمغرم والاستعلاء ، ولن تعلن الحروب الا على الكافرين . لن تعلن الحروب الا على الملحددين الجاحدين . أما أهل الكتاب فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . قال تعالى :

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين ﴾<sup>(١)</sup> .

وإذا أثرت المعركة وحمي وطيس القتال . فالمسلم لا يمثل بالقتلى من أعدائه ولا يشوه جثثهم ، والمسلم لا يقتل الأطفال ولا الرضع ، ولا يقتل الشيوخ ولا النساء ولا يتعرض لمن بأذى .

يقول أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — مستمداً قوله من وصايا الرسول الكريم :

« لا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة ولا تقطعوا شجرة ولا تعقروا ناقة ولا بقرة ولا شاة إلا لما أكله » .

فلن يقاتل هؤلاء الذين يعبدون الله ، ولن يرفع في وجههم سلاح ، وإنما يقاتل فقط من يحمل السلاح ليصد عن دين الله ويحول بينه وبين الوصول إلى خلق الله .

(١) سورة المتحة الآية ٨ .

يقاتل فقط من يرفض أن يستجيب لواحدة من ثلاث :

١ — إما الاسلام .

٢ — وإما الجزية .

٣ — وإما القتال .

فإن أجابوا داعي الاسلام فلا حرب ولا قتال قال تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾<sup>(١)</sup> .

ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، فإن رفضوا الأولى فعليهم الثانية وهي الجزية ، والجزية بالنسبة « للذمي » تعادل الزكاة للفرد المسلم .

إن كل فرد في المجتمع الاسلامي لا بد من أن يقدم بعض ماله مساهمة منه في حماية الدولة وتجهيز الجيوش وتأمين الثغور واقامة المرافق العامة ومساعدة العاطلين ، والمرضى وأصحاب الحاجات .

وما دام المسلم يدفع الزكاة — وهي فرض عليه — لا يجوز اسقاطه فن العدل أن يدفع غير المسلم ما يعادلها . ما دام الجميع يعيشون في رحاب وطن واحد يستمتعون بخيراته ويدفنون تحت ترابه ، فكانت الجزية لغير المسلم ، ولم تكن الزكاة لشفاية الاسلام وعدالة أحكامه .

هذا هو الاسلام في ميدان الحرب ..

عدالة مطلقة .. ورعاية لحقوق الآخرين .. فلا اكراه ، ولا قسر ..

فتى يفهم هؤلاء الخاقدون الذين يرمون الاسلام بما ليس فيه .. ويتقولون عليه الأقاويل الباطلة ؟ .

متى يا رب ؟ .

(١) سورة الأنفال الآية ٦١ .

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الآيات التي نزلت في حَمْرٍ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا

يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ

فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

صدق الله العظيم

سورة الجاثية الآية ١٤ - ١٥

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآيات في عمر بن الخطاب رضي الله عنه .  
قال ذلك صاحب تفسير القرطبي ١٦ / ١٦٦ .  
وقاله البغوي في تفسيره ٦ / ١٢٧ .  
وقاله الطبري في تفسيره ٢٤ / ٨٦ .  
وقاله صاحب كتاب : اسباب نزول القرآن الامام الواحدي ص ٣٩٩ .

لئن هو عمر بن الخطاب ..؟



## قال رسول الله ﷺ

«بينما أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو فتزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزع منها ذنوباً أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غرباً فلم أرَ عبقرياً من الناس يفري فريه ، حتى روى الناس وضربوا بعطن» .

أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

## عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

رجل من معدن الرجولة .

عرفه رسول الله ﷺ في أودية مكة ودروبها ، فتمنى أن يشرح الله صدره للإسلام ، وطلب ذلك من ربه بقوله :

« اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين »<sup>(١)</sup> .

وشجاع أزهب الصناديد والأبطال ، وكان يصارعهم في سوق عكاظ يتسرعهم .

وخاشع لربه متبتل في محرابه حتى قالت عنه أم أبان عتبة بن ربيعة :

« إنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر لربه بعينه » .

ذلك هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

درجت طفولته على بطاح مكة وسهولها ، فلونت بشرته شمسها الحارقة ، وجوها الألاحف .

(١) رواه الترمذي في باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه واسناده حسن ورواه أيضاً أحمد في المسند وابن سعد في الطبقات والبيهقي في دلائل النبوة وصححه ابن حبان وبشده له حديث ابن عباس اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب .

وصقلت عوده طبيعتها المكشوفة ، وجنادلها الصم .

وبين جبالها الشم ، وعلى قممها العالية ، تفتح شبابه ، وقويت ساعدها ، وأجاد ما يتعلمه شباب مكة وفتيانها في ذلك الوقت ، من إصابة الهدف ، وتسديد الرمح ، وخفة الحركة على سهوات الخيل .

وكان والده الخطاب رجلاً فظاً غليظاً لا يعرف من دنياه إلا أصنام مكة وأوثانها يتقدم إليها بالعبادة ، ويخصها بمزيد من العناية وتقديم القرابين .

وكم كان غيظه وحنقه على ابن أخيه زيد بن عمر بن نفييل عندما هجر عبادة الأصنام وأجمع الخروج من مكة يطلب الحنيفية دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

فما كان من الخطاب إلا أن وكل به صفية بنت الحضرمي ، لتكون رقيباً عليه ، فكلمها رأته قد تهيأ للخروج وعزم عليه ، ذهبت إلى الخطاب فأخبرته بذلك ، فيمنعه ويردعه .

فلما تكرر ذلك منه حسبه في جبال مكة ، عند حراء ، وبعث إليه بشباب من شباب قريش ، وسفهاء من سفهائهم ، وأمرهم أن يراقبوه ويمنعوه من السفر ، ويمنعوه من دخول مكة ومن الاختلاط بالناس ، لئلا يفسد عليهم دينهم وحياتهم<sup>(١)</sup> .

ومن إخوة عمر — رضي الله عنه — زيد بن الخطاب .

شهد بدرًا وأُحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقُتل بالجمامة شهيداً .

وحزن على أخيه حزناً شديداً حتى كان يقول :

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٩ .

« ما هبت الصبا إلا وجدت نسيم زيد ، لقد سبقني بالحسنين أسلم قبلي  
واستشهد قبلي » (١) .

وعن عمران العبدى عن أبيه قال :

صليت الصبح مع عمر بن الخطاب فلما انفتل من صلاته ، إذا هو برجل قصير  
أعور ، متنكباً قوسه ويده عصا فقال : من هذا ؟ .

فقال : متمم بن نويرة .

فاستشده قوله في أخيه فأنشده :

وكنا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا  
فلما تفرقنا كآني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأين . يرحم الله زيد بن الخطاب ، إني لأحسب أني لو  
كنت أقدر على أن أقول الشعر لبكيتك كما بكيت أخاك ثم قال له :

ما أشد ما لقيت على أخيك من الحزن ؟ .

فقال : كانت عيني هذه قد ذهبت فبكيت بالصحيحة ، فأكثر البكاء حتى  
أسعدتها العين الذاهبة وجدت بالدمع .

فقال عمر : إن هذا الحزن شديد ، ما يحزن هكذا أحد على هالكه .

قال متمم : لو قتل أخي يوم الإمامة كما قتل أخوك ما بكيت أبداً .

فصبر عمر وتعزى عن أخيه وقال :

« ما عزاني أحد عنه بأحسن مما عزيتني » (٢) .

ومن أبناء عمر : المتبتل العابد عبد الله بن عمر الذي قال عنه رسول الله ﷺ  
لزوجه حفصة بنت عمر :

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٥٥٣ .

(٢) المصدر السابق .

«إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل».

يقال : فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل<sup>(١)</sup>.

وابنته حفصة أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ العابدة القوامه ، والتي هي من أهل الجنة كما أخبر جبريل رسول الله ﷺ .

لقد كان عمر لا يعرف من دنياه إلا مكة وما يحيط بها .

وكان مشغولاً برعي الإبل والغنم لأبيه وأهله الأقربين .

وكان صاحب خمر يشربها ويعكف عليها .

وكان يعيش كما يعيش أهل مكة في ذلك الوقت — من الرحيل للتجارة في رحلتي الشتاء والصيف ، أو المفاخرة في سوق عكاظ بالكلمة والشعر مرة ، وبالمصارعة والمجالدة أخرى .

وكانت دنياهم محصورة ، وآمالهم محدودة .

فإذا حدث حتى أصبح عمر بن الخطاب — حديث الدنيا بأسرها في عصره وبعد عصره ؟ .

كيف دانت الدنيا لجنوده — جند الله — وكيف أصبحت الأرض بأقطارها الأربعة مفتوحة أمام كلمة عمر — التي يستمددا من كتاب الله ؟ .

ماذا جرى لعمر — حتى أصبح موضع دراسة علماء السياسة والاقتصاد وقواد الجيوش ، في كل بقعة وفي كل مكان ؟ .

إنه الاسلام دين الله الخالد ، وخاتم الرسالات السماوية .

ونسأل : كيف اهتدى عمر إلى الاسلام ؟ .

وأبي الطرق سلكها حتى وصل إلى نبعه وعب من زلاله ؟ .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٥١ .

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر مع عمر بن الخطاب رضي الله

عنه ...

### اسلام عمر...

كيف أسلم عمر بن الخطاب..؟

وما هي الدوافع التي جعلته يقترب من الاسلام؟

أترأه وقع تحت مؤثرات قاربت بينه وبين ذلك؟. وإذا كان فما هي؟.

أيكون ذلك عندما استمع الى الرسول ﷺ وهو يقرأ القرآن في جوف الكعبة؟.

أم يكون ذلك عندما رأى بعض — المستضعفين — يخرجون من مكة مهاجرين تاركين الأهل والوطن؟.

أم أنه تأثر عندما رأى الدم ينبثق من وجه أخته — عندما لطمها لظمة شديدة — لقراءتها القرآن هي وزوجها؟.

قد يكون لكل ذلك أثره الكبير في اقترابه من الاسلام ، وابتعاده عن معسكر الكفر.

ولنستمع اليه يحدثنا عن ذلك..

إنه يقول :

«كنت للاسلام مباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها . وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش .

فخرجت أريد جلسائي أولئك فلم أجد منهم أحداً .

فقلت : لو أنتي جئت فلاناً الخمار ، وخرجت فلم أجده .

قلت : لو أنتي جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين فجئت المسجد أريد أن

أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام ،

وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، واتخذ مكاناً بين الركنين ، الركن الأسود والركن اليماني .

فقلت حين رأيتَه : والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، وقام بنفسي أني لو دنوت أسمع منه لأروعه ، فجئت من قبل الحجب فدخلت تحت ثيابها ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام»<sup>(١)</sup> .

رقَّ قلب عمر لسامع كلمات الكتاب العزيز ، وعمر رجل تطربه بلاغة القول ، ويأخذ بلبه الكلام الحسن .

فما بالك إذا استمع الى القرآن ، يتلى بصوت الرسول ﷺ ؟ إنها لحظات تضيف الى العمر جديداً وتباركه وتركيه .

ومن قبل عمر كان أساندة فن القول والكلام في قريش .. إذا استمعوا إلى القرآن خرواً سجداً وآمنوا وأعلنوا إسلامهم . من ذلك :

.. أن الشاعر ليبيد بن ربيعة ، الشهير ببلاغة منطقته ، وفصاحة لسانه ، وورصانة شعره . سمع أن محمداً يتحدثى الناس بكلامه .

فقال بعض الأبيات رداً على ما سمع ، وعلقها على باب الكعبة .. وكان التعليق على باب الكعبة امتيازاً لم تدركه إلا فئة قليلة من كبار شعراء العرب . وحين رأى أحد المسلمين هذا أخذته العزة فكتب بعض آيات الكتاب الكريم ، وعلقها إلى جوار أبيات ليبيد .

ومرَّ ليبيد بباب الكعبة في اليوم التالي ، ولم يكن قد أسلم بعد ، فأذهلته الآيات القرآنية .

حتى إنه صرخ من فوره قائلاً :

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٨ .

«والله ما هذا بقول بشر، وأنا من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وهناك حادثة أخرى تروى عن عمر رضي الله عنه للتقريب بينه وبين الاسلام من ذلك :

أنه كان يقف في طرقات مكة — وشاهد هؤلاء الضعفاء الذين أعلنوا إسلامهم — فوقف لهم قريش بالمرصاد ، وصبت عليهم العذاب ألواناً فأثروا الهجرة إلى الحبشة لعلهم يجدون بجوار ملكها الصالح الاطمئنان والأمن .

شاهد عمر هذا المنظر فاقرب من أم عبد الله بنت حنمة وقال لها إلى أين يا أم عبد الله ؟

قالت : الهجرة ، والله لنخرجن في أرض الله آذيتونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا فرجاً .

فتركها تتطلق وهو يدعو لها بالسلامة .

فذكرته بخير .

فسألها عامر بن ربيعة مستغرباً مستبعداً : كأنك قد طمعت في إسلام عمر ؟  
قالت : نعم .

قال : إنه لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب ؟<sup>(٢)</sup>

ولكن الرجل أخطأ وصدقت المرأة . عندما لمحت جانب الرقة في عمر طمعت في إسلامه . وهناك الحادثة الثالثة التي انتهت بذهابه إلى دار الأرقم . حيث أعلن إسلامه ، ونطق بالشهادتين أمام رسول الله ﷺ .

عن أنس بن مالك قال :

خرج عمر متقلداً السيف فلقبه رجل من بني زهرة قال :

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها — د. عبد الرحمن عميرة ص ١٤٦ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨٤ .



أين تعمد يا عمر؟

فقال: أريد أن أقتل محمداً.

قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟

فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن ختتك وأختك قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

فشى عمر ثائراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب.

فلما سمع خباب حس عمر توأرى في البيت، فدخل عليهما فقال:

ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرأون سورة طه.

فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا.

قال: فلعلكما قد صبوتما؟

فقال له ختته: أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟

فوثب عمر على ختته فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها

فضربها بيده ضربة فدمى وجهها.

فقالت وهي غضبية — يا عمر إن كان الحق في غير دينك: أشهد أن لا إله إلا

الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فلما ينس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. وكان عمر يقرأ

الكتب.

فقالت أخته: إنك نجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ.

فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ: طه حتى انتهى إلى قوله: ﴿إني أنا الله

لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة طه الآية ١٤.

فقال عمر : دلوني على محمد .

فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال :

أبشريا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس :  
اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام .

فانطلق عمر حتى أتى الدار التي وصفت له . فوجد على باب الدار حمزة  
وطلحة وأناساً من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما رأى حمزة وجَلَ القوم من عمر قال حمزة :

« نعم فهذا عمر . فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك  
يكن قتله علينا حيناً . والنبي عليه السلام ، داخل يوحى إليه .

فخرج رسول الله ﷺ ، حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحائل السيف  
فقال :

« أما أنت فتبياً يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزله بالوليد بن  
المغيرة ، اللهم هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب » .

فقال عمر : أشهد أنك رسول الله . فأسلم<sup>(١)</sup> .

جاهلي كسبه الاسلام فكسبه العالم الانساني كله إلى آخر الزمان . ونفس ضائعة  
ردت إلى صاحبها فعرف منها ما كان ينكر واطلع منها على ما كان يجهل ، ونفع بها  
أمته وأماماً لا تُحصى ، وصنع بها الاسلام أعظم وأفخم ما تصنعه قدرة بناء وإنشاء  
حيثما كانت قدرة بناء وإنشاء .

ونظرت الأمم فرأت كيف تعلقو النفس الانسانية حتى يحار فيها الانسان وهو  
ريشة في مهب النوازع والأشجان .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٧ .

رأت كيف يصبح العدل والحق طبيعة حياة ، وكيف يصبح مخلوق من اللحم والدم وكأنه لا يأكل طعامه ، ولا يروي ظمأه إلا ليعدل ويعرف الحق . وكأنه لا يصحو ولا ينام إلا ليعدل ويعرف الحق .

وكانه لا يتنفس الهواء إلا ليمنع الظلم عن الناس ، وتدول دولة الباطل بين الناس .

وكانما العدل والحق دين عليه يطالبه به ألف غريم وهو وحده أقوى في المطالبة بهما من ألف غريم<sup>(١)</sup> .

أسلم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه .

وأراد أن يُعلم بإسلامه صناديد قريش وطغاتها .

فسأل في أحد أندية قريش : أيّ أهل مكة أنقل للحديث .. ؟

قيل له : جميل بن يعمر الجمحي . فذهب إليه وصرح له بإسلامه . وما كاد الرجل يسمع هذه الكلمة من فم عمر حتى انطلق في طرقات مكة وحول الكعبة ينادي بأعلى صوته ويقول :

« يا معشر قريش : ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ .

وعمر يقول من خلفه : كذب ولكي أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ويجتمع عليه صناديد قريش وتنشب المعركة بينه وبين عتبة بن ربيعة فيصرعه عمر القوي .. ويدخل أضيقه في عينيه .

ويقول له : أزيل هذين العينين لأنهما لا يبصران النور .

.. ويتكاثرون عليه ، فلا يدنو منهم أحد إلا أخذه .

(١) موسوعة العقاد الإسلامية ص ٣٨٥ .

حتى فتر من طول الصراع فجلس وهم قائمون يثلبونه وهو يقول لهم :  
«افعلوا ما بدا لكم . فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا أو تركناها  
لكم»<sup>(١)</sup> .

وعلم خاله بما حلّ به : فقام على الحجر فنادى : ألا إني قد أجرت ابن أختي  
فانكشف الناس عنه .

فكان لا يزال يرى مسلماً يضرب ولا يضربه أحد ، وثقل عليه ألا يصيبه ما  
يصيب المسلمين . فذهب إلى خاله وقد اجتمع الناس في الحجر وناداه اسمع :  
جوارك مردود عليك .

قال خاله :

لا تفعل يا ابن أختي .

فأصرّ على ردّ جواره .

ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال :

يا رسول الله : ألسنا على الحق إن متنا أو حيناً..؟

فقال عليه السلام :

بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حيتم .

قال : فقيم الاختفاء..؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن .

فما لبث النبي ﷺ أن خرج في صفين ، أحدهما فيه عمر والآخر فيه حمزة .

ولهما كديد كأنه كديد الطحين .

فدخلوا المسجد وقريش تنظر وتعلوها كآبة فلا يجرؤ سليط ولا حكيم أن يقرب  
من صفين فيها هذان .

وسماه النبي يومئذ بالفاروق .

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٥٦ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٩ وغيرهما .

.. فاروق: فرق بين الحق والباطل.

وشجاع: روع قريش وملأ قلوب أهلها بالرعب.

يقول عنه صديقه عبدالله بن مسعود — رضي الله عنه —:

«ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأينا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر»<sup>(١)</sup>.

وقال صهيب بن سنان:

«لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا وانتصفنا من غلظ علينا»<sup>(٢)</sup>.

لقد كانوا خائفين فاطمأنوا وقويت شوكتهم بإسلام عمر.

وكانوا مستضعفين فأصبحوا قوة، عملت قريش لها، حسابها.

وكانوا محبوسين في دار الأرقم فتحلقوا حول الكعبة وطاقوا بها.

وكان ينال منهم ويبغي عليهم ويجهل على ضعفائهم، ولا يستطيعون لذلك رداً فأعزهم الله بتأييد من عنده. وصدق ربي في قوله:

﴿وليبصرنَّ الله من ينصره. إن الله لقوي عزيز﴾<sup>(٣)</sup>.

### هجرته ..

لقد أذن الرسول لأصحابه بالهجرة إلى المدينة .. فاستجابوا لأمره وخرجوا زرافات ووحداًنا تحت جناح الظلام — وفي غفلة من قريش — يسرعون الخطى إلى المدينة ..

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤٥ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ١٩٣.

(٢) الرياض ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٩٨ وتفسير الخازن ج ٢ ص ٢١٤ وشرح المواهب ج ١ : ٣١٧.

(٣) سورة الحج الآية ٤٠.

فماذا يفعل عمر...؟

أبقي في مكة وحده.؟ وهل في مقدوره ذلك.؟

لقد اعتادت أذناه سماع كلمات الكتاب العزيز، وأصبح واحداً في مجموعة لا يستطيع مخالفتها أو التخلف عنها..

إذن لا بدّ من الهجرة إلى يثرب..

واتفق مع عياش بن ربيعة وهشام بن العاص على أن يترافقوا في سفرهم هذا وتواعدوا أن يجتمعوا في منازل بني غفار على عشرة أميال من مكة.

فن تخلف عن الموعد تركوه ورحلوا.

فجاء عمر وعياش وحبس هشام في مكة وفتن عن دينه.

وساز عمر — رضي الله عنه — ومعه رفيقه عياش حتى وصلا إلى يثرب، مدينة العز والمنعة.

المدينة التي جيشت فيها الجيوش، وأعدت الكنائس لنصرة دين الله، وأقيم فيها أول مجتمع اسلامي عرفته البشرية، حيث كان يستمدّ تعاليمه مباشرة من السماء ومن آيات الله التي يتنزل بها جبريل صباح مساء على قلب الرسول ﷺ.

وما كاد المهاجران يستقران في مقرهما الجديد عند رفاة بن المنذر حتى لحقا بها أبو جهل وأخوه الحارث فقالا لعياش:

«إن أمك قد نذرت ألا يظلمها سقف، ولا يمسّ رأسها طيب حتى تراك...!!».

فاستشار عمر، فقال عمر:

«والله ما أراد إلا ردّك عن دينك، فاحذرهما، ولا تذهب، فوالله لو آذى أمك القمل لأدهنت وامتشطت، ولو اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت».

قال عياش :

« فإن لي بمكة مالا لعلني آخذه فيكون قوة للمسلمين ، وأكون قد بررت قَسَمَ أُمِّي » .

قال عمر :

« إنك لتعلم أنني لمن أكثر قریش مالا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معها . فأبى إلا أن يخرج معها . فلما أبى قال له عمر :

أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجية ذلول فالزم ظهرها . فإن رابك من القوم ريب . فانج عليها .

وذهب عياش معهم واطمأن إليهم — وسار في طريقهم يبغون مكة . حتى إذا وصلوا إلى جبل « صبخان » قال أبو جهل :

والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك .. ؟ قال : بلى .

فأناخ وأناخا ليتحول عليها . فلما استوا بالأرض أوثقاه رباطاً حتى دخلا به مكة .

فقالا : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا ثم حبسوه (١) .

وروى علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — :

أنه قال : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختصياً إلا عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فإنه لما هم بالهجرة ، تقلد سيفه ، وتكب قوسه وانتضى من يده أسهماً ومضى قِبَلَ الكعبة — والملا من قریش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً ثم أتى المقام فصلى . ثم وقف على جماعتهم واحدة واحدة فقال لهم :

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٩٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٨ .

«شاهت الوجوه . لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من أراد أن يشكل أمه ، أو  
يوتّم ولده ، أو يُرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي .

قال علي : فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى  
لوجهه»<sup>(١)</sup> .

ولحق بعمر أهله وذووه بالمدينة — واستقر به المقام بجوار حبيبه ورسوله ﷺ  
فماذا ترى يكون موقفه بالمدينة ؟

وهل هناك مهات خاصة أناطه رسول الله بها . ؟  
للإجابة على ذلك علينا متابعة ورصد أحواله بالمدينة ..

### عمر في المدينة

.. عاش عمر — رضي الله عنه — في المدينة جندياً من جنود الاسلام يأتمر بأمر  
رسوله — وينفذ ما يطلب منه — فإن كان في المعارك فهو الفارس المغوار والبطل  
الذي يجندل المشركين .. ويشجع جنود الله ويدفعهم إلى اكتساح جيوش الباطل  
ودحر أتباع الشيطان .

فإذا انتهت المعارك أدلى برأيه فيما يعنّ للمسلمين من أمور وفيما يطلبه الرسول  
ﷺ من رأي أو مشورة ، وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يأخذ برأيه في كبريات  
المسائل ، أو ينزل القرآن مطابقاً لما أدلى به في حادثة من الحوادث من ذلك ما يروى  
أنه :

بعد انتهاء معركة بدر شاور رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر في أمر أسرى  
قريش .

فقال أبو بكر : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، فإني أرى أن نأخذ  
منهم فدية ، فيكون ما أخذناه منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضداً .

(١) الرياض النضرة وأسد الغابة ج ٤ ص ٥٨ .



فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب؟

قال : لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكثني من فلان فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه حتى يعلم أن ليس في قلوبنا هودة للكفار هؤلاء صنّاديدهم وقادتهم .

فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر (١) .

فسكت رسول الله فلم يجيبهم ، ثم دخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس يأخذ بقول عمر .

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : إن الله عزّ وجلّ ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال :

﴿ من تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ (٢) .

ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٣) .

ومثلك يا عمر مثل نوح قال :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ (٤) .

ومثلك مثل موسى قال :

(١) الطبري ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) سورة ابراهيم الآية ٣٦ .

(٣) سورة المائدة الآية ١١٨ .

(٤) سورة نوح الآية ٢٦ .

﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾ (١).

ثم قال رسول الله ﷺ :

«أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عتق» (٢).

قال عمر : فلما أن كان من الغد غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان فقلت :

«يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائكما .

فقال النبي ﷺ : الذي عرض علي أصحابك من القداء ، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة» وأنزل الله تعالى في ذلك :

﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (٣).

جاء القرآن كما قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في هذه الحادثة ، وإذا كان له رأيه هذا في أسرى بدر فإن رأيه في سهيل بن عمرو أسير بدر أيضاً أن ينزل ثنيته فيندلع لسانه فلا يقوم خطيباً في موطن أبداً بكرهه المسلمون .

فقال له رسول الله ﷺ لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً . أو قال : «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه» .

فلما توفي رسول الله ﷺ هم أهل مكة بالرجوع عن الاسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد — وكان والياً على مكة — فتواری . فقام سهيل بن عمرو

(١) سورة يونس الآية ٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٧ — ٦٨ .

فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال : « إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه » فترجع الناس وكفوا عما هموا به . فكان هذا هو المقام الذي أراده رسول الله ﷺ (١) .

.. ويريد الرسول ﷺ أن يبايع النساء فيختار من صحابته عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ليشركه في تلك المهمة .

ويلتقي عليه السلام بمجدة النساء وفيهن هند بنت عتبة منتقبة متنكرة لما كان من صنعها بحمزة فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بجدتها ذلك فلما دنون منه ليبايعه قال رسول الله ﷺ (٢) :

« تبايعني على ألا تشركن بالله شيئاً؟ ..

فقلت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذ على الرجال وسنعطيكه .  
قال : ولا تسرقن .

قلت : والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة وما أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؟ .

قال أبو سفيان — وكان شاهداً لما تقول — أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل .

فقال رسول الله : وإنك لهند بنت عتبة ؟

فقلت : أنا هند بنت عتبة فاعف عما سلف ، عفا الله عنك .

قال : ولا تزنين .

قلت : يا رسول الله : وهل تزني الحرة ؟

قال : ولا تقتلن أولادكن .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٧٧ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .

قالت : قد ريبتاهم صغاراً ، وقتلنهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم .

فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب .

قال : ولا تأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن .

قالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح . ولبعض التجاوز أمثل .

قال : ولا تعصيني في معروف .

قالت : ما جلسنا في هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف .

فقال رسول الله لعمر : بايعهن واستغفر لهن رسول الله ﷺ .

فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له ، أو ذات محرم منه (١) .

وقام عمر — رضي الله عنه — بالمهمة خير قيام ..

وكان عمر — رضي الله عنه — يطلب من رسول الله بعض ما يراه في صالح الاسلام والمسلمين . وكان الرسول عليه السلام يستمع اليه ، وينفذ ما يطلبه منه حيناً وفي البعض الآخر يصدده أو يرده .

من ذلك — أنه قال يوماً للرسول ﷺ أحجب نساءك يا رسول الله تقول عائشة — رضي الله عنها — فلم يفعل رسول الله .

وكان أزواج النبي يخرجن ليلاً إلى صعيد أفيح خارج المدينة . فخرجت سودة بنت زمعة ، وكانت امرأة طويلة .

فراها عمر وهو في المجلس فقال : عرفناك يا سودة (٢) .

فأنزل الله عز وجل آية الحجاب .

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢١ .

(٢) البخاري ٦ : ١٢٩ وسند أحمد ٦ : ٢٢٣ .

وفي رواية قال عمر : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البرّ  
والفاجر فنزلت آية الحجاب (١).

وعن ابن مسعود قال : أمر عمر نساء النبي أن يحتجبن فقالت له زينب : وإنيك  
علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا؟  
فأنزل الله :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتَهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (٢)

وواقعة أخرى...

قال عمر — رضي الله عنه — لما توفي عبد الله بن أبي دُعَي رسول الله ﷺ فقام  
اليه .

فلما وقف علينا يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت :

« يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا : كذا وكذا والقائل  
يوم كذا ، كذا وكذا أعدد أيامه الخبيثة ورسول الله ﷺ يتسم حتى اذا أكثرت عليه  
قال :

أجر عني يا عمر : اني خيرت فاخترت .. قد قيل لي : ﴿ استغفر لهم أو لا  
تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ (٣) .

فلو أعلم أي ان زدت على السبعين غفر له زدت . ثم صلّى عليه ، ومشى معه  
فقام على قبره حتى فرغ منه .

فعمجت لي ولجرائتي على رسول الله ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان الا يسيراً  
حتى نزلت هاتان الآيتان :

(١) البخاري ١ : ١٠٥ ومسند أحمد ١ : ٢٤ ، ٣٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

(٣) سورة التوبة الآية ٨٠ .

﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ (١) .

فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافق ، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل .

انه عمر الذي وصفته امرأة من النساء بقولها :

«إنه رجل كأنه ينظر الى ربه بعينه» .

وقال عنه رسول الله ﷺ .

«ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه» (٢) ..

وقال عنه أيضاً فيما رواه أبو هريرة :

«انه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم ناس محدثون ، وانه ان كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» (٣) .

وهكذا كان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — مع رسول الله ﷺ حتى قبضه الله اليه ..

فكان وزيراً لأبي بكر — رضي الله عنه — يأتمر بأمره ، وينفذ ما يطلبه منه حتى قال عن نفسه : كنت مع رسول الله ﷺ فكانت عبده وخدامه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : « بالمومنين رؤوفاً رحيماً » ، فكانت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله كثيراً على ذلك وأنا به أسعد فلما ولي أمر المسلمين أبو بكر فكان ممن لا ينكرون دعوته وكرمه ولينه فكانت

(١) سورة التوبة الآية ٨٤ .

(٢) مسند أحمد ٢ : ٥٣ وسنن أبي داود ٣ : ١٣٨ .

(٣) البخاري ٤ : ١٤٩ ومسلم ٧ : ١٤٥ .

خادمه وعونه أخطأ شدتي بلبينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي<sup>(١)</sup> .

ولكن أيام أبي بكر — رضي الله عنه — كانت قليلة كما أخبر رسول الله ﷺ عندما قال :

« رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب فجاء أبو بكر فترع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غريباً فلم أرَ عبقرياً يفزي فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن<sup>(٢)</sup> . »

وثقل المرض على أبي بكر — وخاف أن يترك الناس بلا خليفة — فجمع الناس لم يشغله مرضه وأنه عن الاهتمام بأمرهم ، فترع بيعته من أعناقهم ، وكلفهم أن يتخبوا غيره للخلافة وقال لهم :

« إنه قد نزل بي ما ترون ولا أظنني إلا ميتاً لما بي من المرض ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحل عنكم عقدتي ، ورد عليكم أمركم فأمرؤا عليكم من أحببتم . فذهبوا فتشاوروا وبحثوا فلم يتفقوا على أحد ، فرجعوا إليه فوكلوه أن يختار لهم ، قال : فأمهلوني حتى أنظر الله ولدينه ولعباده . »

وبدأ استشارته بكبار الصحابة وأهل الرأي ، ودعا عبد الرحمن بن عوف فقال له : أخبرني عن عمر بن الخطاب .

فقال له : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني .

فقال له : وإن ... فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه .

(١) الخراج لأبي يوسف بتصرف ١٤٠ .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (ص) باب مناقب عمر وزواه مسلم في فضائل الصحابة والترمذي في الرؤيا .

ثم دعا عثمان . فقال له مثل ذلك . فقال : علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله .

فقال له أبو بكر : يرحمك الله ، والله لو تركته ما عدوتك .

ثم شاور سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد :

« اللهم أعلمه الخيرة بعدك ، يرضى للرضا ويسخط للسخط ، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه » .

فلما بلغ ذلك دعا عثمان — رضي الله عنه — وأملى عليه هذا القرار :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلف عليكم بعدي ... » وأخذته غشية فذهب به قبل أن يسمي أحداً فكتب عثمان « عمر بن الخطاب » .

ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ علي ما كتبت . فقرأ عليه ذكر عمر فكبر أبو بكر وقال :

أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس ، فجزاك الله عن الاسلام خيراً والله ان كنت لها لأهلاً ، ثم أمره أن يكتب تمة الكتاب :

فاسمعوا له وأطيعوا ، واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً . فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه ، وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ، ولا أعلم الغيب <sup>(١)</sup> .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ <sup>(٢)</sup> ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(١) أخبار عمر بن الخطاب للشيخ علي الطنطاوي وأخيه ص ٦٠ — ٦١ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .



ثم أمره فحتم الكتاب ، وخرج به محتوماً ، ومعه عمر ، وأسيد بن الحضير وأسيد  
 ابن سعيد القرظي . فقال عثمان للناس :  
 أتبايعون لمن في هذا الكتاب ؟  
 قالوا : نعم . قال : فإنه عمر .  
 فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به ، ثم بايعوا .

### عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين ..

.. لكأننا نتصور عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في مسجد رسول الله  
 ﷺ واقفاً على قدميه باسطاً يده يتلقى مبايعة المسلمين له بالخلافة .

وما كاد يصفح كل من بالمسجد ويأخذ عليهم العهد والميثاق بالبيعة حتى اعتلى  
 المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ﷺ ثم قال :

أيها المؤمنون ثلاث دعوات اذا دعوت بها فأمّنوا عليها :

« اللهم اني ضعيف فقوّني .

اللهم اني غليظ فليّني .

اللهم اني بجحيل فسخني »<sup>(١)</sup>

ثم قال : لو علمت أن أحداً أقوى مني على هذا الأمر ، لكان ضرب العتق  
 أحب اليّ من هذه الولاية .

ثم قال : ان الله ابتلاكم بي ، وابتلاني بكم بعد صاحبي ، فلا والله لا يحضرنني  
 شيء من أمركم فيليه أحد دوني ، ولا يتغيب عني قالوا فيه عن أهل الصدق  
 والأمانة ، ولئن أحسنوا لأحسنن اليهم ولئن أساءوا لأنكنن بهم<sup>(٢)</sup>

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٩٦ .

ثم بلغه أن الناس خافوا منه وهابوا شدته ، حتى أنهم تركوا مجالسهم بالأفنية رعباً منه وخوفاً .

فصاح في الناس : الصلاة جامعة . فلما اجتمعوا قام قائماً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ وقال :

« بلغني ان الناس هابوا شدتي وخافوا غلظتي .. ثم اني قد وليت أموركم ايها الناس ، فاعلموا ان تلك الشدة قد اضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين ، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، ولست ادع احداً يظلم احداً او يتعدى عليه حتى اضع خده على الأرض ، واضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن بالحق ، واني بعد شدتي تلك اضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف . »

ولكم عليّ ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذوني بها لكم عليّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا في حقه ، ولكم عليّ أن أزيد عطايكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسدّ ثغوركم ، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم»<sup>(١)</sup> .

لقد استطاع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أن يضع في هذه الكلمات القليلة دستور الحكم ، والمنهج الذي سيسير عليه ، نعم المنهج الذي استقاه من كتاب الله تعالى ، ومن طول مصاحبته لرسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر من بعده .

إن الكثير من الدول المتحضرة في القرن العشرين — على كثرة ما نادى به من حقوق الانسان ، لم تصل إلى ما وصل اليه عمر — من وضع هذه الحقوق واحترام آدمية الانسان ، ومعتقداته .

لقد ألزم عمر نفسه أمام المسلمين بأمر لا يبصر عليها ، ولا يؤديها إلا عظماء

(١) كتاب الحراج لأبي يوسف ص ١٤٠ .

الرجال .. ممن حياهم الله سبحانه وتعالى .. قوة في الجسم وبسطة في العلم ، وإيماناً  
يعمر القلوب .

فهل ترى أن عمر التزم بما ألزم به نفسه ، وهل قام بما يمليه عليه ربه وقواعد  
دينه .. ؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في المنهج ..؟؟

### عمر واختيار الولاية ..

سؤال يتردد في ذهن الباحثين والمؤرخين لسيرة عمر بن الخطاب — رضي الله  
عنه — كيف كان يختار عمر ولاية الأقاليم وقادة الجيش ..؟

أكان يلجأ في ذلك إلى معرفته الذاتية بالرجل ..؟ وخبرته الطويلة بأحواله ..؟  
أم ترى أنه كان يلجأ في ذلك إلى صحابة رسول الله ﷺ وبالأخص أولئك  
الذين هاجروا ونصروا ..؟

وإذا لم يكن هذا .. فماذا يكون ..؟

أكان يتم الاختيار بناء على مواصفات معينة ، وقواعد محددة ، يتصف بها من  
يسند إليه عملاً من الأعمال ، أو مهمة من المهمات ..؟

وإذا كان فما هي المواصفات العمرية التي كان يتطلبها في ولاته ..؟

للإجابة على ذلك علينا أن نتابع عمر عند اختياره للولاية والقادة حتى نتمكن  
من الإجابة على أسئلة المتسائلين التي رددت ولا زالت ترد لماذا يختار عمر رجلاً  
للولاية ويترك آخر أفضل منه .. في تصورات الآخرين ..؟

ويكلف ثان بعمل ما وهناك من هو أكثر منه صلاحاً وتقوى وقرباً من الرسول

ﷺ

ونقول : لقد كان عمر يلجأ دائماً إلى صحابة رسول الله ﷺ يستشيرهم فيها يريد أن يقدم عليه من أمر ، أو فيمن يختاره ليوليه ولاية أو عند تسيير جيوش من جيش المسلمين ، أو غير ذلك من الأمور .

كان عمر يستشير صحابة رسول الله ، ويشير عليهم ، ويستمع لهم ويسمعهم ويتوخى في جميع ذلك تمحيص الرأي وإبراء الذمة والخلوص إلى التبعة السليمة من العقابيل .

كانت الشورى عنده مبدأ لا يجيد عنه للأغراض السلمية والحربية على السواء . من ذلك أن عمر قال لأصحابه دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني ؟ قالوا : فلان .

قال : لا حاجة لنا فيه .

قالوا : فمن تريد ؟

قال : أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم ، كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم .

قالوا : ما نعرف هذه الصفة إلا في الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم فولاه (١) .

وكان إذا استعمل رجلاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار ، بأنه لا يظلم أحداً في جسده ولا في ماله ، ولا يستغل منصبه لفائدة أو مصلحة له أو لمن يلوذ به ، فكان ذلك بمثابة القسم الذي يوجهه القانون على القضاة والأطباء وأمثالهم قبل مباشرتهم العمل . وكان يقول للعامل بعد ذلك محمداً سلطته ، مييناً له حقيقة عمله :

«إني لم استعملك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم ، وتحكم فيهم بالعدل .»

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ٥٠٤ ، والعقد الفريد ص ٤٦ .

ثم يشترط عليه أربعة شروط .

١ — ألا يركب برذوناً .

٢ — ولا يلبس ثوباً رقيقاً .

٣ — ولا يأكل ثقباً .

٤ — ولا يعلق بابه دون حوائج الناس<sup>(١)</sup> .

وكان إذا بعث عماله قال :

«إني لم أبعثكم جابرة ولكن بعثتكم أئمة فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم» .

وكتب مرة إلى عماله أن يوافوه جميعاً في موسم الحج فوافوه فقال :

«أيها الناس إني والله ما أبعث اليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه» .

فوثب عمرو بن العاص فقال :

«يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من المسلمين والياً على رعية فأدب بعضهم ، إنك تقصّه منه؟» .

قال : إي والذي نفسي بيده لأقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من

نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم .

فقام رجل من الناس وقال :

يا أمير المؤمنين عاملك ضربني مائة سوط . فقال عمر : أتضربه مائة سوط ؟  
قم فاستقدمته .

(١) الخراج لأبي يوسف ١٣٩ وعميون الأخبار ج ١ ص ٥٣ .

فقام اليه عمرو بن العاص فقال :  
دعنا إذن فلنرضه .

فقال : دونكم فارضوه . فأرضوه بأن اشتريت منه بمائتي دينار كل سوط  
بدينارين <sup>(١)</sup> .

«وقبل أن يضع دستوراً للولاة وضع دستوراً لنفسه قوامه : أن الحكم محنة  
للمحكّام ومحنة للمحكّومين» .  
«وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ولين لا وهن فيه» .

وأن الخليفة مسؤول عن ولاته واحداً واحداً في كل كبيرة وصغيرة ولا يعفيه من  
اللوم أنه أحسن الاختيار .

قال يوماً لمن حوله : أرايتم إذا استعملت عليكم خيراً من أعلم ثم أمرته بالعدل  
أكنت قضيت ما عليّ؟

قالوا : نعم .

قال : لا ، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا <sup>(٢)</sup> ؟

وعاهد الناس فقال :

«لكم عليّ ألا أجتني شيئاً من خراجكم ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه ،  
ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا بحقه ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم  
وأرزاقكم إن شاء الله وأسدّ ثغوركم ، ولكم عليّ ألا أفتيكم في المهالك ولا  
أحبسكم في ثغوركم ، وإذا غبتم في البعث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم .  
فاتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم» .

(١) الخراج ١٣٨ - ١٣٩ . وتاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر للشيخ علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ص ١٤٤ ، والكامل لابن  
الأثير ج ٣ ص ٥٦ .

هذا هو عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أبو العيال حتى يعود الآباء من  
الغور والأب لا يقدم النفقة فقط ، ولا الرعاية فحسب ، ولكنه يقدم نفسه وماله  
فداء لأولاده وهكذا كان عمر مع أبناء المسلمين .

وكان إذا استعمل عاملاً أحصى ماله . وأرسل العيون من حوله .. والحوادث  
على ذلك كثيرة في سيرة عمر — رضي الله عنه — .

لقد استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف .

فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال فمن أين هي لك ؟

قال : خيل نتجت ، وأعطية تابعت ، وخراج رقيق لي .

فنظر فوجدها كما قال .

فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى .

فقال له : تكره العمل وقد طلبه من هو خير منك يوسف عليه السلام .

قال : إن يوسف نبي وابن نبي وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى ثلاثاً واثنين .

قال عمر : فلا قلت خمساً .. ؟

قال : أخشى أن أقول بغير علم ، وأقضي بغير حكم ، يضرب ظهري ويشتم

عزضي ويترع مالي<sup>(١)</sup> .

ومرّ ببناء بيني بحجارة وجص فقال : لمن هذه .. ؟

فذكروا عاملاً له على البحرين فقال :

«أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ، وشاطره ماله» .

ثم صعد المنبر وقال :

«يا معشر الأمراء ، إن هذا المال لو رأينا أنه يحل لنا لأجلنا له لكم فأما إذا لم يحل

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ج ٤ ص ٣١٠ وعيون الأخبار ج ١ ص ٥٣ .

لنا وكفنا عنه فكفوا عنه أنفسكم ، فإني والله ما وجدت لكم مثلاً إلا عطشان ورد اللجة ولم ينظر الماتح فلما روي غرق»<sup>(١)</sup> .

أما شروطه في من يكون قائداً للجيش .. فلقد كان عمر يفضل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم إلا أن يقصر بهم عملهم . فكان يفضل عليهم حينذاك من برز بأعماله .

وكان يفضل أن يكون القائد مكيباً غير متهور يعرف الفرص وينتظرها ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكف عن القتال .

قال عمر لسليط : لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيب»<sup>(٢)</sup> .

وكان يفضل أن يكون القائد قوياً مسيطراً ذا شخصية نافذة ، فإذا وجد رجلاً أقوى من رجل فضل الأقوى على القوي . وقد استعمل معاوية بن أبي سفيان على الشام ، وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس فقال :

«إني لم أعزله عن سخطة ، ولكن أريد رجلاً قوياً»<sup>(٣)</sup> .

وكان يقول : «إني لأخرج أن أستعمل الرجل القوي وأنا أجد أقوى منه» .

وكان يريد القائد شجاعاً رامياً ، فحين وجه سعد بن أبي وقاص إلى العراق قائداً عاماً قال : إنه شجاع رام»<sup>(٤)</sup> .

هذه هي أهم الشروط التي كان يتطلبها الخليفة عمر ، في الوالي أو القائد فإذا تم الاختيار وتولى الولاية أعمالهم — كان له معهم حسابات وتحقيقات تبدأ بإنزال

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ١٠٤ .

(٢) البلاذري ٢٥١ .

(٣) ابن الأثير ج ٢ ص ٢١٧ .

(٤) الفاروق القائد — اللواء الركن عمود شيت خطاب ص ٩٩ .



العقوبة ببعضهم وتشهبي في بعض الأوقات بالعزل. ونحاول بمشيئة الله أن نقدم في الصفحات التالية صوراً من هذه المراقبات العمرية.

قال أنس: كنا عند عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — إذ جاء رجل من أهل مصر، فقال:

يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك.

قال: وما لك؟

قال: أجزى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال:

«فرسي ورب الكعبة».

فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة.

فقام إليّ يضرني بالسوط، ويقول:

«خذها وأنا ابن الأكرمين».

وبلغ ذلك عمراً أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن، فانفلت منه وهذا حين آتيتك.

فوالله ما زاد عمر على أن قال: اجلس.

ثم كتب إلى عمرو:

إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد.

وقال للمصري: أقم حتى يأتيتك.

فدعا عمرو ابنه فقال: أحدث حدثاً؟ أجيت جنابة؟

قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟

فقدم على عمر.

قال أنس : فوالله إنا عند عمر ، إذا نحن بعمره وقد أقبل في زرار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه .

فقال : أين المصري ؟

قال : ها أناذا .

قال : دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين .

فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهي أن يضربه . فلم يتزع حتى أحببنا أن يتزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين .

ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه .

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستغيت .

وقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني .

قال : أما والله لو ضربته ، ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه

أيا عمرو ! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً<sup>(١)</sup> ؟

فجعل يعتذر ويقول : إني لم أشعر بهذا .

ثم التفت عمر إلى المصري فقال : انصرف راشداً فإن ربك ريب فاكتب

إلي<sup>(٢)</sup> .

إن هذا الحاكم العادل يسهر على أمور الرعية ، ويسوي بينهم في كل شيء ، ويعطي كل صاحب حق حقه .

وينصف المظلوم من الظالم — حتى ولو كان هذا الظالم هو الوالي نفسه .. وهذا

هو العدل الذي تقام عليه أعمدة الحكم — ويتطلبه الشعب من الحاكم ..

وأحد أفراد الرعية — يعرف حقوقه كاملة ... ، يؤدي ما يكون عليه من واجبات

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ وابن الجوزي والعقد الفريد .

(٢) ابن الجوزي والعقد الفريد .

فإذا أجبر عليه أو انتقص شيء من حقوقه نراه لا ينجح ولا يستكين ولا يهدأ له بال ، حتى يأخذ حقه بالطرق المشروعة والحاكم لا يضمن عليه بها .

ولو تمسك كل فرد من أفراد الرعية بحقه من الحاكم وطالبه به كما فعل المصري ما تجبر هؤلاء الولاة . ولا أخذوا أكثر مما لهم — وما تحولوا في آخر الأمر إلى أباطرة متسلطين ، أو طغاة ظالمين . وهاك مثلاً آخر :

قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر الجمحي ، فلما قدم عمر حمصاً قال :

يا أهل حمص ، كيف وجدتم عاملكم ؟  
فشكوه إليه .

وكان يقال لأهل حمص الكوفية الصغرى لشكايتهم العمال .

قالوا : نشكو أربعاً ، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال عمر : أعظم بها . وماذا .. ؟

قالوا : لا يجيب أحداً بليل .

قال : وعظيمة . وماذا . ؟

قالوا : وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا .

قال : عظيمة وماذا . ؟

قالوا : يغنط الغنطة بين الأيام « أي يغنى عليه ويغيب عن حسنه » فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تقبل رأبي فيه اليوم .

وافتح المحاكمة فقال لهم أمامه : ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار .

قال : ما تقول ؟

قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ثم  
أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم .

فقال : ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يجيب أحداً بليل .

قال : ما تقول ؟

قال : إن كنت لأكره ذكره ، إني جعلت النهار لهم ، وجعلت الليل لله عزّ  
وجلّ .

قال : وما تشكون ؟

قالوا : إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه .

قال : ما تقول ؟

قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها ، فأجلس حتى تجفّ ثم  
أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار .

قال : ما تشكون منه ؟

قالوا : يغنطُ الغنطة بين الأيام .

قال : ما تقول ؟

قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة ، وقد بضعت قريش لحمه ثم  
حملوه على جذعة فقالوا ، أتحب أن ترى محمداً مكانك ..

فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وإن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة .. ثم  
نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركني نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن  
بالله العظيم إلا ظننت أن الله عزّ وجلّ لا يفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك  
الغنطة .

فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفل فراستي .

فبعث إليه بألف دينار وقال :

«استعن بها على أمرك ففرقها»<sup>(١)</sup> .

ما أعجب هؤلاء الولاة .

وما أعجب هذه الرعية .

إن الرعية تطلب من الحاكم أن يكون عينها التي تبصر بها ، وعقلها الذي تفكر به ، وراعيا في الصغيرة والكبيرة .

فإذا رابها من أمره ريب أو عيب عليها بعض شؤونه ، أسرع إلى الحاكم الأعلى لينصتها من هذا الوالي .

وخليفة لا يمل من الاستماع إلى الرعية ، ويحاول بكل ما يملك من جهد أن يحقق لها ما تريد -- ما دام هذا الذي تريده لا يتعارض مع شرع الله أو تعطيل حد من حدوده .

ولا يستمع للرعية بعيداً عن الوالي .. ولا يقبل كلمة الوالي . بعيداً عن الرعية لكنه يلجأ إلى المواجهة والمقابلة .. حتى لا يترك مجالاً للتقول أو الادعاء ورمي الأبرياء بالتهم الباطلة . والرجح بهم في أقبية السجون كما يحدث في عصرنا الراهن .

حيث يعزل الحاكم عن الرعية بمجموعة من الجواسيس والمتنفعين ، ومن في قلوبهم مرض ..

لقد برى سعيد بن عامر أمام الخليفة ، واطمأنت الرعية إلى واليها واستراحت إلى حسن سياسته .. وأخبات تراقبه بعين الإكبار وتحصي أعماله بكل الإعزاز فرأته يعيش كفافاً .. ولا يحصل على قوت يومه إلا بكل مشقة وجهد . فإذا كان من أمر الرعية ؟

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٥ وابن عساکر ج ٦ ص ١٤٧ .

لقد أرسلت إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — لتعلمه بحاله .

يقول صاحب أسد الغابة :

أرسل عمر إليه بأربعمائة دينار وكتب إليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم همّاً شديداً حتى تبين ذلك عليه .

فقال له امرأته : نفسي فذاك ، ما لي أراك مهتماً ، أبلغك موت أمير المؤمنين؟  
قال : أعظم من ذلك .

قالت : أبلغك عن ثغور المسلمين شيء؟

قال : أعظم من ذلك .

قالت : وما هو؟

قال : ابتليت بالدنيا ، وقد كنت صحبت رسول الله ﷺ فلم أبتل بها وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها ، وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشرّ أيامي أيام عمر .  
قالت : وما ذلك بأبي وأمي؟

قال : اني أخافك .

قالت : إياي تعني؟

قال : نعم .

قالت : فأنت آمن من هذا<sup>(١)</sup> .

قال : فإن أمير المؤمنين أرسل إليّ بأربعمائة دينار ، وعزم عليّ أن أنفقها عليّ وعليك ، وان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، ووالله ما أحبّ أن لي النعم وأني أحبس عن الفوج الأول .

قالت : فدونها فاصنع بها ما شئت .

(١) أخبار عمر للاستاذ علي الطنطاوي نقلاً عن أسد الغابة .

فقال : هل من خرق .. فأعطته قيصاً لها خَلَقاً فزقه خرقاً ثم صرّ فيه ما بين أربعة إلى عشرة ثم طرحها في مخلاة ، ثم خرج إلى باب المدينة فجعل يعطي الناس صرة صرة ، حتى بقيت صرة في المخلاة فدفعها والمخلاة إلى رجل ثم رجع فذهب عنه واستراح<sup>(١)</sup>

إيه يا أبناء مدرسة الاسلام ..

انهم فرسان بالنهار وورهبان بالليل .

ليست الدنيا أكبر همهم ، ولا مبلغ علمهم .

ولكنهم يعملون لها من أجل رفع كلمة الله — ويجمعون حطامها — إن جمعه ، من أجل أن يبلغوا به إلى أرض الله الواسعة ، لينشروا فيها اسم الله . ولهذا كان أئمن شيء يحرص عليه الرجل منهم .

فرساً يجاهد عليه ..

ودرعاً يتقي به ضربات الأعداء .

وسيفاً بتاراً يطيح به الكفر وأهله ..

وإذا كان الوالي سعيد بن عامر يلتزم أوامر الخليفة ، ولا يجحد عن شرع الله ، ويفرّ من الدنيا وحطامها القاني : وينتظر الآخرة بقلب ملهوف ورغبة جامحة ..

فإن أميراً آخر يطمع في الدنيا ويحاول التقرب منها تقرب الخائف الوجمل فيني بيتاً على راية ويضع لها ياباً .

ويسوق الله بعض رعية هذا الأمير الى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فيسألهم : كيف أنتم ... وكيف أميركم ؟

قالوا : خيراً يا أمير المؤمنين ، إلا أنه قد بنى عليه يكون فيها .

وما كاد عمر يسمع منهم هذا حتى كتب كتاباً وأرسل بريداً .. وقال لرسوله : إذا جئت باب عليته فاجمع حطباً واحرق الباب .

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٥ وابن عساکر ج ٦ ص ١٤٧ .

وقدم الرسول، وأخذ في تنفيذ أمر الخليفة فجمع حطبا وأحرق باب العلية  
فدخل الناس على الأمير وقالوا له :

« ان ها هنا رجلاً يحرق باب عيلتك.»

فقال : دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين.

ثم دخل عليه فناوله الكتاب — وفيه دعوة من عمر بحضوره — فلم يضع  
الكتاب من يده حتى ركب إلى الخليفة.

فلما رآه عمر — امتنع عن مقابلته — وقال : احبسوه عني في الشمس ثلاثة  
أيام. ونفذ أمر الخليفة، حتى إذا كان بعد ثلاث قال :

« يا ابن قرط .. إلحقني إلى الحرّة — وفيها إبل الصدقة وغنمها — حتى إذا جاء  
الحرّة، ألقى عليه جبة وقال :

انزع ثيابك واتزر بهذه، ثم ناوله الدلو وقال :

« اسقي الابل.»

فلم يفرغ حتى تعب.

فقال عمر : يا ابن قرط .. متى كان عهدك بهذا ؟

قال : ملياً .. أي زماناً يا أمير المؤمنين.

قال : فلهذا بنيت العلية، وأشرفت بها على المسلمين، والأرملة واليتيم ارجع  
إلى عملك ولا تعد<sup>(١)</sup>.

إن هذا الوالي يسير سيراً حسناً بين الرعية، ولم يفعل ما يفضيهم أو يتقص من  
حقوقهم.

ولكن الذي فعله — هو بناء بيت على ربوة عالية — لا يرضي عمر ولا يتفق

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٥ نقلاً عن كتاب أخبار عمر ص ١٥٩.



مع طبيعته التي ترى أن الحاكم — هو فرد من أفراد الرعية — لا يزيد عنهم ، ولا ترتفع قيمته إلا بمقدار ما في قلبه من إيمان ، وبمقدار ما تقدمه يده من عمل لصالح المسلمين . وما عدا ذلك فهو فرد مثلهم عليه ما عليهم من واجبات .. وله ما لهم من حقوق .

أما أن يبني بيتاً يظلّ به عليهم من حائق .. ويضع عليه الأبواب ويقم عليه الحجاب .. فهذا لا يجوز .

إن الحاكم يجب أن يكون قريباً من رعيته .

وعليه أن يتفقد شؤونهم ، ويرعى مصالحهم .

ولكن إذا أقام الحجب وغلّق الأبواب ، لم تصل إليه شكايه الأمة ، ولم يعرف ما تريد وما تطلب . وهنا تكون القلاقل والفتن ويبدأ السخط والتذمر من الرعية ، ويبدأ التنكيل والتجسس من رجال الحاكم .. حتى تكون الطامة والفتنة العمياء التي لا تبتقي ولا تذر . وهذا ما تنزه عنه حكم عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فإذا انحرف بعض الولاة عن ذلك كانت درته حاضرة لترده إلى الصواب وتباعد بينه وبين الانحراف .

وكان عمر — رضي الله عنه — يحرص على أن يلتقي بولائه ويستمع إليهم ويتعرف على أخبارهم .

ولكن هذا عمير بن سعد — أحد الولاة في حكومة عمر — يمر عليه قرابة عام ولم يسمع عمر عنه شيئاً ولم يلتق به .

فقال عمر لكتابه : اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا ، فكتب إليه « إذا جاءك كتابي هذا فأقبل ، وأقبل بما جيبت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا .

ووصل الخطاب إلى عمير — فبادر إلى تنفيذ أمر الخليفة — وأخذ جراه فجعل فيه زاده وقصعته ، وعلق ادواته وأخا عثرته «عصاه» ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة .

فقدم وقد شحب لونه ، واغبرَّ وجهه ، وطال شعره ، فدخل على عمر وقال :  
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال عمر : ما شأنك .. ؟

فقال عمير : ما ترى من شأني ألت تراني صحيح البدن ، طاهر الدم معي  
الدنيا أجرها بقرنها ..

قال : وما معك . ؟ وظن عمر — رضي الله عنه — أنه قد جاء بمال .

فقال : معي جراي أجعل فيه زادي ، وقصعتي آكل فيها ، وأغسل فيها رأسي  
وثيابي وأدواتي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، وعصاي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن  
عرض فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي .

قال عمر : فجيئت تمشي . ؟

قال : نعم .

قال : أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها . ؟

قال : ما فعلوا وما سألتهم ذلك .

فقال عمر : بشس المسلمون خرجت من عندهم .

قال عمر : فأين بعثتك ، وأي شيء صنعت . ؟

قال : وما سؤالك يا أمير المؤمنين . ؟

فقال عمر : سبحان الله .

فقال عمير : أما لولا أنني أخشى أن أعمك ما أخبرتك . بعثني حتى أتيت البلد  
فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيهم حتى إذا جمعوه ، وضعته مواضعه ولو  
نالك منه شيء لأتيتك به .

قال : فما جئنا بشيء . ؟

قال : لا .

قال : جددوا لعمير عهداً .

قال : إن ذلك لشيء مضى لا عملت لك ولا لأحد من بعدك ، واستأذنه فأذن له ، فرجع منزله ، وبينه وبين المدينة أميال .

فقال عمر حين انصرف عمير : ما أراه إلا قد خاننا فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار ، وقال له : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف ، فإن رأيت أثر شيء فأقبل ، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المئة الدينار .

فانطلق الحارث فإذا هو بعمير يجلس بجوار الحائط فسلم عليه الرجل . فقال له عمير : انزل رحمتك الله ، فتنزل .

ثم سأله : من أين جئت ؟

قال : من المدينة .

قال : فكيف تركت المسلمين ؟

قال : صالحين .

قال : فكيف تركت أمير المؤمنين ؟

قال : صالحاً .

فقال له عمير : اللهم أعن عمر .. فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك . فتنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصوصونه بها ، ويطوون ، حتى أتاهم الجهد .

فقال له عمير : انك قد أجمعتنا ، فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل .

فأخرج الدينانير فدفعها إليه وقال :

بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها .

فصاح وقال : لا حاجة لي فيها ردها .

فقال له امرأته : إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها .

فقال عمير : والله ما لي شيء أجعلها فيه .  
فشقت امرأته أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء  
الشهداء والفقراء .  
ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً فقال له عمير : اقرئني مني أمير المؤمنين  
السلام .

فرجع الحارث إلى عمر .  
فقال له : ما رأيت يا حارث ؟  
قال : رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديداً .  
قال : فما صنع بالدينانير ؟ .  
قال : لا أدري .  
فكتب إليه عمر : اذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل .  
فأقبل عليه ، فقال له عمر : ما صنعت بالدينانير ؟ .  
قال : صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها ؟ .  
قال : أنشد عليك لتخبرني ما صنعت بها ..  
قال : قدمتها لنفسني ..  
قال : رحمك الله . فأمر له بوسق من طعام وثوبين .

فقال : أما الطعام فلا حاجة لي فيه ، قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن  
آكل ذلك يكون قد جاء الله تعالى بالرزق ، ولم يأخذ الطعام ، وأما الثوبان فقال :  
إن أم فلان عارية ، فأخذهما ورجع الى منزله<sup>(١)</sup> .

وإذا كان هذا الوالي من ولادة عمر .. يفر من الدنيا هكذا ويرفض أن يحوز شيئاً

(١) حبة الأولياء ج ١ ص ٢٤٧ — ٢٥٠ .

منها ، فيحظى بإكبار عمر وإجلاله .. ويساعده على ما يراه في صالحه في الدنيا والآخرة .

فإن هناك نموذجاً آخر من الولاية .. يتمسك بالدنيا ، ويحيط نفسه بمباهجها وزينتها ، ويجمع حوله الخدم والحشم ، ويتشبه بالأباطرة والدهاقين فإذا كان موقف عمر منه ؟ .

.. يقول ابن عبد البر : دخل عمر الشام ورأى معاوية بن سفيان في موكب عظيم فلما رآه معاوية نزل وسلم عليه بالخلافة . فمضى في سبيله ولم يرد عليه سلامه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين فلو كلمته ..

فالتفت إذ ذاك الى معاوية وسأله : إنك لصاحب الموكب الذي أرى ؟

قال : نعم .

قال : مع شدة احتجاجك ووقوف ذوي الحاجات ببابك ..

قال : نعم .

قال : ولم ويحك ؟

قال : لأننا ببلاد كثر فيها جواسيس العدو ، فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم علينا ، وأما الحجاب فإننا نخاف من البدلة جرأة الرعية وأنا بعد عاملك ، فإن استنقصتني نقصت ، وإن استزدتني زدت ، وإن استوقفتني وقفت .

فقال عمر : ما سألتك عن شيء إلا خرجت منه . إن كنت صادقاً فإنه رأي

لييب ، وإن كنت كاذباً فإنها خدعة أريب لا أمرك ولا أنهاك»<sup>(١)</sup> .

وهكذا كان عمر — رضي الله عنه — يتحرى دائماً مصلحة الرعية ، ويقبل من

الولاية أعدارهم أو يغضي عنها ما دام يتوقف صلاح الولاية على ذلك .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ .

## عمر في أسرته بين أهله وأولاده..

كيف كانت سيرة عمر بن الخطاب بين أهله وأسرته.. أكان فظاً غليظ القلب؟ يأخذ أهله بالشدّة ويعاملهم بالقسوة، أم كان بهم رحيماً عطوفاً يمتليء قلبه بالحب ويفيض على من حوله؟

الحقيقة أن عمر بن الخطاب كان رقيقاً في بيته سمحاً بين زوجاته، كريماً في معاملتهم ومن ذلك ما يروى:

«أنه جاء رجل إلى عمر يشكو إليه خلق زوجته، فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلاً إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي؟»

فخرج عمر، فراه مولياً فناداه: ما حاجتك..؟

فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلت:

«إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟»

فقال له عمر: تحملتها لحقوق لها عليّ<sup>(١)</sup>.

نعم للمرأة حقوق على زوجها كما جاء بها القرآن ووضحتها السنة قال تعالى: ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول الرسول ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»<sup>(٣)</sup>.

وعمر أول من يتبع هدى الرسول ﷺ ويلتزم بأوامر ربه وعمر كان مستودعاً

(١) نور الأبصار ٥٧.

(٢) سورة الروم الآية ٢١.

(٣) رواه ابن حبان وابن ماجه.

للحنان والعطف لأبناء المسلمين فكيف بأبنائه وأولاده؟. وكان يشترط فيمن يلي له  
أمراً أن يكون عطوفاً رحيماً برأ بأبنائه وأبناء الآخرين. ومما يروى في ذلك أنه أمر  
بكتابة عهد لرجل قد ولاه. فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر  
فلاطفه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دنا منهم مني.

قال عمر: فما ذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله  
من عباده الرحماء ثم قال: مَرَّقَ الكتاب فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم  
الرعية<sup>(١)</sup>.

نعم من نضب قلبه من الحب كيف يتعامل مع الآخرين؟  
ومن لا يرحم أبناءه فكيف به بفلذات أكباد من يكونون تحت سيطرته  
وسلطانه؟

وكان كلاب بن أمية الكناني في غزوة فاشتاق إليه أبوه الهرم وحزن لغيبه واتصل  
بنوه بعمر فكتب إلى قائد الجيش يستعيد كلاباً إلى المدينة فلما عاد ودخل عليه سأله:  
«ما بلغ من برك بأبيك؟»

قال: كنت أكفيه أمره، وكنت اعتمد إذا أردت أن أحلب لبناً إلى ناقة في ابله  
واسمها فأريحها وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد، ثم أحلب له  
فأسقيه.

ثم بعث إلى أبيه فجاء يتراوح في مشيته ضعيفاً بصره، منحنيماً ظهره، فسأله:  
كيف أنت يا كلاب؟

قال: كما ترى يا أمير المؤمنين.

ثم جاءه بلبن حليه ابنه ففطن الرجل. وقال وهو يذني الإناء إلى فمه يا أمير  
المؤمنين إنني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء؟

(١) عبقرية عمر. عباس محمود العقاد.

فقال عمر : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به فوثب عليه ابنه وطفق الأب الذي لم يكذب يراه يضمه ويقبله .

ويكى عمر وأمر كلاباً أن يلزم أبويه ما بقيا ، وله عطاؤه كأنه يجاهد في سبيل الله<sup>(١)</sup> .

هذا هو عمر .. لا يملك نفسه من التأثر ، ولا يستطيع أن يحبس عينيه من الدمع — عندما شاهد .. العاطفة الجياشة بين الابن وأبيه ، ولا يكتفي عمر بذلك .. بل يأمر الابن أن يبقى مع والديه رعاية لها — ورحمة بشيخوختها .. ويترك الجهاد .. وعمر في هذا يقتدي بالرسول ﷺ الذي قال لمن سأله عن أبويه الكبيرين :

« اذهب ففيها فجاهد » .

ومن حنان عمر على الأطفال أنه كان يشفق عليهم أن يجزنوا في لهوهم ولعبهم فلا يترك الخائف منهم حتى يأمن على لهوهم ومحصول لعبه .

حدث سنان بن سلمة قال : إنه كان في صباه يلتقط البلح في أصول النخل مع بعض الصبية إذ أقبل عمر ففرق الغلمان وثبت هو في مكانه ، فلما دنا منه أسرع قائلاً : يا أمير المؤمنين إنما هذا ما ألتقت به الريح .

قال : أرني أنظر فإنه لا يخفى عليّ فنظر في حجري ثم قال : صدقت .

إلا أن الصبي لم يقنع بهذا حتى يحرسه أمير المؤمنين إلى بيته فقال :

« يا أمير المؤمنين أترى هؤلاء الآن .. وأشار الى الصبية الهاربين ثم قال : والله لئن

انطلقت لأغاروا عليّ فانتزعوا ما معي .

فشى معه عمر حتى بلغه بيته ..<sup>(٢)</sup> .

(١) للصدر السابق .

(٢) عبقرية عمر : عباس محمود العقاد .



... ومع هذا نجد أن بعض النساء يرفضن الزواج من عمر أما الأولى فوصفته بأنه خشن العيش شديد على النساء.

وأما الثانية فوصفته بأنه رجل شغله أمر آخرته عن دنياه.

وقصة هاتين الرافضتين أن إحداهما أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق — رضي الله عنها — خطبها عمر من أختها عائشة رضي الله عنها ثم سألت عائشة أختها فأبته وقالت : لا حاجة لي فيه . فزجرتها قائلة : أترغبين عن أمير المؤمنين؟

قالت : نعم خشن العيش شديد على النساء.

وأما الثانية : فهي أم أبان بنت عتبة بن ربيعة . قالت في تبرير رفضها الزواج منه :

« انه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه ، كأنه ينظر الى ربه بعينه » (١) . وهذا هو السر فيما كان يشاع من قسوة عمر وغلظته .

لقد كان شديداً في الحق ، يخاف ربه ويخشاه .

وكان أيضاً شديد التخرج في مال المسلمين ، حريصاً عليه يأخذه بحقه ويدفعه الى أهله .. ولن يستطيع أن يطبق ذلك على المسلمين الا اذا كان هو نفسه مضرب المثل لهم في نفسه وأهل بيته ولهذا كان يجمع أهل بيته ويقول :

« اني قد نهيت الناس عن كذا وكذا ، وان الناس ينظرون اليكم كما ينظر الطير الى اللحم ، فإن وقعتم ووقعوا ، وان هبتم هابوا ، واني والله لا أوتي برجل منكم وقع فيما نهيت عنه الا ضاعفت له العذاب لمكانه مني فمن شاء منكم فليقدم ، ومن شاء فليأخر » (٢) .

هذا هو عمر — رضي الله عنه — قدوة صالحة لأهله وأقرب الناس اليه ، ثم

(١) المصدر السابق .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٧ .

بعد ذلك لرعيته .. فإذا أخطأ أحد أهله أو بنيه في حق نفسه أو في حق ربه . كان عمر أقسى ما يكون من القسوة والغلظة حتى يأخذ بحق الله من ذلك المتهاون في حق ربه .

من ذلك ما يروى عن عمرو بن العاص — رضي الله عنه — أنه ذكر عمر فترحم عليه : ما رأيت أحداً بعد نبي الله ﷺ وأبي بكر — رضي الله عنه — أخوف لله من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق ، على ولد أو والد .

ثم قال : والله اني لني منزلي في مصر ، اذ أتاني آت ، فقال : هذا عبد الرحمن ابن عمر وأبو سروعة ، يستأذنان عليك .

فقلت : يدخلان .

فدخلا وهما منكسران فقالا : أقم علينا حد الله .

فإنا قد أصبنا البارحة شراباً فسكرنا .

فخرجتهما وطردتهما ، فقال عبد الرحمن : ان لم تفعله أخبرت أبي اذا أقدمت عليه .

فعلمت أني ان لم أقم عليها الحد ، غضب علي عمر وعزلني ، فأخرجتهما الى صحن الدار فضربتهما الحد . ودخل عبد الرحمن بن عمر الى ناحية في الدار فحلق رأسه وكانوا يحلقون مع الحدود ، ووالله ما كتبت لعمر بحرف مما كان حتى جاءني كتابه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر الى العاصي بن العاص ، عجبت لك يا ابن العاص وجرأتك علي وخلافة عهدي ، فما أراني الا عازلك . تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت أن ذلك يخالفني ؟ .

إنما عبد الرحمن رجل من رعيته تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق

يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عبادة علي قتب حتى يعرف سوء ما صنع» .

فبعثت به كما قال أبوه ، وكتبت إلى عمر كتاباً أعتذر فيه أتى ضربته في صحن داري ، وبالله الذي لا يخلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على الذمي والمسلم .

وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر . فقدم بعبد الرحمن على أبيه فدخل وعليه عبادة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه فقال :  
« يا عبد الرحمن فعلت وفعلت ؟ »

فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال : يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد . فلم يلتفت إليه ، فجعل عبد الرحمن يصيح : إني مريض وأنت قاتلي ، فضربه ثانية وحبسه ففرض ثم مات رحمه الله<sup>(١)</sup> .

ويعلق صاحب العقبريات على ذلك بقوله : لم يكن عمر بالسريع المتعطف إلى إقامة الحد ، ولم يعرف عنه قط أنه أقام حداً وله مندوحة عنه . . . وقد كان من دأبه أن يترث في إقامة الحدود حتى ليؤثر — كما قال — تعطيلها في الشبهات على أن يقيمها في الشبهات .

من ذلك . أنه مرّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في رية فقال : لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى في الشر .

وربما غضب على الوالي من كبار الولاة لغلوه في تقاضي الحدود على المعاصي كما فعل في إنذاره الشديد لأبي موسى الأشعري حين جلد شاباً وحلق شعره وسود وجهه ، ونادى في الناس ألا يجالسوه ولا يؤاكلوه . فأعطى الشاكي مائتي درهم وكتب إلى أبي موسى ، لئن عدت لأسودن وجهك ولأطوفن بك في الناس وأمره أن يدعو المسلمين إلى مجالسته ومؤاكلته وأن يمهل ليتوب ، ويقبل شهادته إن تاب .

(١) ابن الجوزي ص ٢٠٧ .

وتفقد رجلاً يعرفه فقيل له إنه يتابع الشراب ، فكتب اليه :

«إني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ذي الطول ، لا إله إلا هو ، اليه المصير» .

فلم يزل الرجل يردددها ويبيكي حتى صحت توبته وأحسن النزاع وبلغت توبته عمر فقال لمن حضروا مجلسه : «هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخواً لكم زل زلة ، فسددوه ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه» .

وفي قصة ولده منادح شتى ترضيه على شدة تحرجه وتحريه ، ثم لا حاجة بمثله إلى رياء العدل فيجور على ابنه ويسرف في القسوة عليه ، ليقال إنه سوى بينه وبين غيره .

إن الذي فعله عمر ويمكن أن يفعله — هو أن يحول بين أهله وبين الترددي في النار ، أو أن يفعلوا شيئاً يخالف أوامر الاسلام ، أو أن تكون لهم في المجتمع الاسلامي ميزة تميزهم عن غيرهم ، أو أن يناههم من موارد المسلمين خير لا يعم الأمة كلها ، عندها يقف عمر صارماً قوياً لا تلين له قناة ، ولا يتساهل مطلقاً في حق من حقوق الله أو حقوق الرعية .

عن عبد الله بن عمر قال :

«اشتريت إبلاً وسقتها إلى الحمى ، فلما سمنت قدمت بها ، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سمناً فقال :

لمن هذه؟ .

فقيل : لعبد الله بن عمر .

فجعل يقول : يا عبد الله بخ بخ .. ابن أمير المؤمنين .

فجثته أسعى ، فقلت : ما لك يا أمير المؤمنين؟ .

قال : ما هذه الإبل؟ .

قلت : إبل هزيلة اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون .

فقال : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين .

اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .

يا عبد الله بن عمر خذ رأس مالك ، واجعل الربح في بيت مال المسلمين <sup>(١)</sup> .

وقصة أخرى :

عن اسلم قال : خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق ، فلما قفلا  
مرًا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة فرحب بهما وقال :

« لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت ثم قال : بلى ، ها هنا مال من مال الله  
أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه فتبتاعان به من متاع العراق ثم تبيعانه  
بالمدينة . فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح ، ففعلا ، وكتب إلى  
عمر أن يأخذ منها المال .

فلما قدما على عمر قال :

« أكملَّ الجيش أسلف كما أسلفكما ؟ » .

فقالا : لا .

فقال عمر : أديا المال ورجعه .

فأما عبد الله فسكت ، وأما عبيد الله فقال :

« ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين ، لو هلك المال أو نقص لضمنناه .

فقال : أديا المال .

فسكت عبد الله وراجع عبيد الله .

فقال رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً « شركة » فقال

عمر : قد جعلته قراضاً .

(١) اختيار عمر الشيخ من الطبعة ص ٣١٣ نقلاً عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٧

فأخذ المال ونصف ربحه ، وأخذنا نصف ربحه<sup>(١)</sup> .

هذه هي سياسة عمر وشدة تخرجه من مال المسلمين ، ولهذا كان رده على ولديه :

« أكل الجيش أسلف كما أسلفكما » وما دام ذلك لم يحدث فلم التفاضل والتمايز الأنهما ولدا أمير المؤمنين؟ لا لن يكون ما دام في عمر عرق ينبض .  
وما فعله مع ابنه فعله أيضاً مع زوجته .

« لقد جاء بريد الروم إلى عمر — رضي الله عنه — فاستقرضت زوجته ديناراً فاشتريت به عطراً وجعلته في قوارير ، وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم . فلما أتاه أفرغت زجاجات العطر وملأتهن جواهر وقالت : اذهب به إلى امرأة عمر .

فلما أتاه فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال : ما هذا؟ .

فأخبرته . فأخذ عمر الجواهر فباعه ودفع إلى امرأته ديناراً ، وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين .

لقد جاءت هذه الهدايا باسم زوجة أمير المؤمنين .

ولو كانت زوجة رجل آخر ما قدمت لها هذه الهدايا الثمينة .

وأمير المؤمنين وزوجه لا يملكان شيئاً ، ولا يحق لها أن ينالا شيئاً لم ينله عامة المسلمين .

إذن لا بد لهذه الهدايا أن تضاف إلى رصيد المسلمين . ولا يأخذ منها عمر ولا زوجه إلا بمقدار ما يأخذ أي فرد من أفراد المسلمين .

وعمر في هذا يقتدي برسول الله ﷺ ويتبع سنته ويسير على نهجه من ذلك عن أبي حميد الساعدي ، قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات

(١) المصدر السابق ص ٣١٤ .

بني سليم يدعى ابن اللببية فلما جاء قال : هذا لكم وهذا هدية . فقال رسول الله ﷺ : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة» (١) .

بل إن عمر ليخاف الله سبحانه وتعالى فيما هو أقل من ذلك . ويراقب أهله وذويه مراقبة اليقظ الذي لا يسهو ولا ينام ، ولا يتساهل في قليل أو كثير . وكأنه «الديديبان» اليقظ الذي يحول بين أهله وبين التعدي على حق من حقوق المسلمين وهذه الحادثة التي بين أيدينا تعطينا أبلغ التصور عما كان عليه عمر من حرصه على أموال المسلمين من ذلك :

«إنه كان يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين فتبيعه ، وكانت تقوم بتقطيع الطيب بأسنانها فيعلق بعضه بأصابعها فتمسحه بنجارها .

وفي يوم من الأيام دخل عمر ، ووصلت إلى فمه رائحة الطيب .

فقال : ما هذه الريح ؟

فأخبرته زوجته بالذي كان ..

قال : طيب المسلمين تأخذينه أنت فتطيين به ..

ثم قام وانتزع الحجار من على رأسها ، وأخذ جزءاً من ماء فجعل يصبه عليه ثم بدلكه في التراب ويشمه وتكرر ذلك منه حتى ذهب ريجه» (٢) .

إنه عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كان نسيج وحده من الرجال وكان

(١) رواه الامام مسلم في باب تحريم هدايا العمال من كتاب الأمانة رقم ٢٧ .

(٢) ابن الجوزي ١٣٨ .

مؤمناً يسيطر الايمان على كل ذرة من ذرات جسمه ، وكل خلجة من خلجات  
فؤاده .. عمر الذي يعرف نفسه ويخافها ويرهبها .

نادى يوماً : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس ، صعد المنبر فحمد الله وأثنى  
عليه ثم قال :

«أيها الناس ! لقد رأيتني وأنا أرعى على خالات لي من بني مخزوم فكنت  
استعذب لهن الماء فيقبض لي القبضة من التمر أو الزبيب ثم نزل .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين .

فقال : ويحك يا ابن عوف . خلوت إلى نفسي فقالت لي :

« أنت أمير المؤمنين ، وليس بينك وبين الله أحد ، فمن ذا أفضل منك » . فأردت  
أن أعرفها قدرها <sup>(١)</sup> .

وعمر عاش فترة طويلة — وهو خليفة — يأكل من كسب يده . وكان يشتغل  
بالتجارة ، فيعامل الناس ويستدين ويوفي ويبيع ويربح .

وقد جهز عيراً مرة إلى الشام ، فبعث إلى عبد الرحمن بن عوف ، يستقرضه  
أربعة آلاف درهم .

فقال للرسول : قل له يأخذها من بيت المال ثم ليردها .

فلما جاءه الرسول وأخبره بما قال : شق ذلك عليه ، فلقبه فقال : أنت القائل  
ليأخذها من بيت المال ؟ . فإن مت قبل أن تجيء قلمت أخذها أمير المؤمنين دعوها له .  
وأؤخذ يوم القيامة .. لا . ولكن رأيت أن آخذها من رجل حريص شحيح مثلك ،  
فإن مت أخذها من ميراثي .

واستمر على ذلك حتى فرض له من بيت مال المسلمين — كما حدده علي بن أبي  
طالب — كرم الله وجهه بقوله :

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٠ .



« ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا الأمر غيره »  
فقال عمر: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة اليتيم، ان استغثت استعفت  
وان افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أسرت قضيت»  
انه القوي الأمين كما وصفه عثمان — رضي الله عنه — عندما رآه يسوق إبل  
الصدقة في يوم صائف، ورفض دعوة عثمان، في أن يقوم غيره مقامه فقال:  
«من أحب أن ينظر الى القوي الأمين.. فلينظر الى هذا»..

### عمر يسهر على مصالح الرعية

قال عبد الرحمن بن عوف — رضي الله عنه — قدمت رفقة من التجارة فتزلوا  
المصلي فقال لي عمر:

هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة؟

قلت: نعم.

فأقنا الليل ساهرين، ونصلي ما شاء الله. وبيننا نحن كذلك. اذ سمع عمر بكاء  
صبي، فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتقي الله واحسني الى صبيك ثم عاد إلى مكانه  
فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه فقال:

اتقي الله وأحسني الى صبيك، ثم عاد إلى مكانه.

فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال:

«ويحك أني لأراك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة؟»

قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة، اني أدربه على الفطام فيأبى.

قال: ولم..

قالت: لأن عمر لا يفرض الا للفظيم.

قال: وكم له؟

قالت : كذا وكذا شهراً .

قال : ويحك لا تعجلية .

فصلى الفجر وما يستئين الناس قراءته من غلبة البكاء . فلما سلم قال : يا بؤساً  
لعمر : كم قتل من أولاد المسلمين .

ثم أمر منادياً فنادى :

« أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإننا نفرض لكل مولود في الاسلام وكتب  
بذلك إلى الآفاق » (١) .

ان بكاء طفل أرق عمر ، وأطار النوم من عينيه ، وعندما عرف بحقيقته أخذته  
رعدة الخوف والحشية من ربه ، كيف لم يتنبه الى هذا الأمر ، ولماذا التحديد بفطام  
الطفل حتى يفرض له عطاء؟ .

لقد أحس عمر أنه أخطأ التقدير عندما فعل ذلك — وكان لا بد من معالجة  
الخطأ وهو أن يفرض لكل مولود في الاسلام .. فهل استراح عمر بذلك وقرت  
بلاؤه؟ . ان وقائع التاريخ تقول غير ذلك ، فلتابعه في رحلة أخرى عبر ظلام الليل  
وسكونه المطبق .

عن أسلم مولى عمر قال :

« خرجنا مع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — الى حرة واقم حتى اذا كنا  
بصرار اذا نار تشعل . قال يا أسلم اني أرى ها هنا ركبانا قصر بهم الليل والبرد ،  
انطلق بنا .

فخرجنا نهروا حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان ، وقدر منصوبة على  
نار ، وصبيانها يتصايحون فقال عمر :  
السلام عليكم يا أهل الضوء .

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٧ .

فقلت : وعليكم السلام .

فقال : أذنو؟ .

فقلت : اذنُ بخير أودع . فدنا منها فقال : ما بالكُم؟ .

قلت : قصر بنا الليل والبرد .

قال : وما بال هؤلاء الصبية يتصايحون؟ .

قلت : الجوع .

قال : وأي شيء في القدر؟ .

قلت : ماء أسكنهم فيه حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر .

فقال : أي رحمتك الله ، وما يدري عمر بكم؟ .

قلت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا .

فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا .

فخرجنا نهول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلاً من دقيق ، وكبة شحم ،

وقال : احملة عليّ .

قلت : أنا أحملة عنك .

قال : أنت تحمل وزري يوم القيامة لا أم لك ..

فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه إليها نهول ، فألقى ذلك عندها وأخرج

الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذُري عليّ وأنا أحرُّ لك .

وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ثم

أنزلها . وقال : ابغني شيئاً .

فأنته بصحفة فأفرغها فيها فجعل يقول لها : أطعمهم وأنا أسطح لهم « أي أبسطه

حتى يبرد » .

فلم يزل حتى شبعا ، وترك عندها فضل ذلك وقام وقت معه . فجعلت تقول :

جزاك الله خيراً كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين .

فيقول : قولي خيراً : إذا جئت أمير المؤمنين وجدته هناك ان شاء الله .. انه الراعي الأمين للرعية ، الساهر على شؤونها .

وماذا نتصور أن يكون الحاكم غير هذا .. إن مسؤولية الحكم ثقيلة ولا يصلح لها إلا عظماء الرجال .. الذين حباهم الله سبحانه وتعالى قلباً كبيراً ونفساً رضية ، تسوس الناس ، وترعى مصالحهم وتتفقد شؤونهم .

أما هؤلاء الحكام الذين يجلسون على عروشهم ، ويعيشون للذاتهم ويهملون أمور رعيتهم .. فهم لصوص ، سطوا على الحكم في غفلة من أهله ، ملأوا خزائنتهم . وأشبعوا بطونهم ، بجياع غيرهم .. فما أقسى قلوبهم وأغلظ جيلتهم . ولكن لا بأس .. فالتاريخ يحدثنا دائماً أن حساب الشعوب دائماً يكون أقسى حساب .. ويومئذ يندمون ، ولكن لا ينفع الندم ..

ثم ماذا .. أترك عمر بعد هذا أم تتبعه في رحلة أخرى من رحلات الليل لترى كيف يكون الحاكم العدل .. نعمة لا تعادها نعمة . ورحمة الله لعباده على الأرض . يقول صاحب العقد الفريد :

« بينا عمر يُعَسُّ ذات ليلة ، إذ مر برحبة من رحاب المدينة ، فإذا هو ببيت شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلاً جالساً فدنا منه فسلم عليه ثم قال : من أنت ؟ .

قال : رجل من أهل البادية جئت أمير المؤمنين أصيب من فضله .

قال : ما هذا الصوت الذي أسمعته في البيت ؟ .

قال : انطلق رحمتك الله لحاجتك .

قال : على ذلك ما هو ؟

قال : امرأة تمخض .

قال : هل عندك أحد ؟ .

قال : لا .

فانطلق حتى أتى منزله ، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي كرم الله وجهه : هل لك في أجر ساقه الله اليك ؟

قالت : وما هو ؟

قال : امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد .

قالت : نعم ، إن شئت .

قال : فخذني معك ما يصلح لولادتها من الخرق والدهن ، وجيئني بقدر

وشحم وجوب .

فجاءت به فقال : انطقي ، وحمل البرمة ومشيت خلفه حتى انتهى الى البيت

فقال لها : ادخلي إلى المرأة .

وجاء حتى قعد إلى الرجل ، فقال له : أوقد لي نازاً .

ففعل . فأوقد تحت القدر حتى أنضجها ، وولدت المرأة فقالت أم كلثوم يا أمير

المؤمنين : بشر صاحبك بغلام .

فلما سمع الأعرابي بأمر المؤمنين . كأنه هابه ، فجعل يتنحى عنه .

فقال له : مكانك كما أنت .

فحمل القدر فوضعها على الباب .

ثم قال : أشبعها .

ففعلت ، ثم أخرجت القدر فوضعتها على الباب ، فقام عمر فأخذها فوضعها بين

يدي الرجل وقال : كل وبحك فإنك قد سهرت من الليل . وقال لامرأته اخرجي

وقال للرجل : إذا كان غداً فائتنا نأمر لك بما يصلحك<sup>(١)</sup> .

ماذا تطلب الرعية من الحاكم أكثر من هذا ؟

إنه يبحث عن محتاجها .

(١) ابن الجوزي ٧٣ والعقد الفريد ٩٨ .

ويراقب أحوالها ..

ويجيش الجيوش لحماية ثغورها، ونشر دين الله بين أركانها.

فإذا غادر الجيش المدينة فهو أبو العيال .. حتى يعود الرجال.

.. وهذه حادثة أخرى من حوادثه .. وهو يسهر على شؤون الرعية ويتجول في أزقتها ودروبها لعله يبصر محتاجاً أو يشاهد متلصصاً، أو ينقذ مكروباً.

يقول ابن الجوزي : خرج عمر ذات ليلة يعس بالمدينة إذ مرّ بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها وهي تقول :

.. تطاول هذا الليل واخضلّ جانبه وأرقتي أن لا خليل ألاعبه  
الأعبه طوراً وطوراً كأنما بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه  
يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشى لا تجتويه أقاربه  
فوالله لولا الله لا رب غيره لحرك من هذا السرير جوانبه  
مخافة ربي والحياء بصدني وإكرام زوجي أن تنال مراكمه  
ولكنني أخشى رقيباً موكلاً بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت : لهان على عمر بن الخطاب وحشتي وغيبة زوجي عني ..

وعمر واقف يسمع . فضرب باب الدار فقالت : من هذا الذي يأتي امرأة مغيبة هذه الساعة ؟

فقال : افتحي .

فأبت ، فلما أكثر عليها قالت : أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك .

فلما رأى عفافها قال : افتحي فأنا أمير المؤمنين .

ففتحت له .

فقال : هيه كيف قلت ؟

فأعادت عليه ما قالت .

فقال : أين زوجك ؟

قالت : في بئس كذا وكذا .

فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلاناً ، فلما قدم عليه قال : اذهب إلى أهلك .

ثم دخل على حفصة ابنته فقال :

« أي بنيه كم تصبر المرأة على زوجها .. »

قالت : شهراً واثنين وثلاثة وفي الرابع ينفذ الصبر .

فجعل ذلك أجلاً للبعث <sup>(١)</sup> .

إن أهم ما تحرض عليه الأمم المؤمنة — هو عفاف أبنائها وبناتها .. وبمقدار تفشي العفة والفضيلة بين الشعوب .. بمقدار ما يكون رقيها وتقدمها .

وفي صدر الاسلام كانت الجيوش الاسلامية ، تقطع آلاف الأميال بوسيلة اتصال بدائية — الأمر الذي يجعل الجنود يقطعون ممدداً طويلة في الحروب . وهنا تنبه عمر إلى حاجة المرأة لرجلها في فترات متقاربة — وهنا أصدر أمره إلى عماله ألا يتخلف جندي من الجنود في غزوة من الغزوات أكثر من ثلاثة شهور يعود بعدها إلى أهله وذويه — ثم يتابع الغزو مرة أخرى .

وهذا التدبير والتنظيم ، استطاع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أن يحفظ للأسرة المسلمة عفافها وصيانتها .

وهكذا نرى هذا الحاكم .. لا يشغله من أمر المسلمين شأن عن شأن ولا يسمح لغيره أن يقوم بعمل يستطيع أن يقوم هو به .

(١) ابن الجوزي ص ٧١ والحسين والأضداد ص ١٨٩ .

لقد قدم وفد من العراق : فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر  
وعمر متعمم بعباءة. ويداوي بعيراً من إبل الصدقة .

وما كاد عمر يقع بصره على الأحنف بن قيس حتى هتف به : يا أحنف ضع  
ثيابك ، وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم  
والأرملة والمسكين .

فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين . فهلا تأمر عبداً من عبيد  
الصدقة فيكفئك ..

فقال : وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف ؟

ثم قال كلمته الخالدة التي يجب أن تكون دستوراً لكل حاكم يعتز برعيته ويخاف  
ربه .

قال عمر : انه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدته في  
النصيحة وأداء الأمانة» (١) .

أين حكام العالم وزعاؤه ليستمعوا إلى هذا القول .. ويتلمذوا في هذه الجامعة  
التي خرجت أمثال هؤلاء الرجال ؟ .

ونقول : ان هؤلاء الحكام لا يسمعون ولا يبيغون أن يسمعوا .. لقد شغلهم  
ملذات الحياة وشهوات أنفسهم عن كل شيء .

وأصبحوا بالنسبة لشعوبهم — إلا من عصم ربي — قذى في العيون ، وغصة في  
الخلوق — وكابوساً ثقيلاً يود الجميع الخلاص منهم .

ولكن علام العجلة — ولكل سافرة حجاب .. ولكل ليل صباح ..

(١) ابن الجوزي ص ٦٢ .



## عمر مع الرعية ..

انتقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة فأصاب مالا من خراج الكوفة على عهد عمر فبلغه ذلك ، فكتب إلى المغيرة بن شعبة : إنه بلغني أن رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم فأصاب به مالا من خراج الكوفة ، فإذا أتاك كتابي هذا فنفذ أمري وأطع رسولي .

فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم ، خرج ومعه رسول عمر ، فاشرب الناس ينظرون اليه حتى وقف على معن . ثم قال للرسول : إن أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه فبرني بما شئت .

فقال الرسول : ادع لي بجامعة أعلقها في عنقه . فأتى بجامعة فجعلها في عنقه وجبدها جبداً شديداً ثم قال للمغيرة :

« احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين » .

وكان السجن يومئذ من قصب فتحمل معن للخروج وبعث إلى أهله أن ابعدوا لي بناقتي وجاريتي وعبائي ففعلوا ، فخرج من الليل وأردف جاريتيه ، فسار حتى إذا قرب الصبح أناخ ناقته وعقلها ، ثم كمن حتى كف عنه الطلب ، فلما أمسى أعاد على ناقته العبادة وشد عليها وأردف جاريتيه ، ثم سار حتى قدم على عمر وهو يوقظ المهجدين لصلاة الصبح ومعه درته .

فجعل ناقته وجاريتيه ناحية ثم دنا من عمر فقال :

السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال : وعليك . من أنت .. ؟

قال : معن بن زائدة جئتك تائباً .

قال : أبت فلا يُحْيِكَ الله ، فلما صلى الصبح قال للناس : مكانكم فلما طلعت

الشمس قال :

« هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة  
فما تقولون فيه »؟ .

فقال قائل : اقطع يده .

وقال قائل : أصله .

وعليّ ساكت ، فقال له عمر : ماذا تقول يا أبا الحسن ؟ .

قال : يا أمير المؤمنين : رجل كذب كذبه ، فضربه عمر ضرباً شديداً وحجسه .  
فكان في الحبس ما شاء الله ، ثم أرسل إلى صديق له من قریش أن كلم أمير المؤمنين  
في تخلية سبيلي ، فكلمه القرشي فقال :

« يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلاً فإن رأيت  
أن تخلي سبيله ؟ .

فقال عمر : ذكرتي وكنت ناسياً ، عليّ بمعن ، فضربه ثم أمر به إلى السجن  
فبعث معن إلى كل صديق له : لا تذكروني لأمر المؤمنين .

فلبث محبوساً ما شاء الله .

ثم إن عمر انتبه فقال : معن .

فأتي به ، فقاسمه وخلي سبيله »<sup>(١)</sup> .

رجل من عامة الناس يلجأ إلى حيلة ويستولي بها على بعض الأموال العامة .  
ويسمع عمر بما حدث . فيطلب من واليه .. أن يحجسه حتى يأتيه أمره ، ولكن  
الرجل يفرّ من سجنه ويذهب الى عمر . ويعتقد أن عمر عندما يسمع بتوبته سيعفو  
عنه ..

ولكن متى كان عمر كذلك ؟

وعمر نفسه لا يملك من أمر نفسه شيئاً .

(١) فتوح البلدان ج ٨ ص ٤ والاصابة ج ٣ ص ٥٢٨ .

إن هذا الرجل لم يسرق المال من حرزه وإلا كان الأمر سهلاً في إقامة الحد عليه .  
ولم يعتصمه من حامله .. وإلا لكان لعمر معه شأن آخر .  
ولكنه لجأ إلى حيلة .. تسلم بها المال ممن يقوم على بيت المال .  
ومن هنا كان السجن والتعزير عقوبة له ولأمثاله .

ولم يقبل عمر شفاعة فيه من أحد ، بل عندما علم أنه لجأ إلى هذا الطريق  
ضاعف له العقوبة ، حتى إذا اطمأن أن هذا العايب بنظام الدولة — قد استحق  
عقوبته ونال جزاءه .. قاسمه ماله ، حتى يستوفي منه ما أخذه بغير حقه .

وإذا كانت الحادثة الأولى ، حادثة اختلاس أموال عامة تخص جميع المسلمين  
فإن هذه الحادثة الثانية تختلف عن الأولى ، بأنها تتعلق بحقوق فرد واحد من أفراد  
الرعية ، فإذا كان موقف عمر منها ؟. لنترى ..

تتفق كتب السير والتاريخ على أنه عندما أسلم جيلة بن الأيهم الغساني وكان من  
ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر فخرج إليه  
في خمسمائة من أهل بيته من عكّ وغسان .

حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدمه . فسر عمر وأمر الناس  
باستقباله .

فأمر جيلة مائة رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحزير ، وركبوا الخيول  
معمودة أذنانها وألبسوها قلائد الذهب والفضة . ولبس جيلة تاجه وفيه قرطاً مارية  
وهي جدته ودخل المدينة .

يقال : فلم يبق فيها أحد إلا خرج ينظر إليه وإلى زيه .

فلما انتهى إلى عمر رجب به وألطفه وأذنى مجلسه .

ثم أراد عمر الحج فخرج معه جيلة ، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً  
بالموسم إذا وطئ إزاره رجل من بني فزارة فأنحل فرفع جيلة يده فهشم أنف الفزاري ! !

فاستعدى عليه عمر ، فبعث إلى جبلة فأتاه .

فقال : ما هذا ؟ .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمد حل إزارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف .

فقال له عمر : قد أقررت فيما أن ترضي الرجل ، وإما أن أقيده منك .

قال : وماذا تصنع بي ؟ .

قال : أمر بهشم أنفك كما فعلت <sup>(١)</sup> .

قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟ .

قال : إن الاسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية .

قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون في الاسلام أعز مني في

الجاهلية ...

قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك ان لم ترض الرجل أقدته منك .

قال : إذا أتتصر .

قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك .

فلما رأى جبلة الصدق من عمر قال : أنا ناظر في هذا ليلتي هذه .

فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف ، حتى اذا نام الناس وهدأوا تحمل جبلة

بجبله ورواحله الى الشام فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع <sup>(٢)</sup> .

إن الميزان الذي أنزله الله للناس مع الرسل ، ليقوموا به القيم كلها هو : ﴿ إن أكرمكم

عند الله أتقاكم ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٤ — ٧ وفتح البلدان ص ١٤٢ وأخبار عمر للاستاذ علي طنطاوي ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٠ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

هذه القيمة هي الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس أو يشبيل ، وهي قيمة سماوية  
بحثة لا علاقة لها بموضوعات الأرض وملاساتها اطلاقاً .

ولكن الناس يعيشون في الأرض ، ويرتبطون فيما بينهم بارتباطات شتى كلها  
ذات وزن وذات ثقل وذات جاذبية في حياتهم وهم يتعاملون بقيم أخرى ، فيها  
النسب وفيها القوة وفيها المال . فيصبح بعضهم أرجح من بعض في موازين الأرض .

ثم يجيء الاسلام فيضرب صفحاً عن كل تلك القيم الثقيلة في حياة الناس ليقول  
لهم : ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ <sup>(١)</sup>

فليكن جلبة من كبار الملوك والدهاقين .

ولكنه اعتدى على حق من حقوق فرد مسلم .

والاسلام لا يعترف بتلك الفروق . فلا بد من القصاص .. هكذا قال عمر لجلبة  
إما أن يتنازل المعتدى عليه عن حقه ، واما أن ينزل القصاص على المعتدي وعمر في  
هذه القضية وفي غيرها من القضايا لا يستطيع أن يجحد قيد أمثلة — وكيف يفعل ان  
مال وهو كان يسمع قول الرسول ﷺ عندما جاء له جماعة يستشفعون في امرأة من  
علية القوم سرت فجابهم بقوله :

« انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق  
الضعيف أقاموا عليه الحد » <sup>(٢)</sup>

والذي يعتدي على الآخرين ويتعاضم القصاص ، هو لص .. يسطي على حقوق  
الآخرين ويتناول عليهم .

ولكن لا : ان في درة عمر لردعاً لهم ، واخراج سخائم الشيطان من بين  
أبدانهم .. وإذا كان عمر يفعل ذلك لحماية لأموال الناس وحقوقهم ، فإن حرصه على

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) رواه البخاري ومسلم في صحيحها .

سلامة المجتمع الاسلامي من عوامل التعفن والبوار لا تقل عن اهتمامه بكل العوامل الأخرى مجتمعة.

لقد كان عمر يعسى ليلاً فطرق سمعه صوت امرأة تقول :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها      أو من سبيل إلى نصر بن حجاج  
إلى فتي ماجد الأعراق مقتبل      سهل المحيا كريم غير ملجج  
نمته أعراق صدق حين تنسبه      أنحي حفاظ عن المكروب فراج<sup>(١)</sup>

فقلت لها امرأة معها : من نصر؟.

قالت : رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معنا أحد.

وكان نصر هذا من أجمل الناس.

فقال عمر : أما وعمر حي فلا ، فدعا به فإذا هو أحسن الناس شعراً وأصبحهم وجهاً ، فأمره عمر أن يطمّ شعره « أن يجزه ويستأصله » ففعل وخرجت جبهته بعد حلق رأسه فعاد أحسن مما كان ، فأمره أن يعتم ففعل فازداد حسناً فقال له :  
« لا تساكني في بلدة يتمناك النساء بها .

ثم أمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة ، وخافت المرأة فكتبت إلى عمر رضي الله عنه تسترضيه .

وكان عمر — رضي الله عنه — قد سأل عنها فوصفت له بالعفاف ، فأرسل إليها : قد بلغني عنك خير فقري أني لم أخرجك من أجلك ولكن بلغني أنه يدخل على النساء فلست آمنهن . وبكى عمر . وقال : الحمد لله الذي قيد الهوى وقد أقرّ .

وتشفع نصر إلى عمر ألا يخرجك من المدينة فلم يقبل عمر . فقال له : « لقد سمعتني قتل نفسي » . فقال عمر : كيف؟ .

(١) المحاسن والأضداد ١٨٩ وروضة المحبين ٤٠٥ .

فقال : قال الله تعالى :

﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ﴾ (١) .  
فقرن هذا بهذا ، فقال عمر : ما أبعدت ، لكن أقول ما قال شعيب عليه  
السلام : ﴿ ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ﴾ (٢) .  
ولقد أضعفت عطاءك ليكون ذلك عوضاً لك .  
فخرج نصر من المدينة حتى أتى البصرة (٣) .

ان المجتمعات الاسلامية يجب أن تصان من كل من يحاول أن يחדش حياءها أو  
ينال من عفة أبنائها وبناتها .

إن تفشي الرجس وانتشار الفواحش ، وغيبة الفضيلة — في مجتمع من  
المجتمعات للدليل على انهيار هذا المجتمع وقرب نهايته ...

ان الأمة ، أي أمة ، يقاس رقيها وحضارتها بمقدار سلوك أفرادها جميعاً والتزام  
أبنائها بقواعد وقوانين هذا المجتمع .

ولكن ما نلاحظه الآن في كثير من المجتمعات الاسلامية — ويلاحظه كل غيور  
على دينه ، هو علامة تنذر بالخطر ، وبداية لشر مستطير .

ان ما يفعله هؤلاء العابثون والعاثات في مجتمعنا — من استيراد أفكار وعادات  
غريبة عن تقاليدنا وعاداتنا سيكون له ما بعده .

وعلى ولاة الأمر أن يضربوا بيد من حديد على أيدي هؤلاء الذين لا يردهم خلق  
أو ضمير .

أو على أقل تقدير أن يفعلوا ما فعله عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — في المجتمع

(١) سورة النساء الآية ٦٦ .

(٢) سورة هود الآية ٨٨ .

(٣) ابن الجوزي ص ٧٤ والاصابة ج ٣ ص ٩٧٥ .

الاسلامي الأول .. من نبي هؤلاء الذين أحسن أن في وجودهم خطراً على المجتمع الذي يعيش فيه .

أم ترى أننا أصبحنا في عصر — يشجع فيه الحكام والولاة شباب هذه الأمة على الانغماس في الملذات حتى أذقناهم — وبذلك لا يفيقون — من غفلتهم فيكتشفون الهوة السحيقة التي يحفرها هؤلاء الحكام لشعوبهم .؟

عمر رضي الله عنه في آخر أيامه ...

عن سعيد بن المسيب — رضي الله — عنه — قال :

ان عمر لما أفاض من منى أناخ بالابطح فكوم كومة من بطحاء وطرح عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها ورفع يديه الى السماء وقال :

« اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضجع ولا مفرد » .

فلما قدم المدينة خطب الناس فقال :

« أيها الناس قد فرضت لكم الفرائض رسنت لكم السنن وتركتم على الواضحة ثم صفق يمينه على شماله .. إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالاً »<sup>(١)</sup> .

وعن ابي طلحة اليعمري : أن عمر بن الخطاب خطب الناس في يوم الجمعة فذكر نبي الله وذكر أبا بكر فقال :

« إني رأيت أن ديكاً نقرني نقرتين ولا أراه إلا حضور أجلي فإن أقواماً يأمروني استخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ، والذي بعث به نبيه ﷺ فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي ﷺ وهو عنهم راضٍ .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٤ .



ثم قال :

« اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا عليهم ويقسموا فيهم بينهم ويرفعوا إليّ ما أشكل عليهم من أمرهم ، ثم انكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما الا خبيثتين — البصل والثوم . وقد كنت أرى رسول الله ﷺ إذا وجد ريحها من الرجل في المسجد أمر فأخذ بيده فأخرج من المسجد الى البقيع ، فمن أكلها لا بد فليمتها طبخاً» (١) .

وعن سعد الجاري مولى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أن عمر بن الخطاب دعا أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وكانت تحته فوجدها تبكي :

فقال ما يبكيك ؟

فقالت : يا أمير المؤمنين هذا اليهودي — تعني كعب الأحبار — يقول انك على باب من أبواب جهنم .

فقال عمر : ما شاء الله والله اني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيداً ثم أرسل الى كعب فدعاه فلما جاءه كعب قال :

« يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة .

فقال عمر : أي شيء هذا ؟ . مرة في الجنة ، ومرة في النار ؟

فقال : يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة » (٢) .

ثم جاءه مرة أخرى فقال له : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام . قال عمر : وما يدريك ؟ .

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٧٤ وابن الجوزي ٥٨٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٤٠ .

قال : أجدّه في كتاب الله — التوراة .  
 فقال عمر : آله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ .  
 قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك بأنه قد فني أجلك — وعمر لا  
 يحسن وجعاً ولا ألماً — فلما كان من الغد جاءه كعب فقال :  
 « يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان » .  
 ثم جاءه من بعد الغد فقال : ذهب يومان وبقي يوم وليلة هي لك الى صباحها فلما  
 كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وطعن (١) .  
 وتساءل من أين جاء كعب بهذه الأخبار ؟ .  
 وهل يوجد في التوراة شيء يدل على صفة عمر وهيبته ؟ .  
 اللهم : لا ، وليس في التوراة الصحيحة أو المحرفة — والتي توجد بأيديهم شيء  
 يدل على ذلك .

اذن كيف استطاع كعب أن يحدد أجل عمر هذا التحديد الدقيق ؟  
 أي علم الغيب ؟ . وهذا شيء اختص الله بعلمه — وليس لنبي أو رسول من ذلك  
 شيء إلا بأمره تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه  
 يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ (٢) .

والرسول ﷺ يقول :

﴿ لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ (٣) .  
 وإذا كان الأمر كذلك كيف توصل كعب — مرة أخرى — إلى قتل عمر ؟ .

(١) أخبار عمر ص ٤٣٦ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٧ .

(٣) سورة الاعراف الآية ١٨٨ .

أتكون هناك مؤامرة مدبرة ومجبوكة الأطراف — وكعب كان يعلم الكثير عن هذه المؤامرة واستطاع بذلك أن يحدد التحديد القاطع ..  
إننا لا نستبعد ذلك .

ولا ننسى حقد اليهود على الاسلام — وني الاسلام — وما دبروه من مؤامرات وكيد لهذه الدعوة .

إن أصابع اليهودية ضليعة في قتل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ويتفق كثير من المؤرخين على ذلك .

ولكن كيف استطاع القاتل أن يتسلل إلى المدينة ويعيش فترة بين المسلمين؟  
يقول الطبري في تاريخه :

« كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة إلى عمر يستأذنه في غلام صنع يدعى أبا لؤلؤة واسمه « فيروز » لديه أعمال كثيرة فيها منافع للناس : فهو حداد ونقاش ونجار فأذن له عمر .

فأرسل به المغيرة وكان يأخذ منه كل يوم أربعة دراهم ، وضرب عليه مائة درهم في كل شهر لأنه كان يصنع الأرحاء .

فجاء الغلام إلى عمر يشتكي اليه ويقول :

« يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليّ عليّ فكلمه لي ليخفف عني فقال له عمر : ما تحسن من الأعمال ؟ .

فذكرها له .

فقال له عمر : اتق الله وأحسن إلى مولاك . ومن نية عمر أن يلقي المغيرة فيكلمه يخفف عنه — فأنصرف العبد مغضباً ، وأضمر قتل عمر ، فاصطنع خنجراً له رأسان وسمّه ، ثم أتى به الهرمزان فقال : كيف ترى هذا ؟ .

قال : أرى أنك لا تضرب بهذا أحداً إلا قتلته .

ومرَّ عمر يوماً بأبي لؤلؤة فقال له : ألم أحدث أنك تقول : لو أشاء لصنعت رحي تطحن بالريح ؟ .

فالتفت العبد ساخطاً عابساً إلى عمر — ومع عمر رهط — فقال : لأصنعن لك رحي يتحدث بها الناس ! .

فلما ولى قال عمر للرهط الذي معه : أوعدي العبد آنفاً<sup>(١)</sup> .

من كان وراء العبد في فعلته تلك ؟ .

من المستفيد من قتل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ؟

عمر الذي فتح فارس والروم ووصلت جيوشه إلى مجاهل إفريقيا ، وحطمت آخر معاقل الروم على أرض العرب ؟ .

لا شك أنهم اليهود قديماً وحديثاً كانوا وراء كل نكبة تحل بالعالم أو تصيب البشرية .

ولا يستطيع منصف أن يعني التجمعات اليهودية والتي طردت من الجزيرة العربية من هذه الفعلة الشنعاء .

وفي كلمات كعب الأحبار دليل قوي على أن لليهود اليد الطولى في قتل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — .

وإذا كان ذلك كذلك .. كيف تمت هذه الجريمة ؟ . جريمة قتل عمر رضي الله عنه ؟ .

### مقتل عمر — رضي الله عنه

... كان رضي الله عنه إذا دخل المسجد ، قام بين الصفوف ثم قال : استووا فإذا استووا تقدم فكبر .

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٤٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ٧٦ .

وهكذا كان يفعل في كل صلاة يصلحها — حتى إذا كان هذا اليوم الموعود ما كاد يسوي الصفوف ويتقدم للصلاة... ويدخل فيها بالتكبير حتى طعنه أبو لؤلؤة. فأخذ يقول: قتلني الكلب. أو أكلني الكلب.

وطار أبو لؤلؤة في يده خنجر ذات طرفين ما يمر برجل يمينا ولا شمالاً إلا طعنه فأصاب ثلاثة عشر رجلاً من المسلمين — فمات منهم تسعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنساً له ليأخذه. فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه<sup>(١)</sup>. إن هذا الشيء الذي فعله أبو لؤلؤة — لا يستطيع أن يفعله بمفرده ولكن هناك جماعة أخرى تخطط له.. وينفذ ما تلميه عليه بدقة.. وإلا لماذا قتل نفسه؟ وما الدافع إلى ذلك.. إن أي انسان يحرص على أن يبقى في هذه الحياة لحظات — حتى ولو كان أبو لؤلؤة يعتقد أنه سيؤخذ بجريمته — فهناك أمل له في الفرار أو الهرب أو أي علة أخرى يتعلل بها الانسان ويتشبث بها في الحياة.. أما أن يقتل نفسه فهذه أوامر له من خارج نفسه.

حتى لا يقع تحت طائلة العذاب فيضطر إلى كشف حقيقة الآخرين. الذين يشاركونه في هذه الفعلية، ويبغون من وراء ذلك أهدافاً أخرى أقلها ما حدث من قتل عمر.

إن اليهودية لم تقبل أبداً أن تقتل عشرات الافراد من زعماء المسيحية وترج بالآلاف منهم في أقيية السجون وتصب على رؤوسهم الزيت المغلي نقول لم تكنف اليهودية بذلك حتى خربت الديانة المسيحية — وحولتها من ديانة التوحيد إلى عقيدة الثلاثية — وهذا قصده أيضاً بالنسبة للاسلام — وكانت ترى أن عمر هو الجسر الواقي والسد المنيع لحماية مبادئ الاسلام وشرائع الاسلام من باطل المبطلين — وتطلعات المغامرين.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٨ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٥٠.

ونقل عمر إلى بيته فدعا بنيذ فشربه فخرج من جرحه ، ثم دعا بلبن فشربه فخرج من جرحه .

فلما ظن أنه الموت قال : يا عبد الله بن عمر ، انظر كم علي من الدين فحسبه فوجده ستة وثمانين ألف درهم .

قال : يا عبد الله إن وقى لها مال آل عمر فأدها عني من أموالهم ، وإن لم تف أموالهم فاسأل فيها بني عدي بن كعب ، فإن لم تف من أموالهم فاسأل فيها قريشاً ولا تعدهم إلى غيرهم . ثم قال :

« يا عبد الله اذهب إلى عائشة أم المؤمنين فقل لها يقرأ عليك عمرُ السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين ، فإني لست اليوم بأمير — يقول تأذنين له أن يُدفن مع صاحبيه ؟ .

فأتاها ابن عمر فوجدها قاعدة تبكي فسلم عليها ثم قال :

يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ؟

فقالت : قد والله كنت أريده لنفسي ، ولأثرته اليوم على نفسي .

فلما جاء قيل هذا عبد الله بن عمر فقال عمر :

« ارفعاني ، فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ .

فقال : أذنت لك .

قال عمر : ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضحج يا عبد الله بن عمر انظر إذا أنا ميت فاحملني على سريري ثم قف بي على الباب فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فادخلني وإن لم تأذن فادفني في مقابر المسلمين» (١) .

وفاضت روحه إلى بارئها .. ودفن بجوار صاحبيه — رضي الله عنه وعلى صاحبه وصلى الله على سيدنا محمد — خاتم الرسل ، ونبى الاسلام .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٣٨ .

## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس في رواية عطاء : عند نزول قوله تعالى : ﴿ قل للذين آمنوا  
يعفروا للذين لا يرجون أيام الله .. ﴾ (١) الآية .

يريد عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — خاصة ، وأراد بالذين لا يرجون أيام  
الله : عبد الله بن أبي :

وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها « المريسيع » فأرسل عبد  
الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له :  
ما حسبك ؟

قال : غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قِرب النبي ،  
وقِرب أبي بكر ، وملأ لمولاه .

قال عبد الله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قال الأول :  
« سمن كلبك يأكلك » .

فبلغ قول عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فاشتمل بسيفه يريد التوجه ايه  
فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وعن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

(١) سورة الحائية آية ١٤ .

لما نزلت هذه الآية ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾<sup>(١)</sup>.

قال يهودي بالمدينة يقال له فتاح:

«احتاج رب محمد. قال: فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه».

فجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله ﷺ فقال:

إن ربك يقول لك:

﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي. فبعث رسول الله ﷺ في طلبه.

فلما جاء قال:

«يا عمر ضع سيفك».

قال: صدقت يا رسول الله، أشهد أنك أرسلت بالحق، قال: فإن ربك عز

وجل يقول:

﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾<sup>(٣)</sup>.

قال: لا جرمَ والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي.

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٥، وسورة الحديد الآية ١١.

(٢ - ٣) سورة الجاثية آية ١٤.



## تذييل ...

إن أهم ما يميز حكم عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — الرقابة الحازمة منه للرعية والرقابة اللماحة من الرعية للحاكم ومجموع الولاة ..

فكان كل فرد من أفراد الرعية يشعر شعوراً دائماً بأنه مسؤول مع الحاكم عن أي انحراف في الدعوة الإسلامية فهو يراقب نفسه ، ويراقب من يحيطون به ويتابع تطبيق الشريعة وتنفيذ أمر الله تعالى . امتثالاً لقول الرسول ﷺ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .

ومما يؤيدنا فيما نذهب إليه :

أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — جاءته برود من اليمن فوزعها على المسلمين بالتساوي ، وحصل كل مسلم على برد ، ثم بعد هذه الواقعة وقف عمر يخطب وهو يلبس ثوباً منها وقال :

أيها الناس اسمعوا واطيعوا .

فقام إليه رجل من المسلمين وقال : لا سمع ولا طاعة ..

قال عمر : ولم ذلك يا أخا العرب ؟

قال : لأنك استأثرت علينا قال عمر : بأي شيء ؟

قال : إن « الأبراد » اليمنية لما فرقها ، وحصل كل واحد من المسلمين على برد منها

وكذلك حصل لك ، والبرد الواحد يكتفي الواحد منها ، ونراك قد فصلته ثوباً تاماً وأنت رجل طويل القامة ، فلو لم تكن قد أخذت أكثر منا لما جاءك منه ثوب فالتفت عمر إلى ابنه عبد الله وقال : يا عبد الله أجبه عن كلامه .

فقام عبد الله وقال : إن أمير المؤمنين عمر لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردي ما تممه به .

فقال الرجل : أما الآن فقل : نسمع ونطع (١) .

.. إن عين هذا الرجل المسلم لا تغفل عن شيء .. وهو يرقب ما حوله ويقبسه بمقياس الاسلام . فإذا اختلت الموازين في نظره .. كان كالحارس اليقظ الذي يشعر للصوص أن عينه لا تغفل ويده على سلاحه يقطع به رقبة كل من تحدته نفسه بالاقتراب من حاه .

ولم تكن الرقابة خاصة بجاعة الرجال فقط ، ولكن النساء في المجتمع الاسلامي كان لهن دور كذلك .

فها هي خولة بنت ثعلبة تلتقي بعمر بن الخطاب — رضي الله عنها — فقالت له :

«إيه يا عمر : عهدتك وأنت تسمي «عميراً» وأنت في سوق عكاظ ترعي القيان بعصاك . فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين . فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشي الفوت .

فقال الجارود — وكان في رفقة عمر — قد أكثرت آيتها المرأة على أمير المؤمنين . فقال عمر : دعها ، أما تعرفها؟ .

إنها خولة امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر والله أحق أن يسمعها مشيراً بذلك إلى قول الله تعالى :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٧٣ .

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ (١)

وليست هذه فحسب ولكن غيرها كثير. من ذلك :

أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — خطب يوماً فقال : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، وإن كانت بنت ذي القصة — يعني يزيد بن الحصين — فمن زاد ألقىت الزيادة في بيت المال .

فقامت امرأة وقالت معترضة على ذلك : ما ذاك لك .  
قال عمر ولم ؟ .

قالت : لأن الله تعالى قال : ﴿ وآتيم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (٢)  
فقال عمر : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

وهكذا كانت تشارك المرأة مشاركة فعالة في صدر الاسلام في واجب الرقابة ، الرقابة على الحاكم والرقابة على الرعية .

فالأولى تذكر الحاكم بحياته الأولى ، وكأنها خشيت على عمر أن يطره المنصب أو تنال منه زخارف الحياة ، فذكرته الموت ، وبما هو كائن بعد الموت . . حيث لا ينفع الانسان إلا ما قدم من عمل صالح .

والثانية : أرادت أن تبين للحاكم الخطأ الذي يقع على الرعية من تقييد المهور فردته إلى الصواب وأرشدته الى منهج القرآن في مثل هذه المسألة .

ولم يغضب الحاكم ، ولم يشعر مطلقاً أن هذا الشيء يتشمص من هيئته كحاكم أو يقلل من وضعه بين المسلمين .

(١) سورة المجادلة الآية ١ ، ٢ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٠ .

إن التبعة التي يحملها الحاكم ، وأعباء الحكم عامة ليست خاصة به وحده ولكن المسلمين جميعاً شركاء في تلك المهمة ، فإذا انحرف الحاكم ولم تأخذ الأمة على يده أو شك الله أن يعصمهم بعذاب من عنده قال تعالى :

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (١)

ويحدثنا أبو حامد الغزالي — رحمه الله — حديثاً مستفيضاً عن قيام المسلمين بواجب الرقابة على حكامهم فيضع بين أيدينا هذه الواقعة فيقول :

« روي أن معاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنه — حبس عطاء الناس ، فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له :

« إنه ليس من كذك ولا من كدّ أيبك ، ولا من كد أمك » .

فقال معاوية بعد أن سكن غضبه — صدق أبو مسلم إنه ليس من كدي ولا من كد أبي ، فهللوا إلى عطائكم » .

وروي أيضاً أن أبا بكر دخل على معاوية فقال له :

« اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك ، وفي كل ليلة تأتي عليك لا ترداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً ، وعلى إثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه ، فما أسرع ما تبلغ العلم ، وما أوشك ما يلحق بك الطالب ، وإن ما نحن فيه زائل ، وفي الذي نحن إليه صائرون باق ، إن خير فخير ، وإن شر فشر .

ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا اعرابي .

فقال : يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته — فإن وراءه ما تحب ان قبلته .

فقال : يا اعرابي أنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه ، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه... ؟

(١) سورة الأنفال الآية ٢٥ .

فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين انه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك . حرب الآخرة ، سلم الدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليهم ، فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعاً ، وفي الأمة خسفاً وعسفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوها ، وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنياه غيره .

فقال له سليمان : يا اعرابي أما انك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك .

قال أجل : يا أمير المؤمنين ولكن لا عليك .

ان هذا الرجل وضع الحاكم أمام مسؤولياته ، وبصره بعيوب الحاشية وما يقومون به من وراء ظهره ، وان كان لا يعلم فلا يعفيه ذلك من المسؤولية ، المسؤولية أمام رعيته ، والمسؤولية أمام نفسه ، والمسؤولية أمام ربه .

ان ما حل بالمسلمين في هذا العصر الذي نعيش فيه .. من انهزامهم في كثير من معاركهم الحربية والسياسية والفكرية — يرجع أولاً وأخيراً الى فقر المجتمعات الاسلامية من أمثال هؤلاء الرجال .. الذين يكون لهم دور في الرقابة على أعمال الحكام .. فتى يوجد أمثال هؤلاء الرجال ؟ .

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الآيات التي نزلت في عجمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

أَمْ مَنْ هُوَ قَلْبُ أَنْاءِ الْبَيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ  
وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ

صدق الله العظيم  
سورة الزمر الآية ٩

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه .  
قال ذلك صاحب تفسير البغوي ج ٦ ص ٥٨ .  
وقاله الامام القرطبي في تفسيره ج ١٥ ص ٢٣٩ .  
وقال صاحب الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٣ .  
وقاله الامام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ٣٨٨ .

فمن هو عثمان بن عفان؟ ..



## قال عبد الرحمن بن خباب

رضي الله عنه

«شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان بن عفان فقال : يا رسول الله ، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله .  
ثم حض على الجيش ، فقام عثمان فقال : يا رسول الله ، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حضّ على الجيش ، فقام عثمان بن عفان فقال :  
عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل على المنبر ، وهو يقول : ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه ؟»

أخرجه الترمذي

## عثمان بن عفان

رضي الله عنه

من المؤمنين الأوائل الذين سارعوا إلى دعوة الاسلام .

وصهر الرسول ﷺ تزوج رقية وولد له منها غلام سماه عبد الله وتكنى به ،  
وبلغ عبد الله ست سنين ففقره ديك على عينيه فرض ومات .

ومات رقية . فزوجه الرسول ﷺ أم كلثوم فماتت عنده أيضاً ، فقال رسول الله  
ﷺ لو كانت عندي ثلاثة زوجتها عثمان .

وأكثر الناس حياء وأصدقهم .

يقول الرسول ﷺ :

«أصدق الناس حياء عثمان» .

وتقول السيدة عائشة — رضي الله عنها — : استأذن أبو بكر يوماً على رسول  
الله ، وكان الرسول مضطجعاً وقد انحسر جلبابه عن إحدى ساقيه ، فأذن لأبي بكر  
فدخل وأجرى مع الرسول حديثاً ثم انصرف .

وبعد قليل جاء عمر فاستأذن فأذن له ، ومكث مع الرسول بعض الوقت ثم  
مضى . وصادف أن جاء بعدهما عثمان ، فاستأذن ، وإذا الرسول يتبهاً لمقدمه فيجلس

بعد أن كان مضطجعاً ويسبل جلبابه فوق ساقه المكشوفة ، ويقضي عثمان معه بعض الوقت ثم ينصرف .

وبعد انصرافه — تسأل عائشة الرسول ﷺ قائلة : يا رسول الله لم أرك تهيأت لأبي بكر ولا لعمر كما تهيأت لعثمان ؟ .

فيقول الرسول عليه السلام :

« إن عثمان رجل حسي ، ولو أذنت له وأنا مضطجع لاستحيا أن يدخل ولرجع دون أن أقضي له الحاجة التي جاء من أجلها . يا عائشة ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ » (١) .

والده : عفان بن أبي العاص بن أمية .. من عظماء الرجال في الجاهلية ، ومن أشرف القبائل في قريش وكانت حرفته التجارة .. وأوشكت هذه الحرفة أن تقضي عليه وكان معه ابنه عثمان . من ذلك :

« أن الفاكه بن المغيرة ، وعوف بن عبد عوف . وعفان بن أبي العاص قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة كان هلك باليمن إلى ورثته .

فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه .

فقتل عوف بن عوف والفاكه بن المغيرة .

ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان (٢) .

(١) رواه مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة فضائل عثمان — رضي الله عنه — وذكره صاحب جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ٨ ص ٦٣٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٦ — ٥٧ .

وعاش عثمان — رضي الله عنه — ليكون له هذا الشأن الكبير في دعوة الاسلام .. فإذا كانت الهجرة كان من أوائل المهاجرين .

وإن كان البذل قدم الكثير من نفسه وماله .

وإن كانت المعارك فهو المقاتل الشجاع ، والفارس الذي يبحث عن الشهادة ويطلبها .

إنه أحد المبشرين بالجنة ، ومن الصفوة المختارة التي صاحبت الرسول ﷺ في حياته . وأحد رجال الشورى الستة .

فإذا بلغ الكتاب أجله وتوفي رسول الله ﷺ أصبح عثمان جندياً من جنود الخليفة ، يشاركه المسؤولية ويقدم له الرأي والنصيحة — وبذل الكثير مع الخليفة أبي بكر الصديق — حتى استطاع أن يقضي على الردة وتعود الجزيرة العربية مرة أخرى إلى رحاب الاسلام .

وعندما جاء عمر : لم يتخلف عن صفوف المسلمين .. ولم يبخل بكل ما يملك لتجهيز جيوشهم ، وتقديم المساعدة لهم ، والعمل معهم لدعوة الاسلام ونصرة دين الله ..

هذا هو عثمان بن عفان — رضي الله عنه — ولكن من قبل ذلك ومن بعده كيف عرف الاسلام طريقه الى قلبه ؟ .

وكيف كانت استجابته لتلك الدعوة ؟ هذا ما نجلي حقيقته بإذن الله .

إسلامه رضي الله عنه..

كان في أرض بعيدة على مشارف الشام بغية التجارة وبحثاً عن الرزق، وكان معه في هذه الرحلة رفيقه وصديقه — طلحة بن عبيد الله — رضي الله عنه، وكانا يكدحان في تلك البلاد، ويفتشان عن عروض التجارة، وبعد طول الجهد والمشقة في هذا العمل، يعودان إلى بستان من تلك البساتين الياقة التي كانت تغطي تلك المنطقة في ذلك الحين.

يقول عثمان رضي الله عنه :

« وبيننا نحن بين اليقظة والنمام إذا مناد ينادينا أيها النيام هبوا فإن محمداً قد خرج بمكة ».

وتكرر لنا هذا النداء. واحتفظ كل منا لنفسه بما سمع.

ولم يحاول أي منا أن يعرض على أخيه هذا السماع خشية ألا يكون قد سمع شيئاً. وحفرت هذه الكلمات في ذاكرة كل منها وشغلت نهاره وأرقت ليله، ولم يعد في استطاعتها البقاء في تلك البلاد.

فأخذوا يعدان العدة للرجوع إلى مكة.

وعند كل منها شوق يريد أن يعرف حقيقة ما سمع.

وما كادا يضعان أقدامهما على أرض مكة — ويصلان إلى البيت الآمن حتى وصلت إلى آذانها همهمات وأحاديث. تؤكد حقيقة ما سمعه كل منها في تلك المشارف البعيدة.

يقول عثمان — رضي الله عنه — :

« أخذت بيد طلحة واتجهنا إلى رسول الله ﷺ فعرض علينا الاسلام وقرأ علينا القرآن، وأنبأنا بحقوق الاسلام، ووعدنا الكرامة من الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٥.

فأما وصدقنا .

لقد أسلم عثمان — رضي الله عنه — وأعلن عن اسلامه ، وتسامعت قريش بمتابعة عثمان لرسول الله ﷺ . فماذا تفعل قريش لعثمان ؟ .

إن صناديد مكة وطغاتها لن يستطيعوا أن ينالوا من عثمان ، وإلا لورمت من أجله الأنوف ، وغضبته له السيوف . ولكن أترضى بنو أمية بما فعله أحد أفرادها ؟ . وهي التي تتولى حماية الأصنام وعبادة البهتان ؟ . ومحاربة محمد وأتباعه ..

لا لن تسمح لعثمان بذلك . ولا بد أن يناله ما نال غيره من الصابئين الذين يتابعون محمداً فيما جاء به ، من دعوة التوحيد ، والنيل من أصنامهم والسخرية من معتقداتهم ..

هكذا قرر صناديد مكة في دار الندوة .

وبعد هذا القرار اتجه إلى عثمان عمه الحكم بن أبي العاص فأوثقه رباطاً وقال :  
أترغب عن ملة آباؤك إلى دين محدث ..

والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين .

فقال عثمان : « والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه »<sup>(١)</sup> .

لقد رأى عثمان النور فكيف يعود إلى الظلام ؟ . وتكشفت عن عينيه الحجب البغيضة التي كانت تردى بهم إلى عبادة ما لا يضر ولا ينفع ..

فهل يعود مرة أخرى إلى العماية ؟ .

لا ، محال أن يكون ذلك — ولتفعل قريش ما بدا لها .

وعندما رأى الحكم صلابته في دينه تركه وشأنه .

لكن قريشاً لم تتركه .. وأخذت تتعقب خطواته ، وتحصي أنفاسه وتضيق الخناق

عليه ومن معه من المؤمنين .

أين المفر إذن .. وكيف الخلاص من هؤلاء ؟ .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥٥ .

أعلنون الحرب على قريش .. إنهم قلة — حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تكاثر عليه سفهاء مكة وأرادوا النيل منه ، والله لو كنا أربعائة رجل لتركتموها لنا أو تركناها لكم» (١) .

حتى ولو بلغوا هذا العدد — فالرسول ﷺ لم يأمرهم بقتال ولم ينزل القرآن بذلك .

إذن كيف يفوتون على قريش أغراضها ، ويسلمون من نارها وسياطها ، التي تشوى بها أجسادهم ، وتجلد بها أبقارهم ؟

وجاء أمر الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ، الهجرة إلى أرض آمنة يأمن فيها الانسان على عرضه وماله ودينه .

إن فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد .

إذن هذا هو الطريق ، ولا طريق غيره في هذا الوقت .

وهاجر عثمان إلى أرض الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ واطمأنوا في تلك الديار البعيدة ، وأخذوا في تصفية نفوسهم وتطهيرها والتبتل إلى الله تعالى بما معهم من آيات الكتاب العزيز .

وقام النجاشي ملك الحبشة — في ذلك الوقت — بما يفرضه عليه واجب الضيافة واهتم كثيراً بأمرهم ، وحاول التقرب من بعضهم .

واستمر عثمان في تلك البلاد مع زوجته . حتى أشاعت قريش أنها تابعت محمداً فيما يدعوها اليه ، وأسلمت وجهها لله ، فعاد المهاجرون إلى أوطانهم وأوشك الجهد أن يستريح .. ولكن عند عودة عثمان أحس أن قريشاً لا زالت على كفرها وأن صناديدهم ما زالوا على طغيانهم .

فماذا يفعل أيعود مرة أخرى إلى الحبشة ؟

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ .

أبحث عن موطن آخر يأويه وزوجته ؟ . ولم يطل أمر هذه الفترة فقد أذن الرسول ﷺ بالهجرة الى يثرب .

نعم يثرب أرض الأنصار والأبطال .

يثرب : التي ستجيش الجيوش ، وترعى على ثراها النفوس ، ثم تخرج إلى بقاع الأرض الواسعة لنشر دين الله وإعلاء كلمة الحق .

واستقر المقام بعثان في المدينة بجوار رسول الله ﷺ يستني من نبع النبوة ويتفقه في دينه .

ويأتي أول حادث للمسلمين ليبرز فيه دور عثمان — رضي الله عنه — كجندي من جنود الدعوة . ومسلم باع نفسه وماله في سبيل الله .

ونقول : لقد كان لليهود في المدينة باع طويل ، وكانت لهم مكانة وثروات توصلها اليهما بسبب ما كان بين الأوس والخزرج من عداوة وبغضاء ، فكان هؤلاء اليهود يحاولون التقرب إلى كل فريق منهم على حدة ، ويستغلون ذلك في إعلاء مكانتهم وجمع ثرواتهم .

وكان لأحدهم بئر ماء تدر عليه أرباحاً كثيرة ويحتكر ماءها على المسلمين ويسلب في ذلك أموالهم .

وشكى كثير من المسلمين إلى رسول الله ﷺ جشع هذا اليهودي الذي يبيعهم قطرات الماء بأغلى ما يملكون .

عندها جمع رسول الله ﷺ المسلمين وعرض عليهم هذا الأمر قائلاً لهم من يشتري بئر رومة للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم ، وله بها مشرب في الجنة (١) ؟ .

(١) رواه الترمذي من حديث عبد الرحمن السلمي .



فأتى عثمان اليهودي فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشتري نصفها باثني عشر ألف درهم . فجعله للمسلمين .

فقال له عثمان — رضي الله عنه — إن شئت جعلت على نصيبي قربتين ، وإن شئت فلي يوم ولك يوم .

قال : بل لك يوم ولي يوم .

فكان إذا كان يوم عثما ، استقى المسلمون ما يكفيهم يومين .

فلما رأى ذلك اليهودي قال :

«أفسدت علي زكيتي فاشتري النصف الآخر»<sup>(١)</sup> .

فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

.. فعل عثمان ذلك — واشتري هذه البئر لتكون خالصة للمسلمين — في موطنهم الحديد ، إن المال الذي يبذل في سبيل الله وصالح المسلمين لن يضيع هباء ، ولكن الله سبحانه وتعالى يضاعف للمنفقين في سبيله ولخير عباده الحسنة بعشرة أمثالها .

قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن شراء بئر الماء هي كل ما فعله عثمان — رضي الله عنه .

وإنما هناك شيء آخر .. من ذلك أنه عندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، كانت من أوائل الأشياء التي شغلت الرسول — هو بناء المسجد ، وعرف المسلمون — هذا الأمر فأخذوا جميعاً في العمل على بنائه — وعمل فيه رسول الله

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ترجمة عثمان بن عفان .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

بنفسه ليرغب المسلمين في العمل فيه . فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه  
فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منا العمل المضلل

فارتجز المسلمون وهم يبنونه ، ويقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة

اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

وارتجز عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :

لا يستوي من يعمر المساجد

يبدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يُرى عن الغبار حائدا<sup>(١)</sup>

وتم بناء المسجد وأصبح للمسلمين المكان الذي يتفقّه فيه المسلمون ، وتقضى فيه  
الأموار ، وتجيّش الجيوش . ويخرج الدعاة إلى دين الله تعالى : ولكن هذا المسجد  
الذي كان يسع المسلمين في بداية هجرتهم . أخذ يضيق بالمسلمين ، بعد أن دخل  
الناس في دين الله أفواجا ، وأحس الرسول ﷺ أن المسلمين يضيق بهم مسجدهم  
— وبعضهم لا يجد مكاناً يصلي فيه .. فقال عليه السلام :

« من يزيد في مسجدا »<sup>(٢)</sup> .

إنها دعوة للتبرع والبذل في أمر عام يخص جماعة المسلمين . وما كاد عثمان رضي  
الله عنه يسمع ذلك من رسول الله ﷺ حتى سارع بماله واستجاب لدعوة القائد  
الأعلى والرسول الكريم واشترى موضع خمس سوار . . قطعة أرض كبيرة ويقدمها

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ — ١١٥ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٤٠ .

لرسول الله — ليوسع بها المسجد فتقبلها منه رسول الله والمسلمون بقبول حسن —  
وعاش عثمان في المدينة جندياً من جنود الدعوة.

### عثمان وبيعة الرضوان ..

.. وفي ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ من المدينة  
يريد العمرة.

واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو  
يخشى من قريش الذين صمموا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وساق  
معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، ولتعلم قريش أنه إنما خرج زائراً  
لهذا البيت ومعظماً له :

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان «بُعثان» لقيه بشر بن سفيان الكعبي .

فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العودُ  
المطافيل ، قد لبسوا جلود النور وقد نزلوا بذي طوى ، يماهدون الله لا تدخلها عليهم  
أبدًا .

وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغنم .

فقال رسول الله ﷺ :

«يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر  
العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في  
الاسلام وأفرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش فوالله لا أزال  
أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

فقام رجل من أسلم وقال : أنا يا رسول الله .

فسلك بهم طريقاً وعرأ بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين  
وأفضوا إلى منقطع الوادي قال رسول الله ﷺ للناس :  
«قولوا نستغفر الله ونتوب إليه» .

فقالوا ذلك .

فقال : «والله إنها الحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها» (١) .

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المزار بركت ناقته فقال الناس :  
خلأت الناقة .

فقال عليه السلام : ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس القيل عن  
مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم  
إياها» .

ثم قال للناس : انزلوا .

قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي ماء يتزل عليه .

فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك  
القلب ففرزه في جوفه فخرج بالماء الكثير .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيْل بن ورقاء في رجال من خزاعة فكلّموه  
وسألوه ما الذي جاء به ؟ .

فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة . فرجعوا  
إلى قريش فقالوا :

«يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء  
زائراً لهذا البيت .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦١ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٠ .

فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون. وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتلاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا تحدث بذلك عنا العرب.

ثم تابعت رسل قريش على رسول الله ﷺ ومنهم عروة بن مسعود الثقفي، الذي عاد لقريش بعد مقابله رسول الله فقال لهم:

«يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه وقبصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم؟»<sup>(١)</sup>.

ثم إن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له.

فقال عمر: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني كعب أحد يمني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني.

من يكون هذا الرجل الذي هو أعز عند قريش من عمر؟

من الذي يصلح لهذه السفارة؟

من ترى يقوم برسالة رسول الله ﷺ؟

ونطق عمر أمام رسول الله باسم من يصلح لهذا كله. قال عمر: هو عثمان بن عفان يا رسول الله.

وأمر رسول الله على قول عمر. وطلب عثمان.

ولما جاء قال له الرسول عليه السلام اذهب إلى أبي سفيان وأشراف قريش وأخبرهم أنني لم آت لحرب وإنما جئنا زائرين لهذا البيت ومعظمين لحرمة.

واستجاب عثمان لأمر رسول الله ﷺ.

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٣ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٢.

وانجه إلى مكة ولما بلغ مشارفها لقيه أبان بن سعيد بن العاص ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ لأبي سفيان وعظماء قريش فقالوا له حين فرغ من رسالته :

« إن شئت أن تطوف بالبيت فطف » .

فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ .

وانتهت المقابلة عند هذا الحد .

ولكن قريشاً لم تسمح له بالعودة واحتبسته عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل .

أتقدم قريش على قتل رسول من أرسله رسول الله ؟ .

ولماذا تركب قريش رأسها إلى هذا الحد مع رجل لا يريد حرباً ولا يبغي قتلاً ؟ .

وهل يسكت رسول الله على هذا العمل ؟ . محال أن يكون ذلك إذن لا بد من قتال قريش التي تصد عن بيت الله الحرام والأخذ بئار عثمان منها ثم قال الرسول لأصحابه :

« لا نبرح حتى نناجز القوم » <sup>(١)</sup> .

.. فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة التي جاء ذكرها في القرآن قال تعالى :

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ومهديكم صراطاً مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وهو الذي كف

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٠٣ .

أيديهم عنكم وأيديكم عنهم يظن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً. هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرفة غير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء ولو تریلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً ﴿١﴾

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ، ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ ﴿٢﴾

«واتي لأحاول اليوم من وراء ألف وأربعمائة عام أن استشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العلي العظيم إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين ، أحاول أن استشرف صفحة الوجود في تلك اللحظة وضميره القوي وهو يتجاوب جميعه بالقول الإلهي الكريم ، عن أولئك الرجال القائمين إذ ذاك في بقعة معينة من هذا الوجود ، وأحاول أن استشعر بالذات شيئاً من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بأذانهم ، أنهم هم بأشخاصهم وأعيانهم يقول الله عنهم : لقد رضي عنهم ، ويحدد المكان الذي كانوا فيه والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضى « إذ يبايعونك تحت الشجرة » يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق على لسان ربه العظيم الجليل .

يا الله كيف تلقوا — أولئك السعداء — تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي ، التبليغ الذي يشير إلى كل أحد في ذات نفسه ، ويقول له : « أنت أنت بذاتك يبلغك الله لقد رضي عنك ، وأنت تباع تحت الشجرة وعلم ما في نفسك فأنزل السكينة عليك » ﴿٣﴾

(١) سورة الفتح : الآيات ١٨ — ٢٥ .

(٢) سورة الفتح الآية ١٨ — ٢٥ .

(٣) في ظلال القرآن — المجلد السابع ص ٥٠٤ .

ولم يبايع عثمان لأنه كان محبوساً في مكة كما قلنا سابقاً .  
ولكن أبحرم من هذه النعمة التي حظي بها أتباع محمد ﷺ في تلك الآونة ؟  
إن عثمان استجاب لأمر الرسول وخاطر بنفسه ، وتقدم لقريش ، وهو يعلم أن في ذلك قد يكون الموت المحقق .

ولكن كم تساوي نفسه في سبيل إعلاء كلمة الله ؟  
إن ربح عثمان سيكون كثيراً إذا نجح في حقن الدماء بين الرسول وقريش ثم أقدم على تلك المخاطرة .

ومن هنا كانت مكافأة الرسول ﷺ لعثمان تربو على كل المكافآت . وتعادل بيعته كل بيعة تمت بين الرسول وصاحبها في هذا اليوم . لأن الرسول ﷺ بايع عن عثمان . فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

إن الرسول ﷺ أعرف برجاله الذين يحيطون به .. وعثمان — رضي الله عنه — من الرجال الأفاضل الذين يستحقون أن يبايع عنهم رسول الله ﷺ .. لأنه لم يمتص على بيعة الرضوان ثلاثة أعوام حتى دعا الرسول ﷺ المسلمين للتجهيز لغزو الروم .. وهنا يبرز دور عثمان — رضي الله عنه — في تلك الغزوة .. كنموذج فريد من تلك النماذج التي تربت على مائدة القرآن .

لقد كان من ظروف تلك الغزوة أن هرقل ملك الروم ومن معه من منتصرة العرب وقد عقدوا العزم على غزو المسلمين في المدينة .

وعلم عليه السلام بذلك فأمر المسلمين بالتجهيز لهذه الغزوة — وكان الحرّ شديداً والبلاد مجذبة ، والناس في عسرة — ودعاهم للاتفاق في سبيل الله فأنفق أهل الغنى وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله .

ثم جاء دور عثمان رضي الله عنه :

يقول عبد الرحمن بن خباب — رضي الله عنه :



شهدت رسول الله ﷺ وهو يحث على تجهيز جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال :

يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله .

ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال :

يا رسول الله عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله .

ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال :

عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله .

فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول :

« ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه ... » (١)

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال :

جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار ، فرأيت النبي يقبلها في حجره ويقول :

« ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم — مرتين » (٢) .

واستمر عثمان على ذلك مع رسول الله ﷺ ومع صاحبيه من بعده حتى طعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فلم يولّ خليفة بعده ولكنه ترك الأمر شورى بين جماعة من المسلمين رأى أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض .

وكان عثمان أحد رجال الشورى الستة في اختيار خليفة للمسلمين وحدد لهم عمر قبل موته مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام — ومضت الأيام الثلاثة — ووقع الاختيار على عثمان ليكون الخليفة الثالث — رضي الله عنه .

(١) رواه الترمذي في المناقب ، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه .

(٢) رواه الترمذي في المناقب ورواه أيضاً أحمد في المستد ٦٣ / ٣ واسناده حسن .

## بيعة عثمان رضي الله عنه

.. كيف تمت البيعة لعثمان رضي الله عنه ..؟

هل تمت بيعته كما تمت بيعة الخليفة الأول أبي بكر الصديق — رضي الله عنه ؟.

أم كان ذلك عن طريق التعيين كما حدث لعمر — رضي الله عنه ؟.

أم أن بيعة عثمان تختلف عن بيعة الخليفين السابقين ؟.

للإجابة على ذلك علينا أن نعود إلى ما قبل البيعة وعلى وجه التحديد في حياة

عمر بن الخطاب — رضي الله عنه .

يقول صاحب كتاب الطبقات :

كان عمر بن الخطاب وهو صحيح أن يُسأل أن يستخلف فيأبى ، فصعد يوماً إلى

المنبر فتكلم بكلمات وقال :

« إن مت فأمركم إلى هؤلاء الستة الذين فارقوا رسول الله ﷺ وهو عنهم

راض .

عليّ بن أبي طالب ، ونظيره الزبير بن العوام .

وعبد الرحمن بن عوف ، ونظيره عثمان بن عفان .

وطلحة بن عبيد الله ونظيره سعد بن مالك .

ألا وإني أوصيكم بتقوى الله في الحكم ، والعدل في القسمة»<sup>(١)</sup> .

فلما طعن عمر تحدث إلى المهاجرين فقال :

« يا معشر المهاجرين الأولين : إني نظرت في الناس ، فلم أجد شقاقاً ولا نفاقاً ،

فإن يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم . تشاوروا ثلاثة أيام فإن جاءكم طلحة إلى

ذلك وإلا فاعزم عليكم بالله ألا تفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم ،

فإن أشرتم بها إلى طلحة فهو لها أهل .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٦٦ — ٦٧ .

وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة الأيام التي تشاورون فيها ، فإنه رجل من الموالي لا ينازعكم ، وأحضروا معكم شيوخ الأنصار ، وليس لهم من أمركم شيء ، ويحضر معكم الحسن بن علي ، وعبد الله بن عباس ، فإن لهما قرابة ، وأرجو لكم البركة في حضورهما ، وليس لهما من أمركم شيء ، ويحضر ابني عبد الله مستشاراً ، وليس له من الأمر شيء .

قالوا : يا أمير المؤمنين إن فيه للخلافة موضعاً ، فاستخلفه فإننا راضون به ، قال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة .

ليس له من الأمر شيء ، ثم قال : يا عبد الله إياك أن تتلبس بها .

ثم قال : إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وإن استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما ، وإن استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكوا إلى ابني عبد الله ، فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فإن أوى الثلاثة ذلك فاضربوا أعناقهم .

فقالوا : قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة ، نستدل فيها برأيك ونقتدي به .

فقال : والله ما يمنعني من أن استخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب .

وما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة .

وما يمنعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب ، وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكبره ، ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته .

وما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك وحبك قومك وأهلك ، وما يمنعني منك يا علي إلا حرصك عليها . وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين والصراف المستقيم<sup>(١)</sup> .

(١) الإمامة والسياسة جزء ١ ص ٢٣ .

هذا ما قاله عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — لهؤلاء النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

ولكن رفض أمير المؤمنين أن يحمل تبعها حياً أو ميتاً.

ولهذا ترك الأمر بينهم شورى — شورى محددة مقيدة — شريطة ألا تتجاوز ثلاثة أيام.

وهذه أقصى مدة — في نظر عمر بن الخطاب — يمكن أن يقضيها المسلمون من غير خليفة..

ثم مات عمر — رضي الله عنه —.

فاذا كان من مجلس الشورى، وكيف تمت بيعة عثمان — رضي الله عنه؟.

### مجلس الشورى

اجتمع القوم، جَمَعَهُمُ المَقْدَادُ بنُ الأَسودِ في بيت عائشة بإذنها، وجاء عمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، فجلسا بالباب، فحصبها سعد بن أبي وقاص وأقامها وقال:

«أتريدان أن تقولاً حضرنا وكنا في أهل الشورى»؟.

ثم تشاورا ثلاثة أيام، فلم يبرموا فتياً، فلما كان اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أي يوم هذا؟. هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ألا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم.

قالوا: أجل.

قال: فإني عارض عليكم.

قالوا: وما تعرض؟

قال: أن تولوني أمركم، وأهب لكم نصيبي فيها، وأختار لكم من أنفسكم.

قالوا : قد أعطيناك الذي سألت .

فلما سلم القوم ، قال لهم عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم .

فجعل الزبير أمره إلى عليّ .

وجعل طلحة أمره إلى عثمان .

وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن بن عوف .

وخرج عبد الرحمن يتلقى الناس في أنقاب المدينة ، متشماً لا يعرفه أحد فما ترك أحداً من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعاف الناس وزعاعهم إلا سألمهم واستشارهم .

أما أهل الرأي ، فأتاهم مستشيراً ، وتلقى غيرهم سائلاً يقول : من ترى الخليفة بعد عمر؟ .

فلم يلق أحداً يستشيريه ويسأله إلا ويقول عثمان .

ثم جمع أصحاب الشورى فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق ، لئن بايعتك لتقيم كتاب الله وسنة رسوله ، وسنة صاحبك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك .

فلما تم له ذلك ، أخذ بيد عثمان فقال له : عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيم كتاب الله وسنة رسوله ، وسنة صاحبك ، وشرط عمر ألا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس؟ .

فقال عثمان : نعم .

ثم أخذ بيد عليّ فقال له : أباعك على شرط ألا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس؟ .

فقال عليّ : ما لك ولهذا إذا قطعها في عني؟ . فإن عليّ الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأسنة استعنت بها ، كان في بني هاشم أو غيرهم .

قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط .

قال عليّ: والله لا أعطيكه أبداً.

فتركه.

وخرج عبد الرحمن بن عوف إلى المسجد ، فجمع الناس ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان .. فلا تجعل يا علي سبيلاً إلى نفسك ، فإنه السيف لا غير . ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً .

وتمت البيعة لعثمان — رضي الله عنه .

واستراح المسلمون لاختيار خليفة لهم — خليفة يعرفون الكثير من طبائعه فهو التقي الورع الحبي الخجل ، الذي تخجل منه الملائكة كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

«أرحم أمتي أبو بكر..»

وأشدها في دين الله عمر .

وأشدها حياء عثمان .»

فماذا سيفعل ازاء هذه الأعباء الثقيلة التي ألقيت عليه ؟ .

وماذا تكون سيرته مع المسلمين ؟ .

وهل سيقتى على العهد الذي أخذه عليه عبد الرحمن بن عوف والذي يتمثل في شرط عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ألا يجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس ؟ . هذا ما نرى عند حديثنا عن عثمان والفتنة بمشيئة الله .

## عثمان — رضي الله عنه — والفتنة

.. من كان وراء الفتنة التي شنت أمر المسلمين وفرقت جماعتهم؟

أعني الفتنة التي قتل فيها عثمان بن عفان — رضي الله عنه؟

وقتل فيها علي بن أبي طالب — رضي الله عنه؟

ولف جماعة المسلمين ليز داج لفترة طويلة، وتحولت فيها خلائقهم إلى ملك  
عضوض ..

أكان ذلك لشيء في طبيعتهم وجبلتهم؟

محال أن يكون ذلك — لأن الطبيعة التي تقبلت القرآن الكريم وعملت به ،  
وطبقته على حياتها لا يمكن أن يصدر منها ذلك؟

أكانت الفتنة من خارج بلادهم تعمل بحذر وحكمة للنيل من المسلمين وتوهين  
ملكهم وإضعاف شوكتهم؟

وبذلك ينشغل هؤلاء الرجال بالجهاد في الداخل عن الفتوحات في الخارج . إن  
هناك دلائل كثيرة تشير إلى الأيادي الخفية التي كانت تعمل في جنح الظلام بالدهس  
والوقعة لهذه الأسباب ..

أم أن أسباب الفتنة ترجع أولاً وأخيراً إلى هؤلاء الرجال الثلاثة الذين كانوا  
يحيطون بعثمان — رضي الله عنه — حتى أقام منهم ولاة ومستشارين ونعني بهم :

مروان بن الحكم .

الوليد بن عقبة .

عبد الله بن أبي سرح .

الحقيقة أن هذه الأسباب مجتمعة كانت من وراء تلك الفتنة وعملت على إشعال  
لهبها واضطرام نارها ...

ويطيب لنا أولاً أن نلقي بعض الأضواء على كبار الرجال الذين كانوا يحيطون  
بعثمان — رضي الله عنه :

أما أولهم وهو مروان بن الحكم : فإن رسول الله ﷺ كان قد نفى أباه الحكم  
إلى الطائف ومعه ابنه مروان فلم يزل بها حتى ولي عثمان . فرده فقدم المدينة وتوفي فيها  
فاستكتب عثمان مروان وكتب له ، فاستولى عليه إلى أن قتل عثمان .

ونظر إليه علي بن أبي طالب يوماً فقال له : « ويلك وويل أمة محمد منك ومن  
نبيك ، وكان مروان يقال له خيط باطل » (١) .

أما الثاني : فهو الوليد بن عقبة من الطلقاء أسلم يوم فتح مكة وقد بعثه النبي  
ﷺ مصدقاً إلى بني المصطلق ، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعهم الصدقة فبعث  
اليهم النبي ﷺ خالد بن الوليد فوجدهم على الإسلام لم يغيروا شيئاً .

وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا  
على ما فعلتم نادمين ﴾ (٢) .

وفي خلافة عثمان تولى إمارة الكوفة وكان عبد الله بن مسعود — رضي الله  
عنه — على بيت مال الكوفة ، فاستقرض من بيت المال مالا .

فأقرضه ابن مسعود إياه .

فلما طالبه ابن مسعود بما أقرضه ، مرة ومرة كتب إلى عثمان يشكو ابن مسعود  
وإلحاحه في طلب ما أقرض من بيت المال .

فكتب عثمان إلى ابن مسعود : إنما أنت خازن لنا فلا تتعرض للوليد فيما أخذ من  
المال .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٣٨٧ .

(٢) سورة الحجرات الآية ٦ .



فطرح ابن مسعود مفتاح بيت المال وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لي في ذلك؟»

وبقي ابن مسعود في الكوفة.

فلم يسترح كثيراً الوليد بن عقبة لوجوده بمجواره، فكتب إلى عثمان: إن ابن مسعود يعينك ويطعن عليك.

فكتب عثمان إلى الوليد يأمره بإشخاص ابن مسعود إلى المدينة، فاجتمع أهل الكوفة إلى ابن مسعود وأرادوا أن يمنعوه وقالوا له:

«أقم ونحن نمنعك أن يصل اليك شيء نكرهه».

فقال: إن له عليّ حق الطاعة، ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن.

ثم خرج ابن مسعود من الكوفة، فلما قدم المدينة، دخل المسجد، وعثمان يحطّب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه عثمان قال:

«ألا إنه قدمت عليكم دؤيبة سوء».

فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان.

وسمعت عائشة هذا القول من عثمان، فنادت وهي في حجرتها:

«أي عثمان: أتقول هذا لصاحب رسول الله؟».

ثم أمر عثمان بابن مسعود فأخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً.

فقال علي: يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟

فقال عثمان: ما يقول الوليد فعلت هذا، ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة، فقال له ابن مسعود:

«إن دم عثمان حلال».

فقال عليّ: أحلت على زيد.. على غير ثقة؟

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله.

وأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد الغزو فلم يأذن له.

وقال له مروان بن الحكم: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق، أفتريد أن يفسد عليك الشام؟

فلم يرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: «ما تشتكي؟»

قال ابن مسعود: ذنوبي.

قال عثمان: فما تشتهي؟

قال ابن مسعود: رحمة ربي.

قال عثمان: ألا أدعوك طيباً؟

قال ابن مسعود: الطيب أمرضني..

قال: أفلا آمر بعطائك؟

قال: منعنيته وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه؟

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله.

قال عثمان: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

وأوصى ابن مسعود أن يصلي عليه عمّار بن ياسر، وألا يصلي عليه عثمان،

فدفن بالبقيع، وعثمان لا يعلم، فلما علم غضب، وقال: سبقتوني به.

فقال عمار بن ياسر: إنه أوصى ألا تصلي عليه..»<sup>(١)</sup>  
إننا لا نميل كثيراً إلى تصديق ما في هذه الروايات.. ونقبل عليها بتحفظ شديد،  
ونتره صحابة رسول الله ﷺ عن كثير من هذه الأشياء..  
وحتى مع قبولنا لما فيها.. نجد أن هناك مجموعة من الناس كان يهمها كثيراً أن  
يصل الأمر إلى ما وصل إليه.  
نقول: بأن من كانوا يحيطون بعثمان — رضي الله عنه — كانوا يدسون عليه  
أشياء كثيرة.

من ذلك ما ذكره الوليد بن عقبة لعثمان: بأن ابن مسعود يعيبه ويطن عليه.  
وما ذكره زيد بن الصلت: بأن ابن مسعود قال: «دم عثمان حلال» ومحال أن  
يذكر ابن مسعود ذلك في حق عثمان.

وهو يعلم قول الله تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما  
قتل الناس جميعاً﴾<sup>(٢)</sup>.

وقول الرسول ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله».  
وابن مسعود من قبل هذا ومن بعده رجل معلّم كما أخبر بذلك سيد الخلق  
رسول الله ﷺ.

والثالث: عبد الله بن أبي السرح.  
كان من كتّاب الوحي. ثم ارتد مشركاً، وعاد إلى مكة — قبل الفتح —  
واجتمع إلى قريش يحدثهم الكذب عن رسول الله ﷺ.

وفي عبد الله هذا قول الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو  
قال أوحى إليّ ولم يُوحَ إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٣.

فلما كان يوم الفتح أهدر الرسول دمه فقال :  
« من أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن جنح إلى الكعبة وألقى السلاح فهو آمن  
ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . غير عدو الله بن أبي السرح » .  
وقد شفع له عثمان عند رسول الله — وجاء به اليه ، فأعرض عنه ثلاث مرات  
ثم قال لعثمان :

« نعم » .

فلما انصرف عثمان قال النبي لأصحابه : ما صمت إلا ليقوم اليه بعضكم فيضرب  
عنقه .

فقالوا : هلا أوامات الينا؟ .

فقال : إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة أعين<sup>(١)</sup> .

ثم ولاه عثمان — رضي الله عنه — ولاية مصر .

فسار فيهم على غير ما يأمر به الكتاب والسنة .

فخرج من مصر جماعة واتجهوا نحو المدينة ، يشكون ابن أبي سرح واستمع عثمان  
إلى شكائهم .

وكتب اليه كتاباً يهدده فيه ويأمره أن يسير فيهم سيرة حسنة .

وعاد المصريون مرة أخرى إلى مصر يحملون خطاب عثمان . وتقدم به أحدهم إلى  
ابن أبي سرح .

فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان . ولم يكتف بذلك ، بل ضرب وأهان من أتاه  
بكتاب عثمان حتى قتل .

وتسامع الناس بما حدث من واليهم فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل وساروا  
إلى المدينة ونزلوا في مسجد الرسول ﷺ .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٩ ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن الفضل .

وشكوا إلى صحابة رسول الله ما صنع بهم ابن أبي سرح .  
فقام طلحة وتناوله بكلام شديد .

وأرسلت عائشة — رضي الله عنها — إلى عثمان تقول له :

« قد تقدم اليك أصحاب رسول الله ، وسألوك عزل هذا الرجل فأنصفهم من  
عاملك » .

ودخل عليه علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — وكان متكلم القوم فقال له :

« إنما يسألونك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قلبه دماً فأعزله عنهم وأفض  
بينهم ، فإن وجب لهم عليه حق فانصفهم منه .

فقال عثمان رضي الله عنه :

اختاروا رجلاً أوليه عليهم <sup>(١)</sup> .

فقالوا : استعمل محمد بن أبي بكر .

فكتب عهده ، وولاه ، وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما  
بين ابن أبي سرح وأهل مصر .

فخرج محمد ومن معه ، حتى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة إذا هم  
بغلام أسود على بعير ، يخط البعير كأنه رجل يطلب أو يُطلب .

فقال له أصحاب محمد : ما قصتك ؟ وما شأنك ؟ . كأنك طالب أو هارب .

فقال : أنا غلام أمير المؤمنين ، وجهني إلى عامل مصر .

فقال له رجل : هذا عامل مصر معنا .

قال : ليس هذا أريد .

فأخبر محمد بأمره فبعث فجاء به إليه .

فقال له : غلام من أنت ؟ .

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٦ — ٣٧ .

فأقبل مرة يقول : أنا غلام مروان ، ومرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين حتى عرفه رجل أنه لعثمان .

فقال له محمد : إلى من أرسلك ؟ .

قال : إلى عامل مصر .

قال : بماذا ؟ . قال : برسالة . قال أما معك كتاب ؟ . قال : لا .

ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً .

وكانت معه إداوة قد ييست ، فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إداوته فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار ثم فُضَّ الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه :

« إذا أتاك محمد بن أبي بكر ، وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي !! » .

فلما رأوا الكتاب فرعوا منه ورجعوا الى المدينة . وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه إلى رجل منهم ثم قدموا المدينة .

فجمعوا طلحة والزبير ، وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبرهم بقصة الغلام ، وأقرأهم الكتاب ، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وقام بعض الخالصين وقام أصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان وأحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه (١) .

.. من كتب هذا الخطاب إلى عامل مصر ؟ .

أبيكون عثمان هو الذي فعل ذلك ؟ .

محال أن يفعل عثمان هذا ، ويكتب خطاباً إلى عامله في مصر يطلب منه أن يقتل هؤلاء الرجال .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٦٠ - ١٧٠ .

وعثمان رفض أن يُقتل من أجله مسلم واحد أو أن يراق دم انسان.  
فعل عثمان ذلك وهو محاصر وممنوع من الصلاة في المسجد، ومحروم من الماء أن  
يصل إليه. وقال كلمته المشهورة:

«ما أحب أن ألقى الله وفي عني قطرة دم لامرئ مسلم».

وإذا كان ذلك كذلك فهناك يد أخرى فعلت ذلك وكتبت هذا الخطاب وكلفت  
الغلام حامل الخطاب أن يعترض ركب محمد بن أبي بكر ويتحكك بالناس، وكأنه  
يريد أن يقول لهم: إن في الأمر شيئاً وإني أحمل سراً خطيراً، عليكم أن تكشفوه  
وتعرفوه، ألا يدل بفعلاته تلك على أنه موعز إليه بما فعل وأنه مطلوب منه أن يلعب  
تلك اللعبة، حتى يعرف أمره ويكشف السر الذي بين يديه<sup>(1)</sup>.

أليكون مروان هو الذي فعل ذلك وكتب تلك الرسالة؟

لا نعجل بالحكم حتى نستمع إلى تلك الرواية التي يذكرها البلاذري بعد أن  
اجتمع الثائرون بالمدينة وأحاطوا بها.

قال: أتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آتي القوم — أي الذين أجلبوا  
من مصر — فانظر ماذا يريدون؟ ففضى نحوهم. فلما دنا منهم صاحوا به: وراءك لا  
تتقدم فرجع.

ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال: ائت القوم، فادعهم إلى كتاب الله والعنتى  
مما ساءهم.

فلما دنا منهم سلم. فقالوا: ارجع فلست عندنا بأمين ولا مأمون.

فقال له ابن عمر: ليس لهم إلا علي بن أبي طالب.

فبعث عثمان إلى علي، فلما أتاه قال له:

يا أبا الحسن، ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه.

(1) علي بن أبي طالب: الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

قال نعم . ان أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تني لهم ما أضمنه عنك .

قال : نعم .

فأخذ عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظه ، وخرج الى القوم .

فقالوا : وراءك .

قال : لا ، بل أمامي .. تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم ، فعرض

عليهم ما بذل .

فقالوا : أنضمن ذلك عنه ؟ .

قال : نعم .

قالوا : رضينا وأقبل أشرفهم ووجوههم مع عليّ ، حتى دخلوا على عثمان

وعاتبوه فأعجبهم من كل شيء .

فقالوا : اكتب كتاباً بهذا .

فكتب .

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله ، عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين . إن لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه يعطي المحروم ، ويؤمن الخائف ، ويرد المنّي ، ولا يحجر في البعوث ، ويوفر الفيء ، وعليّ ابن أبي طالب ضمير للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في الكتاب .

وشهد على الكتاب : الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن مالك بن

أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت وسهل ابن حنيف وغيرهم . وأخذ

كل قوم كتاباً فانصرفوا»<sup>(١)</sup> .

ونسأل : هل كان عثمان — رضي الله عنه — يعمل بغير ما في كتاب الله وما في

سنة رسوله ؟ . حتى يجدد للقوم عهداً بذلك . يستأنف به ما انقطع من سيرة

الخليفتين السابقين ؟ .

(١) أنساب الأشراف ج ٥ ص ١١١ .



إننا نشك في هذا الكتاب ، وما نراه إلا إحدى الوثائق المزورة التي أريد بها إقامة الأدلة على انحراف عثمان وإدائته .

ثم يمضي البلاذري فيقول :

ثم خرج عثمان فخطب الخطبة التي قال فيها :

«أما بعد أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله وما جئت شيئاً الا وأنا أعرفه ..

وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زلّ فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتأدى في الهلكة .. وأنا أول من اتعظ .. استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه .. الخ .

يقال : فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان ونفراً من بني أمية لم يكونوا شهدوا الخطبة ، فلما جلس قال مروان :

«يا أمير المؤمنين .. أتكلم أم أصمت ؟»<sup>(١)</sup>

فقالت نائلة بنت القرافصة ، امرأة عثمان : لا بل اصمت إنه قال مقالة لا ينبغي له أن يتزع عنها .

فأقبل عليها مروان فقال : ما أنت وذلك وتال منها .

ثم تكلم فقال : يا أمير المؤمنين بأبي أنت وأمي ، والله لو ددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت تمتنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها . ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الخزام الطيبين ، وخلف السيل الزبي وحين أعطى الخطبة الدليلية الدليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها ، أجمل من توبة تخوف منها .. الخ .

إن مروان وبطائه ساعدوا في اشعال هذه الفتنة ، ووصولها الى حد لا تقف عنده ومع هذا كان هناك أيضاً مؤامرات خفية يراد بها النيل من الاسلام ووقوف

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٦٤ .

جيوشه التي أوشكت أن تطبق على الكرة الأرضية من كل جوانبها. ولهذا كانت الدعوة التي وجهت لقادة الجيش والجنود في ذلك الوقت :

« إنكم إنما خرجتم لتجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد ، فإن دين محمد أفسده من خلفكم وتركه ، فاهلوا فأقيموا دين محمد ﷺ » (١).

إنها دعوة الى الجنود بالتوقف عن الزحف الى خارج البلاد ومطالبتهم ان يرغبوا في الجهاد فليكن بينهم .

يقتل بعضهم بعضاً ويسفك بعضهم دماء بعض .

انها دعوة للجنود الذين هم خارج البلاد والذين ساروا وقطعوا تلك الفيافي البعيدة بالعودة الى داخل المدينة .

إنه القعود عن الجهاد .

وإذا كان ذلك كذلك فلمصلحة من يتم هذا؟ .

من المستفيد الأول من بقاء الاسلام بين أهله وذويه ، وهو الذي أرسل الى الناس كافة؟ .

من الذي يهيم ألا تنتشر هذه الدعوة وألا تصل الى تلك الأصقاع البعيدة؟ .

إنهم اليهود ولا شيء غيرهم ! .

وتاريخهم في افساد العقائد وتحريف الكتب السماوية معروف بنص القرآن وحريمهم التي شنوها على أتباع المسيح لا زالت في ذاكرة التاريخ لم تمح بعد وما فعله « بولس » الحاخام اليهودي في تحريف الديانة المسيحية ودعوته الى التلث واطلاقه على عيسى أنه ابن الله لا يحمله انسان

فماذا يريد اليهود من الاسلام؟ .

إن أوثق المصادر تقول :

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٥٤ وما بعدها .

« في ذلك الحين وفي ظروف مريبة وفد على المدينة من اليمن يهودي اسمه عبد الله ابن سبأ — وكنيته ابن السوداء — حيث انتحل الاسلام ، ثم انتحل الغيرة الشديدة على قيمه وحرماته .

وفي المدينة ألقى سمعه المرهف لكل كلمة وكل نبأ .

سمع نقداً بريئاً يوجهه الصحابة لبعض الأخطاء فراح يتبعه ليجمع من شتاته صحيفة اتهام .

حتى اذا جمع مادته وعرف طريقه وأتم رسم خطته ، شرع على الفور في العمل والانجاز .

وأدرك — ابن سبأ — أنه لكي ينشر الاضطراب في الدولة والأمة عليه أن يوجه مبادرته الأولى الى الخليفة ذاته ، وإلى شرعية منصبه كخليفة للمسلمين ، ولكي يتيسر له ذلك لا بد أن يرفع في وجه الخليفة شخصية من الصحابة تضاهي الخليفة في جلاله وأسبقيته .»

هنالك بدأ نشأته المسمومة بهذه العبارة :

« ان لكل نبي وصياً وان علياً «وصي» الرسول ولقد وثب عثمان على أمر هذه الأمة وأخذ الحق من صاحبه .»

وراح يزكي دعوته هذه بطائفة من الأحاديث التي كان الرسول عليه السلام قد أطرى بها «علياً» وزكاه مثل قوله .

« من كنت مولاه فعلي مولاه .»

ومثل دعائه عليه السلام : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .»

وعلى الرغم من أن الإمام علياً كرم الله وجهه لم يكذب بسمعه دعوة ابن سبأ حتى عتقه وسفّهه وحذّر المسلمين من خبث طويته وسوء تدبيره .

نقول بالرغم من ذلك . فإن ابن سبأ ظل سادراً في خطته وانطلق كالريح

السموم يشعل نيران الفتنة في أقطار الاسلام. فرحل الى البصرة ثم الكوفة، ثم الى الشام، ثم الى مصر التي استقر بها طويلاً.

وخلال رحلاته تلك اصطفى من المفتونين به أنصاراً وحواريين أطلقهم هم الآخرين ليطوحوا بفتنته في الآفاق ورسم لهم منهجهم في هذه الكلمات:

«تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس اليكم وابدأوا بالظعن في أمرائكم وقولوا للناس: ان عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق وان علياً وصي رسول الله فانهضوا وردوا الحق الى صاحبه»<sup>(١)</sup>.

ومن عجب أن الفتنة الضارية التي تمادت حتى مقتل عثمان رضي الله عنه سارت وفق هذه الوصايا الثلاث:

فأولاً: لبس المحرضون عليها والمسهمون فيها مسوح الرهبان، ورفعوا شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وثانياً: راحوا يطعنون في الأمراء والولاة ويحسمون أخطاءهم ويدحضون وجودهم.

وثالثاً: رفعت الفتنة رأسها لتواجه الخليفة مباشرة وتطالبه بضرورة التنحي والاعتزال.

ونجحت دعوة ابن سبأ.

وعمت الفتنة حتى وصلت الى كل مكان.

وخرج من مصر مجموعة من الرجال يقدرون بستائة رجل رأسهم عبد الرحمن ابن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي.

وخرج من الكوفة مائتان رأسهم مالك بن الأشتر النخعي.

وخرج من البصرة مائة رجل رأسهم حكيم بن جبلة.

(١) علي رضي الله عنه: للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

والتقوا في المدينة .. وكانوا يداً واحدة في الشر، وكانوا حثالة من الناس مفتونين» (١)

وقاموا بحصار عثمان — رضي الله عنه — وحالوا بينه وبين الخروج ومنعوا عنه الماء وأن يتصل أحد به .

فماذا كان بعد الحصار؟ وكيف سارت الأمور حول بيت عثمان الخليفة العابد الأواب؟

هذا ما سنجليه بمشيئة الله فيما يأتي من الأقوال .

### مقتل عثمان رضي الله عنه

.. قلنا بأن الجموع التي جاءت من خارج المدينة حاصرت عثمان في بيته وحالت بينه وبين الخروج .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« دخلت على عثمان يوم الدار فقلت يا أمير المؤمنين طاب أم ضرب ؟ .

فقال : يا أبا هريرة . أسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي ؟ .

قلت : لا .

قال : فإنك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأثماً قتلت الناس جميعاً ، فرجعت ولم أقاتل .

ثم دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين .. ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فإن أحببت فالحق بمكة .

وان أحببت أن تحرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وأنصارك .

وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى .

فقال عثمان :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ .

«أما ما ذكرت من الخروج الى مكة ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُلحد بمكة رجل من قريش ، عليه نصف عذاب هذه الأمة من الإنس والجن ، فلن أكون ذلك الرجل إن شاء الله» .

وأما ما ذكرت من الخروج الى الشام فإن المدينة دار هجري وجوار قبر النبي ﷺ ، فلا حاجة لي في الخروج من دار هجري .

وأما ما ذكرت من محاكمة هؤلاء القوم إلى كتاب الله ، فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته باهراق الدم .

ثم قال : «إني رأيت أبا بكر وعمر أتيا لي الليلة فقالا لي : صم ، فإنك مفطر عندنا الليلة ، وإني أصبحت صائماً» .

وروى عبد الله بن عمر قال : قال لي عثمان وهو محصور في الدار : ما ترى فيما أشار به عليّ المغيرة؟ .

قال : قلت : ما أشار به عليك؟ .

قال : إن هؤلاء القوم يريدون خلعي فإن خلعت تركوني وإن لم أخلع قتلوني . قلت : رأيت إن خلعت تترك مخلداً في الدنيا؟ .

قال : لا .

قال : فهل يملكون الجنة أو النار؟ .

قال : لا .

فقلت : رأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ .

قال : لا .

قلت : فلا أرى أن تسن هذه السنة في الاسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه ، لا تخلع قيصاً قمصكه الله<sup>(١)</sup> .

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣ .

وعند ذلك قام عثمان فأطل على الجماهير المجتمعمة وقال لهم :

« يا قوم .. إن الله رضي لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه .

ثم قال : وإني أخبركم أن قوماً أظهروا للناس أنهم يدعونني إلى كتاب الله تعالى والحق ، فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه ، وطال عليهم عمري واستعجلوا القدر بي ، وهم يخبرونني بين إحدى ثلاث .

إما القود بكل رجل أصبت خطأً أو عمداً .

وإما أن أعتزل عن الأمر فيؤمروا أحداً .

وإما أن يرسلوا إلى من طاعهم من الجنود وأهل الأمصار فأرسلوا إليكم فأتيتهم لتبتروني من الذي جعل الله لي عليكم من السمع والطاعة ، فسمعتهم منهم وأطعتموهم والطاعة لي عليكم دونهم .

فقلت لهم : أما إقادة من نفسي فقد كان قبلي خلفاء — ومن يتولى السلطان يخطيء ويصيب ، فلم يستقدمهم أحد .

وإما أن أتبرأ من الأمر ، فإن يصلبوني أحب إليّ من أن أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول الرسول ﷺ لي يا عثمان إن الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدي ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ..»<sup>(١)</sup>

.. لم يستجب عثمان — رضي الله عنه — لما طلبه منه هؤلاء المتمردون فكان لا بد من الاضطراب ، ومن اشعال نار الفتنة حتى تبلغ ذروتها وأخذت الجموع الساخطة ، تستمع لرأي فئة من الناس ، لا يهمها كثيراً سلامة المسلمين ووحدتهم .

وأخذت المناوشات تأخذ دورها وتتطايرت السهام وأشرعت السيوف تطالب برأس الخليفة الصابر المؤمن .

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٣ — ٤٤ .

ثم إن محمد بن أبي بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الأحمق. فوجدوا عثمان — رضي الله عنه — عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة. فأخذ بلحية عثمان — رضي الله عنه — وقال: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان.

فقال عثمان: يا ابن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه.

فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك؟

قال عثمان: لو رأي أبيك رضي الله عنه لكانني، ولساءه مكانك مني؟ فتراخت يده عنه، وقام عنه وخرج. ودخل الرجلان، فوجاه حتى قتلاه<sup>(١)</sup>. قتل الخليفة الأواب وتحقق من بعده في المسلمين ما قاله لهم:

يا قوم: وإنكم إن تقتلوني.

لا تصلوا جميعاً أبداً.

ولا تغزوا جميعاً أبداً.

ولا يقسم فيؤكم بينكم<sup>(٢)</sup>.

فهل تحقق ما قاله الخليفة قبل قتله؟

إن المتتبع لتاريخ المسلمين بعد تلك الفتنة التي لفتهم يرى مصداق ما قال وحقيقة ما نطق به.

أما هو فقد ذهب إلى جنة الخلد التي وعده بها رسول الله ﷺ مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧١.



## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس — رضي الله عنه — نزلت في ابي بكر وعمر.  
وعن ابن عمر: أنها نزلت في عثمان — رضي الله عنه — والقانت : هو المقيم  
على الطاعة.  
وقال ابن عمر: القنوت قراءة القرآن وطول القيامة ، وقيل القانت القائم بما  
يجب عليه.

آناء الليل : أي ساعات الليل أوله ووسطه وآخره «ساجداً وقائماً» أي في  
الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل لأن الليل أستر فيكون  
أبعد عن الرياء. ولأن ظلمة الليل تجمعهم وهم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء «بحد»  
أي يخاف «الآخرة ويرجو رحمة ربه» قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة ، وهو أنه  
قال في مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يصف الحذر اليه تعالى وقال في مقام الرجاء  
ويرجو رحمة ربه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله  
تعالى ، وبعض هذا ما روي عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ  
دخل على شاب وهو في الموت فقال له :

«كيف تجددك...؟»

قال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي.

فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه وأمنه مما يخاف»<sup>(١)</sup> .

ويقول الامام القرطبي في تفسيره :

قال النحاس .. أصل القنوط الطاعة : فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل فهذه الأشياء كلها داخله في الطاعة وما هو أكثر منها كما قال نافع : قال لي ابن عم قم فصل فقامت أصلي وكان عليّ ثوب خلق فدعاني فقال لي : رأيت لو وجهتك في حاجة أكنت تمضي هكذا؟ :

فقلت : كنت أتزين .

قال : فأله أحق أن تتزين له ..

واختلف في تعيين القانت ها هنا . فذكر يحيى بن سلام أنه رسول الله ﷺ .

وقال ابن عباس<sup>(٢)</sup> في رواية الضحاك عنه : هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

وقال ابن عمر : هو عثمان — رضي الله عنه — وقال مقاتل : إنه عمار بن ياسر وقال الكلبي : صهيب وأبو ذر وابن مسعود وعنه أيضاً إنه مرسل فمن كان على هذه الحال . والله أعلم .

(١) تفسير البغوي والحازن ج ٦ ص ٥٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ ص ٢٢٩ .

## تذييل ...

.. لا يستطيع أي مؤرخ للتاريخ عثمان — رضي الله عنه — أن يعنى حاشيته وما كان يحيط به من أنصار وأصهار من المسؤولية ازاء الفتنة التي حدثت ولفت المسلمين في ليل طويل.

وحاشية الحاكم أو الوالي يكون لها دور كبير في استقرار الحكم وسلامته أو زعزعته واضطرابه ولا يستطيع أي منصف أن يقول غير ذلك. والحادثة التي بين أيدينا تلتقي أضواء على الدور الذي يقوم به الأفراد ممن يكون لهم دور في حياة الحاكم أو الاحاطة به.

حدث الفضل بن الربيع قال :

« حج أمير المؤمنين — هارون الرشيد — فأتاني فخرجت مسرعاً.

فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك.

فقال : ويحك قد حال في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله.

فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة.

فقال : امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعنا الباب فقال : من ذا؟

قلت : أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً.

فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك.

فقال : خذ لما جئنا له رحمك الله فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين...؟  
قال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه .

فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر رجلاً أسأله .  
قلت : ههنا عبد الرزاق بن همام .

قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعاً فقال : من هذا؟ .  
قلت : أجب أمير المؤمنين .

فقال : يا أمير المؤمنين .. لو أرسلت إليّ لأيتك .

فقال : خذ لما جئنا له فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين؟ قال : نعم .  
قال : أبا عباس .. اقض دينه .

فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً انظر لي رجلاً أسأله .  
قلت : ههنا الفضيل بن عياض .

قال : امض بنا إليه .

فأتيناه .. فإذا هو قائم يتلو آية من القرآن ويردها .

فقال : اقرع الباب .. فقرعت الباب . فقال .. من هذا؟ .

قلت : أجب أمير المؤمنين .

قال : ليس لأمير المؤمنين حاجة الينا؟ .

قلت : سبحان الله أما له عليك حق الطاعة؟ .

ثم نزل ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من  
زوايا البيت فدخلنا ، فجعلنا نجول بأيدينا ، فسبقت كف هارون قبلي إليه . فقال : يا  
لها من كف ما أليها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل .

فقلت في نفسي : ليكلمنه الليلة بكلام من قلب تقي .

فقال له : خذ لما جئناك له ، رحمك الله .

فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ، دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ، ورجاء بن حيوة .

فقال لهم : إني ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ فعدّ الخلافة بلاء ، وعددها أنت وأصحابك نعمة .

فقال سالم : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فصم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت .

وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله ، فليكن كبير المؤمنين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً ، وأصغرهم عندك ولدأ . فوفر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله ، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واکره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت .

وإني أقول لك : إني أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزلّ فيه الأقدام فهل معك رحمك الله «حاشية مثل هؤلاء» ؟ . أو من يشير عليك بمثل هذا ؟

فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً حتى غشي عليه .

فقلت له : أرفق بأمر المؤمنين .

فقال : يا ابن الربيع .. تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا . ثم أفاق الرشيد .

فقال له : زدني رحمك الله .

فقال : يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكّا اليه فكتب اليه عمر .

يا أخي : أذكرك طول سهر أهل النار ، مع خلود الأبد .

قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له :

ما أقدمك ؟ .

قال : خلعت قلبي بكتابك . لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل .

فبكى الرشيد بكاء شديداً ثم قال له : زدني رحمك الله .  
 فقال : يا أمير المؤمنين : إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ  
 فقال : يا رسول الله أمرني إمارة .  
 فقال له النبي ﷺ ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت ألا تكون  
 أميراً فافعل .

فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً ، ثم قال له : زدني رحمك الله .  
 فقال : يا حسن الوجه .. أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم  
 القيامة . فإن استطعت أن تقي هذا الوجه النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتمسي وفي  
 قلبك غش لأحد من رعيتك . فإن النبي ﷺ قال : من أصبح لهم غاشاً لم يرح  
 رائحة الجنة» (١) .

فبكى هارون وقال : عليك دين ؟  
 قال : نعم دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي ان سألني ، والويل لي ان  
 ناقشني والويل لي ان لم ألهم حجتي .  
 قال : انما أعني من دين العباد .

قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، انما أمرني أن أصدق وعده ، وأطيع أمره فقال عز  
 وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد  
 أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (٢) .  
 فقال له : هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقر بها عبادتك فقال :  
 « سبحان الله ، أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ؟ . ثلمك الله  
 ووقفك ؟ » .

ثم صمت فلم يكلمنا .. فخرجنا من عنده ، فلما صرنا الى الباب قال هارون :

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ورفعه بلفظ : « من غشنا فليس منا » .

(٢) سورة الفاريات الآية ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ .

« إذا دلتني على رجل فدلتني على مثل هذا... ».

هذا سيد المسلمين ، فلما انصرفنا دخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال فتفرحنا به ؟ .  
فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحره فأكلوا لحمه ، فلما سمع هارون هذا الكلام قال :

« ندخل فعسى أن يقبل المال . فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه .. فجعل يكلمه فلا يجيبه ، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت :

« يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرفنا ».

علام تدل هذه الحادثة ؟ . وما العبرة التي يمكن أن تؤخذ منها ؟ . حاكم المسلمين يطلب النصيحة ويسعى في طلبها ، وهي لا تأتي اليه — حتى لا تكون في مركز الضعف ولكنه يترك الأبواب اليها ويلتمس الوسيلة للعثور عليها . وتأتي النصيحة اليه عن طريق القدوة والمثل ، فهناك حاكم مثله كان يجمع حوله أهل الورع والتقوى وعيون العلماء وخاصة المسلمين . يجمعهم حوله للتذكير إذا نسي ، ويجمعهم حوله للنصيحة إذا انحرف . ويجمعهم حوله لاستشارتهم ، وحتى لا يقطع أمراً دونهم .

والشورى من قواعد الحكم في الاسلام طلبها الرسول ﷺ بقوله :

« أشيروا علينا أيها الناس »<sup>(١)</sup> .

وأمر الله سبحانه وتعالى بها في قوله :

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومدح المؤمنين بها في قوله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣٨ .

والحاكم هذا لم يفعل ذلك إن حوله حاشية من خالصته ، ويحيط به رجال جاءت بهم متطلبات الحكم والسياسة ، ولكنهم لا يدعونهم إلى النجاة ولا يرشدونه إلى طريق الحق . حتى يصل إلى هذا الرجل الذي تمذهب بمذهب القرآن فيصدع أمامه بكلمة الحق ، ويذكره بالدار الآخرة ، ويكون التذكير والتخويف بشيء يمس الحاكم ويتأثر به أهذه اليد لك ؟ . ما أليها إن نجت غداً من عذاب النار ؟ .

واختار العالم اليد ، يد الحاكم لماذا ؟ . لأنها ليست كأيدي الآخرين . يد الحاكم هي التي توقع وتصدر الأحكام ، وتعفو عن الناس ، وتقسم بينهم أموالهم .

يد الحاكم تشارك مشاركة فعالة في كل شؤون الرعية .  
أيمكن أن تنجو غداً من عذاب النار ؟ .

نعم إن كانت على الجادة ، إن ابتعدت عن الجور ، وأقامت العدل بين الناس ، والحاكم في الاسلام رجل من عامة الناس ، يرى أن كبير المؤمنين له أبا ، فينزل على رأيه ، ويستمع إلى نصحه ، وله عليه حق التعظيم والتوقير ، وأوسطهم له أخاً قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقال الرسول ﷺ :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » <sup>(٢)</sup> .

وأصغرهم ابناً له عليه حق الرعاية حتى يكبر وله عليه حق التعليم حتى يفقه ولقد قالها حاكم المسلمين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قالها لأخوة له مدججين بالسلاح خرجوا من بلادهم وانداحوا في أركان الأرض لنشر دين الله خلف السهوب والبحار . قالها حتى لا يترك في قلوبهم شغلاً بهؤلاء الصغار .

(١) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٢) رواه الشيخان .



«سيروا على بركة الله وأنا أبو العيال حتى تعودوا» .  
ان هذا العالم يضع أمامه — صورة حاكم مثالي في حكمه ، منفذ لتعاليم ربه ،  
خائف من عقابه ، مؤمن بأن لكل أجل كتاباً .  
ويقول له في النهاية : أعندك مثل هؤلاء ؟  
هل اخترت الرجال الذين يحيطون بك ..  
هل اصطفيت الذين يكونون عيونك بين الناس .. كما فعل الحاكم السابق ؟  
ان امارة المسلمين ليست تشريعاً ولكنها تكليف ، امارة المسلمين خدمة ، امارة  
المسلمين : رعاية وتنفيذ حكم الله بين العباد فكيف به ان عطله ..  
والإمارة : إقامة العدل بين الناس فكيف بالحاكم ان ادخل الممّ على قلوبهم .  
والإمارة : حاية لثغور المسلمين من الأعداء . فكيف به إن أهمل الجهاد ؟  
ولم يجهز الجيوش ولم يعد العدة لذلك ، ولم يربّ الرجال على الشهادة  
والنصر ..

## ثَبَّتْ بِالْمَوَاجِعِ

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار الشعب — مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الأستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الأندلس — بيروت.
٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف — مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م.
٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية — طهران.
٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦ هـ .
٩. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور : للإمام السيوطي .
١١. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله .
١٢. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي .
١٣. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل العسقلاني : المعروف بابن حجر .
١٤. صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي : المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .
١٥. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاكر : دار المعارف بمصر ، ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م .

١٦. صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠ هـ —  
١٩٣١ م.
١٧. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونستك، تعريب محمد فؤاد عبد  
الباقي، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م.
١٨. الجامع الصغير: للإمام السيوطي، مطبعة الباي الحلبي — القاهرة.
١٩. كشف الخفا ومزيل الالباس: اسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الاسلامي —  
حلب.
٢٠. تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، دار صادر — بيروت.
٢١. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م.
٢٢. تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد الطبري، دار القلم الحديث — بيروت.
٢٣. البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض.
٢٤. الطبقات الكبرى: ابن سعد، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧ هـ.
٢٥. سيرة النبي لابن هشام: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية — القاهرة.
٢٦. الروض الأنف: عبد الرحمن السهلي، دار الكتب الحديثة — القاهرة.
٢٧. مروج الذهب: للمسعودي، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر.
٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، دار الأندلس — بيروت — مكتبة  
نهضة مصر.
٢٩. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، دار الفكر —  
بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م.
٣٠. خلفاء الرسول: خالد محمد خالد. دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان — الطبعة  
الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م.
٣١. العقبريات: لعباس محمود العقاد.
٣٢. علي بن أبي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة: للاستاذ عبد الكريم الخطيب، دار  
المعرفة للطباعة والنشر — بيروت.
٣٣. هذا هو طريق: د. عبد الرحمن عميرة، دار التراث مصر — ١٩٧٣.
٣٤. مع الإلحاد وجهاً لوجه: د. عبد الرحمن عميرة، دار الحلبي — القاهرة.

- ٣٥ . أشهر مشاهير الاسلام : رفيق العظم .
- ٣٦ . الاعلام : للزركلي .
- ٣٧ . الأغاني : للأصفهاني .
- ٣٨ . تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ هـ .
- ٣٩ . تفسير الخازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل واليغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
- ٤٠ . تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
- ٤١ . الروض الأنف : للإمام السهيلي .
- ٤٢ . الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري . مصر .
- ٤٣ . سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
- ٤٤ . سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني « ابن ماجه » ، حققه ورقم كته وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
- ٤٥ . تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

رِجَالُ  
أَنْزَلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميره

الجزء السادس

دار الحديث  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ  
تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ  
فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ  
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى  
عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

سورة الفتح آية رقم ٢٩

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم .

لقد وفقنا الله تعالى في اخراج الجزء «السادس» من «رجال أنزل الله فيهم قرآناً» .

ويحتوي هذا الجزء على مجموعة من الرجال الذين عايشوا فجر الاسلام وعبوا من بنايع الإيمان .

منهم الصحابي الجليل «عثمان بن مظعون» رضي الله عنه الذي حرم على نفسه الخمر في الجاهلية ، وعندما سئل عن ذلك قال :

« لا أشرب شراباً يذهب عقلي ، ويضحك عليّ من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمةتي » .

فلما حرمت الخمر في الاسلام قيل له يا عثمان قد حرمت الخمر قال :

« تبا لها قد كان بصري بها ثاقباً » .

وفي هذا الجزء أنس بن النضر الذي قال يوم انكشف المسلمون في غزوة أحد « اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني المسلمين .

ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال :



«أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، وإها لريح الجنة.  
قال سعد: فما عرفت يا رسول الله ما أصنع..؟  
يقول أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة  
بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، قد مثلوا به».  
قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه.

وفي هذا الجزء: جابر بن عبد الله — رضي الله عنه. الذي رآه رسول الله —  
صلى الله عليه وسلم — منطوياً على نفسه فقال له:

«يا جابر ما لي أراك منكسراً مهتماً..؟»

فقال: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيالاً، وعليه دين..؟؟

قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك..؟

قال: بلى. يا رسول الله.

قال: إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً وما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب.  
وقال له: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك.

قال: يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيها ثانية.

فقال الرب تعالى ذكره: ﴿إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون﴾.

قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فأنزل الله تعالى:

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾.

د. عبد الرحمن عميره

عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ  
وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا  
رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِء

مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

صدق الله العظيم

سورة المائدة الآية ٨٧ — ٨٨

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال كثير من رجال التفسير والحديث وكتاب السير نزلت هذه الآيات في مجموعة من الصحابة منهم عثمان بن مظعون.

- |                              |               |
|------------------------------|---------------|
| قال ذلك صاحب تفسير الطبري    | ج ١٠ ص ٥٢٠    |
| وقاله صاحب تفسير القرطبي     | ج ٦ ص ٢٦٠     |
| وصاحب الدر المنثور           | ج ٢ ص ٣٠٨     |
| وتفسير البغوي والحازن        | ج ٢ ص ٦٩ — ٧٠ |
| وصحيح الترمذي                | ج ١١ ص ١٧٩    |
| وقاله صاحب كتاب أسباب النزول | ص ١٩٩         |

فمن هو عثمان بن مظعون..؟

## عثمان بن مظعون

رضي الله عنه

والده مظعون بن حبيب الجمحي . بصمت التاريخ عنه فلا يقدم له عملاً أو يحدث له ذكراً .

وزوجه خولة بنت حكيم : التي جاءت لرسول الله ﷺ وقالت : يا رسول الله ، كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة ؟ .

فقال : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت .

قالت : أفلا أخطب عليك ؟ .

قال : بلى فإنكن معشر النساء أرفق بذلك ، فخطبت عليه سودة بنت زمعة وخطبت عليه عائشة بنت أبي بكر — رضي الله عنهما<sup>(١)</sup> .

وأخواه : عبد الله وقدامة ابنا مظعون أسلما مبكرين وهاجرا المهجرتين وقاتلا في سبيل الله .

كان عثمان قبل الاسلام صاحب عقل وذكاء . أنف من الأصنام وسخر من عبادها ونفر من عادات الجاهلية ، وحرم على نفسه الخمر .

وعندما سئل عن ذلك قال :

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٧ .

« لا أشرب شراً يُذهب عقلي ، ويضحك من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي » .

فلما حرمت الخمر قيل له : يا عثمان قد حرمت الخمر .  
فقال : تبا لها قد كان بصري بها ثاقباً<sup>(١)</sup> .

سمع بدعوة الرسول ﷺ فأسرع لتلبية هذه الدعوة والمكوث بين يدي داعيها .  
حتى يعرف منه ما عجز عن الوصول اليه بعقله .  
يقول ابن سعد في طبقاته :

« انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الاسلام وانبأهم بشرائه فأسلموا جميعاً في ساعة واحدة ، وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها<sup>(٢)</sup> .

.. وفي يوم من الأيام ورسول الله ﷺ جالس بفناء بيته بمكة مرَّ عثمان بن مظعون فدعاه الرسول للجلوس فجلس وبينما هو يتحدث إذ شخص رسول الله ﷺ فنظر ساعة الى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله ﷺ عن جلسه إلى حيث وضع بصره ، فأخذ ينغص رأسه كأنه يستفقه ما يقال له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له ، وشخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء .

فأقبل على عثمان بجلسته الأولى .

فقال عثمان : يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة .  
قال : وما رأيتني فعلت ؟ .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٥٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٩٣ .

قال : رأيتك تشخص بصرك إلى السماء ثم وضعت عن يمينك فتحرقت إليه وتركتني ، فأخذت تنغص رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك .

قال : أوفطنت لذلك ؟

قال عثمان : نعم .

فقال رسول الله ﷺ : أتاني رسول الله آنفاً وأنت جالس .

قلت : رسول الله ؟

قال : نعم .

قلت : فما قال لك ؟

قال : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (١) .

أحبه الحب الكبير الذي ملأ عليه كل جارحة من جوارحه ، وكل ذرة من ذرات جسمه وكيف لا يكون ذلك ؟

ومحمد ﷺ هو الذي هداهم إلى الطريق ، وبصّرهم بسبيل الهدى ، ونقلهم من ظلمات الجهل إلى نور الايمان .. فأحبوه أكثر من أولادهم وزوجاتهم وأهلهم ووطنهم . حتى إذا اشتد أذى المشركين لهذه الفئة المؤمنة تركت كل شيء وهاجرت بدينها إلى أرض الحبشة وكان عثمان بن مظعون أحد هؤلاء الرجال الذين فروا بدينهم ، واستقر مع أصحابه عند النجاشي فترة طويلة . حتى أذاعت قريش أنها تصالحت مع الدعوة الجديدة وكفت أذاها عن أتباعها .. فانطلق المهاجرون عائدين إلى مكة . ولقد أسقط في أيديهم — عندما شعروا أن ما أذاعته قريش لم يكن إلا مكيدة رخيصة تستدرج بها هؤلاء الأتباع الذين فروا إلى الحبشة وتركوا أوطانهم . لتعيدهم تحت ضربات السياط وأنواع التعذيب إلى عبادة الأصنام مرة أخرى .. وفي هذا يقول عثمان بن مظعون معاتباً أمية بن خلف الذي كان يؤذيه في إسلامه :

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٤ والآية ١٠ من سورة النحل .

أخرجتني من بطن مكة آمناً وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع  
 تريش نبالاً لا يواتيك ريشها وتبري نبالاً ريشها لك أجمع  
 وحاربت أقواماً كراماً أعزة وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزع  
 ستعلم إن نابتك يوماً ملمة وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع<sup>(١)</sup>

ومن أجل ذلك اضطر أن يدخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة . وفي حمى هذا  
 الجوار عاش فترة آمناً لا يتوجه إليه أحد بأذى أو يصيبه مكروه . في حين كان  
 أصحابه من المسلمين الذين عادوا من الحبشة ينالون الحسف والهوان .

فعندما رأى ذلك عثمان بن مظعون قال :

والله إن غلوي وروحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني  
 يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فشي إلى الوليد بن  
 المغيرة . فقال له :

« يا أبا عبد شمس ، وقت ذمتك ، وقد رددت اليك جوارك » .

قال له : لِمَ يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي .

قال : لا ، ولكن أرضي بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلق إلى المسجد فردد عليّ جوارى علانية كما أجزتكَ علانية .

قال : فانطلقا . فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد :

« هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارى .

قال عثمان : صدق ، قد وجدته وفيأكرم الجوار ، ولكنني قد أحببت ألا أستجير

بغير الله ، فقد رددت عليه جواره ، ثم انصرف عثمان<sup>(٢)</sup>»

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ١٠٣ .



هكذا فعل عثمان .. حتى يتحقق فيه حديث الرسول ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فإذا كان أذى يصيب المسلمين فليكن عليهم جميعاً .. وهذا هو التعاون والألفة التي جعلت من الجيل الأول عمالقة في كل شيء إذا كانوا في الحرب يقدم أحدهم نفسه للسيف لينقذ أخاه .. ويتقدم الصفوف حتى يحمي من خلفه ، ويضن على نفسه بكسرات من الخبز ليقدمها إلى من هو أكثر منه جوعاً ومسغبة . ولقد صدق الشاعر عندما قال فيهم :

إذا شهدوا الوغى كانوا كإه يدكون المعازل والحصونا  
وإن جن المساء فلا تراهم من الأشفاق إلا ساجديننا

رد عثمان جوار الوليد وانطلق في أرجاء مكة ودرورها ، وكأنه يتحدى هؤلاء المشركين أن يتقدم إليه أحد بمكره . حتى وقعت عينه في أثناء سيره على حلقة من الناس يتحلقون حول الشاعر ليبيد بن ربيعة وهو ينشدهم شعره — فجلس عثمان يستمع معهم — حتى وصل ليبيد إلى قوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت .

قال ليبيد : وكل نعيم لا محالة زائل .

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول .

قال ليبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذي جليسكم ، فتي حدث هذا

فيكم .. ؟

فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا نجدن في نفسك من قوله .

فرد عليه عثمان حتى زاد أمرهما وتفاقم الشر . فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فأصابها .

فعل الرجل ذلك ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما يبلغ من عثمان فقال : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة . قال عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني والله لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس .

فقال الوليد : هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك فعد .

فقال : لا (١) .

لا ، وألف لا ، إنه في رعاية الله سبحانه وتعالى الذي يملك الحياة والموت ، ويقدر الرزق والأجل . وأما هؤلاء فلن ولم يملكوا من أمر أنفسهم شيئاً . وصدق الله في قوله :

﴿ يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب ﴾ (٢) .

واستمر عثمان في ذلك . يُسمع الكفار ما يغيظهم ويوغر قلوبهم ويبحر أمامهم بكلمات الله — ولا يحثي في الحق لومة لائم — حتى أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة .

وفي القلعة الجديدة .. التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون مقر المسلمين يتلقون من دروبها في أرجاء الأرض الأربعة يدعون إلى دينه ويقاتلون من أجل رفع كلمته ، وينشرون السلام والأمن بين الناس — استقر عثمان بن مظعون بجوار الرسول ﷺ وأخى عليه السلام بينه وبين أبي الهيثم بن التيهان . الذي يقول عنه ابن سعد في طبقاته :

« وكان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية ويؤفف بها ويقول بالتوحيد وكان

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٣ .

أول مَنْ أسلم من الأنصار بمكة ويجعل في الثمانية نفر الذين آمنوا برسول الله ﷺ قَامُوا قبل قومهم وقدموا المدينة بذلك وأفسوا بها الإسلام» (١).

وكان عثمان حياً خجولاً. أتى النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله إني لا أحب أن ترى زوجتي عورتي.

قال رسول الله ﷺ : ولم؟

قال : أستحي من ذلك وأكره.

قال : إن الله جعلها لك لباساً وجعلك لها لباساً وأهلي يرون عورتي ، وأنا أرى

ذلك منهم .

قال : أنت تفعل ذلك يا رسول الله ..؟

قال : نعم .

قال : فمن بعدك .

فلما أذبر قال رسول الله ﷺ : « إن ابن مظعون لحبي ستر» (٢) .

صدق رسول الله ﷺ ، والحياء شعبة من الإيمان ، ومن لا حياء فيه لا خير

فيه .

وكان ابن مظعون أيضاً من العباد الزهاد الذين يصرفون كل وقتهم في التقرب إلى مولاهم ، والعمل على مرضاته — وإن كان هذا العمل مطلوباً ، ولكن شريطة ألا يشغل الإنسان عن تعمیر الكون والضرب في فجاج الأرض واستخراج كنوزها ، وتسخيرها لصالح البشرية كلها . وكل عمل يعمله الإنسان ينبغي به وجه الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يتقرب بها إلى الله .

عن أبي إسحاق رضي الله عنه قال :

دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيتها سيئة الهيئة فقلن لها :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٤ .

ما لك ؟.. فما في قریش أغنى من بعلك .  
قالت : ما لنا منه شيء ، أما ليله فقائم وأما نهاره فصائم .  
فدخل النبي ﷺ فذكرن ذلك له . فلقبه فقال :  
« يا عثمان بن مظعون أما لك بي أسوة » .. ؟  
قال : إني لأفعل .

قال : لا تفعل ، إن لعينيك عليك حقاً وإن لجسدك حقاً وإن لأهلك حقاً ،  
فصلّ ونم ، وضّم وافطر .  
قال : فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس .  
فقلن لها : مه .. ؟  
قالت : أصابنا ما أصاب الناس <sup>(١)</sup> .

لقد امتثل عثمان بن مظعون لقول الرسول ﷺ — فليس في الإسلام رهبانية —  
وليس في الإسلام انقطاع للعبادة ، ولكن الإسلام هو الدنيا والآخرة ، هو للعمل  
والتعمير ، وهو أيضاً لذكر الله وابتغاء مرضاته — وهؤلاء الذين تستغرقهم العبادة  
وتركون أولادهم وزوجاتهم يقصرون في حق أنفسهم وفي حق زوجاتهم وفي حق  
أولادهم ، وفي حق إسلامهم .

والمسلم الذي يتبع تعاليم دينه وينفذ شرع ربه لا يدع الجِد والعمل يطغى على  
العبادة والتبتل ، ولا يجعل التبتل والعبادة تستغرق كل وقته .. فالدنيا مزرعة  
للآخرة .. ولن تكون كذلك إلا بالعمل الجاد المثمر والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى  
في الأوقات الموقوتة التي حددها لعباده وبينها في كتابه .

وإذا كان لكل أجل كتاب .. فقد وفاه أجله رضوان الله عليه بعد غزوة بدر .  
تقول أم العلاء : ان عثمان بن مظعون اشتكى عندنا فرضناه حتى إذا توفي جعلناه  
في أثوابه . فأتانا رسول الله ﷺ فقلت :

(١) المصدر السابق ص ٣٩٥ .

«هنيئاً لك أبا السائب الجنة».

فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك أن الله أكرمته ؟

فقلت له : لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فمن .. ؟

قال : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إني لأرجو له الخير ، وإني لرسول الله وما أدري ما يفعل بي .

قالت : فمن بأبي وأمي ؟ فوالله لا أزكي بعده أحداً أبداً .

قالت : فأحزنتني ذلك فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري .

قالت : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : ذلك عمله (١)

... وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

لما توفي عثمان بن مظعون وفاة عادية ولم يستشهد — هبط من نفسي هبطة ضخمة فقلت : انظروا إلى هذا الذي كان أشدنا تحلياً من الدنيا ثم مات ولم يقتل ، فلم يزل عثمان بتلك المنزلة من نفسي ، حتى توفي رسول الله ﷺ فقلت : وبك إن خيارنا يموتون .

ثم توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقلت : وبك إن خيارنا يموتون فرجع عثمان في نفسي إلى المنزلة التي كان بها قبل ذلك (٢)

وفي المدينة — كان رسول الله ﷺ يرتاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيها — فكان قد جاء نواحي المدينة وأطرافها .. ثم قال :

أمرت بهذا الموضع — يعني البقيع .

فكان أول من قُبر هناك عثمان بن مظعون ، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه وقال :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٩٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٩ .

« هذا فرطنا » .

فكان إذا مات الميت بعده قيل : يا رسول الله أين ندفنه ..؟

فيقول رسول الله ﷺ : عند فرطنا عثمان بن مظعون .

ولم يمض على وفاة عثمان بن مظعون إلا فترة وجيزة حتى ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فقال عليه السلام :

« الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون » .

قال يزيد بن هارون في حديثه :

فبكت النساء فجعل عمر بن الخطاب يضربهن بسوطه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيده وقال :

مهلاً يا عمر .

ثم قال : ابكين وإياكن ونعيق الشيطان .

ثم قال : إنه مهمل كان من العين والقلب فمن الله والرحمة . وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان<sup>(١)</sup> .

صدق رسول الله ﷺ ...

لا بد للعين أن تدمع على الحبيب المفارق ، ولا بد للقلب أن يحزن على المهاجر الذي لا يعود .

إن الإنسان في حقيقته مجموعة من الأحاسيس والعواطف ، وهو بطبيعته اجتماعي ومدني ، يستريح بالالفة ، ويطمئن نفساً بالجماعة .

... والموت نهاية طبيعية لكل حي .. ولكل أجل كتاب .

هذا شيء لا يستطيع أن ينكره أحد .. حتى أولئك الجاحدين الذين طمس الله على قلوبهم ، فلم تهتد للحق ، ولم تعرف على نور الإيمان ، حتى أولئك لا ينكرون هذه النهاية .

(١) المصدر السابق .

ولكن الإنسان السوي هو الذي يتألم لمفارقة الأحباب .. وتدمع عينه لعدم رؤيتهم مرة أخرى في الدنيا.

والإنسان الذي يتجمد قلبه فلا ينبض بشفقة أو حزن ، وتجف عينه فلا تهطل بالدمع .. هو بالجماد أشبه ، وبالشيطان أقرب .

إن المؤمنين بربهم — والمصدقين بكتبه ورسله — سيتلاقون في الآخرة في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين — ولكن ما أصعب الفراق — وما أبعد السفر — وما أقسى مرارة الهجران .

## أسباب نزول الآيات

عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختص.

وعن عائشة بنت قدامة بن مظعون عن أبيها عن أخيه عثمان بن مظعون أنه قال : يا رسول الله إني رجل تشق عليّ هذه العزبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخضاء فاختص..؟

قال : لا ، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مَحْفَرٌ (١)

وروى الترمذي وغيره عن ابن عباس : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذت شهوتي فحزمت عليّ اللحم (٢)

فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٣)

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس : أن رجلاً من الصحابة ، منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشغار ليقطعوا مذاكيرهم ، لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة ، فنزلت (٤)

(١) محفر : لا يتحرك للشهوة والنساء.

(٢) صحيح الترمذي باب التفسير.

(٣) سورة المائدة آية ٨٧.

(٤) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٩٤



وقال المفسرون : جلس رسول الله ﷺ يوماً فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزداهم على التخويف فرق الناس وبكوا ، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان ابن مظعون وهم : أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو ذر الغفاري ، وسالم مولى أبي حذيفة ، والمقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، ومعقل بن مقرن ، واتفقوا على أن يصوموا النهار ، ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفراش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا الودك ، ولا يقربوا النساء والطيب ، ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض ويترهبوا ويجبوا المذاكير .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال :

« ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا ؟ »

فقالوا : بلى يا رسول الله ، وما أردنا إلا الخير .

فقال لهم : « إني لم أؤمر بذلك ، إن لأنفسكم عليكم حقاً ، فصوموا وافطروا ، وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم والدم ، ومن رغب عن سنتي فليس مني » .

تم خرج إلى الناس وخطبهم فقال :

« ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام ، والطيب والنوم ، وشهوات الدنيا .. ؟ أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهباناً ، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ، ولا اتخاذ الصوامع ، وإن سياحة أمتي الصيام ، ورهبانيتها الجهاد ، وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان فإنما أهلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع . فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ (١)

(١) سورة المائدة آية ٨٧ .

فقالوا: يا رسول الله ، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها ؟ وكانوا حلفوا ما عليه اتفقوا<sup>(١)</sup> .

فأنزل الله تعالى :

﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) أسباب نزول القرآن للواحد ص ١٩٩ .

(٢) سورة المائدة الآية ٨٩ .

## تذييل ...

يتصور كثير من الناس أن العبادة في الإسلام تنحصر في أداء الصلاة والزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج وبعض النوافل والواجبات الأخرى فإذا أدى المسلم هذه الأركان، وقام بما عليه من واجبات، فقد استبرأ لعرشه ودينه.

والحقيقة أن أداء هذه العبادات من أركان الإسلام، ويخرج الإنسان منه إذا أنكر أحدها، أو تعمد عدم القيام بواحدة منها.

ولكن التصور الكامل للعبادة في الإسلام هو أكبر من ذلك وأشمل، فهذا الإنسان خليفة الله في الأرض، هبط من الجنة لتعمير هذا الكون واستمرار حركة الحياة والاحياء فيه، ومطالب أن يبتغي بكل عمل يعمل به، وبكل حرفة يؤديها وجه الله سبحانه وتعالى، فإذا فعل ذلك كان عمله هذا عبادة.

فطلاب العلم الذين يجلسون في مدرجهم، أو معلمهم، أو مسجدهم يتدارسون العلم، ويحاولون عن طريق نظرياته وقواعده تعمير الكون، ودفع عجلة الحياة إلى الأمام، هم في عبادة تحفهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة. يقول الرسول ﷺ :

« ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون العلم ويذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »<sup>(١)</sup>.

والرجل الذي يستيقظ مبكراً إلى حقله ، يتعهده بالرعاية ، ويستقي نباته بالماء ويغذي تربته بالسماد ، هو في عبادة ومن المقربين إلى الله تعالى . يقول الرسول ﷺ :

« ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »<sup>(٢)</sup>.

والذي يكّد في مصنعه يدير آلاته ، ويحرك معداته ، ويستعمل إنتاجه في إسعاد البشرية وراحتها هو في عبادة — وقائم على مرضاة الله .

وقد روي أن الرسول ﷺ قبل بدأ تورمت من كثرة العمل وقال :

« هذه يد يحبها الله ورسوله » .

وقس على ذلك الضرب في فيجاج الأرض ، والبحث في ملكوت السماء ، ورصد النجوم والكواكب ، واختراع الأدوية لعلاج المرضى ، ورصد الأوبئة والجراثيم واختراع ما يقتلها ويريح البشرية من شرورها — إن كان ينبغي به وجه الله سبحانه وتعالى فهو في عبادة .

والمرابط في سبيل الله ، والواقف على حدود البلاد يحمي ثغورها ويصد المغيرين عن أرضها ويبطل كيد الغزاة لحماها هو في عبادة وتفتح له الجنة أبوابها .

يقول الرسول ﷺ :

« عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

(١) صحيح الترمذي أبواب الدعوات .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحث والمراعاة .

وإذا كان ذلك كذلك فليس في الإسلام رهبانية، وليس في الإسلام تكاسل عن العمل أو تباطؤ، وإنما هو العمل الجاد المثمر من أجل تعمير الكون وقيام الإنسان بدور الخلافة. ولا يحق لفرد من الأفراد أن يتقرب بأكثر مما فرض عليه من صلاة أو صيام — ما دام ذلك يشغله عن عمله ويباعد بينه وبين أداء الواجبات الأخرى.

ولا يحق له أيضاً أن يجلل ويحرم ويقرر هذا ويمنع ذلك، لأن ذلك من اختصاص الله سبحانه وتعالى.. لأن الله هو الذي يُحلّ الطيبات فلا يحرم أحد على نفسه تلك الطيبات التي بها صلاحه وصلاح الحياة، فإن بصره بالحياة لن يبلغ بصر الحكيم الخبير الذي أحل هذه الطيبات، ولو كان الله يعلم فيها شراً أو أذى لوقاه عباده، ولو كان يعلم في الحرمان منها خيراً ما جعلها حلالاً.

ولقد جاء هذا الدين ليحقق الخير والصلاح والتوازن المطلق والتناسق الكامل بين طاقات الحياة البشرية جميعاً، فهو لا يغفل حاجة من حاجات الفطرة البشرية، ولا يكبت كذلك طاقة بناءة من طاقات الإنسان تعمل عملاً سويماً ولا تخرج عن الجادة، ومن ثم حارب الرهبانية، لأنها كبت للفطرة وتعطيل للطاقة وتعويق عن إنماء الحياة التي أراد الله لها النماء، كما نهى عن تحريم الطيبات كلها لأنها من عوامل بناء الحياة ونموها وتجديدها.

لقد خلق الله هذه الحياة لتنمو وتتجدد، وترتقي عن طريق النمو والتجدد المحكومين بمنهج الله.

والرهبانية وتحريم الطيبات الأخرى تصطدم مع منهج الله للحياة، لأنها تقف بها عند نقطة معينة بحجة التسامي والارتقاء. والتسامي والارتقاء داخلان في منهج الله للحياة وفق المنهج الميسر المطابق للفطرة كما يعلمها الله.

إن تعمير الكون، وتيسير عجلة الحياة مطلب أساسي من مطالب الإسلام، والرسول ﷺ كان يشارك أصحابه في كثير من الأعمال التي كانوا يقومون بها.

من ذلك مشاركته لهم في حفر الخندق حول المدينة ، عندما سمع المسلمون بتحرك الأحزاب نحوهم .

عن البراء رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه ، وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا .

ولا تصدقنا ولا صلينا .

فانزلن سكينتنا علينا .

وثبت الأقدام إن لاقينا .

إن الألى قد بغوا علينا .

إن أرادوا فتنة أبيتنا .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً  
وكان النبي ﷺ يجيبهم :

إنه لا خير إلا خير الآخرة .

فبارك الأنصار والمهاجرة .

وعن أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة فكان النبي أسبقهم على فرس .  
وقال : وجدناه بجرأ (أي واسع الجري) .

وهناك شيء يلفت النظر في حياة عثمان بن مظعون ، من ذلك أن مظاهر تحريمه الطيبات ، وأخذ نفسه بالشدّة في الدين ، وما يتبع ذلك من صيام نهاره وقيام ليله ، قد انعكس أثره على زوجته فانصرفت عن الطيبات وابتعدت عن زينة الدنيا ، وأهملت ما يطلبه الرجل من زوجته من التطيب والتجمل ، والظهور بالمظهر

الحسن ، والتأنيق في اللباس ، حتى تسرع عين الزوج ويفرح قلبه . ويكون هذا مدعاة لإقباله عليها والاقتراب منها .

نقول : حدث هذا مع زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه مما لفت نظر زوجات الرسول ﷺ ، فأقبلن عليها يسألنها وينزلن باللائمة عليها من جراء هذا الإهمال الشديد الذي رأيته عليها في مظهرها وملبسها .

وكان يمكن لهذه الزوجة ، أن تتعلل بعلل كثيرة ، من انشغالها بأعمال المنزل ، ومراعاة الأطفال ، وغير ذلك . ولكنها وهي المؤمنة الصابرة ألفت أمامهن بالحقيقة وعبرت عما جعلها تهمل زينتها وتترك نفسها بلا رعاية ، فقالت :

«لمن أتزين ..؟ وعثمان يصوم النهار ويقوم الليل»؟..

نعم ، لمن يكون التزين إن لم يكن للزوج؟..

وهذا الزوج في شغل شاغل لا يلتفت إليها ولا يهتم بها وقد استغرقت عبادته كل وقته؟..

وما فعله عثمان من استغراقه في جانب واحد من جوانب الحياة ، ينطبق اليوم على كثير من الأفراد في عصرنا الراهن ، عصر السرعة والانكباب على الحياة المادية والتسابق على جمع المال وكثره . ويتركون زوجاتهم للإهمال .. ويعتقدون أنهم ما داموا يقدمون لمن المأكل والملبس وبعض لوازم الحياة ، فقد أدوا ما عليهم من واجبات وما في أعناقهم من حقوق إزاء الزوجات .

وهذا الإهمال والانشغال عن الزوجة ، له عواقب وخيمة متعددة ، منها أن تعيش الزوجة لنفسها أو تبحث عن رجل آخر يملاً حياتها ، وهذا ميسر الآن في عصر الاختلاط وضياح القيم .

وإما أن تهمل نفسها وتجاهل كيانها وتقع في بيتها كقطعة من الأثاث لا روح فيها ولا حياة ، وبذلك يفقد البيت المسلم رونقه وجماله .

فتى يفهم الأزواج ، رجال الأعمال ومن شغلته الحياة ، هذه الحقيقة حتى يعود للعش الآمن سعادته وأفراحه ، وتتجمل كل زوجة لزوجها لا للآخرين ، ونقرأ في عيونها العفة ، وينطق لسانها بكلمة زوجة عثمان بن مظعون عندما أقبل عليها زوجها :

«أصابنا ما أصاب الناس» .



أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ  
عَلَيْهِ فَنُهُم مِّن قَضَىٰ مَحْبُورٍ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تبديلاً ﴿٢٣﴾

صدق الله العظيم

سورة الأحزاب الآية رقم ٢٣

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية في: أنس بن النضر رضي الله عنه.  
قاله صاحب الدر المشور ٥ / ١٨١.  
وقاله الإمام البغوي والحازن بهامشه ٥ / ٢٠٤.  
وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ / ٤٧٥.  
وذكره القرطبي في تفسيره ١٤ / ١٥٩.  
وذكره الطبري في تفسيره ٢١ / ٩٣.  
وذكره الترمذي في مسنده ١٢ / ٨٠ — ٨٢.

من هو أنس بن النضر؟..

## أنس بن النضر

رضي الله عنه

عملاق من الرجال الأفاذا .  
وشهيد نال الشهادة وهو على صهوة فرسه .  
ومؤمن صدق ما عاهد الله عليه .  
ومسلم استقر الإيمان في قلبه .. فشاع على ما حوله نوراً وضياء ومعرفة ..  
ذلكم هو أنس بن النضر بن ضمضم بن عدي بن النجار الأنصاري .  
من الأنصار الذين سمعوا بدعوة محمد ﷺ فركبوا المطايا وقطعوا الفيافي والقفار  
حتى وصلوا إليه .  
وعندما جمعهم مع رسول الله ﷺ مكان ، قالوا : يا محمد تكلم ، فخذ  
لنفسك ولربك ما أحببت .  
فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ورغب في الاسلام .  
ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .  
فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال :  
« نعم ، والذي بعثك بالحق لئمنعك مما تمنع منه نساءنا ، فبايعنا يا رسول الله ،  
فنحن والله أهل الحرب ، وأهل السلاح ، وورثناها كابراً عن كابر » .

فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فقال :

يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال — يعني اليهود — حبلاً وأنا قاطعوها ،  
فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا... ؟  
فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال :

« بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتهم وأسالم  
من سالمتم »<sup>(١)</sup> .

وإذا كان هذا هو حال الأنصار في بدء الدعوة الوليدة ، فإن أنس بن النضر  
يعتبر من خلاصة هؤلاء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :

« فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك  
الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار  
وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار »<sup>(٢)</sup> .

وأخت أنس : الربيع بنت النضر الأنصارية أم حارثة بن سُرَاقَة المستشهد  
بدي رسول الله ﷺ .

ومن حديثها أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله أخبرني عن  
حارثة ، فإن كان من أهل الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك فستري ما أصنع .  
فقال : يا أم حارثة :

« إنها جنان كثيرة ، وإن حارثة منها في الفردوس الأعلى »<sup>(٣)</sup> .

وابن أخيه أنس بن مالك — رضي الله عنه — والذي دعا له رسول الله ﷺ  
فقال :

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٩ . والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) ابن هشام ج ٤ ص ١٤٨ ورواه أحمد في مسنده وابن كثير في البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٠١ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٤ ص ١٨٣٨ .

« اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له ».

قال أنس : « فلإني لمن أكثر الأنصار مالاً وولداً » ..

أسلم عندما شاع الإسلام في يثرب ، وعندما هاجر الرسول ﷺ كان أنس من الرجال الذين أحاطوا برسول الله ، يستمع إليه ويقتدي بهديه .

حتى جاءت غزوة بدر ، تلك الغزوة التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً على عصابة الشرك والكفر ، وامن الله فيها على المؤمنين يجند من عنده . قال تعالى :

﴿ ولقد نصركم الله بدر وأتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتقفوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ (١)

نقول : جاءت غزوة بدر فغاب عنها أنس ولم يحضه ها — وتام لذلك المأثراً .

أغيب عن أول واقعة تكون في الإسلام مع هؤلاء العصاة التي خرجت من قريش بغياً وعدواناً؟ .. إن هذا أمر لا يحتمل .. ولكنه بما أخذ يعزي نفسه بما يأتي من الصدام والحروب مع هؤلاء الناس .

واستراح لهذه النتيجة ، ثم تقدم لرسول الله ﷺ وقال :

« يا رسول الله ، غبتُ عن قتال بدر — عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع » (٢) .

وسارت الأيام بطيئة ثقيلة بالنسبة لأنس — إنه يريد معركة — إما أن يحظى فيها بالشهادة .. أو أن ينتصر فيها المسلمون .. بعون الله ثم عزيمة الرجال .

(١) سورة آل عمران الآيات من ١٢٣ إلى ١٢٦ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ١ ص ١٠٨ .

ولم يمض كبير وقت حتى فكرت قريش أن تأخذ بثأرها من محمد وصحابته :  
وسمع رسول الله ﷺ بزحف قريش على المدينة ، فجمع المسلمين ثم قال :  
« إني رأيت بقرأ فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سني ثلماً ، ورأيت أني أدخلت  
يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا  
أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها» (١) .

فقال رجال من المسلمين ممن أكرم بالشهادة يوم أحد ، منهم أنس بن النضر ،  
وغيره ممن كان فاته بدر :

« يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يروننا جيناً عنهم وضعفنا» .

فقال عبد الله بن أبي بن سلول :

« يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها — يعني المدينة —  
إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا . ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فدعهم يا رسول  
الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم  
النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا» (٢) .

ولكن هذا القول الذي قاله عبد الله بن أبي لم يوافق عليه حمزة بن أبي طالب  
ولم يقبله أنس بن النضر .

وثار في وجه عبد الله بن أبي عبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير وغيرهم .

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك دخل فلبس لامته وخرج والناس معه إلى  
القتال .

حتى إذا وصلوا إلى مكان المعركة قال رسول الله ﷺ :

« من يأخذ هذا السيف حقه ٢٧ .. »

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٠ .

فقام إليه رجال فأمسكوه عليهم حتى قام إليه أبو دجانة سراك بن خرشة أخو بني  
ساعدة ، فقال :

وما حقه يا رسول الله؟..

قال : « أن تضرب به العدو حتى ينحني ».

قال : « أنا آخذه يا رسول الله بحقه » . فأعطاه إياه .

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب . فلما أخذ السيف من يد  
رسول الله ﷺ أخرج عصاة له حمراء فعصب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين  
الصفوف .

فقال رسول الله ﷺ :

« إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن »<sup>(١)</sup>

ثم أخذ أبو دجانة يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول

أضرب بسيف الله والرسول

وجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً من  
جرحى المسلمين إلا أجهز عليه .

قال الزبير بن العوام : فدعوت الله أن يجمع بين أبي دجانة وهذا الرجل . وما  
هي إلا لحظات حتى التقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه  
بدرقته فعضت سيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٢ ورواه الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه وابن كثير في  
البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨ .



يقول أبو دجانة : رأيت إنساناً يثير حمية الناس فصمدت له .. فلما حملت عليه السيف رفع الصوت وقال : يا ويلاه .. فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة (١) .

وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل ، وكان الذي قتله ابن قنمة اللبني — وهو يظن أنه رسول الله ﷺ .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس ابن طلحة كلاهما يشعره سهماً فيأتي أمه سلاقة فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بني من أصابك ؟ ..

فيقول : سمعت رجلاً — حين رماني — وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر (٢) .

واقتل الناس قتلاً شديداً وأمعن في التقدم حمزة وعليّ وأبو دجانة في رجال المسلمين ، وأنزل الله نصره عليهم .. وكانت هزيمة المشركين كبيرة ، وهرب نساؤهم مصعدات في الجبل ، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ، فلما نظر بعض الرماة إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب ، وثبت طائفة وقالوا : « نطيع رسول الله ونثبت مكاننا » فأنزل الله تعالى :

﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ (٣) .

فلما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقي من الرماة فحمل عليهم فقتلهم وحمل على أصحاب النبي ﷺ ، ولما رأى المشركون خيلهم تقاتل شدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوه .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٢ .

واتهى أنس بن النضر إلى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقوا  
بأيديهم .

فقال : ما يحبسكم .. ؟

قالوا : قد قتل النبي ﷺ .

قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ .. موتوا على ما مات عليه .

وقيل : إن أنس بن النضر سمع نقرأ من المسلمين يقولون ، لما سمعوا أن النبي ﷺ  
قتل : ليت لنا من يأتي بعبد الله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا .

فقال لهم أنس : يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل .

ويقول أنس بن مالك عن عمه أنس بن النضر ، يوم انكشف الناس في أحد ،  
قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — يعني المشركين — واعتذر إليك مما  
صنع هؤلاء — يعني المسلمين » .

ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال : أي سعد ، والذي نفسي بيده إني  
لأجد زريح الجنة دون أحد ، واهاً لريح الجنة .

قال سعد : فما عرفت يا رسول الله ما أصنع ؟ ..

قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة ، من ضربة بسيف  
وطعنة يرمح ورمية بسهم ، قد مثلوا به .

قال : فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه (١) .

قال أنس : فكنا نقول لما أنزلت هذه الآية : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما  
عاهدوا الله عليه ﴾ (٢) .

إنها فيه وفي أصحابه .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه .

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٢١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

## أسباب نزول الآيات

عن أنس رضي الله عنه قال :

غاب عمي أنس بن النضر— وبه سميت أنساً— عن قتال بدر ، فشق عليه لما قدم وقال :

« غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالاً ليرين الله ما أصنع ».

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال :

« اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني المسلمين ».

ثم مشى بسيفه فلقبه سعد بن معاذ فقال : أي سعد ، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، فقاتلهم حتى قُتل .

قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة ، من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وقد مثلوا به ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنائه ، ونزلت هذه الآية :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

قال فكنا نقول : أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه (١) .

(١) صحيح مسلم ٨٦ / ٤٤ - ٤٥ .

وعن ثمامة عن أنس بن مالك قال :

نزلت هذه الآية في أنس بن النضر : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ (١)

وعن أنس بن مالك : أن عمه غاب عن قتال بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين . . . لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرين الله كيف أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاءوا به هؤلاء — يعني المشركين — وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء — يعني الصحابة . ثم تقدم فلقى سعد فقال : يا أخي ما فعلت أنا معك فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضعاً وثمانين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فكنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ (٢)

قال يزيد : يعني الآية . هذا حديث حسن صحيح . واسم عمه أنس بن النضر (٣)

(١) صحيح البخاري ١١٦ / ٦ ورواه مسلم عن محمد بن حاتم ، ورواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن المبارك ، وزاد النسائي وأبو داود وحماة بن سلمة ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦ والآية من سورة الأحزاب رقم ٢٢ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

(٣) الترمذي باب التفسير سورة الأحزاب .

## تذييل ...

قال تعالى :

﴿والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالغيرات صبحاً ، فأثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً﴾<sup>(١)</sup> .

أقسم الله سبحانه وتعالى بالخييل وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار ، لأنها عدة المحارب ، وحصن المقاتل ، وخيلاء المنتصر .  
وأكد ذلك بقوله تعالى :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾<sup>(٢)</sup> .

فالامة التي تعرف صهوات الخيل لن تعرف طعم الهزيمة .  
والشعب الذي ينفض غبار الكرى في الأسحار يجيد فن الانقضاء على الأعداء .

يصف ابن عباس رضي الله عنه « استراتيجية » المارك عند أتباع محمد ﷺ فيقول :

(١) سورة العاديات الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

« كانوا إذا أرادوا الغارة سروا ليلاً ويأتون العدو صباحاً لأن ذلك وقت غفلة الناس » .

ويصف الله سبحانه وتعالى ما حل بهؤلاء الكسالى بقوله :  
﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ (١) .

ساء صباحهم لأنهم لم يتمذهبوا بمذهب الرجال ، ولم يتأدبوا بأدب القرآن ، ولم يتخرجوا في مدرسة النبوة .

أما أتباع محمد ﷺ فيقول أحدهم وهو خالد بن الوليد — رضي الله عنه — في أخريات عمره :

« ما ليلة يهدى إليّ فيها عروس ، أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد » (٢) .

ومن هنا وصفهم ربهم بقوله تعالى :

﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ (٣) .  
إنهم في رباط دائم وصحوة مستمرة .

في رباط مع ربهم لا يغفلون عنه لحظة ، ولا ينشغلون عن أوامره خطرة ، وفي صحوة مستمرة مع أنفسهم .

في صحوة ضد أعداء الدين ، أعداء الوطن .. سمعوا نداء ربهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ .. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة

(١) سورة الصافات الآية رقم ١٧٧ .

(٢) عبقرية خالد : عباس العقاد .

(٣) سورة الذاريات الآية ١٧ .

في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴿١﴾ .

سمعوا ذلك النداء فلبوا صوته وآمنوا أن هذا طريق النصر وتلك هي شروطه :  
إيمان عميق بالله ورسوله .

وجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس .

والإيمان العميق لن يأتي إلا عن طريق العقيدة ، العقيدة التي حملها أتباع محمد ﷺ ، فانفتحت أمامهم الدنيا وانداحوا في أربعة أركان الأرض حتى كأن الأرض كانت تطوى تحت أقدامهم كما يقول بعض المؤرخين .

لقد انتصر الصهاينة في معركتين ، وكان النصر يرتكز أولاً وأخيراً على التمسك بعقيدتهم التي تمثلها الديانة اليهودية .

وفي الجيش الاسرائيلي «حاخامات» على رأسهم حاخام الجيش الأكبر وهم يتمتعون بسلطة لا مثل لها ولا نظير في الجيوش الأخرى .

في جيش إسرائيل تجري مسابقات سنوية في التوراة يكرم فيها المتفوقون أعظم التكريم وينالون أكبر الجوائز .

كما أن في الجيش ضباطاً وضباط صف ومراتب أخرى يقيمون الشعائر الدينية عند حائط المبكي ، وأفراد قوات المظلات الإسرائيلية تؤدي يمين الولاء أمام هذا الحائط .. يحملون البندقية بيد ، والتوراة في اليد الأخرى .

وحين هرب الصهاينة ستة زوارق حربية من ميناء «شربورغ» ووصلت سالمة إلى ميناء حيفا .

قال «ديان» وزير الحربية في ذلك الوقت :

«إن الزوارق الستة أبحرت دون أسلحة ، ودون حراسة واستطاعت التزود

(١) سورة الصف الآيات ١٠ - ١٣ .

بالوقود في البحر. ذلك لأنها لم تكن مزودة بأربعة محركات فحسب ، بل وأيضاً  
بنعمة إلهية وبروح علوية» .

وكلمته هذه تشير إلى ما ذكره الكتاب المقدس عندهم :

« كانت الفوضى تعم الأرض وروح الله تشمل الماء» .

والعقيدة كما هو معروف لا تحارب إلا بعقيدة ، والفكرة لا تقاوم إلا بفكرة .  
من هنا تبرز أهمية القيادة الدينية للمحاربين من العرب والمسلمين .  
إن الحرب كراهية وبشعة وهذا حق .

والحرب تأكل الرجال وتقضي على الشيوخ والأطفال ، ومن هنا كانت كراهية  
الحرب وكراهية احتدام القتال (١) .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ،  
وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ؛ والله يعلم وأتم لا تعلمون ﴾ (٢) .

وتساءل : ما الدافع أو الحافز الذي يدفع الشباب إلى إلقاء نفوسهم في أتون  
المعركة ؟ ...

كما فعل أتباع محمد ﷺ من أمثال :

الشهيد مصعب بن عمير .

والشهيد جعفر بن أبي طالب .

والشهيد حمزة بن عبد المطلب .

والشهيد أسامة بن زيد .

والشهيد صهيب الرومي .

(١) راجع كتاب : هذا هو الطريق (للمؤلف) .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٦ .



والشهيد أنس بن النضر.

وما المقابل الذي يجعل الرجل يضحي بمحصلة عمره وثمرة حياته ، بل وبكل ما يملك ؟ ..

كما فعل أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — الذي ضحى بكل ما يملك في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين.

وعندما سأله رسول الله ﷺ :

ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟ ..

فقال الرجل الذي تربى في مدرسة الإسلام :

« تركت لهم الله ورسوله ».

وكما فعل عثمان بن عفان — رضي الله عنه — الذي جهز جيش العسرة المسافر لنشر دين الله ورفع كلمة الله ، واشترى بئر رومة للمسلمين.

وقال ﷺ :

« ما ضر عثمان ما فعل بعد »<sup>(١)</sup>.

وكما فعل عبد الرحمن بن عوف ، وخديجة بنت خويلد ، وغيرهم الكثير. نعم ، ما الدافع ، وما المقابل ؟

إن الدنيا وما فيها لا تساوي نفساً واحداً يفقده الإنسان ويحول بينه وبين لحظة من الحياة .

فالذي يوازن الحياة ويكافئها لا نظير له في عالم الوجود .

وإذا كان ذلك كذلك فهل هو موجود ؟ ..

وأين يوجد ؟ ..

إنه موجود ولا سبيل إلى إنكاره ، لأنه الجانب الآخر من شقي الحياة ...

(١) رواه الترمذي في مناقب عثمان رضي الله عنه .

إنه الوجود الأخرى.. كما أخبرت به العقيدة وبشرت به الرسل.  
إنه الجنة...

هذا هو الشيء الذي يعادل الحياة. ولذلك قال تعالى:  
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾<sup>(١)</sup>.  
إلى قوله:  
﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) و (٢) سورة التوبة الآية ١١١.

عِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ  
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
وَأَسْلَبُوا لَهُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

صدق الله العظيم

سورة الزمر الآية ٥٣ - ٥٤

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآيات في : عياش بن أبي ربيعة .  
قال ذلك صاحب تفسير الطبري ١١ / ٢٤ .  
والإمام البغوي- في تفسيره ٦ / ٦٦ — ٦٧ .  
وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن في كتابه ص ٣٨٩ .

فمن هو عياش بن أبي ربيعة؟ ..

## عبّاش بن أبي ربيعة

رضي الله عنه

... يسمى عبّاش بن أبي ربيعة.

من قبيلة بني مخزوم، إحدى القبائل التي كانت لها أئمة الخيل في قريش و عرف رجالها بالقوة والجلد في رحاب الحرب، وبالخفة والانطلاق على صهوات الخيل، فهم قوم محاربون.

ومن أجل ذلك.. كان أطفالهم يتدربون من الصغر على استعمال الأسلحة وإصابة الهدف وترويض الخيل، واقتحام المخاطر. فإن ثبت الطفل لهذا التدريب العنيف فهو فارس مغوار يضاف إلى قائمة الرجال الذين يُعمل لهم حساب في الكر والفر، وخوض المعارك.

يكنى عبّاش أبا عبد الله.

أخوه أبو جهل بن هشام لأمه، أبو جهل قاهر المستضعفين، وعدو المؤمنين بمكة، وفرعون هذه الأمة — كما قال رسول الله ﷺ — وراضخ جسم بلال بالحجارة والسياط والناهي لرسول الله ﷺ عن الصلاة في الكعبة، وأحد المستهزئين بالدعوة وصاحبها، والمتآمرين على قتله في دار الندوة<sup>(١)</sup>.

(١) رجال أنزل الله فيهم قرآناً ج ٤ ص ٧٨.

سمع عياش بدعوة الإسلام فأسلم مبكراً .  
أسلم قبل دخول الرسول عليه السلام إلى دار الأرقم .  
وكان بخلاف أخيه أبي جهل يدعو إلى الاسلام ، ويستمع إلى القرآن ويقدم ماله  
في سبيل الله .

ولما رأى قريشاً لا تكفّ عن إيذاء المسلمين ، استجاب لدعوة الرسول ﷺ  
بالهجرة إلى أرض الحبشة .  
هاجر مع بقية المؤمنين الذين ملأ الإيمان قلوبهم ... فصغرت عندهم الدنيا وهانت  
في سبيل الله نفوسهم .

وكانت معه في هجرته إلى الحبشة زوجته أسماء بنت سلمة التي تكنى أم  
الجللاس ، وروت عن النبي ﷺ .  
وفوق تلك الأراضي البعيدة ولدت أسماء عبد الله بن عياش .  
وروى عن النبي ﷺ قال :

دخل رسول الله ﷺ بعض بيوت آل ابي ربيعة ، إما لعيادة مريض أو لغير  
ذلك . فقالت له أسماء بنت مخزبة : يا رسول الله ألا توصيني ؟  
فقال رسول الله ﷺ :

« يا أم الجللاس ، اتني إلى أختك ما تحبين أن تأتي إليك »<sup>(١)</sup>

ثم أتى رسول الله بصبي من ولد عياش فذكرت أم الجللاس لرسول الله ﷺ  
مرضاً بالصبي ، فأخذه رسول الله وجعل يرقيه ، ويتصل عليه .  
وعاد عياش إلى مكة بعد أن أعلنت قريش مصالحتها لمحمد وأصحابه .  
وبقي في مكة بجوار الرسول ﷺ حتى أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى  
المدينة .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ٩٦١ .

فخرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة.

يقول عمر رضي الله عنه : لما عزمنا على الهجرة اتفقت وعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص على الهجرة سوياً. وحددنا ميعاداً لذلك... وقلنا نلتقي في الصباح عند غدیر بني غفار، وأبنا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. قال : وفي الصباح التقيت وعياشاً وحبس عنها هشام وقتن فافتتن. وسارت بنا المطي حتى دخلنا إلى يثرب. فلما وصلنا نزلنا في دار بني عمرو بن عوف بقاء. وأحست قريش بفرار عياش بن أبي ربيعة.. وأخذت العيون تتسلط على أبي جهل، رئيس عصابة الكفر.

أيدعي أنه عدو المؤمنين وقاهر المستضعفين، وأقرب الناس إليه يتابع محمداً فيما جاء به، ويفر إلى يثرب؟..

وأخذت الكلمات تنوشه من كل جانب.. إن كان ولا بد أن يقف أبو جهل في وجوه الذين يتابعون محمداً فليقف في وجه أخيه أولاً.

ولم يستطع ابو جهل أن يتحمل أكثر من ذلك. عندها صمم على الذهاب إلى المدينة. وفي جنح الظلام كانت مطية أبي جهل وأخيه الحرث بن هشام تسابق الريح وثباً في اتجاه المدينة.

والتقى الإخوة الثلاثة. وقال أبو جهل :

« يا عياش.. لماذا فعلت ذلك؟.. وخرجت من مكة خلسة؟.. أكنت تخاف أحداً؟.. ومن هذا الذي يستطيع أن ينال منك؟..»

لقد أتينا خلفك لأن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مُشط حتى تراك.. ولا تستظل من شمس حتى تشاهدك».

فرقاً لذلك.. وأثر في قلبه ما عزمته عليه أمه.

فاستشار عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — رفيقه في الرحلة عماذا يفعل؟..



فقال عمر: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت .

قال عياش : أبرُّ قسم أُمِّي ، ولي هناك مال آخذه .

قال عمر : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصف مالي ولا تذهب معها .

.. فأبى عياش ذلك وقرر أن يخرج معها<sup>(١)</sup> .

.. ولم يجد ابن الخطاب من وسيلة لمنع عياش من الذهاب إلى مكة ، عندها قال له : أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها . فإن رابك من القوم ريب فانج عليها .

وخرج معها عائدين إلى مكة .

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل :

والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبنني على ناقتك هذه ؟ .. قال : بلى .

فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن .

.. واستطاع أبو جهل أن ينجح في سفارته .

وحرص على ألا يدخل مكة إلا في وضح النهار موثقاً أخاه ثم قال : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيها هذا .

.. وعلم عمر بما حدث لصاحبه فكان يقول : ما الله بقابل ممن افتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة . قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم .

(١) راجع سيرة ابن هشام — هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه — للمدينة .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم . وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ (١) .

قال عمر رضي الله عنه :

فكثبتا بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة . فقال هشام : فلما أتني جعلت أقرأها بندي طوى أصعد بها وأصوب ولا أفهمها . حتى قلت : اللهم فهمنيها . قال : فألقى الله تعالى في قلبي إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا .

حتى كان يوم والرسول ﷺ بين أصحابه في المدينة . قال :

من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ؟ ..

فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بها .

فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً . وبقي فترة يبحث عن مكانها .. حتى كان يوم التقى فيه بامرأة تحمل طعاماً . فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ ..

قالت : أريد هذين المحبوسين — تعني عياشاً وهشاماً — فتبعها حتى عرف موضعها . وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسوّر عليها ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديها ، ثم ضربها بسيفه ، فقطعها .

ثم حملها على بعيره وساق بها حتى قدم بها على رسول الله ﷺ (٢) .

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ — ٥٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ .

جاء عياش وهشام إلى مقر الإيمان .  
وفي المدينة انضما إلى قافلة المجاهدين .

وعما قريب ستلتقي تلك الوجوه المؤمنة المضيئة بوجوه كالحلة قبيحة .. لن يلتقوا لقاءً عادياً ، وإنما سيكون لقاؤهما .. تحت أسنة الرماح .. وتحت ضربات السيوف ، وسيلقى أبو جهل في أول لقاء من تلك اللقاءات جزاء ما فعله مع الصابرين المؤمنين .

وفعلاً ما كادت تأتي بدر ، بدر الكبرى ، حتى جُندل أبو جهل وأميه بن خلف ومجموعة أخرى من هؤلاء الصناديد الذين فعلوا بالمؤمنين الأفاعيل وأخرجوهم من ديارهم وسلبوا أموالهم ومنازلهم .  
... ثم ماذا؟ ..

لم تمض إلا لحظات قصار في عمر الزمن .. حتى كانت تلك الفئات المؤمنة تتبع رسول الله ﷺ في سيره نحو مكة .

إنهم في شوق إلى تلك الديار التي شهدت أيام صباهم وشبابهم .. وهم في حنين طاغ إلى منابع مياهها ، وخضرة سهولها ، وقمم جبالها .  
إنهم يحنون إلى بيت الله الحرام .. أول بيت وضع للناس .  
فهل تسمح لهم قريش بذلك؟

لقد جاءوا يسوقون الهدى .. وجردوا أنفسهم من كل سلاح وعتاد . وكل ما يريدونه أن يدخلوا البيت الحرام ويطوفوا بالكعبة معتمرين قانتين .  
ولكن قريشاً ركبت رأسها .. وقررت ألا تسمح لأتباع محمد بالدخول إلى مكة في عامهم هذا .

وإزاء ذلك أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان — رضي الله عنه — ليُعلم قريش بأنهم جاءوا معتمرين .

ولم تستجب قريش لذلك وحبست الرسول الذي أرسل إليها.. وشاع بين المسلمين أن قريشاً قد قتلتها.

عندها قال الرسول عليه السلام:  
«لا تبرح حتى نناجز القوم»<sup>(١)</sup>.

ودعا إلى البيعة — فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة.

بايعهم رسول الله ﷺ على الموت.

ولكن لم يحدث قتال.. ولم تنشب الحرب. وتم الصلح بين رسول الله وقريش.  
ونزل قول الله تعالى:

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً \* ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً \* وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً \* وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً﴾<sup>(٢)</sup>.

ودخل عياش بن أبي ربيعة في الفئة التي أنزل الله السكينة عليهم، وسارت به الحياة طيبة راضية، هنيئة سهلة.

إن كان قتال فهو على أعتة الخيل، يحمل سيفه ويتقدم الصفوف، ويدعو للقتال والطعان، ويعود في آخر المعركة، مخضب السيف، مشخناً بالجراح، ولكنه لم ينل الشهادة التي هي طلبته التي يطلبها من ربه وغايته التي يتمنى أن يتختم بها حياته؟..

لقد ساهم في غزوة حنين.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٨٩.

(٢) سورة الفتح آية ١٨ — ٢١.

وقاتل في جيوش المسلمين في حروب الردة .  
وحمل زاده وسلاحه لينشر دين الله على أرض فارس .  
وانتقل مع خالد بن الوليد رضي الله عنه على مشارف الروم يحطم القلاع ويجالد الأبطال ويتربص بنصر الله .

حتى كانت معركة اليرموك التي خرجت الروم فيها في تعب لم ير الراؤون مثلها قط ، حتى قال عياش بن أبي ربيعة لخالد :  
« ما أكثر الروم وأقل المسلمين » ! ..

فقال خالد : ما أكثر المسلمين وأقل الروم ، إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان<sup>(١)</sup> .

ثم أمره خالد ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو بإنشأ القتال .  
والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا .  
وبينا هم على ذلك قدم البريد من المدينة بموت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتأميره أبي عبيدة .

وبينا الجيش على أهبة خوض معركة أخرى إذ برز من صفوف الروم أحد القواد ويسمى (جرجة) . وطلب خالداً فخرج إليه وأمن كل منها صاحبه .  
فقال جرجة :

يا خالد أصدقني ولا تكذبني  
فإن الحر لا يكذب ، ولا يخادعني  
فإن الكريم لا يخادع المسترسل  
هل أنزل الله على نبيكم سيفاً  
من السماء فأعطاكمه فلا تسله  
على قوم إلا هزمتهم ؟ ..

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٤١٢ .

قال خالد : لا .

قال : ففيمَ سُميت سيف الله ؟ ..

فقال له : إن الله بعث فينا نبيه ﷺ ، فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم إن الله هداني فتابعته .

فقال : أنت سيف الله سلّه الله على المشركين ودعا لي بالنصر .

قال : فأخبرني إلى ما تدعوني ؟ ..

قال خالد : إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب .

قال : فما منزلة الذي يجيئك ويدخل فيكم ؟ ..

قال : منزلتنا واحدة .

قال : فهل له مثلكم من الأجر والذخر ؟ ..

قال : نعم وأفضل لأننا اتبعنا نبينا وهو حي ، يخبرنا بالغيب ونرى منه المعجائب والآيات ، وحقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يُسلم ، وأنتم لم تروا مثلنا ولم تسمعوا مثلنا ، فن دخل بنية وصدق كان أفضل منا .

فقلب جرجة ترسه ومال مع خالد وأسلم ، وعلمه الإسلام واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم<sup>(١)</sup> .

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا الحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل وعمه الحارث بن هشام فقال عكرمة :

قاتلت مع النبي ﷺ في كل موطن ثم أفر اليوم . ثم نادى : مَنْ يبايع على الموت ؟ ..

فبايعه عياش بن أبي ربيعة ، والحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعائة من وجوه المسلمين وفرسانهم .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٤١٢ والبلدانية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٤ .

وقاتل المسلمون قتالاً شديداً وقاتل خالد ومعه (جرجة) حتى قُتل (جرجة) وانهزمت الروم وفروا هارين.. وتحقق النصر.. نصر الله للمؤمنين.

وكانت هذه آخر القلاع والقوة الضاربة التي كانت تقف في وجه المسلمين بأرض الشام.

ونتساءل: أين عياش بن أبي ربيعة؟..

هل تناوشته السيوف ونالت منه الرماح؟..

حتى قُتل في المعركة.. وتحقق ما كان يرجوه ويطلبه من طلبه الشهادة من ربه؟..

إن بعض المراجع لا تضيفه إلى قائمة الشهداء في معركة اليرموك.. وتذكر أنه كان ضمن من أئختهم الجراح.

وعلى رأس القائلين بذلك والمؤيدين له ابن الأثير فيذكر أن المصابين في هذه المعركة هم:

عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو.

وسلمة بن هشام، وعمر بن سعيد.

وجندب بن عمر، والطفيل بن عمرو.

وهشام بن العاص، وعياش بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup>.

ويذكر محمد بن سعد: أن الحارث بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وعياش بن أبي ربيعة قُتلوا يوم اليرموك.

وقال أبو جعفر الطبري: مات عياش بن أبي ربيعة بمكة.

ونحن نؤيد ما ذهب إليه الطبري من أن عياش أئختته الجراح في معركة اليرموك — فعاد إلى مكة ومات بها. رحمه الله.

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٤١٤.

ومما رواه عياش عن رسول الله ﷺ قوله :  
« ولا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها — يعني الكعبة  
والحرم ، فإذا ضيعوها هلكوا » (١) .  
صدق رسول الله — وغفر لعياش بمقدار ما قدّم من خير للإسلام والمسلمين .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٢٢٣ .



## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس : نزلت في أهل مكة ، قالوا : يزعم محمد أن من عيد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله — لم يغفر له .

فكيف نهاجر ونسلم ، وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر ، وقتلنا النفس التي حرم الله ؟ ..

فأنزل الله تعالى هذه الآية :

وقال ابن عمر : نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا وفتنوا ، فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صِرفاً ولا عدلاً أبداً ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به فنزلت هذه الآيات .

وكان عمر كاتباً فكتبها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ، وأولئك النفر ، فأسلموا وهاجروا :

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن ما عملناه كفارة فنزلت هذه الآية (١) .

(١) صحيح البخاري ٦ / ١٢٥ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ .

وقال محمد بن إسحاق ، قال حدثنا نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنه أنه قال :

« لما اجتمعنا إلى الهجرة اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل . فقلنا الميعاد بيننا المناصف — ميقات بني غفار — فن حبس منكم لم يأتها فقد حبس فليمض صاحبه . فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام وقتن فافتن .

فقدمنا المدينة فقلنا : ما الله بقابل من هؤلاء توبة ، قوم عرفوا الله ورسوله ثم رجعوا عن ذلك البلاء أصابهم من الدنيا فأنزل الله تعالى :

(١) ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ (٢) .

قال عمر : فكتبها بيدي ثم بعث بها إلى هشام .

قال هشام : فلما قدمت عليّ خرجت بها إلى ذي طوى . فقلت : اللهم فهمنيها ، فعرفت أنها أنزلت فينا ، فرجعت فجلست على بعيري فالحقت برسول الله ﷺ (٣) .

(١) سورة الزمر آية ٥٣ .

(٢) سورة الزمر آية ٦٠ .

(٣) راجع أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٣٨٩ .

## تذليل ...

عياش بن أبي ربيعة .

وأبو جندل بن سهيل بن عمرو .

وأبو بصير عتبة بن أسيد . وغيرهم كثير من شباب مكة الذين آمنوا وصدقوا بدعوة الرسول ﷺ ، ولكن قريشاً وقفت لهم بالمرصاد ، وحالت بينهم وبين عبادة ربهم ، والفرار بدينهم إلى يثرب .

أما عياش فقد عرفنا كيف هاجر إلى يثرب ثم احتال عليه أخوه أبو جهل حتى رده مرة أخرى إلى مكة يرسف في قيده وقال لأهل مكة المجتمعين في دار الندوة : هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفينا هذا .

وأما أبو جندل .. فقد حبسته قريش أيضاً حتى إذا كان صلح الحديبية انفلت إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبية فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال :

« يا محمد قد انعقدت القضية وانتهى أمرها بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا .. وكان من بنود الصلح : أن من جاء محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه .

فقال الرسول ﷺ : صدقت .

ثم قال لأبي جندل : يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم» .

وأما أبو بصير :

فهو أيضاً رجل من رجالات قريش الذين تفتحت قلوبهم للدعوة الجديدة — بعد هجرة الرسول — ﷺ ، وعندما فكر في الهجرة حالت قريش بينه وبين ذلك ولكنه لم يئأس .

وفي غفلة من عيون قريش اعتلى ظهر ناقته وترك لها العنان تسابق الريح وتطوي الصحراء إلى يثرب لينضم إلى جماعة المسلمين ، ويصير جندياً من جنود الله يدافع عن دينه ويجندل الذين يقفون في طريقه .

وما كاد يصل إلى يثرب ويلتقي بصحابة رسول الله ﷺ ومحس بينهم ببعض الأمان والراحة حتى كانت قريش قد أوفدت رسولين إلى رسول الله ﷺ ليرد لها أبا بصير ، تنفيذاً للعهد الذي كان بينهم في صلح الحديبية . عندها قال الرسول ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً فانطلق إلى قومك» .

قال : يا رسول الله .. أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ ..

قال الرسول ﷺ : يا أبا بصير انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

واستجاب أبو بصير لما أمره رسول الله ﷺ وانطلق مع الرسولين إلى مكة . وفي الطريق قرر ابو بصير أمراً . إن قريشاً صاحبة حيلة ومكر ، وأخذت هذه الشروط من الرسول ﷺ عن طريق القسر والاضطرار . هذه واحدة .

والثانية : لا بد من تحرير المستضعفين الذين آمنوا بدعوة محمد ﷺ من طغيان قريش .

إذن لن يعود إلى مكة وعليه أن يهب نفسه للجهاد في سبيل الله.. ويل قريش  
من استقر الإيمان في قلبه، واستضاءت روحه بنور الإيمان.

وعندما وصل إلى وادي ذي الحليفة نزل وحارساه ليتناولوا طعامهم.. وفي أثناء  
الطعام تعرف على قوة صاحبيه... حتى إذا انتهوا من الطعام نزل بالسيف على أحد  
الرجلين فقتله، وفر الآخر — حتى أتى رسول الله ﷺ وقال له: قتل والله  
صاحبي، وإني لمقتول.

وبعد لحظات دخل أبو بصير على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله قد والله  
وفت ذمتك، وقد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم.

ثم خرج مودعاً الرسول ﷺ واتجه صوب مكة، حتى نزل العيص على ساحل  
البحر بطريق قريش التي كانوا يبرون عليها إلى الشام.

وفي وسط هذا الطريق — طريق القوافل — إلى الشام ومكة — ركز هذا  
القدائي حريته وتوشح سيفه وقرر أن يأخذ على مكة الأرض من أقطارها، سيحاربها  
في اقتصادياتها.. سيوقف تجارتها.. سيجندل أبناءها.  
فلتعش مكة بغير تجارة.

ولتوقف كل معاملاتها مع العالم الخارجي.

ولتحصر بين جبالها تآكل «السعدان» وحشائش الأرض مع إبلها وأغنامها؟..

ويعلم الرسول ﷺ بما اعتزمه هذا القدائي الكبير فقال:

«ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال».

وتدوي هذه الكلمة في أرض الله وتبلغ الرجال المسلمين الذين حبستهم مكة

بين دروبها، وفهموا أن ذلك نداء من القائد العام للجماعة المسلمة بالانضمام إلى

كتيبة أبي بصير. فخرجوا الواحد بعد الواحد حتى بلغ عددهم سبعين رجلاً،

وأخذوا في مزاوله أعمالهم — يترصدون قوافل قريش، ويستولون عليها — حتى

غنموا كل ما تحمله من عروض التجارة.

وأخذوا ما يحمله الرجال من ذهب وفضة ، وجدلوا من فرسان قريش من وقف في طريقهم .

وعلمت قريش بما فعله أبو بصير ورفاقه ، فخافت على تجارتها فلم ترسلها إلى الشام ، فكسدت بضائعها وانفض عنها عملاؤها ، وأصبحت بضرة موجهة .

عندها قررت قريش أن يتجه وفد منها إلى رسول الله ﷺ يسألونه بالرحم أن يقبل أبا بصير وصحبه ويردهم إلى المدينة .

وقال الرسول ﷺ : والشروط التي أخذت في صلح الحديبية ؟

قالوا : يا محمد إنك لتصل الرحم وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر . اقبل رجاءنا وارسل إلى أبي بصير وصحبه فضمهم إليك فقد توقفت أعمالنا وكسدت تجارتنا ، وإننا متنازلون عما بيننا وبينك من هذا الشرط .

واستجاب الرسول ﷺ لطلب قريش ، وأرسل رسالة إلى أبي بصير يرده إليه .

ويمسك أبو بصير بكتاب الرسول ﷺ ويقرأه بشفتيه ويبله بدمعه ، ويضعه على صدره ، وتفارق روحه جسده .

والعبرة في هذا الحديث أن العمل الفدائي له وزنه وثقله وخصوصاً مع الدول التي تركب رأسها ويعمها غرورها عن الحق الصريح .

ولنا الآن على أرض فلسطين وخارجها مجموعة من الفدائيين — ولا نقلل من العمل الذي يقومون به ، ولكن لم توجد فيهم إلى الآن مجموعة أبي بصير التي تفكر في قطع تجارة إسرائيل عبر البحار ، وتشل عمل أساطيلها التجارية والحربية . وأعتقد أن هذا هو العمل الفدائي البناء .

إن تجارة إسرائيل تكاد تنطوي جزءاً كبيراً من جنوب أفريقيا المسلمة ، ولا يجهل أحد الأرباح الطائلة التي تعود على إسرائيل من هذه التجارة بالإضافة إلى ما تبثه من أفكار هدامة مع ما تقدمه لهذه البلاد .

فأين أبو بصير وجماعته؟..

أين أبو بصير ليستولي على ما تستورده إسرائيل من أفريقيا؟..

إننا في حاجة إلى فدائية من هذا الطراز تحاصر إسرائيل اقتصادياً وتفسد كل مخططاتها في الأسواق الدولية.

لا الفدائية التي خربها المد الشيوعي فأصبحت رخوة لا تكسر شوكة الأعداء ضعيفة فلا توجع ، رضيت بحياة الخيام ، وبصفعات اللثام ..

لو كان في فدائية العرب الحديثة أمثال أبي بصير ما كانت هناك إسرائيل ، ولو سلكنا طريقه وخطته ما استطاعت هذه الدولة ، أن تستولي على أرض العرب وترفض النزول على كل قرارات الهيئات الدولية .

وأخيراً نقول : إذا أردتم أن تعود إليكم فلسطين — فاسلكوا طريق أبي بصير .

خَبَابُ بِنِ الْأَرَثِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ  
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ  
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

صدق الله العظيم

سورة الكهف الآية رقم ٢٧ — ٢٨

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والحديث والسير: نزلت هذه الآيات في :  
عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وسعد بن أبي وقاص ، وخباب بن الأرت  
وآخرين .

ذكره صاحب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٠ .

وقال ذلك تفسير الطبري ١٥٦ / ١٥ .

وصاحب الدر المنثور ٢١٩ / ٤ .

والإمام القرطبي ٣٩٠ / ١٠ .

والبغوي والحازن ١٧٠ / ٤ .

وقاله الإمام مسلم في صحيحه .

وذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ١٣٤ .

فمن هو خباب بن الأرت؟ ..

## خَبَابُ بنِ الأَرْتِ

رضي الله عنه

هو خباب بن الأرت بن سعد بن خزيمه بن كعب .  
وتساءل : أين وُلِدَ ، وفي أي البقاع كانت طفولته ؟ .. فلا نجد جواباً لهذه  
الأسئلة ، ويصمت الذين رصدوا التاريخ فلا يتحدثون عن طفولة خباب ، إلا  
إشارة من هنا وكلمات من هناك .

.. وإن كنا نجد ابن سعد في طبقاته يذكر أن الأعداء أغاروا على قبيلته وأخذوه  
أسيراً ، وأرادوا بيعه في أسواق مكة — التي كانت تقام لتجارة الرقيق في ذلك  
الوقت — فاشترته أم أنمار الخزاعية (١) .

نعم أم أنمار التي كانت تشتغل ختانة بمكة !!

ويقول كتاب السير : إن هذه المرأة هي التي عناها الشهيد حمزة بن عبد  
المطلب يوم أحد ، حين قال لسباع بن عبد العزى :

«هلم إليّ يا ابن مقطعة البظور» (٢) .

.. وفي هذا البيت الذي تديره هذه المرأة — وتشتهر بهذه الحرفة ، عاش خباب  
رقيقاً لا يملك من أمر نفسه شيئاً .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٢ ص ٤٣٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٥ .

.. ولما شب عن الطوق ، وبلغ مبلغ الرجولة ففكر في حرفة تشغل وقته وتبعد عنه هواجسه ، وتخفف عنه ما يعاينه من قسوة الرق ، والبعد عن الأهل .

.. ولقد هداه عقله إلى احتراف صناعة السهام والرماح والقسي ، لأنها حرفة رائجة ، وشباب مكة ورجالها يحتاجون الشيء الكثير منها ، عند خروجهم للصيد ، أو استنفارهم للقتال .

فهي حرفة تدر على صاحبها في ذلك الوقت المال الكثير — وهي تشبه في وقتنا الحاضر صناعة الأسلحة وأدوات القتال .

واستمر خياب في حرفته حتى جاء الإسلام — واستمع مع المستمعين من الرسول ﷺ إلى كلمات القرآن الكريم ، فاستقرت في قلبه ، وملائته إيماناً ، وزودته بطاقات عجيبة للعمل في ميدان الدعوة الجديدة .

ولقد حباه الله سبحانه وتعالى عقلاً كبيراً ، وذهناً واعياً ، وحافظة قوية . الأمر الذي جعله يتنقل على دور المسلمين بمكة يُقرئهم القرآن ، ويفقههم في الدين ، ويرشدهم إلى القيام بالعبادات وحسن أدائها .

وكان في كثير من الأوقات سفيراً أميناً بين هؤلاء المسلمين — الذين تحول ظروفهم — ولقاء الرسول ﷺ .

ولقد كان لهذا العمل الذي قام به خياب أثره في دخول الكثير من أهل مكة إلى الإسلام . ويرى البعض أن خياب بن الأرت كان من وراء الأسباب ، فذهب إلى وائل السهمي يطلب منه بقية ما عليه من ثمن السهام والدروع التي ابتاعها منه . فقال وائل :

« يا خياب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ » ..

قال خياب : بلى .

قال : فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأفضيك  
هنالك حقلك ، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم  
حظاً في ذلك <sup>(١)</sup> .

فأنزل الله تعالى :

﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً . أطلع الغيب أم اتخذ عند  
الرحمن عهداً . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً . ونرثه ما يقول  
ويأتينا فرداً ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ولم تستمر هذه الحاجة بين المسلمين والكفار كثيراً ، فقد أخذ صناديد مكة  
يضيقون بهذا الكلام ويصبون على أتباع محمد جام غضبهم ويقتنون في ألوان  
العذاب ، وأساليب المضايقة .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ،  
وبلال ، وخباب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية أم عمار .

قال : فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمه ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأخذ  
الآخرين فالبسوهم أدرع الحديد ، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم  
كل مبلغ .

وكان خباب يعذب بأسياخ الحديد المحمأة ، حتى يرجع عن دينه ، أو يكف عما  
يقوله .. فما استطاعوا ذلك ، ولا قدروا عليه .

عن الشعبي قال : دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب — رضي الله  
عنه — فأجلسه على متكئه وقال :

« ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد » .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٠ .

(٢) سورة مريم الآيات ٧٧ — ٨٠ .

قال خباب : من هو يا أمير المؤمنين؟ ..

قال : بلال .

فقال خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق مني ، إن بلائاً كان له في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد يمنعي ثم قال :

« فلقد رأيتني يوماً أخذوني وأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رجل رجله على صدري فما انقبت الأرض إلا بظهري . ثم كشف عن ظهره فإذا هو شيء عظيم من آثار التعذيب والكي بالأسياخ المحماة بالنار<sup>(١)</sup> التي قربت عمر بن الخطاب من الدعوة الجديدة حتى أعلن إسلامه .

من ذلك ما يرويه ابن اسحاق بقوله :

كان اسلام عمر — فيما بلغني — أن أخته « فاطمة بنت الخطاب » كانت زوجة لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل — وقد أسلم مبكرين — وكانا مستخفين لا يعلنان إسلامهما . وكان معها في الاسلام والاستخفاء نعيم بن عبد الله رجل من بني كعب قريباً لعمر . وكان يعلم أن خباب يختلف إلى فاطمة وزوجها يقرئها القرآن .

وفي يوم التقى نعيم بعمر بن الخطاب متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه قد ذكروا أنهم مجتمعون في بيت عند الصفا فقال له : أين تريد يا عمر؟

فقال : أريد محمداً هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر؟ . أتري بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ . أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٣٣ .

قال : وأي أهل بيتي ؟.

قال : خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمر ، وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وخنته ، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئها إياه .

فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في جوف البيت . وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها . وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليها فلما دخل قال : ما هذه الهيمنة .. التي سمعت ؟

قالا له : ما سمعت شيئاً ؟.

قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه . وبطش بخنته سعيد بن زيد .

فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنته :

« نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك » .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد — وكان عمر كاتباً — فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك .

قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر .

فقام عمر فاغتسل : فأعطته الصحيفة وفيها طه ليقراها ، فلما قرأ منها صدرأ .

قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال :

« يا عمر والله إنني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول :

« اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب » .  
فالله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك : فدلني يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم .

فقال خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه . فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فراه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع .

فقال : يا رسول الله . هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف .

فقال حمزة : فأذن له . فإن كان يريد خيراً بذلتناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

فقال رسول الله ﷺ : إئذن له .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته ، أو بمجمع رداءه . ثم جده جدة شديدة .

وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله به قارعة .

فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله .



فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم،<sup>(١)</sup>.

هذا هو موقف خباب من اسلام عمر — رضي الله عنه — ودفعه اسلام عمر على زيادة نشاطه ، والدعوة سراً وعلانية للاسلام ، وإرشاد الناس إلى مقر الرسول ﷺ وشغله هذا عن حرفته ، وأراد أن يصني حساباته مع قريش ، وأن يسترد ماله من مال بعض الأفراد الذين كانوا يتعاملون معه استعداداً للهجرة مع بقية المؤمنين إلى الحبشة أو غيرها.

يقول قيس بن أبي حازم : دخلت على خباب وقد اكتوى سبعاً . فقال يا قيس لولا أنني سمعت رسول الله ﷺ نهى أن ندعو بالموت لدعوت به .

إنه العذاب الذي يصبّ عليهم آناه الليل وأطراف النهار ، من قوم قلوبهم كالحجارة ، لا تبض برحمة ، ولا تحس بشفقة ، ولا تبصر فيما يتلى عليها حتى تهتدي إلى نور الله .

فماذا يفعل هؤلاء المستضعفون؟..

وبعضهم قد فارق الحياة شهيداً من كثرة التعذيب . كما حدث مع سمية أم عمار ابن ياسر والبقية تنتظر دورها؟..

عند ذلك تقدم نفر من هؤلاء المسلمين يطلبون من الرسول ﷺ أن يأذن لهم بقتال هؤلاء المعتدين .

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يأذن لنبيه بعد بقتال هؤلاء الناس عسى الله أن يهديهم ، أو يخرج من أصلابهم من يعبد الله ، ويصدق بمحمد ﷺ .

عندها قالوا له : يا رسول الله . ألا تدعو الله لنا؟ . ألا تستنصر الله لنا !

فجلس رسول الله ﷺ ثم قال :

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٣٦٨ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٦ .

« والله إن من كان قلبكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم قوم تعجلون» (١) ..

صدق رسول الله ﷺ فيما قال : ولقد تحقق ما وعد به وفتح الله على المسلمين بلاداً كثيرة وجاءهم الخير الوفير من بقاع الأرض البعيدة ، وجعل منهم سادة وقادة ، وتم النصر للمسلمين . وأصبحت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ..

ثم ماذا بعد ذلك ؟ . وفي أي البقاع استقر حباب بن الأرت ؟ .

تقول كتب السير : بأن حباباً هاجر إلى الحبشة مع المسلمين الفارين بدينهم ثم عاد وهاجر إلى المدينة ليكون قريباً من الرسول ﷺ وفي المدينة آخى الرسول بينه وبين جبر بن عتيك الذي زاره رسول الله ﷺ في مرضه فقال قائل من أهله : « إن كنا لترجو أن تكون وفاته شهادة له في سبيل الله » .

فقال رسول الله ﷺ : إن شهداء أمتي إذا لقليل : القتل في سبيل الله شهيد ، والمبطون شهيد ، والمطعون شهيد ، والمرأة تموت بكرة شهيدة ، والحريق شهيد ، والغريق شهيد ، والمجنوب شهيد» (٢) .

وكان حباب رجلاً محارباً يبذل نفسه في سبيل الله ويتمنى الشهادة . ويذكر الرواة أنه ما تخلف عن غزوة كان فيها رسول الله ﷺ وكان يذهب في بعض السرايا ، أو الطلائع التي تتقدم الجيوش لتكون عوناً لها على اكتشاف مواقع الأعداء ، ومعرفة عددهم وعدتهم .

يروى عبد الرحمن بن مدرك عن ابنة حباب قالت :

(١) حلية الأولياء .

(٢) طبقات ابن سعد .

خرج أبي في غزوة ولم يترك لنا إلا شاة وقال :

« إذا أردتم أن تحلبوها فأتوا بها أهل الصفة ، قالت : فانطلقنا بها فإذا رسول الله ﷺ جالس فأخذها فاعتقلها . فحلب ثم قال : اثموني بأعظم إناء عندكم .

فذهبت فلم أجد إلا الجفنة التي نعجن فيها فأتيته بها فحلب حتى ملأها قال : اذهبوا فاشربوا وأعطوا جيرانكم فإذا أردتم أن تحلبوا فأتوني بها .

تقول ابنة خباب :

فكنا نختلف بها إليه فأخصبنا حتى قدم أبي فأخذها فاعتقلها فصارت إلى لبنها فقالت أمي :

« أفسدت علينا شاتنا .

قال : وما ذلك ؟ ..

قالت : إن كانت لتحلب ملء هذه الجفنة .

قال : ومن كان يحلبها ؟

قالت : رسول الله ﷺ .

قال : وقد عدلتني به ، هو أعظم بركة يد مني» (١) .

صدقت يا خباب إن رسول الله ﷺ هو أعظم بركة من أهل الأرض جميعاً ، وهو الرحمة المهداة إلى البشرية ، هو رجل الرحمة والملحمة كما عبر عن نفسه صلوات الله عليه .

ولكن الشاهد في هذه الحادثة : أن رسول الله ﷺ كان يرعى أبناء المسلمين وبناتهم — في حالة تغييبهم في الغزوة أو خلافه فهو الوالد الرحيم — والقلب الكبير . الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه .. وهكذا يجب أن يكون القائد مع جنوده . إن أكبر

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٩٠ .

ما يشغل الجندي المحارب في معركته مع الأعداء : الأولاد والأهل والأقارب فإذا  
اطمأن الجندي إلى أن الحاكم أو الوالي سيرعى أهله الرعاية الواجبة ، ويحفظ لهم ما  
يسد رمقهم ، ويستر عورتهم — لا شك أنه يدخل المعركة ، بقلب شجاع وبغريمة  
قوية — ويضع نصب عينيه دائماً إما النصر على الأعداء وإما الشهادة في سبيل الله .

وعن طارق بن شهاب قال : عاد خباباً نفرّاً من أصحاب رسول الله ﷺ ،  
فقالوا : أبشر يا أبا عبد الله ، إن اخوانك تقدم عليهم غداً .

فبكى وقال : عليها من حالي أما أنه ليس بي جزع ، ولكن ذكرتموني أقواماً  
وسميتوهم لي إخواناً وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي .

وعندما أتى بكفته قباطي بكى أيضاً ثم قال :

« لكن حمزة عم النبي ﷺ ، كفن في بردة فإذا مدت على قدميه قلصت عن  
رأسه وإذا مدت على رأسه قلصت عن قدميه ، حتى جعل عليه إذخر « نبات يخرج  
في مكة » .

ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ، ما أملك ديناراً ولا درهماً وإن في ناحية بيتي  
في تابوتي لأربعين ألف وافر . ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طبياتنا في حياتنا  
الدنيا .

نعم لقد فتحت الدنيا أبوابها للمسلمين فعبوا من خيراتها ، ونالوا من كنوزها  
الشيء الكثير . وهذا ما حذرهم فيه رسولهم الكريم قوله : أنه لا يخشى عليهم الفقر ،  
ولكن يخشى عليهم الدنيا وزينتها — لقد انداحت جيوشهم في أركان الأرض  
الأربعة — فاستسلمت لهم ، وألقت إليهم بمقاليدها فعرفوا سلطان الملك وأبهة  
القصور ، ونعيم العيش .

ولقد عاش خباب في آخر أيامه في الكوفة ، بلد الخيرات الكثيرة والحدائق  
الشاسعة ، والبساتين التي لا تحصى . ومع ذلك فلم يشغله شيء من ذلك عن دينه  
والإتجاه إلى ربه في كل ما يعن له من أمور . حتى إنه أوصى ابنه قبل وفاته فقال :

«أي بني إذا مات فادفني بهذا الظهر فإنك لو قد دفنتني بالظهر قيل دفن به رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فيدفن الناس موتاهم .

ونفذ الابن وصية والده ، وتحقق ما تكلم به من أن الناس أخذوا في دفن موتاهم بهذا الظهر . . ومرّ علي بن أبي طالب عند عودته من صفين على قبور بظاهر الكوفة فقال :

ما هذه ؟ .

فقيل ، يا أمير المؤمنين : إن خباب بن الأرت توفي بعد مخرجك وأوصى بأن يدفن في الظهر . وكان الناس إنما يدفنون في دورهم وأفئتهم وكان أول من دفن بظاهر الكوفة ، ودفن الناس إلى جنبه .

فقال علي — رضي الله عنه — : رحم الله خباباً فقد أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً .

ووقف عليها وقال :

«السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، أتم لنا سلف فارط ، ونحن لكم تبع وبكم عما قليل للاحقون . اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم (١) .

وكانت وفاة خباب كما ذكر الرواة سنة سبع وثلاثين وهو يومئذ ابن ثلاث وسبعين سنة ، رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من نصرة دينه ، ونشر الاسلام .

(١) ابن الأثير ص ٢٣٤ ج ٣ .

## تذييل ...

سؤال يطرحه اللبيب الفطن على نفسه ، لماذا لا ينتصر الاسلام اليوم كما كان ينتصر بالأمس ؟ ..

ولماذا لا يقوم أتباعه بدور الريادة والقيادة في العالم كما فعل أجدادهم وآباؤهم عند ظهوره ؟ .

أهناك شيء طرأ عليه فغير مفاهيمه فلم تعد تعمل ؟ .

أو انتقص من أركانه فلم يعد يتقدم ؟ .

الله يعلم أن شيئاً من ذلك لم يكن ، فكتابه الذي بين أيدينا الآن هو كتابه من يوم أن أنزله الله على رسوله محمد ﷺ .

وإذا كان ذلك كذلك فما العلة في ضعف المسلمين وابتعادهم عن دور القيادة ومراكز التوجيه ؟ .

وللإجابة على ذلك نقول : إن الراصد لحركات المسلمين من عدة قرون يرى أن الكثير منهم قد تفلت من تعاليم دينه ، وابتعد عن هدى نبيه وترك نور إسلامه ، فلفهم ظلام شامل ، لا يدري أحد كيف الخروج منه أو الخلاص من ثقله .

فالذي ينقص الاسلام الآن هم الرجال — الرجال الذين يؤمنون به كعقيدة تحكم تصرفاتهم ، وتضبط سلوكياتهم ، ويحكمونه في شؤونهم الخاصة والعامة ، ويجعلونه دستور الدساتير في شرعهم ، ومصدر القوانين في حكمهم .

لو وجد هؤلاء الرجال لأعادوا للإسلام مجده وللمسلمين عزهم وسلطانهم.  
ولكن أين هؤلاء الرجال؟ رجال الإسلام.

وتساءل لقد كان رجال الإسلام يملأون الساحة ، فلماذا فرغت منهم وكان صوتهم يدوي في جنبات الأرض فلماذا لم يعد العالم يسمع لهم صوتاً ، أو يرى لهم فعلاً؟.

الحقيقة التي لا ينكرها أحد من المنصفين والراصدين لخطوات التاريخ في عصرنا الراهن ، أن الدعاة للحركات الإسلامية في كثير من البلاد ، نزل بهم من البلاء ما لو نزل بالجناب الشم لدكت أركانه وتساقط بنيانه .

لقد سيقوا إلى السجون في كثير من الأوقات ، وقدمت أعضاؤهم طعاماً للكلاب ، وصبّ عليهم العذاب صبّاً ، وديست حرمتهم ، وانتهكت أعراضهم ، ووضعت تحت الأقدام النجسة مصاحفهم ، وتفنت وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة مرئية ومسموعة ، على إصاق كل الموبقات بهم ، ورميم بأحط الصفات ، وإخراجهم من زمرة البشر .

وكثير منهم فارق الحياة داخل أقبية السجون ، وتوارت جثته في جنح الظلام ، ومن لم يأت أهله ، خرج من السجن وهو بالأموات أقرب .

.. ونقول هذا الذي حدث في هذا العصر ، حدث لكل الدعاة السابقين في كل عصر ومصر . ولم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا المخلصون وأصحاب الدعوات .. وكان هذا ضريبة الإيمان .

أو أن الله سبحانه وتعالى قد جعل هؤلاء الجبارين والطفة أداة تعذيب وتنكيل لأتباع دينه والمخلصين من أبناء الانسانية — وذلك لحكمة قد تغيب عن عقولنا ، أو ليختبر صبرهم ويبلو إيمانهم حتى يتميز من يدعي الايمان بلسانه ، ومن هو على الحق واليقين بقلبه . قال تعالى :

﴿ أم حسبم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (١)

نعم إن النصر في النهاية يكون للمؤمنين وللعباد المخلصين قال تعالى :  
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ (٢)

تلك سنة الحياة وطبيعة الوجود . والتاريخ يحدثنا عن أنواع من العذاب كانت تنزل بالمؤمنين من أتباع الرسل . وتنشر أجسامهم بالمناشير عن طريق الطغاة والخبائين ، ولا يصرفهم ذلك عن دينهم والإيمان بخالقهم موجد الحياة والموت .  
من ذلك ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن صهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ قال :

« كان فيمن قبلكم ملك وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إني كبر سني ، وحضر أجلي ، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر . فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه .

وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ . وإذا أتى أهله ضربه وقالوا : ما حبسك ؟

فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر .

(١) سورة البقرة آية ٢١٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .



قال : فيينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يبروا .

فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى الله أم أمر الساحر؟ .

قال : فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمر الناس . وربماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب فقال :

« أي بني أنت أفضل مني وأنت ستبتلي ، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ » .

فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص . وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأناه بهدايا كثيرة فقال : أشفني ولك ما ههنا أجمع؟ .

فقال : ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عزّ وجلّ ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه .

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك :

« يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ » .

فقال : ربي .

فقال : أنا .

قال : لا ، ربي وربك الله .

قال : ولك رب غيري؟

قال : نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام ، فبعث إليه .

فقال : أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ .

قال : ما أشفي أحد ، إنما يشفي الله عزّ وجلّ .

قال : أنا .

قال : لا .

قال : أولك رب غيري ؟ .

قال : ربي وربك الله ، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دلّ على الراهب ،  
فأتى بالراهب ، فقال ارجع عن دينك فأبى . فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى  
وقع شقاه إلى الأرض .

وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال  
إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه ، فذهبوا به فلما علوا به الجبل  
قال :

« اللهم أكفنيهم بما شئت » .

فرجف بهم الجبل فدهدوهوا أجمعين ، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على  
الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ .

فقال : كفانيهم الله تعالى . فبعث به مع نفر في قرقور فقال : إذا لججتم به البحر  
فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر . فلججوا به البحر .  
فقال الغلام : اللهم أكفنيهم بما شئت ، فغرقوا أجمعين .  
وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ .

فقال : كفانيهم الله تعالى ، ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما  
أمرك به ، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي .  
قال : وما هو ؟ .

قال : نجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من  
كناتي ، ثم قل : باسم الله رب الغلام . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي ففعل ووضع  
السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال :

« باسم الله رب الغلام ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام .

فقيل للملك : أ رأيت ما كنت تحذر ؟ . فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك ، فخذت فيها الأخاديد وأضمرت فيها النيران . وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها .

قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي :

« اصبري يا أماه فإنك على الحق » .

وإلى هذا أشار الله بقوله تعالى :

﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ (١) .

.. إن هذا الغلام الداعية عرف الأسلوب الطبيعي الذي به تنشر دعوته وتصل عن طريقه — بإذن الله — إلى دنيا الناس .

فأخذ يظهر آيات الله البينات التي يجريها على يديه وبطالِب المجتمع الذي يعيش فيه الإيمان بها .

ووصلت إلى مسامع الملك الذي يدعي الألوهية — دعوة الغلام وأن الناس يتابعونه فيما يدعوهم إليه ، وألقت حاشيته والمحيطون به في روع الملك أن قوائمه ملكه تهتز من تحتته نتيجة لهذا الذي يقول به الغلام ويشر به ؟ .

(١) سورة البروج الآية ٤ — ٩ .

فكان لا بدّ من التنكيل به حفاظاً على الملك — مرة بمحاولة ترديه من فوق جبل مرتفع ، وأخرى بمحاولة إزهاق روحه عن طريق البحر ولقد باءت هذه المحاولات بالفشل ، وهكذا كل محاولة يديرها الباطل أو يوسوس بها الشيطان .

عندها أراد الغلام أن تبلغ دعوته إلى الناس أجمعين ، ورأى أنه لن يتحقق ذلك إلا عن طريق الملك وحنوده ، فطلب من الملك : إن كان يريد القضاء عليه وتخليص مملكته منه ، فما عليه إلا أن يجمع الناس في صعيد واحد حتى يشاهدوا قتل الغلام .

وكان الداعية يريد بذلك أن تبلغ دعوته للناس أجمعين ويشاهدوا عن قرب يد القدرة الخالقة وهي تعمل — حتى ولو كان في ذلك إزهاق روحه وبلوغ أجله . والداعية يعلم أن لكل أجل كتاباً . قال تعالى :

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ (١) .

واستطاع الغلام الداعية عن طريق أعداء الله وأعداء دينه أن يبلغ رسالة ربه ، ثم يموت قرير العين مطمئناً إلى عدالة ربه .

وهكذا يجب أن يكون الدعاة الذين يحبون عقيدتهم ، ويريدون نشر دعوتهم ورفع كلمة الله بين عبّاد الطواغيت ، وسدنة الأصنام .

وإذا كان هذا حدث مع الدعاة قبل الاسلام ، فإن دعاة الاسلام نالوا من التعذيب والتنكيل أضعاف ما نال غيرهم من أتباع الديانات والدعوات الأخرى .

ونكتفي في هذا المقام بتسجيل المحاوراة التي تمت بين التابعي سعيد بن جبير وأحد قادة بني أمية الحجاج بن يوسف :

صمم الحجاج على قتل سعيد بن جبير لكشفه الطغاة وتعريته أتباع الشيطان فأرسل إليه من أحضره فلما مثل بين يديه سأله الحجاج عن اسمه :

قال : سعيد بن جبير .

قال الحجاج : بل أنت شقي بن كسير .

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٥ .

قال سعيد : بل كانت أمي أعلم باسمي منك .

قال الحجاج : شقيت أنت وشقيت أمك .

قال سعيد : الغيب يعلمه الله .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى .

قال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لانتخذتك إلهاً .

قال الحجاج : فما قولك في محمد؟ .

قال : نبي الرحمة وإمام الهدى عليه الصلاة والسلام .

قال الحجاج : فما بالك لم تضحك؟ .

قال سعيد : وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار؟ .

قال الحجاج : فما لنا نضحك؟ .

قال سعيد : لم تستو القلوب .

وفكر الحجاج بطريقة أخرى لاستماتته وإذلاله .. فأمر بالذهب والمال واللؤلؤ والياقوت فجمع بين يديه .

ولكن أتى لهذه المغريات أن تجد لها طريقاً إلى قلب شغله حب الله وزهد بالدنيا وما فيها .

فقال سعيد : إن كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم تقيامة فقد أخطأت وإن فزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا .

فأمر الحجاج بالموسيقى فصدحت ونفخ في الناي ، وضرب بالعود ، فبكى سعيد فقال له الحجاج : ما يبكيك أهو اللهو؟ .

فقال سعيد : بل هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً : يوم يتمخ في الصدور

وأما العود فمشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فلإنها أمعاء الشياخ يبعث بها معك يوم القيامة .

فقال الحجاج : ويلك يا سعيد .

فقال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار .

قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك .

قال سعيد : بل اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتلة إلا اقتلك الله مثلها يوم القيامة .

قال الحجاج : أقتريد أن أعفو عنك ؟ .

قال سعيد : إن كان العفو من الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه .

فلما خرجوا به من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده وقال له : ما أضحكك ؟ .

قال سعيد : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك .

قال الحجاج : اقتلوه .

قال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين .

قال الحجاج : شدوا به لغير القبلة .

قال سعيد : فأينما تولوا فثم وجه الله .

قال الحجاج : كبوه لوجهه .

قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

قال الحجاج : اذبحوه ؟ .

قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده  
ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة .

ثم دعا سعيد الله قائلاً :

« اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعد » .

يقول الرواة وكتاب التاريخ :

عاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ثم مات .

فهل لدينا دعاة في القرن العشرين أمثال هؤلاء ؟ . إن كان فإن نصر الله قريب ،  
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وإذا كانت الأخرى .. فعلى عاتق علماء المسلمين والمخلصين من أبنائه : إن يعدوا  
العدة لتخريج هؤلاء الرجال من مدرسة القرآن فهل نحن فاعلون ؟ .

نرجو من الله ذلك ..

عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا  
بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا  
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

صدق الله العظيم  
سورة النساء الآية ٥٨

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة الجمحي من بني عبد  
الدار..

قاله صاحب الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٤

وقاله الامام الطبري ج ٨ ص ٤٩١ .

وقاله الإمام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ١٥٠ ، ١٥١ .

من هو عثمان بن طلحة؟..

## عثمان بن طلحة

رضي الله عنه

.. رجل من الرجال الأبطال ، وفارس عرفته الحروب ، وعيند لم يستجب  
للدعوة الاسلام ، إلا بعد أن ظهرت كل الدلائل ، وقامت الحجج والبيئات على أن  
محمدأ صادق .

لأنه لو كان كاذباً لظهر كذبه .

ولو كان دعياً لهزمته قريش .

أما والأمر كذلك ..

فهو نبي مرسل ويأتيه الوحي من السماء — وهذا ما توصل اليه عثمان بن  
طلحة ، بعد الهزائم المتلاحقة التي منيت بها قريش .

أما عن والده فهو طلحة بن أبي طلحة .

خرج مع قريش عندما جمعت جموعها لحرب الرسول ﷺ في غزوة أحد  
وكانت معه زوجته سلافة بنت سعد . كما خرج معه سفيان بن حرب ومعه زوجه  
هند ابنة عتبة — واقتدى بهم في اصطحاب زوجاتهم كل فرسان قريش .. ولقد كان  
للنساء في تلك المعركة دور لا ينكر في تشجيع الرجال وشد أزهم .. فما كادت  
المعركة تبدأ ، حتى قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف  
بضربن بها خلف الرجال ومحرضنهم فقالت :

وتقول :  
وَيْهًا نَبِيَّ عَبْدِ الدَّارِ  
وَيْهَا حِمَاةَ الأَدْبَارِ  
ضَرْبًا بِكُلِّ بِنَارِ  
إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ  
وَنَفْرَشِ الثَّمَارِ  
أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِ  
فِرَاقِ غَيْرِ وَامِتْ (١)

وفي هذه الغزوة قتل طلحة قتله علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — وقتل أولاده الثلاثة : مسافع بن طلحة والجلال بن طلحة والحارث بن طلحة (٢).

.. وعاش عثمان بعد قتل والده وإخوته الثلاثة في مكة يشارك قريشاً في تديرها ويتربص معركة أخرى مع محمد وأتباعه حتى يأخذ بثأره .. ويتنقم لهؤلاء الرجال الذين جندلتهم سيوف المسلمين ..

ومرت الأيام بطينة متناقلة ..

وسارت حياته موحشة قابضة ..

.. حتى كان يوم أحس أن في دار الندوة حركة غريبة ، ونشاطاً لم يعهده ، وخيولاً جديدة تطرق أرض مكة .. وتساءل ماذا حدث ؟ .. وما هو الجديد في مكة حتى يشاهد الرجال يسرعون ، إلى دار الندوة ؟ .

وذهب إلى هناك والتقى بمجموعة من يهود يثرب منهم :

اسلام بن أبي الحقيق النضري .

وحبي بن أخطب النضري .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٢ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٣٤ .

وكانت بن الربيع بن أبي الحقيق النضري .

وهوذة بن قيس الوائلي ، وغيرهم من يهود بني النضير ونفر من بني وائل جاءوا إلى قريش ليحزبوا الأحزاب معها على حرب محمد ﷺ . وقالوا لقريش : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله<sup>(١)</sup> .

وأحس عثمان بن أبي طلحة أن همومه قاربت على الانتهاء ، وأن الفرصة قد أوشكت للقصاص من قتل والده واخوته ..

وكاد يصرخ ويخرج عن وقاره الذي عرف به — عندما سمع أبا سفيان يناقش الوفد بقوله :

« يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ »

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم اليه من حرب رسول الله ﷺ .

وهؤلاء اليهود الذين جاءوا إلى قريش — نزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسار عثمان مع جيش قريش وبقية الأحزاب إلى المدينة — ولكن الله رد كيدهم في نحورهم وعادوا كما ذهبوا ولم ينالوا شيئاً .

وتعجب عثمان بن طلحة في هذه المرة أكثر من تعجبه في كل مرة ! .

(١) سورة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩ والبدابة والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٧ .

(٢) سورة النساء الآية ٥١ — ٥٢ .

لقد عادوا مهزومين مدحورين .

فمن الذي هزمهم وحطم خيامهم ؟ .

إن جنود محمد لم يحاربوهم ، وسيوفهم لم تنل منهم هذه المرة ومع ذلك هزموا  
وعادوا إلى ديارهم فارين وجلين .

لقد ملأ الرعب قلوبهم — وسيطر الخوف على نفوسهم .

أبكون محمد رسول الله ؟ .

وهل بقي لديه شك في هذا ؟ .

ولكن أيستطيع أن يعبر عن ذلك ويعلن إسلامه — لا مجال إنه لا يستطيع  
وعندما وصل طلحة إلى هذا الحد من التفكير كأن هاتفاً من وراء الغيب يرتل قول  
الله تعالى :

﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله  
قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم وقذف في قلوبهم  
الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم  
تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (١) .

وذهب عثمان بن أبي طلحة إلى عمرو بن العاص يشكو له همومه ، ويضع أمامه  
ما يعانيه ، ولكنه لم يستطع أن يفضي له بما في داخله .

وعندما رأى عمرو ذلك قال :

«إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فما ترون  
فيه ؟ .

قالوا : وماذا رأيت ؟ .

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٥ — ٢٦ .

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي فإننا نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا لرأي .

قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي اليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

يقول عمرو : فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه اليه في شأن جعفر بن أبي طالب — رضي الله عنه وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أتي قد قتت مقامها فيه وكفيتها شأنه . حين قتلت رسول محمد .

قالوا : نعم .

فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال : مرحباً بصدقي :  
« أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ »<sup>(١)</sup> .

قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت اليك أدماً كثيراً ، ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت :

« أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا » .

فغضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ثم قلت :

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣١٨ .

«أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك» .

قال : أنساني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله ؟ .

قلت : أيها الملك أكذاك هو ؟ .

قال : ويحك يا عمرو أطني واتبعه ، فإنه والله لعل الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعني له على الاسلام ؟ .

قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على الاسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد تحول رأبي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي<sup>(١)</sup> .

وعادوا إلى مكة ، عاد عمرو ومن كان معه ، عندما لم يطب لهم مقام فيها ، أو لما بيته عمرو من أمر .

ونقول : هل سافر عثمان بن أبي طلحة مع عمرو إلى أرض الحبشة ؟ .

أم تراه بقي في مكة حتى عاد عمرو مع صحبه اليها ؟ .

لا نستطيع أن نقطع في سفره برأي .. ولكن الثابت والذي ذكرته كتب التاريخ أن ثلاثهم التقوا على أرض مكة وهم يتأهبون للخروج إلى يثرب .

عمرو بن العاص .

وخالد بن الوليد .

وعثمان بن أبي طلحة .

فقال عمرو لخالد بن الوليد : إلى أين يا أبا سليمان ؟ .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٣١ والبدية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٠ - ١٦١ .



قال : والله لقد استقام المنسم<sup>(١)</sup> وإن الرجل لنبى أذهب والله فأسلم .

فحتى ومتى ؟ .

فحتى ومتى ؟ .

قلت : والله ما جئنا إلا لنسلم .

وسار ثلاثهم إلى يثرب قاصدين مدينة الرسول ﷺ حتى وصلوا إلى الرسول ﷺ .

فلما رآهم عليه السلام قال :

«رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها»<sup>(٢)</sup> .

وتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع .

ثم تقدم عمرو إلى رسول الله وقال : إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر .

فقال رسول الله ﷺ :

« يا عمرو بايع فإن الاسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها » .

فبايعه ثم انصرف .

ثم تقدم عثمان بن أبي طلحة فأسلم وبايع<sup>(٣)</sup> .

هل بقي ثلاثهم في المدينة .. وما هي الأعمال التي أسندت اليهم .. وماذا كان دور عثمان في تلك المرحلة ؟ .

ونقول : لقد استمر عثمان على اسلامه ومتابعته الرسول ﷺ .. حتى نقضت

(١) المنسم : هذا مثل معناه لقد تبين الأمر ووضح ولم يعد فيه لبس ولا شك .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٢٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٠ — ١٦١ .

قريش عهدا مع الرسول ﷺ وركبت رأسها وفكر الرسول عليه السلام في غزوها.

وسار إليها بعشرة آلاف مقاتل.. وفتحت مكة بدون قتال إلا مناوشات من هنا وأخرى من هناك.

عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن<sup>(١)</sup> في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ، فوجد فيه حامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد اجتمع له الناس في المسجد فقال :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

الأكل مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين .

إلا سدانة البيت وسقاية الحج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد .

بالسوط والعصا فيه ، الدية مغلظة مائة من الإبل .

أربعون منها في بطونها أولادها .

يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية .

وتعظيمها بالإباء . الناس من آدم وآدم من تراب .

ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) المحجن : عود معوج الطرف يمسكه الراكب للبعير في يده .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

يا معشر قريش ، ما ترون اني فاعل فيكم ؟

قالوا : خيراً .. أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام اليه علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ومفتاح الكعبة في يده فقال :

« يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية — صلى الله عليك .

فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟

فدعا له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء» <sup>(١)</sup> .

وفي رواية : أنه أعطاه مفتاح الكعبة ومعه شبيبة بن عثمان بن أبي طلحة وقال :  
خذها خالدة تالدة لا يترعها [يا بني أبي طلحة] منكم الا ظالم» <sup>(٢)</sup> .

.. وبعدها عاد عثمان — رضي الله تعالى عنه — الى المدينة مع رسول الله ﷺ  
عاد ليكون قريباً من هدى النبوة .

عاد ليكون جندياً من جنود الدعوة .

عاد ليدافع عن حرمان الله ، ويعلن كلمة التوحيد في أركان الأرض .

واستمر عثمان بالمدينة حتى وفاة الرسول ﷺ .

ثم فكر في العودة الى مكة ، فعاد وعاش فيها بقية حياته — حتى وافاه أجله في  
أول خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ..

وهناك قول آخر : انه قتل يوم أجنادين ..

رحمه الله رحمة واسعة .. وجعل الجنة مقره ومثواه .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٣٤ .

## أسباب نزول الآيات

قال بعض المفسرين نزلت في عثمان بن طلحة من بني عبد الدار ، كان سادن الكعبة فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح ، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح ، فقبل إنه مع عثمان .

فطلب منه ، فأبى وقال : لو علمت أنه رسول الله لما منعته المفتاح فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الكعبة .

فدخل رسول الله ﷺ البيت — وصلى فيه ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله تعالى هذه الآية . فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك علي . فقال له عثمان : يا علي أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق .

فقال : لقد أنزل الله تعالى في شأنك وقرأ عليه الآية . فقال عثمان : أشهد أن محمداً رسول الله وأسلم<sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٤٥٢ أسلم عثمان بن طلحة في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاه مفتاح الكعبة وقد وقع في تفسير الثعلبي بغير سند : أنه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له النبي المفتاح وهذا منكر ، والمعروف أنه أسلم وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد .

فجاء جبريل عليه السلام وقال : ما دام هذا البيت فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان — وهو اليوم في أيديهم .

وعن سعد بن سالم عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (١) .

قال نزلت في عثمان بن طلحة . قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة فدخل يوم الفتح فخرج بتلو هذه الآية .

فدعا عثمان فدفع اليه المفتاح وقال :

«خنوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله لا يتزعها منكم إلا ظالم» .

وعن شيبه بن عثمان بن أبي طلحة قال :

دفع النبي ﷺ المفتاح إليّ وإلى عثمان وقال :

«خنوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم» (٢) .

فبنو أبي طلحة الذين يلون سدانة الكعبة من بني عبد الدار .

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

(٢) زاجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٣٥ .

## تذليل ...

إن الإنسان في هذه الحياة القصيرة التي يجيها على سطح الأرض مطالب بالعديد من الواجبات وفي مقدمتها الأمانة .

وأهم هذه الأمانات الأمانة الكبرى التي ناط بها فطرة الإنسان ، والتي أبت السماوات والأرض والجال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه .

ومن هذه الأمانة الكبرى تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى ...

ومن هذه الأمانات أمانة الشهادة لهذا الدين .

فالمسلم مطالب أن يكون شهادة لهذا الدين الذي يحمله حتى يرى الناس صورة الإيمان في هذا النفس فيقولوا : « ما أطيب هذا الدين وأحسنه وأزكاه » .

يكون شهادة في صدقه فلا يكذب .

قال تعالى : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

وهذا الصدق مستول عنه أيضاً يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ (١) .

ويكون شهادة في سلوكه وحسن معاملته للناس :

قال تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ (٢) .

ويكون شهادة على هذا المجتمع الذي يعيش فيه .. يدعو إلى الخير ويبعده عن الشر .. ويظهره من الرذائل .. ويدعو أبناءه للتخلي بالفضائل .

قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٣) .

ومن الأمانات : أمانة التعامل مع الناس ، ورد ودائعهم إليهم ، وأمانة النصيحة للراعي والرعية ، وأمانة القيام على الأطفال الناشئة .

ولقد نشأ جيل من أبناء المسلمين لا يعرف عن دينه إلا القليل ، واستطاعت الأفكار الغربية عن بلادنا وعقائدنا .. أن تصوغ هؤلاء النشء على حسب ما تريد ، لا يعرفون المنكر ولا يتجنبون الحرام .

جيل عاش على موائد الشرق والغرب .. فأصبحت مبادئنا غريبة عليه وأصول ديننا مجهولة عنده .

ومن الأمانات : المحافظة على حرمة الجماعة وأموالها وثغراتها .. فلا يسمح بانتهاك الحرمات وإشاعة الفحشاء في المجتمع الإسلامي .

(١) سورة الأحزاب الآية ٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

وبحافظ على أموالها من السرقة ومن المعاملة بها في الربا.. أو أن ينال بها ما لا  
يحل له.

ومن الأمانة أن يحمي ثغورها ويدافع عن حدودها ويصد عنها كيد الأعداء  
وغارات المغيرين..

فتى يقوم الجليل الإسلامي بهذه الأمانات.. متى يا رب؟..



معقل بن يسار  
رضي الله عنه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ  
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ  
بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ  
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

صدق الله العظيم  
سورة البقرة الآية ٢٣٢

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في معقل بن يسار رضي الله عنه .
- قاله الإمام الطبري في تفسيره ج ٥ ص ١٩
- وقاله صاحب أحكام القرآن ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤
- وقاله صاحب الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٧
- وقاله الامام البخاري في صحيحه ج ٦ ص ٢٩ ج ٧ ص ١٦ ، ٥٨
- والإمام البيهقي في السنن الكبرى ج ٧ ص ١٠٣ ، ١٣٨
- وفي كتاب الأم للشافعي ج ٥ ص ١١ ، ١٢٨ ، ١٤٩
- وقاله الإمام الواحدي في أسباب نزول القرآن ص ٧٤ ، ٧٥
- فمن هو معقل بن يسار؟ .

## معقل بن يسار

رضي الله عنه

.. صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ .

ومجاهد لم يضع السيف من يده حتى آخر أيام حياته .. ومؤمن عرف الإيمان طريقه الى قلبه . فأضاء حياته وملاها بالبهجة والسرور والاطمئنان إلى عدل الله والرضى بقضائه .

كيف عرف الاسلام طريقه إلى قلبه؟ ..

ومن الذي دعاه إلى الإسلام وبين له معالم الإيمان ، ومتى كان ذلك؟ .

أسئلة كثيرة أهملها التاريخ في حياة معقل .

وفجأة يلتفت التاريخ إلى معقل ويضعه أمامنا في موقف من أخطر مواقف المسلمين .

ألا وهو بيعة الرضوان ..

حيث بايع الصحابة رسول الله على الموت .

بايعوه على بذل المهج والأرواح .

ووضعوا بين يديه أموالهم وأرواحهم رخيصة في سبيل الله .

وقنعوا بالثمن الذي قلمه لهم ربهم ، ألا وهو قربه منهم في جنة عدن عند ملك  
مقتدر ، قال تعالى :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله  
فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً ﴾ إلى قوله : ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم  
به ﴾ (١)

.. ولكن لم ينشب قتال ولم ينخص المسلمون المعركة مع قريش وتوصل رسول الله  
ﷺ إلى صلح معهم .

وجلس رسول الله ﷺ بجوار علي بن أبي طالب وقال له : اكتب بسم الله  
الرحمن الرحيم .

قال سهيل — مندوب قريش في عقد الصلح — لا أعرف هذا .. ولكن اكتب  
باسمك اللهم .

فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، سهيل بن عمرو .  
قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم  
أبيك .

فقال رسول الله ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل  
بن عمرو ، اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ،  
ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده  
عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأنه لا إسلال ولا إغلال (٢) ،  
وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في  
عهد قريش وعهدهم دخل فيه .

(١) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٢) الأسلال : السرقة الخفية ، والأغلال : الحياطة .

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده.

وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

ثم كتب: وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك. فأقت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب، السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها<sup>(١)</sup>...

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو.

جاء إلى رسول الله والقيد في رجليه.

جاء مؤمناً يريد أن يفر بدينه إلى جماعة المسلمين.

وما كاد أبوه يراه حتى أخذ بتلابيبه وانهاه عليه ضرباً ولكماً ثم قال: يا محمد قد انعقدت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا.

قال: صدقت.

وجعل أبوه يجره إلى قريش وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أردد إلى المشركين بفتونتي في ديني؟

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وإنا لا نغدر بهم<sup>(٢)</sup>.

أين معقل بن يسار من هذه القضية؟..

إنه قريب جداً فهو مع الذين بايعوا رسول الله.. وهو الذي أعد عدته ولبس درعه، وأخرج سيفه انتظاراً لأمر رسول الله ﷺ بمناجزة القوم..

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وذكره البخاري في باب المغازي.

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٩١.

ولكنه شاهد صلحاً ووثيقة تكتب.. ورأى رسول الله ﷺ تقترب الشمس من رأسه، وترسل أشعتها المحرقة الى الأرض فما كان من معقل إلا أن أسرع واعتلى شجرة، وقطع أحد فروعها، ووقف به فوق رسول الله ﷺ بحميه من وقدة الشمس.. ومن أشعتها المحرقة.. واستمر كذلك حتى تم كتابة الوثيقة واتجه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي كانت معدة له.

ثم عاد الرسول ﷺ إلى المدينة.. وأمر أصحابه بالتجهز لغزو خيبر التي يقطنها جماعة من اليهود.

وفي خيبر جلس معقل بن يسار يستمع للرسول ﷺ وهو يقول لأصحابه: «لا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره». يعني إتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها.

«ولا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها».

«ولا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه».

«ولا يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه»<sup>(١)</sup>.

إنها آداب الحرب التي وضعها رسول الله ﷺ لأصحابه وأتباعه، إنها خصائص الانسانية في أجمل صورها.. إنها المثل العليا التي أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتخلفوا بها.

لا اعتداء على الأعراض حتى ولو كانت للأعداء.

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٦ وفي الصحيحين عن طريق الزهري أن رسول الله ﷺ نهي عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمير الأهلية.

ولا النيل من حرمان الآخرين حتى ولو كانوا يصدون عن سبيل الله .  
ولا غلول في المعركة ، بأن يأخذ الانسان أكثر من حقه ، أو يجور على حقوق  
الآخرين ..

ولكن للمعارك قواعد وأصول في شريعة الاسلام .

يلتزم بها الجندي والقائد ، والصغير والكبير ، فإذا تعداها انسان كان خارجاً عن  
نظام الجماعة . فتقع عليه العقوبة الرادعة حتى لا يعود لثلاثها مرة أخرى .

فهل التزم معقل بهذه الآداب ؟ .

وأخذ نفسه بها في كل معاركه .

إن وقائع التاريخ تقول إنه كان جندياً ملتزماً ، ومحارباً شريفاً ومسلماً عرف  
حدود دينه ، ووعى منه ما يأتي وما يدع .

.. لقد اشترك معقل في حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وسافر  
مع الجيش الذي أرسله عمر رضي الله عنه لفتح فارس . ففتح الله عليهم ، وانتصروا  
في كثير من معاركهم ..

واستقر معقل بالبصرة وبنى بها داراً وسمى النهر الذي يوجد فيها باسمه .. نهر  
معقل .

وفي يوم من الأيام جاء البريد إلى عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — بأن  
الأعاجم اجتمعوا بنهاوند في خمسين ألفاً ومائة ألف مقاتل .

فجمع عمر الناس واستشارهم وقال لهم :

« هذا يوم له ما بعده ، وقد هممت أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه فأنزل  
منزلاً وسطاً بين هذين المصرين ، ثم أستفرهم وأكون لهم رداءً حتى يفتح الله  
عليهم ، ويقضي ما أحب .

فقال طلحة بن عبيد الله — رضي الله عنه :



يا أمير المؤمنين قد أحكمتك الأمور واحتنكتك التجارب ، وأنت وشأنك  
ورأيك ، لا نبوي يديك ولا نكل عليك اليك هذا الأمر ، فمرنا نضع وادعنا نجب .  
واحملنا نركب ، وقدنا نتقد فإنك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت .

فقام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — فقال :

أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وإلى أهل  
اليمن فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة فتلقى جمع  
المشركين يجمع للمسلمين فإنك إذا سرت قل عندك ما قد تكاثر من عدد القوم  
وكنت أعز عزاً وأكثر .

يا أمير المؤمنين : إن هذا يوماً له ما بعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا  
تعب عنه <sup>(١)</sup> .

وقام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — وقال :

أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم  
إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ،  
وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها  
حتى يكون ما تدع ووراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات .

أقرر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق  
فرقة في حرمهم وذراريهم ، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا يتنظروا ، ولتسبر  
فرقة إلى اخوانهم بالكوفة مدداً لهم .

إن الأعاجم إن يظروا اليك غداً قالوا هذا أمير المؤمنين أمير العرب وأصلها  
فكان ذلك أشد عليهم عليك .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٧ البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١١٨ .

فقال عمر — رضي الله عنه — « هذا هو الرأي ، كنت أحب أن أتابع عليه »<sup>(١)</sup>.

ولكن من القائد الذي يقود جموع المسلمين؟..

إن عمر بصير بأقدار الرجال ، ولقد انتدب أكفأ القادة وأحزم الولاة من خشوعهم في الصلاة ، ثم من خلال مواهبهم في الحياة ، فكان اتقان الصلاة رشح هؤلاء لمناصب القيادة والإمارة.

وفي هذه المعركة .. وعمر مشغول بأمر القائد . دخل عمر المسجد فرأى رجلاً يصلي صلاة خاشعة . فامتلاً قلبه إعجاباً به وامتلاًت نفسه ثقةً فيه . وكان الرجل مفتول الذراعين مرفوع القامة ، قوي العضلات وسأل أمير المؤمنين : من هذا؟.. فقيل له : هذا النعمان بن مقرن .

فقال : عليّ به .

فلما مثل بين يديه قال له عمر : لقد انتدبتك لأمر عظيم .

فقال الرجل العملاق : يا أمير المؤمنين إن كنت تريدني لجمع الصدقات فإني لا أصلح لذلك ، وإن كنت تريدني للجهاد والاستشهاد في سبيل الله فإني أصلح له . فقال أمير المؤمنين : بل أردتك للاستشهاد ، ثم ولاء إمارة الجيش الذاهب الى نهاوند<sup>(٢)</sup>.

واختار النعمان قواده .

نعيم بن مقرن .

حذيفة بن اليمان .

معقل بن يسار .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٨ ، البداية والنهاية ج ٧ ص ١١٩ .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩ .

القعقاع بن عمرو .

بجاشع بن مسعود .

وسار هؤلاء الرجال بكتائبهم والذي يعدل كل واحد منهم ألف مقاتل .

وجاء معقل بن يسار بجنوده من أهل البصرة — يعمر قلوبهم الإيمان وأجسامهم القوة ، وأذرعهم المقتولة ، وسيوفهم السمهرية في شوق الى لقاء الأعداء ليفوزوا بإحدى الحسينيين إما النص وإما الشهادة .

والتقى معقل بن يسار ، والنعمان بن مقرن ، فأوصاه بدينه وبجنوده خيراً ثم أمره أن يكون بجواره في المقدمة .

حتى اذا وصلوا الى مكان المعركة .. كان أول عمل قام به النعمان أن طلب من جنده أن يتوضأوا ليصلوا صلاتهم قبل الالتحام بعدوهم ، ففعلوا . وبعد الصلاة مباشرة طلب إليهم أن يرفعوا أيديهم قائلاً لهم :

«أيها الناس إني داع فأمنوا» ثم قال :

«اللهم اني أسألك أن تُقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام واقبضني شهيداً» .

فقالوا جميعاً : آمين .

ثم رجع الى موقفه فكبر ثلاثاً والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال ، وحمل النعمان والناس معه فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد منها ، وصبر المسلمون صبراً عظيماً وانهمزم الأعاجم وقتل منهم خلق كثير .

فلما أقر الله عين النعمان بالفتح استجاب له بالشهادة .

قال معقل : فأتيت النعمان وهو صريع ومعني إداوة فيها ماء ، فغسلت عن وجهه التراب فقال :

ما فعل الناس ؟

فقلت : فتح الله عليهم .

قال : الحمد لله . ثم فاضت روحه (١) .

.. وحزن معقل على صديقه النعمان حزناً شديداً .. لأنه رأى أنه لا زال على أرض فارس قوة ضاربة تحتاج الى سيف النعمان .. ولم تغب عنه أن لكل أجل كتاباً .. وإن صاحبه النعمان اعطاه ربه الشهادة التي طلبها .

وما كاد معقل ينفض يديه من مواراة جثة النعمان .. حتى كانت هناك معركة أخرى تناديه وتحتاج إلى سيفه وسيوف أصحابه ، إنها معركة أخرى على أرض أصفهان .. فاستولى عليها الجيش الاسلامي .

ومنها ساروا إلى «جى» فاستسلمت لهم بدون قتال .

ثم ماذا .. مات عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فأين معقل بن يسار؟ .

هل استعمله عثمان بن عفان؟ .

هل كان مع الثائرين على عثمان؟ .

أو انه اعتزل الفتنة وجلس في بيته؟ .

إن التاريخ يصمت في تلك الفترة ، فلا يذكره من قريب أو بعيد .. حتى كانت واقعة الجمل التي كانت بين معاوية والإمام عليّ شوهده معقل وهو يقود قبائل كنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة . التابعة للإمام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — . وانتهت المعركة بانتصار علي وهزيمة المناوئين له .

أما عن معقل .. فلقد رأى في هذه المعركة هولاً ورعباً .. لقد تعود أن يستعمل سيفه في سبيل الله وقتل عصابات الكفر وطواغيت الضلال أما في هذه المعركة فكان سيفه لمن يقول : لا إله إلا الله — يوجه سيفه إلى اخوة مؤمنين .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٩ — ٢٠ .

وهذا لا يكون .. إذن فليتحطم رحمه .. وليدفن سيفه حتى يعلوه الصداً ولا يرفعه  
في وجه مسلم مرة أخرى ..

وجلس في بيته وعاش لربه .. وانتظر أن تزول هذه الغمة التي حلت بالمسلمين  
ففرقت وحدتهم .. وشتت شملهم .. ولكن الليل طار .. والفتن استطارت .. ولم  
يكن لليل آخر ولا للفجر بشائر .. فاتجه إلى ربه أن يقبضه إليه .

وحان أجله واتجه إلى ربه في جنة عدن التي وعد الله بها عباده المؤمنين .  
رحم الله معقلاً وجزاه عن الاسلام وأهله جزاء المجاهدين .

وقيل إن وفاته كانت بالبصرة في آخر خلافة معاوية<sup>(١)</sup> ، وقد قيل إنه توفي في  
أيام يزيد بن معاوية رحمهم الله جميعاً .

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٤٣٣ .

## أسباب نزول الآيات

عن يونس بن عبيد عن الحسن أنه قال في قول الله تعالى :  
﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا ﴾<sup>(١)</sup> الآية . قال : حدثني  
معقل بن يسار أنها نزلت فيه ، قال :

« كنت زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها  
فقلت له :

« زوّجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت يخطبها ، لا والله لا تعود اليها  
أبداً » .

قال : وكان رجلاً لا بأس به فكانت المرأة تريد أن ترجع اليه فأنزل الله عز  
وجل هذه الآية فقلت :

« الآن افعل يا رسول الله فزوجتها إياه »<sup>(٢)</sup> .

وعن عباد بن راشد عن الحسن قال : حدثني معقل بن يسار قال :  
« كانت لي أخت فخطبت إليّ ، وكنت أمتعها الناس ، فأثاني ابن عم لي

(١) سورة البقرة آية ٢٣٢ .

(٢) رواه البخاري عن أحمد بن حفص وتفسير الطبري ج ٥ ص ١٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧  
ص ١٠٣ . ١٣٨ والأم للشافعي ج ٥ ص ١١ .

فخطبها فأنكحها إياه ، فاصطحبها ما شاء الله ، ثم طلقها طلاقاً له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها ، فخطبها مع الخطاب ، فقلت :

«منعتها الناس وزوجتك إياها ، ثم طلقها طلاقاً له رجعة ، ثم تركتها حتى انقضت عدتها ، فلما خطبت إليّ أتيتني تخطبها ، لا أزورك أبداً ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾<sup>(١)</sup>  
فكفرت عن يميني وأنكحها إياه .

وعن مبارك بن فضالة عن الحسن :

أن معقل بن يسار زوج أخته رجلاً من المسلمين ، وكانت عنده ما كانت فطلقها تطليقة ثم تركها ومضت العدة فكانت أحق بنفسها فخطبها مع الخطاب فرضيت أن ترجع إليه فخطبها الى معقل بن يسار فغضب معقل وقال :  
« أكرمتك بها فطلقتها ، لا والله لا ترجع اليك بعدها » .

قال الحسن : علم الله حاجة الرجل الى امرأته ، وحاجة المرأة الى بعلها ، فأنزل الله تعالى في ذلك القرآن :

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر الآية .

قال : فسمع ذلك معقل بن يسار فقال : سمعاً لربي وطاعة ، فدعا زوجها فقال :

« أزوّجك وأكرمك فزوجها إياه »<sup>(٣)</sup>

---

(١) و (٢) سورة البقرة آية ٢٣٢ .  
(٣) راجع تفسير الطبري ج ٥ ص ١٩ والدر المشور ج ١ ص ٢٨٧ ، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص ٧٤ - ٧٥ .

## تذييل ...

الأسرة في الاسلام هي المكان الطبيعي الذي يتولى حماية الأطفال ورعايتهم وتنمية أجسادهم وعقولهم وأرواحهم .  
والطفل الانساني هو أطول الأحياء طفولة ، ذلك أن مرحلة الطفولة هي مرحلة اعداد وتيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي .

ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة ، ودوره في الأرض هو أضخم دور امتدت طفولته فترة أطول ، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل ، ومن ثم كانت حاجته للملازمة أبويه أشد حاجة أي طفل لحيوان آخر ، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة أزم للنظام الانساني وألصق بفطرة الانسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة .

وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر عن جهاز الأسرة لا يعوض عنها ولا يقوم مقامها ، بل لا يخلو من أضرار مفسدة لتكوّن الطفل وتربيته وبخاصة نظام المحاضن الجماعية التي أرادت بعض المذاهب المصطنعة المتعسفة أن تستعيب بها عن نظام الأسرة .

وإذا كان ذلك كذلك فهل اهتم الاسلام بالأسرة؟

الاسرة التي هي حضن الطفولة ومصنع الرجولة .. ومربية الابطال؟

ان القارئ لكتاب الله تعالى يرى حرص الاسلام على قيام الاسرة على أسس

ثابتة متينة ..



فأولاً حرصه على أن يكون الزواج من مؤمن أو مؤمنة..

ويرفض رفضاً باتاً أن تقوم الأسرة الاسلامية وأحد أركانها لا يدين بالإيمان ولا يؤمن بالله تعالى.

يقول تعالى في محكم كتابه :

﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾ (١)

والرسول ﷺ يؤكد هذا المعنى — معنى الإيمان بقوله :

« عن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال : تنكح المرأة لثلاث : لما لها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٢)

فدعائم الأسرة يجب أن تقوم على الإيمان على معرفة الله سبحانه وتعالى لأن الإيمان هو الجهاز الواقي للبيت لكل ما يلفه من اضطرابات واعاصير والزواج يقوم على المودة والمحبة ، قال تعالى :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ (٣)

(١) سورة البقرة آية ٢٢١.

(٢) صحيح مسلم في صحيحه استحباب نكاح ذات الدين.

(٣) سورة الشورى آية ١.

وقال : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يفتكرون ﴾ (١) .

ومن هنا تظهر الحكمة من هذا الرباط المقدس : لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .

ان حكمة الخالق في خلقه كل من الزوجين على نحو يجعله موافقاً للآخر مليئاً لحاجته الفطرية ، نفسية وعقلية وجسدية ، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة ، لأن تركيبها النفسي والعصبي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر وائتلافها وامتزاجها في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد .

وقد يرتبط كل من الزوجين بالآخر .. ثم لا يحدث توافق أو انسجام بين الزوجين وينفر كل منهما من الآخر .

فماذا يكون ؟ .. يكون الانفصال ويكون الطلاق .. والطلاق أبغض الحلال الى الله . وهو عملية بتر لا يلجأ اليها الا حين يجيب كل علاج . يقول تعالى عندما يحدث بين الزوجين اختلاف وجهات النظر :

﴿ وإن خفتم شقاقَ بينها فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً ﴾ (٢) .

ان الاسلام يلجأ الى هذه الوسيلة الأخيرة — عند خوف الشقاق فيبادر قبل وقوعه فعلاً يبعث حكماً من أهلها ترتضيه ، وحكم من أهله يرتضيه .

يجتمعان في هدوء بعيدين عن الانفعالات النفسية ، والرواسب الشعورية والملابسات المعيشية التي كدرت صفو العلاقات بين الزوجين ، طليقين من هذه

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

(٢) سورة النساء الآية ٣٥ .

المؤثرات التي تفسد جو الحياة ، وتعقد الأمور ، وتبدو لقرها من نفس الزوجين كبيرة تغطي على كل العوامل الطيبة الأخرى في حياتها .

حريصين على سمعة الأسرتين الأصليتين .

مشفقين على الأطفال الصغار .

بريئين من الرغبة في غلبة أحدهما على الآخر .

راغبين في خير الزوجين وأطفالها ومؤسستها المهتدة بالدمار .

فإذا فشلت هذه المحاولات كان الطلاق .

والطلقة الأولى تجزية يعلم منها الزوجان حقيقة مشاعرهما .

فإذا انضح لها في أثناء العدة أن استئناف الحياة مستطاع ، فالطريق مفتوح .

«وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً»<sup>(١)</sup> .

في ذلك أي في فترة الانتظار والتربص — وهي فترة العدة . قال تعالى :

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا

تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم

أزكى لكم وأظهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾<sup>(٢)</sup> .

إن المعروف والجميل والحسنى يجب أن تسود جو هذه الحياة ، سواء اتصلت

حبالها أو انفصلت .

ولا يجوز أن تكون نية الإيذاء والإعنات عنصراً من عناصرها ، ولا يحقق هذا

المستوى الرفيع من النجاة في حالة الانفصال والطلاق إلا عنصر الإيمان بالله

والإيمان باليوم الآخر .

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٢ .

والطَّلقة الثانية تجربة أخرى وامتحان أخير ، فإن صلحت الحياة بعدها فذاك ، وإلا فالطَّلقة الثالثة دليل على فساد أصيل في حياة الزوجية لا تصلح معه حياة .

روى البخاري بإسناده عن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله — ما أعيب عليه في خلق ولا دين . ولكن أكره الكفر في الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ :

«أتردين عليه حديثه؟»

قالت : نعم .

قال رسول الله ﷺ : «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة» .

وفي رواية ابن جرير عن أبي جرير أنه سأل عكرمة : هل كان للخلع أصل ؟ ..

قال : كان ابن عباس يقول : إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبد الله ابن أبي ، أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله .. لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبداً ، إني رفعت جانب الحياء فرأيتك قد أقبل في عدة ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً .

فقال زوجها : يا رسول الله إني قد أعطيتها أفضل مالي ، حديقة لي فإن ردت عليّ حديقتي .

قال : ما تقولين ؟ ..

قالت : نعم ، وإن شاء زدته .

قال : ففرق بينهما .

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُرُ فِي الْكَلِمَةِ<sup>ع</sup>

إِنْ أَمْرٌ أ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ، وَلَدٌ وَلَهُ، أُخْتُ فَلَهَا نِصْفٌ

مَا تَرَكَ<sup>ع</sup> وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ<sup>ع</sup> فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَتَيْنِ<sup>ع</sup>

فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ<sup>ع</sup> وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثِيَيْنِ<sup>ط</sup> يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا<sup>ط</sup>

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء : آية رقم ١٧٦

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والحديث والسير نزلت هذه الآية في جابر بن عبد الله رضي الله عنه :

قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره ج ١ ص ٤١ .

وذكره ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٥٩٢ .

وقال القرطبي في التفسير أيضاً ج ٦ ص ٢٨ .

وقاله صاحب تفسير الخازن ج ١ ص ٥٢٤ .

وقاله ابن حجر في فتح الباري ج ١ ص ٢٦٨ .

باب : يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله .

وذكره صاحب معالم التنزيل ج ١ ص ٥٢٤ .

لمن هو جابر بن عبد الله؟ ..

## جابر بن عبد الله

رضي الله عنه

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام .  
صحابي من فقهاء الصحابة .

مولده بالمدينة حيث الحدائق الجميلة والفسيحة ، والبساتين المعطاء الكثيرة .  
والأشجار المنتشرة هنا وهناك ، فواحة بالعطر ، مليئة بالثمر . تسر العين ، وتفرح  
القلب ، وتملأ الحياة نوراً وبهاء .

وكان لوالده مزرعة خارج المدينة يصحبه معه كلما ذهب إليها ، وأحب الطفل  
هذا المكان وأصبح يتردد عليه كثيراً ، وكان يجلس في هذه المزرعة يتأمل خريف الماء  
الخارج من أكمة بعض الصخور المحيطة بالمزرعة ، ويتابعه وهو ينساب في هواده  
ويسر تحت شجيرات التين ، وكروم العنب ، وما تكاد المياه تغمر تربتها حتى ترعرع  
الأشجار ، وتتفتح الزهور ، ويُملأ الكون كله بنسيمات عذبة وروائح ذكية .

... وفي يوم من الأيام شاهد الفتى الطلعة والده يتجهز لرحلة بعيدة ، وما كاد  
ميعاد تحرك القافلة يأذن بالرحيل ، حتى جلس الوالد عبد الله إلى ابنه جابر يوصيه  
بالمزرعة خيراً ، ويطلب منه أن يكون نعم الابن المطيع لأوامر أمه حتى يعود من هذه  
الرحلة ، وسيكافئه عند عودته بالملابس الجديدة وكل ما تهواه نفسه من لعب  
وحلوى .



ولكن الفتى يرفض كل ما يعرضه عليه والده — ويتشبث به ، ويلجئ في أن يصحب والده في تلك الرحلة — وهو ليس بالصغير الذي يخشى عليه تعب الطريق ومشقات السفر.

وفشلت كل الأمور في رد الفتى عن طلبته — وأمام هذا الإصرار لم يكن أمام الوالد — إلا التزول على رغبة هذا الابن واصطحابه معه.

وسارت القافلة تسرع السير إلى مكة.

إنها لم تكن قافلة من قوافل التجارة.

ولم تكن تحمل كوكبة من الفرسان الذين يريدون الغارة والاستيلاء على الأرض والمرعى.

ولم تكن قافلة تتجه إلى بعض النجوع القريبة ، لتحمل عروساً إلى عريسها بين دقات الدفوف وألحان الرجز.

ولكنها والحق يقال كانت قافلة من نوع جديد. فمجموعة من رجال الأنصار ونسائها .. سمعوا بدعوة الرسول ﷺ ، ووعت صدورهم بعض آيات القرآن الكريم يرتلها لهم سفير الرسول إليهم — مصعب بن عمير — رضي الله عنه ، فأعلنوا إسلامهم ونبذوا أصنامهم ، وعاشوا في انتظار اليوم الذي يلتقون فيه مع رسول الله ﷺ.

وسارت القافلة — حتى لاحت أمامها مشارف مكة — فأناخوا قوافلهم وأرسلوا رسولهم لمقابلة رسول الله ﷺ ، وعاد رسولهم ليخبرهم أن الرسول ﷺ سيأتي بهم في هذه الليلة في مكان حدده لهم.

.. وجاء ميعاد اللقاء ، وشاهد الفتى جابر رسول الله ﷺ وهو يصافح هؤلاء الأنصار ويبارك قلوبهم ، فسرى نور الإيمان في قلبه ، واستقر حب هذا الرجل في قلبه وأصبحت صورته لا تفارق مخيلته ..

وانفضَّ اللقاء ، وتمت البيعة بين رسول الله ﷺ وبين الأنصار الذين سيكون لهم دور في تاريخ هذه الدعوة ، وسيحملونها مع إخوانهم المهاجرين إلى كل بقاع العالم يدعون إلى كلمة التوحيد وإلى نبد عبادة غير الله ، والناس جميعاً سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو عمل صالح .

وفي طريق العودة إلى المدينة أخذ الفتى جابر يلاحق والده بأسئلته : من هذا الرجل يا أباي الذي صافح كل الرجال ، وكان مشرق الوجه ، صادق العبارة طيب الرائحة ؟ .

وقال له والده : إنه رسول الله ﷺ يا جابر .

ومن الله الذي أرسل هذا الرسول ؟ ..

وقال الوالد : إنه يا بني الذي خلق السماوات والأرض . والذي يأتي بضوء النهار فنذهب إلى المزرعة ، ويرسل ظلمة الليل فنعود إلى مضاجعنا ..

الابن : لا أفهم كثيراً مما تقول يا والدي ؟

— أزيدك إيضاحاً يا بني .. أترى المياه التي تأتينا من كنف الجبل ؟ من الذي يرسلها ؟ ..

— لا أعرف يا والدي ؟ ..

— أرايت البذرة التي وضعتها في التربة من أيام وسقيناها سوياً بالماء .. ثم خرجت نبتة يانعة من التربة .. نعم يا والدي .

— من الذي أخرج النبتة ؟ ..

— لا أدري يا والدي ..

— أترى صفحة السماء في السماء وهي مليئة بالكواكب والنجوم ترسل ضياءها وترشد المسافرين وتحدد أوقات الغادين ؟ ..

— نعم يا والدي .

— من الذي علقها على صفحة السماء فلا تسقط ورتبها فلا يختلف؟

— لا أدري يا والدي؟؟..

— يا بني الذي فعل ذلك هو الله سبحانه وتعالى، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

إنه الله سبحانه وتعالى الذي أرسل رسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الواحد الأحد، ومن عبادة العباد إلى عبادة الواحد القهار.

انطق يا بني بما نطق به أبوك قبلك :

«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

ونطق الفتى بكلمة الشهادة.

ووقفت القافلة للراحة والترود بالماء، وأخذ الوالد ابنة إلى موضع الماء فتطهر وتوضأ، وأصبح إنساناً جديداً يتحلى بمكارم الأخلاق ويدين بعبقيرة الإسلام.

وسارت الحياة بالفتى جابر، يذهب إلى المزرعة في الصباح ويعود في المساء،

يجلس مع أترابه، يتحدثون ويتجادلون، ويرقبون وصول الرسول ﷺ الذي

تستعد لاستقباله المدينة بأسرها رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً. حتى جاء اليوم الأغر

يوم الهجرة الأعظم الذي وطئت فيه أقدام الرسول ﷺ أرض يثرب.

ومن ذلك التاريخ، أصبح للحياة طعماً جديداً لدى كل الذين تابعوا محمداً

ﷺ.

لقد عرفوا أن الحياة رحلة قصيرة في عمر الزمن، بعدها تأتي الحياة الأبدية حياة

الخلود.

وآمنوا أن الله سبحانه وتعالى أوجدهم لغاية : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون﴾ (١).

(١) سورة الناريات آية ٥٦.

وسخر لهم الأرض والسماء والشمس والقمر: ﴿كل في فلك يسبحون﴾ (١) وأعطاهم من نعمه الظاهرة والباطنة ما لا يحصى ولا يعد: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (٢).

كل هذه المعاني الطيبة كان الفتى جابر يسمعها صباح مساء، وتستقر في عقله وقلبه لا تفارقه.

حتى جاء يوم — شاهد الفتى والده — يشحذ سيفه، ويجهز مطيته لأمر ما. واقترب الفتى من والده يسأله عن الخبر، فأخبره أن قريباً أقبلت بجيئها ورجلها، تريد حربنا والقضاء على دعوتنا. وقال الفتى: أذهب معك يا والدي..

وقال الأب: ليس هذا لي يا بني، ولكنه لقائد الجيش رسول الله ﷺ، الذي يأمر بأخذك أو بردك حتى يكتمل عودك وتقوى يدك على حمل السيف ومقارعة أعداء الله.

هل حضر جابر غزوة بدر؟..

بعض الروايات تجيز ذلك، والبعض الآخر يني أن جابراً حضر غزوة بدر.. وإذا لم يكن حضرها فلا شك شارك المسلمين فرحتهم ونصرهم، ومنى نفسه بمعركة أخرى يشارك المسلمين فيها مجالدة أعداء الله وأعداء دينه.

وجاءت غزوة أحد، وجلس عبد الله إلى ابنه يقول له: «يا بني إني أرجو أن أكون في أول من يصاب غداً، فأوصيك ببينات عبد الله خيراً».

فذهب جابر إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، إن أبي خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل فيهن، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف على أخواتك.

(١) سورة الأنبياء آية ٣٣.

(٢) سورة النحل آية ١٨.

فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه ، ودارت رحى المعركة . وكان للكفر فيها جولة ، وقتل عبد الله ، يقول جابر : لما قتل أبي يوم أحد جعلت أكشف الثوب عن وجهه ، وأبكي ، وجعل أصحاب الرسول ﷺ ينهونني ، والنبي ﷺ لا ينهاني ، قال : وجعلت عمتي فاطمة بنت عمرو تبكي عليه .

فقال النبي ﷺ : « أبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » .

ويقول جابر أيضاً : إن رسول الله ﷺ لما خرج لدفن شهداء أحد قال : « زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم . ما من مسلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دماً ، اللون لون الزعفران والريح ريح المسك » .  
قال جابر : وكفن أبي في نمرة واحدة ، وكان يقول ﷺ : « أي هؤلاء كان أكثر أخذاً للقرآن ؟ »

فإذا أشير له إلى الرجل قال : « قدموه في اللحد قبل صاحبه » .  
قالوا : وكان عبد الله بن عمرو بن حرام أول قتيل قتل من المسلمين يوم أحد ، قتله سفيان بن عبد شمس أبو أبي الأعور السلمي . فصلّى عليه رسول الله ﷺ قبل الهزيمة ، وقال رسول الله : « ادفنوا عبد الله بن عمرو ، وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء » .

وقال : « ادفنوا هذين المتحابين في قبر واحد » .  
فدفنا في قبر واحد .

وكان قبرهما مما يلي المسيل ، فدخله المسيل فحفر عنهما ، وعليهما تمرتان ، وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه ، فيده على جرحه فأميطت يده على جرحه فانبعث الدم ، فردّت يده إلى مكانها فسكن الدم .

قال جابر : فرأيت أبي في حفرته كأنه نائم ، وما تغير من حاله قليل ولا كثير .

فقيل له : فرأيت أكفانه؟ .. قال : إنما كُفُن في نمرة خُير بها وجهه ، وجعل على رجله الحرمل فوجدنا النمرة كما هي ، والحرمل على رجله على هيئته وبين ذلك ست وأربعون سنة . فشاورهم جابر في أن يطيب بمسك ، فأبى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا :

« لا تحدثوا فيهم شيئاً » .

أهناك من ينكر ذلك؟ .. أيستطيع إنسان أن يقول كيف يبقى الميت نصف قرن ولم تأكله الأرض؟ ..

إن هذا ما حدث ، ولا يماري في ذلك إنسان مسلم يفقه دينه ويقرأ قول الله تعالى :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ (١)

ويعيش جابر في هول الذكرى حزين القلب ، منكسر الفؤاد ، لا تفارق اللوعة فؤاده ، ولا تترف البسمة على شفتيه . ويراها رسول الله ﷺ على هذه الحال التي يجب ألا يقيم عليها مسلم ، فيقول له : يا جابر ما لي أراك منكسراً مهتماً؟ .. يقول جابر : قلت يا رسول الله . استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين . قال :

« أفلا أبشرك بما لني الله به أباك » .

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : « إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً ، وما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب » .

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩ - ١٧١ .

فقال : يا عبدي تمن أعطك .

قال : يا رب تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية .

فقال الرب تعالى ذكره : (إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون) .

قال : يا رب فأبلغ من ورائي . فأنزل الله تعالى :

(١)

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ .

ومن هذا التاريخ أخذ جابر يلازم رسول الله ﷺ لا يفارقه في حضر ولا سفر ، ويحدثنا جابر حديثاً عن صلاة الخوف قائلاً :

« غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فلما قفل مع أصحابه أدركتهم القائلة في واد كثير الغضاه . فنزل النبي ﷺ ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه .

قال جابر : إن رجلاً من بني محارب يقال له غورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً؟ .

قالوا : بلى ، وكيف تقتله؟ .

قال : أفتك به .

قال جابر : فجاء وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فسله .

فقال لرسول الله : أتخافني؟ ..

فقال النبي : « لا » .

قال : فمن يمنعك مني؟ ..

قال : « الله يمنعني منك » .

قال : فتهده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلقه .

(١) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

قال : فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين .

قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان .  
وكانت هذه الواقعة في غزوة ذات الرقاع في العام الرابع الهجري ، وقفل الرسول ﷺ راجعاً إلى المدينة .

قال جابر رضي الله عنه : كان معي جمل ضعيف في تلك الغزوة ، فأخذت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله ﷺ .  
فقال : « ما لك يا جابر » ؟ .

قال : قلت : يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا .  
قال : « أنخه » .

قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك » أو « اقطع لي عصا من شجرة » .

قال : فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ثم قال : « اركب » فركبت .  
فخرج والذي بعثه بالحق يسابق ناقته مسابقة .

قال : وتحدث مع رسول الله ﷺ فتألم لي :  
« أتبيعي جملك هذا يا جابر » ؟ .

قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك .

قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قلت : فسُمّيه يا رسول الله .

قال : قد أخذته بدرهم .

قلت : لا إذن تغنيني يا رسول الله .

قال : فبدرهمين .



قلت : لا .

قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية .

قلت : أفقد رضىيت يا رسول الله؟ ..

قال : نعم .

قلت : فهو لك .

قال : قد أخذته ، ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد؟ ..

قلت : نعم يا رسول الله .

قال : أثيباً أم بكرأ؟

قلت : بل ثيباً .

قال : «أفلا جارية تلاعها وتلاعبك»؟

قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن .

قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت وأقنا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها .

قلت : يا رسول الله ما لنا من نمارق .

قال : إنها ستكون .

فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً .

قال : فلما جئنا «صراراً» أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، وأقنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا .

قال : فحدثت المرأة الحديث ، وما قال رسول الله ﷺ

قالت : فدونك سمع وطاعة .

قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب «مسجد» رسول الله ﷺ .

قال : ثم جلست في المسجد قريباً منه .

قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : « ما هذا » ؟ .

قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر .

قال : فدعيت له .

فقال يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك .

ودعا بلالاً فقال له :

« اذهب بجابر فأعطه أوقية » .

قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً .

قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا ، يعني يوم الحرّة .

أرأيتم ما فعل الرسول ﷺ مع أحد أصحابه إنه معهم في فرحهم وسرورهم في حزنهم وآلامهم ، يسأل عن دابته الضعيفة ، ويسأل عن تأخره عن الركب .

ويعرف حاجته إلى المال وأنه قد قتر عليه في الرزق فيساومه على دابته ، وتقوم المباينة والمقايسة بين القائد والمقود ، بين الرسول وصاحبه ، تزفر عليهم روح الأخوة الخالصة والإيمان العميق .

وهذه الساحة بين القائد والمقود ، وبهذه الأخوة التي فيها يؤثر كل أخ أخاه على نفسه قام مجتمع الإيمان ، مجتمع الإحسان ، المجتمع الذي لم تعرف له البشرية مثيلاً في تاريخها الطويل .

.. فأحدهم يبذل كل ماله في سبيل الله ، وعندما يسأل عن ماذا ترك لأولاده

الصغار؟ ..

يقول : تركت لهم الله ورسوله .

وثانيهم : يخرج لوداع الجيش المسافر على بركة الله لنشر دين الله ، ويقول للجنود .

« سيروا على بركة الله وأنا أبو العيال حتى تعودوا » .

وثالث : يحول بين أبيه وبين دخول المدينة — الذي أصبح أن يكون عليها ملكاً متوجاً لولا مجيء الإسلام — ويقول لوالده : محال أن تدخلها حتى يأذن الله ورسوله .

ورابع وخامس .. وغير ذلك كثير ، فأين جابر وسط هذا المجتمع الفريد ؟

يقول جابر رضي الله عنه : علم الرسول ﷺ بخروج قريش إليه ، بعد أن أجمعوا أمرهم على قتاله ، فأمر بضرب الخندق حول المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر . وأيضاً عندما اعترضت المسلمين صخرة كبيرة يقول جابر : فشكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة ، فيقول من حضرها : « فوالذي بعثه بالحق نبياً لأنهالت حتى عادت كالكتيب لا ترد فأساً ولا مسحاً .

يقول جابر رضي الله عنه : فاتجهت إلى بيتي وكانت عندي شوية غير ثمينة ، فقلت : لو صنعناها لرسول الله ﷺ .

قال : فأمرت امرأتي ، فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله ﷺ .

قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق .

قلت : يا رسول الله إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير .

فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي .

قال جابر ذلك — وكان يجب أن ينصرف معه رسول الله ﷺ — وحده .  
ويكمل جابر حديثه فيقول :

فلما قلت له ذلك قال : نعم .

ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله .  
فقلت : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه . قال : فجلس وأخرجناها إليه .  
فبرك وسمى « الله » ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى  
صدر أهل الحندق عنها .

إن الرسول ﷺ لا يأكل وحده ، ولا يفضل نفسه على أصحابه وهو وهم كما  
وصفهم خالقهم سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا  
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِبَاهُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾<sup>(١)</sup> .

ثم ماذا؟ مات الرسول ﷺ ، ثم مات الخليفة أبو بكر ، ثم الخليفة عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه ، وجابر مع هؤلاء الصحابة ، نعم العون ونعم الرفيق في  
الحرب والسلام .

وسارت به الحياة ! .

يودع كل يوم حبيباً أو رفيقاً .

فجلس في بيته : يتذاكر كتاب الله ، ويتدارس سنة الرسول ﷺ وينشر هدى  
النبي الكريم بين جماعة المسلمين حتى جاء الأجل المقدر ، ليلحق جابر بصحابه  
الكرام في جنة عدن عند ملك مقتدر .

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٩ .

## أسباب نزول الآيات

قال ابن جرير: حدثنا مؤمل بن هشام أبو هشام، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام الدستوائي. قال:

حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال:

اشتكت وعندي تسع أخوات لي أو سبع فدخل علي النبي ﷺ، فنفخ في وجهي فأفقت وقلت: يا رسول الله، ألا أوصي لأخواتي بالثلث؟

قال: أحسن.

قلت: الشطر؟

قال: أحسن، ثم خرج وتركني، ثم رجعت إلي فقال: يا جابر إني لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله قد أنزل في الذي لأخواتك، فجعلهن الثلثين.

قال: فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية في:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

وحدثني المثني قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد

الله قال:

(١) سورة النساء آية ١٧٦.

مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني هو وأبو بكر وهما ماشيان ، فوجدوني قد أغمى عليّ . فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت فقلت : يا رسول الله : كيف أقضي في مالي؟ .. أو كيف أصنع في مالي؟ .. وكان لي تسع أخوات .. ولم يكن له والد ولا ولد .

قال : فلم يجبني شيئاً حتى نزلت آية الميراث : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ إلى آخر السورة .

قال ابن المنكدر : قال جابر : إنما نزلت هذه الآية فيّ ، وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول : « إن هذه الآية آخر من نزل من القرآن »<sup>(١)</sup> .

ويقول الشيخ علاء الدين المعروف بالخازن : ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ) ، نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري . عن جابر بن عبد الله قال : مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمى عليّ . فتوضأ النبي ﷺ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت .

فإذا النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ .. كيف أقضي في مالي؟ ..

فلم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿ ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ :

وفي رواية فقلت يا رسول الله : إنما يرثني كلاله . فنزلت آية الميراث . قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر : يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ، قال : هكذا نزلت .

وفي رواية للترمذي : وكان لي تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث .

ولأبي داود قال : اشتكيت وعندني سبع أخوات ، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فنفض في وجهي فأفقت .

(١) راجع تفسير الطبري ج ٦ ص ٤١ .

فقلت : يا رسول الله ألا أوصي لأخواني بالثلثين؟ ..

قال : حسن .

قلت : بالشرط .

قال : أحسن .

ثم خرج وتركني ، فقال يا جابر : لا أراك ميتاً من وجعك هذا ، وإن الله قد أنزل فين الذي لأخوانك فجعل لهم الثلثين .

قال : فكان جابر يقول : أنزلت هذه الآية : ويستفتونك « في »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن كثير في تفسيره : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله قال :

دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل . قال : فتوضأ ثم صب علي أو قال : صبوا عليه . فعقلت فقلت : إنه لا يرثني إلا كلاله ، فكيف الميراث؟ .

فأنزل الله آية الفرائض ، أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ، وروى الجماعة من طريق سفیان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر به ، وفي بعض الألفاظ فنزلت آية الميراث<sup>(٢)</sup> :

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع تفسير الخازن ج ١ ص ٥٢٤ .

(٢) راجع تفسير ابن كثير المجلد الثاني ص ٤٦٥ .

(٣) سورة النساء آية رقم ١٧٦ .

## تذييل ...

الأمر الذي يدعو إلى الدهشة والتساؤل أن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، ما كاد يفيق من إغمائه حتى كان أول شيء يفكر فيه هو المال الذي بين يديه ..

المال الذي يملكه ولكنه سيؤول إلى الورثة — لهذا طلب من الرسول ﷺ — أن يبين له طرق تقسيمه حتى يتخلص منه .

.. والحقيقة أن المال الذي يجمعه الإنسان بطرق شتى طوال حياته — وراعى فيه حق الله وحق عبيده أم لم يراع — نقول : إن هذا المال في الساعات الأخيرة من حياة الإنسان يكون عبئاً ثقيلاً لا يستطيع التخلص منه .

.. لأن المال يغري — والدنيا حلوة خضرة — حتى إذا بلغت الحلقوم تذكر الإنسان فقط أنه لا يستطيع أن يحمل معه هذه الكنوز وتلك العقارات إلى الدار الآخرة .

سيترك الحدايق الغناء والبساتين الفيحاء .

سيترك القصور العالية والمنازل الفسيحة .

سيترك الذهب والجواهر ، سيترك كل شيء ولا يأخذ معه شيئاً ، إذن هي حسرة



وندامة ، هي قلق وضيق ، هي شيء لا يحدث ، ويتساءل بينه وبين نفسه والورثة  
يحيطون به ، ويتعجلون خروج روحه ، وغروب شمسهم ..

هل هؤلاء الورثة الذين يرثون هذه الثروة ويتقاتلون عليها بعد موته ، سبقومون بها  
كما كان يقوم .

هل سيؤدون بها حق الله وحق عبده؟ .. هذا إذا كان رجلاً صالحاً ، فإذا كانت  
الثانية — يصور له شيطانه — أن أموال الآخرين التي أخذها منهم بالحيلة أو غصباً  
وظلماً ستردّ لهم بالتالي — ستعود من حيث أتت — وسيصلى هو عليها ناراً حامية ..  
﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ (١)

ليس هذا فحسب ، ولكن الشيطان الذي أغراه بالسلب والنهب سابقاً يوسوس  
له بالحسرة والندامة .

هل الورثة ستكون لهم القدرة والدأب الذي كان لديه من المحافظة على هذه  
الأموال وتنميتها كما كان يفعل؟ ..

أو أن هؤلاء الورثة سيوسعون بها على أنفسهم ويصرفونها في مطاعم الحياة  
وملذاتها بعد أن كان مضيقاتاً عليهم وعلى نفسه؟ ..

هل ستكون هذه الأموال عامل سعادة وهناء لبنية وأولاده وهم أقرب الناس  
إليه ، وأحبهم إلى قلبه ، أو ستكون الأخرى ويجرفهم هذا المال عن الطريق السليم  
إلى طريق الشيطان؟ ..

.. إن أخذ أموال الغير بغير حق ، كان يعبر القرآن الكريم عنه دائماً « بالاكل » .

يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

(٢) سورة البقرة آية ١٨٨ .

(١) سورة النساء آية ٥٦ .

ويقول تعالى :

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (١)

ولماذا الأكل بالذات .. لأن هذه الأموال لها شهوة كشهوة الطعام والشراب ..  
وكم يشتهي الإنسان من أطعمة ؟ . وكم يلقي في بطنه من فواكه ولحوم وغير ذلك ؟  
ثم ماذا ؟ .. ماذا تكون نتيجة هذه الأطعمة ؟ .. وإلى أي شيء تصير ؟ ..  
إنها لا شك بعد ذلك تتحول إلى شيء تن ، شيء قبيح يعافه الإنسان وينفر  
منه .

إن مجرد استيلاء الإنسان على أموال الغير وجعلها في حيازته — يحولها إلى شيء  
تن متعفن — لا يطيقه الإنسان السوي .. ولا يقبله عاقل .. وتتساءل إذا كان ذلك  
كذلك .. كيف يطيقه هذا الانسان ؟ ونقول : إنه عندما فكر في ظلم الآخرين  
تعطلت في جسده أجهزة الخير ، وماتت في حسه عوامل الإنسانية .  
فأصبح لا يفرق بين الحسن والقبيح .

بين النتن وطيب الرائحة .

بين الحلال والحرام — بل يسير في غيه — حتى تزهد روحه ويقف في يوم  
الحساب والعقاب .

فماذا يفعل هذا المال معه ؟ أعني مال الغير وحقوق الغير ؟ ..

أترك هذا الإنسان الذي بغى ونجبر ؟ .. وهل يمكن أن يفلت من عقاب الله ؟  
وهل في مقدور الظالم للغير الأكل لأموالهم أن يجتاز الصراط ويتناول كتابه  
بيمينه ؟ ..

(١) سورة النساء : آية رقم ٩ — ١٠ .

محال أن يكون ذلك — فالله سبحانه وتعالى — لا بد أن يقتصر منه لترد الحقوق إلى أصحابها — ومن قبل ذلك — بصور الرسول ﷺ حقوق الغير بقوله :

« تأتي الإبل التي لم تُعط الحق منها تطأ صاحبها بأخفافها ، وتأتي البقر والغنم تطأ صاحبها بأظلافها ، وتنطحه بقرونها ، ويأتي الكنز شجاعاً أقرع فيلقي صاحبه يوم القيامة ، فيفر منه صاحبه مرتين ثم يستقبله فيفر .

فيقول : ما لي ولك ؟ .

فيقول : أنا كنزك ، أنا كنزك ، فيتقيه يده فيلقمها» (١) .

---

(١) راجع سنن ابن ماجه ج ١ كتاب الزكاة باب ما جاء في منع الزكاة رقم ١٧٨٦ .

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق  
رضي الله عنها

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أُفٍّ لَكُمْمَا اتَّعَدَانِي أَنْ أُنْجِرَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ

قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِئَانِ اللَّهَ وَيَلُكَّ آمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

صدق الله العظيم

سورة الاحقاف : آية رقم ١٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير والسير: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر.  
راجع تفسير زاد المسير لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٨١.  
وراجع صحيح البخاري ج ٨ ص ٤٤٢ ، ص ٤٤٣ في تفسير سورة الأحقاف.

قال ابن كثير: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه  
فقوله ، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان من  
خيار أهل زمانه . تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .  
وراجع تفسير الجلالين على هامش المصحف الذي طبعه حسن عباس الشربتلي  
ص ٦٦٧ .

وراجع تفسير البغوي والحاازن ج ٦ ص ٨٥ .

فن هو عبد الرحمن بن أبي بكر؟..

## عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق

رضي الله عنها

.. والده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن قحافة ، ما عكم — أي ما تلبث — حين ذكرته له وما تردد فيه »<sup>(١)</sup> .

وهو صاحب الرسول في الغار ورفيقه في الهجرة ، قال تعالى :

﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾<sup>(٢)</sup> .  
وأمه : أم رومان بنت عامر ، كانت زوجة فاضلة وأماً بارّة وسيدة حكيمة قال عنها رسول الله ﷺ :

« من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان »<sup>(٣)</sup> .  
وأختها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، والتي عاشت في بيت النبوة ، حبيبة إلى رسول الله ﷺ قريبة إلى نفسه شقيقة إلى قلبه ، لا يفارقها حتى يعود إليها ، ولا يظعن إلا ويؤوب وملء فؤاده شوق وحنين .

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٣ ط مصر .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٤٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٧٧ .

والذي قال لأم سلمة عندما حدثته برغبة أمهات المؤمنين :  
« يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي في لحاق امرأة  
منكن غيرها » .

وأخته أسماء ذات النطاقين التي وقفت مع ابنها عبد الله بن الزبير وشدت من  
أزره أمام طغيان الحجاج .

وعندما قال لها : أخشى يا أماه إن ظفري بنو أمية أن يثملوا بجنتي .

قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فإن كنت على الحق فسر  
على بركة الله ، وإن كنت على الباطل فبئس العبد أنت ، أهلكك نفسك  
وأصحابك .

نشأ على بطاح مكة وسهوها كما ينشأ الأبطال ، وعاش أيامه كما يعيش الرجال  
وعندما جاء الإسلام وأجاب أبو بكر داعي الله ، ودخلت أسرته في دين الله . وقف  
هو في الجانب الآخر ، مع عصاة الكفر والضلال يسخر من الرجال المؤمنين .  
ويسمعهم قوارص الكلم .

وينال منهم وينكل بضعفائهم .

ولم يكتف بذلك ، بل نراه يشارك قريشاً جمعها الجموع وحشدها الحشود  
لحرب محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

وكان له في غزوة بدر باع طويل في الكر والفر ، حتى أراد الله سبحانه وتعالى  
لدينه أن ينتصر ولحزبه أن تكون لهم الوراثة في الأرض .

وعاد عبد الرحمن إلى مكة ، كما عاد بقية الفارين أمام جند الله ، وهم  
يتوعدون ، ويتتظرون فرصة ينالون فيها من محمد وأصحابه .

ثم كانت غزوة أحد ، تلك الغزوة التي أحاطت بها ظروف صعبة وملابسات  
قاسية ! .



منها إكراه الرسول ﷺ على الخروج للمعركة.  
وعودة عبد الله بن أبي من وسط الطريق بثلاث الجيش.  
ومخالفة الرماة أمر الرسول ﷺ وتركهم أماكنهم رغبة في حيازة الغنائم.  
في هذا الجو القاتم ، والبلاء النازل على المسلمين ، يبرز من صفوف المشركين  
عبد الرحمن بن أبي بكر ونادى بأعلى صوته : مَنْ يبارز؟ ..  
وما كاد أبو بكر يسمع صوت ابنه حتى همَّ بالخروج إليه .  
هم بالخروج إليه ليقتله .

هم بالخروج إليه ليسكت صوتاً من أصوات المشركين ، وبوقاً من أبواق  
الكافرين ، ولكن من يدري؟ .. أليس من المتوقع أن يتغلب الولد على أبيه  
ويقتله؟ .. لأن القلب إذا كان مظلماً ، وليس فيه من نور الإيمان والهداية شيء ، لا  
يبالي بما يأتي وما يدع ، ويصبح من السهل أمامه تقطيع وشائج القرى وأواصل  
الرحم .

من هنا كان قول الرسول ﷺ لأبي بكر : «شم سيفك وأمتعنا بك» وحال بينه  
وبين الخروج .

وانتهت غزوة أحد ، وعاد عبد الرحمن إلى مكة مرة أخرى مع المتصرين من  
عصابات الكفر والضلال .

ثم ماذا؟ .. بصمت التاريخ عن الحديث بشأن عبد الرحمن فلا يذكره من  
قريب أو بعيد .

هل اشترك في حروب تالية ضد الرسول ﷺ؟

أو أن قلبه استضاء بنور الإيمان فأعلن إسلامه؟ ..

كل هذه الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يجيب عليها إجابة قاطعة ، ما دام  
التاريخ لم يحدثنا عنها حديثاً مفصلاً .

حتى كانت حروب الردة، التي جهز لها ابو بكر الصديق رضي الله عنه، الجيوش وأعدّها الكتائب، وقرر أن يحارب كل من فرق بين الصلاة والزكاة، وقال في ذلك كلمته المشهورة:

«والله لو منعوني عناقاً كانوا يعطونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه».

في هذه الحروب والمعارك يظهر عبد الرحمن بن أبي بكر في صفوف المسلمين وفي الجيش الذاهب إلى قتال مسيلمة الكذاب.

حتى إذا ما وصلوا إلى مكان يسمى (اليمامة) ودارت المعركة، وتساقت القتلى من الجانبين، وأوشك أن تدور الدائرة على المسلمين.

حتى قال ثابت بن قيس:

«بنس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين: اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، يعني أهل اليمامة، واعتذر إليك مما يصنع هؤلاء يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قتل».

هنا يظهر عبد الرحمن بقامته العالية وسيفه البتار وقلبه القوي، فرأى محكم اليمامة يخطب في قومه:

يخرضهم على القتال والثبات.

ويطالبهم بالحفاظ على الأعراض والنساء.

ويشد من أزرهم ويقوّي عزيمتهم.

ويعدّهم بالجناات والعيون التي أعدّها لهم مسيلمة الكذاب، فرماه بسهم في نحرة فأرداه وأعمل فيه سيفه ورمحه.

وأسكت هذا الصوت القوي، وأخرس هذا البوق الداعي إلى الثبات والقتال.. وافتقد رجال مسيلمة الرجل الثاني لهم، والقائد الذي يخطط لهم وبقته انكشف أمام المسلمين مسيلمة بوجهه القبيح، وكأنه أراد أن يقوم بما كان يقوم به

محكم الإمامة . فما كان من وحشي إلا دفع عليه حربته ، وقام رجل آخر من الأنصار فضربه بسيفه ، قال ابن عمر رضي الله عنه : فصرخ رجل منهم قائلاً : قتله العبد الأسود ، وولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة .

واستمر عبد الرحمن رضي الله عنه ، الجندي المطيع لأمر القائد والفرس الذي لا يتأخر عن غزوة في سبيل الله .

حتى كان يوم جاءه الرسول يخبره بمرض والده أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فانفلت مسرعاً إلى منزله ، فوجده يغالب أنفاسه الأخيرة بعد أن أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يصلي بالناس .

دخل عبد الرحمن على والده فقال له : يا أبي ألا ندعو الطبيب ؟ ..

قال : قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد .

فعلم مراده ، وسكت عنه . ثم مات رضي الله عنه .

وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن .

وسارت الحياة به بعد وفاة والده ، مع المسلمين في حربهم وسلمهم ، مع المسلمين في نشر دين الله ، والدعوة إلى توحيده ، في رحاب الأرض قاطبة .

وفي ليلة من الليالي كان عبد الرحمن يعود إلى بيته بعد أن قضى شطراً من الليل في منزل أخته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقريباً من بعض المنازل المتهدمة شاهد مجموعة من الرجال يتحلقون ، ويتهايمسون فيما بينهم ، فاقرب منهم عبد الرحمن وكاد أن يسمع حديثهم بعد أن عرف صورهم وأسماءهم على التحديد ، وهم :

أبو لؤلؤة الجوسي .

والهرمزان .

وجفينة .

وما كادوا يشاهدونه حتى وثبوا هارين ، وسقط من بينهم خنجر أسود ذو شعبتين .

وتساءل لماذا هرب هؤلاء الرجال عند رؤيتهم له ؟ ..

وما هو السر الذي جمعهم ؟ ..

وأى شيء كانوا يدبرونه في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ..

لقد كانت هذه الأسئلة تدور بخلد عبد الرحمن ، ولكنه لم يجد لها تعليلاً في حينها .

ولكن لم يمضِ كبير وقت ، حتى عرف عبد الرحمن ماذا كانت تدبر تلك المجموعة الباغية للإسلام وأهله .

لقد قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وتوافقت الروايات بعد ذلك .

على أن الذي رآهم عبد الرحمن بن أبي بكر هم الذين دبروا جريمة القتل .

من ذلك ما يروى أن أبا لؤلؤة ، جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له :

إن المغيرة قد أثقل عليّ عتيّ فكلمه لي ليخفف عني .

فقال له عمر : ما تحسن من الأعمال ؟ ..

فذكرها له .

فقال له عمر : فما خراجك بكثير فاتق الله وأحسن إلى مولاك ، ومن نية عمر أن

يلقي المغيرة فيكلمه يخفف عنه .

فانصرف العبد مغضباً وقال :

«وسع الناس كلهم عدله غيري» .

وكان خبيثاً إذا نظر إلى السبي الصغار ، يأتي فيمسح رؤوسهم ويكي ويقول :

أكل كبدي عمر ، فأضمر قتل عمر .

فاصطنع خنجراً له رأسان وسمه ، ثم أتى به الهرمزان فقال : كيف ترى هذا ؟ ..

قال : أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته .  
وجعل أبو لؤلؤة يتحين الفرص ، فر بعمر فقال له عمر :  
لم أحدث أنك . تقول : لو أشاء لصنعت رحي تطحن الريح ؟ ..  
فالتفت العبد ساخطاً عابساً إلى عمر ، « ومع عمر رهط » فقال : لأصنعن لك  
رحى يتحدث بها الناس .  
فلما ولى قال عمر للرهط الذي معه : « أوعدني العبد آنفاً »<sup>(١)</sup> .

وجاء عثمان رضي الله عنه ، واتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل في الإسلام  
قوم — وهم كارهون له — وأخذت الفتنة تظهر بقرنها ، حتى تجاوز الأمر إلى  
الوقوف في وجه الخليفة ، ومحاكمته ومحاصرته في بيته والحيلولة بينه وبين أداء واجبه  
كحاكم أمام الأمة الإسلامية ، ووصل الأمر إلى أن جردوا عثمان رضي الله عنه من  
كل سلطانه .

وفي هذه الفتنة التي لا تبقي ولا تذر ، أسند إلى عبد الرحمن بن أبي بكر أمانة  
بيت المال .

.. هل اشترك عبد الرحمن في إشعال الفتنة ؟ ..

وإذا لم يكن ، فماذا كان دوره ؟ ..

أتراه اكتفى بأمانة بيت المال وأقام فيه بصرف شؤونه ؟ ..

لا خير يرويه التاريخ عن ذلك .

.. إن وقائع التاريخ تقف فلا تسجل عن عبد الرحمن شيئاً ، حتى يظهر في  
عسكر معاوية بن أبي سفيان في قضية التحكيم ، وعلى الرغم من أنه كان مع  
معاوية ، إلا أنه عاب على أبي موسى الأشعري قلة خبرته بجبل وأساليب عمرو بن

(١) راجع الجزء السابع رجال أنزل الله فيهم قرآناً ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

العاص والتي كانت كما تروىها كتب التاريخ عاملاً في تفريق الأمة وتمزيق وحدتها.  
وتقول الرواية :

إن عمرو بن العاص قال لأبي موسى الأشعري خبرني ما رأيك ؟ ..  
قال : أرى أن نخلع هذين الرجلين ، ونجعل الأمر شورى فيختار المسلمون  
لأنفسهم من أحبوا .

فقال عمرو : الرأي ما رأيت .

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال عمرو :

يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق .

فتكلم أبو موسى فقال : إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه  
الأمة .

فقال عمرو : صدق وبر .

تقدم يا أبا موسى فتكلم ، فتقدم أبو موسى فقال : إنا قد اتفقنا ثم قال :

« أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نرَ أصحح لأمرها ولا ألمَ لشعبها  
من أمر قد أجمع رأبي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، فاستقبلوا  
أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلاً ثم تنحى .

وأقبل عمرو فقام وقال :

إن هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت  
صاحبي معاوية ، فإنه ولي ابن عفان والطلب بدمه وأحق الناس بمقامه .

فقال سعد : ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده ؟؟ ..

فقال أبو موسى : فما أصنع ؟ ..

واقفي على أمر ثم نزع عنه .

فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعري قبل هذا اليوم، لكان خيراً له.

أترى عبد الرحمن بعد هذه الحادثة، علم أن جند معاوية لا يطبقون شرعاً ولا يخافون الله.. وفكر في تركهم والانفصال عنهم — والانضمام إلى جيش علي — رضي الله عنه؟..

إن الحوادث التالية تقول غير ذلك، وإن عبد الرحمن استمر في جيش معاوية، حتى رأى هؤلاء الناس يرتكبون أفظع الحوادث وأقساها مع أقرب الناس إليه، مع أخيه محمد بن أبي بكر رضوان الله عليهم.

لقد كان عبد الرحمن يجلس في فسطاط عمرو بن العاص، عندما دخل عليهم معاوية بن خديج وهو يقبض على محمد بن أبي بكر والي مصر من قبل علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم.

فوثب عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص وقال:

«أقتل أخي صبراً؟»..

فطلب عمرو من معاوية أن يخلي عنه.

فقال معاوية بن خديج: قتلت كنانة بن بشر وأخلي أنا محمداً؟..

ثم تمثل بقول الله تعالى:

﴿أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَادِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبِيرِ﴾<sup>(١)</sup>.

هيهات هيهات.

فقال لهم محمد بن أبي بكر: اسقوني ماء.

فقال له معاوية: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً، إنكم منعمت عثمانيين شرب

الماء، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق.

(١) سورة القمر آية رقم ٤٣.

فقال له محمد : يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله  
يستقي أوليائه ويظمي أعداءه أنت وأمثالك .

وتمّ قتل محمد بن أبي بكر .

وفشل عبد الرحمن في أن يمنع هؤلاء من قتل أخيه ، ولكن ماذا بيده أن  
يفعل ؟ ..

إن البحر موار بالأمواج ، والضباب الخائق يملأ الكون ، والفتنة تسير في طريقها  
مسرعة لا تبتقي ولا تذر ، فليصبر عبد الرحمن حتى تنقشع هذه الغمة ويظهر نور  
الفجر .

وسارت الحياة .. واستقرت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان وجنده ، وتفرق جند  
علي رضي الله عنه — وآثر كل إنسان السلامة — ولكن معاوية أحسن بقرب أجله  
ومغادرته هذه الحياة ، فأراد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد . وخاطب مروان بن الحكم  
بذلك ، وأمره أن يشيع ذلك بين أبناء الصحابة رضوان الله عليهم ، ففعل وقال : إن  
أمير المؤمنين قد اختار الخير لكم .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال :

« كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد ولكنكم  
تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل » .

فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه :

﴿ والذي قال لوالديه أف لكما ﴾<sup>(١)</sup> .

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت : يا مروان يا مروان  
فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه .

فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن إنه نزل فيه القرآن ؟ .. كذبت والله ما هو به .

ولكنه فلان بن فلان .

(١) سورة الأحقاف آية رقم ١٧ .



وعلم معاوية رضي الله عنه ، بما فعله عبد الرحمن فأرسل اليه بمئة ألف درهم بعد أن أوى البيعة ليزيد ، فردّها عبد الرحمن ، وأبى أن يأخذها وقال : « أبيع ديني بدنياي » .

فخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية .

قال أبو عمر رضي الله عنه : يقولون : إن عبد الرحمن بن أبي بكر مات فجأة بموضع يقال له ( الحبشي ) على نحو عشرة أميال من مكة ، وحمل إلى مكة فدفن بها . ويقال : إنه توفي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، — ظعنن من المدينة حاجة — حتى وقفت على قبره ، فبكت عليه وتمثلت بقول الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة حِقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا  
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطلول اجتماع لم نبت ليلة معاً<sup>(١)</sup>

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت مكانك ، ولو حضرت ما بكيتك وكانت وفاته رحمه الله سنة ثلاث وخمسين وقيل سنة خمس وخمسين بمكة ، والأول أكثر صحة .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٨٢٦ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعها .

## أسباب نزول الآيات

روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأسى ، وعلى هذا جمهور المفسرين .  
وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن ، وتحلف على ذلك وتقول :

« لو شئت لسميت الذي نزلت فيه » .

قال الزجاج ، وقول من قال : إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ، باطل بقوله تعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول ﴾<sup>(١)</sup> .

فأعلم الله أن هؤلاء لا يؤمنون ، وعبد الرحمن مؤمن ، والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق .

وروي عن مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر .

وعن الحسن أنها نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا : ذلك لأبائهم<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة الأحقاف آية رقم ١٨ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٧ ص ٣٨١ .

قال ابن كثير، والذي قال لوالديه أف لكما :

هذا عام في كل من قال هذا.

قال : ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنها  
فقوله ضعيف .

لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنها أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه  
وكان من خيار أهل زمانه .

قال : وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنها أنها نزلت في ابن لأبي بكر  
الصديق رضي الله عنها .

قال وفي صحة هذا نظر والله أعلم .

وقال ابن جرير عن مجاهد : نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنها .

قال ابن جريج ، وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنها .

## تذييل ...

الأسرة في الإسلام هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، ويحرص الإسلام على إحاطتها بمجموعة من الضمانات ، حتى تستطيع أن تؤدي واجبها كاملاً إزاء أبنائها وأمام المجتمع .

والأسرة لن تستطيع أن تقوم بتربية الأولاد تربية تتفق مع شرع الله تعالى إلا إذا كان المجتمع ملتزماً بهذا الشرع قائماً به ، يحتكم إليه . لأنه إذا كان المجتمع لا يقيم وزناً للقيم ولا للأخلاق ، وينخرط في السلك المادي . فمهما حاولت الأسرة أن تقوم بواجبها في تربية الأولاد فإن ذلك سيكون له آثار عكسية .

إذا كانت الأسرة تعلم أبناءها الصدق في القول ، والصدق في العمل والصدق في كل ما يأتي المرء وما يدع .

ويخرج هذا الابن إلى المجتمع فيجد أن الصدق بضاعة كاسدة ، وعملة لا تروج ..

فالذي يتقدم الصفوف هو الذي يتقن فن المداهنة ، ويجيد أساليب التملق ، ويحرص على إرضاء الرؤساء حتى ولو كان هذا الإرضاء على حساب كل القيم وكل الأخلاق .

وماذا يفعل الابن الذي تلقى على يد والديه .. العفة في اللسان وصيانة الأعراس ، وضبط النفس ، والحيلولة دون التطلع إلى جسد حرام أو مال حرام .

ويخرج هذا الابن إلى المجتمع ، فيرى أجساداً عارية ، وعورات مكشوفة ، وأعراضاً مباحة .. ينهش منها هذا الواغل أو ذلك ، والمجتمع يرى ذلك فلا يغيره ، والحكومات — تشاهد ذلك فلا تبطله ، بل في بعض الأوقات تشجع عليه — وتقيم له الأماكن وتهيء له الأسباب حتى ينشغل الشباب به عن إسفاف الحاكم ، أو يتلهوا به عن لصوصية القائمين على الحكم .

إن الأسرة تستطيع أن تفعل الكثير ، والكثير من أجل تربية أبنائها شريطة أن تقف الدولة بجانبها ، تشد من أزرها ، وتقيم قواعد المجتمع على أسس سليمة من القيم والأخلاق .

ولكن المشاهد في هذا القرن الذي نعيش فيه ، أن الكثير من أجهزة الإعلام في كثير من البلدان الإسلامية تعمل على إفساد المجتمع وعلى تفتيت الأسرة وعلى إشاعة الرجس بين الأبناء والفتيات . إن الصحافة في سبيل الحصول على الربح ، تعمل جاهدة على إذكاء الفرائز وتبييج الشهوات بما تقدمه من مادة في الكتابة تدفع الشباب دفعاً إلى الانسلاخ من قيمهم وأخلاقهم .

زد على ذلك الصور العارية — والسوءات المكشوفة — والجنس المتنمر الذي لا يقف عند حد .

وإذا كانت الصحافة تفعل ذلك ، ومستمرة فيه ، فإن الإذاعة ، تعمل أيضاً على تقديم الأغاني الخليعة ، والكلمات المبتذلة ، والكفر البواح في بعض الأوقات . ثم جاء « التلفاز » وتفنن القائمون عليه ، في أن يقدموا للمجتمع كل ما من شأنه أن يرضي الفرائز ويدفع إلى الانحلال . إن الصحافة ، والإذاعة ، والتلفاز .

أجهزة تعاونت البشرية في إنشائها .. ويمكن أن تكون وسيلة من وسائل بناء المجتمع ، وعاملاً قوياً في تثبيت أركانه .. إذا التزمت بشرع الله وسارت على قواعد الدين والخلق .

إن الصحافة : يمكن أن يكون لها دور كبير في التوجيه والتربية وإقامة رأي عام يدعو إلى الخير ويفعله .

والإذاعة : أيضاً هي عامل من عوامل التثقيف والإرشاد ، ككل طبقات الأمة فهي تستطيع أن تشارك الفلاح في مزرعته ترشده إلى خير الطرق في تنمية الزراعة وتجديد التربة ، وإكثار الخير . وتستطيع الإذاعة أيضاً أن تشارك الصانع في مصنعه .

والعامل في معمله .

والطالب في مدرسته .

والموظف في ديوانه .

وكل من هؤلاء تقدم لهم الجديد المبكر في كل علم وفي كل فن ، حتى تتقدم الحياة ويتعش المجتمع ويم الرخاء .

وما تفعله الإذاعة يمكن أن يفعله « التلفاز » بصورة مكبرة ، فهو يقدم مع الكلمة المثل والدليل ، فتكون الفائدة أكثر والنفع أكبر .

وإذا لم تدارك الأمم الإسلامية ذلك — وتعود إلى كتاب ربها وإلى سنة رسولها — لا شك أنه يصيبها ما أصاب الأمم قبلها من الدمار والحرب ..

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (١)

(١) سورة محمد آية رقم ٣٨ .

## ثبت بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب ، مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الاندلس ، بيروت.
٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف ، مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م.
٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية ، طهران.
٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦ هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور : للإمام السيوطي.
١١. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله.
١٢. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.
١٣. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل العسقلاني : المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم ، بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م.
١٥. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاكر : دار المعارف بمصر ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
١٦. صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي : المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.

- ١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي. ونسك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م .
- ١٨ . الجامع الصغير : للإمام السيوطي ، مطبعة الباي الحلبي — القاهرة .
- ١٩ . كشف الحفا ومزيل الالباس : اسماعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الإسلامي — حلب .
- ٢٠ . تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني : دار صادر — بيروت .
- ٢١ . الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ٢٢ . تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت .
- ٢٣ . البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض .
- ٢٤ . الطبقات الكبرى : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧ .
- ٢٥ . سيرة النبي لابن هشام : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة .
- ٢٦ . الروض الأثف : عبد الرحمن السهيلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة .
- ٢٧ . مروج الذهب : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٨ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٩ . أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٣٠ . خلفاء الرسول : خالد محمد خالد ، دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
- ٣١ . العبقريات : لعباس محمود العقاد .
- ٣٢ . علي بن ابي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة : للأستاذ عبد الكريم الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت .
- ٣٣ . هذا هو الطريق : د . عبد الرحمن عميرة ، دار التراث مصر — ١٩٧٣ .
- ٣٤ . مع الاخاد وجهاً لوجه : د . عبد الرحمن عميرة ، دار الحلبي — القاهرة .
- ٣٥ . أشهر مشاهير الاسلام : رفیق العظم .
- ٣٦ . الاعلام : للزركلي .



- ٣٧ . الأغاني : للأصفهاني .
- ٣٨ . تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ .
- ٣٩ . تفسير الخازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
- ٤٠ . تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
- ٤١ . الروض الأنف : للإمام السهيلي .
- ٤٢ . الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري .. مصر .
- ٤٣ . سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية : للدينة المنورة .
- ٤٤ . سنن الحفاظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ابن ماجه» ، حققه ورقم كتيه وأبوابه وأحاديثه : محمد نؤاد عبد الباقي ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
- ٤٥ . تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

من مكتبة الصحف

# رِجَالُ أَنْزَلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميره

المجلد السابع

دار الجيـد  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا  
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ  
أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ

سورة الأَنْعَامِ

آية رقم ٣٢

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

إذا كانت الأجزاء السابقة قد تكلمنا فيها عن الرجال الأقوياء الأمناء الذين حملوا راية الإسلام وانداحوا بها في أركان الأرض الأربعة ينشرون الأمن بعد الخوف والنور بعد الظلام فمدنوا الدنيا، وذهبوا العالم، وقرروا الحق للإنسان. فإن هذا الجزء يتكلم عن رجال من نوع آخر يتكلم عن هؤلاء والذي وقفوا في وجه الدعوة، يحاربونها بكل سلاح.

يتكلم هذا الجزء عن عبد الله بن أبي سلول زعيم المنافقين والذي كان له دور في الكيد للإسلام وأهله. والذي نزل فيه وفي أمثاله قول الله تعالى:

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾.

ويتكلم عن أبي جهل الذي ألقى بالمسلمين في رمضاء مكة وصب على المسلمين ألواناً من العذاب وقتل سمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنهم. والذي كان يمر عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم يعذبون فيقول لهم:

صبراً آل ياسر فمعدكم الجنة.

ويتكلم عن أبي لهب أول رجل من المشركين ألقى بكلمة سيئة في وجه الرسول — ﷺ — عندما قال: «تباً لك ألهذا جمعتنا». فأنزل الله تعالى فيه وفي

زوجته سورة كاملة وصار يلاحقهم ذلك الوصف الذي وصفهم القرآن به ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ .

إن الكتاب يتناول الكثير غير هؤلاء من الكفار والمنافقين الذين جمعوا أموالهم ورجالهم لينالوا من الإسلام وأهله ولكن رد الله كيدهم في نحورهم والله من ورائهم محيط .

د . عبد الرحمن عميرة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَسْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ  
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا  
فَمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾  
\* وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا  
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ  
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنْ

يُؤْفَكُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَرَأَوْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ  
مُتَّكِبُونَ ﴿٢﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ  
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْفَاسِقِينَ ﴿٣﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ  
عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۗ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٤﴾ يَقُولُونَ  
لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذْلَ  
وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۗ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

سورة المنافقون الآيات رقم ١ - ٨



## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق كثير من المفسرين والمحدثين على أن هذه الآيات نزلت في : عبد الله بن أبي زعيم المنافقين .

- |                       |   |
|-----------------------|---|
| راجع الترمذي          | ج ١٢ ص ٢٠١ .                                  |
| وتفسير الدر المنثور   | ج ٦ ص ٢٢٢ .                                   |
| وتفسير القرطبي        | ج ١٨ ص ١٢١ .                                  |
| وتفسير ابن كثير       | ج ٤ ص ٣٧١ .                                   |
| والمستدرک             | ج ٧ ص ٤٨٨ .                                   |
| وتفسير الطبري         | ج ٢٨ ص ٧٠ .                                   |
| وتفسير الخازن والبغوي | ج ٧ ص ٨٢ .                                    |
| ومسند الإمام أحمد     | ج ٤ ص ٢٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ . (طبع الحلبي) . |

وأسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٤٥٧ .

من هو عبد الله بن أبي... ؟

## عبد الله بن أبي زعيم حزب المنافقين

هو: عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري ، من بني عوف من الخزرج زعيم الخزرج في الجاهلية ، إحدى القبائل التي آوت ونصرت في الاسلام ووالد عبد الله الصحابي الجليل وابن خالة عامر الراهب ، وكان عامر هذا قد تأله في الجاهلية ، ولبس المسوح وترهب ، وتبأ بظهور النبي ﷺ قبل بعثته ، وأخذ يذكره لقومه ، ويشرهم بخروجه .

فلما بُعث رسول الله ﷺ حسده وبنى عليه وأقام على كفره ، وأعلن الحرب على المسلمين ، وشهد مع المشركين غزوة أحد ، فسماه الرسول ﷺ : الفاسق<sup>(١)</sup> .

وكان عبد الله بن أبي ذا جاه عريض في الجاهلية ، وله ثروة كبيرة تقدر بمال كبير جمعها من عدة طرق ، منها عروض التجارة ، وقرضه لأصحاب الحاجة بالربا ، ودفع الجوارى إلى مزاولة البغاء طلباً لكسبهن ورجبةً في أولادهن ليكثرن منهن خدمه وحشمه .

وكان يقدم لكل من يتزل عليه من الضيوف جارية من الجوارى ، مبالغة في الكرم وأملاً في الحظوة ، وجلباً لقلوب الأتباع والأنصار<sup>(٢)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢١٧ والروض الأنف ج ٥ ص ٢٢ .

(٢) تفسير سورة النور للأستاذ أبي الأعلى المودودي .

وقبل هجرة الرسول ﷺ كان أهل المدينة وأصحاب المكانة فيها يجمعون له الخبز ليصنعوا له تاجاً ليتوجوه ملكاً عليهم ورئيساً لجمعهم . فلما جاء الرسول ﷺ انفض الناس من حوله والتفوا حول رسول الله ، وتبعهم في ذلك أقرب الناس إليه من قبيلته وأسرته وأهل بيته .

ولم يجد عبد الله بن أبي من حيلة ، فأظهر إسلامه وأبطن كفره ، وتابعه في ذلك مجموعة من خدمه وعبيده ممن هم في حاجة إلى عطائه وماله ، وجماعة أخرى من أولئك الذين طمس الله على قلوبهم . وأصبح بذلك زعيماً لفئة من الناس ، عرفت بالنفاق والتلون في دولة الإسلام الأولى ...

وكان المسلمون في المدينة يكادون يعرفون أفراد حزب النفاق بأعيانهم وسلوكهم ، وفي نفس الوقت يقدرّون خطرهم على مسيرة الصف الإسلامي .

وكيف لا يكون ذلك كذلك وهم يجلسون معهم ، ويتجسسون عليهم ، ويشيعون بينهم مقالة السوء — بغير حق — لينالوا من سمعة هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لدينه .

وكان المسلمون أيضاً يجابهون اليهود — ممن يدعون أنهم أصحاب كتاب — وهؤلاء كانت لهم حيلهم وأساليبهم في ضرب الإسلام والمسلمين من ذلك التشكيك في الدعوة وصاحبها ، والتقارب مع المنافقين ، ورسم الخطط لذلك ... ومع هذا لم يتعرض المسلمون لأي من الفريقين بأذى أملاً في هدايتهم وإصلاح حالتهم ، أو أن يتوب الله عليهم ... حتى كان يوم نقض فيه يهود بني قينقاع العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وكان من أسباب ذلك أنه عقب انتصار المسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى ، وعلم اليهود بذلك ، خافوا على قيادتهم ومراكزهم في المدينة أن تفلت من بين أيديهم ، فحقدوا على المسلمين ، وأخذوا في استفزازهم والنكاية بهم .

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فذكرهم العهد وحذرهم مغبة هذا الاتجاه فردوا عليه رداً مغنيطاً فيه تهديد .

فحاصرهم المسلمون حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فقام رأس المنافقين عبد الله بن أبي مجادل رسول الله ﷺ وقال : يا محمد... أحسن في موالي — وكانوا حلفاء الخزرج .

فأبطأ رسول الله ﷺ في الرد عليه...

فقال : يا محمد... أحسن في موالي .

فأعرض عنه رسول الله ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ .

فقال له الرسول : أرسلني...

وغضب رسول الله حتى ظهر الغضب في وجهه .

ثم قال مرة ثانية : ويحك أرسلني...

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر والأيام .

فقال رسول الله ﷺ : هم لك (١) .

إن الإنسان ليعجب من أمر هذا المنافق... كيف لم يدخل نور الإسلام إلى قلبه؟... وكيف لم تؤثر فيه وفي نفسه هذه النفحات الربانية التي كانت تنزل من السماء إلى الأرض... ولكن لا عجب ، إنها إرادة الله التي أعمتهم وطمست على قلوبهم ، وأصبحت كما قال القرآن :

﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ (٢) ...

إن هذا المنافق تنضح كلماته بالشرك والكفر... إنه لم يرهب الله ، ولم يخف

(١) سورة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩ .

عقابه ، ولم يخش الله ، ولم يرج ثوابه . وقد جعل من هؤلاء — الذين هم أضعف خلق الله — سنده القوي ، وقوته الضاربة ، ودرعه الوافية ، التي يتي بها ضربات الدهر وتقلبات الأيام ... ألا خست من رجل ... ؟

وعرف من لم يكن يعرف من المسلمين حقيقة عبد الله بن أبي ... عرفوا نفاقه وكفره ، وأخذ ينكشف أمام المسلمين أتباعه واحداً تلو الآخر ، تدل عليهم أعمالهم ، وتم عن حقيقتهم أقوالهم .

ولم تهدأ المعركة بين المسلمين وبين اليهود وحزب المنافقين بعد معركة بدر .

لقد ذهب إلى قريش وفد من يهود المدينة بقيادة كعب بن الأشرف ليعرض عليهم قتال محمد <sup>(١)</sup> .

وذهب أيضاً إليهم أبو عامر الفاسق رأس الأوس في الجاهلية ، ووعد قريشاً بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا إليه <sup>(٢)</sup> . واستمع زعماء مكة إلى هؤلاء ... وهؤلاء قرروا جميعاً الخروج لحرب محمد وأصحابه .

فلما سمع رسول الله ﷺ بخروجهم وعرف أنهم نزلوا على شفير الوادي ... استشار أصحابه ، أيجرح إليهم أم يمكث في المدينة؟ ...

وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة ، وأن يتحصنوا بها فترة ، فإن دخلوها قاتلهم الرجال على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت .

وكان الرسول ﷺ قد رأى في منامه أن في سيفه ثلثة ، ورأى بقرأ تذبذب ، وأنه أدخل يده في درع حصينة <sup>(٣)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦ ، ٧ .

فتأول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهله... وتأول البقرة بنفر من أصحابه يقتلون ، وتأول الدرع بالمدينة<sup>(١)</sup> .

فقال رجال من المسلمين وأكثرهم من الشباب ممن فاتهم يوم بدر : « اخرج بنا يا رسول الله إلى أعدائنا حتى لا يرون أننا قد جبننا عنهم وضعفنا »<sup>(٢)</sup> .

فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله أقم بالمدينة ولا نخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا عدو إلا أصبنا منه ... فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق ، وإن رجعوا رجعوا خائين كما جاءوا<sup>(٣)</sup> .

ولكن بعض المسلمين ممن أحبوا لقاء قريش ما زالوا برسول الله حتى دخل بيته فلبس «لامته» ثم خرج ، فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ولم يكن ذلك لنا ... أنشیر علی النبي والوحي يأتيه ... ؟

فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ...

فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل<sup>(٤)</sup> .

وخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا (بالشوط) — مكان بين أحد والمدينة — اتخذل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال : يخالفني ويسمع للفتية ... فتبهم عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه يؤيخهم على فعلتهم ومحضهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ...

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦ ، ٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الروض الأنف .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧ .

قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع<sup>(١)</sup>.

فرجع عنهم وسبهم. ولم يكن رسول الله ﷺ يجهد النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج، فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة التي رآها، والتي يعرف مدى صدقها، وقد تأولها قتيلاً من أهله وقتل من صحابته، وتأول المدينة درعاً حصينة. وكان من حقه أن يلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة الشورى ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات الكبيرة، لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة، من الخسائر الوقتية، أما ما فعله عبد الله بن أبي فهو تحطيم للصف الإسلامي، وتوسيع الفرقة والخلاف بين أتباعه ومدعاة لهزيمة المسلمين... وهذا من شأنه أن يحول المجتمع المسلم إلى أمشاج وتفاريق.

لقد كان له رأي... ورأت الجماعة رأياً آخر... ليجب النزول على رأي الجماعة مها كلف هذا الرأي من أخطاء...

إن محمّل الرأي الخطأ وما يترتب عليه من نتائج أقل بكثير، مها تكن ضخامته، من فرقة الأمة الإسلامية وتمزيق الجيش الإسلامي في لحظة هو فيها أشد ما يكون حاجة إلى التماسك والترابط، ولكنه النفاق الذي يعلن عن نفسه ويطل برأسه ولا هدف له في النهاية إلا الهزيمة والبوار... ولكن الله خيب ظنهم وأفسد كيدهم.

وكان عبد الله بن أبي إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس... قام فقال: أيها الناس... هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه واعذروه واسمعوا له وأطيعوا<sup>(٢)</sup>، ثم يجلس... حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أيا عدو الله... لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت.

(١) سورة ابن هشام ج ٣ ص ٧.

(٢) سورة ابن هشام ج ٣ ص ٥٧.

فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : لكأنما قلت «بجراً»<sup>(١)</sup> أن قت أشدد أمره .

فلقيه رجل من الأنصار يباب المسجد فقال : مالك ... وملك .

قال : قت أشدد أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يأخذون بمجامع ثوبي ويعنفوني ، لكأنما قلت بجراً أن قت أشدد أمره .

قال : وملك ... إرجع يستغفر لك رسول الله ﷺ .

قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي<sup>(٢)</sup> ...؟

بهذه الصفاقة يرفض استغفار الرسول ، وبهذا التبعج الوقح يأبى أن يدخل النور إلى قلبه ...

وذات يوم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه<sup>(٣)</sup> .

ثم خلا بعضهم لبعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ... — ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيرميها منه .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقي عليه صخرة — ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه رضوان الله عليهم — فأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام

(١) البحر في القاموس : الشر والأمر العظيم .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٧ وراجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٥٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩١ .



وخرج راجعاً إلى المدينة<sup>(١)</sup> . فلما استلبث النبي أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال : رأيتُه داخلاً المدينة .

فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون . فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : يا محمد... قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، لما بال قطع النخيل وتحريقها<sup>(٢)</sup> ؟

فأنزل الله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾<sup>(٣)</sup> .

وهنا يظهر عبد الله بن أبي — رأس المنافقين — على رأس وفد من بني عوف بن الخزرج ويتجه إلى بني النضير ، إلى هؤلاء اليهود ويقول لهم : اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم... إن قوتلم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم<sup>(٤)</sup> .

قالوا ذلك بأفواههم للكيد والفساد ضد الصف الإسلامي .

ويصوّر القرآن الكريم حال عبد الله بن أبي ورفقائه ويصفهم بأنهم إخوان للكفار ، فهؤلاء اليهود تركوا كتابهم ولم يعملوا به ، وحرفوا كلماته وجعلوه وراء ظهورهم ، فهم كفار... وهؤلاء المنافقون أعلنوا الإسلام بألسنتهم ، وقلوبهم تطفح بالحقد والحسد للمسلمين .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩٢ .

(٣) سورة الحشر آية رقم ٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٩٢ .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطع فيكم أحداً أبداً وإن قوتكم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ (١) .

ولم يستطع عبد الله بن أبي ررقاؤه أن يفعلوا شيئاً لخلفائهم اليهود . وقذف الله في قلوبهم الرعب وسألوا رسول الله ﷺ أن يجعلهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، ففعل .

وصور القرآن الكريم هذه القصة فقال :

﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ (٢) .

وانهزم الكفر وجنده والنفاق وحزبه .

وتتابع انتصار المسلمين حتى كانت (غزوة الخندق) التي جمعت لها قريش أكثر من عشرة آلاف مقاتل ، ولكن لم ينالوا شيئاً ورددتهم الله إلى قريش خائنين . وأعلن الرسول ﷺ في أصحابه : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم » (٣) ... عندها أيقن المنافقون أن الصف الإسلامي لن يهزم في ميدان الحرب ... إذن فلا بد من طريق آخر ، وهو تلويث الصف الإسلامي بإطلاق الشائعات بالحق وبالباطل . وكان أول هذه المقتريات قولهم هذا محمد وقع في غرام

(١) سورة الحشر آية رقم ١١ ، ١٢ .

(٢) سورة الحشر آية رقم ٢ ويراجع تفسير الإمام ابن كثير .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٧ ورواه الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن صرد .

زوجة متبناه لما نظر إليها فجاءها ، ولما أن اطلع متبناه على هذا الغرام الذي وقع في قلبه لزوجته ، تركها له بتطليقها ، فهو هكذا قد تزوج حليمة ابنه (١) . ثم كانت الثانية حادث الإفك الذي أشاعه المنافقون عند رجوع المسلمين من غزوة بني المصطلق عام خمس من الهجرة ، وعبد الله بن أبي أول من أثار الفتنة في حادث الإفك ، وهو الذي عناه الرسول ﷺ وجاعة معه بقوله : أيها الناس ... ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ... والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي (٢) .

وعندما قال الرسول ﷺ ذلك ، قال أسيد بن الحضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

فقام رجل وقال : كذبت ... أما والله ما قلت هذه المقالة ، إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كان من قومك ما قلت هذا .

فقال أسيد : كذبت لعمرى الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين وتناور (٣) الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر (٤) .

ولقد أراد عبد الله بن أبي بإشاعة حادثة الإفك أن يرمي إلى عدة أهداف :

أولاً — الطعن في عرض النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وثانياً — أن يضع من المكانة الخلقية للحركة الإسلامية .

(١) البداية والنهاية لابن كثير .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٣) تناور الناس : ثار بعضهم على بعض .

(٤) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤٥ .

وثالثاً — أن يشعل في داخل المجتمع الإسلامي جذوة من نار الفتنة بين الحيين من الأوس والخزرج ، وبذلك بنفس عن حقه وغیظه الذي يملأ قلبه من جراء الرجل الذي سلبه ما كان يطمع فيه من ملك وتتويج .

وكان لعبد الله بن أبي جارية تدعى « معاذة » وكانت قد أسلمت وأرادت التوبة ، ولكنه تشدد عليها . فأقبلت إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وشكت إليه ذلك ، فذكره للنبي ﷺ ، فأمره بقبضها ، فصاح عبد الله بن أبي : مَنْ يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا (١) .

فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تكروها فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴾ (٢) .

وبعد نزول هذه الآية أعلن النبي ﷺ : « لا مساعاة في الإسلام » (٣) والمساعاة هي الفجور علناً .

وعن رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ قال عن مهر البغي ، أي أجرة الزانية « إنه خبيث وشر المكاسب » (٤) .

وقال أبو محيفة : إن النبي ﷺ نهى عن مهر البغي (٥) .

ولم يكتب عبد الله بن أبي بكل ذلك بل كان يعلم أتباعه كيف يعاملون المسلمين ويزينون لهم القول ويخدعونهم .

من ذلك : أن عبد الله بن أبي خرج مع جماعة من أصحابه المناقين فاستقبلهم

(١) تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٣ .

(٣) رواه داود عن ابن عباس في باب ادعاء ولد الزنا .

(٤) أبو داود والترمذي وأحمد والنسائي .

(٥) رواه الجماعة والإمام أحمد .

نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال عبد الله بن أبي : انظروا كيف أورد هؤلاء السفهاء عنكم .

فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : مرحباً بالصدّيق سيد بني تميم ، وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في الغار ، الباذل نفسه وماله ... ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال : مرحباً بسيد بني عدي بن كعب ، الفاروق القوي في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال : مرحباً بابن عم رسول الله وختنه<sup>(١)</sup> فارس بني هاشم . ثم افترقوا .

فقال عبد الله لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ ... فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت ... فأثنوا عليه خيراً<sup>(٢)</sup> .

فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ فأخبروه بذلك ، فأنزل الله هذه الآية :

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

وبلغ الكتاب أجله ومات عبد الله بن أبي ... مات زعيم المنافقين . وجاء ابنه إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه فقال : أعطني قبضك حتى أكفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له . فأعطاه قبضه ، ثم قال : آذني حتى أصلي عليه ، فأذنه .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فلما وقف عليه تحولت حتى قمت في صدره فقلت : يا رسول الله ... أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا ... كذا وكذا ؟ ... أعدد أيامه ... ورسول الله ﷺ يتسم ، حتى إذا أكثرت عليه

(١) ختنه : زوج ابنته . مختار الصحاح في مادة ختنين .

(٢) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٢٠ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٤ .

قال : أتحّر عني يا عمر<sup>(١)</sup> ، إني خبرت فاخترت ... قد قيل لي : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ... لو أني أعلم أني إن زدت على السبعين عُقر له لزدت<sup>(٢)</sup> .

قال : ثم صلى عليه السلام ومشى إلى أن وصل إلى قبره فقام على قبره حتى فرغ منه .

قال فعجبت لي وجرأتني على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان يسيراً حتى نزل : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال : فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى .

قال المفسرون : وكلم رسول الله ﷺ أصحابه فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال : وما يغني عنه قبصي وصلاتي من الله ... والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه البخاري ج ٢ ص ٧٦ ورواه مسلم ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٥٧ .

(٣) سورة التوبة آية رقم ٨٤ .

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٦ وتفسير الطبري ج ١٤ ص ٤١٠ .

## أسباب نزول الآيات

قال أهل التفسير وأصحاب السير: غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق فتزل على ماء من مياههم يقال له «المريسيح»، فوردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فزادهم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بن عون بن الخزرج على الماء فاقتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم سلام حدث. فقال: أوقد فعلوها؟... قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول<sup>(١)</sup>: «سمن كلبك يأكلك»<sup>(٢)</sup>، «أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: «هذا ما فعلتم بأنفسكم... أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم... أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم»<sup>(٣)</sup>.

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٣٤، وجلايب: لقب كان المشركون يلقبون به أصحاب النبي.

(٢) هذا مثل من أمثال العرب، وفي ضده تقول العرب: جوع كلبك يتبعك.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٣٥.

الله من عدوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مرّ به عباد بن بشر فليقتله .

فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه... ؟ لا (١) .

ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن الرسول يرتحل فيها فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع ، فحلف بالله : ما قلت ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً . فقال مَنْ حضر مجلس رسول الله — ﷺ — من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حديثاً على ابن أبي بن سلول ودفاعاً عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله وسار لقيه أسيد بن الحضير فحيّاه بتحية النبوة وسلّم عليه ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحمت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها .

فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم... ؟

قال : وأي صاحب يا رسول الله... ؟

قال : عبد الله بن أبي .

قال : وما قال... ؟

قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل .

قال : فأنت يا رسول الله... والله لتخرجه منها إن شئت هو والله الدليل وأنت

العزير .

(١) المصدر السابق وأسباب النزول للواحد ص ٤٩٥ وصحيح الترمذي ج ١٢ ص ٢١٠ ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ طبع الحلبي .



ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له  
الحزب ليتّوجّه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً<sup>(١)</sup> .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره .

فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال :

« هذا الذي أوفى الله بأذنه »<sup>(٢)</sup> .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله ﷺ  
فقال : يا رسول الله ، بلغني أنك تريد قتل ابن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بدّ  
فاعلاً فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من  
رجل أبرّ بوالده مني وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله ، فلا تدعني أنظر إلى قاتل  
عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ : بل تترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا<sup>(٣)</sup> .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث حديثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخّلونه  
ويعتفونه .

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : كيف ترى يا عمر ؟ ...  
أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله ، لأرعدت له ألف أنف ، لو أمرتها اليوم تقتله  
لقتلته<sup>(٤)</sup> .

قال عمر رضي الله عنه : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من  
أمري .

(١) راجع في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٢٨ ص ١١٠ وأسباب النزول للواحد ص ٤٦٠ .

(٢) صحيح الترمذي ج ١٢ ص ٢١٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٢٢ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحد ص ٤٦٠ وابن كثير ج ٤ ص ٣٩٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٩٥ .

ثم ماذا يا أهل الإسلام... هل وقف الأمر عند هذا الحد؟... لا والله... إن الذين تربوا في مدرسة الإسلام لا يوافقون أن ينال من قائدهم على هذه الصورة. وقفل الناس راجعين إلى المدينة وكل منهم في حلقه غصة مما قال عبد الله بن أبي...

ويفاجأ المسلمون بعبد الله بن عبد الله بن أبي يقف على باب المدينة وقد استل سيفه ، فجعل الناس يرمون عليه. فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه : وراءك.

فقال : ما لك ... ويلك ...

فقال الابن : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ ، فإنه العزيز وأنت الذليل<sup>(١)</sup>.

فلما جاء رسول الله ﷺ ، وكان إنما يسير خلف الجيش ، فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه .

فقال ابنه : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له .

فأذن له رسول الله ﷺ .

فقال الابن : أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن<sup>(٢)</sup>.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٦١.

(٢) رواه الإمام ابن كثير عن محمد بن إسحاق بن يسار ج ٤ ص ٤٩٥ ورواه سفيان بن عيينة عن أبي هارون المدني.

## تذليل ...

قال علماء اللغة : إنما سمي المنافق منافقاً لإظهاره غير ما يضمّر ، تشبيهاً باليربوع له جحر يقال له : « النافقاء » وآخر يقال له « القاصعاء » ، وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كان يبلغ ظاهر الأرض أرق التراب ، فإذا رابه ريب دفع التراب برأسه فخرج ، فظاهر جحره تراب ، وباطنه حفر... وكذلك المنافق... ظاهره إيمان وباطنه كفر.

والنفاق صفة لازمت بعض أفراد البشرية في تاريخها الطويل... ووقف أتباعه في طريق الإصلاح والخير ، وساهموا في صنع الجبايرة والطفافة... والمنافق له صفات وعلامات تدل عليه وتظهره وترشد عن حقيقته وتوضحه... قال تعالى : ﴿ ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴾ (١).

ومن أولى هذه الصفات : الجبن... فالمنافق جبان... يُظهر الشيء ويبطن غيره... ويدعي الاقتناع ويخفي الرفض والتمرد... وبالجملة ، لا يستطيع مجابهة الآخرين بحقيقة شعوره.

(١) سورة محمد آية رقم ٣٠.

ثانياً — الخداع : فالخداع صفة من صفاتهم ، وعلامة مميزة لهم ... والمنافق يظن في نفسه الذكاء والدهاء وأن لديه القدرة على خداع الناس والتمويه عليهم .

ويعبر القرآن عن هذه الظاهرة بأنهم يعتقدون ، لقصور عقولهم ، وقلة معرفتهم أن أساليبهم وخداعهم لا يقف عند حد ، بل يمتد حتى يشمل المؤمنين ويتناول إلى الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١)

والله سبحانه وتعالى جلّ أن يُخدَع ، ولكن المقصود من هذه الآية ، كما يذهب إليه رجال التفسير في العصر الحديث ، هو التفضل الكريم من الله تعالى لعباده المؤمنين ، حيث يضيفهم إليه ، ويجعل قضيتهم هي قضيته ، ومعركتهم هي معركته ، وعدوهم هو عدوه ، ويأخذهم في صفه ، ويرفعهم إلى جواره الكريم .

وإذا كان هذا هو الحق والصدق ... فاذا يفعل العبيد والصغار ؟ ... وماذا يقدم كيدهم وخداعهم لقوم وليهم الله ؟ ...

وهذه الحقيقة جديرة أن يتدبرها المؤمنون ليطمثوا ويثبتوا ويمضوا في طريقهم ... طريق الله ... لا يبالون كيد الكائدين ، ولا خداع الخادعين ، ولا أذى الشريرين ... ويتدبرها أعداء المؤمنين أيضاً فيفزعوا ويرتاعوا ويعرفوا أنهم يحاربون الله ، ويتصدون لنقمة حين يتصدون لحرب المؤمنين (٢) .

ومن صفات المنافقين أيضاً : مرض قلوبهم ، والداء الويل الذي يسيطر على أفئدتهم .

(١) سورة البقرة آية رقم ٩ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب .

ولقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك فقال: ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾<sup>(١)</sup>.

ومرض القلوب هو أشد أنواع الأمراض... إنه الداء الذي يتحكم في سلوك الأفراد فيجعلها تنحرف عن الطريق السوي، ويباعد بينها وبين الهدى، فتضل وتبهو، ويملاً حياتها بالظلام، فلا ترى النور وتتعود عليه، فلا تستطيع الانفكاك منه أو البعد عن طريقه، ويطمس على البصيرة فلا ترى حقاً أو ترضى عدلاً. والمرض ينشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيراً ثم تتسع دائرته، حتى يشمل المجتمع كله.

ومن صفات المنافقين أيضاً، السفه والادعاء... إنهم يسخرون من المبادئ، ويحتقرون الأخلاق، ويهزأون بالقيم، ويفسدون في الأرض ويدعون أنهم مصلحون، ويلف الجهل حياتهم ويسيطر على عقولهم، ويدعون أنهم علماء، وينغمسون في الوحل والجريمة، ويلطخون حياة الآخرين ويدعون أنهم أبرياء. قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي إصلاح هذا الذي ينتسبون إليه؟...

لقد تركوا رسول الله ﷺ في غزوة أحد يجابه الكفر وعصابته، والشر وجنوده... وعادوا إلى ديارهم ومنازلهم داخل المدينة، وقالوا قولتهم التي حكاها القرآن الكريم: ﴿ لو تعلم قتالاً لاتبعناكم ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقاموا بإشعال الفتنة بين المهاجرين والأنصار حتى تخلو لهم المدينة وحرصوا كلا الفريقين على حمل السلاح.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١١.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٦٧.

وتقولوا على رسول الله ﷺ الأفاويل ، وخاضوا في أعراض المسلمين ، وعندما فضحهم الوحي وكشف عن سوء طويتهم قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ...  
أ يكون كل هذا من الإصلاح ؟ ... أم أنه الفساد المدبر الخبيث ؟ ...

وفي كل عصر ومصر .. نجد الكثيرين الذين يدعون هذه الدعوة .. ويقولون هذا بأفواههم لأن الموازين مختلفة في أيديهم ، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم ، والذين لا يخلصون سريرتهم لله يتعذر عليهم أن يشعروا بفساد أعمالهم لأن ميزان الخير والشر والصالح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية ، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية .

وصدق ربي في قوله : ﴿ أ لا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ (١) .

وبعض الناس يحسب اللؤم قوة ، والمكر السيء براعة .. وهو في حقيقته ضعف وخسة . فالقوي ليس لثيماً ولا خبيثاً ، ولا خادعاً ، ولا متآمراً ، ولا غمازاً في الخفاء ، ولا لمازاً .. وإنما يلجأ إلى هذه الأشياء من هو ضعيف النفس ، ضعيف الجسد ، ضعيف الإيمان .

ومن الأشياء التي أراد المنافقون استعمالها ضد الصف الإسلامي في عهد الرسول ﷺ : التجويع ، والمحصرة الاقتصادية .. كما يعبر عنها في عصرنا الحاضر .. وهدفهم من ذلك معروف ، هو تمزيق المؤمنين وانفصاضهم من حول رسول الله ﷺ .

قال تعالى مصوراً تديبرهم وكيدهم : ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ (٢) .

وهي خطة يظهر فيها خبث الطبع ولؤم النفس ، ويلجأ إلى هذه الخطة شرار

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢ .

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٧ .

النفوس في كل زمان ومكان، لتطويق المؤمنين، وأصحاب الدعوة إلى الله.. ظناً منهم أن لقمة العيش هي كل شيء في الحياة، كما هي في حسهم...

إنها خطة قريش... وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرته رسول الله ﷺ تحت وطأة الضيق والجوع.

وهي خطة الشيوعيين - في العصر الحديث - في حرمان المسلمين والمتدينين في بلادهم من بطاقات التموين.. يموتوا جوعاً أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة.

وهي خطة الطغاة والحكومات المستبدة في حربها لأصحاب الدعوة إلى الله في بلاد الإسلام.. حيث لجأت بعض الحكومات في حصار وتجويع الفتنة المؤمنة، وسدّت في طريق أفرادها أسباب العمل والارتزاق...

فعل الطغاة ذلك ليكسروا شوكة جند الله.. معتمدين أنهم بهذا الأسلوب يمكن أن ينالوا شيئاً، أو يحققوا مغنماً، أو يصلوا إلى أهدافهم...

ولكن المؤمنين بالله، وأصحاب الدعوة إليه.. لا يمكن أن تهزهم أمثال هذه الأساليب، أو تنال من عزيمتهم.. فالآجال محدودة، والأرزاق مكتوبة ومقدّرة.. ولن يموت إنسان حتى يستوفي رزقه وأجله.. مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ورزقكم في السماء وما توعدون﴾ (٢)

فهل يفقه الجبارة والمستبدون ذلك؟...

وهل يعي المنافقون هذه الحقيقة؟...

الواقع أنهم لا يفقهون...

قال تعالى: ﴿ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ (٣)

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٥.

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢٢.

(٣) سورة المنافقون آية رقم ٧.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ①١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا  
مَمْدُودًا ①٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ①٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ①٤  
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ①٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ①٦  
سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا ①٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ①٨ فَقَتَلَ كَيْفَ  
قَدَرَ ①٩ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرَ ②٠ ثُمَّ نَظَرَ ②١ ثُمَّ عَبَسَ  
وَبَسَرَ ②٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ②٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا  
سِحْرٌ يُؤْتَرُ ②٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ②٥ سَأُصَلِّيهِ  
سَقَرًا ②٦

صدق الله العظيم

سورة المدثر الآيات من ١١ - ٢٦



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- اتفق العلماء على أن المقصود بهذه الآيات هو: «الوليد بن المغيرة».
- نجد ذلك في الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٢ .  
والمستدرک ج ٢ ص ٥ ، ٦ ، ٧ : ٥ .
- وتفسير الإمام الطبري ج ٢٩ ص ٩٦ .  
وتفسير الإمام القرطبي ج ١٩ ص ٧٢ .  
وتفسير الإمام البغوي ج ٧ ص ١٤٦ .  
وتفسير الإمام ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٣ .

وأسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.

من هو الوليد بن المغيرة؟ ...

## الوليد بن المغيرة

الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كان يقال له : العدل ، وسمي :  
أوحد العرب . وأطلق عليه : ربحانة قريش .

وهو أحد قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش في دار الندوة ، ومن  
زنادقتها الذين حملوا لواء الكيد والتعذيب ضد أتباع الدعوة الإسلامية .

تناوله القرآن في أكثر من موضع .. من ذلك في سورة القلم ، قال تعالى : ﴿ ولا  
تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ﴾<sup>(١)</sup> .  
وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى :

﴿ وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقيل في سبب نزولها أنه كان ينادي في أيام الحج :

« ألا من أراد «الحيس»<sup>(٣)</sup> فليأت الوليد بن المغيرة» .

وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفاً وأكثر ، ولا يعطي المسكين درهماً  
واحداً<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة القلم آية رقم ١٠ - ١٢ .

(٢) سورة فصلت آية رقم ٧ .

(٣) الحيس : طعام يصنع من اللبن .

(٤) عبقرية خالد - المقدمة - عباس محمود العقاد .

ومع ذلك بصفه بعض المؤرخين بأنه كان رزينا هداه عقله إلى بعض الحق ، منها أنه عرف أن الحمر لا تليق بالرجل الوقور فحرمها على نفسه — وهو في الجاهلية قبل ظهور الإسلام — وحرمها على أبنائه ، وضرب ابنه هشاماً على شربها . وكان يعرف للبيت الحرام قدسيته ، فكان يكسو الكعبة وحده عاماً وتكسوها قريش كلها عاماً آخر... من هنا جاء لقب العدل ، لأنه كان يعدل قريش<sup>(١)</sup> .

وفي يوم من الأيام قبل بعثة الرسول ﷺ استيقظت قريش على سبيل جارف يكتسح أمامه كل شيء ولا يبتقي على شيء .

جاء هذا السبيل من جهة « الجرف » واستمر في جريانه حتى دخل البيت الحرام فانصدع جانب منه ، وأهم قريش ذلك الأمر ، وخافوا على البيت أن يهدم كله ، ولقد أتاح هذا التصدع في جانب البيت فرصة للذين في قلوبهم مرض فامتدت أيديهم إلى ما في داخله من حلية ، وغزال من ذهب ، كان قائماً على در وجوهر ، وموضوعاً على الأرض فأخذوه<sup>(٢)</sup> ، فاجتمعت قريش في دار الندوة وعلى رأسهم الوليد بن المغيرة وقرروا هدم الكعبة وإعادة بنائها . وأن ينتشروا في أرض الله يبحثون عن البنائين المهرة لإقامة بيت الله .

وبينا هم على أهبة السفر ، سمعوا أن سفينة كانت في البحر هاجمتها عاصفة شديدة جنحت بها إلى الشعبية — مرفأ السفن في ذلك الوقت قبل جدة — فتحطمت السفينة وكان عليها قوم من الروم — الغرب حالياً — ومعهم رجل يسمى « ياقوم » بانياً ماهراً .

فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش إليها وابتاعوا خشبها ، وكلموا الرومي

(١) ابن الأثير — في كتابه الكامل ج ٤ ص ٧١ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٧ والروض الأنف ج ٢ ص ٢٥٩ ، ويقال إن الذي وجد عنده الكثر المسروق « دوكبا » مولى لبيح بن عمر من خزاعة ، قطعت قريش يده .

في بناء الكعبة ، وما زالوا به حتى أجابهم إلى طلبهم<sup>(١)</sup> وأخذوا في هدم الكعبة ،  
وتقدم أبو وهب بن عمرو بن عائذ فتناول حجراً من الكعبة فوثب من يده ، حتى  
رجع إلى موضعه<sup>(٢)</sup> .

ثم إن الناس هابوا هدمها وفكروا في الرجوع عن ذلك .

فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم به ، فأخذ معوله مردداً : « اللهم لم ترع ، إنما  
أريد الخير »<sup>(٣)</sup> .

فهدم جزءاً منها ولكن الناس لم يطمثوا إلى ذلك ، وقالوا : تتربص تلك الليلة ،  
ونتظر ، فإن أصيب الوليد لم نهدم منها شيئاً ، فأصبح الوليد سالماً وغدا إلى عمله  
فهدم والفأس معه حتى انتهى من الهدم إلى الأساس ثم أفضوا إلى حجارة خضر ،  
أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش « عتلة »<sup>(٤)</sup> بين حجرين ليقلع به أحدهما  
فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها<sup>(٥)</sup> فتوقفوا عند ذلك . وعندما هموا بجمع الحجر  
لبنائها ، وقف الوليد بن المغيرة ناصحاً لهم وهاتفاً بهم :

« يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها إلا طيباً ، ولا تدخلوا فيه مهر بغي ، ولا زنا  
ولا مظلمة أحد »<sup>(٦)</sup> .

هذه بعض ملامح الوليد ، قبل بعثة الرسول ﷺ — رجل يحب مكارم  
الأخلاق — للسمعة والشهرة وبعد الصيت . ولقد أعطاه الله سبحانه وتعالى — كما  
حدثنا القرآن — مالاً كثيراً وبنين شهوداً .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٠ ، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٠ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٢٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢١٢ ، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٦١ .

(٤) قطعة من الحديد رافعة .

(٥) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٣٠ ، ويقال أن الذي قال ذلك هو أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن  
مخزوم .

أعطاه الذهب والفضة ، وأعطاه الإبل والخيل ، وأعطاه البساتين والكروم .  
ونجح في التجارة وجاءه المال من كل طريق ، واقتنى الخدم والحواري والعبيد ،  
حتى سمي برحانة قريش ، وأعطي فوق ذلك البنين ، قيل عشرة ، وقيل اثنا عشر ،  
وكلهم حاضر معه شاهد ، لا يغيبون للتجارة أو للعمل<sup>(١)</sup> .

منهم : خالد بن الوليد .

الذي سماه رسول الله ﷺ : « سيف الله » .

والذي قال فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

«عجزت النساء أن يلدن مثل خالد»<sup>(٢)</sup> .

ومنهم الوليد بن الوليد . الذي أسريوم بذر ، أسره عبد الله بن جحش ، فقدم  
في فدائه أخواه : خالد وهشام . فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتدياه بأربعة  
آلاف درهم .

ويقال : إن النبي ﷺ قال لعبد الله بن جحش : « لا تقبل في فدائه إلا شكة  
أبيه الوليد » . وكانت الشكة درعاً فضفاضة وسيفاً وبيضة . وقدرت الشكة بمائة  
دينار ، فطاعاً بذلك وسلاها إلى عب الله بن جحش ، فلما افتدياه أسلم ، فقيل له :  
« هلاً أسلمت قبل أن تفتدى وأنت مع المسلمين؟... » .

فقال : « كرهت أن تظنوا بي أني جزعت من الأسار »<sup>(٣)</sup> .

يقول سفيان الثوري — رضي الله عنه — في تقدير ثروة الوليد بن المغيرة : إنه  
كان يملك ألف ألف دينار .

(١) تفسير الإمام الطبري ج ٢٩ ص ١٥٣ وتفسير الإمام القرطبي ج ١٩ ص ٧٢ .

(٢) خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٥٥٨ ج ٤ وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣٢ .

ويقول ابن عباس — رضي الله عنه — : إنه كان يملك من الفضة تسعة آلاف  
مثقال (١).

ولهذا كله كان عنده صلف وكبرياء.

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى . إن رآه استغنى ﴾ (٢)

وكان مبذراً يتلف ماله للرياء والمفاخرة وكان ينهى أن توقد نار غير ناره في منى  
لإطعام الحجيج .

ومع كل هذا الإسراف الشديد ، والانفاق والبذخ الذي لم يكن لله ولا للخير ،  
كان يقرض ماله بالربا . وكان مشهوراً عنه ذلك بين قبائل العرب . وكم شهدت  
مكة وفوداً جرارة نريد الوليد بن المغيرة لتقرض منه ، ومات وله على قبائل مكة  
وأرياضها ديون تحسب بالآلاف .

وتروي أوثق المصادر : ان ابنه خالداً لم يزل يتقاضاها حتى أسلم ، وأسلم  
المدينون . فترك الربا من بعدها واكتفى برأس المال فقط (٣) ، امثالاً لقول الله تعالى :  
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ (٤) .

وعندما سمع الوليد بدعوة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ وتتابع الوحي على يتيم  
بني طالب ، كما كانوا يسمونه ، انتضخت أوداجه ، كبراً ، وصلفاً ، وأخذته العزة  
بالإثم ، وزعم أنه أحق الناس بالنبوة والقرآن .

(١) تفسير الإمام القرطبي ج ١٩ ص ٧١ .

(٢) سورة العلق آية رقم ٦ ، ٧ .

(٣) ومن وصية الوليد لابنائه : دمي في خزاعة فلا تطلقه : أي تضيعوه ، والله اني لأعلم انهم منه براء ، ولكن  
أخشى أن نسبوا به بعد اليوم ، ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذه (سيرة ابن هشام ج ٢  
ص ١٨) .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٧٨ .

وقال : أينزل القرآن على محمد وأترك؟ ... وأنا كبير قريش وسيدنا (١)

ويردّد القرآن أمانهم الباطلة ، وأحلامهم الواهية ، وتدخّلهم في شؤون الخلق  
جلا وعلا ، وهم أنفسهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً .

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة  
ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات  
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ (٢)

واستمر إيذاء الوليد للرسول ﷺ ، وكان يؤيده في ذلك زعماء قريش  
ورجالها .

آذوا الرسول في نفسه وأهله ...

وآذوه في أصحابه ورجاله ...

وجادلوه في أمر الوحي وكذبوا بكل ما عرضه عليهم ، ونالوا من دعوته ، وألبوا  
عليه يهود المدينة .

وضاق الرسول ﷺ بذلك وانتظر أمر ربه ، وكان لا بد من نهاية لذلك حتى  
تعلو كلمة الله وتطمئن قلوب المؤمنين .

وينزل جبريل على الرسول الكريم يهديء من روعه ويطيب قلبه ويبلغه رسالة  
ربه :

(١) الطبري ج ٢٥ ص ٩٥ ، والقرطبي ج ١٦ ص ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣١ ، ٣٢ .

﴿ ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ (١) .

وأعلنت الحرب على الذين جعلوا القرآن عضين (٢) .

أعلنت الحرب على الوليد بن المغيرة وصحبه .

أعلنت الحرب على هؤلاء الكفرة الفجرة .

أعلنت من رب السماء ، الذي له الخلق والأمر . وينزل قول الله تعالى حاسماً للقضية وواضعاً حداً لهؤلاء .

﴿ يا محمد : إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (٣) .

ذكر ابن اسحاق : أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ فرّبه الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمى ووجعت عينه ، فجعل يضرب برأسه الحدار . ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه . ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبلة (٤) وذلك أنه مرّ برجل من خداعة يريش نبلاً له فتعلق سهم من تيلة نازاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به ومات . ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخصص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فعلق به شبرقة (٥) فدخلت في أخصص قدمه شوكة فقتلته .

(١) سورة الحجر آية ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) عضين : جمع عضة ، وهي السحر ، وأنشئوا : أعوذ بربي من النافثات في حقد العاصم المعضة .

(٣) سورة الحجر آية رقم ٩٥ .

(٤) السبل : الثياب المسبلة . يفعل ذلك كبيراً واختيالاً .

(٥) الشبرق : نبت حجازي يؤكل وله شوك .



ومرّ به الحارث بن الطلائة فأشار إلى رأسه فامتخط قبحاً فقتله<sup>(١)</sup> .  
وهكذا تم القضاء على حزب المستهزئين، والمناوئين للدعوة الجديدة، لم  
تأخذهم صاعقة مثل صاعقة ثمود ولم تقتلعهم من أرضهم عواصف كالتّي أرسلت  
على قوم عاد، ولم يجرفهم طوفان كطوفان نوح، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن  
يجعل لكل شيء سبباً وكأنه بذلك يريد للبشرية بعد أن تركت طفولتها وبلغت  
رشدتها وكماها أن تأخذ بالأسباب وتلتزم بها، ثم بعدها تتوكل عليه، وتفوض  
أمورها إليه وهو الحكيم القادر حتى لا يقع شيء في الوجود طرفة، ولا تم الأمور  
عن طريق الارتجال والعفوية وإنما كل شيء بميزان وقدر.

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير الطبري سورة الحجر ص ٦٢ .

(٢) سورة الرعد آية رقم ٨ .

## أسباب نزول الآيات

كان من خبره في هذا ما رواه الصوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قال :  
« دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه فسأله عن  
القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال :

« يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة ، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي الجنون  
وإن قوله لمن كلام الله .

فلما سمع بذلك نفر من قريش اثمروا وقالوا :

« والله لئن صبا الوليد لتصبو قريش .»

فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال :

« أنا والله أكفيكم شأنه .»

« أنا والله أكفيكم شأنه .»

فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد :

« ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟...»

فقال : « ألسنت أكثرهم مالاً وولداً ؟...» .

فقال له أبو جهل : « يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من

لعمامة .»

فقال الوليد : «أقد تحدث به عشيرتي؟ ... فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر».

قال : «فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنتك كاره له».

قال : «فماذا أقول فيه؟ ... فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بتقصيده ولا بأشعار الجن ... والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى».

قال : «والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه».

قال : «فدعني حتى أفكر فيه».

فلما فكر قال : «إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره»<sup>(١)</sup>.

وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن تقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عن محمد ودعوته.

وكان الرسول ﷺ يتعرض لفود الحنيج ليعرض عليهم دعوة الإسلام فأرادوا أن يتفقوا على أمر يفتح جميع العرب ويصدهم عن دعوة محمد.

فقال قائلون : «نقول إنه شاعر».

وقال آخرون : «بل هو ساحر».

وقال قسم ثالث : «بل هو كاهن».

وقال قسم رابع : «بل نقول إنه مجنون».

كل هذا والوليد يشكر ويدبر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر

فقال :

(١) يراجع الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٢ ، والمستدرک ج ٢ ص ٥٠٦ وانظر الطبري ج ٢٩ ص ٩٦ والقرطبي

ج ١٩ ص ٧٢ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٤ .

« يا أهل قريش ، إنكم ذوو أحساب ، وذوو أحلام ، وإنكم تزعمون أن محمداً مجنون . وهل رأيتموه يجن قط ؟ » .

قالوا : « اللهم لا » .

قال : « تزعمون أنه كاهن ، وهل رأيتموه يتكهن قط ؟ » .

قالوا : « اللهم لا » .

قال : « تزعمون أنه شاعر ، هل رأيتموه ينطق بشعر قط ؟ » .

قالوا : « لا » .

قال : « تزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟ » .

قالوا : « لا » .

قالت قريش للوليد : « فما هو ؟ » ..

قال : « ما هو إلا ساحر وأما ما يقوله فسحر » <sup>(١)</sup> .

فتزل قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قَبَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه الإمام الواحدي ، بسنده عن مجاهد في أسباب نزول القرآن ص ٤٧٦ .

(٢) سورة المدثر الآيات من ١٨ — ٢٥ .

## تذليل ...

دأب الناس في كل عصر ومصر على محاربة المخلصين والكيد لهم والوقوف أمام كل من يجهر بكلمة حق .. لم يسلم من ذلك الرسل والأنبياء ولا الأولياء المخلصون ولا الأتقياء المؤمنون، والتاريخ مليء بصور المآسي التي تحملها هؤلاء جميعاً، تحملوها في صبر وجلد، وتقبلوها في شجاعة وإيمان، وكأن هذا طبيعة الكون وسنة الوجود، ودستور الحياة.

يقول الرسول ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون». وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: «لا يفقد نبي حرمة إلا في بلده». وروى الإمام البيهقي أن كعب الأحبار قال لأبي موسى الخولاني: «كيف تجد قومك»؟..

قال: «مكرمين مطيعين».

قال: «ما صدقتني التوراة إذن وأيم الله ما كان رجل حلیم في قوم قط إلا بغوا عليه وحسدوه».

ويذكر الإمام الحجة جلال الدين السيوطي — رحمه الله — مجموعة من المآسي التي ابتلي بها المصلحون بقوله:

«اعلم أنه ما كان كبير في عصر قط إلا كان له عدو من السفلة إذ الأشراف لم

نزل تبلي بالأطراف ، فكان لآدم عليه السلام إبليس . وكان لنوح حام وغيره . وكان لداود جالوت وأضراجه . وكان لموسى فرعون .. وهكذا إلى خاتم النبيين محمد ﷺ فكان له الوليد بن المغيرة وأبو جهل وعصابة الشرك وسدنة الكفر ، وما زالوا به حتى أخرجوه من بلده واتهموه بالسحر مرة وبالجنون مرّات .

قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ (١) .

والوليد بن المغيرة أحد الذين فكروا وقدروا لحرب الدعوة الإسلامية وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ﴾ (٢) .

وكان الدافع لهذا التفكير والتقدير هو الحسد والبغي الذي ملأ صدره وأعماه عن الحق وأبعده عن الهداية .. الأمر الذي جعله يهذي بينه وبين نفسه بكلمات إن دلت على شيء فإنما تدل على قصر نظره وبلادة حسه ...

لقد كان يتعجب من أمر محمد ومن دعوته ويقول : « أنزل الوحي على محمد وأترك أنا ؟ » ...

أترك الوليد صاحب الكنوز الكبيرة والأولاد العشرة ، والصولجان والعز ، ويختار محمد اليتيم الفقير؟ ..

ولكن القرآن لا يتركه في جهالته وغروره بل يجابهه بحقيقة الأمر وأنه الخبير بعباده ، العليم بما يصلحهم ويصلح حالهم في الدنيا والآخرة وأنه يحكم ولا مرد لحكمه لأنه العدل المطلق .

قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم

(١) سورة الفرقان آية رقم ٣١ .

(٢) سورة المدثر آية رقم ١٨ ، ١٩ .

يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴿١﴾

فهل ارتدع الوليد؟ وهل كف عن ضلاله؟..

الحقيقة أنه لم يرتدع ، ولم يكف عما هو فيه ، فلم يكن هناك بد من تعريته وكشفه وبيان حقيقته وأصله . ونزل الوحي على الرسول ﷺ معدداً صفات الوليد بن المغيرة لتبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها صورة مجسمة لأحد هؤلاء الطغاة الذين تصدوا لحرب الله وحرب رسوله ، ومبارزتها بالعداوة .

قال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ، همام مشاء بنميم ، متاع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ (٢)

فهذه هي صفات الوليد بن المغيرة — بل صفات كثير من الطغاة الذين لا يستمعون لهدي ولا يصدقون برسالة .

« فهو حلاف كثير الحلف ، ولا يكثر الحلف إلا إنسان غير صادق ، يدرك أن الناس يكذبونه ولا يثقون به ، فيحلف ويكثر من الحلف ليداري كذبه ويستجلب ثقة الناس ، وهو مهين : لا يحترم نفسه ولا يحترم الناس قوله ، وآية مهانته حاجته إلى الحلف وعدم ثقته بنفسه وعدم ثقة الناس به ولو كان ذا مال وذا بنين وذا جاه فالمهانة صفة نفسية تلصق بالمرء ولو كان سلطاناً طاغية جباراً ، والعزة صفة نفسية لا تفارق النفس الكريمة ولو تجردت من كل أعراض الحياة الدنيا . وهو همام : يهمز الناس ويعييبهم بالقول والإشارة في حضورهم أو في غيبتهم سواء . وخلق الهمز يكرهه الإسلام أشد الكراهية فهو يخالف المروءة ، ويخالف أدب النفس ، ويخالف

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة القلم الآيات من ١٠ إلى ١٥ .

الأدب في معاملة الناس وحفظ كرامتهم صغروا أم كبروا ، وقد تكرر ذم هذا الخلق في القرآن في غير موضع .

فقال : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكلها أنواع من الهمز في صورة من الصور . وهو مشاء بنميم ، يمشي بين الناس بما يفسد قلوبهم ، ويقطع صلاتهم ، ويذهب بموادتهم ، وهو خلق ذميم ، كما أنه خلق مهين ، لا يتصف به ولا يقدم عليه إنسان يحترم نفسه أو يرجو لنفسه احتراماً عند الآخرين ، حتى أولئك الذين يفتحون آذانهم للنمام ، ناقل الكلام المشاء بالسوء بين الأوداء ، حتى هؤلاء الذين يفتحون آذانهم له لا يحترمون في قرارة نفوسهم ولا يودونه .

ولقد كان رسول الله ﷺ ينهى أن ينقل إليه أحد ما يغير قلبه على صاحب من أصحابه ، وكان يقول :

« وهو معتد متجاوز للحق والعدل إطلاقاً معتد على النبي ﷺ ، ومعتد على المسلمين وعلى أهله وعشيرته الذين يصددهم عن الهدى ويمنعهم من الدين وهو أئيم يرتكب المعاصي حتى يحق عليه الوصف الثابت «أئيم» بدون تحديد لنوع الآثام التي يرتكبها ، فاتجاه التعبير إلى إثبات الصفة وإصاقها بالنفس كالطبع المقيم<sup>(٣)</sup> .

وهو عتل : وهي لفظة تعبر بجرسها وظلها عن مجموعة من الصفات ومجموعة من

(١) سورة الهمزة آية رقم ١ .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١١ .

(٣) أخرجه ابو داود والترمذي من حديث ابن مسعود .



السمات لا تبلغها مجموعة ألفاظ وصفات ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه : « العتل كل رغب الجوف وثيق الخلق ، أكل شروب ، جاع للمال ، متاع له »<sup>(١)</sup> .

وهو زيم : وهو اللصيق في القوم لا نسب له فيهم أو أن نسبه فيهم ظنين . ومن معانيه : الذي اشتهر به وعرف بين الناس بلؤمه وخبثه وكثرة شروره »<sup>(٢)</sup> .  
فهل انتهى هذا النوع وخلصت منه البشرية إلى الأبد؟ ..

أم أننا نجد هذه الصفات وتلك الملامح تنطبق على بعض الناس بأعينهم ، ولا يزالون يقومون بنفس الدور الذي قام به الوليد في صدر الإسلام من الادعاء والكذب ووصف الآخرين بما ليس فيهم؟ ...

إن مهمة الدعاة كشف هؤلاء الأفراد وتعريضهم أمام المجتمع أسوة بما فعله القرآن الكريم مع الوليد بن المغيرة . فهل نحن فاعلون؟ ..

(١) رواه الإمام البخاري والإمام مسلم عن مجاهد .

(٢) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٦٦٢ بتصرف .

الحکم بن ہشام  
(أبو جهل)

١٠٠

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

- أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑪  
أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬  
أَلَّا يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا  
بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ⑯ فَلْيَدْعُ  
نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا تَطْعَهُ وَآجِدُ  
وَاقْتَرِبَ ⑲

صدق الله العظيم

سورة العلق الآيات من ١١ إلى آخر السورة

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض العلماء: نزلت هذه الآية في أبي جهل «عمرو بن هشام».
- قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره ج ٣ ص ١٦٤ — ١٦٥
- والإمام القرطبي في تفسيره ج ٢ ص ١٢٧
- وتفسير الخازن والبغوي ج ٧ ص ٢٢٥
- وتفسير الإمام ابن كثير ج ٤ ص ٥٢٩
- والشوكاني ج ٥ ص ٤٥٨
- والدر المنثور ج ٦ ص ٣٦٩
- ومراجع تفسير الفخر والرازي ج ٨ ص ٤٦٧
- وابن جزى ج ٤ ص ٢٠٩
- واسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٤٩٣
- بأنها نزلت في أبي جهل..

فمن هو أبو جهل؟...

## الحكم بن هشام (ابو جهل)

قاهر المستضعفين ، وعدو المؤمنين بمكة وفرعون هذه الأمة<sup>(١)</sup> .

كما قال الرسول ﷺ وراضخ جسم بلال بالحجارة والسياط ، والناهي رسول الله عن الصلاة في جوف الكعبة ، وأحد المستهزئين بالدعوة وصاحبها ، والمتآمرين على قتله في دار الندوة .

إنه : عمرو بن هشام بن المغيرة ، وكان يكنى أبا الحكم فكناه رسول الله ﷺ : أبا جهل . وأمه الحنظلية : أسماء بنت مخربة أحد بني نهشل ابن دارم بن مالك بن حنظلة . وأخوه الحارث بن هشام بن المغيرة الذي فر من غزوة بدر عندما قتل أخوه أبو جهل فقال حسان بن ثابت :

إن كنت كاذبة بما حدثني      فنجوت منجى الحارث بن هشام  
ترك الأجنة أن يقاتل دونهم      ونجا برأس طمرة وجام  
فقال يعتذر :

الله يعلم ما تركت قتالهم      حتى رموا فرسي بأشعر مزيد  
ووجدت ربح الموت من تلقائهم      في مازق والحيل لم تتبدد

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٨٧ .

فعلمت أتي إن أقاتل واحداً وأقتل ولا ينكى عدوي مشهدي  
 فصدفت عنهم والأحبة دونهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد  
 ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم...  
 وابنه عكرمة بن أبي جهل، كان فارساً مشهوراً في الجاهلية والإسلام، هرب  
 حين فتح مكة ولحق بإثنين ولحقت به امرأته أم حكيم، فدعته إلى الإسلام وحببته  
 إليه، وجاءت به النبي ﷺ فلما رآه قال:  
 «مرحباً بالراكب المهاجر»<sup>(١)</sup>.  
 فأسلم وحسن إسلامه.

وقال ﷺ لأصحابه: «إن عكرمة يأتيكم، فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه فإن  
 سب الميت يؤذي الحي»<sup>(٢)</sup> ويؤله.

واستشهد عكرمة باليرموك، ومعه الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو. وأتوا  
 ماء وهم صرعى فتدافعوه كلما دفع إلى رجل منهم قال: اسق فلاناً حتى ماتوا ولم  
 يشربوه.

قال عبد الله بن مصعب: طلب عكرمة الماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه، فقال:  
 ادفعه إليه فهو أحق مني. فنظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ادفعه إليه، فلم  
 يصل إليه حتى ماتوا جميعاً<sup>(٣)</sup>.

يا لروعة الرجال الذين تربوا على مائدة الإسلام.. كم كانوا صادقين مع  
 أنفسهم، ومع الغير، حتى في اللحظات الأخيرة من الحياة، والأنفاس الباقية لكل  
 منهم، يؤثر غيره على نفسه، إنه يحب دينه أكثر مما يحب الحياة، ولهذا كانوا يبذلون

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٨٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٠٨٤.

أغلى ما يملكون في سبيل نصره الإسلام ، وكان كل منهم حريصاً على حياة الآخرين ، حتى يبلغ هذا الدين للناس كافة ، وكان في نفس الوقت يحرص على الشهادة التي هي بغية كل منهم لتنقله إلى دار الخلود في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وكان يوجد في نفس الوقت فئة مطموسة العينين فلا ترى الحق ، غليظة القلب فلا تنبض برحمة أو شفقة ، بليدة الإحساس والعقل ، فلا تفكر ولا تهتدي بهدي الله .

وكان من الفريق الثاني أبو جهل عدو الله وعدو الدعوة الجديدة ومن هؤلاء المناوئين لرسول الله ﷺ وأصحابه ، وكم نال المستضعفون على يديه من تعذيب وتنكيل حتى أن بعضهم كانت ترهق روحه — كما حدث لسامية أم عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام<sup>(١)</sup> .

وكان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد أسلم وتابع محمداً على دينه تتبعه وتعقبه ، فإن كان له شرف ومنعة آتبه وأخزاه ، وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك ... لنسفهن حلمك ، ولنبتلن كيدك ، ولنضعن شركك . وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك حتى لا يبقى لك مال ... وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به<sup>(٢)</sup> .

وعندما علم بهجرة عياش بن أبي ربيعة إلى المدينة وكان أخاه لأمه خرج إلى المدينة واحتال على عياش وردّه إلى مكة ودخل به نهراً موثقاً . ثم نادى بأعلى صوته : يا أهل مكة ، هكذا افعلوا بسفهاكم كما فعلنا بسفيها هذا...<sup>(٣)</sup> .

الذي يعبد الواحد الأحد ، ويتبع دين إبراهيم ؛ ويرفض السجود لصنم أو

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٤ .

حجر، ويتحلى بمكارم الأخلاق، ويترك سفاسفها... يكون سفيهاً في نظر أبي جهل؟...

والذي يأكل الميتة، ويتمسح بالأصنام، ويغير على الضعفاء ولا يحل ولا يحرم... يكون عاقلاً رزيناً؟...

إنه منطق الجهالة في كل عصر ومصر، تنحرف عن التفكير السليم، وتشوه وجه الحقيقة.. وكان يتهم بالمسلمين، فمن آمن بدعوة محمد فيقول: ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم الضعفاء، لو كان ما أتى محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه. أفتسبقنا «زئيرة»<sup>(١)</sup> إلى رشد<sup>(٢)</sup>؟...

بل بالغ في تهكمه حتى كان يهزأ بالرسول ﷺ وما نزل من القرآن. فكان يقف في جوف الكعبة ويقول: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم<sup>(٣)</sup>؟...

فأنزل الله تعالى:

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾<sup>(٤)</sup>.

يا لضحالة هذه العقول، إن النار وما عليها ليست إلا من خلق الله وإذا أراد الله إهلاك أمة فلا يحتاج ذلك منه إلى عدد وعدة وإنما هو أمره إذا أرادته قال له: كن فيكون.

﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾<sup>(٥)</sup>.

(٤) سورة المدثر آية رقم ٣١.

(٥) سورة المدثر آية رقم ٣١.

(١) كانت أمه وأعضها أبو بكر.

(٢) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٢١.

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٦.



ويحس أبو جهل أن جهته في تناقص مستمر وأن آيات القرآن تهز تلك القلوب المتحجرة فكان يعمل على تهديتها وتأمينها. فلما نزل قوله تعالى :

﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ (١).  
قال : يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ ...  
قالوا : لا .

قال : عجوة يثرب بالزبد. والله لئن استمسكنا منها لتزققها تزقماً (٢).  
ويسير أتباعه سيرته في الاستهزاء برسول الله ﷺ .

يقول ابن إسحاق : قدم رجل من أراش بابل له إبل بمكة فابتاعها منه أبو جهل فمأطله بأثامها ، فأقبل الأراشي حتى وقف على ناد من قريش ورسول الله ﷺ من ناحية المسجد جالس .

فقال : يا معشر قريش من رجل يؤدبني (٣) على أبي الحكم بن هشام فإني رجل ابن سبيل وقد غلبني على حني .

قال : فقال له أهل ذلك المجلس : أترى ذلك الرجل الجالس ، وأشاروا على رسول الله ﷺ ، وهم يهزأون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة :  
أذهب إليه فإنه يؤيدك عليه .

فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤدبني عليه يأخذ لي حني منه فأشاروا لي إليك ، فخذ لي حني منه — يرحمك الله — .

(١) سورة الدخان آية رقم ٤٤ — ٤٩ .

(٢) الروض الأنف ج ٣ ص ٢١٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٦ .

(٣) يؤدبني : قال أبو ذر : معناه يعيني . أي يصفني . وقال السهيلي : أن يعينني على أخذ الحن منه . وهو من الأداة التي يتوصل بها الإنسان إلى ما يريد .

فقام معه رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم :

اتبعه وانظر ماذا يصنع ؟

وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟

فقال : محمد ، فاخرج إليّ .

فخرج إليه وما في وجهه من رائحة<sup>(١)</sup> قد امتنع لونه .

قال : أعط هذا الرجل حقه .

فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له .

فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للأراشي :

الحق بشأنك<sup>(٢)</sup> .

فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد والله أخذ

لي حتى .

قال : وجاء الرجل الذي بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ ...

قال : عجباً من العجب والله ... ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما

معه روحه<sup>(٣)</sup> . فقال له أعط هذا حقه . فقال نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ،

فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا : ويحك مالك ، والله ما رأينا مثل ما صنعت

قط ...

قال : ويحك ... والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فثلث منه

رعياً ثم خرجت إليه وأن فوق رأسه لفحلاً من الأيل ما رأيت هامته ولا قصرته<sup>(٤)</sup>

ولا أنيابه لفحل قط ... والله لو أبيت لأكلني<sup>(٥)</sup> .

(١) أي من فطرة دم — قال السهلي : أي بقية روح قد امتنع لونه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) القصرة هي العنق الطويل .

(٥) الروض الأنف ج ٣ ص ٣٧٢ .

لقد ذهب الرسول ﷺ إلى أبي جهل ومعه حزب الله ومعه ملائكته وجنوده وإيمانه وربه ، وخرج أبو جهل إليه ومعه شيطانه فلما رأى ما رأى نكص على عقبيه ، فرَّ شيطانه ، فتهاوت قوته ، وضعفت مقاومته وأحس أنه وحيد لا حول له ولا قوة أمام هذا الجيش اللجب ، وقذف الله في قلبه الرعب فكان من أمره ما كان .

والتقى يوماً بالرسول ﷺ عند الصفا فأذاه ونال منه ما يكرهه من العيب لدينه ، والتضعيف برسول الله ﷺ وبجواره امرأة تتألم لما تسمع ولا تملك أن تفعل شيئاً — هي امرأة مؤمنة تكتم إيمانها وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان فأخبرت بما رأت وسمعتها حمزة بن عبد المطلب فانطلق مهرولاً إلى المسجد حتى وجد أبا جهل جالساً في القوم فأقبل نحوه ورفع قوسه فضربه بها فشججه شجّة منكراً ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فردّ ذلك عليّ إن استطعت<sup>(١)</sup> ...

فقام رجل من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فلإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً<sup>(٢)</sup> .

لقد فكر عدو الله ورأى أن أصحاب محمد يزيدون كل يوم وأخذوا يجاهرون بإسلامهم ، فالأمر إذن ليس أمر حمزة ولكن الأمر أمر محمد وأمر بني هاشم جميعاً الذين رفضوا أن يسلموا محمداً بعد أن فعل ما فعل واجتمع في دار الندوة مع زعماء الكفر وقرروا مقاطعة بني هاشم وكتبوا بذلك صحيفة علقت في جوف الكعبة<sup>(٣)</sup> .

وفي يوم من الأيام — أيام المقاطعة — لقي أبو جهل حكيم بن حزام بن خويلد ومعه فمحاء يريد به عمته خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ فتعلق به وقال :

« أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ ... والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة » .

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٨٢ .

(٢) المصدر السابق والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣ .

(٣) راجع أمر الصحيفة في الأثير ص ٨٧ ج ٢ .

فجاء أبو البخخري بن هشام بن الحرث فقال : ما لك وله ؟ ...

فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم .

فقال أبو البخخري : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه ... أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ ... خلّ سبيل الرجل .

فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخخري عصا غليظة فضربه بها فشجه ووطأه وطأاً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك <sup>(١)</sup> .  
إنها لقمة الخبز في كل مكان وزمان السلاح الذي يشهره الأباطرة والمتجربون ضدّ من يخالفهم في الرأي أو العقيدة ... إنه السلاح الحسيس الذي يدل على تعفن النفوس ، ومرض القلوب ، ونحجر العواطف ولكن الله دائماً ينصر الحق وأهله ويدافع عن رجاله ما داموا على الجادة سائرين ، وفي سبيل الله هم مجاهدون ، ولكن لماذا كل هذا الحقد لرجل يقول : ربي الله ؟ ...

لماذا هذه العداوة التي لا تقف عند حد ، ولرجل بالذات وصف عندهم بالأمانة والعفة والتزاهة .. حتى وصفوه قبل بعثته بالأمين ؟ ..  
أبغضاً في محمد ؟ ...

كما كانوا يقولون : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » <sup>(٢)</sup> .  
أجحداً ونكراناً بأن الله خالق السموات والأرض ؟ ولئن سألتهم :  
﴿ من خلق السموات والأرض ليقولنّ الله ﴾ <sup>(٣)</sup> .  
أم ماذا إذن ؟ ... أكرهية لسماع القرآن ؟ ...

إن ابن إسحاق يروي عن شهاب الزهري : أن سفيان بن حرب وأبا جهل بن

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٦ وراجع ابن الأثير ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٣١ ، والقرينتان : مكة والطائف .

(٣) سورة لقمان آية رقم ٢٥ .

هشام والأخنس بن شريق خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا . وقال بعضهم لبعض :

« لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً » .

ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أولاً ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل واحد منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا<sup>(١)</sup> .

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد .

فقال : يا أبا ثعلبة ... والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها وما يراد بها .

قال الأخنس : وأنا ... والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

فقال : ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؟ .. أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟ .. والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٨ .

فقام عنه الأحنس وتركه (١).

هذه هي القضية... قضية الصراع على الجاه والمنصب.. قضية التسابق والتكالب على عرض الدنيا الزائل. إنه لم يغب الحق عنهم ساعة، بل كانوا يعرفونه ولكنهم كانوا كارهين لهذا الحق الذي جاء عن طريق بني عبد مناف للذين كانوا دائماً سباقين لإطعام الطعام، وتقديم العطايا ونصرة الضعيف، والدفاع عن قريش. ولقد كانوا يحاولون دائماً أن يلحقوا بهم ولكن هيات هيات، فرق بين الحيلة والتصنع، بين الرين والبريق، بين الحق والباطل.

﴿بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون﴾ (٢)

وتجتمع قريش في دار الندوة اجتماعاً غير عادي، وما أكثر ما كانت تجتمع وتنفض من أجل محمد وأصحابه. ولكن في هذه المرة كانت تبت شيئاً جديداً... لا بد من وضع خطة يكون فيها القضاء على هذه الدعوة قضاء لا قيام لها بعده. ويقال إن هذا الاجتماع حضره إبليس في صورة شيخ كبير مجرب، وافتتح بعضهم الحديث فقال: خذوا محمداً إذا اصطحب على فراشه فاجعلوه في بيت قريش به رب المنون (٣).

فقال إبليس: بشئنا قلت... تجعلونه في بيت فيأتي أصحابه فيخرجونه فيكون ينكم قتال.

قالوا: صدق الشيخ.

قال آخر: أخرجوه من قريبتكم.

قال إبليس: بشئنا قلت... تخرجونه من قريبتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتي قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخييل والرجال.

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ١٩٧.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٧٠.

(٣) الرب هو الموت، والمنون هو الدهر.

قالوا: صدق الشيخ.

قال أبو جهل، وكان أولاهم بطاعة إبليس: بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش، فنخرج منهم رجلاً فنعطيم السلاح فيشدون على محمد جميعاً فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً، فليس لهم إلا الدية.

قال إبليس: صدق... وهذا الفتى هو أجهدكم رأياً<sup>(١)</sup>.

ولكن الله أبطل كيدهم وسخر من تدابيرهم، وأوحى إلى عبده بالهجرة إلى يثرب، وسار رسول الله ﷺ في الطريق الممتد إلى مهاجرة تحرسه عناية الله وتكلاه رعايته.

وتفرج أسارير الرسول ﷺ وبلقي على مسمع صاحبه أبي بكر وشريكه في هجرته قول الله تعالى:

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك، أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾<sup>(٢)</sup>.

خير الماكرين بتخليص عبده من مخالف الكفر..

خير الماكرين بإنقاذه من شرذمة الضلال..

خير الماكرين بصدق وعده، ونصر عبده وإذلال الكفر وأهله..

هل توقف حقد أبي جهل عند هذا الحد؟..

هل فكر لحظة في أمر محمد؟.. وعرف أن الله حارسه وحافظه؟..

ألم يساورك شك في أن محمداً لو كان دعياً ما ادعى على الله، ولو كان كاذباً ما كذب على ربه.

(١) تفسير الطبري ج ٩ ص ٢٢٩.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٣٠.

الحقيقة.. أن أبا جهل استمر على كفره ، وانطاس بصيرته إلى آخر رمق في حياته.. لقد سمع بأن عاتكة بنت عبد المطلب رأت رؤيا أرعبتها ، وخلصتها :  
« أن قريشاً تخرج لمصارعتها في ثلاث ، وزأت رجلاً يقف على جبل أبي قبيس  
ويقذف بحجر ضخم فتناثر أجزاؤه فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابته فلقه من  
هذا الحجر»<sup>(١)</sup>.

قرصد للعباس بن عبد المطلب حتى وجده يطوف بالبيت ثم قال له :  
«متى حدثت فيكم هذه النية؟»...<sup>(٢)</sup>

ثم قال : أما رضيتم أن يتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم.

ولكن ما رآته «عاتكة» كان حقاً وصدقاً فلم يمض على حديثها ثلاثة أيام حتى  
نفرت قريش لاستخلاص غيرها من محمد ، واستطاع أبو سفيان أن ينجو بالعبير  
عندما سلك طريق الساحل.

وأرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم وقد  
نجاهها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نردّ بدرأ ونقيم عليه ثلاثاً وننحر الجزر ونظم  
الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع العرب بنا وسيرنا وجمعنا فلا  
يزالون يهابوننا أبداً بعدها ما مضوا<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذا الرأي لم يرض به حكيم بن حزام ، فاستشار عتبة بن ربيعة في ذلك  
فوافقته على الرجوع بعد عرض الأمر على أبي جهل.

(١) راجع تفاصيل هذه الرؤيا في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٥.

(٣) المصدر السابق سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨.



وعندما عرض عليه حكيم بن حزام رأي عتبة ، قال : لقد انتفخ والله سحره (١)  
حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد.  
وعندما بلغ عتبة ما قاله أبو جهل قال :  
« سيعلم مصفر «إسته» (٢) مَنْ انتفخ سحره أنا أم هو (٣)؟ ...»

(١) السحر: الرثة وما حولها مما يعلق بالحقوم من فوق السرة.

(٢) قال الشيخ الفقيه أبو ذر: العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ولا تريد به التأييب.

(٣) راجع ابن الأثير ج ٢ ص ١٢٤ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٤.

## مقتل أبي جهل

ودارت المعركة.. المعركة التي فرقت بين الحق والباطل ، المعركة التي لا زالت أصداؤها ترنّ في سمع التاريخ ، وتطالب المسلمين الذين طعنهم الأعداء وغلبتهم الأمم ، وأصبح بأسهم شديداً ، أن تكون لهم معركة أخرى مثل معركة بدر .  
نقول : دارت المعركة وأقبل رأس الكفر أبو جهل يحمل سيفاً عرّاه من غمده ويضرب به في غير مضرب ذات اليمين وذات اليسار وهو يرتجز ويقول :  
ما تنقم الحرب العوان مني  
بازل عامين حديث سني  
لمثل هذا ولدتي أُمي<sup>(١)</sup>

قال معاذ بن عمرو بن الجموح : سمعت القوم يقولون :

أبا الحكم لا يخلص إليه فلما سمعناها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني الله منه حملت عليه فضربته ضربة قطعت قدمه بنصف ساقه ، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهدي القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلني — يقصد يده — فلما آذنتي وضعت عليها قدمي وتمطيت بها عليها حتى طرحتها<sup>(٢)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق وابن الأثير ج ٢ ص ١٢٧ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨٧ .

أتسمعون يا أتباع محمد — يا أحفاد ابن الجموح؟..

أرايتم الجهاد في سبيل الله؟..

لقد تخلص من يده لأنها تعوقه عن أداء واجبه في المعركة... تخلص من عضو من أعضائه بطريقة لا يقدر عليها إلا أمثال هؤلاء الرجال.

لقد كان يكفيه ما فعل ، لقد قاتل أغلب يومه ، وأصيب بجراحة قطعت يده ، ولكن كلا.

حتى يفرق الله بين الحق والباطل..

وتعلمو كلمة التوحيد عالية خفاقة في أرجاء الأرض ، وهذا ما فعله هؤلاء الرجال ممن تربوا في مدرسة القرآن وانخرطوا تحت قيادة الرحمن.

ولنعد إلى أبي جهل..

ثم تبعه — وهو عقير — معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق ، وقاتل معوذ حتى قتل وانتهت المعركة الكبرى — المعركة التي شهدتها الملائكة وانتصر فيها جند الله.

وأمر الرسول ﷺ بالبحث عن عدو الله أبي جهل.

وقال لهم : « انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدهمت يوماً وأنا وهو على مآدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان ، وكنت أقوى منه ببسير فدفعته فوق علي ركبته ، فخدش في إحداهما خدشاً لم يزل أثره به » (١).

قال عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — فوجدته بآخر رمق فعرفته ، وقد كان خبث بي (٢) مرة بمكة ، فأذاني ولكرني ، فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت : لقد أخزأك الله يا عدو الله.

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٦ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٢) خبث بي : قبض عليه ولزمه ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨٧ .

فقال لي : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا روبي الغنم<sup>(١)</sup> .  
ثم احتزرت رأسه ، ثم جثت به رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس  
عبدو الله أبي جهل ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله .  
وفي رواية الإمام أحمد — رضي الله عنه — : قال رسول الله ﷺ « انطلق  
فأريته » .

فانطلقت فأريته فقال : هذا فرعون هذه الأمة<sup>(٢)</sup> .  
وقال الواقدي : وقف رسول الله ﷺ على مصرع ابن عفراء فقال : رحم الله  
ابني عفراء فيها شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر .  
فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معها؟  
قال : الملائكة وابن مسعود قد شارك في قتله<sup>(٣)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٣) رواه الإمام البيهقي .

## أسباب نزول الآيات

اجتمع زعماء قريش في دار الندوة ، وأرسلوا للرسول ﷺ فجاءهم سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ، ويعز عليه عنهم حتى جلس إليهم . فقالوا له أشياء وطلبوا أن يحقق لهم مطالب هي من اختصاص الله سبحانه وتعالى والتي ذكرها القرآن الكريم في قوله : ﴿ وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ... أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن يؤمن لرقبك حتى نترل علينا كتاباً نقرؤه .. قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ (١) ...

قال الرسول ﷺ : ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل .

ثم قام عنهم حزيناً كاسفاً لعدم هداية قومه .

عندها قال أبو جهل : يا معشر قريش .. إن محمداً قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ، وشتم آهتنا وإني أعاهدكم لأجلس له غداً بحجر ما أطيق حمله — أو كما قال — فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ، أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

(١) سورة الإسراء الآيات من ٩٠ : ٩٣ .

قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ...

وغدا رسول الله كما كان يغدو وكان الرسول بمكة قبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام الرسول ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أندبتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل .

فلما سجد الرسول ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى دنا منه .. رجع منهزماً ، ممتعاً لونه مرعوباً ، وقد يبست يده على حجرة ، حتى قذف من يده .

وقامت إليه رجال من قريش فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ ..

قال : قتت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط .. فهم بي أن يأكلني .

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

« ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه » (١) .

وروى النسوي بإسناده إلى أبي هريرة — رضي الله عنه — قال أبو جهل .. وذكر الحديث إلى قوله : فنكص أبو جهل على عقبيه ، فقالوا : ما لك ؟ .. فقال :

(١) الروض الأنف والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣ ، وراجع الطبري ، وعند الامام أحمد قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي لأطان على عنقه .. ورواه البخاري عن يحيى عن عبد الرزاق :

إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً شديداً فقال رسول الله ﷺ : لو دنا لاخطفته الملائكة عضواً عضواً<sup>(١)</sup> .

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فر به أبو جهل بن هشام فقال : «يا محمد.. ألم أنك عن هذا»؟ ..

وتوعده ...

فأغلظ له الرسول واتهره ...

فقال : يا محمد.. بأي شيء تهددني؟ .. أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً .

فنزل قوله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ، سندع الزبانية ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته .

وقال الإمام الترمذي : حسن صحيح .

وعن أبي هريرة قال : قال ابو جهل : هل يغفر محمد وجهه بين أظهركم؟ .. قالوا : نعم . فقال : والآلات والعزى لئن رأيتك يصلي كذلك لأطأن على رقبتك .

قال : فما جاءهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، وبتني يديه ، فقيل له : ما لك؟ .. فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة ..

(١) رواه الامام أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق داود ، وفي رواية أخرى للإمام أحمد بسنده عن عكرمة عن ابن عباس .

(٢) سورة العلق آية رقم ١٧ ، ١٨ .

فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً » (١) .  
فأنزل الله تعالى :

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إن إلى ربك الرجعى ، أرايت  
الذي ينهى عبداً إذا صلى ، أرايت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، أرايت إن  
كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة  
خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ (٢) .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري عن أبي هريرة ، ورواه الامام أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي خاتم والبيهقي من  
حديث معتمد بن سليمان .

(٢) سورة الملقن الآيات من ٦ : ١٩ .



## تذييل ...

لماذا حمل أبو جهل « عمرو بن هشام » لواء المعركة ضد الدعوة الوليدة؟ ... وما هي الدوافع وراء تشدده في محاربة المسلمين ، وتحريض قريش على التنكيل بضعفائهم؟ ...

أكان يرتاب في صدق محمد ﷺ ويشك فيما ينقله عن ربه؟ ... وكيف يكون ذلك ، وهو المشهور بينهم بالأمانة والصدق؟ ... أكون صادقاً مع الناس ، كاذباً على ربه؟ ... أم أن أبا جهل كان ينفس على محمد مكانته بين قومه ومحسده على ما حباه به ربه؟ ...

الحقيقة أن قصة أبي جهل مع الأخنس بن شريق وأبي سفيان بن حرب حين خرجوا ثلاث ليال يستمعون القرآن خفية من رسول الله ﷺ تلقي كثيراً من الأضواء على تلك النفسية المعقدة التي كان لها دورها الكبير في الصد عن دين الله والتنكيل بأتباعه .

يقول ابن هشام : « سأل الأخنس بن شريق أبا جهل رأيه فيما سمع من محمد من كلمات الوحي ، فأجابه أبو جهل بقوله : ماذا سمعت؟ ... تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثبنا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فنتى ندرك مثل هذه؟ ... والله لا تؤمن به أبداً ولا نصدقه ... »

أتكون الرغبة في الملك والصلحان ، والحرص على الجاه العريض والنفوذ الكبير داخل الجزيرة العربية ، هم الذين حالوا بين أبي جهل والاستماع إلى الوحي وأجابه داعي الله؟ ...

إن أبناء بني عبد مناف كانوا دائماً سباقين إلى معالي الأمور...

أطعموا الطعام ، وفكوا الأسير ، وأعانوا على نواب الدهر ، وكان منهم الرجال الأبطال والفرسان المغاوير ، الذين يتولون قيادة الجيش المحارب ، فيفتنون في عضد الأعداء ويعودون لقريش بالنصر والغنيمة .

وكان بنو أمية في الجانب الآخر يحاولون أن يلحقوا ببني عبد مناف في كل ما يأتون من خير أو يبتعدون عن شر ، ولم يحدث أن تقدموهم في شيء أو تفوقوا عليهم في ميدان ، وكان هذا يملأ قلوب بني أمية بالخفيظة والحسد ، ومع هذا كانوا يمتنون أنفسهم بيوم تكون لهم السيادة والقيادة على قريش وعلى بني عبد مناف على وجه الخصوص ... حتى جاء محمد ﷺ بالرسالة من ربه ، وأخذ في الدعوة إلى الله مبشراً بالدين الجديد ، وظنت عصابة الكفر أن هذا إنما هو شرف جديد يضاف إلى بني عبد مناف ، ومكرمة خاصة حياهم الله سبحانه وتعالى بها ، وأطلت من رؤوسهم روح العصية المنتنة والقبلية الحاقدة فأعلنوها حرباً على محمد وعلى أتباع محمد ، وتذكر أبو جهل المنافسة والغلبة فقال كلمته التي سجلها التاريخ : «فتى ندرك مثل هذه؟» ...

وإذا كان لأبي جهل دوره في الصدى عن الهدى ومحاولة طمس أنوار الحق ، وانتهى ذلك بقتله في غزوة بدر ... فإننا نجد في كل عصر ومصر «أبا جهل» الجديد .. نجده في مجال السياسة ، وفي ميدان الحروب ، وفي حقول التعليم ، وفي بيوت الطب ، وفي كل ميدان من ميادين الحياة .. ولقد شهد عصرنا الحديث بعض هؤلاء الجهلاء الذين تسلقوا إلى الحكم عن طريق الخاتلة والمكر ، أو الخيلة والدسيسة . وعندما تربعوا على قمة الحكم وسلمت لهم مقاليد ، استبدوا برأيهم ، وتحكروا في مصائر الشعوب وأقدارها .

إننا نقول لرجال التربية والتعليم على مستوى العالم الإسلامي والعربي : اتركوا هذا الزيف وترفعوا بأنفسكم وأبنائكم عن السطو على موائد الغير من شرق وغرب ، فإنها وُضعت لغيرنا.. وبالنسبة لنا لا تأتي بخير.

إن للقوم تقاليدهم وعاداتهم وأفكارهم ، ولا شك أنها تختلف وتتصادم مع تقاليدنا وعاداتنا وعقائدنا.

إذا كان لدينا كتاب الله فكيف نستجدي تشريعات الغير؟...

وإن كان بين أيدينا حديث الرسول ﷺ فكيف نحتاج إلى مناهج تربية أو قواعد اجتماع أو مبادئ اقتصاد أو مخطط لعلم النفس؟...

وإذا كان ذلك كذلك فعلام نستورد مناهج حياتنا من خلف الحدود والسهوب؟...

وإذا كانت أعماقنا مليئة بالكنوز فلماذا نتنظر زبد الغير؟...

أترى أن تجارنا عقمتم فلم تعد تنتج ، وصدت عقولنا فلم تعد تفكر؟... أم أن رصيدنا من المعرفة والحضارة قد استنفذ أغراضه فلم يعد يصلح للحياة؟...

الحقيقة أن تجارنا التي مدنت الدنيا وهذبت الحياة لا زالت ثرة زاخرة... وعقولنا التي حطت للبشرية طريقها ، ووضحت لها منهجها ، لم تصدأ بعد... وكتاب ربنا الذي قضى على الجاهلية الأولى — وجاء بالتوحيد الخالص والدين القيم .. لم يزل غضباً قادراً على إزالة الجاهلية الثانية ، والقضاء على بقايا الشرك والإلحاد والتعفن.

لنتى يا رب يأتي وعدك.. وتتخلص الأمة الإسلامية من أبي جهل وأتباع أبي جهل القرن العشرين الذي سيطر على أقدار البلاد والعباد؟..

متى يا رب؟...

أَبُو لَهَبٍ بِن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا  
كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ  
الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

صدق الله العظيم  
سورة المسد وهي خمس آيات

## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق رجال التفسير والحديث على أن هذه السورة نزلت في أبي هب. قال ذلك :

الإمام ابن كثير في تفسيره.

الإمام القرطبي

الإمام الفخر الرازي.

صاحب كتاب أسباب نزول القرآن (الإمام الواحدي).

المن هو أبو هب؟ ...

## أبو لهب بن عبد المطلب

يسمى عبد العزى بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة ، وإنما سمي « أبو لهب » لإشراق وجهه . وقد قيل : اسمه كنيته ، فكان أهله يسمونه « أبا لهب » لتلهب وجهه وحسنه ، فصرفهم الله عن أن يقولوا « أبو النور » و« أبو الضياء » الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى « لهب » الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو النار ، ثم حقق ذلك بأن جعلها مقرة<sup>(١)</sup> .  
وللعلماء في ذلك أربعة أوجه :

الأول — أنه كان اسمه عبد العزى ، والعزى صنم ، ولم يضيف الله — سبحانه وتعالى — العبودية في كتابه إلى صنم .

الثاني — أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه فصرح به .

الثالث — أن الاسم أشرف من الكنية فحطه الله عن الأشرف إلى الأنقص ، إذا لم يكن بد من الإخبار عنه ، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم ، ولم يكن عن أحد منهم .

الرابع — أن الله تعالى أراد أن يحقق نسبه فيدخله النار فيكون أبو لهب تحقيقاً للنسب ، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه .

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٣٦ .

وهو أحد أبناء عبد المطلب بن هاشم الذين وهبهم الله له عندما تضرع إليه أن يرزقه عشرة من البنين عندما اعترضت قريش طريقه في حفر زمزم وطلبت منه أن يشركها في ذلك .

وأمه آمنة بنت هاجر... بصمت التاريخ عن الحديث عنها أو رواية أخبارها<sup>(١)</sup> .

نشأ في مكة ، وعرف دروبها وعرفته ، وشارك والده في استقبال الحجيج الذين كانوا يقدون إلى مكة . وكان غليظ القلب ، جاف الطبع ، سريع الغضب ، لا يعرف الرحمة ولا يهتم بالمودة ، ولا تهزه الأريحية .

وكان جمهوري الصوت ، أحش النبرات ، يرفع عقيرته وسط الجبال المرتفعة فيتردد صداها بين الآفاق فيظن أن الأصوام راضية عنه معجبة به ، لهذا كان كثيراً ما يشاهد بينها متأملاً في أشكالها ، مزياً ما عليها من أتربة وأوساخ ، وكان لا يطيق البعد عنها أو الانفكاك من أسرها . وكان يشاهد كل صباح وهو يمسخ على أجسامها بيده ، وتلامس أنامله أحجارها الصلدة ، وأعضائها المتناسكة التراكب ، فإذا اطمان إليها ، ووقر في ذهنه أنها راضية عنه ، ركب راحلته واتجه صوب الوديان يستعمل رحمة وسهمه في اصطيد وحوشها الكاسرة ، وغزلانها النافرة ، وطيورها الهاربة . ثم يعود إلى بيته فيلقي ما جمعه في يومه . ويخرج إلى فناء الكعبة ليخوض مع قريش في أحاديثها وأسماها .

أما صفته الجسدية ، فكان طويلاً فارح الطول ، أبيض البشرة ، غزير الشعر ، أحول العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، فيه صرامة وقسوة ، تصطك أسنانه إذا تحدث ، وتجحظ عيناه إذا غضب .

وزوجه : أم جميل . واسمها : أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ .



سفيان<sup>(١)</sup> .. كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، آذت الرسول وأطلقت فيه لسانها بفحش القول ، وبذيء الكلام .. كرهت النور الجديد — نور الإسلام — وأخذت في الصد عنه ، ومحاربة أهله ، حتى نزل القرآن يخصها بالتهديد والوعيد .

وكان له من الولد : عتبة ، ومعتب .

عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما قال :  
لما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح قال لي : يا عباس أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لا أراهما؟ ..

قلت : يا رسول الله تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش .

فركبت إليهما فأتيتها ، فقلت : إن رسول الله ﷺ يدعوكما .

فركبا معي سريعين حتى قدما على الرسول ﷺ فأخذ بأيديهما وانطلق يمشي بينهما حتى أتى بهما الملتزم — وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود — فدعا ساعة ، ثم انصرف والسرور يرى في وجهه ، فقلت له : سرّك الله يا رسول الله؟ ..  
فإني أرى في وجهك السرور .

فقال الرسول ﷺ : نعم ، إني استوهبت ابني عمي هذين ربني فوهبها لي<sup>(٢)</sup> .

إنها صلة الرحم .. ومن يصلها إذا لم يصلها رسول الله ﷺ .

لقد وصل رحمه وأكرم قومه ، وعفا عن الذين أخرجوه من بين أهله وبلده ،  
وقال لهم كلمته المشهورة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »<sup>(٣)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٠ .

(٣) صحيح البخاري فتح مكة .

ولقد استجاب عتبة ومعتب لرسول الله ، فأسلما وحسن إسلامهما . وتحقق ما قاله الرسول ﷺ عندما نزل عليه جبريل يطلب منه أن يأذن له في إنزال العقاب على قومه .. بأن يحسف بهم الأرض أو يرسل عليهم العذاب من حيث لا يشعرون ، فقال الرسول ﷺ :

« يا جبريل ، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويصدق بمحمد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »<sup>(١)</sup> .

قال حمزة بن عتبة : فخرجا مع الرسول إلى حنين فشهدا غزوة حنين وثبتا مع رسول الله يومئذ فيمن ثبت من أهل بيته وأصحابه ، وأصيبت عين معتب يومئذ<sup>(٢)</sup> .

أما أبو لهب فكلم آذى الرسول وكلم أسمع ما يكره ، وكلم نال من سمعته ، وكلم وقف له في مكان يؤلب عليه الأطفال ، وينفر منه الكبار والصغار ..

يقول محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله ، قال :

سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول : إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمعة يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول : « يا بني فلان إني رسول الله إليكم .. آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصدقوني ، وتمنعوني حتى أبلغ عن الله ما بعثني به » . فإذا فرغ من مقاله قال الآخر من خلفه : « يا بني فلان .. هذا يريد منكم أن تسلكوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أفيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه » . فقلت لأبي : من هذا ؟ ... قال : عمه أبو لهب<sup>(٣)</sup> .

لم يكتف أن يظل على كفره وشركه ، وأن يبقى على ضلاله وحمقه ، ولكنه أبى

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٩٩ .

إلا أن يكون كذلك .. يتبع الرسول كظله يكذبه إن تكلم ، وينفر القبائل عنه إن دعا إلى الله ، ويقف له كل موقف ، ويبارك ما فعلته قريش من مقاطعة بني هاشم . ويؤيد هذه المقاطعة ويكون أكثر المتشددين فيها ، ويشارك في تعليق صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة .

ولما توفي أبو طالب وخديجة ، وكان بينهما خمسة أيام ، اجتمع على رسول الله مصيبتان ، ولزم بيته ، وأقلَّ الخروج . ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا هب ، فجاءه فقال : يا محمد امض لما أردت ، وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنعه .. واللوات .. لا يوصل إليك حتى أموت .

وفي يوم من الأيام سب ابن الغيطلة رسول الله ﷺ ، فأقبل إليه أبو هب ، فقال منه ، فولى يصيح : يا معشر قريش صبا أبو عتبة .

فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي هب ، فقال : ما فارقت دين عبد المطلب ولكني أمتع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد . فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم .

فكث رسول الله ﷺ كذلك أياماً ، يأتي ويذهب ، لا يعرض له أحد من قريش ، وهابوا أبا هب .

ولما رأت قريش أن محمداً أخذ يدعو لدينه ، لا يعترضه أحد ، فكر زعماءهم في إقناع أبي هب في البعد عن محمد ، فجاءه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وقالوا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ ..

فقال له أبو هب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ ..

فقال : مع قومه .

فخرج إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه .

فقالا : يزعم أنه في النار .

فقال : يا محمد... أبدأ عبد المطلب النار؟

فقال رسول الله ﷺ : ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار.

فقال أبو هب — لعنه الله — : والله لا برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار.

واشتد عند ذلك أبو هب وسائر قريش عليه (١).

وبهاجر الرسول الكريم ولم يكف أبو هب عن حربه للإسلام والمسلمين حتى كانت غزوة بدر، ونفرت قريش لحرب الرسول... ومن لم يستطع الخروج جهز من ينوب عنه في هذه المعركة. وكان أبو هب من هؤلاء الرجال الذين لم يخرجوا إلى بدر ولكنه أرسل العاصي بن هشام بن المغيرة (٢) ليحارب باسمه في أول معركة تدور رحاها بين عصبة الكفر وكتيبة الإيمان.

وكان أبو هب يجلس كل يوم في الكعبة يسأل الغادي والرائح عن أخبار المعركة.. حتى كان يوم عودة الفلول المنهزمة من رجالات قريش إلى مكة... قال زافع مولى رسول الله ﷺ :

كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل الأقداح (٣) أنحتها في حجرة زمزم.. فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو هب يجرّ رجله بشر حتى جلس على طنّب الحجر (٤) فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم.

قال : فقال له أبو هب : هلم إليّ فعندك لعمرى الخير.

(١) البداية والنهاية لابن كثير بتصرف ج ٣ ص ١٣٤.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩.

(٣) الأقداح جمع قده، وكان يضعها من الخشب.

(٤) طنّب الحجر طرفها، وطنّب الجباه حباله التي يشدّها بها.

قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرني ، كيف كان أمر الناس ؟ ..

قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فنحنأهم أكتافنا ، يضعون السلاح منا حيث شاؤوا ، ومع ذلك ما لت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، لا والله ما تبني منا شيئاً ، ولا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله والملائكة (١) .

قال : فرجع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة ، قال : وثأورته (٢) فاحتملني ، فضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً . فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فتأخذه وتقول : استضعفته أن غاب عنه سيده ، وتضربه بالعمود على رأسه فتشججه شجة منكرة ، فقام يجرّ رجله ذليلاً (٣) .

ذليلاً لهزيمة قومه هزيمة منكرة ...

ذليلاً لأن الله أبطل كيده وفلّ مكره ، وأدار الدائرة عليه ...

لقد هيا فرسه واختار له فارسه ، وأنفق ماله .. وانتظر أن يأتي له البشير بالنصر واندحار محمد وصحبه ...

ولكن هيات هيات .. لقد خسر كل شيء ولم يبق شيء ...

وصدق ربي في قوله :

﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلّبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ (٤) .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) ثأورته : وثبت عليه .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٣٧ . (٤) سورة الأنفال آية رقم ٣٦ .

## موت أبي هب

لم يلبث طويلاً أبو هب بعد أن سمع الأخبار عن غزوة بدر حتى رماه الله «بالعدسة»<sup>(١)</sup> فمات بها. وأقام ثلاثة أيام لم يدفن حتى أنتن.. ثم إن ولده غسلوه بالماء قدفاً من بعيد مخافة عدوى العدسة. وكانت قريش تتقيها كما يتقى الطاعون، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضخوا عليه الحجارة<sup>(٢)</sup>.

(١) العدسة: بثرة تخرج باليد تقتل. (القاموس المحيط).

(٢) جملوا الحجارة بعضها على بعض.

## أسباب نزول الآيات

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :  
لما نزل قوله تعالى : ﴿وانذر عشيرتک الأقربین﴾<sup>(١)</sup> دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ فقال : يا بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار ،  
يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم  
من النار ، يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم  
من النار ، يا فطيمة انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من النار شيئاً غير أن  
لكم رحماً ولا أغني عنكم من الله شيئاً .

وعن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿وانذر عشيرتک الأقربین﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه .  
فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ ...  
قال : محمد .

فاجتمعوا إليه .. فقال : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني فلان يا بني عبد  
مناف ، يا بني عبد المطلب .

فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل  
أكنتم مصدقي ؟ ...

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٤ .

قالوا : ما جربنا عليك كذباً .

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبأ لك ، أما جمعتنا إلا لهذا؟ ..

ثم قام فترلت هذه السورة : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ .

فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن .. أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وفي يدها فهر من حجارة . فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر .

فقالت : يا أبا بكر ، إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني .. والله لو وجدته لضربت بهذه الفهر فاه . ثم انصرفت .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك؟ ..

قال : ما رأيتي .. لقد أخذ الله بصرها عني .

وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مذمماً .. يسبون .

وكان يقول : ألا يعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد .

وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال : كان إذا وُفد على رسول الله ﷺ وفد انطلق إليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول الله ﷺ ويقولون له : أنت أعلم به منا ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر . فيرجعون عنه ولا يلقونه . فأتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه فتباً له وتعساً .

فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فاكتب لذلك ، فأنزل الله تعالى :

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ (١) .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٩ ص ٢٣٢ .. والآية الأولى من سورة المسد .



## تذييل ...

يتساءل الإنسان عن الأسباب الجوهرية التي دعت أبا هب لأن يقف في وجه الدعوة الوليدة... يحاربها بالكلمة مرة ويهاجمها بالعصية مرات ويجمع ضدها كل مخبول الفكر ناقص العقل مدخول الفؤاد.

أكان محمد كاذباً فيما قاله ودعا إليه؟..

إن أبا هب نفسه ينكر ذلك ، ويؤيد هذا القول ما يرويه الإمام الترمذي من أن أبا هب نفسه كان يقول : « يا محمد إني لا أقول إنك كاذب ، ولكن الأمر الذي تقوم بتبليغه باطل ».

والذي قاله أبو هب توصل إليه هرقل — أمبراطور الروم — عندما جرى حديث بينه وبين أبي سفيان .

قال هرقل : هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟  
قال أبو سفيان : لا .

وتساءل هرقل أيضاً : هل يغدر ؟

فقال أبو سفيان : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها .

فقال هرقل : قد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وإذا لم يكن محمد كاذباً فلماذا حاربه أبو لهب ، وألب قريشاً عليه ؟  
أكان يعتقد فيما أشاعته قريش عنه من اشتغاله بالكهانة أو أن به مساً من  
الجن ؟ ..

إن كتب التاريخ تقدم هذه الواقعة التي تدلّ على بطلان مزاعم قريش ،  
فتقول : لقد جاء إلى مكة رجل يسمى «ضام» من «أزد شنوءة» وكان يرقى من  
هذه الريح فقال : لو رأيت هذا الرجل لعلّ الله يشفيه على يدي . فدلّه بعضهم على  
بيته ، وعندما التقى به قال : يا محمد إني أرقى من هذه الريح وإن الله يشفي على  
يدي من يشاء فهل لك في ذلك ؟ ..

فقال رسول الله ﷺ : إن الحمد لله نحمده ونستعينه .. من يهده الله فلا مضلّ  
له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده  
ورسوله ، أما بعد ...

وقبل أن يتم رسول الله ﷺ حديثه قال «ضام» : أعد عليّ كلماتك هؤلاء  
فأعادها عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات . فقال : لقد سمعت قول الكهنة  
وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر  
(قرعه الأقصى) .

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يؤمن أبو لهب ؟ ..  
وما الذي جعله يعادي الهدى الجديد ؟ ..

أكان ينكر على محمد ما يقوله ، ويعتبره كبقية المعاندين المكابرين ضرباً من  
ضروب الشعر والرجز .

لقد سمع ليبيد بن ربيعة الشاعر العربي والشهير ببلاغة منطقته وفصاحة لسانه  
ورصانة شعره أن محمداً يتحدّى الناس بكلامه فصنع بعض الأبيات ردّاً على ما سمع  
وعلقها على باب الكعبة متحدياً بذلك أن يأتي غيره بمثل ما قال . وحين رأى أحد

المسلمين هذا الشعر المعلق على باب الكعبة أخذته العزة فكتب بعض آيات من القرآن الكريم وعلقها إلى جوار آيات لييد.

وفي اليوم التالي مرّ لييد بباب الكعبة ، ولم يكن قد أسلم بعد ، فأذهلته الآيات القرآنية حتى أنه صرخ من فوره قائلاً : « والله ما هذا بقول بشر وأنا من المسلمين » .  
إذن محمد لم يكن بالجنون وليس به مسّ من الجن وليس هو بالشاعر الذي يتقن الشعر ويجوده لأنه لم يكن في مقدوره مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وما علّمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (١)

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يصدق أبو لهب محمداً ﷺ فيما دعا إليه ؟ ..  
أكان يعتقد أن ما يقوله محمد ﷺ من قول الكهانة أو من خزعبلات السحرة ؟ ..

يقول النضر بن الحارث — وكان يعدّ من الخبراء المحنكين بمكة — لعصبة المعارضين لمحمد ودعوته الجديدة : « يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلم ساحر... لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونقنمهم وعقدتهم ... وقلم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخاليجهم وسمعنا سجعهم .. وقلم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها ، هزجه ورجزه ... وقلم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ... يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ... إن كبراء قريش لم يصدقوا أنفسهم لحظة وهم يقولون عن محمد ﷺ — الذي يعرفونه حق المعرفة — أنه ساحر مرة وكاذب

(١) سورة يس آية رقم ٦٩ .

أخرى ومجنون ثالثة... إنما كانت كل هذه الادعاءات أسلحة من أسلحة التضليل والتهويل وحرب الخداع التي يتقنها الكبراء... الكبراء في كل مكان وزمان، ويتخذونها ستاراً لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق الذي يتمثل في هذه العقيدة.

لقد كان أبو هب يقوم بدور يسمى في عصرنا الراهن بدور الرفض. أو إذا أردنا التجاوز في التعبير بدور الإعلام وما فيه من تضليل وأباطيل ليمشى مع سياسة الحاكم ويخدع المحكومين المغلوبين على أمرهم.

إنها الدعوة التي تخرج من أبراج السادة والأباطرة لتخدير الجماهير أن تطالب بحقوقها.

إنه الأسلوب الرخيص الذي يستعمله هؤلاء المتحكون في مصائر البلاد والعباد، ويطالبون الجماهير أن تلغي عقولها وتخدر إحساسها وتصدق ما تذيعه أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة.

لقد كان أبو هب ينتج سخاويات الرسول ويرصد حركاته، فإذا التقى الرسول ﷺ بوفد من الوفد أو مجموعة من الناس ودعاهم إلى الاسلام وحبب إليهم الايمان انبرى أبو هب ليشكك في الدعوة والداعية ويضلل هؤلاء الناس ويطالبهم بتصدقته باعتباره أقرب الناس إلى محمد رأ أكثرهم بصوقاً به ومعرفة بأحواله.

ليس هذا الأسلوب هو ما انتهجته وسائل الاعلام وأجهزة الدولة في كثير من البلاد الإسلامية في عصرنا الراهن؟.. فإذا قال المخلصون: نريد تطبيق شرع الله... اتهمهم بالخروج على القانون والتأمر على الحكم. وإذا قالوا نحن مسلمون... قالت وسائل الاعلام: أنتم رجمون متخلفون. ألا إنهم هم المتخلفون الذين يعيشون في أشد العهود ظلاماً ورجعية.

إن هذه الفئة الباغية من أحفاد أبي هب تضلّ وتضلّ وتعتقد أنها على الحق سائرة، وأتباعها يفترون أمام الأعداء كما يفرّ قطع الغنم من الذئب، ويقولون إن

ذلك جولة . وينهزمون في كل معاركهم ويسمون ذلك نكسة . ويسرقون أقوات العباد ومقدّراتهم ويهتكون أعراضهم ويسطون على عورات بيوتهم ويدعون أنهم شرفاء . ويفسدون في الأرض طويلاً وعرضاً ويقولون إنهم هم المصلحون : ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (١) .

إن أبا لهب الأول الذي صدّ عن سبيل الله ونكل بالضعفاء من المؤمنين لم يغن عنه ماله الوفير ولا كتزه الكبير ولا كل ما جمع وقدر .

لقد ساهم في مقاطعة بني هاشم ولكن الله سبحانه وتعالى أبطل كيده . وقدم ماله وخيله وجهّز جنده وحزبه لحرب محمد وصحبه ولكن الله سبحانه وتعالى فرّق جمعه وهزم حزبه وأعاد الدائرة عليه ، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأرسل عليه بعض عقابه فركبته الأمراض الحبيثة ، وحلّ به الداء الذي لا يعالج فنفر منه الولد وفرّ منه الخلق ونحاشاه الأهل ...

هذا في الدنيا .. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

فتى يعتبر كل أبي لهب جديد يكره النور ويقف في طريق الإصلاح والخير بما حلّ بأبي لهب الأول ...  
متى يا رب ؟ ...

(١) سورة البقرة آية رقم ١١ .

# كعب بن الأشرف

١٤٣٥ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحُبِّ  
وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى  
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ  
وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَحْدِلًا يُصِرًّا ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء آية رقم ٥١ ، ٥٢

## أقوال العلماء في نزول الآيات

اتفق العلماء على أنها نزلت في :

كعب بن الأشرف.

وحبي بن أخطب.

راجع الدر المنثور ج ٢ ص ١٧١

وانظر تفسير الطبري ج ٨ ص ٤٦٨.

وأيضاً أسباب نزول القرآن للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.

فمن هو كعب بن الأشرف؟....



## كعب بن الأشرف

تمهيد :

ظل اليهود أربعة عشر قرناً حرباً على الإسلام ومبادئه وتشريعاته منذ أن جاورهم الإسلام في المدينة .. من ذلك أنهم أرسلوا سهامهم المسمومة على الجماعة المسلمة الوليدة ، وأخذوا يشيعون الأكاذيب فيهم ، ويؤلبون المشركين من أهل الجزيرة العربية عليهم ، ويشجعون المنافقين ويرسمون مع زعيمهم عبد الله بن أبي طريق التَّيْل منهم .

ومن الأسلحة التي استعملها هؤلاء اليهود ودخلوا بها معركتهم الفاشلة ضد الإسلام وأهله .. تشكيكهم في الوحي والرسالة ، ومحاولتهم خلخلة المجتمع المسلم ، وتحالفهم مع الكفر وأهله على حرب الإسلام وجنده . والآيات السابقة تكشف عن دور من أدوارهم الخطيرة في الكيد والذس وتأليب المشركين على الكتيبة المسلمة .

وزعيم المؤامرة في هذه المرة : كعب بن الأشرف .

فمن هو كعب ؟ ...

وما حقيقة الدور الذي قام به حتى أنزل الله فيه قرآناً ؟ ...

تقول كتب السيرة : هو رجل من طيء<sup>(١)</sup> ، وأمه امرأة من بني النضير ، داهية

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٥ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣١ .

مدبرة ، جمعت له الأموال الطائلة ، وأدخرت له ما لا يحصى من الكنوز حتى أصبح أغنى اليهود بالمدينة .

وكان قبل الإسلام يهدد أهل يثرب ويتوعدهم بقرب ظهور نبي جديد ، فلما جاء الرسول ﷺ أضمر له الحقد والغلّ وتقول عليه ما لم يقله ، وأخذ يؤذي شعور المسلمين ويشيب بنسائهم وبناتهم ، وتمادى في ذلك حتى شبب بأم الفضل بنت الحارث (١)

وأخذت أشعاره تنتشر في الجزيرة العربية ، ورددتها الصبية والشباب ، وبدأت تشدق بها الأفواه المريضة والألسنة المسمومة .

ومن شعره في أم الفضل بنت الحارث :

أراحل أنت لم تحلل بمنقبة	وتشارك أم الفضل بالحرم
صفراء رائحة لو تعصر انعصرت	من ذي القوارير والحناء والكتم
يرتج ما بين كعبيها ومرفقها	إذا تأنت قياماً ثم لم تقم
أشبه أم حكيم إذ توصلنا	والحيل منها متين غير منجذم
إحدى بني عامر جنّ الفؤاد بها	ولو تشاء شفتُ كعباً من السقم
فرع النساء وفرع القوم والدها	أهل التجلة والإيقاء بالذم
لم أرَ شمساً بليل قبلها طلعت	حتى تجلّت لنا في ليلة الظلم (٢)

إن المسلم لا يأمن على نفسه ، ولا على عرضه من أمثال هذا اللسان السليط ...

إذن ما العمل ؟ ...

والمسلمون في هذا الوقت بالذات لا يريدون أن يشهروا سيوفهم في وجه هذا الحي من اليهود ، لأنهم لم يؤمروا بقتال ، وهم أيضاً لا يسكتون على هذا الضيم .

(١) المصدر السابق وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٨ .

وحمل بعض المسلمين أشعار كعب وسقطاته وفحشه إلى الرسول ﷺ ووضعها أمامه ، وتحمس المسلمون في مجلس الرسول ﷺ عندما سمعوا هذا اللغو من الكلام ، وتنادوا فيما بينهم إلى السلاح ، وخشي الرسول عليه السلام أن تعم الفتنة ، وتدور رحى المعركة بين المسلمين واليهود . فاستشار أصحابه في ذلك .. فأشاروا عليه بقتل بن الأشرف حتى تستقر القلوب وتهدأ النفوس ويقضى على الفتنة .

عندها قال الرسول ﷺ : مَنْ لكعب بن الأشرف (١) ؟ ...

قال محمد بن مسلمة : أنا لك به يا رسول الله . أنا أقتله .

قال عليه الصلاة والسلام : فافعل إن قدرت على ذلك (٢) .

قال محمد بن مسلمة ذلك استجابة لأمر الرسول ﷺ ولكنه بعد أن تدبر الأمر ، شعر بأنه تسرع في وعده ...

إن الأمور في حاجة إلى دراسة وتريث ... وكعب بن الأشرف يعيش في حصن منيع وحوله رجال أشداء ، وهو من الفوارس الشجعان ، وإلا لما أقدم على ما أقدم عليه من تحالفه مع قريش ونقض عهده مع رسول الله ﷺ .

وبقي محمد بن مسلمة ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وركبته المموم وتناوشته الأفكار السود من كل جانب .

لقد وعد الرسول ﷺ وعليه أن ينفذ ما وعد مهما كلفه ذلك من جهد ، حتى ولو كان في ذلك إزهاق روحه ، على شريطة أن يحقق وعد الرسول ﷺ ورغبة المسلمين .

ولحظ الصحابة ما يعانيه ابن مسلمة من ضجر وضيق وهم كبير فذكروا ذلك للرسول ﷺ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٦ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٤ ص ٥ .

(٢) المصدر السابق ، ورواية ابن كثير عن البخاري وتاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٨٩ . وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٢ .

فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟  
قال : يا رسول الله قلت قولاً لا أدري أي به أم لا ؟  
قال عليه الصلاة والسلام : إنما عليك الجهد<sup>(١)</sup> .  
قال ابن مسلمة : يا رسول الله ... إنه لا بد لنا أن نقول .  
قال الرسول عليه السلام : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك<sup>(٢)</sup> .  
يقول الإمام الطبري :

اجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلطان بن سلامة ، وكان أخاً لكعب من  
الرضاعة ، وعباد بن بشرين وقشن والحارث بن أوس بن معاذ<sup>(٣)</sup> .

وكان لا بد من وضع خطة لا تثير ضجيجاً ولا تدعو القوم إلى الالتحام ...

إن المقصود فقط في تلك الآونة كعب بن الأشرف ، فلا داعي لأن يقتل معه  
أحد ... والمسلمون حريصون على عدم إراقة الدماء ، وإزهاق الأرواح . واتفق  
الرجال على أن يرسلوا له أخاه من الرضاعة سلطان بن سلامة . وذهب إليه وتحدث  
معه ساعة وتناشدا شعراً ، وكان سلطان أيضاً يقول الشعر .

ثم قال له سلطان : ونحك يا ابن الأشرف ... إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها  
لك فآتم علي ما أقول .

قال كعب : أفعل .

قال سلطان : كان قدوم هذا الرجل — يعني الرسول عليه السلام — بلاء  
علينا ... عادتنا العرب ورمونا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٩ .

العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا<sup>(١)</sup> .

فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول<sup>(٢)</sup> .

فقال سلكان : إني أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك . وسكت كعب لحظة وأمسك بذقنه مفكراً ، وبعد برهة قال : ارهنوني نساءكم<sup>(٣)</sup> .

فضحك ابن سلكان وربت على كتف ابن الأشرف قائلاً له : كيف نزهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ ... قال : إذن ارهنوني أبناءكم .

وهنا اقترب منه ابن سلكان ، وكأنه يستعطفه قائلاً له : أتريد أن تفضحنا أمام العرب ، ويتحدثون عنا ويقولون : يرهنون أبناءهم ... وأنا لست وحدي ، إن معي أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ، ونزهنك السلاح والسلاح فيه وفاء لك .

وأراد ابن سلكان بذلك ألا ينكر كعب السلاح ، أو يخاف ، إذا ما جاؤوا به . فقال كعب : صدقت يا سلكان .. إن في السلاح لوفاء<sup>(٤)</sup> .

ورجع سلكان يسرع السير إلى أصحابه ويخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه .

يروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وسار

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٩ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٩٠ .

معهم الرسول إلى بقيع الفرقد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله .. اللهم أعينهم »<sup>(١)</sup> .

ثم رجع الرسول ﷺ إلى بيته في هذه الليلة المقمرة .

وسارت الكتيبة الصغيرة ، الكتيبة المؤمنة ، إلى وجهتها باسم الله ، حتى انتهوا إلى حصن بن الأشرف ، فهتف ابن سلكان ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته يريد النزول .

فأمسكت به زوجته ، وأرادت أن تمنعه من النزول قائلة له : إنك امرؤ محارب ، وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة<sup>(٢)</sup> .

فقال لها : إنه ابن سلكان أخي من الرضاعة ، ولو وجدني نائماً لما أيقظني .

قالت المرأة — وهي في رأيي قد تكون أصدق حدساً من الرجل — : والله إني لأعرف في صوته الشر .

قال كعب بصلف وكبرياء : إليك عني ، لو دعي الفتى لطعنة أجب<sup>(٣)</sup> .

ولما لم تجد زوجته من حيلة في منعه خلت بينه وبين النزول ، فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه .

إن الليلة مقمرة ، والسماء صافية ، ونسبات رخيمة تملأ الكون ، وكل ما حولهم يجرى بالسهر والمسامرة .

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٩٠ .

(٢) المصدر السابق وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣٤ .

(٣) المصدر السابق وتاريخ ابن هشام : لو دعي الفتى إلى طعنة .

فقالوا له : هل لك يا ابن الأشرف أن تماشي إلى شعب العجوز<sup>(١)</sup> حيث عيون الماء ، وخريرها العذب ، وأغصان الشجر التي تلامس صفحة مياهها ، فتتحدث بقية ليلتنا هذه؟ ...

قال : إن شئتم .

فخرجوا يتماشون ، ثم إن ابن سلكان وضع يده على شعر رأسه ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطر قط<sup>(٢)</sup> .

وكان ابن كعب مشهوراً بوضع العطور ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن كعب وأخذ كل منهم يطريه وهم يتحدثون عن عطره وطيبه . وفي المرة الثالثة أخذ ابن سلكان بشعر رأس ابن كعب ثم قال لأصحابه : اضربوا عدو الله<sup>(٣)</sup> . فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً ، وكاد أن يفلت عدو الله من أيديهم ، ولو فعل ما نجا منهم أحد .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت سكيناً في سيني حين رأيت أسيافاً لا تغني شيئاً ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعت في ثنودته<sup>(٤)</sup> ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله<sup>(٥)</sup> .

يقول عباد بن بشر :

صرخت به فلم يعرض لصوتي      ووافى طالعاً من رأس جدر  
فعدت له فقال من المنادي      فقلت أخوك عباد بن بشر  
وهذي درعنا رهناً فخذها      لشهر إن وفي أو نصف شهر

(١) الشعب : كل فرجة بين جبلين .

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ٧ .

(٣) البداية والنهاية ج ٤ ص ٨ .

(٤) ثنودته : ما بين السرة والعاة .

(٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٩ .

فقال معاشر سغبوا ورجعوا وما عدلوا الغنى من غير فقر  
فأقبل نحونا يهوي سريعاً وقال لنا لقد جتم بأمر  
وفي أيماننا بيض جداد مجردة بها الكفار نفري  
فعانقه ابن مسلمة المردى به الكفار كالليث الهزبر  
وشد بسيفه صلناً عليه فقطره أبو عيس بن جبر  
وكان الله سادسنا فأبنا بأنعم نعمة وأعز نصر  
وجاء برأسه نفر كرام هو ناهيك من صدق وبر<sup>(١)</sup>

ولكن الكتيبة المؤمنة لم تعد سالمة ، فقد أصيب أحد رجالها<sup>(٢)</sup> ، أصيب من  
أسيافهم . وحملوا صاحبهم عائدين إلى رسول الله ﷺ . وكان الليل أوشك أن  
ينتهي ، فوجدوا الرسول ﷺ قائماً يصلي<sup>(٣)</sup> ، فلما انتهى من صلاته خرج إليهم  
فأخبروه بقتل عدو الله .

وتناول عليه الصلاة والسلام جريحهم فمسح على جرحه ودعا له ، وتفرق كل  
منهم إلى منزله تشييعه عناية الله ودعوات الرسول الكريم .

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ .

(٢) الحارس بن أوس بن معاذ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٣٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٨ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٩١ .



## أسباب نزول الآيات

كانت موقعة بدر الكبرى حدثاً ضخماً من أحداث الدعوة الإسلامية حدثاً هز الجزيرة العربية وجعلها تعيد حساباتها مع قريش وأصحابها.

وكان كعب بن الأشرف يتنسم أخبار محمد وأصحابه في تلك المعركة.

وعندما فتح الله على المسلمين في تلك الغزوة أرسل الرسول ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشران بفتح الله عز وجل ، ويذكران أسماء القتلى من قريش ، ووصلت إلى أسماع كعب حقيقة ما حدث ببدر ، فلم يطق صبراً على ذلك وهرول إلى صاحبه ورفيقه في الكيد للمسلمين حبيبي بن أخطب قائلاً له : أتري أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان — يعني زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة — وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس؟ ...

وأجابه صاحبه بأنه حدث ما حدث ، ولكن ليس بالكثرة التي يقول بها الرجلان .

وهنا قال كعب : والله لئن محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا من ظهرها<sup>(١)</sup> .

واتفقا على أن يرسلوا رسولاً ليقف لهما على حقيقة ما حدث ، وما لبث أن جاءهما الخبر اليقين .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٦ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٨ .

يقول بعض المفسرين : خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة بدر ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ ، وتقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ .

فتزل كعب على أبي سفيان ، ونزلت اليهود في دور قريش<sup>(١)</sup> .

فقال أهل مكة : إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم ، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهدين الصنمين وآمن بهما ، فذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَنونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ثم قال كعب لأهل مكة : ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنضع أكبادنا بالكعبة ونعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد .

ففعّلوا ذلك .. فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب : إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ، ونحن أميون لا نعلم ، فأبنا أهدى طريق وأقرب إلى الحق الصريح .. أنحن أم محمد؟ ...

فقال كعب : اعرضوا عليّ دينكم .

فقال أبو سفيان : نحن ننحر للحجيج الكوماء ، ونسقيهم الماء ، ونقري الضيف ، ونفك العاني ، ونصل الرحم ، ونعمر بيت ربنا ، ونطوف به ، ونحن جميعاً أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه ، وقطع الرحم ، وفارق الحرم ، وديننا القديم ودين محمد الحديث<sup>(٣)</sup> .

فقال كعب : أتمم والله أهدى سبيلاً مما هو عليه<sup>(٤)</sup> .

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧١ وتفسير الطبري ج ٨ ص ٤٦٨ ، وأسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ١٤٩ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٥١ .

(٣) أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ١٤٩ .

(٤) المصدر السابق .

فأنزل الله تعالى :

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجحيت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن نجد له نصيراً ﴾<sup>(١)</sup> .

ونجحت سفارة كعب ، وأخذ وعداً من قريش بحرب محمد وعاد إلى المدينة ... عاد وهو منتفخ الأوداج ، حريص على مناوشة المسلمين ، والتبيل منهم ، وتسلسل رجل من أتباعه وألقى على مسامعه ما نزل به الوحي .

فقال كعب : « صدق الله .. والله ما حملني على ذلك إلا البغض والحسد »<sup>(٢)</sup> .

(١) سورة النساء الآية ٥١ — ٥٢ .

(٢) تفسير الطبري ج ٨ ص ٤٧ وأسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ١٥٠ .

## تذييل ...

كعب بن الأشرف الذي حَزَبَ الأحزاب ودعا إلى حرب الرسول ﷺ أحد أبناء اليهود.

واليهود قديماً وحديثاً لهم تاريخ أسود كالح بدل على خبث نفوسهم وحقد قلوبهم .. فهم الذين حَرَّفُوا الكتب السماوية ، وادعوا أنهم أبناء الله وشعبه المختار ، وتقولوا عليه ما لم يقله أو ينزل به وحيه ، وصوروه في صورة بشر يخطيء ويصيب ويبيكي على خطئه كما تبكي النساء ويلطم خديه ، ويلجأ إلى الحاخامات ليأخذ برأيهم ويستأنس بأفكارهم . وفي هذا يقول الرازي «مناحم» :

«إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء» .

أي إله هذا الذي يفعل ما يتقولون؟ ...

أهو الله سبحانه وتعالى الذي خلق السموات والأرض والظلام والنور وأوجد الحياة والموت والبعث والحساب ، وخلق الإنسان في أحسن تقويم ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؟ ...

محال أن يكون هو ... وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما إلههم الذي يخطيء ويصيب ، ويلطم خديه ، فهو الذي أوجدوه في مخيلتهم وصنعه بأيديهم على صورة عجل له خوار .

يقول تلمودهم : « إن تعاليم الخاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ، وقد وقع يومها الاختلاف بين الباري وعلماء اليهود في مسألة .. فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الخاخامات الرايين ، واضطر الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الخاخام المذكور » .

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ (١)

وتعالى الله عما يقولون .

وإذا كان الله في تلمود اليهود يخطيء ويصيب ، ويستعين بأضعف خلقه في تصحيح خطئه ، فهو أيضاً يلعب ويلهو ، ويسخر ويضحك .

يقول التلمود : « إن النهار اثنا عشرة ساعة ، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة . وفي الثلاث الثانية يحكم . وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك » .

إنه التخريف الكامل ، والسفه الكبير الذي لا يدانيه سفه آخر ..

أبلغت الوقاحة بهؤلاء الأراذل التطاول على الله سبحانه وتعالى ورميه بصفات لا يقبل الإنسان العادي أن يتصف بها؟ ...

ليس هذا فحسب ، ولكن ما داموا هم أبناء الله وشعبه المختار فهو يتألم لألمهم ويكيي لما حل بهم وينزل على نفسه بالحسرة لغضبه عليهم وتخريب هيكلمهم ، فصار يكيي . ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً : « تبأ لي لأني صرحت بحراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي » .

اليهود الذين رفضوا أوامر الأنبياء وقتلوا بعضهم ، وسخروا من الرسل ، وعملوا على إفساد البشرية ، وإشاعة الفحشاء والفجور .. هم أبناء الله؟ ...

الله الواحد الأحد .. الفرد الصمد .. الذي لم يلد ولم يولد ...

(١) سورة الكهف آية رقم ٥ .

يا عجباً لا ينتهي لهذه الفئة الباغية ...

من يصدقهم في دعواهم الباطلة إلا إذا كان محبواً مثلهم ، وهدفه كأهدافهم ،  
يعني من وراء ذلك التسلط والتجبر والإفساد في الأرض ، وتسخير خلق الله ...  
لقد زعمت بعض كتبهم أن «إسرائيل» سألت إله قائلًا : «لماذا خلقت خلقاً  
سوى شعبك المختار»؟ ...

فأجابه قائلًا : «لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا  
طاهرهم ، وتهدموا عامرهم» .

هذا هو مخططهم الذي وضعوه في التلمود وتواصوا فيما بينهم على تنفيذه بدقة  
ومهارة .

من ينكر ما فعله اليهود مع الرسول ﷺ ومع صحابته من بعده؟ ومع المسلمين  
فيما بعد ذلك؟ ...

إنهم وراء تأليب قريش على حرب المسلمين ...

ووراء مقتل عثمان وعلي وإشاعة الفتنة في أرض الاسلام ...

وهم الذين دبروا الوضع في الأحاديث النبوية ، وحشوا تفاسير القرآن الكريم  
بالإسرائيليات ...

وهم خلف كل المذاهب الباطلة والسرية من مانوية ومزدكية وباطنية في عصور  
الاسلام ...

وهم الذين أنشأوا المذاهب الهدامة والإلحادية من شيوعية وصهيونية وماسونية  
في العصر الحديث ...

يقول «بنيامين فرنكين» الزعيم الأمريكي محذراً من اليهود ومخططاتهم ومنبهاً لقومهم  
من أساليبهم وكيدهم :

« هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة الأمريكية .. هذا الخطر الكبير هو اليهودية ... ففي أي مكان حلّ فيه اليهود كانوا السبب في خنق القيم الأخلاقية ، والمحطات الأمانة التجارية ... »

إذا لم تمنعهم من دخول أمريكا بموجب الدستور ففي أقل من مائة عام سيتدفقون إلى هذه البلاد بأعداد هائلة إلى درجة أنهم سيحكمون ويحطمون نظام الحكم القائم الذي بذلنا نحن الشعب الأمريكي من دمنا وضحينا بأرواحنا وممتلكاتنا وحریتنا الشخصية في سبيل إقامته ...

إذا لم تمنع اليهود من الإقامة في أمريكا بموجب الدستور ، ففي خلال مائة سنة ، سيكون أطفالنا يعملون كخدم في الحقول ليظعموا اليهود ، بينما يجلس هؤلاء في بيوتهم يفركون أيديهم وهم يحصون ما ربحوا» .

فهل استجاب الشعب الأمريكي لهذا النداء؟ ... وهل وضعه موضع التنفيذ؟ ...

الحقیقة أن الخطر الداهم من وراء بقائهم في أمريكا جعلهم يفكرون كثيراً لإبعادهم عن بلادهم . وقدمت أمريكا العتاد والرجال والسلاح ، وكل ما تستطيعه من دعم ، لإقامة دولة لهم في فلسطين ... واستطاعت بذلك أن تبعد عن بلادها خطر الكثرة العددية والهجرات المتتابة ، ولكن بقي في داخلها النفوذ اليهودي والمخطط اليهودي الذي يتحكم في اقتصادياتها ويحرك سياستها ويطوع أجهزتها الإعلامية لصالح اليهود ومخططات اليهود .

وتحققت وصية تلمودهم الأولى التي تدعوهم ليركبوا ظهور الخلائق ...

لقد ركبوا ظهور الشعب الأمريكي بالتحكم في اقتصادياته ...

وركبوا ظهور الشعب الروسي بالتخطيط لثورته والقضاء على قياصرته وإقامة أعلام الإلحاد بين أبنائه ...

وركبوا ظهور الشعب العربي ، باستيلائهم على قطعة غالية من أرضه لتكون قاعدة لتحطيم قيم أبنائه وإنهاك اقتصادياته ونشر الشيوعية والفوضوية بين حكامه .  
أما الوصية الثانية ، وهي امتصاص الدماء ، فهي حقيقة لا تنكر ، وواقع لا يمكنهم الخلاص منه ... وقد جرت العادة أن يتولى هذه العملية الخاخام الأكبر ، وأنهم يعتقدون أن هذا الدم البشري تنمى لفروض طقوسهم الدينية .

يقول المؤرخ اليهودي الشهير المولود في سنة ٣٧ م . والمتوفى في روما سنة ٩٥ م . متكلماً عن أنطونيوخوس الرابع الملقب بأبي غان فاتح مدينة أورشليم والذي تبوأ تحت الملك سنة ١٧٤ قبل المسيح قال : « إن هذا الملك اليوناني لما دخل المدينة المقدسة وجد في إحدى محلات الهيكل رجلاً يونانياً ، كان اليهود قد ربطوه وسجنوه بمكان ، وكانوا يقدمون له أفخر المأكولات حتى يأتي يوم يخرجون به لإحدى الغابات حيث يذبحونه ويشربون من دمه ويأكلون شيئاً من لحمه ويحرقون باقيه وينثرون رماده بالفلاة . وكان هذا السجن لأجل أن يعملوا بشرية لا يجوز عندهم مخالفتها ، وهي أن يأخذوا في كل سنة يونانياً ، وبعد أن يطعموه أفخر المأكول ليسمن ، يعدمونه لإتمام الوصية»<sup>(١)</sup> .

إنهم اليهود الذين قال عنهم المسيح عليه السلام : « أعمى الرب عيونهم ، وقسى قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويفهموا بقلوبهم » .

وعرف طبيعتهم في حب الذهب والمال فقال لهم : « لا تعبدوا رين ، الله والمال » .

ولما يش من إصلاحهم وعودتهم إلى رحاب الايمان جابههم بحقيقتهم معرّباً ما فيهم من خبث ولؤم . فقال : « أتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تبغون أن تعملوها » .

(١) الكتر المرصود في قواعد التلمود ص ٢٢ .



وما قاله المسيح عليه السلام لم يخرج عما قاله رب العزة عنهم في القرآن : من  
قسوة قلوبهم ، وحقد نفوسهم ، ومحاولتهم الإفساد في الأرض .

قال تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد  
قسوة ﴾ (١)

وقال أيضاً : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن  
مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما  
كانوا يفعلون ﴾ (٢)

والآن ماذا فعل المسلمون ؟ ... وماذا أعدوا لخطر اليهود الذي يريد أن يدمر  
ويحرب ؟ ... ويفسد الشباب ويحطم الأخلاق ؟ ...

إن تلمودهم يجوز لهم القتل والبغي والسلب والنهب والظلم والعدوان في سبيل  
إسرائيل ومصلحة إسرائيل ، ويحضّ على تدمير كافة المؤسسات البشرية والقواعد  
الإنسانية والمبادئ الخلقية وكل ما تحمله الديانات من حب وخير وسلام ...

فهل تسكت البشرية كلها والإنسانية جمعاء على هذا الداء حتى يجرفها التيار  
ويلفها الطوفان ؟ ...

أين أحفاد الأبطال الذين أخرجوهم من خيبر وأبعدوهم عن الجزيرة العربية ...  
أين هم ؟ ...

لإني ألمحهم على الأفق مقبلين ...

(١) سورة البقرة آية رقم ٧٤ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٧٨ ، ٧٩ .

# أُمِّيَّةُ بِنِ خَلْفٍ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَيَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ① الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّدَهُ ②  
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④  
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ⑥  
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧  
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

صدق الله العظيم  
سورة الحمزة وهي تسع آيات

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض علماء التفسير وزجال السيرة: نزلت هذه الآيات في:  
أمية بن خلف...

قال ذلك الإمام القرطبي في تفسيره ج ٢ ص ١٨٣.

وقاله صاحب تفسير الخازن وتفسير البغوي ج ٧ ص ٢٤٠.

وقاله الفخر الرازي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هَمَزَةٍ

مُزْمَةٌ﴾. وقال ذلك أيضاً محمد بن إسحاق في سيرة ابن هشام.

وقال ابن كثير: نزلت في الأحنس بن شريق. وقيل غيره.

وقال مجاهد: هي عامة...

فمن هو أمية بن خلف؟...

## أمية بن خلف

والده وهب بن حذافة أحد الرجال الصناديد الذين عرفوا حلو الحياة ومرها ،  
والذي عاش حياته في جهد ونصب ، وجاب أقطار الأرض بتجارته وماله ، باحثاً  
عن الربح ومنقياً عن الثروة ، حتى أصبح من أكثر القرشيين مالاً وأربحهم تجارة .  
ورزقه الله بالعديد من الأبناء ، فأشركهم معه في تجارته ، ووجههم إلى أساليبها  
وطرقها ، ونشأهم على الشحّ وكتر المال .

وعندما تقدّمت به السن وأدركه الهرم ، وعجز عن الرحلة والترحال في أرجاء  
الأرض ، عكف على أصنام مكة وأوثانها ، يصلح معوجها ويقوم راقدها ، ويزيل  
ما علق بها من أوساخ وأتربة .

ثم ينتظر أفواج الحجيج الذين يقدون إلى الكعبة وهم يقدمون أموالهم ونذورهم  
بين يدي الأصنام حتى ترضى عنهم — كما كانوا يعتقدون — وتستجيب لما يتطلعون  
إليه من وفرة المال والولد .

في هذا الجو الذي ألغيت فيه العقول وسيطرت الخرافة على أفئدة الناس ، عاش  
أمية بن خلف ناعم البال هادئ النفس ينتظر مع بقية القرشيين كل عام آلاف  
البسطاء والجهلاء ، الذين يقطعون الفيافي والصحراء سعياً إلى الأوثان والأصنام  
وهم يحملون من كل الثمرات والغلات ما تقرّ به أعين السدنة من أمثاله .

وأحسن أمة بقيمة هذه الأصنام... فمن طريقها يأتيهم الرزق، وتجلب إليهم الخيرات بلا تعب أو مشقة، فهي إذن كثر من المال لا ينضب، ومورد رزق لا يفنى، وثروة يجب المحافظة عليها ولو كلفهم ذلك بذل المهج والأرواح؟...

واستمر الحال على ذلك حتى أراد الله سبحانه وتعالى للبشرية أن تتحرر من عبودية الأفراد إلى عبادة الواحد الأحد، وأن يتحرر العقل الإنساني من أغلال الوثنية والخرافة... فكانت بعثة الرسول ﷺ الذي دعاهم إلى التوحيد الخالص والخنيفة السمحاء، وطلبهم نبذ الأصنام والأوثان، لأنها لا تسمع ولا تعقل، ولا تنفع ولا تضر.

وأخذت دعوته ﷺ تجدها آذاناً صاغية وقلوباً واعية، ورجالاً أجابوا داعي الله.

عندها أحسن أمة بن خلف ومن كان على شاكلته من بقية السدنة أن الأرض تيمد من تحت أقدامهم، وأن سلطانهم إلى زوال، ومجدهم إلى هباء.. فوقفوا في وجه الدعوة الجديدة وصاحبها يعارضونه وينالون منه، ويصدون عن دعوته ويؤلبون القبائل عليه، ولا يكتفون بذلك بل يتهمونهم بالسحر مرة وبالجنون أخرى، وبالكهانة مرة ثالثة.

ولم يكن أمة بن خلف هو الوحيد من قبيلة «جمح» الذي وقف في وجه الرسول الكريم، بل كان أخوه أبنى بن خلف على شاكلته من طمس بصيرته وإغلاق قلبه.

وتحدثنا كتب السيرة أن أبي بن خلف عندما سمع الرسول ﷺ يتكلم عن بعث الأجسام لينال المحسن جزاء إحسانه والمنسيء عقاب إساءته، أخذ بيده عظماً بالياً قد تحطم وقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرم؟... ثم فته بيده، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله: نعم، أنا أقول ذلك.. يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هذا ثم يدخلك الله النار.

يقول الله سبحانه وتعالى مسجلاً هذه الواقعة :

﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم توقدون ، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ (١)

ولم يكف أبي بالخصومة في القول ، ولا بحرب الشائعات التي كان يشنها على الإسلام والمسلمين بل شارك أيضاً في الحروب التي قامت بها قريش ضد الرسول ﷺ وبقية الصف المسلم .

وفي غزوة أحد التي زلزل فيها المسلمون ، وتفرقت جموعهم ، واستشهد كثير من رجالهم وأصيب رسول الله ﷺ .. أقبل أبي بن خلف على الشيعب الذي يجلس فيه رسول الله وحوله جماعة من أصحابه وهو يقول : أين محمد؟ ... لا نجوت إن نجا ... فقال القوم : يا رسول الله ... أيعطف عليه رجل منا؟ ...

فقال رسول الله ﷺ : دعوه .

فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة قلب منها عن فرسه مراراً . ومات عدو الله وهم قافلون به إلى مكة ... هذا هو أبي شقيق أمية بن خلف .. أما عن أبنائه ، فلقد كانوا على شاكلة أيهم من بغض للدعوة الجديدة ، وصدّ عن سبيل الله .

ومن هؤلاء الأبناء صفوان بن أمية ، الذي هرب من الجيش الإسلامي يوم فتح مكة .

ويصوّر حسّان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ فرغ قريش وفرار رجالها وشبابها ، ومنهم صفوان بن أمية ، بقوله :

(١) سورة يس آية رقم ٧٨ - ٨١ .

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه  
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمعمه  
ثم رجع صفوان إلى النبي ﷺ بعد أن أخذ له الأمان من رسول الله عمير بن  
وهب.

وشهد صفوان حيناً والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة .. أسلمت يوم الفتح  
واستعاره رسول الله ﷺ سلاحاً.

فقال صفوان: طوعاً أو كرهاً؟ ...

فقال الرسول ﷺ: بل طوعاً، غارية مضمونة. فأعاره.

ولما انتهت معركة حنين أعطاه رسول الله ﷺ من الغنائم فأكثر.

فقال صفوان: أشهد بالله ما طابت بهذه إلا نفس نبي ...

فأسلم وأقام بمكة.

ومن أبناء أمية أيضاً ربيعة بن أمية، أسلم عام الفتح .. وكان قد رأى رؤيا  
فقصها على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال:

«رأيت كأني في وادٍ معشب ثم خرجت منه إلى وادٍ مجدب ثم انتهت وأنا في  
الوادي المجدب».

فقال عمر: تؤمن ثم تكفر ثم تموت وأنت كافر.

فقال ربيعة: ما رأيت شيئاً.

فقال عمر: قضي لك كما قضي لصاحبي يوسف، قالوا ما رأينا شيئاً.

فقال يوسف عليه السلام: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ (١).

ثم إنه شرب خمراً فضربه عمر بن الخطاب الحد، ونفاه إلى خيبر، فلحق

(١) سورة يوسف آية رقم ٤١.



بأرض الروم فتنصر. فلما ولي عثمان بعث إليه قاصداً أبا الأعور السلمي . فقال له :  
إزجع إلى دينك وبلدك ، واحفظ نسبك وقرابتك من رسول الله ﷺ ، واغسل ما  
أنت فيه بالإسلام... فأبى ، ومات هناك .

وإذا ذُكر بلال بن رباح الصحابي الجليل ذُكر معه أمية بن خلف ، لقد كان  
بلال أحد الأرقاء الذين يملكهم عدو الله .. ولقد استجاب بلال لدعوة الإسلام  
وامتلاً قلبه بنور الإيمان . وهذا ما كان يجعل أمية بن خلف يفقد عقله ، ويتجرّد من  
آدميته ، ويتحول إلى وحش ضارٍ ويتناول بلالاً إذا حميت الظهرية فيطرحة فيها على  
ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له :  
لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .

فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل  
يُمرّ به وهو يعدّب بذلك وهو يقول : أحد أحد .  
فيقول : أحد أحد والله يا بلال .

ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول : أحلف  
بالله لئن قتلتموه على هذا لاأخذنه حناناً (١) .

حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً ، وهم يصنعون ذلك به ،  
وكانت دار أبي بكر في بني جمح ، فقال لأمية بن خلف :

« ألا تبتى الله في هذا المسكين؟... حتى متى؟... »

قال : أنت الذي أفسدته ، فانقذه مما ترى ...

فقال أبو بكر : افعل ... عندي غلام أسود أجلد منه ، وأقوى على دينك ..  
أعطيكه به .

(١) ... رحمة أنترك به والوذ بجواره .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فأعطاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه (١) .  
وتحرر بلال ، وصدع بكلمة الحق ، وأقبل الناس على الدين الجديد ، وضافت  
دار ابن أبي الأرقم بكثرة الوافدين الملبين .

وأكل الغيظ قلب أمية بن خلف وقلوب الغافلين عن دين الله .. وضافت بهم  
السبل وهم يرون أن معسكر الإسلام يكسب كل يوم جديداً ومعسكرهم يتناقص  
رويداً رويداً ...

حتى كان يوم وأمие بن خلف يجلس في نادي قومه ومعه أخوه أبي بن خلف  
وعتبة بن ربيعة ، وكان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد وحده ، فقال عتبة لأمية  
ابن خلف وأخيه : ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها  
فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ...

فقال أمية : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي .. إنك منا  
حيث قد علمت من المنزل في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك  
بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ، وعبت به آهتهم ودينهم ،  
وكفرت به من مضي من آباتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك  
تبل منها بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا . جمعنا لك من  
أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٠ .

نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال : أقد فرغت يا أبا الوليد؟؟ ...

قال : نعم .

قال : فاستمع مني .

قال : أفعل .

فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ (١)

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها . وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ... فلما جلس إليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائي أتي سمعت قولاً ... والله ما سمعت مثله قط ... والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي وتخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله لئلا يكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فلكم ملككم وعزّه عزكم وكنتم أسعد الناس به .

(١) سورة فصلت آية رقم ١-٥ .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .

قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم ..

وماذا تستطيع قريش أن تفعل ؟ ... وهل في مقدورها أن توقف مد الإسلام ؟ ... أو أن تحول بين الناس وبين الدخول فيه ؟ ...  
إن ذلك محال ..

لقد أخذ الإسلام يقشو بمكة ويدخله الرجال والنساء ، وتسامعت به القبائل المجاورة ، فجاءت فرادى وجماعات لتنهل من هذا النبع الحديد . واستطاع الضعفاء من المسلمين أن يفرّوا بدينهم إلى الحبشة ، حيث العز والمنعة والأمن والاطمئنان بجوار ملك كريم دخل نور الإيمان إلى قلبه وكشفت بصيرته أنوار الحق فاهتدت به .

وأسقط في يد أمية بن خلف ومن معه من صناديد قريش ... ترى ماذا يفعلون ؟ ... ودعوة محمد لا تقف عند حدّ ، وأتباعه لا يبألون بالوعد والوعيد ؟ ... إذن لا بدّ من اتباع خطة جديدة مع محمد ، علّها تبقى على ما لهم من مكانة وما تبقى في أيديهم من عزّ وصورحان .

وتوجّه أمية بن خلف إلى محمد ﷺ يرافقه في ذلك الأسود بن عبد المطلب ، والوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل السهمي . وقالوا له : يا محمد ، هلمّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر .. فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه .

فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي ديني ﴾ (١)

(١) سورة الكافرون .

وفشلت كل الحيل التي سلكتها عصابة الكفر لإيقاف النور الجديد ، وفلت كل الأسلحة فلم تعد تفيد... إذن هناك طريق واحد هو الذي يوقف هذه المعركة ، ويريجهم من محمد ودعوته .. طريق رسمه الشيطان لهم بمهارة ودبره لهم بليل ، ألا وهو الخلاص من محمد بقتله وضياح دمه بين القبائل .. عندها جمعوا جموعهم ، وأعدوا أسلحتهم واتجهوا إلى دار محمد ﷺ ينتظرون خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد .

يقول ابن إسحاق : وأمياً بن خلف أحد الذين باتوا حول بيت الرسول ﷺ ، ولكن خاب كيدهم ، وبطل مكرهم ، وخرج رسول الله ﷺ وهم جلوس على الباب ، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرّها على رؤوسهم ويتلو قوله تعالى : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ (١) .

ومضى رسول الله ﷺ وهم نيام... حتى مرّ عليهم رجل منهم ، فقال لهم : ما تنتظرون؟... قالوا : محمداً .

قال : خبتم وخسرتم.. قد والله مرّ بكم وذر على رؤوسكم التراب .

قالوا : والله ما أبصرناه... وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم...

لقد خابوا الخيبة الكبيرة ، وخسروا الدنيا والآخرة... وطمس الله على قلوبهم ، فلم ترّ النور ، وغفا على أفئدتهم ، فلم تنبض بمعرفة ، لأنهم أتباع الشيطان ، وأصحاب البهتان ، وضیوف جهنم .

(١) سورة يس آية رقم ١٠ .

## مقتل أمية بن خلف

قال عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة، وكان اسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟...

فأقول: نعم.

قال: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف. وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه.

فقلت له: يا أبا علي اجعل ما شئت.

قال: فأنت عبد الإله.

قلت: نعم.

فكنت إذا مررت به قال: يا عبد الله... فأجيبه فأحدث معه.

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو آخذ بيده، ومعي أدرع قد استلبتها فأنا أحملها. فلما رأي قال: يا عبد عمرو.. فلم أجبه.

فقال: يا عبد الإله.

فقلت : نعم .

قال : هل لك في؟ ... فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك .

قلت : نعم ها الله ... فطرح الأدرع من يدي ، وأخذت بيده ، ويده ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كالיום قط ، ثم خرجت أمشي بهما .

فقال لي وأنا بينه وبين ابنه آخذُ بأيديهما : يا عبد الله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟ ...

قلت : حمزة .

قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؟ ... وما إن انتهى من كلامه إذ رآه بلال معي .. وقصته مع بلال معروفة بمكة .

فلما رآه قال رأس الكفر أمية بن خلف : لا نجوت إن نجأ .

قلت : أي بلال أسيري؟ ...

قال : لا نجوت إن نجأ .

ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله .. رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجأ ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

فأنا أذب عنه ، إذ دخل علينا رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثله قط .

قلت : انج بنفسك ولا نجأ ، فوالله ما أغني عنك شيئاً .

فبهروهما بأسيا فهم حتى فرغوا منها . فكان عبد الله يقول : يرحم الله بلالاً ، فجعني بأدراعي وبأسيري<sup>(١)</sup> .

سقط رأس الكفر وجدلته السيوف المؤمنة .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٨٦ .

وتحقق وعد الله لرسوله ، ونصر المسلمين نصراً مؤزرًا .  
وفرت فلول الكفر إلى مكة تاركة خلفها جثث قتلاها وأسلايهم ..  
وارتفع صوت المؤمنين بالتكبير والتهليل على ماء بدر ، ورددت جنات الوادي  
معهم دعاءهم الصادق وابتهالاتهم الفياضة وشكرهم لربهم واعترافهم بفضله  
عليهم .

لا إله إلا الله .. صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .  
لا إله إلا الله .. ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ...  
عندها أمر الرسول ﷺ بالقتل أن يطرحوا في القلب فطرحوا فيه . إلا ما كان  
من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه ففلاها ، فذهبوا ليحركوه ، فتزاييل لحمه ،  
فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . ثم وقف عليهم رسول الله ﷺ  
فقال :

« يا أهل القلب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبه بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ،  
ويا أبا جهل بن هشام — فعدد من كان قتل منهم — هل وجدتم ما وعد ربكم  
حقاً؟ ... فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » .

فقال المسلمون : يا رسول الله أتنادي قوماً قد جفوا؟ ...  
قال : ما أتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني (١) .  
صدق رسول الله ﷺ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٠ .



## أسباب نزول الآيات

أمية بن خلف أحد الرجال الذين وقفوا يصدون الناس عن الدخول في الإسلام ، ويصبون جام غضبهم على أتباعه ، وينالون من الرسول ﷺ . ويكاد لا يخلو موقف من المواقف التي فكرت فيها قريش من ايداء رسول الله ﷺ إلا وكان أمية بن خلف أحد المخططين لذلك والمدبرين له ، والمحاربين لله ولرسوله بالقول والفعل .

ويكاد المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية يرى أن أمية بن خلف كان دائماً وراء الشائعات التي أذاعتها قريش بغية التشكيك في الرسول والرسالة ، والتي حكى القرآن الكريم بعضاً منها ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَذَكَرْ عَلَيْهِ مِنْ يَمِينِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشِيرٌ ﴾<sup>(١)</sup> .

وكان أيضاً وراء أمانتهم الباطلة ، وترهاتهم الفاسدة ، التي لا تقف عند حد ، ولا تنتهي عند غاية .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(٢)</sup> .

وكيف يتم ذلك والقرآن الكريم لم ينزل على هذه الأمة ليكون كتاباً « للاهوت »

(١) سورة القمر آية رقم ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٣٢ .

أو نظرية للجدل والمناقشة ، وإنما كان أولاً وأخيراً لتربية هذه الأمة ، وإعدادها لتحمّل هذا الدين إلى البشرية قاطبة ، فكان لا بد من نزوله منجماً حتى تستوعبه النفوس ، لينظم حياتها ويوجه سلوكها ، ويربي عقلها .

وتعجبوا كيف ينزل القرآن على محمد اليتيم الفقير .. أما كان الأولى أن ينزل على رجل عظيم يملك المال والجاه .. وكأنهم بذلك يشرعون لصاحب التشريع ، ويخططون لمخالف الخلق ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ومن يصلح لها .

قال تعالى حاكياً أوهامهم : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (١) .

ووراء المطالب المتعنتة التي كانت قريش تطلبها من الرسول ﷺ ، ويحكيا القرآن أيضاً عنهم قال تعالى :

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ (٢) .

وكان أمية بن خلف يجلس في نادي قومه مع أبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وبقية الكافرين ، فإذا مرّ بهم رسول الله ﷺ ، غمزوه ، وهمزوه ، واستهزأوا به ، وكان ذلك يؤدي الرسول عليه السلام ويؤله ، فأنزل الله تعالى :

﴿ ولقد استهزئ برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ (٣) .

فكان الرسول ﷺ يصبر ويتحمّل ما يرمونه به ، ويعتبر بمن سبقه من الرسل . وهو واثق من ربه سبحانه وتعالى ومن رعايته ، وأن هؤلاء المستهزئين سيكون لهم يوم

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨ - ٩ .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٤١ .

قريب .. أسوة بما فعل الله سبحانه وتعالى بالجبارين السابقين الذين استهزأوا برسولهم  
ونالوا منهم .. والقرآن الكريم بصور لنا الكثير من مصارع هؤلاء الكافرين .

لقد استهزىء بنبي الله نوح عليه السلام فعاقب الله الكافرين من قومه  
بالطوفان ... قال تعالى مصوراً حال نوح مع قومه :

﴿ فدعاريه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً  
فالتقي الماء على أمر قد قدر ﴾ (١) .

واستهزىء بنبي الله هود عليه السلام فعاقب الله المستهزئين بالرياح الشديدة  
والبلاء النازل .. قال تعالى مصوراً مصارع عاد :

﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تتزعج الناس كأنهم أعجاز  
نخل مقعر ﴾ (٢) .

واستهزىء بنبي الله صالح عليه السلام : ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى  
عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ (٣) .

حتى جاء محمد ﷺ ولم يكن بدعاً من الرسل .. فكان المنتظر أن يكون له  
أعداء .. أعداء من الذين يخافون على ملكهم أن يزول ، وعلى صولجانهم أن يبطل ،  
وعلى مجدهم أن يذهب ...

أعداء من الذين طمس على قلوبهم ، فلم تعرف هدى .. ولم تنبض برحمة ، ولم  
تستمع إلى إيمان ...

واستمر الإيذاء والاستهزاء من هؤلاء وهؤلاء ما دام الرسول عليه السلام يسفه  
أحلامهم ، ويسخر من عقولهم ، ويبطل آلهتهم ، وكان لا بد من وضع نهاية لهذا

(١) سورة القمر آية رقم ١٠ - ١٢

(٢) سورة القمر آية رقم ١٩ - ٢١

(٣) سورة الحجر آية رقم ٨٣

كله ، فعاجلهم الله بالعقوبة ، ونزل قول الله تعالى بالبشرى على قلب نبيه ، وحاسماً  
لهذه القضية .. قضية المستهزئين ..

قال تعالى :

﴿ إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون ﴾<sup>(١)</sup>

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٥

## تذييل ...

إن أمية بن خلف كما صورته هذه الصورة.. هو الإنسان اللئيم الذي لا يقف لثومه عند حد، والصغير في عقله، والصغير في نفسه، والذي يؤتبه الله المال والولد، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويضاعف له الربح والخيرات، فيسيطر المال على نفسه، حتى ما يطبق نفسه ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة.. والمال في حقيقة الأمر ليس قيمة ولكنه زينة في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى:

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾<sup>(١)</sup>

وما دام المال في نظر أمية بن خلف — ومن هو على شاكلته — قيمة.. فلا بد من المحافظة عليه بكل طريق، ولتهون أمامه جميع القيم وجميع الأقدار.. أقدار الناس وأقدار المعاني وأقدار الحقائق. وأنه، وقد ملك المال، فقد ملك كرامات الناس وأقدارهم بلا حساب.

بل يصور الوهم لبعض الناس أن هذا المال إله قادر على كل شيء لا يعجز عن فعل شيء.. وهؤلاء الذين تسيطر المادة على حياتهم ولا تجعل لهم مندوحة من الوقت يتطلعون الى السماء.

إن أموال العالم كله لتعجز عجزاً كبيراً أن تدخل السرور على قلب طفل يتيم فقد والديه.. أو تصنع الابتسامة الصادقة على شفثيه..

(١) سورة الكهف الآية ٤٦.

وماذا تفعل كنوز الأرض لمن خلق مشوهاً في جسمه وخلقته ، أو فقد ذراعه أو قدمه؟ ... أيمن أن يسد المال مسد العضو الطبيعي .. أو أن يقوم مقامه؟ .. ولكن هؤلاء الذين هم خزائن المال يحسبون أن هذا المال إله قادر على كل شيء .. لا يعجز عن فعل شيء ، حتى دفع الموت وتخليد الحياة ودفع قضاء الله وحسابه وجزائه .. إن كان هناك ، في نظرهم حساب وجزاء .

ومن ثم تراهم ينطلقون في هوس بهذا المال .. يعدونه ويعاودون عدّه ، ويستلثون بهذا العمل ، ومن ثم يصابون بنفخة فاجرة تدفعهم إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم ولزهم وهمزهم — بصيرهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته — سواء بحكاية حركاتهم ، أو بتحقيق صفاتهم ، وسمايتهم .. بالقول والإشارة ، بالغمز واللمز .. باللفتة الساخرة ، والحركة الهازئة ... وهي صورة لثيمة ، حقيرة ، من صور النفوس البشرية ، حين تخلو من المروءة وتعرى من الإيمان .. والإسلام يكره هذه الصورة الهابطة من صور النفوس بحكم ترقعه الأخلاقي .

إن مائدة القرآن تتضمن الكثير من أدب الإسلام ، الإسلام الذي جاء خاتم الأديان السماوية إلى البشرية كلها بعد أن اكتمل نضجها العقلي والنفسي ، وما أجدر أبناء الإسلام في القرن العشرين أن يأخذوا أنفسهم به .

إن هذا الدين هو الحق الواضح ، ومن آمن به عليه أن يسلك طريقه ، ويتبع نهجه حتى يعود للأمة الإسلامية مجدها ويحقق الله لها عزها وسلطانها .

يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ينصر من يشاء ..

عقبة بن أبي معيط

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ

عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِسَنِي أَنْتَ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾

يَتَوَلَّيْتَنِي لِيَتَنِي لِمَ أَنْتَ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي

عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

خَدُولًا ﴿٢٩﴾

صدق الله العظيم

سورة الفرقان الآية ٢٧ — ٢٨ — ٢٩



## أقوال العلماء في نزول الآيات

- قال بعض رجال التفسير: نزلت هذه الآية في: عقبة بن معيط .  
قال ذلك الإمام الطبري في تفسيره ج ١٩ ص ٦ .  
وقاله البغوي ج ٥ ص ٨٢ .  
وقاله صاحب كتاب أسباب نزول القرآن الإمام الواحدي ص ٣٤٧ .  
لمن هو عقبة بن أبي معيط؟ ...

## عقبة بن أبي معيط

والده : أبو معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس .

يكنى أبا الوليد نسبة لابنه الوليد بن عقبة الذي نزل فيه قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنية فبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ (١) .

وزوجته : أروى بنت كريز بن ربيعة والدة عثمان بن عفان — رضي الله عنه — وابنته أم كلثوم بنت عقبة عرف الاسلام طريقه الى قلبها مبكراً ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وقرت بدينها إلى يثرب .

ويتفق رجال السير على أنها أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد صلح الحديبية وفيها نزل قول الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ﴾ (٢) .

وعندما علم أخوها الوليد بهجرتها أقسم ليأتين بها مها كلفه ذلك من مشقة وجهد ، فخرج هو وأخوه عمارة بن عقبة إلى المدينة ، حتى قدما على الرسول ﷺ

(١) سورة الحجرات الآية ٦ .

(٢) سورة المنتحة الآية ١٠ .

وطلباً منه أن يدفع اليها أختها تنفيذاً للمهد الذي كان بينه وبين قريش في صلح الحديبية.

ولكن الرسول ﷺ ردهما رداً كريماً وقال لهما :  
«أبى الله ذلك» (١).

وكان عقبة من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ وعداوة له وللمسلمين. عمد إلى مكثل فجعل فيه (عذرة) وجعله على باب رسول الله ﷺ فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه أروى بنت عبد المطلب فأخذ المكثل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه .

فشكاه عقبة إلى أمه وقال : قد صار ابنك ينصر محمداً .  
فقلت : ومن أولى به منا؟ .. أموالنا وأنفسنا دون محمد .

فهل ارتدع عقبة عما هو فيه من غي .. وترك ما فيه من ضلال؟ ..  
الحقيقة أن عقبة استمر على ذلك وقتاً طويلاً .. ووقائع التاريخ تثبت ذلك .  
قال عمرو بن العاص :

« حضرت قريش يوماً بالحجر فذكروا النبي ﷺ وما نال منهم وصبرهم عليه ،  
فبينما هم كذلك إذ طلع النبي ﷺ ومشى حتى استلم الركن . ثم مر بهم طائفاً  
فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها  
ثم الثالثة .

فقال : أسمعون يا معشر قريش؟ ..

«والذي نفس محمد بيده لقد جثتكم بالذبح» .

قال : فكأنما على رؤوسهم الطير واقع ، وانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٣١ .

الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه .

فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا؟ ..  
فيقول : أنا الذي أقول ذلك .

فأخذ عقبة بن معيط بردائه . وقام أبو بكر الصديق دونه يقول — وهو يبكي —  
« وبلکم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله »<sup>(١)</sup> .

ثم انصرفوا عنه .

وضافت قريش بمحمد ودعوته ، ودعت إلى اجتماع عاجل في دار الندوة وذهب إلى هذا الاجتماع النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط .

ولما تم اجتماعهم قال النضر بن الحارث :

« يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلم : ساحر . لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدتهم .

وقلمت : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم .

وقلمت : شاعر . لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٧٩ ورواه البخاري عن عروة بن الزبير ورواه البيهقي عن الحاكم . ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٥١ .

وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بحنقه ولا وسوسته ولا تخليطه .

يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم<sup>(١)</sup> .  
إن ما قاله النضر هو الحق الذي لم تستطع قريش أن تعترف به .. إنها تعرف محمداً حق المعرفة .

تعرف محمداً الأمين الذي لم تعرف عنه خيانة قط .  
تعرف محمداً الصادق الذي لم يُجرب عليه كذب مطلقاً .  
تعرف ما يقوله محمد ... وتستمع إليه وتميل نحوه بقلوبها وترفضه بشفاهاها .  
إن ما يقوله محمد ليس بالسحر .  
وما أتى به ليس بالكهانة .  
وما ينادي به من مبادئ لا يصدر من مجنون ..

ثم اعترف بحقيقة عداوة قريش وأسبابها وهو الأمر العظيم الذي يقض على سلطان قريش ، ويقوض ملكها ولا يجعل لها الزعامة على سائر العرب وهذا ما تخشاه قريش ولا تتحمله .

ولما وصل النضر بن الحارث إلى هذه الحقيقة .. قال له زعماء دار النثوة انذهب أنت وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة : وسلاهم عن محمد . وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرج عقبة وصاحبه النضر حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله . وقالوا لهم :

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٩ .

.. إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقلت لها أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فرؤا فيه رأيكم :

( ١ ) سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

( ٢ ) وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ ..

( ٣ ) وسلوه عن الروح ما هي ؟ ..

فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

وأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط فقالا :

« يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ﷺ .. قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم .

وجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول .

وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها .

وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ ..

فقال لهم رسول الله ﷺ :

« أخبركم بما سألتهم عنه غداً » (١) .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ ، رواه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٥٨ وذكره في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الإسراء آية ٨٥ .

قال ذلك رسول الله ﷺ — ولم يستثن — فانصرفوا عنه . فكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا :

« وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا نخبرنا بشيء مما سألتاه عنه . »

وحزن رسول الله ﷺ ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف والروح .

.. جاء جبريل عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ :

« لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظناً .. » .

فقال جبريل :

﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ﴾<sup>(١)</sup> .

ونزل قول الله تعالى يحدثهم عن الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول بقوله تعالى : ﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾<sup>(٢)</sup> .

إلى قوله تعالى :

﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت

(١) سورة مريم آية ٦٤ .

(٢) سورة الكهف الآية ١٠ — ١١ .

وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ، ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ﴿١﴾ .

وجاء قول الله تعالى عن الرجل الذي كان طوافاً إلى مشارق الأرض ومغاربها بقوله :

﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴿٢﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴿٣﴾ .

وجاء قول الله تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴿٤﴾ .

فهل آمنت قريش عندما جاءها محمد بالحق؟ .

هل حكّموا عقولهم وتركوا أصنامهم وما هم عليه من ضلال؟

الحقيقة أنها استمرت في غيها وضلالها ، والسخرية من أتباع الدعوة الجديدة وغضبهم أموالهم وممتلكاتهم .. حتى أمر الرسول ﷺ أتباعه بالهجرة إلى يثرب .

واستقر المهاجرون بجوار الأنصار في أكرم جوار .. مما زاد في حق قريش وإيغار

(١) سورة الكهف الآية ٢٣ — ٢٥ .

(٢) سورة الكهف الآية ٨٣ — ٨٦ .

(٣) سورة الكهف الآية ٩٨ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥ .



صدرها .. الأمر الذي جعلها تنتظر الفرصة لتتال من محمد وأصحابه حتى كان يوم  
استيقظت قريش فيه على صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن  
الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول :  
يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة .

أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها .  
الغوث الغوث<sup>(١)</sup> .

وتجهز الناس سراعاً وقالوا :

« أبظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؟ .. كلا والله ليعلمن غير  
ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً . ولم يتخلف من  
أشرافها أحد .

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العاصي بن هشام بن  
المغيرة ، وكان أمية بن خلف أجمع القعود — وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً فأتاه عقبه  
ابن أبي معيط — وهو جالس في المسجد بين ظهرائي قومه بمجمرة يحملها فيها نار  
ومجمر حتى وضعها بين يديه ثم قال :

« يا أبا علي .. استجمر فإنما أنت من النساء !! »

قال : قبحك الله وقبح ما جئت به . ثم تجهز فخرج مع الناس .

.. خرج عقبه إلى قتال المسلمين بعد أن حرّض الرجال والشباب والشيوخ على  
حرب محمد .

ولم يغادر مكة إلا بعد أن تأكد أن كل بيوتات قريش قد تمثلت في هذا الجيش  
الذي خرج لحرب محمد — إما بالرجال أو المال أو السلاح . وسارت قريش حتى  
التقت بجيش المسلمين بالقرب من ماء بدر .

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٧ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٧ .

ولكن الحجاب بن المنذر بن الجموح قال :  
يا رسول الله ، أ رأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر  
عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ .

قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من  
القوم فنزله ثم نفسد ما وراءه من القليب ثم نبني على حوضاً فتملؤه ماء ثم نقاتل  
القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي .

ونهض رسول الله ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل  
عليه . ثم أمر بالقلب فأفسدت . وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملء  
ماء (١) .

ودارت المعركة وانتصر فيها المسلمون نصراً مؤزرًا ..

وقتل من عصابة الكفر : أبو جهل ، الحكم بن هشام . وأميه بن خلف وشيبة  
ابن ربيعة ، وأخوه عتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة وآخرون .  
وأسر منهم مجموعة كبيرة . على رأسهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط .  
أما النضر فقتله علي بن أبي طالب .

وأما عقبة فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري .

ويقال : ان عقبة قال للرسول ﷺ :

أقتلني يا محمد من بين قريش ؟ .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٩ ، والبنية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٣ .

قال : نعم ، لأنك يهودي من أصل صفورية<sup>(١)</sup> .  
ثم التفت الرسول ﷺ وقال : أتدرون ما صنع بي هذا؟  
« جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي ، وغمزها فما رفعها حتى  
ظننت أن عيني ستخرجان .  
وجاء مرة أخرى بسلاشاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد ، فجاءت فاطمة فغسلته  
عن رأسي»<sup>(٢)</sup> .  
... لقد نال عقبة جزاءه في الدنيا .

عندما جرت رأسه بالسيف بأمر رسول الله ﷺ . وأما في الآخرة فقره جهنم  
وبئس المصير مع الفئة الباغية الطاغية التي جلدت بسياطها ظهور الأبرياء...  
وصبت جام غضبها على المؤمنين الأنقياء فتى يعي كل طاغية أن له نهاية كنهاية  
هؤلاء؟

متى يا رب؟

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٦ ، والبدية والنهاية ج ٣ ص ٣٣٦ .  
(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣٦ والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ .

## أسباب نزول الآيات

قال ابن عباس — رضي الله عنه — في رواية عطاء الخراساني كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ ويجالسه ، ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به ، فزجره عقبة ابن أبي معيط من ذلك فترلت هذه الآية .

وقال الشعبي : وكان عقبة خليلاً لأمية بن خلف — فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً وكفرت وارتدّ رضى لأمية فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية :

وقال آخرون : إن أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متحالفين ، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ :

« ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » .  
فقال عقبة :

« أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

فأكل رسول الله ﷺ من طعامه .

وكان أبي بن خلف غائباً ، فلما أخبر بقصته قال ، صبأت يا عقبة ؟

فقال : والله ما صنأت ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له ، فاستحيت أن يخرج من بيتي ولم يطعم ، فشهدت له وطعم . فقال أبي : « ما أنا بالذي أرضى عنك أبداً إلا أن تأتيه فتبصق في وجهه ، وتطأ على عنقه ففعل ذلك عقبة . فأخذ رجم دابة فألقاها بين كتفيه .

فقال رسول الله ﷺ :

لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف . فقتل عقبة يوم بدر صبراً<sup>(١)</sup> .

وأما أبي فقتله رسول الله ﷺ يوم أحد في المباراة فأنزل الله تعالى فيها : ﴿ ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) راجع تفسير الطبري ج ١٩ ص ٦ وكتاب أسباب نزول القرآن للإمام الواحدي ص ٣٤٧ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٧ .

## تذييل ...

.. لماذا لم يؤمن أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن أبي معيط وبقية الصناديد من أهل قريش؟ ...

إن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم سيكونون حطب جهنم ، ومن هنا طمس الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم فعاشوا في ظلام الجهل ، وترهات الضلال . وليس هؤلاء فقط هم الذين ينكرون الواحد الأحد الفرد الصمد . وإنما على مدار التاريخ أمثال هؤلاء يكابرون في الحق ويركبون رؤوسهم ، وينكرون كل ما وراء الغيب وتنحصر معلوماتهم في المشاهد أمامهم — المجسم أمام أعينهم ، وما دام الله سبحانه وتعالى لا يرى بأبصارهم ولا تلمسه أيديهم — فهو غير موجود عندهم — وأن هذا الكون العريض وما فيه من أرض وسماء ، ونجوم وكواكب وبحار وأنهار هو من صنع الطبيعة الخالقة أو الصدفة القادرة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وهؤلاء وأولئك أحب أن أسير وإياهم إلى رحلة متأنية إلى الزمان القديم الموغل في القدم .. لعلّ الله يهديهم أو يجعل لهم من أمرهم رشداً ، فنقول :

تعالوا يا من رفضتم الغيب وما وراءه .. وأنكرتم الخالق العظيم ، فإذا كنتم لا تملون كثيراً إلى تصديق الرسل والأنبياء وما جاءوا به من عند الله سبحانه وتعالى .. فإنكم لا تنكرون التاريخ ووقائعه .. وما تقدمه لكم سجلاته من حفريات منقوشة أو آثار موضوعة .. أو أوراق مكتوبة .

تعالوا سوياً نتابع إبراهيم عليه السلام وهو يبحث السير في جوف الصحراء حيث يترك ابنه إسماعيل مع أمه في هذا العدم القاتل ووسط الصحراء القاحلة ، حيث لا ماء فيها ولا زرع ولا نبات ولا ضرع .

ولكن إبراهيم عليه السلام هذا العبد الفاني الضعيف قبل أن يترك هذا المكان استطاع أن يتصل بالخالق القادر .. أن يتصل بربه عندما رفع أكف الضراعة متجهاً إلى مولاه بقوله :

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (١)

فاستجاب له ربه ، وكيف لا وهو القاتل :

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (٢) .  
واتصلت الأرض بالسماء . وإذا بالصحراء القاحلة تتفجر ماء ، وإذا بالأرض الجرداء تتحول إلى جنة وارفة الظلال ، وإذا بالآلاف المؤلفة تتجه إلى تلك البقعة المباركة .

مَنْ الذي فعل ذلك ؟ ..

مَنْ الذي أنقذ الطفل وأمّه من هذا العدم القاتل ؟ ..

مَنْ الذي فجر الماء من قلب الصخر ؟ ..

أهي الطبيعة كما يقول « دارون » اليهودي وأتباعه ؟ ..

أهي الصدفة كما يدعي الوجوديون وأنصارهم ؟ ..

أم هو الله سبحانه وتعالى كما يعتقد المؤمنون وأتباع الرسالات ؟ ..

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

وليحفظ كل منا برأيه إلى أجل . ولنعد مرة أخرى إلى الزمان القديم الموغل في القدم ، ولنترك مكة وشعابها ، ولنعد إلى مصر — مصر الفرعونية — التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم فرعون وكان له عزة وصولجان حتى قال لشعبه ورعيته : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(١)</sup>

ولقد أراد فرعون لأسباب يحفظها التاريخ ولا يجهلها أحد أن ينكل ببني إسرائيل وقرر أن يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ، وفعل ذلك ونفذ مخططه في كل الأبناء الذكور ، ولكن طفلاً واحداً ألقته أمه في اليم .

قال تعالى :

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾<sup>(٢)</sup> .

واستجابت الأم لأمر ربها .. ونفذت ما أمرها به .

وقذفت بالطفل إلى البحر .

قذفت به في رأياها إلى الموت المحقق .. والهلاك المؤبد .

قذفت به إلى حيث أمواج البحر الطاغية ، ووحوشه المفترسة .

وقالت الأم لأخت موسى : انظري أخاك .. ماذا يكون مصيره .. وماذا

سيحدث له ؟ ..

قال تعالى حاكياً قولها :

﴿وقالت لأخته قصِّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾<sup>(٣)</sup>

(١) سورة النازعات الآية ٢٤ .

(٢) سورة القصص الآية ٧ .

(٣) سورة القصص الآية ١١ .



وأخذ تابوت الطفل بصراع الموج الهائج والبحر المضطرب ، حتى ألقت به  
موجة إلى قصر فرعون .

لقد أرادت أمه أن تبعده عن عين فرعون ، وعيون جواسيسه ، ولكنه ذهب  
إليه وتربى في قصره ، وبقيّة الحادثة معروفة .

ولنا أن نتساءل سوياً :

مَنْ الذي أوحى إلى أم موسى أن تقذف بفلذة كبدها في جوف البحر؟ ..

مَنْ الذي جعل تابوت الطفل يتجه مباشرة إلى قصر الجلاّد؟ ..

مَنْ الذي أوحى للطفل أن يرفض كل المراضع حتى يرد إلى أمه؟ ..

مَنْ الذي أدخل في قلب الطاغية الرحمة حتى قبل أن يرثي الطفل ويرعاه؟ ..

أهي الطبيعة كما يدّعي « دارون » اليهودي وأتباعه؟ ..

أهي الصدفة كما يقول الوجوديون وأنصارهم؟ ..

أم هو الله سبحانه وتعالى كما يعتقد المؤمنون وأتباع الرسل؟ ..

ولنحتفظ بالإجابة مؤقتاً مرة أخرى .

ولنعد مرة ثالثة إلى عمق التاريخ .. حتى نصل إلى مريم ابنة عمران التي وهبتها  
أمها لخدمة المعبد وكفلها زكريا .

قال تعالى :

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا

قالت هو من عند الله ﴾ (١)

مريم التي حملت بغير الطريق المتبع في الحمل . وولدت طفلها فكان أعجوبة

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

الأعاجيب ، ونطق وتكلم — في المهد — وأخرس السنة الأفاكين والمتقولين بالباطل ، وبما ليس لديهم من علم .

وتساءل : من أين جاء الرزق مريم؟ ..

ومنَ كان يأتيها بفاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف؟ ..

كيف حملت مريم دون أن يمسهَا بشر؟ ..

من الذي أنطق عيسى بكلمة الحق وهو طفل في المهد؟ ..

قال تعالى :

﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريباً ، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ، فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جننت شيئاً فرياً ، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً ، فأشارت إليه قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبياً ، قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ (١) .

أهي الطبيعة؟ ..

أهي الصدفة؟ ..

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذباً ﴾ (٢) .

إنه الله سبحانه وتعالى — هو الذي فعل هذه الأشياء وأوجدها ، وهو العليم بكل شيء ، الخبير بكل صغيرة وكبيرة . ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ (٣) .

(١) سورة مريم الآيات من ٢٢ — ٣٠ .

(٢) سورة الكهف الآية ٥ .

(٣) سورة الجن الآية ٢٦ — ٢٧ .

عَامِرُ بْنُ الطَّفَيْلِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ

جَهَرَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾

لَهُ ، مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يُحَفِّظُونَهُ ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ

دُونِهِ ، مِنْ وَاٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا

وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ ،

وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

صدق الله العظيم

سورة الرعد الآيات ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة .

- قال ذلك الطبري في تفسيره ج ١٣ ص ٨٠ — ٨٤ — ٨٥  
وقاله ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٥٠٦  
وقاله الإمام القرطبي ج ٩ ص ٣٩٦  
وذكره صاحب الدر المنثور ج ٤ ص ٥٢  
وذكره مختصراً في تفسير البغوي والخازن ج ٤ ص ٩  
وذكره صاحب أسباب نزول القرآن الإمام الواحدي ص ٢٧٦

فمن هو عامر بن الطفيل؟ ..

## عامر بن الطفيل

ذئب عاش في الفلاة كما تعيش الذئاب .  
ووحش آدمي لا يرتوي إلا بالدماء .. ورجل غليظ الكبد متحجر القلب لا  
يعرف الرحمة ، ولا يدري ما الشفقة أو الحنان .

انه عامر بن الطفيل : الذي فتح عينيه عل القتل والسلب .. وعاش طفولته  
وشبابه .. بين الكهوف والمغارات .

وكانت أولى المعارك التي خاضها عامر بن الطفيل معركة « فيف الريح » ومن  
أخبارها أن بني الحارث إحدى قبائل نجد كان لها ثارات كثيرة عند بني عامر فجمع  
بنو الحارث جموعهم .. واستنفروا القبائل من حولهم — وساروا يريدون بني عامر  
وكان بنو عامر في ذلك الوقت يقيمون في مكان يسمى « فيف الريح » ومعهم النساء  
والذراري .

فلما علم عامر بن الطفيل بمسير القوم أشار على قومه بالمسير إليهم وقال :  
« أرجو أن نأخذ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم » (١) .  
واستمع قومه إليه ، وأجابوه إلى طلبه ، وساروا إليهم .

(١) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٣٣ .

فلما دنوا من بني الحارث تواعدوا على القتال : واقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام وأوشك بنو عامر أن يهزموا .

ولكن عامر بن الطفيل سار إلى بني نعيم يستنفرهم على القتال معهم .. فلما وصل إليهم أخذ يصيح :

يا صباحاه ! يا نعيمه ! ولا نعيم لي بعد اليوم ! فخرجوا معه .. فقتوت نفوس بني عامر وأخذ عامر يتعهد الناس فيقول :

« يا فلان ما رأيتك فعلت شيئاً ، فمن أبلي فليزني سيفه أو رمحه ، ومن لم يُبل شيئاً تقدم فأبلي .

فكان كل من أبلي بلاء حسناً أتاه فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه . وانتصر بنو عامر . وقبل أن تنتهي المعركة .. تقدم رجل من بني حارث إلى عامر ابن الطفيل ، فقال له : يا أبا علي انظر ما صنعت بالقوم انظر إلى رمحي . فلما أقبل عليه عامر لينظر إليه وجأ بالرمح في وجنته ففلقها وفقاً عينه وترك رمحه وعاد إلى قومه .

ولكن عامراً لم يمت ، ولم تؤثر فيه تلك الجراحات (١) .

وزادته تلك الحادثة بغضاً على الناس وحقداً عليهم ، لأنها شوّهت خلقته وذهبت بإحدى عينيه .. وتحول من يومها .. إلى وحش كاسر .. السلامة تمرضه والهدوء يقلقه ، ولا يستريح نفساً ولا يهدأ بالاً إلا على صهيل الخيل وسط المعركة ، وقرعات السيوف فوق رقاب العباد .

فإن دعي إلى سلام أفسده .

وإن طلب منه صلح رفضه .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٣٤ .

ومن خلفه مجموعة من الشباب يحبون الزهو ويفتخرون بمجدلة الأبطال ومقارعة الشجعان . ولكن الغرور يردي ويصم . والعاقل .. من عرف أقدار الرجال ، واستعدّ لنكبات الزمان . ثم ماذا؟ ..

لقد مضى وقت على انتصار عامر على بني الحارث وأغراه النصر .. وفكر في أن يفزوا غيرهم فاتجه مع رجاله هذه المرة إلى بني مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع بن ذئب .

والتقى بهم في وادي الرقم فاقتلوا قتالاً شديداً وأقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها : من أنت ؟ ..

فقالت : أنا أسماء بنت نوفل الفزاري .

وبينا عامر يسألها .. خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة في أعقابهم ، فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه إلى أسماء وولى منهزماً وتبعهم مرة وعليهم سنان بن حارثة وجعل الأشجعيون يذبجون كل من أسروه من بني عامر<sup>(١)</sup> .

وانهزم الذئب الآدمي .

وفرّ كما يفرّ الثعلب الجبان إذا رأى مجموعة من الكلاب توشك أن تلحق به .

وولّى الأدبار لا يلوي على شيء .. وترك خلفه قومه بين قتيل وجريح طعاماً للنسور والصقور ، وغذاءً للضبعة والأسود .. !!

لقد كانت هزيمة بني عامر هزيمة منكرة .. وما كادت تلتئم الجراح ، حتى فكر عامر بن الطفيل في أن يأخذ بثأره .

فجمع جموعه .. وجهز أسلحته .. وأوصى قومه وسار يريد غطفان .. وفي الطريق إلى غطفان التقى بنو عامر ببني عبس وذبيان ، فأغاروا على أنعامهم وإبلهم فأخذوها وعادوا متوجهين إلى بلادهم .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٤٢ .



لقد خرجوا يريدون ثأرهم من غطفان ، ولكنهم وجدوا في طريقهم هذه الخيرات لقوم لم يشتركوا في قتال وليست بينهم ثارات أو خصومة . ومع ذلك تركوا المهمة الأساسية التي خرجوا من أجلها وعادوا بهذا الحطام المتعفن وتحولوا من أبطال محاربين إلى لصوص مغيرين .

وعند عودتهم إلى بلادهم ضلوا الطريق فسلكوا وادي التناء فأمعنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره ، وكاد الجبلان يلتقيان إذا هم بامرأة من بني عبس .

فسألوها عن المطع ؟ ...

فقلت لهم : الفوارس المطع .

وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ولم يرها بنو عامر لأنهم في الوادي فأرسلوا رجلاً إلى أعلى الجبل ينظر فقال لهم :

أرى قوماً كأنهم الصبيان على متون الخيل ، أسنة رماحهم عند آذان خيلهم .  
قالوا : تلك فزارة .

قال : وأرى قوماً أيضاً جماداً كأن عليهم ثياباً حمراً .

قالوا : تلك أشجع .

قال : وأرى قوماً نسوراً قد قلعوا خيولهم بسوادهم كأنما يحملونها حملاً بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها .

قالوا : تلك عبس ، آتاكم الموت الزؤام ولحقهم الطلب .

فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ، واقتتل الناس وانهمزت بنو عامر وقتل منهم مقتلة عظيمة<sup>(١)</sup> .

(١) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٦٤٧ .

إن عامر بن الطفيل لا يجيد فن الحرب . ولا يتحلّى بشرف الفارس المحارب ...  
إنه يتقن فقط فن الخداع والمكر...

يجيد أخذ الناس على غرة ..

لم يكتسب من أخلاق الصحراء شيئاً ، فهو دائماً خادع مراوغ ، لا يتحلّى بخلق  
ولا يتصف بجرأة .. وهذه الحادثة التي بين أيدينا تدل دلالة قاطعة على صفة هذا  
الرجل الذي عاش إلى آخر رمق من حياته .. غادراً فاجراً يلغي في الدماء وينهش  
لحوم البشر.

لقد قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ  
فعرض عليه رسول الله الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ، ولم يبتعد عن الإسلام .  
وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك  
رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال رسول الله ﷺ :

«إني أخشى عليهم أهل نجد»<sup>(١)</sup> .

قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعو الناس إلى أمرك .

بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعد في أربعين رجلاً من  
أصحابه من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهي أرض بني عامر وحرّة بني سليم — كلا  
البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب .

فلما نزلوا بها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن  
الطفيل .

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٧١ .

فلما أتاه الكتاب : لم ينظر فيه ، ولم يهتم بما جاء به .. وتمادى في غيّه وجبروته فقتل الرجل .

قتل رسول الله ﷺ وهذا أفحش شيء يمكن أن يأتي به رجل — لأن الرسل لا تقتل مهما كان بين القوم من خصومة — وهذا القانون هو عام بين الدول قديماً وحديثاً .

ولكن عامراً بن الطفيل لا يدين بقانون ولا يلتزم بعرف .

ولم يكتف بذلك بل استصرخ عليهم بني عامر . فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا لن نقض عهد أبي براء . وقد عقد لهم عقداً وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم ، فأجابوه إلى ذلك .

وخرجوا حتى التقوا بالقوم فأحاطوا بهم في رحلم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم يرحمهم الله .

إلا كعب بن زيد أخا بني دينار ، فإنهم تركوه وبه زمق وعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً .

وكان خلف القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو ابن عوف . فلم ينبثها بمصاب أصحابها إلا الطير تحوم على المكان .

فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دماثهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة .

فقال الأنصاري لعمرو بن أمية ما ترى ؟

قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر .

فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عامر . ثم قاتل القوم حتى قتل (١) .

وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل . وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بمكان يسمى «القرقرة» أقبل رجلاً من بني عامر . حتى نزلا معه في ظل هو فيه .

وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية . وقد سألها حين نزلا : ممن أنتما؟ .

فقالا : من بني عامر فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر قال رسول الله ﷺ : «لقد قتلت قتيلين لأدينهما» .

ثم قال رسول الله ﷺ : «هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً» (٢) .

ويتساءل المرء بعد مضي أربعة عشر قرناً من الزمان : لماذا قُتل أصحاب الرسول ﷺ على هذه الصورة البشعة؟ ..

إنهم لم يخرجوا من ديارهم لقتال أحد ، أو الاعتداء على إنسان ، وأيضاً لم يطلبوا من أحد مغنماً أو مالاً .

ولكنهم خرجوا لأشرف مهمة عرفتها البشرية في تاريخها الطويل ..

(١) رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، ورواه البخاري بسنده عن أنس بن مالك وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٤ ص ٨١ - ٨٢ وذكره الواقدي عن مصعب بن ثابت .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٨٣ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦ .

خرجوا دعاء إلى دين الله.. وإلى كلمة التوحيد.  
خرجوا لإنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الأحد..  
خرجوا يدعون إلى الرحمة والتعاون والتعاطف.  
وخرجوا وفي أيديهم دعوة الإسلام وفي قلوبهم كلمات الله التي تُخرج الناس من  
الظلمات إلى النور.

وقبل أن يبدأوا هذه الدعوة، وقبل أن يستمع لهم أحد كانت السيوف تنوشهم  
من كل جانب، والسهام تستقرّ في قلوبهم.

والذي فعل هذه الفعلة هو: عامر بن الطفيل. رجل أسود القلب خرب  
السريرة.. عاش حياته في ظلام دامس، وفي جاهلية جهلاء.. حتى بعد أن سمع  
بدعوة الإسلام وبدأت كلمة التوحيد تتردّد على كل الشفاه، وكلمة الله أكبر تدوي  
بين جنبات الصحراء تعلن أنه لا حكم إلا لله — ولا سلطان إلا له — والعبيد كلهم  
لا يملكون من أمر نفوسهم شيئاً.

نقول: حتى بعد ذلك، لم يظهر بصيص من النور في قلبه وها نحن نراه بعد  
العدة لقتل محمد ﷺ لأنه تصوّر أن محمداً صار ملكاً على جزيرة العرب فيجب أن  
يشاركه في ملكه.. أو رجلاً مغيراً مثله فينبغي أن يقتسم معه الغنيمة. وقصة ذلك أنه  
وفد إلى الرسول ﷺ هو وصاحبه أريد بن قيس.

نقول: قدم عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ وهو يريد الغدر به.

وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم.

قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع  
عقب هذا الفتى من قريش؟..

ثم قال لأريد: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه. فإذا فعلت  
ذلك فاعله بالسيف.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل :  
يا محمد خالني .

قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده .

قال : يا محمد خالني . وجعل يكلمه و ينتظر من أريد ما كان أمره به . فجعل  
أريد لا يحير شيئاً .

فلما رأى عامر ما يصنع أريد قال : يا محمد خالني .

قال : لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له .

فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً .  
فلما ولى قال رسول الله ﷺ :  
« اللهم اكفني عامر بن الطفيل »<sup>(١)</sup> .

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأريد : ويلك يا أريد !! أين ما  
كنت أمرتك به ؟ .. والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي  
منك ، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً .

قال أريد : لا أباك لا تعجل عليّ ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من إمرة  
إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ .

وخرجوا راجعين إلى بلادهم — حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على  
عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول .

فجعل يقول :

« يا بني عامر أغدة كغدة البكر في بيت من بني سلول .

ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر . فقالوا : ما وراءك يا  
أريد ؟ ..

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٣٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله .

فخرج بعد مقاله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقها<sup>(١)</sup> .

أخذه الله العزيز المقتدر .

وأنزل به عقابه ، ونال جزاء عمله ، وصدق الله تعالى :

﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) سورة الكهف الآية ٤٩ .

## أسباب نزول الآيات

- قال ابن عباس — رضي الله عنه — في رواية صالح وابن جريج وابن زيد :  
نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة .  
وذلك أنها أقبلت بريدان رسول الله ﷺ فقال رجل من أصحابه : يا رسول  
الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك .  
فقال : دعه فإن يرد الله به خيراً يهده .  
فأقبل حتى قام عليه .  
فقال : يا محمد ، ما لي إن أسلمت ؟ ..  
قال : لك ما للمسلمين وعلبك ما عليهم .  
قال : تجعل لي الأمر من بعدك .  
قال : لا ، ليس ذلك إليّ إنما ذلك إلى الله تعالى ، يجعله حيث يشاء .  
قال : فتجعلني على الوبر ، وأنت على المدر .  
قال : لا .  
قال : فماذا تجعل لي ؟ ..  
قال : أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها .  
قال : أوليس ذلك إليّ اليوم ؟ ..



وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه  
بالسيف، فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه.

فدار أربد خلف النبي ﷺ وجعل عامر يومئذ إليه.

فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه.

فقال: اللهم أكفنيها بما شئت.

فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته.

وولّى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد، والله لأملأنها عليك  
خيلاً جرداً، وفتياناً مرداً.

فقال رسول الله ﷺ:

«يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة — يريد الأوس والخزرج».

فتزل عامر بيت امرأة سلولية. فلما أصبح ضم عليه سلاحه فخرج وهو يقول:  
واللات والعزى لئن أصحح محمد إلي وصاحبه — يعني ملك الموت — لأنفذهما

برحمي.

فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكاً فلطمه بجناحه فأذراه في التراب،  
وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة كغدة البعير، فجاء إلى بيت السلولية  
وهو يقول:

غدة كغدة البعير، وموت في بيت السلولية.

ثم مات على ظهر فرسه، وأنزل الله تعالى فيه هذه القصة<sup>(١)</sup>:

«سواء منكم من أسر القول ومن جهر به» حتى بلغ:

﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾<sup>(٢)</sup>.

صدق الله العظيم.

(١) ذكره الطبري في تفسيره ج ١٣ ص ٨٠ — ٨٤ — ٨٥، وذكره صاحب أسباب النزول ص ٢٧٦.

(٢) سورة الرعد الآية ١٤.

## تذليل ...

لماذا لم يؤمن عامر بن الطفيل؟ ..

وكيف أغلق عقله فلم يرَ نور النبوة؟ .

ولماذا نجد الملحدين والجاحدين لحقيقة الألوهية في كل عصر ومصر؟ .

لقد سبق أن عشنا رحلة في أعماق التاريخ لترشد هؤلاء الضالين إلى قدرة الله سبحانه وتعالى .. التي تعمل في كل شيء .

والآن يطيب لنا أن نقطع رحلة أخرى مع هؤلاء الملحدين ولكن لتكن هذه المرة في دنيا الحيوان وفي جحور الزواحف ، ومع الأجنة في داخل الأرحام أم أننا نبدأها في عالم المحيطات والبحار؟ . ليكون كذلك . فنقول :

« إن الأفراد الذين يسكنون بجوار البحار والمحيطات أو تضطربهم ظروف حياتهم إلى البقاء فترة يقومون بعملية لتبخير الماء وتكثيفه لاستبعاد الملح الذي به . حتى يكون بذلك صالحاً للشرب .

ولطالما تمنوا لو كان الماء خالياً من مادة الملح إذن لخفف عنهم الكثير من الجهد والمال الذي تحتاجه عملية التبخير .

ويتساءلون لماذا لم تتحقق هذه الأمنية؟ .

يقول العلماء : إن هذه الأمنية لو تحققت وصارت المياه حلوة لأصبحت عفناً منتشراً ولانتهت الحياة من على سطح الأرض؟ .

وتساءل لماذا؟.

ويأتي الجواب : لأن مياه المحيطات والبحار واقفة مغلقة والملح فيها مادة حافظة تمنع عنها التعفن والعطن.

إننا نرى البرك ونشاهد المستنقعات ، إنها مياه راكدة ولكنها مليئة بالجراثيم مليئة بالأوبئة.

إنها خطر على البشرية ، ولذلك تهض الحكومات والهيآت لردم البرك والقضاء على ما فيها من جراثيم . خطر على البشرية وهي صغيرة محدودة فماذا يكون الحال — حال الأرض — إذا تحول أكثر من ثلاثة ارباعها وهو مساحة المحيطات الى برك ومستنقعات ؟.

إن هذه المياه تعتبر مستودعاً للبشرية ، مستودع لا يتفد من المياه المحفوظة ، فإذا يكون حالنا إذا جفت مياه الأنهار؟. وهي قابلة للجفاف والتسرب الى باطن الأرض.

إن مياه المحيطات خلقت باحكام وقدر.

فالشمس تبخر مياه البحار فتصعد الى الطبقات الباردة في الكون فتكثف لتسقط مياهاً حلوة تجري في الأنهار ، وتسقي الزرع والحيوان والإنسان وتمد الكون بالحياة والنباء.

قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (١)

ونقول : أيجب لنا أن نتلمذ على «العلمانيين» ونسأهم؟.

من الذي أودع الملح في مياه المحيطات والبحار؟.

ولماذا كانت المحيطات راكدة؟.

ومن الذي امر الأنهار بالجریان والحركة؟.

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

من الذي أمر بوضع الملح هنا وصفها منه هناك؟  
لماذا تجف الأنهار ولا تجف المحيطات؟  
إذا كانت الأمطار هي المستودع الضخم للأنهار فأين مستودع المحيطات؟  
أين؟ ومن الذي فعل ذلك؟  
أهي الطبيعة؟ أهي الصدفة؟ أم ان ذلك فعل الله تعالى؟  
قال تعالى: ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾<sup>(١)</sup>.  
لترك المحيطات وما فيها من مخلوقات يقف أمامها الانسان مشدوهاً ويحس بضآلة عقله وضحالة تفكيره أمام آثار الخالق المبدع.  
لترك المحيطات ولتوجه الى الصحراء لترى ما يقوله العلماء في سفينة الصحراء انهم يرون شيئاً عجباً ، ومن هنا كانت إشارة الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾<sup>(٢)</sup>.  
سفينة الصحراء يقول عنه العلماء انه زود بشبكة من الأهداب الطويلة مخالفاً بذلك بقية الحيوانات.  
لماذا هذه الأهداب أو الشبكة كما يقول العلماء؟

لأنها تحمي عينيه من ذرات الرمال اذا هبت عاصفة رملية اثناء سيره في الصحراء وبذلك لا يضطر الى اقفال عينيه كما يفعل الانسان ، والانسان اذا شرب كمية من الماء — فوق طاقته — انفجرت كرات الدم الحمراء في داخل جسمه وعرضته لخطر محقق.

(١) سورة الفرقان الآية ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٧.

ولكن الحمل يستطيع أن يشرب كميات هائلة من الماء ويخترنها داخل جسمه فهو يستطيع أن يشرب الماء المالح دون أن يصاب بضرر ، وله من الأجهزة في داخل جسمه ما تساعده على تكثيف الماء؟.

ونتساءل : لماذا لم تزودنا الطبيعة بشبكة الاهداب كما زودت الحمل؟.

ولماذا لم تزودنا بجهاز تحويل المياه الملحة إلى عذبة؟.

من الذي خص الحمل دون بقية الحيوانات بالمقدرة الفائقة على تحمل العطش؟

لماذا تنفجر كرات الدم الحمراء في بقية الحيوانات ولا تنفجر في الحمل؟..

لماذا؟.. من فعل ذلك؟..

أهي الطبيعة؟..

أهي الصدفة؟..

أم أن ذلك من فعل الله؟..

قال تعالى : ﴿ هذا خلق الله فاروئي ماذا خلق الدين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ (١)

ويقول «ألن ديفو» أحد علماء الحيوان :

«إنه وقف يوماً برقب ثلاثة من صغار الثعلب تلعب حول أمها ، وإذا بصغير منها يدخل الغابة ويبعد عنها بعداً لا تراه العين المجردة ، فاستوت الأم قائمة ومدت انفها الى الناحية التي ذهب منها ، وبقيت على حالها برهة عاد بعدها الصغير في اتجاه أمه لا يلتفت بمئة أو يسرة ، كأنما كانت تجذبه بحيط لا تراه العين».

كيف تم الاتصال بين الأم ووليدها؟..

انها لم ترفع صوتاً ، انها لم تحدث نداء.

(١) سورة لقمان الآية ١١

كيف ارسلت تلك الإشارة الى وليدها؟...

واين وضع جهاز الاستقبال في جسم الحيوان الذي استقبل الإشارة.

مَن الذي زوّده بتلك الأجهزة المعقدة؟..

لقد أثبت علم الحيوان ان العناكب والزنابير وبعض الحيوانات تستطيع أن تحفظ اللحم اسابيع فلا تفسد دون الاستعانة بما تفتقت به حيل الإنسان من تمليح أو تجفيف أو تبريد.

هذه هي الطرق التي اتبعتها البشرية في رحلة الحياة الطويلة من أجل حفظ اطعمتها دون تلف أو فساد. اما الحيوانات او الطيور فلم تلجأ إلى ذلك ، وليست هي في حاجة الى تلك الطرق البدائية التي يتبعها الإنسان. إنها تلجأ الى فريستها وطعامها الذي تريد الاحتفاظ به فتفرز عليه من ابدانها مادة تحدرها دون ان تميّتها فيبقى غذاؤها دائماً طازجاً بل حياً الى حين استهلاكه.

ولم يتمكن الإنسان حتى الآن من اكتشاف هذه الطريقة.

لم يتمكن الإنسان من ذلك لأنه اعتمد على عقله والعقل دائماً قاصر محدود.

لم يتمكن الإنسان من الاهتداء الى تلك الطرق لأنه ابتعد عن ربه ووجد مولاها، والطيور والحيوانات لم تجحد ربه ولم تنكر مولاها.

قال تعالى: ﴿وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿والطيور صافات كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤.

(٢) سورة النور الآية ٤١.

## تَبْتُ المَراجِع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي دار الشعب — مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي: تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير، دار الأندلس — بيروت.
٥. تفسير الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف — مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ — ١٩٤١م.
٧. الدر المنثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الاسلامية — طهران.
٨. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار احياء التراث العربي: بيروت ١٣٨٦هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور: للإمام السيوطي.
١١. تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي وزميله.
١٢. أسباب نزول القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي.
١٣. فتح الباري بشرح البخاري: للحافظ أبي الفضل العسقلاني: المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم، شرح النووي: المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ — ١٩٢٩م.
١٥. مسند الإمام أحمد: شرح أحمد محمد شاكر: دار المعارف بمصر، ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م.
١٦. صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م.

- ١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : أ. ي. ونسك ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م .
- ١٨ . الجامع الصغير : للإمام السيوطي ، مطبعة الباني الحلبي — القاهرة .
- ١٩ . كشف الحفا ومزيل الالباس : اساعيل بن محمد العجلوني ، مكتبة التراث الاسلامي — حلب .
- ٢٠ . تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، دار صادر — بيروت .
- ٢١ . الكامل في التاريخ : لان الأثير ، دار صادر — بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ٢٢ . تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد الطبري ، دار القلم الحديث — بيروت .
- ٢٣ . البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير ، مكتبة بيروت — ومكتبة النصر — الرياض .
- ٢٤ . الطبقات الكبرى : ابن سعد ، صيدا — دار بيروت ١٣٧٧ هـ .
- ٢٥ . سيرة النبي لابن هشام : تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية — القاهرة .
- ٢٦ . الروض الأنف : عبد الرحمن السهيلي ، دار الكتب الحديثة — القاهرة .
- ٢٧ . مروج الذهب : للمسعودي ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٨ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، دار الأندلس — بيروت — مكتبة نهضة مصر .
- ٢٩ . أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر : علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، دار الفكر بيروت — الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٣٠ . خلفاء الرسول : خالد محمد خالد . دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
- ٣١ . العبقريات : لعباس محمود العقاد .
- ٣٢ . علي بن أبي طالب — بقية النبوة — وخاتم الخلافة : للأستاذ عبد الكرم الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت .
- ٣٣ . هذا هو الطريق : د. عبد الرحمن عميرة ، دار التراث مصر — ١٩٧٣ .
- ٣٤ . مع الإلحاد وجهاً لوجه : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الحلبي — القاهرة .
- ٣٥ . أشهر مشاهير الاسلام : رفيق العظم .
- ٣٦ . الاعلام : للزركلي .



- ٣٧ . الأغاني : للأصفهاني .
- ٣٨ . تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ هـ .
- ٣٩ . تفسير الحازن والبهوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبهوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
- ٤٠ . تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
- ٤١ . الروض الأتف : للإمام السهيلي .
- ٤٢ . الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري .. مصر .
- ٤٣ . سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
- ٤٤ . سنن الحفاظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني « ابن ماجه » ، حققه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد قزاد عبد الباقي ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار احياء التراث العربي .
- ٤٥ . تراث الإنسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .

من مكتبة المصحف

# رِجَالُ أَنْزَلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا

د. عبد الرحمن عميره

الجزء الثامن

دار الحديث  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

ثعلبة بن حاطب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ  
ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \*  
فَلَمَّآ ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ  
\* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا  
اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

سورة التوبة

الآيات ٧٥ - ٧٧

## أقوال العلماء في نزول الآيات

- اتفق كثير من العلماء والمفسرين بأن هذه الآيات نزلت في ثعلبة بن حاطب.  
قال ذلك ابن الجوزي في كتابه زاد المسير ٣ : ٤٧٣ — ٤٧٤ .  
وقاله الإمام الطبري ١٤ : ٣٧١ — ٣٧٢ .  
وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣١ — ٣٢ .  
وذكره الإمام الواحدي في أسباب النزول ٢٥٢  
وذكره صاحب البغوي والخازن ٣ : ١٠٢ .  
والدر المنثور للسيوطي ٣ : ٢٦٠  
والإمام القرطبي في تفسيره ٨ : ٢٠٩  
والإمام ابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٧٤

من هو ثعلبة بن حاطب ..؟

## لعلة بن حاطب

متى كانت ولادته؟..

وأيّن كانت نشأته؟..

أنشأ في يثرب الجميلة حيث بساتين النخيل تنتشر هنا وهناك. وكروم العنب تمتد أغصانها وفروعها لتغطي رقعة الأرض الجرداء؟.. أم عاش هناك في البادية حيث السماء المكشوفة والأرض المسبوطة فإذا جاء الليل لفته خيمته الصغيرة التي تحمل متاعه القليل ومغزله الكليل؟..

أعرفت طفولته مرارة العيش وشظف الحرمان؟.. حيث تجف الأرض فلا تنبت زرعاً.

وتكظ السماء فلا ترسل ماء.

أبقي في هذه الصحراء الممتدة ليس معه أنيس إلا وحوشها الجائعة وثعالبها الهاجمة؟.. والتي تريد أن تنقض عليه لتسكت ما بداخلها من وقدة الجوع وهيب العطش.

أكان يتربص بها هو الآخر ليجعلها طعاماً واداماً حتى لا يهلك جوعاً بعد أن نفق ما لديه من ماشية ومصّت شفثيه آخر قطرة من ماء في سقائه؟..

إن التاريخ يصمت عن ذلك كله فهلا يذكره في قليل أو كثير.  
إن ثعلبة هذا من أنزل الله فيهم قرآناً.  
فكيف غفل التاريخ عنه؟..

كيف تجاهله رجال السير فلم يسجلوا عنه إلا قليلاً قليلاً؟. إن ثعلبة أعلن  
إسلامه، ودخل في هذا الدين الجديد الذي جاء به محمد — ﷺ .

ولقد حرص التاريخ أن يرصد حركات هؤلاء المؤمنين الذين أجابوا داعي الله  
رجالاً كانوا أم نساء..

ليس هذا فحسب ولكن التاريخ يعمل ذاكرته ويستعين بالمعمرين والحافظين  
ليتحدث عن طفولة هؤلاء الرجال وشبابهم.

فلماذا أغفلت ذاكرة التاريخ ثعلبة بن حاطب؟..

أ تكون حياته خارج المدينة أثر في ذلك؟..

أ يكون لانقطاعه عن جماعة المسلمين وعدم حضوره صلاة الجماعة معهم،  
والاهتمام بما يهتمون به عامل في نسيانه وعدم الالتفات إليه؟.. إن التاريخ يسجل  
اسلام ثعلبة.

ثم ماذا؟.. أجلس ثعلبة في حلقات المسلمين وتجمعاتهم التي كانت تعقد للتفقه  
في الدين وتلقي تعاليم الرسول — ﷺ ؟..

لقد كان الصحابة يسألون الرسول ﷺ في القليل والكثير، يسألونه عن أمور  
دينهم ودنياهم.

أ كان ثعلبة من هؤلاء الذين يسألون ويتفقهون؟..

إن كتب الأحاديث والسنن تكاد تخلو من ذكر ثعلبة.

والشيء الذي تسجله له مؤخاة الرسول ﷺ بينه وبين الصحابي الجليل معتب

ابن عوف.



ثم إلهام ثعلبة على الرسول ﷺ أن يدعو له ليرزقه الله مالاً .  
وامتناع الرسول ﷺ عن ذلك في بادئ الأمر . ولكن ثعلبة لا يمل من الإلهام  
في الطلب .

والرسول ﷺ طيب للنفوس البشرية يعلم ما يفعله الثراء العريض في نفس ثعلبة  
إذا رزقه الله مالاً . ويقول له : يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه .  
ولكن ثعلبة يصم أذنيه عن ذلك إنه يريد غناء ويريد ثراء فليكن له ما يريد : كل  
نفس بما كسبت رهينة .

ودعا الرسول ﷺ لثعلبة أن يرزقه مالاً وبه عطاء ويبارك له فيه .  
واستجاب الله لدعوة نبيه .

وأصبح ثعلبة يملك بعضاً من الإبل وغنيمات .

وذات مساء والشمس تودع هذا الكون للقاء جديد جلس ثعلبة يصبر صرع  
غنيمة له ليستمتع في الصباح بما تدره من لبن سائغاً للشاربين سمع داعي الرسول  
ﷺ ينادي النفير — النفير . وتقلد ثعلبة سيفه وامتنطى صهوة جملة واتجه الى  
مسجد الرسول ﷺ .

وما كاد يصل الى ساحة المسجد حتى رأى جماعة الانصار والمهاجرين يعدون  
العدة لمقابلة قريش التي خرجت برجالها ونسائها وحلفائها تريد القضاء على تلك الفئة  
المؤمنة .

وشارك ثعلبة في غزوة بدر ، ووعى قلبه وعقله الانتصار الكبير الذي حققه  
المسلمون في تلك الغزوة .

انتصار القلة على الكثرة .

انتصار الايمان على الكفر .

انتصار النور على الظلام .

واستمع ثعلبة الى قول الله تعالى مصوراً حال المشركين الذين يجمعون الأموال ،  
ويعدون السلاح واهمين أنهم بذلك ينالون من المسلمين . وينزل قول الله تعالى مخبياً  
أموالهم ، ومبطلاً كيدهم قال تعالى :

﴿ ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون  
عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيب  
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم  
الخاسرون﴾ (١)

رأى ثعلبة اندحار جاعة الكفر وتشتيت أموالهم وجندلة أبطالهم وجمع جنهم  
في قلب واحد .

وسمع ثعلبة مخاطبة الرسول ﷺ لقتلى المشركين يوم بدر .

يا أبا جهل ابن هشام .

يا أمية بن خلف .

يا عتبة بن ربيعة .

يا شيبة بن ربيعة .

أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ..

فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً .

فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً .

ويسمع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قول النبي ﷺ فقال يا رسول

الله :

« كيف يسمعون وأني يجيبون وقد جيفوا » .

(١) سورة الأنفال آية رقم ٣٦ — ٣٧ .

قال : والذي نفسي بيده ما أتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا .

إذن فالحياة باقية مستمرة وما الموت أو القتل إلا مرحلة من مراحل البشرية الممتدة والتي لا تنقطع .

فمن يظلم هنا يُظلم هناك؟؟..

ومن يعمل هنا يجازى هناك .

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» (١) .

«ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً» (٢) .

لقد رأى ثعلبة كل ذلك .

رأى المال الذي لا يغني عن صاحبه شيئاً .

رأى الهول الكبير الذي لف صناديد قريش وتمنى كل منهم أن يفدي نفسه بكل ما يملك . ولكن هيهات هيهات .

لقد نسي ثعلبة كل هذه العبر ، وذهب الى ماله وقطيعه وغنمه . ذهب إليها يبحث لها عن المرعى ليسمن هزيلها ، ويكبر صغيرها — والإسلام لا يمانع في ذلك بل يحرص عليه ، ويدعوه له ، بشرط ألا ينسبه ذلك ربه ، أو يجعله بغفل عن عبادة مولاه .

ولكن ثعلبة نسي خاتمه فلم يصل صلاة في جماعة .

نسي في غمرة هذا المال المالك القابض ، الذي يعطي ويمنع ويغني من يشاء ، ويفقر من يريد .

نسي الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

(١) سورة الزلزلة الآيتان ٧ و٨ .

(٢) سورة الكهف الآية رقم ٤٩ .

نسي الذي بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

ثم ماذا؟..

مرت الأيام وكرت اللبالي على ثعلبة وثروته تزداد نماء وتغلا من كثرتها الوديان

والسهول.

«إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»<sup>(١)</sup>.

ويتزل قول الله تعالى

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها﴾<sup>(٢)</sup>

فالصدقة تطهير للقلوب من أمراضها.

تطهير للنفوس من أطعها.

تطهير لهذا البدن أن تمسه نار جهنم.

تطهير للمال أن يدخل فيه ما ليس طيباً أو حلالاً.

وتركية للمال بالنماء.

وتركية للمال بالبقاء.

تركية للمال أن يسرق أو يغار عليه.

قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس — رضي الله عنهما — انطلق أبو لبابة

وجامعته من صحابة رسول الله ﷺ وقالوا: «يا رسول الله: خذ من أموالنا

فتصدق بها عنا واستغفر لنا وطهرنا»

فقال رسول الله ﷺ:

«لا آخذ منها شيئاً حتى أؤمر».

(١) سورة العلق الآية رقم ٦.

(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٠٣.

فأنزل الله تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ (١)

وانطلق عمال بيت المال الى هؤلاء الأغنياء ليأخذوا جزءاً من أموالهم ليردوها الى فقراهم . وبذلك يوجد المجتمع الاسلامي مجتمع الصلاة والزكاة ، والتطهر من الشح والبخل .

مجتمع الزكاة مجتمع لا يعرف الغربة ، مجتمع لا يوجد فيه الغريب أو الدخيل حتى ولو كان من بلاد بعيدة أو من غير هذا الوطن وكيف يكون غريباً والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ (٢) .

والزكاة أقرب السبل الى التعارف ، وانجح الوسائل في إشاعة المحبة بين الناس ، وفي تقريب قلوبهم وإلغاء الحدود بين أوطانهم . ومجتمع الزكاة لا يعرف التنازع ولا يرضى التدابر ، ويقضي على مسافات الخلف بين أفرادها ، رغبة في وجود المجتمع المتأسك وحفاظاً على كيانه وقوته .

قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (٣)

وكيف يتنازعون وقلوبهم مليئة بذكر الله ؟ ..

وكيف يختلف المزكون ودستورهم واحد ؟ ..

إن القلوب المتنافرة هي القلوب التي تشح بما لديها .

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

(٣) سورة الأهل آية رقم ٤٦ .

والقلوب المتنازعة هي القلوب التي لا تستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله

ﷺ

أما قلوب المؤمنين فهي مطمئنة قال تعالى :

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (١)

مجتمع الزكاة مجتمع جاد لا يعرف العيب يقظ لا ينام إلا قليلاً . قال تعالى :

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (٢)

مجتمع الزكاة نظيف اليد والقلب ، طاهر الظاهر والباطن أبعد ما يكون عن أمراض القلب من الحقد والغل والحسد والتجسس والغيبة والتميمة أنس بحب الله تعالى : يقول سبحانه في محكم كتابه : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً﴾ (٣)

إن رجال مجتمع الزكاة يطهرون أجسادهم بالماء فلا تمرض .

ويطهرون أرواحهم بالصلاة فلا تنحرف قال تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (٤)

ويطهرون أموالهم بالزكاة فلا تنقص قال تعالى : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها﴾ (٥)

من هنا كان مجتمع الزكاة مجتمعاً طاهراً .

مجتمع الزكاة قد تجد فيه الفقير ولكن لا تجد المحتاج ، تجد من قتر عليه في الرزق ، ولكنك لا تجد المتسول ، تجد فيهم الأغنياء ولكن لا تجد فيهم مظاهر الشح

(١) سورة الرعد آية رقم ٢٨ .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ١٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٤٣ .

(٤) سورة العنكبوت آية رقم ٤٥ .

(٥) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

والبخل فهم كرماء أوفياء يعالجون مرضاهم بالصدقة ، وينمون أموالهم بالزكاة ،  
ويكفرون عن ذنوبهم بالإحسان الى مجتمعهم قال تعالى :

﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ (١) .

مجتمع الزكاة لا تحيط به النكبات ولا تستنذله المصائب فإن حلت به هرع إلى  
الصلاة وإذا دهمته الخطوب اتجه الى الله ومن يقدر على كشف الضر سواء .

قال تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء  
الأرض الله مع الله قليلاً ما تدكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل  
الرياح بشراً بين يدي رحمة الله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ (٢) .

ولقد كان الرسول ﷺ إذا أحاطت به النكبات يقول «أرحنا بها يا بلال» .  
يدعوه الى إقامة الصلاة .

فهنا العز الذي لا ذل معه .

والقوة التي لا ضعف فيها .

والأمن الذي لا يلابسه خوف .

هل وعى ثعلبة هذه المعاني ، وهل استقر مدلولها في عقله ؟ .. لقد ذهب إليه  
عامل الزكاة فقال ثعلبة : أرني كتابك فقرأه فقال : ما هذه الا جزية ، ما هذه إلا  
أخت الجزية ، انطلقا حتى أرى رأيي .

إنه لا رأي في ذلك ولا خيار إنه أمر من الله سبحانه وتعالى .

أيأمر الله ويأبى العبد ؟ ..

أيختار الله ولا يرضى الإنسان الفاني الضعيف ؟ .

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٨ .

(٢) سورة النحل الآيتان رقم ٦٢ و٦٣ .

قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (١)

وعلم الرسول ﷺ بما كان من أمر ثعلبة فقال : « يا ويح ثعلبة » .  
وتصل هذه الكلمة المدوية إلى أذن ثعلبة فيتملكه الخوف والهلع ، ويأخذ ماله ويتجه به الى الرسول ﷺ ويرفض الرسول أن يأخذ من ثعلبة مالا .  
ويعود نادماً خائباً يأكل الندم قلبه . ولكن هيهات هيهات ويبلغ الكتاب أجله ويعود ثعلبه الى مالك الملك الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .  
لقد ندم ثعلبة ندماً قطع نياط قلبه  
والندم توبة .

والتوبة اسلام جديد يجب ما قبله  
قال تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (٢)

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٦ .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٧٠ .



## أسباب نزول هذه الآيات

ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس ، والحسن البصري ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث معان بن رفاعه ، بسنده عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقني مالاً .

فقال رسول الله ﷺ « ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه .  
فقال ثعلبة مرة أخرى .

فقال رسول الله ﷺ « أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ؟ .. فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت .

قال : والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه .

فقال رسول الله ﷺ « اللهم ارزق ثعلبة مالاً » .

قال فاتخذ غنماً فتمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فتزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم تمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة . فطلق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ « ما فعل ثعلبة .. ؟ » .

فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال : يا ويح ثعلبة . يا ويح ثعلبة . يا ويح ثعلبة .

وأنزله الله جل ثناؤه ﴿ اخذ من أموالهم صدقة ﴾<sup>(١)</sup> الآية . ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلاً من جهينة ، ورجلاً من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما « مرّا بثعلبة وبفلان — رجل من بني سليم فعخذا صدقاتهما » .

فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذا إلا جزية ، ما هذا إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ .. انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ .

فانطلق الرجلان وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إليه فعزها للصدقة ثم استقبلها بها فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . فقال : يلي فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي له .

فأخذها منه ومرّا على الناس فأخذوا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أروني كتابكما فقراه فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي .

فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأهما قال : « يا ويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ﴾<sup>(٢)</sup> الآية .

قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال :

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧٥ .

«ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته .

فقال : إن الله منعي أن أقبل منك صدقتك» .

فجعل يحثو على رأسه التراب . فقال له رسول الله ﷺ « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني» .

فلما أتى رسول الله ﷺ أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً ثم أتى أبا بكر — رضي الله عنه — حين استخلف فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولي عمر — رضي الله عنه — أتاه فقال : يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك؟! .. فقبض ولم يقبلها . فلما ولي عثمان — رضي الله عنه — أتاه فقال : اقبل صدقتي فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟! .. فلم يقبلها منه . فهلك ثعلبة في خلافة عثمان — رضي الله عنه (١) .

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٤ وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٠٩ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، وراجع الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٢ وراجع زاد المسير في علم التصير لابن الجوزي ج ٣ ص ٤٧٤ والطبري ١٤ / ٣٧١ — ٣٧٢ .

## تذليل ...

ما هي طبيعة النفس البشرية؟ ..  
أهي السماحة والكرم وبذل الكثير في سبيل الآخرين؟ ..  
أم هي الكرازة والشح والبخل والظن بما يملكه الإنسان، حتى ولو  
لأقرب المقربين إليه والعاملين معه؟ ...  
إن الإنسان — والحق يقال — يعجز عن أن يضع ميزاناً للنفس البشرية يزن به  
أعمالها وتصرفاتها. والمستعرض لحياة الناس، والدارس لحياتهم، والراصد لحياتهم  
يرى عجباً يرى الإنسان الكريم الذي يقدم كل ما يملك في سبيل إسعاد الآخرين،  
أو في سبيل هدف كريم، أو مبدأ نبيل.

فالأنصار كان لهم موقف كريم من إخوانهم المهاجرين قدموا المأوى، وقدموا  
المال وقدموا النفس رخيصة في سبيل الله قال تعالى في وصفهم:

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم  
المفلحون﴾<sup>(١)</sup>. وأبو بكر الصديق — رضي الله عنه — بذل الكثير من ماله في  
مساعدة المحتاجين، وفي تحريرهم من أسر الرق، وعندما أحس أن المشركين يقفون

(١) سورة الحشر آية رقم ٩.

في سبيل الدعوة والحيلولة بينها وبين الانتشار ، قدم كل ماله في سبيل الله ولم يترك شيئاً لأهله وولده ، وعندما سأله الرسول ﷺ ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟ ..

قال له الرجل الذي ملأ الايمان كل ذرة من ذرات جسمه ، وحرك كل خالجة من خلجات فؤاده : تركت لهم الله ورسوله .

وقصص البذل والكرم كثيرة متعددة ، ويجوار ذلك نجد النفس التي تبخل بما لديها وتضن به في سبيل الآخرين .

ولقد عرف اللطيف الخبير ما في النفس البشرية من الشح والكفاظة فأخبر في كتابه الكريم : أن الحسنة بعشرة أمثالها ، وتضاعف الى سبعين ضعفاً . وأن المال الذي يقدم في سبيل الله أو لمساعدة الآخرين : هو قرض يقدمه الله تعالى قرض يقدم للمخائق الرازق الذي يعطي ويمنع قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ (١) .

وليس هذا فحسب . ولكن الله تعالى يمثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بالزرع الذي ينمو ويزداد ويتضاعف لصاحبه الى ما لا نهاية . قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (٢) .

ومع ذلك وجد في المجتمعات في كل عصر ومصر — هؤلاء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، وتقسو قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة .

وكم في المجتمعات الاسلامية أمثال ثعلبة بن حاطب؟ .. يكون فقيراً معدماً لا يجد قوت يومه . ثم يوسع الله عليه الخير ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ويبارك له فيه فإذا هو صاحب ثروة ، وصاحب مال وفير ، عندها ينسى أيامه الأولى التي كان فيها

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٤٥ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦١ .

فقيراً معدماً ، ينسى الجائع والمسكين والمحروم ، ينسى مجتمعه الذي هيا له سبيل  
الاثراء فلا يتبرع له بمال ولا ينبض قلبه أمامهم بشفقة أو رحمة .

إن المال الذي يعطيه الله لعباده فيه حق معلوم للجائع والمحروم ، وهذا المال  
عارية مستردة إلى الذي وهبها . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ انفقوا مما جعلكم مستخلفين  
فيه ﴾ (١) .

ولكن هيهات هيهات أن يستجيب هؤلاء لكن البخل يعمي ويصم ، وعقاب الله  
رادع في هؤلاء فيذهب بما يملكون ، عندها يتدمون ولا ينفع الندم قال تعالى :

﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا  
يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ، فتنادوا  
مصبحين أن اغدوا على حرنكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا  
يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين ، فلما رأوها قالوا إنا لنضالون  
بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا  
ظالمين ﴾ (٢) .

لقد كان للمساكين حظ من ثمر هذه الحديقة أيام صاحبها الطيب الصالح ،  
ولكن الورثة يريدون أن يستأثروا بثمرها ، وأن يحرموا المساكين حظهم ، فقرروا أن  
يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر دون أن يستثنوا منه شيئاً للمساكين وأقسموا على  
هذا ، وعقدوا النية عليه ، وبناتوا بهذا الشرف فيما اعتزموه ولكن الله لا ينام كما ينامون ،  
وهو يدبر لهم ما يدبرون جزاء على ما بيتوا من بطر النعمة ومنع الخير ، وبخل بنصيب  
المساكين المعلوم . ثم ماذا؟ ..

كان العقاب . وكان الجزاء .

« فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم » .

(١) سورة الحديد آية رقم ٧ .

(٢) سورة القلم الآيات ١٧ - ٢٩ .

سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

لَيْسَ لَكَ

مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

\* وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

سورة آل عمران

آية ١٢٨ - ١٢٩



## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض العلماء والمفسرين ورجال الحديث نزلت هذه الآية في جماعة من قريش منهم سهيل بن عمرو.

قاله الإمام الواحدي في أسباب النزول ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

وقاله صاحب الدر المنثور ٢ : ٧١ قال أخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر وذكره .

لكن هو سهيل بن عمرو؟ ..

## سهيل بن عمرو

هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس .  
من العاقلة الصيد في الجاهلية .

ومن أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين في صدر الاسلام ، حارب الاسلام  
بيده ولسانه ، ووقف في كثير من المواقف صلباً متشديداً لا يلين .  
نشأ بجوار الكعبة ينحر بيده الذبائح لأصنامها ويستقبل الحجيج إليها وهم يأتون  
زرافات ووحداً .

يقدمون لأصنامها كل ما كبر من مواشيهم وكل ما نضج من ثمارهم وتمتلى خزائن  
سهيل وتفيض دوره بالخير العميم ، فيرسلها في رحلة الشتاء والصيف تجارة رابحة  
لتعود إليه بالذهب والأموال وأحس أن في تلك الأصنام سبباً مباشراً لما يعود إليهم .  
في هذه الأصنام دانت لهم العرب لأنهم سددتها .

وعن طريق الأصنام عاشوا في بجموحة من الخير الوفير .

وسهيل هذا والد أبي جندل الذي لحق بأبي بصير الثقفي وكان معه في سبعين  
رجلاً من المسلمين يقطعون الطريق على من مرّ بهم من غير قريش وتجارهم فكتبوا  
فيهم الى رسول الله ﷺ أن يضمهم إليه فضمهم وقال أبو جندل وهو مع أبي  
بصير .

أبلغ قريشاً من أبي جندل  
أني بذى المروة بالساحل  
في معشر تخفق أيمانهم  
بالببيض فيها والقنا الذابل  
يأبون أن تبقى لهم رُفقة  
من بعد إسلامهم الواصل  
أو يجعل الله لهم مخرجاً  
والحق لا يغلب بالباطل

ووالد عبد الله بن سهيل الذي هاجر الى أرض الحبشة الهجرة الثانية وخرج مع  
المشركين في غزوة بدر. وهرب إلى رسول الله ﷺ مسلماً وشهد معه بدرًا والمشاهد  
كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، وهو أحد الشهداء في صلح الحديبية ، وهو الذي  
أخذ الأمان لأبيه يوم الفتح .

واستشهد عبد الله بن سهيل يوم الإمامة سنة اثني عشرة .

وسهيل هذا عرفه التاريخ عندما وقف مع أهل قريش يستمعون إلى الرسول  
ﷺ وهو ينادي عليهم أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ؟ أكنتم  
مصدقين ؟ ..

قالوا : نعم .

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

عندها جلس سهيل مع شيوخ قريش يتشاورون في أمر محمد ، الذي جاء بدين  
جديد لا يعرفه الآباء ولا الأجداد .

جاء يدعوهم بنبد عبادة الأصنام والأوثان وإخلاص العبادة لله وحده .

إنها الطامة الكبرى التي تنزل عليهم فتذهب بسلاطنتهم وتقضي على صولجانهم  
وتحرمهم الربح الذي يأخذون .

فلتقف قريش في وجه محمد ولتشهر في وجهه كل الأسلحة التي تقدر عليها ،  
وتحول بينه وبين الاتصال بقبائل العرب ، ولتلتصق به كل أمر معيب تقدر عليه .  
فهو الكاهن الذي يستعمل رجز الكهان .

وهو الشاعر الذي يهذي بشعره .

وهو الساحر الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه . ولقد شارك سهيل  
في كثير من الحرب الباردة التي شنتها قريش على الرسول ﷺ وعلى أتباعه وأنصار  
دينه . وعندما فشلت الحرب الباردة وقررت قريش أن تعلن الحرب على محمد  
وصحبه كان سهيل بن عمرو في طليعة الداعين إليها والمستنفرين لرجالها والمشاركين  
في أتونها في غزوة بدر ويسأل الرسول ﷺ عندما علم بخروج قريش لحربه من فيهم  
من أشراف قريش؟ .. قالوا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة .

وأبو البخثري بن هشام .

وحكيم بن حزام .

والحرث بن عامر .

وطعيمة بن عدي .

والنضر بن الحارث .

وزمعة بن الأسود .

وسهيل بن عمرو .

وأبو جهل بن هشام .

وأمية بن خلف .

وعمر بن عبد ود .

فأقبل الرسول ﷺ على أصحابه وقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاك أكبادها».

ثم استشار أصحابه. فقال أبو بكر فأحسن، ثم قال عمر فأحسن ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يا رسول الله: امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون). ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد — يعني مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير.

ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا علي أيها الناس؟ فقال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

قال: قد آمنت بك وصدقناك، وأعطيناك عهدنا فامض يا رسول الله لما أمرت به فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله».

فسار الرسول ﷺ والتقى الجمعان وتساقت القتلى من قريش ووقع الكثير من الأسرى ومنهم سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدخشم الأنصاري.

وقال في ذلك:

أسرت سهيلاً فما ابستغى  
أسيراً به من جميع الأمم  
وخندف تعلم أن الفتى  
سهيلاً فتاها إذا تُصطلم

## ضربت بندي الشفر حتى انثني وأكرهت سني على ذي العلم

فلما أتى به النبي ﷺ قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — يا رسول الله :  
دعني أنزع ثنيتيه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً؟؟ .. وكان سهيل مشقوق الشفة العليا.  
فقال رسول الله ﷺ دعه يا عمر ، فسيقوم مقاماً تحمده عليه . وتم فداء سهيل  
وعاد الى مكة وتمر الأيام وتكرّر الليالي ولا يظهر صوت لسهيل طوال المعارك التي  
دارت بين المسلمين وجماعة قريش أراجع نفسه وفكر في معبوده الذي لا ينفع ولا  
يضر؟ ..

هل دخل الإسلام قلبه ولكنه لم يعلنه؟ ..

أ يكون لما رآه في غزوة بدر من انتصار القلة على الكثرة أثر في ذلك . أم أن  
الهزيمة التي منيت بها قريش ووقوعه في الأسر عامل أساسي في تلك الانعزالية؟ .  
لقد رأى سهيل في غزوة بدر آيات بينات وشاهد معجزات وخوارق للمعادات  
أ تكون هي التي باعدت بينه وبين الفريقين؟ حتى تظهر أمامه الأمور وتستبين  
الحقائق .

يقول سهيل بن عمرو : « لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بلق بين  
السماء والأرض معلمين يقتلون ويأسرون . »

ويؤكد ذلك أبو أسيد الساعدي فيقول بعد أن ذهب بصره : لو كنت معكم  
الآن ببدر ومعني بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا  
أمتري .

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لم يعلن سهيل إسلامه — وهو صاحب عقل وشرف  
كما أخبر الرسول ﷺ ؟

لماذا لم يعلن إسلامه وقد فعلها ابنه عبد الله وأبو جندل؟ ..

أكان للعصية القرشية دخل في ذلك؟..  
أكان الخوف على الجاه والسلطان عاملاً في تأخير دخوله في الإسلام؟..  
إن هذه التساؤلات الكثيرة يكشف عنها موقف سهيل في صلح الحديبية.

### موقف سهيل من صلح الحديبية..

روى الإمام البخاري قال : خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضعة عشرة مائة من أصحابه وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له . فلما كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا لملاقاتك ويعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً . فقال رسول الله ﷺ :

« يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا . وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة .  
ثم قال : لا تدعوني قريش اليوم الى حطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها .

وتابعت الرسل بين الرسول ﷺ وبين قريش . وهو يوضح لها أنه ما جاء لقتال وإنما جاء معظماً لهذا البيت . ولكن قريشاً كانت تشكك في كل رسول ترسله فتقدم اليهم عروة بن مسعود فقال :

« أي النقوم ألسنت بالوالد؟..

قالوا : بلى .

قال : أولستم بالولد؟..

قالوا : بلى .

قال : فهل تهموني ؟ ..

قالوا : لا .

قال : أستم تعلمون أي استنفرت أهل عكاظ ؟ فلما بلحوا علي جتكم بأهلي  
وولدي ومن أطاعني ؟ ..

قالوا : بلى .

قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية .

فقالوا : ائته .

فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ ويرمق أصحابه — فقال الرسول ﷺ إنا لم نجيء  
لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن  
شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما  
دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا .

وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي  
ولينفذن أمر الله .

فرجع عروة الى أصحابه فقال :

« أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على قيصر ، وكسرى والنجاشي  
والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً . والله إن  
تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم  
ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم  
عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

وتوالت الرسل بعد عروة بن مسعود وكلهم يخبر قريش أن المسلمين جاءوا  
معتمرين لا مقاتلين .



ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو الى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى الى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر : أليس برسول الله؟

قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين؟

قال : بلى .

قال : أوليسوا بالمشركين؟

قال : بلى .

قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا .

قال : أبو بكر يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله .

قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله ﷺ

فقال : يا رسول الله أأنت رسول الله؟ ..

قال : بلى .

قال : أولسنا بالمسلمين؟ ..

قال : بلى .

قال : أوليسوا بالمشركين؟ ..

قال : بلى .

قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ ..

قال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ..  
ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فقال : اكتب  
بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال سهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم .  
فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال : اكتب هذا ما  
صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو .  
قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم  
أبيك .

فقال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن  
عمرو .

« اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف  
بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم .  
ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه .

وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في  
عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وأنتك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا  
عنتك فدخلتها بأصحابك فأقت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا  
تدخلها بغيرها .

قال : فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو  
جندل بن سهيل يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ .

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بثوبه يجره ليرده إلى  
قريش .

وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين: أريد إلى المشركين  
بفتونتي في ديني؟؟؟

فقال رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولن  
معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ،  
وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نغدر بهم .

وصدق رسول الله ﷺ فيما قاله لعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أنه عبد  
الله ورسوله . ولن يضيعه .

وصدق فيما قاله لأبي جندل : اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من  
المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

لأنه ما كادت تمر فترة وجيزة على كلام الرسول ﷺ حتى كان أبو جندل حراً  
طليقاً يقطع طريق القوافل على قريش .

إن أبا جندل وجاعته حاصروا قريشاً اقتصادياً ، وحاصروها سياسياً وأجبروها أن  
تلغي بعض شروطها مع الرسول ﷺ وتطلب منه أن من خرج منها مسلماً لا يرده  
إليها — بل وترجوه أن يضم أبا جندل وجاعته حتى لا تهلك جوعاً .

إن هذا الصلح الذي أغضب عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — وكثيراً من  
المسلمين — ورضيه رسول الله ﷺ يدل دلالة واضحة على صدق الرسالة وصدق  
الرسول وأنه لا ينطق على الهوى عندما قال : أنا عبد الله ورسوله ولن يضيعني .  
نعم لم يضيعه ربه بل أكرمه ونصره .

لأن هذا الصلح جعل قريش تكف يدها وتمنع أذاها عن الداخلين في الإسلام ،  
وبمجرد أن فعلت قريش ذلك : دخل الناس في دين الله أفواجا ، وانتشر الإسلام  
في الأصقاع والبقاع . وفوجئت قريش بعد فترة وجيزة من الصلح بعشرة آلاف  
فارس من أبطال المسلمين بقيادة الرسول ﷺ يدكون معانقها ويحندلون فرسانها

ويدخلون الكعبة ليطهروا أرجاءها من الأصنام والأوثان. ويجلجل صوت هؤلاء  
الفرسان — خلف الرسول ﷺ وهم يحطمون الأصنام ويطهرون بيت الله الحرام من  
هذا الركام المتعفن

لا إله إلا الله وحده

صدق وعده

ونصر عبده

وأعز جنده

وهزم الأحزاب وحده

وفي بيت الله أول بيت وضع للناس، أحاط المسلمون بقائدهم تحفهم  
السكينة، ويعلوهم الوقار ويرهفون آذانهم الى نداء علوي يدوي في الكون كله  
ويملاً الآفاق بقول الله تعالى:

﴿ محمد رسول الله — والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً  
سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سبأهم في وجوههم من أثر السجود ذلك  
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على  
سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم  
مغفرة وأجرًا عظيماً ﴾

أين سهيل بن عمرو والأصنام تزال والمعازل تتلاشى؟..

أين قوة سهيل وقوة أتباعه أمام جحافل المسلمين؟

أين هم وأين شياطينهم الذين أغروا بهم؟..

لقد دخلوا الى بيوتهم مهرولين — أمام جيش الله — يملأ الرعب قلوبهم ويأخذ  
الهلل بتلابيبهم وهم يفرون إلى مخابثهم كما نفر الجرذان إلى جحورها.

ويرى عبد الله بن سهيل البطل المسلم — والده سهيل يتوارى من القوم، وكان

الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت وتمنى أن يتلعه فجاجها خوفاً من العالقة الصيد  
الذين آمنوا بالواحد الأحد، وصدقوا بمحمد ﷺ .

وتأخذه الشفقة على هذا الوالد، ويتذكر قول الله تعالى :

﴿ وصاحبها في الدنيا معروفاً ﴾ (١)

فيتقدم الى رسول الله ﷺ قائلاً : يا رسول الله أبي تؤمنه ؟ ..

فقال رسول الله ﷺ نعم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله ﷺ لمن  
حوله : من رأى سهيل بن عمرو فلا يشد النظر إليه فلعمري إن سهيلاً له عقل  
وشرف. وتمر الأيام وتكر الليلي ، حتى كان يوم ليس كمثلته يوم يصل الخبر إلى مكة  
بوفاة الرسول ﷺ .

وتضطرب النفوس ، وتذهب بعض العقول ، ويقف الشيطان موقفه يطالب  
هؤلاء المسلمين مسلمة الفتح الذين دخلوا في دين الله وأعلنوا إسلامهم رهبة لا  
رغبة ، يطالبهم بالارتداد والعودة الى أصنامهم ، وينذ ما جاء به محمد ، وشن الحرب  
الضروس على أتباعه وأوشكت الفتنة أن تعم أرجاء مكة .

وكاد الكثير من أهلها أن يرتد .

هنا يقف سهيل بن عمرو الموقف الذي أخبر به الرسول ﷺ وبمحمد عليه عمر  
ابن الخطاب وجماعة المسلمين. لقد قام سهيل على باب الكعبة وصاح بالناس  
فاجتمعوا إليه فقال : يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد . والله ليتمن  
الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ فلقد رأيته قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول :

« قولوا معي لا إله إلا الله تدين لكم العرب ، وتؤدي إليكم العجم الجزية والله  
لننفضن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله . »

فكنا بين مستهزى ومصدق . فكان ما رأيتم .

(١) سورة لقمان آية رقم ١٥ .

والله ليكونن الباقي .

فامتنع الناس عن الردة .

وعاش سهيل بعد ذلك للإسلام بقلبه ولسانه وسيفه يقنع بلسانه هؤلاء الذين يتبعون خطوات الشيطان ، ويحاول بمنطقه السديد ولسانه القوي أن يأخذهم الى جادة الصواب ويردهم الى مرفأ الايمان .

ثم ماذا دانت الجزيرة العربية بالاسلام ورددت أرجاؤها كلمة الله أكبر وأصبح للمسلمين جيش قوي كل فرد من أفراده يبغى الشهادة ويرجوها من الله أو يتحقق نصر الله بنشر هذا الدين في أركان الأرض الأربعة . وعلم سهيل بن عمرو أن خليفة المسلمين أبا بكر الصديق يوجه الجنود الى فتح الشام وهم يعدون العدة لذلك . ويدور بخلفه حديث الرسول ﷺ عندما سأله أحد الصحابة ، دلي يا رسول الله على عمل يعدل الجهاد؟ ..

ورد عليه الرسول ﷺ بقوله : أنتستطيع أن تصلي فلا تفتروا وتصوم فلا تفتروا؟ .. ومن يطيق ذلك يا رسول الله؟ ..

إذن ليس هناك ما يعدل الجهاد . وليس هناك ما يعدل الشهادة وقرر سهيل أن يرافق الجيش المتجه الى ربوع الشام وأعد زاده وفرسه وجهاز رحله وسيفه وجلس مع جماعة الجنود يستمعون الى خليفة المسلمين وهو يوصي قائد جنده يزيد بن أبي سفيان بقوله :

« أحسن الى جنديك وأبدأهم بالخير وعدهم إياه وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها وإذا قدم عليك رسل فأكرمهم وأقلل لبهم حتى يخرجوا من عسكريك وهم جاهلون به ، ولا تزينهم فيروا خللك ، ويعلموا علمك وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة الخ ...

وعلى البطحاء المنبسطة على أرض الشام كانت له صولاته وجولاته وكان نعم

المقاتل بسيفه ونعم الناصح لقائده بلسانه واستمر على ذلك حتى كانت النهاية وبلغ الكتاب أهله فمات على فراشه شهيداً بطاعون عمواس الذي كان منتشرأ في ذلك الوقت .

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للإسلام والمسلمين .

## أسباب نزول الآيات

قال الإمام الواحدي : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي ، أخبرنا عبد الله ابن محمد بن جعفر ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي ، حدثنا سهيل بن عثمان العسكري ، حدثنا عبدة بن حميد ، عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال :

كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أحد ودمي وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ويقول :

« كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم؟ .. قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ .

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الغازي ، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان أخبرنا أحمد ابن علي بن المثنى ، حدثنا اسحاق بن أبي إسرائيل ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن سالم عن أبيه قال :

لعن رسول الله ﷺ في صلاة الصبح فلاناً وفلاناً ناساً من المنافقين فأنزل الله عز وجل : ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ .



رواه البخاري عن حيان عن ابن المبارك عن معمر<sup>(١)</sup> ، ورواه مسلم من طريق ثابت عن أنس<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي ، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرو بن عمار بن محمد ، أخبرنا مسلم بن الحجاج حدثنا القعني حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس :

أن رسول الله ﷺ كسرت رابعيته يوم أحد وشج في رأسه ، وجعل الدم يسيل عنه ، ويقول : كيف يقلح دم شجوا نبيهم وكسروا رابعيته وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل :

﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾

أخبرنا أبو اسحاق الثعالبي ، أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان ، أخبرنا أبو حامد ابن الشرقي ، حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه :

أنه سمع رسول الله ﷺ قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع : ربنا لك الحمد ، اللهم العن فلاناً وفلاناً دعاً على ناس من المنافقين فأنزل الله عز وجل :

﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ رواه البخاري من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب وسياقه أحسن من هذا .

أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا بحر بن نصر قال : قرئ على ابن وهب أخبرك يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول :

(١) صحيح البخاري ٥ : ٩٩ ، ٦ : ٣٨ ، ٩ : ١٠٦ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ١٣٨ .

كان رسول الله ﷺ حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصبة عصت الله ورسوله . ثم نزل قول الله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ فترك ذلك . رواه البخاري عن موسى بن اسماعيل عن ابراهيم بن سعد عن الزهري . وقال السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٧١ أخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم أحد : اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية . فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

## تذييل ...

«إنه ذو عقل وشرف» هكذا قال الرسول ﷺ يصف سهيل بن عمرو .  
والعقل في الاسلام مناط التكليف ، ولقد احتفل الاسلام احتفالاً كبيراً بالعقل .  
وذكره في كثير من سوره والذين يستعملون عقولهم هم الذين يحظون بخطاب الله  
تعالى لأنهم يتفكرون ويتدبرون في خلقه قال تعالى :

﴿ إن في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري  
في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها  
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض  
لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

وقال تعالى أيضاً في سورة الروم : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم  
إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ، وله من في السموات والأرض كل  
له قانون ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في  
السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم . ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما  
ملكتم أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم  
كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ .

وهذا الخطاب المتكرر إلى العقل في القرآن الكريم هو خطاب إلى اللب . قال

تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو  
الألبياب ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة  
الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألبياب لعلكم تفلحون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله  
وأولئك هم أولو الألبياب ﴾ .

ومن هذه الآيات تبيين أن اللب الذي يخاطبه القرآن الكريم وظيفته عقلية تحيط  
بالعقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الذي يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكر  
والذكرى ، وخطابه خطاب لأناس من العقلاء الذين لهم نصيب من الفهم والرعي  
أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء .

والذي ينبغي أن نشوب إليه مرة بعد مرة أن التنويه بالعقل على اختلاف  
خصائصه لم يأت في القرآن عرضاً ولا تردد فيه كثيراً من قبيل التكرار المعاد ، بل  
كان هذا التنويه بالعقل نتيجة مستظرة يستلزمها لباب الدين وجوهره ويتربها من هذا  
الدين كل من عرف كنهه وعرف كنهه الإنسان في تقديره .

والاسلام دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه السدنة والأخبار بين المخلوق  
والخالق ، ولا يفرض على الإنسان قرباناً يسعى به الى المحراب بشفاعة من ولي  
متسلط ، أو صاحب قداسة مطاعة ، فلا ترجان فيه بين الله وعباده . لهذا ما كاد  
سهيل يدخل في هذا الدين ، حتى اكتشف عن طريق عقله أنه الدين الحق الذي  
جاء من عند خالق الأرض والسماء . وآمن سهيل أن ما كان يعبده وقومه هو  
الضلال بعينه ، لأن الأصنام لا تنفع ولا تضر ولا يستطيع حجر من الحجر أو  
شجر ، أو جن ، أو ملاك ، أو أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى أن يقدم نفعاً أو  
ضراً للإنسان ولهذا كان قول الرسول ﷺ لابن مسعود :

« احفظ الله يحفظك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ،  
واعلم أن أهل الأرض جميعاً لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ما كتب الله لك ما

استطاعوا أن يتفكوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ما استطاعوا أن يضروك  
رفعت الأقلام وجفت الصحف . وما أحرى المسلمين في عالمنا المعاصر أن يتخلصوا  
من طواغيت الإنس والجن ، وألا يزوجوا النفع والضرر إلا من خالق النفع والضرر ،  
لأنهم إذا فعلوا ذلك صلحت دنياهم وخلصت العبادة لله تعالى :

فتى يفعل المسلمون ذلك؟ ..

متى يا رب؟ ..

سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبي بكر الصديق، فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه.

فدخل عليه عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال :

« يا خليفة رسول الله ﷺ من هذه؟ ..»

قال : هذه بنت من هو خير مني ومنك .

قال : ومن خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ ...

قال أبو بكر : رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده في الجنة وبقيت

أنا وأنت .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

يُوصِيكُمُ اللَّهُ

فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً  
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ

إلى قوله تعالى :

وَإِن كَانِ

رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَّهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ  
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ  
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا  
أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ



## أقوال العلماء في نزول هذه الآيات

ذكر جماعة من المفسرين والعلماء أن هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة منهم سعد بن الربيع .

ذكر ذلك الإمام أحمد وأبو داود في المسند ٣ : ١٦٦ .

وقاله الإمام الترمذي وحسنه ٢ : ٣٠ .

وقاله ابن ماجه في سننه ٢ : ٩٠٨ .

وصححه الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر وقاله الإمام الواحدي في أسباب النزول ١٣٩ .

لمن هو سعد بن الربيع؟ ..

## سعد بن الربيع رضي الله عنه

سعد بن الربيع الخزرجي الأنصاري .

من العاقبة الصيد الذين علموا الدنيا أن الجهاد عبادة والقتل في سبيل الله شهادة .

من الأنصار الأبطال الذين آووا ونصروا ، آووا المهاجرين ونصروا دين الله وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيله .

من هؤلاء الذين رغبوا في الجنة فعملوا لها . وخافوا ربهم فسهروا ليلهم وقاموا نهارهم .

ولد على أرض يثرب المباركة ، وعلى ثراها ترعرعت طفولته وبين سهولها ووديانها نمت رجولته واكتمل شبابه .

وما كاد يخط شاربه ويصلب عوده حتى أخذ والده يدربه على ركوب الخيل ، والوثب على ظهورها ، واستعمال الرمح والسهم في صيد الطيور المحلقة ، واقتناص الحيوانات البرية ، التي تملأ صحراء العرب وكهوفها .

ولقد كان يخرج مبكراً كل يوم ليستمتع بيزوغ أشعة الشمس الزاحفة على فلول ظلمة الليل المنهزمة ، وأمامه إبله ومواشيه يختار لها أماكن الرعي ومواطن الكلاء .

فإذا وصلت إلى متغاها وأخذت تلتهم طعامها ، انشغل عنها بصيده وقنصه ،  
ليعود في آخر يومه ، ومعه طعامه من طيور اقتنصها ، أو أرانب برية ، أصابها بسهمه  
أو رمحه .

فإذا أقبل الليل اجتمع مع رفاقه من رجال يثرب في منتداهم يتطارحون  
الأشعار ، ويتبادلون الأخبار ويتسمعون الى السمار والقصاص وهم يرددون أخبار  
الغابرين وأهازيج العاشقين . فإذا ذهب الهزيع الأول من الليل ولف الكون بردائه  
وأطبق عليه بظلامه عاد الى بيته وفي رأسه تساؤلات عجيبة وأفكار غريبة لا يستطيع  
الافصاح عنها أو التكلم بها ، ولكنه كان دائماً يرددتها بينه وبين نفسه .

من الذي صنع هذا الكون الذي يمتد أمام بصره ولا يصل الى مداه؟ ..  
من الذي زرع هذه الكواكب والنجوم وبثها على صفحة السماء والتي تسير في  
نظام ويسر؟ ..

من كور السماء على الأرض؟ ..

من الذي يخرج النبات المختلف الأشكال والألوان من باطن هذه التربة؟ ..  
كيف يتكون الطفل في بطن أمه؟ ..

من الذي يفتح عينيه ويشق له شفقيه ، ويصنعه في أجمل صورة ، من يفعل  
ذلك كله؟ ..

أنفعل ذلك آلهة اليهود التي تأكل وتشرب وتتشكل وتتجسد وتلعب مع الحيتان  
في أعماق البحار؟ ..

أنفعلها آلهة النصارى الثلاثة التي تتشاحن وتتخالف ويسخر بعضها من  
بعض؟ ..

أم أن الذي يقوم بتلك المهمة هي أصنام قريش أصنامها الكبيرة كهبل ،  
والآلات ، ومناة؟ ..

وأصنامها الصغيرة التي تنحت بأيدي الرجال وتنتشر في أركان الكعبة ، وهي لا تنطق ولا تبين؟ .

أتفعل الأصنام كل ذلك؟ ..

أتقوم هي بعملية الخلق والابداع؟ ..

أتستطيع هذه الأصنام أن تقدم لسدنتها أنواع الطعام والشراب؟ أتملك أن تخفف عنهم قبط الصيف وقر الشتاء؟ ..

أتسمع هذه الأصنام شكاية المريض ، وتوجع اللفهان؟ ..

أتستطيع أن تخفف أمراضهم وتزيل آلامهم؟ ..

ويبتفض سعد انتفاضة من به مس ويرتفع صوته قائلاً: لا .. لا .. لن ألغي عقلي .

إن تلك الحجارة التي تملأ جنبات الكعبة لا تنفع ولا تضر ، لا تسمن ولا تقني من جوع .

تباً لها من بلهاء عاجزة .

وويل لهؤلاء الذين يعبدونها ويخصونها من دون الحجارة بالتقديس والتبجيل؟ ..

ويستمر سعد في أفكاره تلك كلما آوى الى فراشه ، أو لفه صمت أو مكان ويسبح مع خيالاتها التي لا تقف به عند حد ولا تهتدي إلى مرفأ أو مكان .

حتى كان يوم وصل إلى سمعه وهو يتجول في سوق يثرب همساً لا يبين وحركة لا تتوقف وبريقاً يملأ عيون بعض الرجال وإبلاً تعد وقافلة تهيء نفسها للرحيل .

ولمح بين هؤلاء الرجال صديقه ورفيق صباه عبادة بن الصامت وتصافحا وتعانقا ثم قال سعد :

كانكم تريدون الإظعان يا عبادة .

نعم يا سعد وجهتنا بيت الله الحرام.

ولكنكم كثر وعادتنا ألا يخرج لهذا البيت إلا الواحد بعد الواحد ليطوف ويقدم لأصنامها ما يريد.

لا يا سعد ليست الأصنام وجهتنا وليست الكعبة مطلبنا ولكننا وماتت الكلمات على شفني عبادة فلم تبين.

ماذا بك يا عبادة كأنك تخفي عني شيئاً لا تريد البوح به ؟ .. ما قصدت ذلك يا سعد ولكن رحلتنا هذه اعدت لمقابلة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ ..  
من محمد هذا يا عبادة ؟ ..

إنه رسول الله الى عباده ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الإيمان ومن عبادة الأصنام الى عبادة الرحمن.

أيستطيع الرسول هذا أن يدلني على خالق الأرض والسماء وموجد الإحياء والاماتة ؟ ..

نعم يا سعد انه يوحى إليه من ربه وينزل عليه قرآناً وما كاد سعد يسمع هذه الكلمات حتى انفلت مسرعاً الى بيته ليعد راحلته وزاده ويرافق هذه القافلة الى وجهتها الميمونة . يقول سعد بن الربيع : وسارت المطي بنا تطوي البيد وتقطع الفيافي والقفار وكأنها الأخرى بها شوق ولهفة الى رؤية رسول البشرية الذي جاءها على قفرة من الرسل ، ليحطم الأصنام ، ويجندل البهتان ، ويجعل العبادة خالصة لله تعالى :

وطويت الأرض تحت أقدامنا وظهرت لنا مشارف مكة — وفي مكان يسمى العقبة انحننا المطي وكلنا لهفة وشوق الى رؤية الرسول الكريم ، ولم يطل بنا الانتظار حتى جاء صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب جاء ليستوثق لابن أخيه . وكان العباس أول من تكلم فقال :

« يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم في عزّ ومنعة وأنه قد أمى إلا

الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة» .

فقال الأنصار قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت» .

«فتكلم الرسول ﷺ وتلا القرآن ورغب في الاسلام ثم قال :

«تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» .

ثم أخذ البراء بن معرور بيده ثم قال :

«والذي بعثك بالحق لتمنعك مما تمنع منه ذرارينا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله

أهل الحرب» .

فاعرض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال :

«يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلاً وأنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيب

إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع الى قومك وتدعنا؟ ..

فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

«بل الدم الدم والهدم والهدم ، وأنتم مني وأنا منكم أسلم من سالمتم ، وأحارب

من حاربتم» .

ثم قال الرسول ﷺ اخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم» .

فاخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وقال لهم العباس بن عباد بن فضلة الانصاري : يا معشر الخزرج هل تدرون

علام تباعون هذا الرجل؟ ..

إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت

أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتوه فمن الآن فهو والله خزري الدنيا والآخرة .

وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا: فإننا نأخذنه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول  
الله؟ ..

قال: الجنة.

قالوا: أبسط يدك نبأيك. فبايعوه جميعاً.

يقول سعد بن الربيع: وبايعت رسول الله ﷺ ونطقت بكلمة التوحيد (لا إله  
إلا الله محمد رسول الله).

وكلمة التوحيد هذه التي نطق بها سعد تتضمن رفضاً وإثباتاً رفض لكل  
الانحرافات التي تردت فيها البشرية في تاريخها الطويل، وإثبات بأن الله واحد لا  
شريك له: الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد. وشهادة بأن محمد ﷺ رسول الله  
تصديق ومتابعة للرسول. واقتداء به في كل ما يأتي وما يدع.

لا بد من الاقتداء به سلوكاً.

والاقتداء به قولاً.

والاقتداء به متابعة.

إن الإقرار بالشهادتين يدخل صاحبها في ساحة الإسلام والاسلام ليس قولاً  
باللسان فقط.

ولكنه قول، وتصديق، وعمل.

إن كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا بد أن ينطق بها اللسان ويصدق بها  
القلب وتلتزم بها الجوارح.

إن من يقر بأن الله واحد، لا يعرف معبوداً سواه، ولا يخضع لأحد غيره، ولا  
يرجو النفع من مخلوق أياً كان هذا المخلوق ملك أو رسول أو بشر.

فن يسائر أهواءه وتغلبه شهواته فهو بعيد عن جو لا إله إلا الله.

يقول الله تعالى:

﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه ، وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ (١) .

والذي يخضع لغيره ويذل نفسه في سبيل نفع بناله ، أو خير يأخذه ، هو بعيد عن جو لا إله إلا الله .

لأن المؤمن عزيز فلا يذل .

يقول الله تعالى : ﴿ والله العزة لرسوله وللمؤمنين ﴾ (٢) .

والمؤمن مطمئن الى عدل الله فلا يخاف .

يقول الله تعالى : ﴿ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (٣) .

والمؤمن قوي فلا يضعف . يقول الله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (٤) .

إنهم الرجال الذين تربوا في مدرسة الاسلام ، فكانوا كالصواعق المدمرة التي نزلت على رأس الكفر .

ورحماء بينهم عاشوا إخوة متحابين ، نزع الله من قلوبهم الحقد والغل والحسد ، وحرب على من عاداهم ، يسعى بذمتهم أداناهم تنكافأ دماءهم .

آمنوا أن النفع والضرر ، والاعطاء والمنع للواحد الأحد الفرد الصمد . قال تعالى :

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ (٥) .

- 
- (١) سورة الجاثمة آية رقم ٢٣ .  
(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨ .  
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٢ .  
(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩ .  
(٥) سورة آل عمران آية رقم ٢٦ .



والعمل في جو لا إله إلا الله عبادة أياً كان هذا العمل ما دام المقصود به في النهاية هو وجه الله.

وقد عد القرآن الضرب في فجاج الأرض والكشف عن كنوزها والبحث عن الرزق وتعمير الكون ودراسة أسرار الفضاء كل هذه الأشياء عدل العبادة وقيام الليل.

قال تعالى : ﴿ والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه ﴾ .

كل هذه المعاني راودت سعد بن الربيع وهو في طريق العودة الى يثرب . لقد أصبح إنساناً جديداً .

إنساناً دخل مدرسة التوحيد فأمن بالواحد الأحد .

وترعى في مدرسة النبوة فانضبط سلوكه واستيقظ ضميره وأصبح ربانياً في كل ما يأتي وما يدع .

ولما جاءت غزوة بدر كان سعد بن الربيع أحد فرسانها الأبطال ورجالها الأقوياء وقد وقف مع سعد بن معاذ على باب العريش لحراسة رسول الله ﷺ وشاهده وهو يرفع أكف الضراعة الى ربه قائلاً :

« اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض ، اللهم انجز ما وعدتني » .

ثم خرج من عريشه وهو قول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » وحرص المسلمون على القتال وقال :

« والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

فهم سعد بن الربيع أن يترك عريش رسول الله ﷺ وينخرط في سلك  
المقاتلين.

ولكن الرسول ﷺ قال له : ليس الآن يا سعد . فامتثل الى أمر الرسول ﷺ .  
وشاهد سعد : عمير بن الحمام الأنصاري ويده ثمرات يأكلهن وهو يقول : يخ  
بخ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟؟ .  
ثملقى الثمرات من يده وقاتل حتى قتل .

ورأى سعد معاذاً بن عمرو بن الجموح عندما شاهد المسلمين لا يصلون الى أبي  
جهل فجعله معاذ من شأنه حتى أمكنه الله منه فضربه ضربة قطعت قدمه بنصف  
ساقه ، ثم اشترك معه معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته وتركه وبه رمق ثم مر به ابن  
مسعود فقضى عليه .

رأى سعد وهو واقف على عريش رسول الله ﷺ أبطال المسلمين وهم يقتلون  
ويأسرون زعماء قريش وفرسانها رأى النصر الباهر والفوز العظيم فسجد شاكراً لله .  
وتابع ركب الرسول ﷺ الى المدينة .  
ثم ماذا؟ ..

تكر الأيام وتتوالى الليالي وتعمل قريش لغزوة أخرى تقتص فيها من قتلها يوم  
بدر وتخرج بأحباشها ورجالها للملاقاة المسلمين .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال :

«إني رأيت بقرأ ، فأولتها خيراً .

ورأيت في ذباب سيني ثلماً» .

ورأيت أي أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة» .

فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا  
قاتلناهم فيها» .

فأشاروا عليه بالخروج . فخرج في ألف رجل واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي بثلث الناس .

ووصل الرسول ﷺ إلى مكان المعركة فاستقبل المدينة وجعل أحداً خلف ظهره .

وجعل وراءه الرماة وهم خمسون رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال له « انضح عنا الحيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا واثبت مكانك لا تؤثين من قبلك » .

والتقى الجيشان واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين .

ونزل الرماة من على الجبل يرباؤون الغنيمة فاهتبلها خالد بن الوليد وحمل على المسلمين من خلفهم فكانت الهزيمة ووقع الهرج والمرج في الصف واستولى الاضطراب والذعر لهول المفاجأة التي لم يتوقعها أحد ، وكثر القتل واستشهد من المسلمين من كتب الله له الشهادة .

وافتقد الرسول ﷺ سعد بن الربيع ؟؟ ..

فقال : من يأتي بخبر سعد .. فلإني قد رأيت الأسنة قد أشرعت إليه ؟ ..

فقال ابي بن كعب : أنا يا رسول الله .

فذهب يطوف بين القتلى . فوجده وبه رمق .

فقال له سعد : ما شأنك ؟ .

فقال أبي : بعثني رسول الله ﷺ لآتيه بخبرك ..

قال سعد : فاذهب إليه فأقرته مني السلام ، وأخبره أني قد طعنت اثني عشرة

طعنة ، وأني قد أنفذت مقاتلي . وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وواحد منهم حي .

ثم فارقت روحه جسده الى بارئها .

وجلست إحدى ابنتيه تذرف الدموع الغزار على البطل المغوار وتذكر حنان الأبوة الغامر وعطفه الكبير .

واقتربت منها أختها الكبرى تكفكف دمعها ونواصي قلبها وتتلو على مسامعها قول الله تعالى :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

فوالدنا يا أختي انتقل من دار الفناء الى دار البقاء .

فهو حي عند ربه حياة لا نعلم كنهها وهو بذلك لم ينفصل عنا ولم تنقطع صلواته بنا .

ويذهب الحزن عن الابنة الأخرى عند سماعها آيات التنزيل وتبهي نفسها للعمل في مرضاة الله ومرضاة الرسول حتى تلحق بأبيها في جنات الخلد عند ملك مقدر . وخلا مكان الفارس العملاق سعد بن الربيع من ساحة القتال . وبقي مكانه شاغراً لم يملأه أحد بعد . فمن أبناء الاسلام يملأ هذا المكان ؟ ..

من الفارس المغوار الذي ينقذ بلاد المسلمين من الدمار والهلاك والهزيمة .

من الفارس الذي يعيد لأمة القرآن أمجاد بدر ، والقادسية ، واليرموك ؟ ..

من أيها المسلمين ؟ ..

إني أكاد ألهه عبر الأفق يأتي من غير هذه البلاد يحمل في جعبته النصر،  
والفوز، والأمان.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعندها يتحقق قول الله تعالى:

﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة محمد آية رقم ٣٨.

## أسباب نزول الآية

قوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله ﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال :  
عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين ، فوجدني ﷺ لا أعقل  
شيئاً ، فدعا بماء فتوضأ ، ثم رش عليّ فأفقت ، فقلت : ما تأمرني أن أصنع في  
مالي ؟ فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » وأخرج أحمد  
وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول  
الله ﷺ فقالت يا رسول الله : هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد  
شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال ، فقال :  
يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث .

قال الحافظ بن حجر : تمسك بهذا من قال : إن الآية نزلت في قصة ابنتي  
سعد ، ولم تنزل في قصة جابر خصوصا أن جابراً لم يكن له يومئذ ولد ، قال :  
والجواب أنها نزلت في الأمرين معاً ، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين ،  
وآخرها وهو قوله « وإن كان رجل يورث كلالة » في قصة جابر ، ويكون مراد جابر  
بقوله فنزلت ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾ أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية  
انتهى . وقد ورد سبب ثالث ، أخرجه ابن جرير عن السدي قال : كان أهل  
الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من  
أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة

وخمس بنات ، فجاء الورثة يأخذون ماله ، فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ .  
فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾ ثم قال في أم  
كحة ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن . وقد  
ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر ، فأخرج القاضي اسماعيل في أحكام القرآن  
من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم أن عمرة بنت حزم كانت تحت سعد بن  
الربيع فقتل عنها بأحد ، وكان له منها ابنة ، فأنت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها ،  
ففيها نزلت ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ الآية .

## تلبييل ...

قلنا : إن سعد بن الربيع من الأنصار الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ وبين المهاجرين :

ومن هذا التاريخ والاسلام يحتفل بالأخوة بين أتباعه ، ويحيطها بسياج من تعاليمه وأوامره . ويعمل على إشاعتها بين أبنائه ، وإقامتها على أواصر من المودة والمحبة .

والأخوة في الإسلام تقتضي تبعات جساماً ، الأخ يهتم بأمر أخيه ويعني بشأنه ، ويتفقد أموره ، ويرشده الى أقوم السبل ، ويقف بجواره إن حل به مكروه أو نزلت به نازلة ، يقول الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

ويقول الرسول ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ويقول أيضاً : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

والدعوة الإسلامية قد تدعمت بالأخوة الصادقة بين صاحب الدعوة محمد ﷺ وبين صديقه وحبيبه أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — .

ولم يكن التآخي بين المهاجرين والأنصار مجرد المشاركة في عروض الحياة



الفانية ، ولا من أجل شهوات النفس ورغباتها ، ولكنه كان أعمق من ذلك . لقد كان من أجل العقيدة السمحة التي حباها الله بها ، وجعلهم من حماها ولقد قدم الأنصار في سبيل ذلك كل ما يملكون ، سخية بها نفوسهم لا يطلبون إلا الثواب من الله ، والأمل في رضوانه .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا الايثار الذي قابل به الأنصار إخوانهم المهاجرين قال تعالى :

﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . »

ويبين القرآن الكريم أن مجتمع الأخوة في الاسلام يقوم على عداوة الشرك واعداد العدة لقتال المشركين ، ومع ذلك فهم رحماء بينهم يتغون الثواب والمغفرة من ربهم قال تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يتغون فضلاً من الله ورضواناً سبأهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . ﴿

وتستمر الأخوة الإسلامية حاملة لواء الدعوة محطمة حصون الشرك حتى كان النصر المؤزر والفتح المبين ، الذي خنس فيه الشرك واستخذت الجهالة ، وذلت قريش ، ووقف الرسول ﷺ أمام الكعبة بعد أن حطمت الأصنام بداخلها مخاطباً اعداء الأمس ، إخوان اليوم بقوله : أيها الناس : ما تظنون أي فاعل بكم ؟ ..

قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم .

فقال ﷺ اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وتساءل لماذا قطعت أواصر الأخوة بين المسلمين؟..

لماذا أصبح بأسهم بينهم شديداً؟..

الأمر الذي جعل بلادهم هدفاً لكل طامع ، ومغتماً لكل سالب .. أيها المسلمون عودوا الى أخوة الاسلام تعد لكم قوتكم وبلادكم . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

بلال بن أبي رباح  
رضي الله عنه

قال الرسول ﷺ :

نعم المرء بلال هو سيد المؤذنين ولا يتبعه إلا مؤذن ، والمؤذنون أطول الناس اعناقاً  
يوم القيامة» .

قال الحاكم : تفرد به حسام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ  
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ  
مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

سورة الأنعام آية ٥٢

## أقوال العلماء في نزول هذه الآيات

قال جماعة من المفسرين نزلت هذه الآية في بلال مؤذن الرسول . وجماعة من الصحابة .

قال ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره ١١ : ٣٧٦ .

وقاله ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٤

من رواية ابن أبي حاتم وقال : هذا حديث غريب

ورواه ابن ماجه في السنن ٢ : ١٣٨٣

ورواه الامام أحمد في المسند رقم ٣٩٨٥ .

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه : اسناده صحيح

فن هو بلال؟ ..

## بلال بن رباح

مؤذن الرسول  
صلى الله عليه وسلم

كان أبوه من سبي الحبشة

وأمه حماة سبية أيضاً.

وهو من مولدي السراة.

يكنى أبا عبد الله وقال بعضهم : يكنى أبا عمرو.

لا يعرف التاريخ شيئاً عن أبيه أو أمه ، ولكنه يسجل نفعاً عن أخيه خالد بن رباح وأخته غفيرة .

يصفه الرواة فيقولون : آدم شديد الأدمة ، نحيفاً طويلاً أجن خفيف العارضين .  
جهوري الصوت .

كان عبداً لأمية بن خلف أحد صنائيد قريش في الجاهلية ورأس الكفر في صدر الإسلام .

يقول ابن اسحاق : أمية بن خلف أحد الذين باتوا حول بيت الرسول ﷺ يريدون قتله . ولكن خاب كيدهم وبطل مكرهم وخرج رسول الله ﷺ وهم

جلوس على الباب . فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرها على رؤوسهم ويتلو قول  
الله تعالى :

﴿ يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ سواء عليهم  
أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ .

ولقد سمع بلال بدعوة الرسول ﷺ ووعى قلبه وعقله كلام الله الذي نزل به  
جبريل على قلب الرسول ﷺ .

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ،  
الذي علم بالقلم ﴾ .

فآمن بالواحد الأحد وترك عبادة الاصنام التي لا تغني ولا تسمن من جوع .

الأمر الذي جعل أمية بن خلف يفقد عقله ويتجرد من آدميته ويتحول إلى  
وحش ضار ، ويتناول بلالاً إذا حميت الظهرية فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم  
يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له :

« لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول  
بلال — وهو في ذلك البلاء — أحد أحد .

قال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال :

« كان ورقة بن نوفل يمر به ، وهو يعذب بذلك وهو يقول : أحد ، أحد ،  
فيقول : أحد أحد يا بلال .

ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول :

« أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاأخذنه حناناً »<sup>(1)</sup> .

(1) حناناً : أي رحمة أتترك بها والوذ بجوارها .



حتى مر به أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — يوماً وهم يصنعون ذلك به ،  
وكانت دار أبي بكر في بني جمح .

فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ ..

قال أمية : أنت الذي أفسدته ، فأنقذه مما ترى ؟؟ ..

فقال أبو بكر : أفعل ... عندي غلام أسود أجلد منه ، وأقوى على دينك ،  
أعطيكه به .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فأعطاه أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — غلامه ، وأخذته فاعتقه وتحرر  
بلال ، وصدع بكلمة الحق ، وأقبل الناس على الدين الحق . قال عمر بن عنبسة :  
أتيت رسول الله ﷺ بعكاظ فقلت : يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر ؟ ..

قال تبغي عليه حر وعبد ، أبو بكر وبلال فأسلمت عند ذلك . وكان أبو  
ذر — رضي الله عنه — يقول : لقد رأيتني ربيع الإسلام ولم يسلم قبلي إلا النبي ﷺ  
وأبو بكر وبلال .

دخل بلال الإسلام عندما نطق بكلمة التوحيد ، ومن هذا التاريخ أصبح إنساناً  
جديداً لا تشغله إبل أمية بن خلف ولا البحث عن الماء والكلاء . ولكن أصبح الأمر  
جديداً .

إنه يحاول بكل جهده أن يتعرف على الآيات البيئات التي يرسلها الله سبحانه  
وتعالى على رسوله .

إنه يحاول أن يتدرب على أعنف الأساليب الحربية ، وطريقة الكر والفر وجندلة  
الأعداء ، أعداء الله وأعداء دينه .

واستمر بلال على ذلك حتى كانت الهجرة — هجرة الرسول ﷺ — إلى

يثرب . حيث الأنصار والأحباب ، فهاجر بلال الى يثرب لينضم الى جماعة المسلمين  
ويكون لهم جيش لم تسمع الدنيا بمثله لأن رجاله رجال الله فرسان بالليل ورهبان  
بالنهار .

ثم كانت غزوة بدر وفيها خرجت قريش بأشرافها ولم يتخلف عن ذلك إلا أبو  
هلب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة .

ولقد أراد أمية بن خلف القعود فإنه كان شيخاً ثقيلاً ولقد روى البخاري  
الأسباب التي جعلت أمية بن خلف يتردد في الخروج الى بدر فقال : إن سعد بن  
معاذ سيد الأوس — كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على  
سعد .

وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة فقال  
لأمية :

انظر الى ساعة خلوة اعلي أطوف بالبيت .

فخرج به قريباً من نصف النهار فلقبها أبو جهل .

فقال : يا أبا صفوان من هذا؟ ..

فقال : هذا سعد .

فقال أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويم الصبابة؟ — يعني  
المسلمين — وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان  
ما رجعت الى أهلك سالماً .

فقال له سعد — ورفع صوته عليه — أما والله لئن منعتني هذا لأمنعتك ما هو  
أشد عليك منه طريقك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي .

فقال سعد : دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك .

قال : بمكة ..؟

قال : لا أدري .

ففرغ لذلك أمية فرعاً شديداً .

فلما رجع أمية الى أهله قال : يا أم صفوان أترى الى ما قال لي سعد؟

قالت : وما قال لك ؟ ..

قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي .

فقالت له : بمكة ؟

قال : لا أدري .

فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس .

قال : أدركوا غيركم .

فكره أمية أن يخرج . فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس

قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما

إذ غلبني فوالله لأشترين أجود بغير بمكة .

ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزني .

فقالت له : يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليربي ؟ .

قال : لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً .

قلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بغيره .

والتقى الجمعان على مقربة من ماء بدر وطلبت قریش المبارزة فخرج اليهم

فرسان الإسلام فقتلوهم شر قتلة . وكان بلال بجوار علي بن أبي طالب — رضي الله

عنه — . وهو يجندل الفرسان ويحصد الرجال بسيفه حصداً ما عدا فارساً لم يستطع

أن ينال منه مقتلاً فاخطفه من على فرسه ، وألقى به أرضاً ثم وضع قدميه على ذراعيه وأخذ بسيفه يريد أن يجز رقبته . ولكنه لم يفعل .

واعلى صهوة فرسه فتعجب من ذلك بلال وقال له :

«ويحك يا علي لما لم تقتله»؟ .

فردّ عليه علي قائلاً : يا أخي يا بلال لقد بصق عدو الله في وجهي فخشيت أن أقتله فأكون قتله غضباً لنفس لا لله .

ثم ماذا؟ ..

قال عبد الرحمن بن عوف : كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو ، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن ، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول :

«يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك»؟ ..

فأقول : نعم .

قال : فإني لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجه .

فقلت له : يا أبا علي اجعل ما شئت .

قال : فأنت عبد الله .

قلت : نعم .

فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الله .. فأجيبه فأحدث معه .

حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه علي وهو أخذ بيده ومعني أذراع قد استلبتها فأنا أحملها .

فلما رأيته قال :

يا عبد عمرو.. فلم أجه.

فقال : يا عبد الله .

قلت : نعم .

قال : هل لك في... فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك .

قلت : نعم . ها الله .

فطرح الأدرع من يدي ، وأخذت بيده ويده ابنه وهو يقول :

ما رأيت كاللوم قط ، ثم خرجت أمشي بهما .

فقال لي وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما :

« يا عبد الله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟... »

قلت : حمزة .

قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل؟...

وما كاد ينتهي من كلامه إذ رآه بلال معي .

رآه بلال فعاد بذاكرته الى مكة أيام كان يلقي به في الرمضاء ويسلط عليه

صبيانها ويصب عليه العذاب صبا .

فقال على الفور : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا .

قلت : أي بلال أسيري؟..

قال : لا نجوت إن نجا .

ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا .

قال عبد الرحمن بن عوف : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا

بنا . فأنا أذب عنه إذ دخل علينا رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوقع . وصاح أمية

صبيحة ما سمعت بمثلها قط . قلت : انج بنفسك ولا نجاء فوالله ما أغني عنك شيئاً .

فهبروها بأسيا فهم حتى فرغوا منها ٩٩.

فكان عبد الرحمن بن عوف يقول : يرحم الله بلالاً فجعني بأذراعي وبأسيري .  
واستطاع بلال أن يسقط رأس الكفر التي كانت تقف في طريق الدعوة الى الله .  
حتى يتمكن الإسلام من الدخول الى عباد الله فينبير طريقهم ويرشدهم الى ربهم  
خالق الأرض والسماء .

ويستمر بلال — رضي الله عنه — مع الرسول ﷺ في غزواته وحروبه حتى  
كانت غزوة خيبر التي أبل فيها المسلمون بلاء حسناً . وتم لهم النصر وكلف بلال  
بجراحة النساء الأسيرات حتى طلبهم رسول الله ﷺ فربها بلال على قتلى من قتلى  
اليهود .

فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها فلما  
رآها رسول الله ﷺ قال :

« اغربوا عني هذه الشيطانة .

ثم قال حين رأى من تلك اليهودية ما رأى :

« أتزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما . ويتأدب بلال  
بأدب الاسلام ولا يعود لملئها أبداً .

ولما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر وكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل :

من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ ..

فقال بلال : أنا يا رسول الله احفظ لك .

فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله أن  
يصلي ثم استند الى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم إلا  
مس الشمس .

وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب من نومه فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟؟

فقال : يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك .  
قال : صدقت .

ثم اقتاد رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى الناس .

فلما سلم أقبل على الناس فقال :

« إذا نسيت الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وأقم الصلاة للذكرى ﴾ (١) .

وتمر الأيام وتكر الليالي ويجلس بلال بجوار الرسول ﷺ ويسمع منه كلمات الله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٢) .

وتهمز هذه الآيات بلالاً وتذهب به الى تصور الواقع الذي لا يستطيع أن ينطق به .

لقد كمل الدين بنزول القرآن الكريم .

وتمت نعمة الله على عباده بالاسلام .

ووصلت كلمة التوحيد الى أركان الأرض الأربعة . ومن بيتني غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

لقد أدى محمد ﷺ الأمانة ، وبلغ الرسالة أتاني بعد ذلك نهاية الأجل ؟ ..  
ويضر محمد الى ربه ، ويهاجر الى مولاه ؟ ..

(١) سورة طه آية رقم ١٤ والخبر في ابن هشام ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣ .

ذلك ما كان يشغل بلالاً في صحوه ونومه ، في ظعنه وإقامته حتى كان يوم ذهب فيه الى الرسول ﷺ ليخبره بوقت الصلاة .

فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس .

واستجاب المسلمون لأمر نبيهم وصلى أبو بكر بالمسلمين ثلاثة أيام ثم بلغ الكتاب أجله وتوفي رسول الله ﷺ وبكاه بلال — رضي الله عنه — أشد البكاء .

واستمر يؤذن للمسلمين في حياة أبي بكر ، ولكنه لم يؤذن في خلافة عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — .

فقال له عمر : ما منعك أن تؤذن ؟

قال : إني أذنت لرسول الله ﷺ ثم أذنت لأبي بكر لأنه اعتقني من الرق . وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا بلال : ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله .

وفي رواية أخرى : كان يؤذن لرسول الله ﷺ فلما مات أراد الخروج الى الشام . فقال له أبو بكر :

بل تكون عندي .

فقال : إن كنت اعتقني لنفسك فاحسني وإن كنت اعتقني لله عز وجل فذرني أذهب إلى الله عز وجل .

فقال : اذهب .

فخرج مجاهداً وانداحت الدنيا أمامهم وفتحت لهم البلاد ، حتى كان يوم وانتصر فيه المسلمون انتصاراً ساحقاً على الروم في معركة اليرموك وأصابوا منها أموالاً كثيرة فبلغ الناس ما أصاب خالد فقصدته رجال من أهل الآفاق وكان منهم الأشعث ابن قيس فأجازه خالد بعشرة آلاف .

وسمع عمر بن الخطاب — وكان لا يخفى عليه شيء من عماله .



فأرسل إلى أبي عبيدة أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته وينزع منه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث أمن ماله أم من مال المسلمين؟ .. فإن زعم أنه فرقه من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف ، واعزله على كل حال . واضمم إليك عمله .

فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ، ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر وقام صاحب البريد فسأل خالداً من أين أجاز الأشعث؟ ..

فلم يجبه؟ .. وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً .

فقام بلال إليه . فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ، ونزع عمامته فلم يمنعه سماعاً وطاعة .

ووضع قلنسوته ثم أقامه فعقله بعمامته .

بلال العبد الحبشي ، بلال الذي كان يلقي به في الرمضاء ، وبعث به صبيان مكة .

بلال هذا يثب على أكبر قواد المسلمين ، ويوثقه بعمامته ، ويجلسه أمامه ليحاسبه .

من أعطى بلالاً هذا الحق ، من الذي جعل بلالاً يفعل ذلك بالقائد الذي لم يهزم قط . من؟ ..

إنه الإسلام ، إنها كلمة التوحيد ، إنه الدين الجديد الذي جاء به محمد ﷺ والذي يقرر :

« أن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح . ولأن الناس جميعاً من آدم وآدم من تراب » . ويتابع بلال حسابه للقائد المنتصر .

من أين أجزت الأشعث من مالك أجزت؟ أم من إصابة أصبتها .

فقال : بل من مالي .

فاطلقه بلال وأعاد له قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال :

« نسمع ونطيع لولائنا ونفخم ونخدم موالينا » .

وتنهي القضية بعزل خالد بن الوليد — رضي الله عنه — عزل بأمر أمير المؤمنين

— رضي الله عنه — .

عزل القائد المنتصر لأنه أعطى بعض الشعراء مبلغاً من المال — رأى الحاكم

العام أن في ذلك اسرافاً في العطاء ، سواء أكان من المال الخاص أو العام يقول

بلال — رضي الله عنه — والتف حول خالد مجموعة من أبناء بني أمية الذين غضبوا

لعزل خالد . وتقدم أحدهم من القائد المعزول قائلاً له : « إنها الفتنة يا خالد سنملاًها

خيلاً ورجلاً على ابن الخطاب في المدينة . ويرد القائد المنتصر المعزول متسائلاً :

هل تم تحطيم الحصون على أرض فارس؟ ..

قالوا : نعم .

هل تمت إزالة القلاع على أرض الروم؟ ..

قالوا : نعم .

هل توجد قوة ضاربة كافرة تقف في وجه المسلمين وتحتاج هذه القوة لسيف

خالد؟ ..

قالوا : على حد علمنا اللهم لا .

قال القائد المنتصر المعزول الذي تربى في مدرسة الإسلام إذا كان ذلك كذلك ،

فالأمة الإسلامية في حاجة الى عقل عمر أكثر من حاجتها الى سيف خالد .

ثم تابع حديثه قائلاً : لن تكون فتنة وابن الخطاب موجود .

ويسارع بلال الى خالد ويعتقه ويهنته لانتصاره على نفسه — النفس التي يقول

الله تعالى فيها : إن النفس لأمارة بالسوء » .

يهيء القائد : الذي لم تغره زخارف الدنيا ، ومظاهر القيادة وسلطة الحكم :  
لأن بلالاً يعلم حق العلم وغيره يعلم أيضاً لو أن خالداً أراد السلطة وأراد الصولجان  
لكان بين يديه .

ولكنه عزل في أوج انتصاره فلم تأخذه العزة بالاثم .

وكان بين يديه القوة ، وكان بين يديه الجيش — ولكنه لم يتخط طوره ولم  
يغضب على دنيا زائلة ومجد زائف .

إن خالداً حارب الاسلام وانتصر على جنوده عندما كان معتقداً أن آلهة الآباء  
والأجداد هي خير وأبقى .

وعندما اعتنق الإسلام وسرت تعاليمه في كيانه واستقر الايمان في قلبه حمل سيفه  
دفاعاً عن الإسلام ورفع راية التوحيد ، إنه لن يبغى مجداً لنفسه ولا صولجاناً  
لشخصه . وإنما يبغى فقط نصرة هذا الدين . من هنا لا يهمه إن كان في السقاية أو  
القيادة .

واستراح بلال لقرار خالد . ورجب في مرافقته الى الخليفة ، وفي مجلس الخليفة  
أحس بلال أن الرجال الذين أخذوا زادهم في مدرسة النبوة تخلو قلوبهم من الحقد  
والغل ، من الغضب والرضى إلا لله وفي سبيل الله .

وتعانق الخليفة والقائد . وشف بلال أذنه لسمع صوتاً عبر الأفق يصدح  
شادياً :

بمدرسة النبي نما شباب  
عباقرة لهم في الخلد ذكر  
صحائفهم على الأجيال تلى  
وليس وراء ما صنعوه فخر

يا أمة الاسلام : أين بلال اذن ليحضر أفراح النصر وأهازيج الانتصار وبيارك  
خطي الاسلام؟؟ ..

لا تعجبوا إنه هناك في رحلة متأنية الى ربه ولسان حاله يقول : «إني مهاجر الى  
ربي» .

فمن يهاجر معه في رحلة الخلود .. مَنْ يا أمة الاسلام .. أم أن هذه الأمانة عقلت  
فلا تلد أمثال خالد وبلال؟؟ ..

## أسباب نزول هذه الآية

روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال :

لقد نزلت هذه الآية في ستة : أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله ﷺ اطردهم ؛ فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء ، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله ، فأنزل الله :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ إلى قوله :

﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ (١) .

وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : مر الملائم من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت ، وصهيب ، وبلال ، وعمار . فقالوا : يا محمد أرضيت هؤلاء ، وهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، لو طردت هؤلاء لاتبعناك . فأنزل الله فيهم القرآن :

﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا ﴾ . إلى قوله ﴿ سبيل المجرمين ﴾ وأخرج

ابن جرير عن عكرمة قال : جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب

(١) رواه ابن ماجه ١٣٨٣ / ٢ ومسلم بنحوه مختصراً ١٨٧٨ / ٤ ورواه بنحوه الطبري ٣٧٨ / ١١ ورواه الحاكم في مستدرکه من طريق سفیان وقال : على شرط الشيخين ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق المقدم بن شريح به ، وأورده ابن كثير في تفسيره ١٣٥ / ٢ بنحوه عن سعد .

فقالوا : لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه ، فكلم أبو طالب النبي ﷺ ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون ، فأنزل الله :

﴿ وأنذر به الذين يخافون .. ﴾ إلى قوله : ﴿ أليس الله بأعلم الشاكرين ﴾ . وكانوا : بلالاً ، وعمار بن ياسر ، وسالمًا مولى أبي حذيفة وصالحاً مولى أسيد ، وابن مسعود ، والمقداد بن عبد الله وواقد بن عبد الله الحنظلي . وأشباهم . فأقبل عمر فاعتذر عن مقالته ، فنزل : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ﴾ الآية <sup>(١)</sup> .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب فقال : جاء الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم ، فأتوه فحلوا به فقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال : نعم ، فنزلت :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ الآية .

ثم ذكر الأقرع وصاحبه ، فقال : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ الآية <sup>(١)</sup> . وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فنزل : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾ الآية . قال ابن كثير : هذا حديث غريب .

(١) رواه الطبري في التفسير ١١ / ٣٧٩ ، ٣٨٠ بأطول منه .

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١١ / ٧٣٦ بمناه ، وأورده ابن كثير في تفسيره ٢ / ١٣٤ من رواية ابن أبي حاتم ، وقال : وهذا حديث غريب فإن الآية مكية والأقرع ابن حابس وعيينة إنما أسلم بعد الهجرة بدهر ، ورواه ابن ماجه ٢ / ١٣٨٣ .

## تذييل ...

من بلال قبل الاسلام؟..

إنه عبد حبشي يقذف به في رمضاء مكة إن غضبوا عليه ، فإن رضوا فهو راع للابل والماشية في السهول الخضراء يختار لها المرعى ويرسلها على العشب ويبحث لها عن الماء .

ومن بلال بعد الاسلام؟..

إنه الرجل الذي يشعر بأدميته ويحس أن الناس أمام الله سواء فالأبيض لا يزيد عن الأسود ، والعربي لا يقل عن العجمي فالكل لآدم وآدم من تراب ، وإنما يتفاضل الناس بالتقوى أو بعمل صالح .

وعندما قال له أحد السادة قبل الإسلام : يا ابن السوداء غضب الرسول ﷺ غضباً شديداً وقال :

« ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » . إن الإسلام يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، وعندما خرجت جيوش الاسلام متجهة الى خارج الجزيرة العربية كان الهدف من خروجها إخلاص العبادة لله تعالى .

لقد قال ربعي بن عامر أحد أبطال معركة القادسية إجابة على سؤال رسم ما جاء بكم؟..

قال : الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من عبادة العباد الى عبادة الواحد الأحد ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا إليه ، وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة أو الظفر» .

إنهم دعاة الى الله تعالى ، إن هدفهم أن يعود الناس الى بارئهم ، هدفهم أن يخلصوه بالعبادة .

فالعبادة والتقديس لن تكون للأصنام والأوثان .

والعبادة لن تكون للشمس ولا للقمر .

والعبادة لن تكون للشجر ولا للحجر .

والعبادة لن تكون للجن ولا للإنس .

والعبادة لن تكون للنار التي تحمد ، ولا للحيوان الذي يموت . العبادة تكون

للذي خلق الأرض والسماء ، وأوجد الحياة والموت وخلق الظلمات والنور .

فن قبل هذه الكلمة « كلمة التوحيد » فلا حرب بيننا وبينه بل اخوة في الله ،

وأخوة في العقيدة ، وأخوة في الاسلام .

ولقد انتشرت كلمة التوحيد وشرق بها أتباعها وغربوا وجالوا في أقطار الأرض

يدعون إليها ويبشرون بمبادئها .

حتى قال شاعرهم يصف المد الاسلامي الذي شمل ربوع المعمورة وتخطى

السهول والجبال ، والبحار والوديان :

كانوا رعاة جبال قبل نهضتهم وبعدها ملأوا الآفاق ثمدينا

لو كبرت بآفاق الصهن مثذنة سمعت في الغرب تهليل المصلينا

وعندما تجاهل المسلمون الإسلام وانحصرت مبادئه أخذت العنصرية تجوب آفاق

الدنيا ففي عصر الاختراعات الحديثة والتكنولوجيا الباهرة نجد التفرقة العنصرية بين



الأبيض والأسود. والغربي والشرقي. وأصبح التفاضل بين الناس عن طريق القوة أو ما يدعو الى القوة. بينما ترفع في بعض الأحيان درجة بعض الكلاب الى ما فوق الأدمية. وفي ضوء هذه المبادئ التي لا تستند الى دين أو خلق، تباد الشعوب الضعيفة بالسموم والغازات السامة، أو تلقى عليهم القنابل الذرية التي تحرق الأخضر واليابس، وتحول الحياة الى بلاقع كما حدث في «هروشيا» وغيرها.

إن السود في قارة أفريقيا يبادون إبادة جماعية بينما تحرص أمريكا على ترك الوحوش المفترسة، وتعمل على اطعامها والحفاظة على نسلها خوفاً من الانقراض.

أما هؤلاء سود البشرة يبيض القلوب والذين تلهج ألسنتهم بكلمة التوحيد فلهم الهلاك والدمار لأنهم يزعمون أمريكا ومن هم وراء أمريكا. إن الإيابة تكاد تكون شاملة في بعض القارات الذين يدينون بدين الاسلام وتحرص بعض الدول أن تقدم لهم الأمصال التي تصيبهم بالعقم الجماعي حتى ينقرض هذا النسل.

إن أم التخريب والدمار ما كان لها أن تفعل ذلك وما كان لها أن تقدر عليه لو كان المسلمون في الساحة.

إن تصفية المسلمين وإبعادهم عن دور القيادة جعل العالم يخسر كثيراً في مبادئه وقيمه وأخلاقه.

فتى يستيقظ المسلمون ويعودون الى كتابهم؟ حتى يمدنوا الدنيا ويهدبوا العالم ويقرروا الحق للإنسان — أسود كان أم أبيض — كما فعلوا سابقاً؟ متى يحدث ذلك؟.. إنا لمنتظرون؟؟..

مَعَاذِ بْنِ جَبَلِ الْأَنْصَارِيِّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ  
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

سورة آل عمران آية ٦٩

## أقوال العلماء في نزول هذه الآية

قال كثير من العلماء ورجال التفسير والتاريخ نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر.

قاله الإمام الواحدي في أسباب النزول ١٠٤

وقاله ابن الجوزي في تفسيره ١ : ٤٠٤ .

وقاله الإمام القرطبي في التفسير ٤ : ١١٠ .

لمن هو معاذ بن جبل؟ ..

## معاذ بن جبل

رضي الله عنه

من قبيلة الخزرج ومن الأنصار الذين قدموا أرواحهم وأموالهم وأهلبيهم لنصرة دين الله .

من الرجال المغاوير الذين حملوا سيوفهم على أيديهم ، وكتاب الله في قلوبهم وانداحوا في أربعة أركان الأرض .  
ينشرون الأمن بعد الخوف .

ويبددون ظلام الكفر بنور الإيمان .

ويدعون الى عبادة الواحد الأحد .

فاستقبلتهم الدنيا أحسن استقبال وأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين . نشأ في يثرب الخضراء وترعرعت طفولته فوق سهولها . ويقع شبابه بين وديانها ، وكان من الرعيل الأول الذي استمع الى رسول الله ﷺ وبايعه في العقبة الثانية .

وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود ، نعم ابن مسعود الذي التقى به رسول الله ﷺ في طريق هجرته يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط .

فقال له رسول الله : يا غلام هل من لبن ؟ ..

فقال : نعم ولكنني مؤتمن .

قال : فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟ ..

قال : نعم .

فأتاه بشاة فمسح ضرعها . فنزل لبن فحلبه في إناء وشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع : اقلص . فقلص . رأى ابن مسعود هذه الآية الباهرة فجاى الى رسول الله وقال : يا رسول الله : علمني من هذا القول .

فمسح رأسه وقال : يرحمك الله ، فإنك امرؤ معلم .

وشهد معاذ مع الرسول ﷺ غزوة بدر وأحد والمشاهد كلها لم يتخلف عن أي منها .

ثم بعثه رسول الله ﷺ قاضياً الى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن .

وكان الرسول ﷺ قد قسم اليمن على خمسة رجال :

خالد بن سعيد على صنعاء .

والمهاجر بن أبي أمية على كندة .

وزياد بن لبيد على حضرموت .

ومعاذ بن جبل على الجند .

وأبي موسى الأشعري على زبيد وعدن والساحل .

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل :

« بم تقضي يا معاذ؟ .. »

قال : بما في كتاب الله .

قال : فإن لم تجد؟ ..

قال : بما في سنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد؟ .

قال : اجتهد رأيي .

فقال الرسول ﷺ الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يحب الله ورسوله .  
وشارك معاذ بن جبل في غزوة حنين . وبعد الفتح المبين ، والنصر الكبير ، قسم  
رسول الله الغنائم بين قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً فوجدوا في أنفسهم  
حتى قال قائلهم : لقي رسول الله ﷺ قومه .

فذهب سعد بن عبادة ومعه معاذ بن جبل الى رسول الله ﷺ وأخبراه الخبر .  
قبل أن ينزل وحي في هذا .

فقال له : فأين أنت من ذلك يا سعد؟ ..

قال : ما أنا إلا من قومي .

فقال : فأين أنت من ذلك يا معاذ؟ ..

قال : ما أنا إلا من قومي يا رسول الله .

فقال الرسول ﷺ فاجمعا قومكما لي في هذا المكان . فجمعهم فاتاهم رسول  
الله ﷺ فقال :

« ما حديث بلغني عنكم؟ ..

ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي؟ ..

وفقراء فأغناكم الله بي؟ ..

وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ ..

قالوا : بلى والله يا رسول الله ، والله ورسوله المن والفضل .

فقال : ألا تحبوني؟ ..

قالوا : بماذا نحبيك؟ ..

قال : والله لو شتم لقتم فصدقتم .

أتيتنا مكذباً فصدقناك .

ومخدولاً فنصرناك .

وطريداً فأويناك .

وعائلاً فواسيناك .

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا  
ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ..

أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟  
والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .

ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم  
ارحم الأنصار .

وأبناء الأنصار .

وأبناء أبناء الأنصار .

قال معاذ : فبكينا حتى اخضلت لحانا .

وقلنا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ويتحلق الصحابة حول الرسول ﷺ ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه :  
أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله فما باب التوبة ؟ ..

قال : يا عمر خلق الله عز وجل باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب  
ما بين المصراع إلى المصراع الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرج ، فذلك الباب  
مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من  
مغارها ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم الى صبيحة تلك الليلة  
إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله عز وجل .



فقال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح؟ ..  
قال : أن يتدم المذنب على الذنب الذي أصابه فيعتذر الى الله ثم لا يعود إليه كما  
لا يعود اللبن الى الضرع .

ويقول معاذ : يا رسول الله قال الله تعالى وقوله الحق : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان  
من صلصال من حمأ مسنون ﴾ .

يا رسول الله كيف كان ذلك؟ ..

قال : خلقه من طين فلما بلغ الحين الذي أراد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح  
قال للملائكة : إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له .  
فلما نفخ فيه الروح . دخل الروح في رأسه عطس .  
فقال الملائكة : قل الحمد لله .

فقال : الحمد لله .

فقال الله عز وجل له : ﴿ رحمك ربك ﴾ .

فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام  
فوثب أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة .

فذلك حين يقول تعالى ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ .

( فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أوى أن يكون مع الساجدين ) .

( أبى واستكبر وكان من الكافرين ) .

فقال الله له : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ لما خلقت بيدي؟ ..

قال : أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين .

قال الله له : ﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من

الصاغرين ﴾ . وهم معاذ أن يسأل رسول الله ﷺ .

فابتدره سعد بن عباد لقد اثقلنا على رسول الله ﷺ بكثرة اسئلتنا عليه؟ ..  
وهنا يقول الرسول ﷺ :

«يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء» .

ولما عاد رسول الله ﷺ من غزوة تبوك بعد أن صالح صاحب الأيلة وأعطاه  
الجزية جلس في المدينة ينظر في أمر الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله والذين نزل  
فيهم قول الله تعالى :

﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت  
عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو  
التواب الرحيم﴾ .

وفي أثناء ذلك قدم الى رسول ملوك حمير بكتابهم يخبرون رسول الله ﷺ  
بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله .

فكتب إليهم رسول الله ﷺ .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله الى الحارث بن عبد كلال  
ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبيل ذي زعين وهمدان ومعافر .

أما بعد ذلكم : فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه قد  
وقع بنا رسولكم مقلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم ، وخبر ما قبلكم  
وأبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وإن الله قد هداكم بهدائه إن أصلحتم وأطعتم  
الله ورسوله ، وأقم الصلاة وآتيم الزكاة ... الخ .

أما بعد ، فإن رسول الله محمد النبي ، أرسل الى زُرعة ذي يزن ، أن إذا أتتكم  
رسلي فأوصيكم بهم خيراً .

معاذ بن جبل ، رضي الله عنه .

وعبد الله بن زيد ، رضي الله عنه .

ومالك بن عبادة ، رضي الله عنه .

وعقبة بن نمر ، رضي الله عنه .

ومالك بن مرة ، رضي الله عنه .

وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والحزبة من مخالفيكم وبلغوها رسلي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن إلا راضياً .

وعاش معاذ في بلاد اليمن عاش فقيهاً معلماً ، عاش لدينه يقرئ من آمن بكتاب الله ويفقههم في دينهم .

عاش مجاهداً بالكلمة المضية التي تبدد ظلام الشرك والكفر وتخرج الناس من الظلمات الى النور .

وفي نفس الوقت نجى من القادرين الزكاة فترد على فقراهم فإذا كان هناك فائض عن حاجتهم بعث به معاذ الى فقراء المسلمين في المدينة .

وتمر الأيام وتكر الليالي — ويعود الرسول — ﷺ من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته — وبلغ ذلك الأسود فادعى النبوة وكان مشعباً يريهم الأعاجيب ، وكانت ردة الأسود أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ . وغزا نجران فأخرج عنها عمرو بن حزم ، وسار من نجران الى صنعاء وقتل واليها واستتب للأسود ملك اليمن وسار حتى استولى على مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الركبان واستغلظ أمره .

وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب .

وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث .

وكان الأسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله — وهي ابنة عم فيروز .

وعلم الرسول ﷺ فكاتب المسلمين باليمن يأمرهم بقتال الأسود فقام معاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين.

وجيشت الجيوش وجمعت الجموع. وسارع شيطان الأسود بخبره بما عليه حال المسلمين من الاستعداد للحربه وملاقاته.

فدعا الأسود قيساً وأخبره أن شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوه. فحلف قيس له وأخبره بأنه أعظم في نفسه من أن يحدث نفسه بذلك. وأخذ الأسود يحذر قادة المسلمين ويغدهم الشر ويعمل على الإيقاع بهم وفي أثناء ذلك تصل رسل عامر بن شهر، وذو زود، وذو مروان، وذو الكلاع، وذو ظليم الى معاذ بن جبل يخبرونه فيه أنهم أعدوا أنفسهم ورجالهم ليكونوا معهم على قتال الأسود.

فأرسل لهم معاذ يطلب منهم التجهل والتريث حتى يعدوا للأمر عدته ويجمعوا صفوفهم ويمتاز المؤمنون من المرتدين.

وبلغ ذلك الأسود فأحس بالهلاك.

قال قيس بن عبد يغوث : فدخلت على زوجته آزاد التي تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان فدعوته الى ما نحن عليه. وذكرتها قتل زوجها شهر واهلاك عشيرتها، وفضيحة النساء فيهم.

فأجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصاً أبغض إليّ منه ما يقوم لله على حق ولا ينهي عن محرم فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمر.

قال : فخرجت وأخبرت فيروز ودادويه.

وأعلم الأسود شيطانه فطلب قيساً.

فدخل عليه قيس في عشرة من قبيلة مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله وهو معهم. وقال له : ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذب؟ ..

يقصد ما قاله شيطانه إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك.

فقال قيس : إنه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله فمرني بما أحببت أو  
أقتلني فموتة أهون من موتات؟ ..

فرق له وتركه .

وخرج قيس فر على فيروز ، ودأذويه وقال :

« اعملوا عملكم » ولم يقعد معهم .

يقول معاذ بن جبل — رضي الله عنه — وبينما نحن جلوس خرج علينا الأسود في  
جمع . وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير فنحراها ثم تركها .

وقال : أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ .. ورفع عليه الحربة قائلاً : لقد هممت أن  
أنحرك؟ ..

فقال فيروز : لقد اخترتنا لصهرك وفضلتنا على الأبناء فلو لم تكن نبياً لما بعنا  
نصيبنا منك بشيء ، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة؟ .. فقال له :

اقسم هذه فقسما ولحق به .

فسمع الأسود يقول لأحد خالصائه : أنا قاتله غداً وأصحابه .

فعاد فيروز وأخبر أصحابه . وأرسلوا الى قيس .

واجتمعوا يدبرون أمرهم ويتشاورون فيما هم مقدمون عليه من قتل الأسود  
وقرروا أن يذهب فيروز الى زوجته ليخبرها بغزيمتهم ويأخذوا رأيها .

وذهب فيروز والتقى بزوجه .

فقالت : على أي شيء أجمعتم أمركم؟ ..

قال : على قتله .

قالت : هو متحرز وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت  
فإن ظهره الى مكان كذا وكذا .

قال : وقي لنا وقت نومه .

قالت : إذا أمسيتم وذهب من الليل ثلثاء فانقبوا عليه فإنكم من دون الحرس ،  
وليس دون قتله شيء .

قال : هل من علامة نهندي بها ؟

قالت : سأعد لكم سراجاً وسلاحاً .

وخرج فيروز مسرعاً فالتقى به الأسود خارجاً من بعض منازلهم فقال : ما  
أدخلك عليّ؟ .. ووجأ رأسه حتى سقط وكان شديداً .

فصاحت المرأة فانشغل بها .

وقال لها : ما بك يا زين النساء؟ ..

قالت : جاءني ابن عمي زائراً ففعلت به هذا؟ ..

يقول فيروز : فتركني فأصلحت حالي وأتيت أصحابي .

فقلت : النجاة النجاة الهرب الهرب وأخبرتهم الخبر .

وإننا على ذلك حيارى إذ جاء رسول المرأة قائلاً : لا تدعن ما فارقتك عليه .

فقلت لأصحابي : ما العمل؟ ..

قالوا : اتها فتثبت منها .

قال فيروز : فذهبت إليها ودلنتني على الطريق ثم جلست عندها كالزائر . فدخل  
علينا الأسود فأخذته غيرة .

فأخبرته المرأة برضاع وقرابة منها .

وخرج فيروز والتقى بالرجال الصيد من أتباعه .

التقى برجال الإسلام الذين يملأ الإيمان قلوبهم .

وعرض عليهم ما انتهى إليه مع زوجته . وتواعدوا على مكان حدوده لأنفسهم

للقاء المساء .

ان الرجل معه شيطانه ، وهو يخبره بما يدور حوله . هكذا قال فيروز .

قال معاذ : المؤمن يرى بنور الله .

قال فيروز : الشيطان يستعمل أسلحته .

قال معاذ : ليس أقوى من أسلحة الايمان .

قال فيروز : الشيطان له مكره وكيده .

قال معاذ : إن كيد الشيطان كان ضعيفاً .

قال فيروز : الشيطان يزین له عمله فيغتر أتباعه .

قال معاذ : قال تعالى :

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

قال فيروز : إنا نخاف أن تدور علينا الدائرة؟ ..

قال معاذ : قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

قال فيروز : إن أولياءه كثر .

قال معاذ : ونحن ولينا الله .

قال فيروز : أنقدم على بركة الله؟ ..

قال معاذ : وهو معكم ومثبت قلوبكم وناصركم . فإذا عزمتم فتوكل على الله إن

الله يحب المتوكلين .

قال فيروز : أوضنا يا معاذ؟؟ ..

قال : قولوا إذا همتم : حسبنا الله ونعم الوكيل .

زدنا يا معاذ : لا زيادة : إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا

الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

وسارت كتيبة الإيمان تحت رعاية الله وعنايته يملأ الإيمان قلوبهم بأن النصر لهم والهزيمة والقتل لعدو الله المضلل الكذاب .

يقول فيروز : فلما جن المساء عملنا في أمرنا واعلمنا أشياءنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانين والحميريين فنقبتنا البيت من خارج ودخلنا في دهليز طويل وفيه سراج تحت جفنه وتقدمت أصحابي . فسمعت غطيظاً شديداً والمرأة قاعدة .

فلما وقفت على باب حجرته أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه وقال : « مالي ولك يا فيروز » ؟ ..

فهمت أن أرجع وأعود من حيث أتيت فخشيت أن يقتل المرأة لأنها التي فتحت لنا الأبواب ثم يقتل كل أصحابي .

وكدت أن أهلك فذكرني صاحبي بقول الله تعالى :

﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ وصرخ من خلفي تقدم يا فيروز الى عدو الله . فتقدمت إليه فعاجلته بسيني وخالطته وهو مثل الجمل فأخذت برأسه ودققت عنقه .

وهمت أن أخرج : فأخذت المرأة بثوبي وهي ترى أنه لم يقتل . فقلت لها قد قتلته وأرحتك منه .

وخرجت فدخل أصحابي فهبروه بسيوفهم وقطعوا رأسه .

وسمع حرس المقصورة خواره قبل أن تجز رأسه فجاؤوا يقولون ما هذا ؟ .. فقالت المرأة : النبي يوحى إليه .

وخرجت كوكبة الإيمان يحملون بين أيديهم رأس الكذاب . وكان معاذ في انتظارهم . فأعد لهم ماء وضوئهم فتطهروا وصلوا صلاة الشكر لله تعالى الذي أيدهم بنصره وتأييده .

ثم جلسوا يتشاورون كيف يخبرون أشياعهم ؟ ..



فاجتمعوا على النداء ، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم ففرغ المسلمون والكافرون  
ثم نادوا بالأذان ووقف فيروز على ربوة عالية وقال :

أشهد أن محمداً رسول الله وأن عييلة كذاب وألقى إليهم برأسه فكبر المسلمون  
وعاد الكافرون الى رحاب الإيمان وأرسلت السماء بوابل صيب طهر الأرض من  
الضلال والبهتان والكفر ونجاوب الكون كله بالتسيح والتهيل لخالق الأرض  
والسما .

وانبعث صوت معاذ يردد قول الله تعالى :

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ .

﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً  
غفوراً ﴾ .

وخرجت كوكبة من الفرسان تمتطي الخيول الجياد وتطوف في أنحاء اليمن يزفون  
البشرى لجماعة المسلمين ويدعون الآخرين بالتوبة والانابة الى الله وشقت أصواتهم  
فجاج الأرض وأطباق السماء بقول الله تعالى :

﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ .

وانتهت مهمة معاذ على أرض اليمن وعاد الى رسول الله ﷺ مهموماً مكدوداً  
لأن ماله كله أغلقه في الدين .

وطلب من الرسول ﷺ أن يسأل غرماءه أن يضعوا له دينه .

فأبوا عليه ذلك ، ولو تركوا لأحد من أجل أحد لتركوا لمعاذ من أجل رسول الله  
ﷺ .

فباع النبي ﷺ ماله كله في دينه .

وقام معاذ من مجلس الدين بلا شيء .

فأرسله الرسول ﷺ مرة أخرى الى أرض اليمن ليجبره فكث معاذ باليمن أميراً ،  
وكان أول من أبحر في مال الله معاذ .

وأصاب كثيراً وأصبح له مال وثروة .

ومات الرسول ﷺ بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة فعاد الى المدينة وتولى أبو  
بكر الصديق الخلافة .

وعلم عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — بثروة معاذ التي عاد بها من اليمن  
نتيجة متاجرته في مال الله .

فقال عمر لأبي بكر : أرسل الى معاذ فدع له ما يعيشه ، وخذ سائرته منه . فقال  
أبو بكر : إنما بعته النبي ﷺ ولست بأخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني .

فانطلق عمر إليه إذ لم يطعه أبو بكر .

وقال يا معاذ خذ ما يكفيك ورد سائرته لبيت المال .

فقال معاذ : إنما أرسلني إليه النبي ﷺ ليجبرني ولست بفاعل ما تقول به .

فذهب عمر ورضي بما قاله معاذ أن النبي أرسله ليجبره فلا فتوة لعمر فيما أمر به

الرسول ﷺ .

وتمر الأيام وتكر اللبالي ويذهب معاذ الى بيت عمر ويطرق عليه بابه وبلتني عمر

ومعاذ ويتساءل عمر ما بك يا معاذ؟ ..

فيقول : يا أخي يا عمر : قد أطعتك في أمر المال وأنا فاعل ما أمرتني به . ويقول

عمر : يا معاذ هذا أمر قد فرغنا منه ولقد راجعت نفسي لأن الذي أرسلك رسول

الله ﷺ وما كان لي أن أقي نفسي فيما أمر به الرسول . وتتم عمر بينه وبين نفسه

بصوت لا يبين :

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من

أمرهم» .

قال معاذ : لقد رأيت في المنام أني في حومة ماء قد خشيت الفرق فخلصتني منه  
يا عمر .

عندها قال عمر : رحمك الله يا أخي معاذ .

وانطلقا سوياً حتى أتيا أبا بكر وذكر ذلك كله له . وحلف لا يكتم شيئاً من مال  
أعطاه الله له .

فقال أبو بكر : لا . يا معاذ لا آخذ منك شيئاً قد وهبته لك .

فقال عمر : يا معاذ هذا خير حلّ وطاب .

ويتعاقب فرسان مدرسة النبوة وتهطل دموعهم فتخضل لحاهم خشية ورهبة من  
الله تعالى .

## أسباب نزول الآيات

قال الامام القرطبي عند تفسيره قول الله تعالى ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾ .

نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود من بني النضير وقريظة وبني قينقاع الى دينهم ، وهذه الآية نظير قوله تعالى : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً﴾ . و«من» على هذا القول للتبعيض وقيل : جميع أهل الكتاب فتكون «من» لبيان الجنس . ومعنى «لو يضلونكم» أي يكسونكم المعصية بالرجوع عن دين الإسلام والمخالفة له . وقال ابن جريج : «يضلونكم» أي يهلكونكم ومنه قول الأخطل :

كنت القذى في موج أكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالاً<sup>(١)</sup>

وقال ابن الجوزي في التفسير : قوله تعالى ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر تركتما دينكما واتبعنا دين محمد ، فنزلت هذه الآية .

قاله ابن عباس : والطائفة : اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين ، ورأي ، ومذهب ، وغير ذلك .

(١) راجع تفسير القرطبي ٤ : ١١٠ .

وفي هذه الطائفة قولان ، أحدهما : أنهم اليهود قاله ابن عباس ، والثاني : اليهود والنصارى قاله أبو سليمان الدمشقي . والضلال : الحيرة <sup>(١)</sup> . وقال الإمام الواحدي في أسباب النزول عند قوله تعالى ﴿ وددت طاغفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ الآية .

نزلت في معاذ بن جبل ، وحذيفة ، وعمار بن ياسر ، حين دعاهم اليهود الى دينهم ، وقد مضت القصة في سورة البقرة <sup>(٢)</sup> .

ويقصد قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال المفسرون : إن المشركين قالوا : ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً ، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ <sup>(٤)</sup> . وأنزل أيضاً : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ <sup>(٥)</sup> .

(١) راجع زاد المسير في علم التفسير ١ : ٤٠٤ .

(٢) راجع أسباب النزول للواحدي ص ١٠٤ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٠٦ .

(٤) سورة النحل آية رقم ١٠١ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٠٦ .

## تذييل...

روى الإمام الترمذي بسنده عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ أرحم أمي بأمي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح . صدق رسول الله ﷺ وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل . وإذا كان ذلك كذلك فما الدعائم التي يقوم عليها العلم في الاسلام ؟ .. إن العلم في الاسلام يقوم على دعائمين قويتين .

أ — أولاهما : أن نستفيد من تجارب غيرنا سابقين لنا أم معاصرين ، وعبر الاسلام عن الدعامة الأولى بالسمع قال تعالى :

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (١)

ب — وثانيهما : استعمال العقل والتجارب في طلب الحقيقة لنهتدي الى ما لم يهتد اليه غيرنا وعبر عنها بالعقل قال تعالى :

﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٢)

(١) سورة ق آية رقم ٣٧ .

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٢ .

ولم يكتف القرآن بذلك بل وضع ضوابط علمية دقيقة لهاتين الوسيلتين للاحتراس من الزلل أو الانحراف ، ولنعرض بعض هذه الضوابط ، لعل الشاردين عن الجادة ، المتجهين الى موائد الشرق والغرب يثوبون الى رشدهم ويعودون الى كتاب ربهم ، ينهلون من معينه ويعترفون من هداة .. من ذلك :

أ — ألا يكتّم عالم ما اهتدى إليه من معارف وعلوم ، فإن هذه المعارف ليست ملكاً خالصاً له ، وإنما هي هداية من الله وبتوفيق منه يقول تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ (١) .

ب — أمانة العلم : ينبغي أن تكون في المحل الأول من الاعتبار بحيث ينقل العالم معلوماته واضحة دقيقة لا لبس فيها ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان . قال تعالى : ﴿ أفنظّمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ (٣) .

ج — العلم حق مشاع للإنسانية جمعاء وما بعث الله الرسل إلا مرشدين سواء أكان ذلك بالكتب المنزلة أم بالقدوة الطيبة ، واشتراط الأجر في الاسلام يتنافى مع مبادئ الاسلام إلا في حالة الاضطرار .

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٥ .

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٢ .

قال تعالى : ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ (٢) .

د — البعد عن ضياع الوقت في المناقشات الجدلية سواء من جهة المعلمين أم المتعلمين. والواقع أنه لا يضلّل العقول ، ولا يعوق التقدم مثل الجدالات « البيزنطية » التي تبدّد الجهود ، وتضلّ العقول ، وتثير الخلافات في غير طائل .

قال تعالى : ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ (٣) .

هـ — الإقبال على النافع المفيد ، وترك ما لا طائل وراءه من « الأبحاث » العقيمة وقد وصف الله المؤمنين بقوله :

﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ (٥) . وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الإلحاح في طلب المحال أو ما يشبه المحال فقال تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ (٦) .

و — التمييز والدقة في اختيار من نتلقى عنه المعارف والعلوم ، وقد أشار الله تعالى الى هذا بقوله : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (٧) .  
وقال تعالى : ﴿ فسأل به خبير ﴾ (٨) .

فتى يعي المسلمون هذا المنهج الذي نادى به القرآن وأمر به الرحمن حتى يصبحوا سادة وقادة ؟  
متى يا رب ؟ ..

- |                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة يس آية رقم ٢١ .      | (٥) سورة المؤمنون آية رقم ٣ .  |
| (٢) سورة البقرة آية رقم ٤١ .  | (٦) سورة المائدة آية رقم ١٠١ . |
| (٣) سورة غافر آية رقم ٥ .     | (٧) سورة النحل آية رقم ٤٣ .    |
| (٤) سورة الفرقان آية رقم ٧٢ . | (٨) سورة الفرقان آية رقم ٥٩ .  |



سالم بن معقل مولى أبي حذيفة

رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا  
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ

## أقوال العلماء في نزول هذه الآيات

اتفق كثير من العلماء والمفسرين أن هذه الآية نزلت في جماعة من الصحابة منهم سالم مولى أبي حذيفة.

- قاله ابن جرير في التفسير ١٠ : ٥١٩ عن عكرمة.
- وقاله السيوطي في الدر المنثور وزاد نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.
- وقاله الترمذي في سننه ٤ : ٩٧ وقال : هذا حديث حسن غريب.
- وقاله الامام البخاري : ٨ : ٢٠٧ عن عبد الله بن مسعود.
- وقاله الامام الواحدي في أسباب النزول ١٩٨ — ١٩٩.

فن هو سالم مولى أبي حذيفة؟ ...

## سالم بن معقل مولى أبي حذيفة

هو سالم بن معقل مولى أبي حذيفة .

من أهل فارس التي أنجبت «بوداسف» الذي أحدث مذهب الصابئة القائلين بأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات .

والتي أنجبت «بختنصر» الذي وطىء الشام وفتح بيت المقدس وسى بني اسرائيل .

والتي أنجبت «زرادشت» الذي وضع لهم كتاب الحكمة ويسمى «بستا» وشرحه بتفسير سماه «زنداء» .

والتي أنجبت «اردشير» الذي وصى ابنه «سابور» قبل موته بقوله :

« يا بني : إن الدين والملك أخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه .

فالدين أس الملك ، والملك حارسه وما لم يكن له أس فهودوم وما لم يكن له حارس فضائع » .

هذه البلاد صاحبة الحكمة والأقوال الصائبة في كل شئون الحياة عجزت بهذه العقول عن الوصول الى خالق الأرض والسماء ، الذي يحيي ويميت وتصورت إلهها في النار التي تقاد بأيديهم ويشتعل لهيبها بارادتهم . أين ذهبت هذه العقول ؟ ..

وكيف هداها فكبرها إلى أن النار التي يمكن أن تحمد وتلاشى بقليل من الماء هي الالهة التي تملك الأرض والسماء وتمسك السماء أن تقع على الأرض...

هل عاش سالم في تلك البلاد التي حوت الكثير من المتناقضات؟..

هل استمتع بحريز مائها وتدفق أنهارها وجمال مناخها؟

هل تجول سالم في بساطينها الفواحة وحدائقها المثمرة؟..

هل ساقته قدماه إلى معابدها المتأججة بالنار الملتهبة؟..

التأريخ لا يتحدث عن ذلك ويتجاهل طفولته بالكامل وليس هناك بصيص من نور يلقى على طفولته أو يتناول شيئاً من شبابه.

وكل الذي يبدأ التاريخ به حياة سالم أنه عبد بشينة بنت يعار الأنصارية كانت من المهاجرات الأول ومن فضلاء النساء الصحابيات.

وزوجها: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة — كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين جمع الله له الشرف والفضل، صلى القبلتين، وهاجر المهجرتين جميعاً وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. هاجر مع امرأته إلى أرض الحبشة ثم قدم على الرسول ﷺ وهو بمكة فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيداً.

وعندما اعتقت زوجته سالماً وإياه أبو حذيفة وتبناه فكان ينسب إليه ويقال سالم ابن أبي حذيفة حتى نزلت.

﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

ويشب سالم في بيت أبي حذيفة ويخط شاربه ويبلغ مبلغ الرجال وهو يختلط بزوجه وأهله وأصبح أبو حذيفة لا يستريح إليه.

وتذهب الزوجة الى رسول الله ﷺ وتقول : يا رسول الله إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال . وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً .

فقال لها النبي ﷺ أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة .

فقالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير ؟ ..

فتبسم رسول الله ﷺ وقال :

« قد علمت أنه رجل كبير . »

فرجعت فقالت : إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة . وتتسامع زوجات النبي ﷺ بما فعلته زوجة أبي حذيفة مع سالم من تحريم الرضاعة . فيرفض أن يدخل عليهن أحدٌ بتلك الرضاعة وقلن لعائشة : والله ما نرى هذه إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة .

فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائيها .

ويعيش سالم في بيت أبي حذيفة حتى جاء أمر من الله لرسوله بالهجرة وتتابع المسلمون خلف نبيهم في اللحاق به في يثرب .

وهاجر سالم الى المدينة مع عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ومعهم نفر من الصحابة ، وكان سالم يؤمهم في الصلاة لأنه كان أكثرهم قرآناً ، وكان عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — كثير الثناء عليه حتى قال بعد أن طعنه أبو لؤلؤة الجهمي : لو كان سالماً مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته .

وفي المدينة آخى رسول الله ﷺ بين سالم وبين معاذ بن معاض بن قيس بن خلدة بن عامر الأنصاري شهد بدرًا وأحداً وقتل يوم بئر معونة .

وتابع سالم حياته في المدينة بجوار الرسول ﷺ لقد كان سالم في استقباله عندما وطئت أقدام ناقته أعتاب المدينة ، وشارك سالم أهل المدينة فرحتهم بقدوم الرسول ﷺ .

وتحلقوا حوله يحدثهم حديث الهجرة، وأنه خرج من بيته فوجد كفار قريش يحيطون به من كل جانب في أيديهم السيوف، وفي قلوبهم الحقد، فأخذ قبضة من تراب فألقاها عليهم فأخذ الله أبصارهم. وخرج عليهم لا يراه أحد منهم وسلط الله عليهم النوم فناموا فلم يوقظهم إلا مس الشمس.

قال سالم: يا رسول الله ماذا فعلت قريش عندما رأت على رؤوس رجالها التراب وهم يغطون في نوم عميق وقد أنقذك الله من أيديهم؟..

قال أبو بكر: دعوا رسول الله يستريح من مشقة الطريق وأحدثكم أنا حديث الهجرة لقد فجعت قريش عندما علمت أن محمداً فرّ منها وجعلت لمن يأتي به دية مائة ناقة. فتبعنا سراقه بن مالك.

وأوشك أن يلحق بنا ونحن في أرض صلبة فقلت يا رسول الله: أدركنا الطلب؟... فقال الرسول ﷺ لا تحزن إن الله معنا.

ودعا رسول الله ﷺ فارتطمت فرسه إلى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان.

فقال سراقه: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك عليّ أن أرد عنك الطلب؟.. فدعا له فتحلص مما هو فيه.

فعاد سراقه ليتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى.

فقال يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك عليّ فادع لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب. فدعا له فخلص وقرب من النبي ﷺ وقال: «يا رسول الله خذ سهماً من كتابتي وإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت. فقال الرسول ﷺ: لا حاجة لي في ابلك؟»

فلما أراد أن يعود عنه قال له رسول الله ﷺ:

«كيف بك يا سراقه إذا سورت بسواري كسرى؟»..

قال : كسرى بن هرمز؟

قال الرسول ﷺ : نعم .

ثم سرنا تحت رعاية الله وعنايته حتى دخلنا المدينة .

وانصرف المسلمون بعد ذلك حتى يأتوا مبكرين لبناء مسجد الرسول ﷺ .  
لقد أرسل الرسول عليه السلام إلى ملا من بني النجار فجاؤوا فقال : يا بني النجار  
ثامنوني بمخاطبكم هذا .

قالوا : لا . والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

قال سالم : فكان فيه ما أقول كان فيه نخل وقبور المشركين وخراب ، فأمر رسول  
الله ﷺ بالنخل فقطع وقبور المشركين فنبشت ، وبالخراب فسويت .

قال سالم : فصفوا النخل قبله وجعلوا جانبه حجارة فكانوا يرتجزون ورسول الله  
ﷺ معهم وهم يقولون :

اللهم انه لا خير إلا خير الآخرة  
فانصر الأنصار والمهاجرة

ومن هذا التاريخ أصبح هذا المسجد مكاناً للمسلمين يؤمهم رسول الله ﷺ  
في الصلاة ، ويجتمعون معه للتشاور في أمر الدعوة والتحالف على الخير ، والتعاون  
على البر ، والجميع سواسية كأسنان المشط عمر بن الخطاب وبلال بن رباح اخوان .  
وقريش وباهلة اكفاء .

الكل من آدام وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى أو عمل  
صالح . وأراد سالم أن يتزوج ليكون له بيت وأهل . وشاور أبو حذيفة في ذلك  
فأشار عليه أن يتزوج ابنة أخيه فاطمة ابنة الوليد بن عتبة وكانت من المهاجرات  
الأول ، وهي أيضاً من أفضل نساء قريش .



وعلم الرسول ﷺ والصحابة بما عزم عليه سالم ، فشاركوه فرحته وحضروا  
ولمتمته ودعا له الرسول ﷺ أن يصلح له زوجته ويبارك له فيها .  
وكانت هذه الزوجة نعم المعين لزوجها في أداء ما كلفه الله به من عبادات وأيضاً  
في الضرب في فجاج الأرض بحثاً عن الرزق الحلال . فكان يعمل سالم بيده ويعود  
آخر اليوم وقد تورمت يده من كثرة العمل .  
وتقول له وهي ممسكة بيده ألا ترفق بيدك وجسمك وتدخرهما للجهاد في سبيل  
الله ؟ ..

ويقول سالم : إن العمل في أي صورة من صوره عبادة — وهذه اليد المتورمة  
من كثرة العمل يد يحبها الله ورسوله .  
وهاتان اليدان إذا دعا داعي الجهاد ستكونان سيفين باترين لجندلة الكفر ورفع  
راية التوحيد وتسمعين عنها ما يسرك .

ويملاً الاشرار والهجرة وجه هذه الزوجة المؤمنة وتدعو لزوجها أن يوفقه الله  
للعمل لنصرة الدين والشهادة في سبيله ليكون مثواه في الجنة عند ملك مقتدر .  
وتأتي مرحلة المواجهة مع أعداء الله ، ويشارك سالم في دحر عصاة الكفر في  
غزوة بدر ، وفي إبطال كيدهم في غزوة أحد ، وفي حفر الخندق مع جماعة المسلمين  
في غزوة الأحزاب . ولم يتخلف سالم عن مشهد من المشاهد شهده رسول الله ﷺ  
وكان فقيهاً في دينه عالماً بكتاب ربه قارئاً له .  
عن عبد الله بن عمر — رضي الله عنه — قال : سمعت الرسول ﷺ يقول :  
خذوا القرآن من أربعة .

من ابن أم عبد «عبد الله بن مسعود» وبدأ به .

ومن أبي بن كعب .

ومن سالم مولى أبي حذيفة .

ومن معاذ بن جبل .

ثم ماذا؟ .. مات الرسول ﷺ كما مات الأنبياء والرسل قبله . وسمعت جزيرة العرب بوفاته فارتدت على أعقابها وامتنعت عن أداء الزكاة ودفع ما كانت تقدمه للرسول ﷺ .

واستطاع الخليفة أبو بكر أن يجيش الجيوش ويعد الكنائس حتى يعيد هؤلاء الشاردين إلى ساحة الإيمان ، وكانت أعنى الأماكن « الإمامة » التي يقودها مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة . وكان معه أكثر من أربعين ألف مقاتل . فسار إليه خالد ابن الوليد ومعه مجموعة من الصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر ولما علم مسيلمة بمسيرهم قال شرحبيل بن مسلمة :

« يا بني حنيفة قاتلوا فإن اليوم يوم الغيرة ، فإن انهزمتم تستردف النساء سيئات وينكجن غير خطيبات فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم .

وأعد خالد عسكره . وجعل راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة .

فقالوا له : نخشى عليك من نفسك .

فقال سالم : بش حامل القرآن أنا إذاً .

والتقى الجمعان وتقاتلوا قتالاً شديداً وتساقط القتلى وأوشك المسلمون أن يدال عليهم .

فقال ثابت بن قيس : بش ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين . اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء — يعني أهل الإمامة — وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء — يعني المسلمين وقاتل حتى قتل .

وقال زيد بن الخطاب : والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو أقتل فاكلمه بحجتي . غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً . ففعلوا فردوا عصابة الكفر حتى أعادوهم الى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عساكرهم .

وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل عليهم فأصابه سهم

غائر. فأخذت الراية منه. ثم قال خالد بن الوليد امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين تؤتى.

وقاتلوا قتالاً شديداً فترجع أهل اليمامة الى حديقتهم واغلقوا دونهم الأبواب فتقدم البراء بن مالك وألقى بنفسه عليهم وفتح باب الحديقة وانداح المسلمون فيه يعملون فيهم القتل والضرب حتى أئخنوهم وألقى وحش حرته وقتل بها مسيلمة الكذاب.

وتقدم عبد الله بن عمر — رضي الله عنه — الى سالم مولى أبي حذيفة وهو يمكسك يده سهماً مغروساً في صدره فساعده حتى انتزعه. وقال له : أتبغى شربة ماء أسعفك بها.

فأشار سالم بيده : أني لا أريد.

وسأل عبد الله كيف حال المسلمين.

فقال له : الحمد لله تم النصر وقتل الله عدوه مسيلمة الكذاب.

فقال سالم : الحمد لله وتمم ببعض كلمات ثم فاضت روحه الى بارئها. رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

## أسباب نزول الآية

روى الترمذي وغيره عن ابن عباس :

أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء ، وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرمواطيبات ما أحل الله لكم ﴾ الآية .

وأخرج ابن جرير من طريق الموفى عن ابن عباس : أن رجلاً من الصحابة منهم : عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة عنهم ، ويفرغوا للعبادة ، فترلت .

وأخرج نحو ذلك من مرسل عكرمة وأبي قلابة ومجاهد وأبي مالك والنخعي والسدي وغيرهم .

وفي رواية السدي : أنهم كانوا عشرة . منهم : ابن مظعون وعلي بن ابي طالب ، وفي رواية عكرمة منهم :

ابن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة .

وفي رواية مجاهد : منهم ابن مظعون ، وعبد الله بن عمر وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود ، وعثمان بن مظعون ، والمقداد بن الأسود ، وسالم مولى أبي حذيفة توافقوا أن يجيوا

أنفسهم ، ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ، ويلبسوا المسوح ، ولا يأكلوا  
من الطعام إلا قوتاً وأن يسبحوا في الأرض كهيئة الرهبان ، فترلت . وروى ابن أبي  
حاتم عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله ، وهو عند النبي  
ﷺ ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفه انتظاراً له فقال لامرأته : حبست  
ضيفي من أجلي ، هو حرام عليّ ، فقالت امرأته : هو علي حرام ، فقال الضيف : هو  
علي حرام . فلما رأى ذلك وضع يده وقال : كلوا باسم الله ، ثم ذهب إلى النبي ﷺ  
فذكر الذي كان منهم ، ثم أنزل الله ﷻ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله  
لكم .

## تذليل ...

قتل سالم مولى أبي حذيفة في موقعة الجمامة .

تلك الموقعة التي أشعل لهيها رجل ادعى النبوة ، وزعم أن الوحي يأتيه من السماء وهذا الدعي الكذاب ، وجد الكثير من الأتباع والأنصار ، الذين صدقوا فريته وآمنوا بأضاليله .

وكان يمكن أن ينتشر إفكك في أنحاء البسيطة وتتحول حياة الناس أمام هذا الى كذبة كبيرة لا يستطيعون الفكك منها .

حدث هذا في حياة فرعون .

وتكرر نفس الفعل مع الذي حاجَّ ابراهيم ، وتوالت صورته وأشكاله في حياة كل الطغاة والمتجبرين الذين عرفتهم البسيطة وتركوا بصاتهم المملوطة بالدماء على جبهة البشرية .

والعلاج لمثل هؤلاء الأذعياء أن نحتكم وإياهم الى السيف ، فهو القادر على اظهار كذبهم ، وكشف سحرهم .

ولا بد في هذه الحالة أن يسقط شهداء ، وتراق الدماء ، وتصهر النفوس في أتون المعركة .

فالشهداء دائماً في كل معركة هم الطريق الى ابراز الحقيقة.

والدماء التي تراق في سبيل الله هي المظهر المزيل الذي يغسل ظهر الأرض من الكفر والفسوق والعصيان.

لقد قتل في معركة الإمامة : زيد بن الخطاب — رضي الله عنه — وقتل ثابت بن قيس ، الذي دل بعد موته على سيفه ودرعه .

وقتل الطفيل بن عمرو الداعية الى الله تعالى ، وقتل سالم مولى أبي حذيفة الذي قال عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — بعد طعنه : لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته .

وكان هؤلاء الشهداء الذين قدموا أرواحهم في سبيل الله هم المد الاسلامي الكبير الذي حمل راية الجهاد وانداح بها في أربعة أركان الأرض .

كان هؤلاء الشهداء القوة الضاربة التي سار على دربها رفقاء السلاح والأبناء حتى وقف أحدهم على شاطئ البحر المحيط وقال كلمته المشهورة « والله لو أعلم أن خلف هذا البحر قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بمحمد لخصت لهم بهذا القوس » .

القوة الضاربة التي توغلت في مجاهل أفريقيا ، وأعلنت فيها اسم الله الأكبر . القوة الضاربة : التي وصلت الى السند والهند وإلى صقليا ، وقبرص ، وكروسيكا موطن نابليون على مشارف فرنسا .

والآن وفي هذا العصر — عصر القرن العشرين — ما أكثر الأعداء ، أعداء الدجل والشعوذة ، أعداء السياسة والحكم ، أعداء الربيع الرخيص وتجارة الشعوب ، حتى أصبحت الحياة غابة متشابكة الأغصان ، مشرعة الأشواك السامة القاتلة .

غابة افتقدت قانون الغابة ، فأصبح لكل رأي يجب أن يفرضه على الآخرين بقوة السلاح .

وأصبح لكل طامع قوة نووية فتاكة، يسطو بها على الآخرين، ويروع بها  
الآمنين، ويتترع لقمة الخبز من أفواه الجائعين.

وأخرى بأبناء المسلمين اليوم أن تكون لهم معركة أخرى كمعركة اليمامة يحطمون  
فيها أتباع الكفر، وعبدة الطاغوت، ويزيلون من على وجه البسيطة التسلط  
وأذنا به.

عندها تصبح الأرض خالصة لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم  
يولد ولم يكن له كفواً أحد».

فتى يتم ذلك يا أبناء الإسلام؟..

نرجو أن يكون ذلك قريباً ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من شاء والله  
على كل شيء قدير.



النضربن الحارث  
صاحب الأحاجي والأساطير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ

آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا

إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنفال الآيات رقم ٣١ - ٣٢ - ٣٣

## أقوال العلماء في نزول الآيات

قال بعض رجال التفسير وكتاب السير والتاريخ :  
نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث .

قال ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٣٠٤ .

وقال الإمام القرطبي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩٧ .

وقاله صاحب الدر المنثور ج ٣ ص ١٨١ .

وقال ذلك أيضاً صاحب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠ .

وقاله الإمام الواحدي في كتابه أسباب نزول القرآن ص ١٣٥ .

لمن هو النضر بن الحارث؟ ...

## النضر بن الحارث صاحب الأحاجي والأساطير

أحد الذين ناوأوا الدعوة الإسلامية في مبدأ ظهورها ، ووقفوا لاتباعها بالمرصاد ، فطمس الله على قلبه فلم يهتد إلى الحق ، وأعمى بصيرته فلم يكتشف النور الجديد الذي ملأ الكون من حوله .

وكان أحد أغنياء مكة ووجهائها ، فاستغل ماله وجاهه في التنكيل باتباع محمد ﷺ ومحاولة فنتهم عن دينهم .

فأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وفوجئت قريش بالخطوة الجديدة التي يتبعها محمد معها ، فلأ الغيظ قلبها .. أن تنفلت من بين أيديها هذه الفئة المؤمنة ، فاجتمعوا للتشاور في أمر محمد وصحبه ، واتخاذ وسيلة فعالة لصد هذه الدعوة التي تنتشر يوماً بعد يوم .

إن وفود العرب يأتون إلى محمد بغية الوقوف على حقيقته .. وما يكادون يلتقون به حتى يتحولوا إلى خلق جديد لا يربطهم بماضيهم رباط ، ولا يجمعهم مع الأصنام جامع .

إن قبائل العرب تهجر أصنامها ولا تدين بالولاء لهم ، إذن ماذا يبقى لهم من جاه أو سلطان؟ ...

إن هذا الأمر لا ينبغي السكوت عليه ...

عندها أرسلوا عبد الله بن أمية ليحضرهم محمداً .. حتى يضعوا معه حداً مثل هذه الأمور .

وجاء الرسول ﷺ وعرضوا عليه دنياهم البسيطة ، وجاههم المحدود ، وأمواهم التي لا تساوي عند الله شيئاً .. نظير أن يترك هذا الدين الجديد ، الذي سفه أحلامهم ، وسخر من آهتهم وفرق جماعتهم .

ولكن الرسول ﷺ ما كان في مقدوره أن يتخلى عن رسالة ربه ، أو أن يعصى له أمراً . وكيف يكون ذلك والله سبحانه وتعالى يقول له : ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾ (١) .

وقام عنهم رسول الله ﷺ حزيناً أسيفاً ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يهد قومه .

فقال أبو جهل : يا معشر قريش .. إن محمداً قد أبى إلا ما تزون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آهتنا . وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطبق حمله .. أو كما قال : فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

قالوا : والله ما نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد (٢) .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف . ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو .. وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام . فكان إذا صلى — صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلي ، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعا لونه مرعوباً ، قد بيست يده على حجره ، حتى قذف الحجر من يده .

(١) سورة الحجر آية رقم ٩٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٨ .

وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم ؟ ..

قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل .. لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني .

فلما قال لهم ذلك ، قام النضر بن الحارث وقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتُم : ساحر .. لا والله ما هو بساحر .. لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدتهم . وقلتُم : كاهن .. لا والله ما هو بكاهن .. قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم . وقلتُم : شاعر .. لا والله ما هو بشاعر .. قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها .. هزجه ورجزه . وقلتُم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون .. لقد رأينا الجنون فما هو بخنفة ولا وسوسته ولا تخليطه .. يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم (١) .

فلما قال لهم ذلك بعثوه ومعه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة وقالوا لها : أسألوه عن محمد ، وصفا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا منه شيء ، هو علم الأنبياء .

وأخذوا طريقها إلى المدينة ، يسرعان إليها بغية أن يجدا عند هؤلاء القوم طلبتهم أو تفسيراً لما جاء به محمد ﷺ .. وهناك في حي اليهود الذي كان يعرف بهما ، ألقيا رحلها .. وأخذوا يضعان بين أيدي اليهود حقيقة محمد .. يصفان لهم أمره ونخبراهم ببعض قوله .. ويصوران لهم حياته .. ثم قالوا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئنا لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو

(١) سورة ابن هشام ج ١ ص ٣١٩ .

نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم .. فإنه قد كان لهم حديث عجيب .. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاريها ، ما كان نبؤه ؟ . وسلوه عن الروح ما هي ؟ .. فإن أخبركم بذلك فاتبعوه ، فإنه نبي .. وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

وعاد النضر بن الحارث وصاحبه عقبة بن أبي معيط .. وفي نادي مكة حطاً رحلها ونادى مناديهم : يا معشر قريش .. هلموا إلينا .

فلما اجتمع الناس إليهم قال النضر بن الحارث : يا معشر قريش .. قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ﷺ .. قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرنا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم .

فجاءوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عجب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ المشارق والمغارب ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ ..

قال : فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثن . فانصرفوا عنه ، أي لم يقل إن شاء الله .

فكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك حياً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يجيرنا بشيء عما سألناه عنه .

وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاء جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف .. فيها معابته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

ويقال إن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عني يا جبريل حتى سوت ظناً .

فقال له جبريل : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ﴾ (١) .

ثم نزل قول الله تعالى ، بعد أن أجاب عن أسئلتهم التي سألوها : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ (٢) .

فهل آمنت قريش بعد أن أجاب الرسول عن أسئلتها؟ ..

هل عاد لها صوابها ، ورجعت إلى رشدها وصدقت بمحمد؟ ..

وهل اقتنع النضر بن الحارث بعد أن سمع الإجابة من رسول الله ﷺ؟ ..

إن اليهود قالوا له بالمدينة : إن أجاب محمد على هذه الأسئلة فهو نبي ...

وقد أجاب عنها ووضحها لهم .. فعلام الجحود والتسلط؟ .. ولكن لا عجب ، إنه الكفر الذي يعمي ويصم ... الكفر الذي يعبر عنه قولهم .. كما حكاه القرآن :

﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (٣) .

وهو قول غريب يصور حالة من العناد الجامح الذي يؤثر الهلاك على الإذعان للحق ، حتى ولو كان حقاً .

إن الفطرة السليمة حين تشك تدعو الله أن يكشف لها عن وجه الحق وأن يهديها إليه ، دون أن تجد في هذا غضاضة ، ولكنها حين تفسد بالكبرياء الجامحة تأخذها العزة بالآثم ، حتى لتؤثر الهلاك والعذاب على أن تخضع للحق عندما يكشف لها واضحاً لا ريب فيه .

وبمثل هذا العناد كان المشركون في مكة يواجهون دعوة رسول الله ﷺ ولكن عندما فشل هذا العناد فكروا ودبروا ومكروا ، ومكر الله ، والله خير الماكرين .

(١) سورة مريم آية رقم ٦٤ .

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢٢ .

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .



لقد دعت قريش إلى اجتماع عاجل في دار الندوة ، وأخذوا يتشاورون ويتجادلون ، فقال النضر بن الحارث : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فاجمعوا فيه رأياً . فتشاوروا قليلاً ثم قال أمية بن خلف : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله كزهير والنابعة ومن مضى منهم حتى يصيبه ما أصابهم .

قال إبليس ، وكان حاضراً في هذه الجلسة : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يشبوا عليكم فيترعونه من أيديكم ثم يكاثرونكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره فتشاوروا عليه .

ثم قال عقبة بن أبي معيط : نخرجه من بين أظهرنا فنفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله لا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحتنا أمرنا ولفتنا كما كانت .

قال إبليس : لا والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ .. والله لو فعلتم ذلك ما أمتنم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يبطأكم في بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل ما أراد .. دبروا فيه رأياً غير هذا ..

فقال أبو جهل : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .  
قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ ..

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالدية فأعطيناها لهم .

قال إبليس : القول ما قال الرجل .. هذا الرأي لا أرى غيره . فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون عليه (١) .

ولكن خاب تدبيرهم وبطل كيدهم وخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم ملتفون بمنزله يريدون القضاء عليه ، ووضع على رؤوسهم التراب ، وهاجر إلى يثرب مدينة الأنصار وموطن الرجال الذي قال فيهم رسول الله ﷺ : «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار» .

ونزل قول الله تعالى : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (٢)

ولكن قريباً لم تكتف بإخراج الرسول من بلده .. والتنكيل بأهله وأتباعه ، بل أعدت جيشها الجرار للقضاء على الرسول ﷺ وأتباعه ، يحمل ألويتها ثلاثة من بني عبد الدار هم النضر بن الحارث ولواء مع عزيز ابن عمير والثالث مع طلحة بن ابي طلحة .

ودارت رحى المعركة ، وقاتل أبطال الإسلام قتالاً مريباً وأنزل الله ملائكته لتشد من أزرهم .. ونصروا نصراً مؤزرأ .. ودارت الدائرة على حزب الكفر وأهله . فأين النضر بن الحارث في هذه الموقعة ؟ ... هل تناوشته السيوف وقطعته إرباً كما فعلت مع عدو الله أبي جهل وصاحبه أمية بن خلف ؟ ...

إنه لم يحدث ذلك ... لقد أعد الله له عذاباً أليماً وأبقاه ليرى الدائرة وهي تدور على قومه حتى يستقر في قلبه أن ما يقوله محمد ﷺ ليس من أساطير الأولين ، وليس من قول البشر ، وما في مقدورهم لو استطاعوا أن يأتوا بسورة من مثله .

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٤٠ .

نقول بأن النضر بن الحارث لم يقتل ولكنه وقع أسيراً في أيدي المسلمين.

وعاد الرسول وجيشه الظافر إلى المدينة حتى إذا نزلوا في موقع يقال له «الصفراء» أصدر الرسول ﷺ أمره بقتل النضر بن الحارث فنفذ فيه أمر الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

## أسباب نزول الآيات

قال الإمام ابن كثير عند تفسير الآيات : يخبر الله تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعتادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تتلى عليهم أنهم يقولون « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » وهذا منهم قول بلا فعل ، وإلا فقد تحلوا غير مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً ، وإنما هذا القول منهم يغفرون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم .. وقيل إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث كما نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم ، فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم : رستم ، واسفنديار . ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتلو على الناس القرآن ، فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول : بالله أينا أحسن قصصاً .. أنا أو محمد؟ ...

ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبته صبراً بين يديه ، ففعل ذلك والله الحمد .

وكان الذي أسره المقداد بن الأسود رضي الله عنه كما قال ابن جرير .

قال : قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط وصعيمة ابن عدي والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد : يا رسول الله .. أسيري .

فقال رسول الله ﷺ : إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول . وأمر رسول الله ﷺ بقتله . فقال المقداد : يا رسول الله .. أسيري .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم أغن المقداد من فضلك .  
فقال المقداد : هذا الذي أردت .

قال : وفيه أنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١) .

﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ (٢) .

وأيضاً : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

قال ذلك الإمام البخاري عن أحمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة .

وقال عطاء : ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل . والله أعلم (٤) .

(١) سورة الأنفال آية رقم ٣١ .

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٥ .

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٣٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٤ .

## تذليل ...

وقفت قريش في وجه الدعوة الجديدة، وحاولوا بكل الأسلحة التي عرفتھا البشرية في ذلك الوقت أن يمنعوا مد النور الغامر والضياء الباهر ففشلوا...  
عندها تناولوا القرآن بالكيد والدس والمهاترة الرخيصة التي يلجأ إليها أصحاب السياسة والسلطة في كل عصر ومصر...

قالوا بأن القرآن أساطير الأولين.. قالوا ذلك لأنهم وجدوه يخاطب الفطرة مباشرة بالحق الذي تعرفه في أعماقها فتتهز وتستجيب، ويواجه القلوب بسلطانة القاهرة، فترتجف لإيقاعه ولا تتماسك.

وهنا كان يلجأ أصحاب الأمر والنهي في قريش إلى مثل هذه المناورات، وهم يعلمون أنها مناورات.. ولكنهم كانوا يبحثون في القرآن عن شيء يشبه الأساطير المعهودة في أساطير الأمم ليموهوا به على جماهير العرب الذين من أجلهم تطلق هذه المناورات، للاحتفاظ بهم في حظيرة العبودية للعبيد.

... وهذا ما يحدث الآن، وفي عصرنا الراهن.. لقد كان الهدف قديماً صرف الناس عن القرآن وعن كلمة لا إله إلا الله، فقالوا عليه بأنه أساطير. وأتوا بوزير إعلامهم — كما نقول الآن — الذي تجول في بعض البلاد وقالوا له: قل لهم مثل أساطير محمد.. حدثهم عن الأوهام والخرافات.

فعلوا ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون في وصفهم القرآن بهذا، وكاذبون على أنفسهم عندما تقولوا هذه الأقاويل، وكاذبون على المجتمع الذي يعيشون فيه، ويتمنون إليه.

وكانوا يفعلون ذلك لأنهم وجدوا أن الذين كانوا ينطقون بالشهادة، كانوا يسلمون قيادهم من فورهم للقيادة المحمدية، ويمنحون ولاءهم من فورهم للعصبة المسلمة، كما كانوا ينسلخون من القيادة الجاهلية ويتمردون عليها، وينزعون ولاءهم من الأسرة والعشيرة والقبيلة والقيادة الجاهلية بمجرد النطق بكلمة التوحيد، وهذا هو الذي كان يزعم الملأ من قريش.

على أن الذي انتهى إليه الأمر في مكة، أن هذه الأساليب لم تعش طويلاً، وأن هذا النوع من المناورات قد انكشف بعد حين، وأن القرآن بسلطانه القاهر الذي يحمله من عند الله، وبالحق العميق الذي تصطليح عليه الفطرة سريعاً قد اكتسح هذه الأساليب وهذه المناورات، فلم يقف له منها شيء، وراح الملأ من قريش في ذعر يقولون: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (١).

هذا ما حدث قديماً، فإذا فعلت وسائل التوجيه في عالمنا المعاصر بالنسبة للقرآن؟...

هل في استطاعة هذه الوسائل وما لديها من حيل وأساليب أن تقول عليه بأنه أساطير الأولين؟...

إن قالوا ذلك فلن يصدقهم أحد، ولن يستمع إليهم إنسان.

أيدعون عليه — في القرن العشرين — بأنه ليس من عند الله وأنه من كلام البشر؟...

إن فعلوا ذلك كذبهم الواقع المشاهد، وهذه التحديات التي خاضها القرآن على مدار التاريخ الطويل. والتي لم يثبت لها بشر من البشر أو جن من المردة...

(١) سورة فصلت آية رقم ٢٦.

إذن ماذا يفعلون؟ .. إنهم لم تعدمهم الحيلة .. فلجأوا إلى أخبث الحيل وأمكر السبل .. وعكفوا على القرآن وحولوه بواسطة البله من أتباعهم الى نوع من الطرب الذي يشبه الغناء ، الذي يرضي السذج من الناس ، وأخذت أبواق إذاعاتهم ومرثياتهم تذيعه مرتلاً منغماً ، وأوحوا إلى الآخرين أن يجعلوه تماثم للرقى وأحجبة لعلاج المرضى ، ووسيلة لجلب الخير، وطرد الشياطين، وتسلية في الجنائز وفي أماكن الموتى والقبور .

هذا ما حدث معهم بالنسبة للقرآن الكريم .. وتساءل لماذا لم يطبق القرآن في حياة الناس؟ .. ولماذا لا تلجأ إليه الحكومات في البلاد الإسلامية ، ليكون دستوراً لهم ينظم شؤونهم الاجتماعية ، ويرشدتهم إلى حيل الأساليب السياسية حتى لا تخدعهم ، ويتقدمهم — بما فيه من توجيه وإرشاد — إلى أحسن السبل لعلاج الأزمات الاقتصادية؟ ...

لماذا يعدون القرآن عن الحياة العامة؟ ...

ولماذا لا يكون القرآن مصدراً من مصادر التوجيه للمسلمين في كل حياتهم؟ ...

الحقيقة إن تطبيق القرآن يربهم ، كما أرب قبلهم كفار قريش ...

إنهم على علم كامل أن تطبيق الشريعة الإسلامية تقذف بهم خارج الحكم ، وتسلب منهم الجاه والسلطان .

إنها معركة الحكم ، ومعركة السلطة ، قديماً وحديثاً .. فدعهم في غيهم سادرين .

والقرآن بما فيه من نبع فياض لا يزال يعمل — يعمل في تربية النفوس وفي تنظيم الحياة الخاصة لكثير من المسلمين .. وسيأتي في القريب العاجل — بمشيئة الله — النصر الكبير والفتح المبين .. عندما يصبح كتاب الله دستور الدساتير للأمم المسلمة قاطبة ، ومادة التوجيه في العالم بأسره ... يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .



## ثبت بالمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب — مصر.
٣. أسباب نزول القرآن للواحدي : تحقيق الاستاذ أحمد صقر.
٤. تفسير القرآن العظيم : للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ، دار الأندلس — بيروت.
٥. تفسير الطبري : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف — مصر.
٦. الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م.
٧. الدر المنثور : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، المكتبة الاسلامية — طهران.
٨. في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء التراث العربي : بيروت ١٣٨٦ هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير.
١٠. تفسير الدر المنثور : للإمام السيوطي .
١١. تفسير الجلالين : جلال الدين السيوطي وزميله .
١٢. أسباب نزول القرآن : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي .
١٣. فتح الباري بشرح البخاري : للحافظ أبي الفضل المقدسي : المعروف بابن حجر.
١٤. صحيح الإمام مسلم ، شرح النووي : المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م.
١٥. مسند الإمام أحمد : شرح أحمد محمد شاكر : دار المعارف بمصر ، ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م.

١٦. صحيح الترمذي، بشرح ابن العربي: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م.
١٧. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونستك، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة بريل في مدينة لندن ١٩٦٢ م.
١٨. الجامع الصغير: للإمام السيوطي، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة.
١٩. كشف الخفا ومزيل الألباس: اسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي - حلب.
٢٠. تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، دار صادر - بيروت.
٢١. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، دار صادر - بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
٢٢. تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد الطبري، دار القلم الحديث - بيروت.
٢٣. البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير، مكتبة بيروت - ومكتبة النصر - الرياض.
٢٤. الطبقات الكبرى: ابن سعد، صيدا - دار بيروت ١٣٧٧ هـ.
٢٥. سيرة النبي لابن هشام: بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية - القاهرة.
٢٦. الروض الألف: عبد الرحمن السهيلي، دار الكتب الحديثة - القاهرة.
٢٧. مروج الذهب: للمسعودي، دار الأندلس - بيروت - مكتبة نهضة مصر.
٢٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، دار الأندلس - بيروت - مكتبة نهضة مصر.
٢٩. أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمرو: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م.
٣٠. خلفاء الرسول: خالد محمد خالد. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٣١. المبقرات: لعباس محمود العقاد.
٣٢. علي بن أبي طالب - بقية النبوة - وخاتم الخلافة: للاستاذ عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
٣٣. هذا هو الطريق: د. عبد الرحمن عميرة، دار التراث مصر - ١٩٧٣ م.
٣٤. مع الإلحاد وجهاً لوجه: د. عبد الرحمن عميرة، دار الحلبي - القاهرة.

٣٥. أشهر مشاهير الاسلام : رفيق العظم .
٣٦. الاعلام : للزركلي .
٣٧. الأغاني : للأصفهاني .
٣٨. تاريخ الخلفاء : للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، مصر — ١٣٠٥ هـ .
٣٩. تفسير الحازن والبغوي : المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل والبغوي المسمى معالم التنزيل ، دار الفكر — بيروت — لبنان .
٤٠. تليس ابليس : لابن الجوزي ، مصر — ١٣٤٧ هـ .
٤١. الروض الأنف : للإمام السهيلي .
٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة : للمحب الطبري ... مصر .
٤٣. سنن الترمذي : حققه وصححه عبد الرحمن عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن الكبي ، صاحب المكتبة السلفية : المدينة المنورة .
٤٤. سنن الحفاظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني «ابن ماجه» ، حققه ورقم كنبه وأبوابه وأحاديثه : محمد قواد عبد الباقي ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م — دار إحياء التراث العربي .
٤٥. تراث الانسانية : مجموعة من العلماء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة .